

أَنْسَارُ الرَّبَّانِيِّينَ
لِسَبِيحَاتِ أَنْوَارِ
رِيَّاضِ الصَّالِحِينَ
مِنْ كَلَامِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ

تَأَلَّفَ الْإِمَامُ
أَبِي زَكَرِيَّا يَعْقُوبُ بْنُ شَرْفِ النَّوَوِيِّ الدِّمَشْقِيُّ

الجزء الأول
فِكْرَةٌ وَجَمْعٌ وَإِعْدَادٌ
أَبُو مُحَمَّدٍ
مُحَمَّدٌ مُحَمَّدٌ بَدْرٌ



رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠١٨/٥/٧ - ٩٩٠٢
جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران ١١٠)

وقال تعالى: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (يوسف ١٠٨)

وقال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ خَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُنْتَدِينَ) (النحل ١٢٥)

وقال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (فصلت ٣٣)

عن محمد بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار. (البخاري رقمه ٣٤٦١)

- فَأَمَّا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَلَّمَا دَعَا إِلَى اللَّهِ بِحُرِّ وَجَلَّ كَلَّ عَلَى
فَدَرَجُودَةً وَعَلَى فَدَرِعُلْمَهُ وَعَلَى فَدَارِ إِتْقَانِهِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الأول قبل كل شئ والأخر بعد كل شئ بيده الخير وهو على كل شئ قدير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أرسله ربه بدين الحق داعيا وعن الباطل ناهيا فقام بأمر الله وبلغه وجاهد في سبيل ربه حتى آتاه اليقين اللهم صلّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وارض اللهم عن سادتنا أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وارض اللهم عن الصحب الكرام اجمعين وارض اللهم عن نساء النبي الكريم الطاهرات الشريفات العفيفات. إلهى وربى ما سألت سواك عوناً فحسبى العون من رب قدير . إلهى وربى ما سألت سواك هدياً فحسبى الهدى من رب بصير . إلهى وربى ما سألت سواك عفواً فحسبى العفو من رب غفور . إلهى وربى ما سألت سواك رزقاً فحسبى الرزق من رب شكور. اذا لم أستعن بك يا إلهى فمن عونى سواك ومن يجير . يارب أنت الملاذ اذا ما أزمه حلت وأنت ملجأ من ضاقت به الحيل وأنت المناد به فى كل نائبه فأنت الإله وأنت الذخر وأنت الامل .

أما بعد : فلقد منّ الله على ووفقنى للقيام بجمع وترتيب وإعداد شرح لكتاب رياض الصالحين بفكرة جديدة من نوعها تهدف لبيان أنوار كلام الله عز وجل وكلام النبي صلى الله عليه وسلم بفهم وفكر السلف الصالح فى كل باب من أبواب الكتاب فهم خير من فهم القرآن الكريم والسنة النبويه المطهرة فالأصل الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة فعند التعارض أو الاختلاف فى فهم الأدلة لأبد وأن يقدم فهم السلف فقد زكاهم الله عز وجل فقال: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) (البقرة ١٣٧) ورضي الله عز وجل عنهم وهم أقرب الناس إلى نزول الوحي وأقربهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد سرت على خطى الإمام النووى رحمه الله تعالى ولم أتطرق بالشرح والتحليل لأى من أبواب الكتاب ولكن تركت ذلك لأقوال ومواقف السلف الصالح رضى الله عنهم أجمعين

وذلك لأن فى الغالب كلامهم لا يحتاج الى شرح أو تحليل فهو بسيط وقليل وسهل الفهم لأنه

خرج من قلوب موصولة بالله ومجتهدة لنشر دينه وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم فهم ربانيين أى (حلماء علماء) .

واسأل الله تبارك وتعالى ان ينفعنى وينفع اخوانى فى كل مكان وزمان بهذا الكتاب العظيم . ولا يزهديك فيه كون مؤلفه ليس من فرسان هذا الميدان ولا من المعروفين فيه فإن الله سبحانه وتعالى هو المنعم على من شاء بما شاء وهو وحده ولى التوفيق والفضل والإحسان . (وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) (من الآية ٨٨ هود) وأسأله تبارك وتعالى أن يجعله ذخرا لى يوم الميعاد يوم الوقوف بين يدي رب العباد. وأسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنى بدعوة أخ صالح بظهر الغيب تكون سببا لنجاتى من عذاب الله ودخولى فى رحمته سبحانه وتعالى . وأسأله تبارك وتعالى ان يتقبل منى هذا العمل وأن يكون خالصا لوجهه الكريم ليس لأحد فيه نصيب غير الله تبارك وتعالى . وأسأله تبارك وتعالى أن يعفو ويتجاوز عنى وأن يستر على فى الدنيا والأخرة وان يغفر لوالدى واصحاب الفضل والحقوق على ولأولادى ولجميع المسلمين . فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ أو نسيان فمنى ومن الشيطان والله ورسوله منه براء . وأعوذ بالله أن أذكركم به وأنساه ورحم الله رجلاً أهدى الى عيوبى .

أهمية الكتاب والباعث على اختيار موضوعه:

- فإن آثار السلف - مواقفهم وأقوالهم وأفعالهم - تعد مصدرا أساسيا لفهم القرآن الكريم والسنة النبويه المطهرة. والمقصود: أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ آية من كتاب الله أو جملة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ذلك يفهمها ويطبقها بغير الفهم والتطبيق الذي كان عليه صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؛ إذ أنه من المعروف أن (العمل المتوارث المستمر من عصر الصحابة رضي الله عنهم فمن بعدهم حجة شرعية يجب اتباعها، وتلقيها بالقبول) .

وقال سيدنا عمر بن عبد العزيز: قَفَّ حَيْثُ وَقَفَ الْقَوْمُ، وَقُلُّ كَمَا قَالُوا، وَاسْكُتْ عَمَّا سَكَتُوا؛ فَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبَصِيرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِهَا كَانُوا أَقْوَى، وَبِالْفَضْلِ لَوْ كَانَ فِيهَا أُخْرَى، فَلَيْتَ لَوْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَلَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَيْتَ لَوْ قُلْتُمْ: حَدَّثَ بَعْدَهُمْ، فَمَا أَحَدُهُ

إِلَّا مَنْ سَلَكَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، وَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، وَلَقَدْ تَكَلَّمُوا مِنْهُ بِمَا يَكْفِي،
ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم مقصّر ولا فوقهم محسّر، لقد قصر عنهم قوم فجفوا، وطمح
آخرون عنهم فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم. (رواه أبو داود ٤٦١٢)

- وحتى يتم التمييز بين قول النبي صلى الله عليه وسلم وقول الصحابي والتابعي لأن هناك
أقوالاً مشهورة ومنتشرة بين المسلمين على أنها من قول النبي صلى الله عليه وسلم ولكن هي في
الأصل من كلام السلف الصالح رضى الله عنهم اجمعين .

- وحتى يكون مرجعا ومصدرا للدعاة والمبلغين والوعاظ وطلبه العلم لينهلوا من آثار السلف
في كل ابواب العلم والخير.

- وأرجو من الله أن يكون هذا الكتاب إضافه للمكتبة الإسلاميه .

- ونبين ما هو المقصود بالسلف الصالح : تعددت أقوال العلماء في تحديد ذلك :

من حيث المدى الزمني : فمن العلماء من قصر ذلك على الصحابة رضوان الله عليهم فقط .
ومن العلماء من قال بأنهم هم : الصحابة والتابعون .

قال النووي : والصحيح أن قرنه صلى الله عليه وسلم الصحابة والثاني التابعون والثالث تابعوهم
(شرح النووي على مسلم ١٦ / ٨٥)

قال السيوطي : والأصح أنه لا ينضبط بمدة فقرنه صلى الله عليه وسلم هم الصحابة وكانت
مدتهم من المبعث إلى آخر من مات من الصحابة مائة وعشرين سنة وقرن التابعين من مائة سنة إلى
نحو سبعين وقرن أتباع التابعين من ثم إلى نحو العشرين ومائتين وفي هذا الوقت ظهرت البدع
ظهورا فاشيا وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها وامتنح أهل العلم

ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيرا شديدا ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر
مصدق قوله صلى الله عليه وسلم : ثم يفسو الكذب ثم الذين يلونهم ثلاثا. (مرقاة المفاتيح ٩ / ٣٨٧٨)
والقول الصحيح المشهور الذي عليه جمهور أهل السنة هو أن المقصود بالسلف الصالح هم
القرون الثلاثة المفضلة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية حيث قال: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوكُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوكُهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ). متفق عليه (البخاري ٢٦٥٢، ومسلم ٢٥٣٣)

فالسلف الصالح هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين . وكل من سلك سبيلهم وسار على نهجهم فهو سلفي نسبة إليهم .

والسلفية : هي المنهج الذي سار عليه النبي صلى الله عليه وسلم والقرون المفضلة من بعده والذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه باق إلى أن يأتي أمر الله لحديث النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك. (مسلم ١٥٢٣/٣)

فيصح الانتساب إلى هذا المنهج متى التزم الإنسان بشروطه وقواعده فكل من حافظ على سلامة العقيدة طبقاً لفهم القرون الثلاثة المفضلة فهو ذونهج سلفي.

قواعد المنهج السلفي:

أولاً: ضبط نصوص الكتاب والسنة وفهم معانيها

قال الله تعالى : (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (النساء ٥٩)

قال تعالى : (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) (الأحزاب ٣٦)

وقال تعالى : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء ٦٥)

وقال صلى الله عليه وسلم : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله. (رواه مالك رقم ٣٣٣٨ وحسنه الألباني)

ثانياً: التقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث وذلك يتم

ب: الإجتهد في تمييز صحيحه من سقيمه . والاجتهاد في الوقوف على معانيه وتفهمه .
ثالثاً: العمل بذلك والاستقامة عليه اعتقاداً وتفكيراً وسلوكاً وقولاً والبعد عن كل ما يخالفه
 ويناقضة .

رابعاً: الدعوة إلى ذلك باللسان والبنان والحركة لنشر دين الله في كل مكان وزمان وعلى أى حال
 في العسر واليسر والمنشط والمكرة والتضحيه في سبيل ذلك بكل المحبوبات من نفس وأهل ومال
 وأوطان فكل الأمة نائبه عن النبي صلى الله عليه وسلم تدعو الى الله على بصيرة وهى
 العلم بما تدعو اليه كل على قدر فهمه وكل على قدر جهده وكل على قدر علمه وكل على قدر
 إنفاقه .

فمن التزم هذه القواعد في الاعتقاد والعمل فهو على النهج السلفي بإذن الله . والله سبحانه
 وتعالى أمرنا وأوجب علينا باتباع السلف الصالح والسير على طريقتهم واتباع منهجهم .
 قال تعالى : (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ
 عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)
 (التوبه ١٠٠) والله توعد من اتبع غير سبيلهم بعذاب جهنم ووعد في الآية السابقة متبعهم
 بالرضوان . وقال تعالى : (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
 نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) (النساء ١١٥)

وقال ابن تيمية: والواجب على كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله أن يكون
 أصل قصده توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله يدور على ذلك ويتبعه
 أين وجده ويعلم أن أفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة فلا يتنصر لشخص انتصاراً مطلقاً
 عامّاً إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لطائفة انتصاراً مطلقاً عامّاً إلا للصحابة رضي الله
 عنهم أجمعين . فإن الهدي يدور مع الرسول حيث دار ويدور مع أصحابه دون أصحاب غيره
 حيث داروا فإذا أجمعوا لم يجمعوا على خطأ قط بخلاف أصحاب عالم من العلماء فإنهم قد يجمعون
 على خطأ بل كل ما قالوه ولم يقله غيرهم من الأمة لا يكون إلا خطأ فإن الدين الذي بعث الله به

رسوله ليست مسلماً إلى عالم واحد وأصحابه ولو كان كذلك لكان ذلك الشخص نظيراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو شبيه بقول الرافضة في الإمام المعصوم. ولا بد أن يكون الصحابة والتابعون يعرفون ذلك الحق الذي بعث الله به الرسول قبل وجود المتبوعين الذين تنسب إليهم المذاهب في الأصول والفروع ويمتنع أن يكون هؤلاء جاءوا بحق يخالف ما جاء به الرسول فإن كل ما خالف الرسول فهو باطل ويمتنع أن يكون أحدهم علم من جهة الرسول ما يخالف الصحابة والتابعين لهم بإحسان فإن أولئك لم يجتمعوا على ضلالة فلا بد أن يكون قوله - إن كان حقاً - مأخوذاً عما جاء به الرسول موجوداً فيمن قبله وكل قول قيل في دين الإسلام مخالف لما مضى عليه الصحابة والتابعون لم يقله أحد منهم بل قالوا خلافه فإنه قول باطل .

(منهاج السنة ٥/ ٢٦٢ - ٢٦٣)

ويشهد لذلك أقوال سلفنا الصالح:

فالسلف الصالح كانوا مصابيح الظلام وقادة هذا الأنام وملح الارض وحلى الدنيا والنجوم التي لا يضل معها السارى والمنار الذي يرجع اليه الباغى والحزب الذى كثر به القليل واعز به الدليل وزاد الكثير فى عدده والعزيز فى ارتفاع قدرة وهم الذين جلّوا بكلامهم الأبصار الكليله وشحذوا بمنطقهم الأذهان العليله . (إعلام الموقعين ٢/ ١٧٢)

- فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ومن أكابرههم فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا. (الزهد لابن المبارك ص ٢٨١ حديث ٨١٥)

- وعنه رضي الله عنه قال: من كان منكم مستنفاً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أبر هذه الأمة قلباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وتمسكوا بهديهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. (جامع بيان العلم وفضله ٢/ ٨٧)

- وقال مجاهد: العلماء أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. (جامع بيان العلم ٢/ ٢٩)

- وقال الأوزاعي: العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما كان غير ذلك فليس بعلم وكذا قال الإمام أحمد رحمه الله. (جامع بيان العلم ٢/ ٢٩)
- وقال أيضًا: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، واسلك سبيل السلف الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم، وقُل بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا، ولو كان هذا خيرًا ما خصصتم به دون أسلافكم؛ فإنه لم يُدخَر عنهم خيرٌ خُبِّيَ لكم دونهم؛ لفضلٍ عندكم. (الشرية للأجري ص ٢٩٤)
- وقال أيضًا: عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس وإياك ورأي الرجال وإن زخرفوه لك بالقول فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريقٍ مستقيم. (المدخل إلى السنن للبيهقي رقم ٢٣٣)
- قال شاذ بن يحيى: ليس طريق أقصر إلى الجنة من طريق من سلك الآثار.
- (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم ١١٢)
- قال سفيان الثوري: إنما الدين بالآثار. (جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ٢/ ٣٤)
- عن ابن سيرين قال: ما دام على الأثر فهو على الطريق. (سنن الدارمي ١/ ٦٦)
- قال مالك بن أنس: ما قلَّت الآثار في قوم إلا كثُرَت فيهم الأهواء وإذا قلَّت العلماء ظهر في النَّاس الجفاء. (الفتية والمتفق للخطيب البغدادي ١/ ٣٨٣)

منهج البحث:

لقد التزمت في هذا الكتاب منهجا علميا محددًا يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

أولاً: توثيق المادة العلمية والعزو إلى المصادر الأصلية:

- بالنسبة للآيات القرآنية: قمت بعزوها إلى موضعها من القرآن الكريم عن طريق ذكر اسم السورة ورقم الآية.
- بالنسبة للآثار: قمت بعزوها إلى مصادرها من كتب السنة المعتمدة عن طريق ذكر اسم المرجع المحتوي على الأثر ورقم الجزء ورقم الصفحة. مع ملاحظه اختلاف الطبعات مما يؤدي اختلاف رقم الصفحة والجزء. واختصرت بعض أسماء المراجع مثل سير أعلام النبلاء (ب السير) وإحياء علوم الدين (ب الإحياء) وحليه الأولياء (ب الحليه) وتفسير الدر المنثور

- (ب الدر المنتور) وهكذا .
- ثم بعد ذلك بدأت بذكر آثار السلف في الآيات القرآنية التي وضعها الإمام النووي في كل باب من أبواب الكتاب .
- ثم بعد ذلك ذكرت آثار السلف في عنوان كل باب من أبواب الكتاب .
- ثم ذكرت بعض أبيات من الشعر في كل باب إن وجد .
- ثم ذكرت الجانب العملي في حياة السلف في كل باب .
- ثم قمت بعد ذلك بتصنيف الآثار بوضع آثار الصحابه أولاً ثم تابعيهم ثم تابعي تابعيهم وهكذا وإذا كان هناك أكثر من أثر لواحد من السلف قمت بوضع هذه الآثار مرتبه بعضها تحت بعض حتى لا يتشتت ذهن القارئ .
- بيان معاني الكلمات الغريبة : اعتمدت على المعاجم اللغويه لبيان معاني ما وجدته من كلمات غريبة في الآثار رأيت أنها تحتاج إلى بيان معناها .
- بالنسبة للأحكام الفقهية : لم أذكر حكماً فقهياً إلا وعزوته إلى مصدره من المراجع الفقهية مع ذكر الرأي الراجح ورقم الجزء ورقم الصفحة .
- التزمت في الكتاب عدم الشرح أو التعليق واكتفيت بذكر آثار ومواقف السلف .
- قمت بتحديد نوع الخط في كل الكتاب . عدا العناوين الرئيسييه .
- ثانياً : التمهيد والترجيح :**
- لم ألتزم فيه مذهبا معيناً ولم أنتصر لرأي دون رأي ولكن عرضت أقوال وأراء السلف في كل باب من أبواب الكتاب وتركت للقارئ أن يختار ما يناسبه وثبت صحته .
- ثالثاً : الإيجاز في موضعه والتفصيل في موضعه :**
- فلقد حاولت جاهداً أن أختصر من آثار السلف حتى أقلل من عدد صفحات الكتاب ولكن لم أستطع أن أختصر أو أحذف شيئاً من كلامهم نظراً لما يحتويه كلام السلف من أنوار وأسرار وفهم عميق ولكن تركت ما جمعته من آثار ومواقف حتى يستفيد منه القارئ .

وحتى على الرغم من تشابه بعض الآثار لم استطع حذف أى منها فهذا التشابه والتكرار يدل على تأكيد المعنى . ولأنه كان من الصعب عليّ بعد ما عشت طيلة الثلاث سنوات وسط هؤلاء الأكابر أن يقوم مثلي بحذف أو اختصار شئ من هذه الآثار .

رابعاً : الأبواب والفهارس :

قمت بعمل فهرس للكتاب مبينا فيه الكتب والأبواب والمصادر والمراجع . واكتفيت بذكر أهم المصادر والمراجع .

كتبه أبو محمود

محمد محمود محمد بدر

جمهورية مصر العربية

محافظة القليوبية - شبرا الخيمة

EMAIL - m.badr75@yahoo.com

٠١٠١١٤٧١٥٠٢

٠١١٤٩٣٤٥٦٣٢

مقدمة المؤلف (الإمام النووي رحمه الله تعالى)

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، مكور الليل على النهار، تذكرة لأولي القلوب والأبصار، وتبصرة لذوى الألباب والاعتبار، الذى أيقظ من خلقه من اصطفاه فزهدهم في هذه الدار، وشغلهم بمراقبته وإدامه الأفكار، وملازمة الاتعاظ والادكار، ووقفهم للدأب في طاعته، والتأهب لدار القرار، والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار، والمحافظة على ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار. أحمدته أبلغ حمدٍ وأزكاه وأشمله وأناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله البر الكريم، الرؤف الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وحببته وخليله، الهادى إلى صراط مستقيم، والداعى إلى دين قويم. صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين، وآل كل، وسائر الصالحين.

أما بعد: فقد قال الله تعالى: {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} [الذاريات: ٥٦،٧٥] وهذا تصريح بأنهم خلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خلقوا له والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة، فإنها دار نفاذ لا محل لإخلاق، ومركب عبور لا منزل حبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام. فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العباد، وأعقل النار فيها هم الزهاد. قال الله تعالى: {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون} [يونس: ٢٤]

في هذا المعنى كثيرة ولقد أحسن القائل:

إن لله عبادةً فُطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها جُنةً واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

فإذا كان حالها ما وصفته، وحالنا وما خلقنا له ما قدمته، فحق على المكلف أن يذهب بنفسه

مذهب الأخيار، ويسلك مسلك أولى النهى والأبصار، ويتأهب لما أشرت إليه، ويهتم بما نبهت عليه. أصوب طريق له في ذلك، وأشد ما يسلكه من المسالك: التأدب بما صح عن نبينا سيد الأولين والآخرين، وقد قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} [المائدة: ٢] وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" وأنه قال: "من دل على خير فله مثل أجر من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" وأنه قال لعلي رضي الله عنه: "فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم".

فرأيت أن أجمع مختصراً من الأحاديث الصحيحة، مشتملاً على ما يكون طريقاً لصاحبه إلى الآخرة، ومحصلاً لأدابه الباطنة والظاهرة، جامعاً للترغيب والترهيب وسائر أنواع آداب السالكين: من أحاديث الزهد، ورياضات النفوس، وتهذيب الأخلاق، وطهارات القلوب وعلاجها، وصيانة الجوارح وإزالة اعوجاجها، وغير ذلك من مقاصد العارفين. وألتزم فيه أن لا أذكر إلا حديثاً صحيحاً من الواضحات، مضافاً إلى الكتب الصحيحة المشهورات، وأصدر الأبواب من القرآن العزيز بآيات كريمات، وأوشح ما يحتاج إلى ضبط أو شرح معنى خفى بنفائس من التنبهات. وإذا قلت في آخر حديث: متفق عليه، فمعناه: رواه البخاري ومسلم.

وأرجو إن تم هذا الكتاب أن يكون سائقاً للمعتنى به إلى الخيرات، حاجزاً له عن أنواع القبائح والمهلكات. وأنا سائل أخاً انتفع بشيء منه أن يدعو لي، ولوالدي، ومشايخي، وسائر أحببنا، والمسلمين أجمعين، وعلى الله الكريم اعتمادى، وإليه تفويضى واستنادى، وحسبى الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - باب الإخلاص وإضمار النية

في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخبية

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ [البينة : ٥] وَقَالَ تَعَالَى : لَنْ يَنَالَ اللهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤَهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ [الحج : ٣٧] وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللهُ [آل عمران : ٢٩]

١- وَعَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِيَّاحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رِزَّاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ . رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهَجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهَجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ » مَتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ . رواه إماما المحدثين : أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَغِيرَةَ بْنِ بَرْدِزْبَةَ الْجُعْفِيَّ الْبُخَارِيَّ ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمِ الْقُشَيْرِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي صَحِيحَيْهِمَا اللَّذَيْنِ هُمَا أَصْحَحُ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ .

٢- وَعَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «يَغْزُو جَيْشُ الْكَعْبَةِ فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ» . قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، كَيْفَ يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَأُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ ،؟ قَالَ : «يُخَسَفُ بِأَوْلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ، ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ» مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ : هَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ .

٣- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ وَإِذَا اسْتَنْفَرْتُمْ فَاغْتَفِرُوا» مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَمَعْنَاهُ : لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ لِأَنَّهَا صَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ .

٤- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لِرَجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَاذِيًّا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ» وَفِي رَوَايَةٍ: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

ورواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلَفْنَا بِالْمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَاذِيًّا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُدْرُ».

٥- وَعَنْ أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ الْأَخْنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدَهُ صَحَابِيُونَ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدَ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

٦- وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أَهْيَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مِرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ الْقُرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَدِ الْعَشْرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالْحِجَّةِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: «جَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوُدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرْتُنِي إِلَّا ابْنَتِي لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلثِي مَالِي؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَالْشُّطْرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا، قُلْتُ فَالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِزَتْ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي أَمْرَاتِكَ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْلَفَ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أزدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هَجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ «يَرْتِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ «مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ»

٧- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَى صُورِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

٨- وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةً لِلَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

٩- وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « إِذَا اتَّقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا الْقَاتِلُ قَتَا بِأَلِ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ: « إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

١٠- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بضعاً وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ، وَذَلِكَ أَنْ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةَ ، لَمْ يَحْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ هِيَ الَّتِي تَحْبِسُهُ ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ ، اللَّهُمَّ تَبَّ عَلَيْهِ ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ فِيهِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ، وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « يَنْهَزُهُ » هُوَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْهَاءِ وَبِالزَّيِّ: أَيُّ يُخْرِجُهُ وَيُنْهَضُهُ.

١١- وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا يَرَوِي عَنْ رَبِّهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ: فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمَلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

١٢- وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « انْطَلَقَ ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمْ الْمَيْتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنْ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنَ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ

تَدْعُوا اللَّهَ تَعَالَى بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبُوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، وَكُنْتُ لَا أَعْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا فَنَأَى بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرَخْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا فَحَلَبْتُ هَهُمَا غُبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمِينَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَعْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا ، فَلَبِثْتُ وَالْقَدْحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاطَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ وَالصَّبِيَّةُ يَتَضَاغُونَ عِنْدَ قَدَمِي فَاسْتَيْقَظَا فَشَرَبَا غُبُوقَهُمَا . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ ، فَاَنْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهُ . قَالَ الْآخِرُ : اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ » وَفِي رِوَايَةٍ : « كُنْتُ أُحِبُّهَا كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجَالُ النِّسَاءَ ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَاْمْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَّتْ بِهَا سِنَّةً مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُحَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا » وَفِي رِوَايَةٍ : « فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ ، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ فَاْفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا . وَقَالَ الثَّلَاثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجْرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أُجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرَتْ أُجْرُهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ فَجَاءَتْنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أُجْرِي ، فَقُلْتُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أُجْرِكَ : مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَسْتَهْزِئْ بِي ، فَقُلْتُ : لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ ، فَاْأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاَسْتَأَقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءً وَجِهَكَ فَاْفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ ، فَاَنْفَرَجَتْ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : حنفاء على دين إبراهيم عليه السلام . قال سعيد بن جبير : الحنيف : من اختتن وحج .

قال أهل اللغة : وأصله أنه تحنف إلى الإسلام . أي مال إليه . (تفسير القرطبي ٢٠ / ١٨١)

عن قتادة قوله : (وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) هو الدين الذي بعث الله به رسوله ، وشرع لنفسه ، ورضي به .

قال ابن زيد، في قوله: (كُتِبَ قِيَمَةٌ) (وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ) قال: هو واحد؛ قِيَمَةٌ: مستقيمة معتدلة.
(تفسير الطبرى ٥٤١ / ٢٤)

قال النضر بن شميل : سألت الخليل بن أحمد عن قوله : وذلك دين القيمة ؟ فقال : القيمة : جمع القيم والقيم والقائم واحد ومجاز الآية : وذلك دين القائم لله بالتوحيد . (تفسير البغوى ٤٩٦ / ٨)
عن ابن جريج قال : كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الإبل ودماؤها ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فنحن أحق أن ننضح ، فأنزل الله : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي : يتقبل ذلك ويجزي عليه . (تفسير بن كثير ٤٣١ / ٥)
قال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يضرجون البيت بدماء البدن ، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك فنزلت الآية . والنيل لا يتعلق بالبارئ تعالى ، ولكنه عبر عنه تعبيراً مجازياً عن القبول المعنى : لن يصل إليه . وقال ابن عباس : لن يصعد إليه . ابن عيسى : لن يقبل لحومها ولا دماءها ، ولكن يصل إليه التقوى منكم ؛ أي ما أريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع إليه ويسمعه ويثيب عليه . (القرطبي ٦٢ / ١٢)
عن إبراهيم في قول الله : (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) قال : ما أريد به وجه الله . (تفسير الطبرى ٦٤١ / ١٨)

عن السدي قال : أخبرهم أنه يعلم ما أسروا من ذلك وما أعلنوا ، فقال : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه . (تفسير الطبرى ٣١٨ / ٦)
قال الحسن البصري : من رأفته بهم حذرهم نفسه . وقال غيره : أي رحيم بخلقه يجب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم وأن يتبعوا رسوله الكريم . (تفسير بن كثير ٣١ / ٢)
عن قتادة: يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً . يقول : موفراً . (الدر المنثور ٥٠٧ / ٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كتب عمر بن الخطاب : إلى أبي موسى الأشعري فمن خلصت نيته في الحق ، ولو على نفسه ، كفاه الله ما بينه وبين الناس ، ومن تزين بما ليس في نفسه شانه الله عز وجل ؛ فإن الله عز وجل لا يقبل من العبد إلا ما كان له خالصاً . (منهاج السنه ٧١ / ٦)

قال عمر بن الخطاب : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى . (إحياء علوم الدين ٣٦٤ / ٤)

قال عمر بن الخطاب: لا عمل لمن لا نية له ولا أجر لمن لا حسبة له. (جامع العلوم والحكم ٧٠)
قال ابن مسعود رضى الله عنه: لا ينفع قول إلا بعمل ولا ينفع قول وعمل إلا بنية ولا ينفع قول وعمل
ونيه إلا بموافقه السنه. (الإبانة لابن بطه ٢/٨٠٣)

قال ابن مسعود: لا تعلموا العلم لثلاث لتأروا به السفهاء أو لتجادلوا به الفقهاء أو لتصرفوا به وجوه
الناس إليكم وابتغوا بقولكم وفعلكم ما عند الله فإنه يبقى ويذهب ما سواه. (جامع العلوم والحكم ٧٨)
قال ابن مسعود: إن الله لا يقبل من مسمع ولا مرأى ولا لاعب ولا داع إلا داعياً دعاءً ثبتاً من قلبه.
(الزهد لنعيم بن حماد ٨٨)

وقال أبو هريرة مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل.
(إحياء علوم الدين ٤/٣٦٤)

وقال أبو هريرة: يبعثون يوم القيامة على قدر نياتهم. (إحياء علوم الدين ٤/٣٦٤)

قال ابن عباس: إنما يحفظ الرجل على قدر نيته. (الجامع للخطيب ٢٥٧/٢ رقم ١٧٨٠)

قال أبي موسى الأشعري: نية المؤمن خير من عمله وإن الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله
وذلك أن النية لا رياء فيها والعمل يخالطه. (الفردوس بمأثور الخطاب ٤/٢٨٦)

وقال رجل لتميم الداري: ما صلاتك بالليل؟ فغضب غضباً شديداً ثم قال: والله لركعة أصليها في
جوف الليل في سر أحب إلي من أن أصلي الليل كله ثم أقصه على الناس. (صفه الصفوة ١/٢٩٠)

قال الزبير بن العوام: من استطاع أن تكون له خبيثة من عمل صالح فليفعل. (الزهد لأبي داود ١٢٢)

قال معاذ بن جبل: أما أنا فأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي. (رواه البخاري ٤٠٨٨)

وكتب سالم بن عبدالله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تمت نيته
تم عون الله له وإنقصت نقص بقدره. (إحياء علوم الدين ٤/٣٦٤)

قال الحسن البصري: إن كان الرجل جمع القرآن وما يشعر به الناس وإن كان الرجل قد فقه الفقه الكثير
وما يشعر به الناس وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد

أدركت أقواماً ما كانوا على عمل يقدر أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً. (الزهد لابن المبارك ٤٥)

قال الحسن البصري: إن كان الرجل ليجلس المجلس فتجيئه عبرته فيردها فإذا خشي أن تسبقه قام

وذهب وبكى في الخارج . (الزهد لاحمد رقم ١٤٩٦)

قال الحسن : لا يزال العبد بخير إذا قال قال الله وإذا عمل يعمل لله . (مصنف بن ابى شيبة ٣٩١ / ١٩)

وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . (الإحياء ٤ / ٣٦٤)

وقال سفيان الثوري : البكاء عشرة أجزاء تسعة لغير الله وواحد لله فإذا جاء الذي لله في السنة مرة فهو

كثير . (حليه الأولياء ٧ / ١١)

قال سفيان الثوري : ما ضعف بدن قط عن مبلغ نيته فقدموا النية ثم اتبعوها . (الحليه ٧ / ٥٤)

وقال أيضا : ما عالجت شيئا أشد على من نيتي لأنها تنقلب علي . (جامع العلوم والحكم ١٢)

وقال الثوري : كانوا يتعلمون النية للعمل كما تتعلمون العمل . (أحياء علوم الدين ٤ / ٣٦٤)

وقال الثوري لعلي بن الحسن : اعمل بنيه وكل بنيه واشرب بنيه . (حليه الاولياء ٧ / ٤٨)

عن ابن المبارك قال سألت سفيان الثوري عن الرجل يصلي أي شيء ينوي بصلاته قال ينوي أن يناجي

ربه . (حليه الأولياء ٧ / ٦٠)

وقال عبدالله بن المبارك : رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية .

(جامع العلوم والحكم ٧١)

وقال أيضا : انو في كل شيء تريده الخير حتى خروجك إلى الكناسة (مَوْضِعُ الْقَاءِ الْقَامَةِ) .

(جامع العلوم والحكم ٧٠)

قال ابن المبارك : سمعت جعفر بن حيان يقول : ملاك هذه الأعمال النيات فإذا الرجل يبلغ بنيته ما لا

يبلغ بعمله . (الزهد لابن المبارك ١ / ١٩٩)

وقال الفضيل بن عياض : إنما يريد الله منك نيتك وإرادتك . (جامع العلوم والحكم ٧١)

قال الفضيل بن عياض : أدركنا أناس يراءون بما يعملون فصاروا الآن يراءون بما لا يعملون .

(إحياء علوم الدين ٣ / ٢٩٦-٢٩٧)

قال محمد بن واسع : إن كان الرجل ليبيكي عشرين سنة وامرأته لا تعلم . (حليه الأولياء ٢ / ٣٤٧)

قال محمد بن واسع : لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته في وسادة واحدة قد بل

ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه

على خده ولا يشعر به الذي إلى جنبه. (حليه الأولياء ٢ / ٣٤٧)

وقال الإمام مالك: من أحب أن يفتح له فرجه في قلبه وينجو من غمرات الموت وأهوال يوم القيامة فليكن عمله في السر أكثر منه في العلانية. (ترتيب المدارك وتقريب المسالك ٢ / ٥١)
وروي أنه لما ألف مالك موطنه قيل له: ما الفائدة في تصنيفك؟ فقال: ما كان الله بقي. (الرسالة المستطرفة ٩)

يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: لما سئل عن أقرب أحوال العبد من الله؟ فقال: أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة إلا هو. (روضة المحبين ونزهة المشتاقين ٩ / ٤٣٩)
وقال أيضا: من عمل شيئاً من أنواع الخير بلا نية، أجزأته النية الأولى حين اختار الإسلام على الأديان كلها لأن هذا العمل من سنن الإسلام ومن شعائر الإسلام. (حليه الأولياء ٩ / ٢٧١)
وقال أيضا: ما أتى من أتى إبليس وقارون وبلعام إلا أن أصل نياتهم على غش فرجعوا إلى الغش الذي قام في قلوبهم والله أكرم من أن يمن على عبد بصدق ثم يسلبه إياه. (الحليه تهذيبه ٣ / ١٩٣)
قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان الداراني: إني قد غبطت بني إسرائيل قال: بأي شيء ويحك؟ قلت: بثمان مائة سنة وبأربعمئة سنة حتى يصيروا كالشنان البالية (القربة الحلقى) والحنايا وكالأوتار. قال: ما ظننت إلا أنك قد جئت بشيء!! لا والله ما يريد الله منا أن تيبس جلودنا على عظامنا ولا يريد منا إلا صدق النية فيما عنده هذا إذا صدق في عشرة أيام نال ما نال ذلك في عمره. (الحلية تهذيبه ٣ / ١٨٦)
يقول الربيع بن خثيم موصياً تلاميذه: السرائر السرائر اللاتي يخفين على الناس وهي عند الله بواد التمسوا دواءهن! قيل: وما دواءهن؟ قال: أن تتوب ثم لا تعود. (الزهد لأحمد ٢٧١)
قالت سريّة الربيع بن خثيم: كانت أعمال الربيع سرّاً إن كان ليحيى الرجل وقد نشر المصحف فيغظيه بثوبه. (صفه الصفوة ١ / ٣١٣)

وقال الربيع بن خثيم: كل ما لا يراد به وجه الله يضمحل. (سير اعلام النبلاء ٤ / ٢٥٩)

وقال مطرف بن عبد الله: صلاح القلب بصلاح العمل وصلاح العمل بصلاح النية.

(الإخلاص والنية لابن ابي الدنيا ٧٣٣)

وكان مطرف يقول: من صفا صُفي له ومن خلط خلط عليه. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٧٨)

عن داود بن محمد : أنه سمع أبا عبد النباجي يقول خمس خصال بها تمام العمل : الإيثار بمعرفة الله ومعرفة الحق وإخلاص العمل لله والعمل على السنة وأكل الحلال فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل وذلك أنك إذا عرفت الله ولم تعرف الحق لم تتنفع وإذا عرفت الحق ولم تعرف الله لم تتنفع وإن عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تتنفع وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تتنفع وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تتنفع. (الإخلاص والنيه ص ٣٢ رقم ٢)

قال يحيى بن أبي كثير : إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجا إلى الله تعالى فيقول الله تعالى : اجعلوه في سجين إنني لم أؤد بهذا العمل . (الحلية (تهذيبه) ١ / ٤٥٥)

قال عبد الله بن داود : كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيثة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها . (تهذيب الكمال في أسماء الرجال ١٤ / ٤٦٤)

وقال بلال بن سعد: إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز و جل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلحت نيته فبالحرى أن يصلح ما دون ذلك. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٦٤)

قال إبراهيم النخعي : إن الرجل ليتكلم بالكلام على كلامه المقت ينوي به الخير فيلقي الله له العذر في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه إلا الخير وإن الرجل ليتكلم الكلام الحسن لا يريد به الخير فيلقي الله في قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه الخير. (حليه الأولياء ٤ / ٢٢٩)

قال عبد الرحمن بن مهدي: كنت أجلس يوم الجمعة فإذا كثر الناس فرحت وإذا قلوا حزنت فسألت بشر بن منصور فقال : هذا مجلس سوء فلا تعد إليه فما عدت إليه. (السير ٩ / ١٩٦)

عن يحيى بن عتيق قال: قلت لمحمد بن سيرين: الرجل يتبع الجنابة، لا يتبعها حسبة يتبعها حياء من أهلها له في ذلك أجر؟ قال: أجر واحد بل له أجران أجر لصلاته على أخيه وأجر لصلته الحي.

(حليه الأولياء ٢ / ٢٦٤)

قال المعافي بن عمران: قال رجل لمحمد بن النضر: أين أعبد الله؟ قال: أصلح سيرتك واعبده حيث شئت. (الحلية (تهذيبه) ٣ / ٥٠)

قال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد وقال إيثار الله عز

- وجل أفضل من القتل في سبيله. (جامع العوم والحكم ٧٠)
- قال يوسف بن الحسين: أعز شيء في الدنيا الإخلاص وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي وكأنه ينبت فيه على لون آخر. (جامع العلوم والحكم ٨٥)
- قال السري السقطي: تصفية العمل من الآفات أشد من العمل. (الحلية (تهذيبه) ٣ / ٢٨٧)
- سئل الإمام أحمد بن حنبل عن الصدق والإخلاص فقال: بهذا ارتفع القوم الإخلاص مسك القلب وماء حياته ومدار الفلاح كله. (الأدب الشرعي لابن مفلح)
- وسئل مرة عن الإخلاص فقال: اذهب إلى الزهاد إي شيء نحن تحيي إلينا؟ وجاء إليه رجل فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه فغضب الإمام أحمد وأنكر ذلك أشد الإنكار وقال: عمن أخذتم هذا الأمر؟ (الحكم الجديدة بالاذاعة لابن رجب ص ٤٧)
- قال شهر بن حوشب: إذا حدث الرجل القوم، فإن حديثه يقع من قلوبهم موقعه من قلبه. (الحلية (تهذيبه) ٢ / ٢٦٣)
- قال زبيد الياامي: إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام والشراب. (جامع العلوم والحكم ٧٠)
- قال ابو عبدالله بن عطاء: العلم موقوف على العمل به والعمل موقوف على الإخلاص والإخلاص لله يورث الفهم عن الله. (بستان العارفين ٩٢)
- وقال يحيى أبي كثير: تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل. (حليه الأولياء ٣ / ٧٠)
- قال سهل بن عبد الله: ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب. (جامع العلوم والحكم ٨٥)
- وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه. (مدارج السالكين ٢ / ٩٢)
- قال عمرو بن ذر: ربما قيل لإبراهيم التيمي تكلم فيقول: ما تحضرني نية. (الحلية ٤ / ٢١١)
- وقال داود الطائي: رأيت الخير كله إنما يجمعه حسن النية وكفاك به وإن لم تنصب. (جامع العلوم والحكم ٧٠)
- قيل لنافع بن جبير: ألا تشهد الجنازة؟ قال كما أنت حتى أنوي ففكر هنيهة ثم قال امض.

(الإخلاص لابن ابي الدنيا رقم ٦٧)

كان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول: يا نفس أخلصي تتخلصي. (الإحياء ٤ / ٣٧٨)

وقال سليمان: طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى. (الإحياء ٤ / ٣٧٨)

وقال يحيى بن معاذ: الإخلاص يميز العمل من العيوب كتميز اللبن من الفرث والدم.

(الإحياء ٤ / ٣٧٨)

قال نعيم بن حماد: ضرب الشياطين أهون علينا من النية الصالحة. (الإخلاص والنية لابن ابي الدنيا)

قال أبو عثمان المغربي: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. (بستان العارفين ٧ / ١)

قال الشافعي: وددت أن الخلق تعلموا هذا يقصد علمه على أن لا ينسب إليّ حرف منه.

(المجموع شرح المهذب ٥٤)

قال سعيد بن المسيب: من هم بصلاة أو صيام أو عمرة أو حج أو شيء من الخير ثم لم يفعل كان له ما

نوى. (حليه الأولياء ٨ / ٥٢)

قال إبراهيم بن أدهم: ما صدق الله أحد أحب الشهرة. (سير ألبلاء للذهبي ١٣ / ٤٣٩)

قال ابن عجلان: لا يصلح العمل إلا بثلاث: التقوى لله والنية الحسنة والإصابة. (جامع العلوم والحكم ٧٠)

قال الربيع بن أنس: علامة الدين الإخلاص لله وعلامة العلم خشية الله. (الإخلاص والنية ص ٣٣ رقم ٣)

قال ابن تيمية: والإخلاص لله أن يكون الله هو مقصود المرء ومراده فحيثئذ تتفجر ينابيع الحكمة من

قلبه على لسانه. (النبوات ١٤٧)

وقال أيضا: بحسب توحيد العبد لربه وإخلاصه دينه لله يستحق كرامة الله بالشفاعة وغيرها.

(الصارم المنكي ٣٩٠)

وقال أيضا: ولا يحصل الإخلاص إلا بعد الزهد ولا زهد إلا بتقوى والتقوى متابعة الأمر والنهي

(الفتاوى ١ / ٩٤)

وقال أيضا: فإن قوة إخلاص يوسف عليه السلام كان أقوى من جمال امرأة العزيز وحسنها وحبها لها.

(الفتاوى ١٠ / ٦٠٢)

وقال أيضا: وكلما قوي إخلاص العبد كملت عبوديته. (مجموع الفتاوى ١٠ / ١٩٨)

وقال ايضاً : فلا يكون العبد متحققاً بـ : إياك نعبد إلا بأصلين أحدهما متابعة الرسول والثاني الإخلاص للمعبود . (تهذيب المدارج ٦٨)

وقال ابن القيم : فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى فإنها روح العمل وقائده وسائقه والعمل تابع لها يبنى عليها يصح بصحتها ويفسد بفسادها وبها يستجلب التوفيق وبعدمها يحصل الخذلان وبحسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة . وقد جرت عادة الله التي لا تبدل وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته ومعاملته لربه ، ويلبس المرآئي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به . فالمخلص له المهابة والمحبة وللآخر المقت والبغضاء .

(إعلام الموقعين عن رب العالمين ٤ / ١٥٣)

وقال أيضاً : والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فثمررة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك . (الفوائد ص ٢٩٢)

وقال ايضاً : فالإخلاص هو سبيل الخلاص والإسلام هو مركب السلامة والإيمان خاتم الأمان . (مفتاح دار السعادة ١ / ٧٤)

وقال ايضاً : لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماء والنار . (الفوائد ٢٦٧)

وقال ايضاً : العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رمالاً يثقله ولا ينفعه . (الفوائد ٤٩)

وقال ايضاً : والمخلصين أطيب الناس عيشاً في هذه الدنيا . (الجواب الكافي ص ٦٦)

وقال ايضاً : لو نفع العمل بلا إخلاص لما ذم الله المنافقين . (الفوائد ٦٥)

قال ابن رجب : ومضاعفة الأجر بحسب كمال الإسلام وبكمال قوة الإخلاص في ذلك العمل .

(جامع العلوم والحكم ٢ / ٣١٦)

وقال ايضاً : ما ينظر المرآئي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق . (كلمة الإخلاص ٣١)

قالت رابعة العدوية : (كتاب الفوائد لابن القيم)

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
 وليت الذي بيني وبينك عامر وبينني وبين العالمين خراب
 إذ اصح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
 فياليت شرابي من وراك صافيا وشرابي من ماء الفرات سراب
 متى لم يكن بيني وبينك ريبة فكل نعيم صد عنك عذاب

الآثار العملية في حياة السلف:

هذا علي بن الحسين زين العابدين يحمل الصدقات والطعام ليلاً على ظهره ويوصل ذلك إلى بيوت الأرمال والفقراء في المدينة، ولا يعلمون من وضعها وكان لا يستعين بخادم ولا عبد أو غيره. لثلا يطلع عليه أحد. وبقي كذلك سنوات طويلة وما كان الفقراء والأرمال يعلمون كيف جاءهم هذا الطعام. فلما مات وجدوا على ظهره آثاراً من السواد فعلموا أن ذلك بسبب ما كان يحمله على ظهره فما انقطعت صدقة السر في المدينة حتى مات زين العابدين وعن ابن عائشة قال: سمعت أهل المدينة يقولون: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين!! (الحلية ٣/١٣٦ - صفة الصفوة ٢/٩٦)

قال عبدة بن سليمان المروزي: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم ، فصادفنا العدو ، فلما التقى الصفان ، خرج رجل من العدو ، فدعا إلى البراز (اى المبارزة) فخرج إليه رجل فقتله ثم آخر فقتله ثم آخر فقتله ، ثم دعا إلى البراز ، فخرج إليه رجل ، فطارده ساعة فطعنه فقتله فزادحم إليه الناس فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك ، وإذا هو يكتم وجهه بكمه فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو . فقال : وأنتيا أبا عمرو ممن يشنع علينا!! . (سير أعلام النبلاء ٨/٣٩٥)

قال الحسن: وكنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه فلما خرج قال لي: ما العيش إلا هكذا. يعني حيث لم تُعرف ولم نوقر. (صفة الصفوة ٢/٣٢٣)

يروى أن مسلمة بن عبد الملك كان في جملة من الجند يحاصرون إحدى قلاع الروم وكانت محصنة والدخول إليها صعباً إلا من نقب فيها تخرج منه أوساخ المدينة، فوقف مسلمة ينادي في الجند: من يدخل النقب ويزيح الصخرة التي تحبس الباب ويكر حتى ندخل فقام رجل قد غطى وجهه بثوبه وقال إنا يا أمير الجند ودخل النقب وفتح الباب ودخل الجند القلعة فاتحين.. وبعدها وقف مسلمة بين

الجند ينادي عن صاحب النقب حتى يكرمه على ما فعل، وكان يردد من الذي فتح لنا الباب فما يجيبه احد! فقال أقسمت على صاحب النقب أن يأتيني في أي ساعة من ليل أو نهار. فطُرق باب مسلمة طارق ليلاً، فيلقاه مسلمة مستبشراً أنت صاحب النقب فقال الطارق هو يشترط ثلاثة شروط حتى تراه. قال مسلمة وما هي؟ قال: ألا ترفع اسمه لدى الخليفة ولا تأمر له بجائزة ولا تنظر له بعين من التمييز قال مسلمة افعل له ذلك. فقال الطارق أنا صاحب النقب وانصرف وترك جيش مسلمة ذاهباً إلى سد الثغور في أماكن أخرى. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ٢٧٣)

وقد اجتمع الفضيل بن عياض وسفيان الثوري يوماً، فجلسوا يتذكرون شيئاً من الرقائق، فرق كل واحد منهم وبكى، فقال سفيان الثوري رحمه الله: أرجو أن يكون هذا المجلس علينا رحمة وبركة فقال الفضيل بن عياض: ولكنني أخاف - يا أبا عبد الله - ألا يكون أضرب علينا .. ألسنت تخلصت إلى أحسن حديثك وتخلصت أنا إلى أحسن حديثي، فتزينت لك وتزينت لي؟! فبكى سفيان الثوري وقال: أحيتني أحياءك الله. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٣٩)

قال عبد الرحمن بن مهدي: حج إبراهيم ابني فلقي محمد بن يوسف رحمه الله بمكة فقال له: أقرئ أباك السلام وقل له: هُنْ قال: فرجع إبراهيم فأخبرني بقوله قال: فصرت كذا شهراً أشبه رجل مريض من مقالة محمد فقلت: رجل مثله عسى أن يكون بلغه عني شيء أو رأى علي رؤيا، حتى قدم علينا قال: فأخذ بيدي وجعل يمشي حتى ظننت أنا لا ندرك صلاة المغرب، فجلسنا فقلت له: يا أبا عبد الله أخبرني إبراهيم ابني عنك بكذا فقال محمد: بلغني أنك جلست تحدث الناس فقلت له: إن أحببت حلفت أن لا أحدث بحديث أبداً فقال: حدث الناس وعلمهم ولكن انظر إذا اجتمع الناس حولك كيف يكون قلبك. (الحلية (تهذيبه) ٣ / ٥٥)

قال عبد الواحد بن زيد: كنت مع أيوب السخيتاني على حراء، فعطشت عطشا شديداً، حتى رأى ذلك في وجهي، وقلت له قد خفت على نفسي. قال: تستر علي؟ قلت نعم. فاستحلفني فحلفت له ألا أخبر أحداً ما دام حيا. فغمز برجله على حراء فنبع الماء فشربت حتى رويت وحملت معي من الماء. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٣)

اشتهر ابن أدهم ببلد فقيل: هو في البستان الفلاني فدخل الناس يطوفون ويقولون: أين إبراهيم بن أ

دهم؟ فجعل يطوف معهم ويقول: أين إبراهيم بن أدهم؟! (المدمش لابن الجوزي ٤١٥) قال الفلاس :سمعت ابن أبي عدي يقول : صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله كان خزازا يحمل معه غداءه فيتصدق به في الطريق . (سير اعلام النبلاء ٦/ ٣٧٨)

الإمام أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف كان قد ألف كتب في الفقه والتفسير وقيل : إنه لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته وجمعها في موضع فلما دنت وفاته قال لمن يثق به : الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي وإنما لم أظهرها لأني لم أجد نية خالصة فإذا عاينت الموت ووقعت في النزاع فاجعل يدك في يدي فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة وإن بسطت يدي فاعلم أنها قبلت . قال الرجل : فلما احتضر وضعت يدي في يده فبسطها فأظهرت كتبه . (سير اعلام النبلاء ١٨ / ٦٤)

وعن مكّي بن إبراهيم قال : دخلت على سفيان بن سعيد يوماً ، وبين يديه رغيف ، وكف زبيب - حفنة من زبيب - فقال لي : ادن يا مكّي ، قلت : يا أبا عبد الله ، دخلت إليك غير مرة وأنت تأكل فلم تدعني قبلها ، قال : اليوم حضر تني نية ؛ أي ما دعاه حتى حضرته نية التقرب إلى الله بإطعامه . (حليه الأولياء ٧ / ٤٨)

٢- باب التوبة

قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب. فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يقلع عن المعصية، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً؛ فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها. فأن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوّه، وإن كانت غيبة استحله منها. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي. وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور : ٣١] ، وَقَالَ تَعَالَى : اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ [هود : ٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً

نصوحا [التحريم : ٨]

١٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ، فِي الْيَوْمِ ، أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » رواه البخاري .

١٤- وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً » رواه مسلم .

١٥- وعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادِم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ مَتَفَقَّ عَلَيْهِ .

وفي رواية لمسلم : « اللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيْسَ مِنْهَا ، فَأَتَى شَجْرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا ، وَقَدْ أَيْسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةٌ عِنْدَهُ ، فَاخَذَ بِخَطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ : اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ » .

١٦- وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ، رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنْ اللَّهُ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم .

١٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ » رواه مسلم .

١٨- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغِرْ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

١٩- وعن زر بن حبيش قال : أتيت صفوان بن عسال رضي الله عنه أسأله عن المسح على الخفين فقال : « مَا جَاءَ بِكَ يَا زُرُّ ؟ فَقُلْتُ : ابْتِغَاءُ الْعِلْمِ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضَاءً بِمَا يَطْلُبُ ، فَقُلْتُ : إِنَّهُ قَدْ حَكَكَ فِي صَدْرِي الْمَسْحُ عَلَى الْخُفَيْنِ بَعْدَ الْغَاظِ وَالْبَوْلِ ، وَكُنْتُ

امرءاً من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذَلِكَ شَيْئاً ؟ قال : نَعَمْ كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا أَوْ مُسَافِرِينَ أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلِيَالِيَهُنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةِ ، لَكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ . فَقُلْتُ : هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الْهُوَى شَيْئاً ؟ قال : نَعَمْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِي بِصَوْتٍ لَهُ جَهْرِيٌّ : يَا مُحَمَّدُ ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ : « هَاؤُمْ » فَقُلْتُ لَهُ : وَيْحَكَ اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ مُهِيتَ عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَغْضُضُ : قَالَ الْأَعْرَابِيُّ : الْمَرْءُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقُ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ الْمَغْرِبِ مَسِيرَةَ عَرْضِهِ أَوْ يَسِيرَ الرَّكِابِ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ عَامًا . قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرَّوَاةِ . قَبْلَ الشَّامِ خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ » رواه الترمذي وغيره وقال : حديث حسن صحيح .

٢٠- وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخُدري رضي الله عنه أن نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُذِّلَ عَلَى رَاهِبٍ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا فَتَقْتَلُهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ ، فُذِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّهَا أَنْاسٌ يَعْبُدُونَ اللهُ تَعَالَى فَاعْبُدِ اللهُ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سُوءٌ ، فَاَنْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ . فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِبًا مُتَقَبِّلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِي فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ أَيَّ حَكْمًا فَقَالَ قَيْسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتَهُمَا كَانَ أَذْنَى فَهُوَ لَهُ ، ففاسؤا فوجدوه أذنى إلى الأرض التي أرادَ فقبضته مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ « متفق عليه .

وفي رواية في الصحيح : « فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِيرٍ ، فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا » وفي رواية في

الصحيح : « فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى، وإلى هذه أن تقربى وقال : قيسوا ما بينهما ، فوجدوه إلى هذه أقرب بشير فغفر له » . وفي رواية : « فأنى بصدره نحوها » .

٢١- وعن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان قائد كعب رضي الله عنه من بنيه حين عمي ، قال : سمعت كعب بن مالك رضي الله عنه يحدث بحديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك . قال كعب : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك ، غير أنني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يُعاتب أحد تخلف عنه ، إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله تعالى بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواتقنا على الإسلام ، وما أحب أن لي بها مشهد بدر ، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها وكان من خبري حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في غزوة تبوك أنني لم أكن قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة ، والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى غيرها حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً . واستقبل عدداً كثيراً ، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد ، والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ « يريد بذلك الديوان » قال كعب : فقل رجل يريد أن يتعيب إلا ظن أن ذلك سيخفى به ما لم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال ، فأنا إليها أضعر ، فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، وطفقت أعدو لى أجهز معه فأرجع ولم أقض شيئاً ، وأقول في نفسى : أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل يتهدى بي حتى استمر بالناس الجدد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازي شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل يتهدى بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو ، فهمنت أن أرذل فأدركهم ، فياليتني فعلت ، ثم لم يقدر ذلك لي ، فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْزِنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً ، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ ،
أَوْ رَجُلًا يَمُنُّ عَدَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعْفَاءِ ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَلَغَ
تَبُوكَ ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ : مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ : يَا
رَسُولَ اللهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ ، وَالنَّظْرُ فِي عِطْفِيهِ . فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . بِئْسَ مَا قُلْتَ ،
وَاللهُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَبَيْنَا هُوَ عَلَى
ذَلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبِيضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ ،
فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمَنَافِقُونَ قَالَ كَعْبُ : فَلَمَّا
بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَيْتِي ، فَطَفَقْتُ أَتَذَكَّرُ
الْكَذِبَ وَأَقُولُ : بِمِمْ أَخْرَجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي ، فَلَمَّا قِيلَ :
إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاخَ عَنِّي الْبَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَمْ أَنْجِ مِنْهُ بِشَيْءٍ
أَبَدًا فَاجْتَمَعْتُ صِدْقَةَ ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَادِمًا ، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ
بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَخْلِفُونَ
لَهُ ، وَكَانُوا بَضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَّلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى .
حَتَّى جِئْتُ ، فَلَمَّا سَلَمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ : تَعَالَ ، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ
، فَقَالَ لِي : مَا خَلَقَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدْ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ، قَالَ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي وَاللهُ لَوْ جَلَسْتُ
عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بَعْدُ ، لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا ، وَلَكِنِّي وَاللهُ
لَقَدْ عَلِمْتُ لَنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لِيُوشِكَنَّ اللهُ يُسَخِّطَكَ عَلَيَّ ، وَإِنْ
حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صَدَقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عِقْبَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللهُ مَا كَانَ لِي مِنْ عُدْرٍ ،
وَاللهُ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرُ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ ، فَقُمُّ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ » وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ فَاتَّبَعُونِي ،
فَقَالُوا لِي : وَاللهُ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنِبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا ، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ
اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتَغْفَارُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَ . قَالَ : فوالله ما زالوا يُؤنّبونني حتى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَكْذِبُ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَّ هَذَا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ ، قَالَ قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟ قَالُوا : مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ ، وَهَلَالُ ابْنِ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ ؟ قَالَ : فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهَا أُسُوءَةٌ . قَالَ : فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي . وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، قَالَ : فَاجْتَنَبْنَا النَّاسَ أَوْ قَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرْتُ لِي فِي نَفْسِي الْأَرْضِ ، فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً . فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكْنَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ ، وَآتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسَلَّمُ عَلَيْهِ ، وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَكَ شَفْتَيْهِ بَرْدَ السَّلَامِ أَمْ لَا ؟ ثُمَّ أَصْلِي قَرِيبًا مِنْهُ وَأَسَارِقُهُ النَّظَرَ ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ ، وَإِذَا انْتَفَتُ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي ، حَتَّى إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا قَتَادَةَ أَنْشُدَكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعَلَّمَنِي أَحَبُّ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَسَكَتَ ، فَعُدْتُ فَنَاشِدْتُهُ فَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبْطِي مِنْ نَبْطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ فَطَفَّقَ النَّاسُ يَشِيرُونَ لَهُ إِلَى حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، وَكُنْتُ كَاتِبًا . فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بَدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضِيعَةٍ ، فَالْحَقُّ بِنَا نُوَاسِكَ ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُمَا : وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ الْبَلَاءِ فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنَوُّرَ فَسَجَرْتُمَا . حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ وَاسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزَلَ أَمْرَاتِكَ ، فَقُلْتُ : أَطَلَّقَهَا ، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لَا بَلَّ اعْتَزَلْهَا فَلَا تَقْرَبْنَهَا ، وَأَرْسَلْ إِلَى صَاحِبِي بِمِثْلِ ذَلِكَ . فَقُلْتُ

لا مَرَأِي : الحَقِي بِأَهْلِكَ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ ، فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ هِلَالَ بْنِ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكَ . فَقَالَتْ : إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا . فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَوْ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي امْرَأَتِكَ ، فَقَدْ أَذِنَ لَامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ ؟ فَقُلْتُ : لَا اسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَأْذَنْتَهُ فِيهَا وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ ، فَكَمَلْتُ لَنَا خُمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنَّا كَلَامَنَا . ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَيَّ سَلَعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكِ أَبْشِرْ ، فَخَرَزْتُ سَاجِدًا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ فَأَذِنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ بِتُوبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ ، وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ ، وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ تُوبَةً فَكَسَوْنِيهَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ ، وَاسْتَعَرْتُ تُوبَتَيْنِ فَلَبَسْتُهُمَا وَأَنْطَلَقْتُ أَتَأْتِمُّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهْتَنُونَ بِلِ التُّوبَةِ وَيَقُولُونَ لِي : لِتَهْنِكَ تُوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ ، حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ الشَّرُّورِ أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ ، مُدٌّ وَلَدُنْكَ أُمَّكَ ، فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ ؟ قَالَ : لَا بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا سَرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ : يَا

رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك ، فقلت إني أمسك سهمي الذي بخير . وقلت : يا رسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت ، فوالله ما علمت أحداً من المسلمين أبلاه الله تعالى في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن مما أبلاني الله تعالى ، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله تعالى فيما بقي ، قال : فأنزل الله تعالى : { لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة } حتى بلغ : { إنه بهم رؤوف رحيم صلى الله عليه وسلم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت } حتى بلغ : { اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } [التوبة ١١٧-١١٩]

قال كعب : والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أكون كذبتة فأهلك كما هلك الذين كذبوا إن الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد فقال الله تعالى : { سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين }

[التوبة ٩٥ ، ٩٦] . قال كعب : كنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ، فبايعهم واستغفرهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا حتى قضى الله تعالى فيه بذلك ، قال الله تعالى : { وعلى الثلاثة الذين خلفوا } . وليس الذي ذكر . بما خلفنا تخلفنا عن الغزو ، وإن ما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه . متفق عليه .

وفي رواية « أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج في غزوة تبوك يوم الخميس ، وكان يجب أن يخرج يوم الخميس . وفي رواية : « وكان لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلّى فيه ركعتين ثم جلس فيه .

٢٢- وَعَنْ أَبِي نُجَيْدٍ بَضَمَ النُّونَ وَفَتَحَ الْجِيمَ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ الْخُزَاعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزَّانَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمَّهُ عَلَيَّ ، فدعا نبيُّ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِيَّهَا فَقَالَ : أَحْسِنِ إِلَيْهَا ، فَإِذَا وَضَعْتَ فَأْتِنِي ففَعَلَ فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِحَتْ ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ زَنْتَ ، قَالَ : لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوْسَعَتْهُمْ وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ ، رواه مسلم .

٢٣- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ أَنَّ لَابْنَ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابَ ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

٢٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَضْحَكُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ يَدْخُلَانِ الْجَنَّةَ ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ ، ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى الْقَاتِلِ فَيَسْلِمُ فَيَسْتَشْهَدُ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قوله تعالى : وتوبوا أمر . ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة ، وأنها فرض متعين والمعنى : وتوبوا إلى الله فإنكم لا تخلون من سهو وتقصير في أداء حقوق الله تعالى فلا تتركوا التوبة في كل حال .
(تفسير القرطبي ١٢ / ٢٢٠)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : ثم فصلت آياته بأن لا تعبدوا إلا الله وبأن استغفروا ربكم . ويعني بقوله : وأن (استغفروا ربكم) وأن اعملوا أيها الناس من الأعمال ما يرضي ربكم عنكم فيستر عليكم عظيم ذنوبكم التي ركبتموها بعبادتكم الأوثان والأصنام وإشراككم الآلهة والأنداد في عبادته وقوله : (ثم توبوا إليه) يقول : ثم ارجعوا إلى ربكم بإخلاص العبادة له دون ما سواه من سائر ما تعبدون من دونه بعد خلعتكم الأنداد وبراءتكم من عبادتها . (تفسير الطبري ١٥ / ٢٢٩)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه. عن النعمان بن بشير قال : سألت عمر عن قوله: (توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبدا. عن ابن عباس قوله : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أن لا يعود صاحبها لذلك الذنب الذي يتوب منه ويقال : توبته أن لا يرجع إلى ذنب تركه.

عن مجاهد قوله : (توبة نصوحا) قال : يستغفرون ثم لا يعودون. (تفسير الطبري ٢٣ / ٤٩٤)

عن الضحاك في قوله: (توبة نصوحا) قال : النصوح . أن تحول عن الذنب ثم لا تعود له أبدا.

قال ابن زيد في قول الله . (توبوا إلى الله توبة نصوحا) قال : التوبة النصوح الصادقة يعلم أنها صدق

ندامة على خطيئته وحب الرجوع إلى طاعته فهذا النصوح . (تفسير الطبري ٢٣ / ٤٩٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

روي عن عمر بن الخطاب أنه سمع رجلا يقول: استغفر الله وأتوب إليه فقال له: يا حميق قل: توبة من

لا يملك لنفسه ضرر ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياتاً ولا نشوراً . (جامع العلوم والحكم ٤١٢)

قال عمر بن الخطاب وأبى بن كعب: التوبة النصوح ان يتوب من الذنب ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن

في الضرع. (مدارج السالكين ١ / ٣١٦)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجلسوا إلى التوايين فإنهم أرق أفئدة. (الإحياء ٤ / ١٥٥)

قال علي رضي الله عنه: خياركم كل مفتن تواب قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب قيل: فإن عاد؟

قال: يستغفر الله ويتوب قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفر الله ويتوب قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكون

الشیطان هو المحسور. (جامع العلوم والحكم ٤١٤-٤١٥)

عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال: لا يزال العبد في مهل من التوبة ما لم يأتيه ملك الموت بقبض

روحه فإذا نزل ملك الموت فلا توبة حيثئذ. (لطائف المعارف ٣٣٧)

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وماهي؟ قال الاستغفار.

(المجالسه وجواهر العلم ٤ / ٤٩)

وقال علي ايضا: ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه. (البحر الرائق ١٠٩)

قال ابن عباس: التوبة النصوح: الندم بالقلب والاستغفار باللسان والإضمار أن لا يعود إليه أبدا.

(تنبيه الغافلين ١٠٧)

قال ابن عباس: لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة مع الإستغفار. (جامع العلوم والحكم ٤٤٩)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن

الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا. (جامع العلوم والحكم ٤٣٨)

قال ابو هريرة رضي الله عنه: يدني الله العبد يوم القيامة فيضع عليه كنفه فيستره من الخلائق كلها ويدفع

إليه كتابه في ذلك الستر فيقول: اقرأ يا ابن آدم كتابك فيقرأ فيمر بالحسنة فيبيض لها وجهه ويسر بها

قلبه فيقول الله: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم فيقول: إني قبلتها منك فيسجد فيقول: ارفع رأسك

وعد في كتابك فيمر بالسيئة فيسود لها وجهه ويوجل لها قلبه وترتعد منها فرائصه ويأخذه من الحياء من

ربه ما لا يعلمه غيره فيقول: أتعرف يا عبدي؟ فيقول: نعم يا رب فيقول: إني قد غفرتها لك فيسجد

فلا يرى منه الخلائق إلا السجود حتى ينادي بعضهم بعضا: طوبى لهذا العبد الذي لم يعص الله قط ولا

يدرون ما قد لقي فيما بينه وبين ربه مما قد وقفه عليه. (جامع العلوم والحكم ٤٥٣)

وكان أبو هريرة يقول لغلان الكتاب: قولوا: اللهم اغفر لأبي هريرة فيؤمن على دعائهم.

(جامع العلوم والحكم ٤١٦)

قال أبو هريرة: إني لأستغفر الله وأتوب إليه كل يوم ألف مرة وذلك على قدر ديتي. (جامع العلوم والحكم ٤١٥)

وقال ابن عمر: التوبة مبسوطة ما لم ينزل سلطان الموت. (لطائف المعارف ١ / ٣٣٧)

قال حذيفة: بحسب المرء من الكذب أن يقول: أستغفر الله ثم يعود. (جامع العلوم والحكم ٤١١)

وقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً. (الخليه ١٠ / ٣٩٥)

قال الحسن: فالعبد يذنب ثم يتوب ويستغفر: يغفر له ولكن لا يمحاه من كتابه دون أن يقفه عليه ثم

يسأله عنه ثم بكى الحسن بكاء شديداً وقال: ولو لم نبك إلا للحياء من ذلك المقام لكان ينبغي لنا أن

نبكي. (جامع العلوم والحكم ٤٥٢)

قال الحسن البصري: التوبة هي أن يكون العبد نادماً على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه.

(مدارج السالكين ١ / ٣١٦)

قال الحسن: إن الرجل يذنب الذنب فلا ينسأه وما يزال متخوفاً منه حتى يدخل الجنة. (الزهد لآحمد ١٥٩٩)

وقيل للحسن البصري: ألا يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود فقال:

ود الشيطان لو ظفر منكم بهذه فلا تمّلوا من الاستغفار وروي عنه أنه قال: ما أرى هذا إلا من أخلاق
المؤمنين يعني: أن المؤمن كلما أذنب تاب. (جامع العلوم والحكم ٤١٤)

سئل الحسن عن رجل لا يتحاشى من معصية إلا أن لسانه لا يفتر من ذكر الله فقال إن ذلك لعون
حسن. (جامع العلوم والحكم ٤٢٤)

قال الفضيل بن عياض: بكاء النهار يمحو ذنوب العلانية وبكاء الليل يمحو ذنوب السر.
(جامع العلوم والحكم ٤٥٢)

قال الفضيل رحمه الله: الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين. (الأذكار للنووي ٤٨١)

وقال الفضيل بن عياض: كل حزن يبلى إلا حزن التائب. (حليه الأولياء ١٠١ / ٨)

قال الربيع بن خيثم: اتدرون ما الداء وما الدواء والشفاء قالوا لا قال: الداء الذنوب والدواء
الاستغفار والشفاء أن تتوب ثم لا تعود. (حليه الأولياء ١٠٨ / ٢)

وقال الربيع بن خيثم: تضرعوا إلى ربكم وادعوه في الرخاء فإن الله قال: من دعاني في الرخاء أجبتة في
الشدّة ومن سألتني أعطيتة ومن تواضع لي رفعتة ومن تفرغ لي رحمته ومن استغفرني غفرت له.
(منهاج الصالحين ٩٥١)

قال مالك بن دينار: البكاء على الخطيئة يحط الذنوب كما يحط الريح الورق اليابس.
(جامع العلوم والحكم ٣٨)

قال سعيد بن المسيب: توبة نصوحا تنصحون بها أنفسكم. (مدارج السالكين ١ / ٣١٦)

وقال أيضا: أنزل الله تعالى فإنه كان للاوايين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب. (الإحياء ٤ / ١٤)

وقال عمر بن عبد العزيز في خطبته: من أحسن منكم فليحمد الله ومن أساء فليستغفر الله فإنه لا بد
لأقوام من أن يعملوا أعمالا وظفها الله في رقابهم وكتبها عليهم. وفي رواية أخرى عنه أنه قال: أيها
الناس من ألم بذنب فليستغفر الله وليتب فإن عاد، فليستغفر وليتب فإن عاد فليستغفر الله وليتب فإن
عاد، فليستغفر الله وليتب فإن عاد فليستغفر وليتب فإنما هي خطايا مطوقة في أعناق الرجال وإن الهلاك
كل الهلاك في الإصرار عليها. (جامع العلوم والحكم ٤١٤)

وقال عبد الله بن شقيق: الرجال ثلاثة: رجل عمل حسنة فهو يرجو ثوابها . ورجل عمل سيئة ثم تاب

فهو يرجو المغفرة . والثالث الرجل الكذاب يتماذى في الذنوب ويقول أرجو المغفرة ومن عرف نفسه بالإساءة ينبغي أن يكون الخوف غالباً على رجائه. (شعب الإيمان للبيهقي ٣ / ٧٥)

قال بكر المزمى : لو كان رجل يطوف على الأبواب كما يطوف المسكين يقول : استغفروا لي لكان نوله أن يفعل . ومن كثرت ذنوبه وسيئاته حتى فاتت العدد والإحصاء فليستغفر الله مما علم الله فإن الله قد علم كل شيء وأحصاه: كما قال تعالى: (يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه) (المجادله ٦). (جامع العلوم والحكم ٤١٦)

سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أول الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة. فلاستجابة أعمال الجوارح والإنابة أعمال القلوب والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه. (التوبه الى الله للغزالي ١٢٥)

عن بكر بن عبد الله قال : إنكم تستكثرون من الذنوب فاستكثروا من الاستغفار وإن الرجل إذا أذنب ذنباً ثم رأى إلى جنبه استغفاراً سره مكانه. (الزهد لاهمدرقم ١٨٤٧)

قال شويس العدوى وكان من قدماء التابعين : ان صاحب اليمين أمير أو قال : أمين على صاحب الشمال فإذا عمل ابن آدم سيئة، فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : لا تعجل لعله يعمل حسنة فإن عمل حسنه .لقى واحدة بواحدة وكتبت له تسع حسنات فيقول الشيطان : يا ويله من يدرك تضعيف ابن آدم. (جامع العلوم والحكم ٤٢٥)

سئل الأوزاعي عن الاستغفار : أيقول : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه فقال : إن هذا الحسن ولكن يقول : رب اغفر لي حتى يتم الاستغفار. (جامع العلوم والحكم ٤١٢)

سئل احمد بن حنبل : عن رجل اكتسب مالا من شبهة صلاته وتسيحه يحط عنه شيئاً من ذلك ؟ فقال إن صلى وسبح يريد به ذلك فأرجو . قال الله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) (التوبه ١٠٢). (جامع العلوم والحكم ٤٢٤)

قال أبو موسى رحمه الله: قد كان فيكم أمانان . (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (الأنفال ٣٣) أحسبه قال : أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد مضى لسبيله وأما الاستغفار فهو كائن بينكم إلى يوم القيامة . (تفسير الدر المنثور للسيوطي ٤ / ٥٧)

سئل شقيق البلخي: ما علامة التوبة: البكاء على ما سلف والخوف من الوقوع في الذنب وهجران إخوان السوء وملازمة الأخيار. (سير أعلام النبلاء ٩ / ٣١٥)

قال قتادة: القرآن يدلکم على دائکم ودوائکم، أما داؤکم فالذنوب وأما دوائکم فالاستغفار. (شعب الإيمان للبيهقي رقم ٦٨٨٣)

قال يحيى بن معاذ: الذي حجب الناس من التوبة طول الأمل وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس عند كل همة. (صفه الصفوة / ٢ / ٢٩٢)

قال أبي المنهال: ما جاور عبد في قبره جار خير من استغفار كثير. (جامع العلوم والحكم ٤١٥)

قال بلال بن سعد: إن الله يغفر الذنوب ولكن لا يمحوها من الصحيفة حتى يوقفه عليها يوم القيامة وإن تاب. (جامع العلوم والحكم ٤٥٢)

وقال محمد بن كعب القرظي: التوبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان وإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان. (مدارج السالكين ١ / ٣١٠)

قال إبراهيم بن أدهم: من أراد التوبة فليخرج من المظالم وليدع مخالطة من كان يخالطه وإلا لم ينل ما يريد. (لطائف المعارف ٧٧)

قال عطاء: من جلس مجلسا من مجالس الذكر كفر به عشرة مجالس من مجالس الباطل. (جامع العلوم والحكم ٤٢٤)

قال عطية العوفي: بلغني أنه من بكى على خطيئة محيت عنه وكتبت له حسنة. (جامع العلوم والحكم ٤٥٢)

قال الكلبي: التوبة أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن. (مدارج السالكين ١ / ٣١٦)

قال طلق بن حبيب: إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد فأصبحوا تائبين وأمسوا تائبين. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٢)

قال ابن القيم: القلب يمرض كما يمرض البدن وشفأؤه في التوبة والحمية (الإقلال من الطعام). (الفوائد ٩٨ / ١)

وقال أيضا: فالمعاصي والفساد توجب الهمَّ والغمَّ والخوف والحزن وضيق الصدر وأمراض القلب حتى إنَّ أهلها إذا قضوا منها أوطارهم وسئمَتْها نفوسهم ارتكبوا دفعا لما يجدونه في صدورهم من الضيق

والهمم والغم وإذا كان هذا تأثير الذنوب والآثام في القلوب فلا دواء لها إلا التوبه والاستغفار.

(زاد المعاد ٤/ ٢٠٨ - ٢٠٩)

وقال ايضا: إن إبليس قال: أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبلا إله إلا الله فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يُذنبون ولا يتوبون لأنهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا. (مفتاح دار السعادة ١٥٨)

قال عبدالله بن المبارك: (حليه الاولياء ٨/ ٢٧٩ - تاريخ دمشق ٣٢/ ٤٦٧)

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَامُهَا

وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرَ لِنَفْسِكَ عِضَائُهَا

قال الصولي: (البدايه والنهايه ١١/ ١٢٣)

ابك يا نفس وهاتي توبه قبل الممات

قبل أن يفجعنا الدهر بين وشتات

الآثار العظيمة في حياة المسلم :

عن الفضل بن موسى قال : كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليا يتلو (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم) فلما سمعها قال : بلى يا رب قد آن فرجع فأواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة فقال بعضهم : نرحل وقال بعضهم : حتى (نصبح) فإن فضيلا على الطريق يقطع علينا . قال : ففكرت وقلت : أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين هاهنا يخافوني وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع اللهم إني قد تبت إليك وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام . (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٢٢)

توبته عبد الله بن مسleme القعني: كان عبد الله بن مسleme القعني شاباً كثير المجون كثير الشراب، وله قوم من الأحداث المردان، يجلس معهم، فدعاهم يوماً وقعد على الباب ينتظرهم فمر به شعبة بن الحجاج رحمه الله أحد أئمة الحديث فاستوقفه على حمارة والناس خلفه يهرعون فقال من هذا؟ فقيل شعبة فقال وأيش شعبة؟ قالوا محدث فقام إليه عليه أزار أحمر فقال له حدثني فقال له ما أنت من أصحاب الحديث فأحدثك فأشهر سكينه وقال له حدثني أو أجرحك، فقال له شعبة: حدثني منصور عن ربعي عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا لم تستحي فاصنع ما شئت. فرمي القعني سكينه ورجع إلى منزله، فقام إلى جميع ما كان عنده من الشراب فأراقه، وقال لأمه: الساعة

أصحابي يخيئون فأدخلهم وقدمي الطعام إليهم، فإذا أكلوا فأخبرهم بما عملت بالشراب حتى ينصرفوا، ومضى من وقته إلى المدينة. ولازم مالك بن أنس ثلاثين سنة يسمع منه ويتعلم فأكثر السماع عنه حتى صار أثبت رواة الموطأ، قال ابن أبي حاتم: قلت لأبي: القعني أحب إليك في "الموطأ" أو إسماعيل بن أبي أويس؟ قال: بل القعني، لم أر أخشع منه، ثم رجع إلى البصرة وقد مات شعبة فيما سمع من شعبة غير هذا الحديث. (سير أعلام النبلاء - ١٠ / ٢٥٩)

توبَةُ أَبِي العَتَاهِيَةِ رحمه الله:

قال أبو سلمة الغنوي: قلت لأبي العَتَاهِيَةَ: ما الذي صرفك عن قول الغزل إلى قول الزهد قال إذا والله

أخبرك إني لما قلت : الله بيني وبين مولاتي أهدت لي الصد والملاوات

منحتها مهجتي وخالصتي فكان هجرانها مكافاتي

هيمني حبها وصيرني أهدوت في جميع جاراتي

رأيت في المنام في تلك الليلة كان آتياً أتاني فقال: ما أصبت أحداً تدخله بينك وبين عتبة، يحكم لك عليها بالمعصية إلا الله تعالى، فانتبهت مذعوراً وتبت إلى الله تعالى من ساعتني من قول الغزل.

(تاريخ بغداد - ٦ / ٢٥٨)

قال رباح القيسي: لي نيف وأربعون ذنبا قد استغفرت الله لكل ذنب مائة ألف مرة . وحاسب بعضهم نفسه من وقت بلوغه فإذا زلاته لا تتجاوز ستا وثلاثين زلة فاستغفر الله لكل زلة مائة ألف مرة وصلى لكل زلة ألف ركعة وختم في كل ركعة منها ختمة. قال : ومع ذلك فإني غير آمن سطوة ربي أن يأخذني بها وأنا على خطر من قبول التوبه . (جامع العلوم والحكم ٤١٥)

وعن يوسف بن الحسين قال: "كنت مع ذي النون المصري على شاطئ غدير فنظرت إلى عقرب أعظم ما يكون على شط الغدير واقفة، وإذا بضفدع قد خرجت من الغدير فركبتها العقرب فجعلت الضفدع تسبح حتى عبرت الغدير! فقال ذي النون إن هذه العقرب شاناً! فامض بنا نتبعها! فجعلنا نتبع أثرها فإذا رجل نائم سكران! وإذا حية سامة قد جاءت إليه فصعدت من ناحية سُرَّته إلى صدره وهي تطلب أذنه، فاستحكمت العقرب من الحية السامة فضربتها فانقلبت الحية وهربت! ورجعت إلى الغدير فجاءت الضفدع فركبتها فعبرت!، فحرك ذي النون الرجل النائم ففتح عينيه، فقال: يا فتى انظر مما

نجاك الله! هذه العقرب أرسلها الله إليك، فقتلت هذه الحية التي أردتلك بسوء! ثم أنشأ ذي النون يقول: يا غافلا والجليل يحرسه من كل سوء يهدب في الظلم كيف تنام العيون عن ملك تأتبه منه فوائد النعم فنهض الشاب وقال: إلهي ومولاي: هذا فعلك بمن عصاك! فكيف رفقتك ورحمتك بمن يطيعك؟! ثم ولى ذاهبا فقلت: إلى أين؟ فقال: إلى بيوت الله والى طاعة الله. (التوايين لابن قدامة ٢٢٧)

٤- باب الصبر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا [آل عمران : ٢٠٠] ، وقال تعالى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ [البقرة : ١٥٥] وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [الزمر : ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَنُصَبِّرَنَّكَ وَمَنْ يَنْصَبِرُ مَعَكَ لِلْعَذَابِ لَنَرَاهُنَّ كَالْعِجَابِ وَإِنَّا لَنَجْعَلُ لَكَ الْآيَاتِ كَمَا نَجْعَلُ لِمَنْ يَشَاءُ آيَاتٍ [البقرة : ١٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَندَ عَيْنِنَا [البقرة : ١٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ [البقرة : ١٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ [محمد : ٣١] ، وَالآيَاتُ فِي الْأَمْرِ بِالصَّبْرِ وَبَيَانِ فَضْلِهِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ .

٢٥- وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ . كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أَوْ مُوقِفُهَا » رواه مسلم .

٢٦- وعن أبي سعيد بن مالك بن سنان الخُدري رضي الله عنهما أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده : « مَا يَكُنْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ . وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ » مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٢٧- وعن أبي يحيى صهيب بن سنان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ : إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ

فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ » رواه مسلم .

٢٨- وعن أنس رضي الله عنه قال : لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب فقالت فاطمة رضي الله عنها : واكرب أبتاه ، فقال : « ليس على أبيك كرب بعد اليوم » فلما مات قالت : يا أبتاه أجاب رباً دعاه ، يا أبتاه جنه الفردوس ماواه ، يا أبتاه إلى جبريل نغاه ، فلما دفن قالت فاطمة رضي الله عنها : أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب ؟ رواه البخاري

٢٩- وعن أبي زيد أسامة بن زيد حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحببه وابن حبه رضي الله عنهما ، قال : أرسلت بنت النبي صلى الله عليه وسلم : إن ابني قد احتضر فاشهدنا ، فأرسل يقرئ السلام ويقول : « إن الله ما أخذ ، وله ما أعطى ، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فلتصبر ولتحتسب » فأرسلت إليه تقسم عليه لياتينها . فقام ومعه سعد بن عبادة ، ومعاذ ابن جبل ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، ورجال رضي الله عنهم ، فرفع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبي ، فأقعدته في حجره ونفسه تققع ، ففاضت عيناه ، فقال سعد : يا رسول الله ما هذا ؟ فقال : « هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده » وفي رواية : « في قلوب من شاء من عباده وإنما يرحم الله من عباده الرحماء » متفق عليه . ومعنى « تققع » : تحرك وتضطرب

٣٠- وعن صهيب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كان ملك فيمن كان قبلكم ، وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك : إنني قد كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر ، فبعث إليه غلاماً يعلمه ، وكان في طريقه إذا سلك راهب ، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، وكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه ، فإذا أتى الساحر ضربته ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال : إذا خشيت الساحر فقل : حبسني أهلي ، وإذا خشيت أهلك فقل : حبسني الساحر . فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال : اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس ، فرماها فقتلها ومضى الناس ، فأتى الراهب فأخبره . فقال له الراهب :

أى بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي ، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى ، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى ، فَإِنْ ابْتُلَيْتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ ،
وَكَانَ الْغُلَامُ يَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ ، وَيَدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ . فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ
كَانَ قَدْ عَمِيَ ، فَاتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ : مَا هَهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي ، فَقَالَ إِنِّي لَا أَشْفِي
أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى ، فَإِنْ آمَنْتَ بِاللَّهِ تَعَالَى دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ ، فَأَمَّنَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَشَفَاهُ اللَّهُ
تَعَالَى ، فَاتَى الْمَلِكُ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصْرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي .
قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ ، قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ فَجِئَ
بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَى بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تَبْرَأُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ
فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا ، إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ تَعَالَى ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ ،
فَجِئَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَعَا بِالْمُنْشَارِ فَوَضَعَ الْمُنْشَارُ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ،
فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ ، ثُمَّ جِئَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى ، فَوَضَعَ الْمُنْشَارُ فِي
مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شَقَّاهُ ، ثُمَّ جِئَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَى ، فَدَفَعَهُ
إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلٍ كَدَاً وَكَدَاً فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإِنْ
رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَرَجَفَ
بِهِمُ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيهِمْ
اللَّهُ تَعَالَى ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمَلُوهُ فِي قُرْقُورٍ وَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، فَإِنْ
رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْدِفُوهُ ، فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ
فَغَرِقُوا ، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ فَقَالَ : كَفَانِيهِمْ اللَّهُ تَعَالَى .
فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا أَمْرُكَ بِهِ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ
وَاحِدٍ ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ وَضِعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ :
بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ ارْمِنِي ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي . فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ،
وَصَلَبَهُ عَلَى جَذَعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ، ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ
رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ . فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا

بَرَّبَ الْغُلَامَ ، فَأَتَى الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحَدَّرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَدْرُكَ . قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالْأَخْدُودِ بِأَفْوَاهِ السُّكَّكَ فُحِدَّتْ وَأُضْرِمَ فِيهَا النِّيرَانُ وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَن دِينِهِ فَأُفْحِمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ : افْتَحِمْ ، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها ، فتقاعست أن تقع فيها ، فقال لها الغلامُ : يا أمّاه اصبري فإنك عليّ الحقُّ « رواه مُسَلِّمٌ .

« ذرّوة الجبلِ » : أعلاه ، وهي بكسر الدال المعجمة وضمها و « القرقورُ » بضم القافين : نوعٌ من السُّفْنِ و « الصَّعِيدُ » هنا : الأرض البارزة و « الأخدودُ » : الشقوق في الأرض كالنَّهْرِ الصَّغِيرِ و « أُضْرِمَ » أوقدَ « وانكفأت » أي : انقلبت و « تقاعست » توقفت وجبنت .

٣١- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ فَقَالَ : « أَتَقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي » فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي ، وَلَمْ تَعْرِفْهُ ، فَقِيلَ لَهَا : إِنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ ، فَقَالَتْ : لَمْ أَعْرِفْكَ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى » متفقٌ عليه . وفي رواية لمسلم : « تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا » .

٣٢- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبِضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ » رواه البخاري .

٣٣- وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الطَّاعُونَ ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونَ فَيَمُوتُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ « رواه البخاري

٣٤- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ عَوِضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ » يُرِيدُ عَيْنِيهِ ، رواه البخاري .

٣٥- وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ : قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ فَقُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : هَذِهِ الْمَرْأَةُ السُّودَاءُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ : إِنِّي أُضْرَعُ ،

وإني أتكشّف، فادعُ الله تعالى لي قال: « إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوتُ الله تعالى أن يعافيك » فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشّف، فادعُ الله أن لا أتكشّف، فدعا لها. متفق عليه.

٣٦- وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كآني أنظرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي نبياً من الأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم، ضربته قومه فأذموه وهو يمسحُ الدم عن وجهه، يقول: « اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » متفق عليه.

٣٧- وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ما يُصيبُ المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذىٍ ولا غمٍّ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفرَّ الله بها من خطاياها » متفق عليه و « الوصب »: المرض.

٣٨- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُوعكُ فقلتُ يا رسول الله إنك تُوعكُ وعكاً شديداً قال: « أجل إني أوعكُ كما يُوعكُ رجلان منكم » قلتُ: ذلك أن لك أجرين؟ قال: « أجل ذلك كذلك ما من مسلمٍ يُصيبه أذى، شوكة فَمَا فوقها إلا كفرَّ الله بها سيئاته، وحطت عنه ذنوبه كما تحط الشجرة ورقها » متفق عليه. و « الوعك »: مغث الحمى، وقيل: الحمى.

٣٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من يُرد الله به خيراً يُصب منه »: رواه البخاري. وضبطوا « يُصب »: بفتح الصاد وكسرهما.

٤٠- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يتمنين أحدكم الموت لضرِّ أصابه، فإن كان لا بُدَّ فاعلاً فليقل: اللهم آخيني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي » متفق عليه.

٤١- وعن أبي عبد الله خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مُتوسدٌ بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض في جعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه

فِيَجْعَلُ نَصْفَيْنِ ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ ، مَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ وَالذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ » رواه البخاري . وفي رواية : « وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً » .

٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لَمَّا كَانَ يَوْمَ حُنَيْنٍ آتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ : فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ وَأَعْطَى عَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ وَأَثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ . فَقَالَ رَجُلٌ : وَاللَّهِ إِنْ هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدَلُ فِيهَا ، وَمَا أُرِيدُ فِيهَا وَجْهَ اللَّهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتَهُ بِمَا قَالَ ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصَّرْفِ . ثُمَّ قَالَ : « فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ؟ ثُمَّ قَالَ : يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ » فَقُلْتُ : لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « كَالصَّرْفِ » هُوَ بِكسْرِ الصَّادِ الْمُهْمَلَةِ : وَهُوَ صَبْغٌ أَحْمَرٌ .

٤٣- وعن أنس رضي الله عنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ خَيْرًا عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُؤَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ » رواه الترمذي وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ .

٤٤- وعن أنس رضي الله عنه قال : كَانَ ابْنُ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَشْتَكِي ، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ ، فَقَبِضَ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ : مَا فَعَلَ ابْنِي ؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ : هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ الْعِشَاءَ فَتَعَشَّى ، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ : وَارْوِ الصَّبِيَّ ، فَلَمَّا أَضْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَقَالَ : « أَعْرَسْتُمُ اللَّيْلَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهَا » فَوَلَدَتْ غُلَامًا فَقَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ : احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمْرَاتٍ ، فَقَالَ : « أَمَعُهُ شَيْءٌ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، تَمْرَاتٌ فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَضَغَهَا ، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبِيِّ ثُمَّ حَنَكَهُ وَسَيَّاهُ عَبْدَ اللَّهِ . متفقٌ عليه . وفي روايةٍ للبخاري : قال ابنُ عيينة : فقال رجلٌ من الأنصار : فرأيتُ تسعةَ أولادٍ كلُّهم قد قرؤوا القرآنَ ، يعني من أولادِ عبدِ الله المولود .

وفي روايةٍ لمسلم : مات ابنُ لَبي طَلْحَةَ مِنْ أُمَّ سُلَيْمٍ ، فقالت لأهلها : لا تُحدثوا أبَا طَلْحَةَ بابنِهِ حتى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ ، فجاء فقربت إليه عشاءً فأكل وشرب ، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنعُ قَبْلَ ذَلِكَ ، فوقعَ بها ، فلما أن رأت أَنَّهُ قد شَبِعَ وأصابَ منها قالت : يا أبَا طَلْحَةَ ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَن قَوْمًا أعاروا عاريتهم أهل بيتٍ فطلبوا عاريتهم ، أَلَمْ أَن يَمْنَعُوها؟ قال : لا ، فقالت : فاحتسبُ ابْنَكَ . قال : فغضب ، ثم قال : تركتني حتى إذا تلطختُ ثم أخبرتني بابني ، فانطلق حتى أتى رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بما كان ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا » . قال : فحملتُ ، قال : وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سفرٍ وهي معه وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أتى المدينة من سفرٍ لا يطرقها طروقاً فدنوا من المدينة ، فضربها المخاض ، فاحتبسَ عليها أبو طَلْحَةَ ، وانطلق رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : يقولُ أبو طَلْحَةَ إِنَّكَ لتعلمُ يا ربُّ أَنَّهُ يعجبني أن أخرجَ مع رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خرج ، وأدخَلَ معه إذا دخل ، وقد احتبستُ بها ترى . تقولُ أُمُّ سُلَيْمٍ : يا أبَا طَلْحَةَ ما أجدُ الذي كنتُ أجدُ ، انطلق ، فانطلقنا ، وضربها المخاض حينَ قدما فولدتُ غلاماً . فقالت لي أُمِّي : يا أَنَسُ لا يُرْضِعُهُ أَحَدٌ تغدو به على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما أصبحَ احتملته فانطلقتُ به إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وذكرَ تمامُ الحديثِ .

٤٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْعَضْبِ » متفقٌ عليه .

« وَالصُّرْعَةُ بِضَمِّ الصَّادِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ، وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيرًا .

٤٦- وعن سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ رضي الله عنه قال : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَانِ وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ . وَانْتَفَخَتْ أوداجُهُ . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وسلم : « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد . فقالوا له : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « تعوذ بالله من الشيطان الرجيم » . متفق عليه .

٤٧- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كظم غيظاً ، وهو قادر على أن ينفذه ، دعاه الله سبحانه وتعالى على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يجيره من الحور العين ما شاء » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني ، قال : « لا تغضب » فردد مراراً قال ، « لا تغضب » رواه البخاري .

٤٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقي الله تعالى وما عليه خطيئة » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

٥٠- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس ، وكان من النفر الذين يذنبهم عمر رضي الله عنه ، وكان القراء أصحاب مجلس عمر رضي الله عنه ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً ، فقال عيينة لابن أخيه : يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه ، فاستأذن فأذن له عمر . فلما دخل قال : هي يا ابن الخطاب ، فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكمم فينا بالعدل ، فعضب عمر رضي الله عنه حتى هم أن يوقع به فقال له الحر : يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : { خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين } [سورة الأعراف : ١٩٨] وإن هذا من الجاهلين ، والله ما جاوزها عمر حين تلاها ، وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى . رواه البخاري .

٥١- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إيتها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها ، قالوا : يا رسول الله فما تأمرنا ؟ قال : تؤدون الحق الذي عليكم وتسالون الله الذي لكم » متفق عليه . « والأثرة » : الانفراد بالشيء عمن له فيه حق .

٥٢- وَعَنْ أَبِي يَحْيَى أَسِيدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا فَقَالَ : « إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثْرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ » متفقٌ عليه

« وَأَسِيدٌ » بِضَمِّ الهمزة . « وَحُضَيْرٌ » بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ مضمومةٍ وضادٍ مُعْجَمَةٍ مُفْتُوحَةٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
٥٣- وَعَنْ أَبِي إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أُوَيْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا الْعُدُوَّ ، انْتظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعُدُوِّ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ » ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ ، وَهَازِمَ الْأَحْزَابِ ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ » . متفقٌ عليه وباللَّهِ التَّوْفِيقُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن المبارك بن مؤمل عن الحسن : أنه سمعه يقول في قول الله : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . قال : أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين . عن قتادة قوله : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا . أي : اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا في سبيل اللهواتقوا الله لعلكم تفلحون . عن الضحاك في قوله: اصبروا وصابروا ورابطوا قال : اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم . (تفسير الطبري ٧ / ٥٠٢)

عن محمد بن كعب القرظي : أنه كان يقول في هذه الآية : اصبروا وصابروا ورابطوا . يقول : اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذي وعدتكم ، ورابطوا عدوي وعدوكم ، حتى يترك دينه لدينكم عن زيد بن أسلم قال : كتب أبو عبيدة بن الجراح إلى عمر بن الخطاب ، فذكر له جموعاً من الروم وما يتخوف منهم ، فكتب إليه عمر : أما بعد ، فإنه مهما نزل بعبء مؤمن من منزلة شدة ، يجعل الله بعدها فرجاً ، وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وإن الله يقول في كتابه : يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . (تفسير الطبري ٧ / ٥٠٣)

قال داود بن صالح: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمن: يا ابن أخي هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: "اصبروا وصابروا ورابطوا"؟ قال قلت: لا! قال: إنه يا ابن أخي لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم غزو يرباط فيه، ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة. (تفسير الطبري ٧/٥٠٥)

قال ابن عباس: (الخوف) يعني خوف العدو (والجوع) يعني القحط. (ونقص من الأموال) بالخسران والهلاك (والأنفس) يعني بالقتل والموت وقيل بالمرض والشيب (والثمرات) يعني الجوائح في الثمار. (تفسير البغوي ١/١٦٩)

والأنفس قال ابن عباس: بالقتل والموت في الجهاد. (تفسير القرطبي ٢/١٦٣)

وحكي عن الشافعي أنه قال الخوف خوف الله تعالى والجوع صيام رمضان ونقص من الأموال أداء الزكاة والصدقات والأنفس الأمراض والثمرات موت الأولاد لأن ولد الرجل ثمرة قلبه. (البغوي ١/١٦٩)

عن ابن عباس في قوله: ولنبلونكم الآية قال: أخبر الله المؤمنين أن الدنيا دار بلاء، وأنه مبتليهم فيها، وأمرهم بالصبر، وبشرهم، فقال: وبشر الصابرين وأخبر أن المؤمن إذا سلم لأمر الله، ورجع واسترجع عند المصيبة كتب الله له ثلاث خصال من الخير؛ الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبيل الهدى.

(تفسير الدر المنثور ٢/٧٢)

قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرفاً، وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزدون على ذلك، وقال السدي: يعني في الجنة. (بن كثير ٣/١٨٣)

عَنْ قَتَادَةَ (إِنَّمَا يُؤَفَّقُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) لَا وَاللَّهِ مَا هُنَاكُمْ مِكْيَالٌ وَلَا مِيزَانٌ.

(تفسير الطبري ٢١/٢٧٠)

وقال مالك بن أنس في قوله: إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال: هو الصبر على فجاج الدنيا وأحزانها. (تفسير القرطبي ١٥/٢١٥)

وقال سعيد بن جبير: من أمر بالمعاصي فليهرب. (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى. قال علي رضي الله عنه: كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا إلا

الصابرون فإنه يحشى لهم حثيا. (تفسير البغوي)

(ولمن صبر وغفر) فلم ينتصر (إن ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الأمور) حقها وجزمها.

قال مقاتل : من الأمور التي أمر الله بها . قال الزجاج : الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزمًا . (تفسير البغوى ١٩٨ / ٧)

قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: غشي على عبد الرحمن بن عوف في وجعه غشية ظنوا أنه قد فاضت نفسه فيها حتى قاموا من عنده، وجللوه ثوبا، وخرجت أم كلثوم بنت عقبة امرأته إلى المسجد تستعين بها أمرت به من الصبر والصلاة ، فلبثوا ساعة وهو في غشيته، ثم أفاق. (الدر المنثور)

وقال علي بن الحسين زين العابدين : إذا جمع الله الأولين والآخرين ينادي مناد : أين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب ؟ قال : فيقوم عنق من الناس ، فتلقاهم الملائكة ، فيقولون : إلى أين يا بني آدم ؟ فيقولون : إلى الجنة . فيقولون : وقبل الحساب ؟ قالوا : نعم ، قالوا : ومن أنتم ؟ قالوا : الصابرون قالوا : وما كان صبركم ؟ قالوا : صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله . قالوا : أنتم كما قلت ، ادخلوا الجنة ، فنعلم أجر العاملين . (تفسير بن كثير ٤٦٦ / ١)

عن أبي العالية في قوله : " واستعينوا بالصبر والصلاة " يقول : استعينوا بالصبر والصلاة على مرضاة الله واعلموا أنهما من طاعة الله . (تفسير الطبرى ٢١٤ / ٣)

قال ابن زيد في قوله (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) قال : نختبركم البلوى : الاختبار . وقرأ (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) قال : لا يختبرون (ولقد فتنا الذين من قبلهم) . (تفسير الطبرى ١٨٦ / ٢٢)

قال ابن عباس : حتى نعلم : حتى نميز . وقال علي رضي الله عنه : حتى نعلم : حتى نرى .

(تفسير القرطبي ٢٣٢ / ١٦)

عن مجاهد أنه تلا هذه الآية : ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم الآية فقال : اللهم عافنا واسترنا ، ولا تبلى اخبارنا . (تفسير الدر المنثور ٤٥٠ / ١٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : وجدنا خير عيشنا بالصبر . (الزهد لابن المبارك ٢٢٢)

وقال أيضا : أفضل عيش أدركناه بالصبر ولو أن الصبر كان من الرجال كان كريماً . (الصبر والثواب عليه ٢٣)

قال علي بن أبي طالب : ألا إن الصبر من الإيثار بمنزلة الرأس من الجسد فإذا قُطع الرأس بار الجسد ثم

رفع صوته فقال : ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له . (الصبر والثواب لابن أبي الدنيا ٢٤)

وقال ايضاً: الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو (لا يخطئ). (ادب الدنيا والدين ٢٩٤)
 عن حذيفة رضي الله عنه قال: تعودوا الصبر فأوشك أن ينزل بكم البلاء أما أنه لا يصيبينكم أشد مما
 أصابنا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (حليه الأولياء ٨ / ٣٣٧)
 قال أبو الدرداء: ذروة الإيمان: الصبر للحكم والرضى بالقدر والإخلاص في التوكل والاستسلام
 للرب عز وجل. (حليه الأولياء ١ / ٢١٦)

عن عمر بن عبد العزيز قال: الرضا قليل والصبر معول المؤمن. (حليه الاولياء ٥ / ٣٤٢)
 قال عمر بن عبد العزيز وهو على المنبر: ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكان ما انتزع منه
 الصبر إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزع منه ثم قرأ: (إِنَّمَا يُؤَقِّبُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (الزمر -
 ١٠). (الصبر والثواب عليه ٣٠)

عن يونس بن يزيد قال: سألت ربيعة بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصبر؟ قال: أن يكون يوم تصيبة
 المصيبة مثله قبل أن تصيبه. (حليه الأولياء ٣ / ٢٦١-٢٦٢)

عن سفيان بن عيينة قال: قيل لبعض الحكماء: ما الصبر؟ قال: الذي يكون في الحال الذي إذا نزل به ما
 يكره: صبر وكان مثل حاله الأول: إذا لم يكن أصابه البلاء. (حليه الأولياء ٧ / ٢٨٠)

عن سفيان بن عيينة قال: لم يعط العباد أفضل من الصبر به دخلوا الجنة. (حليه الاولياء ٧ / ٣٠٥)

عن سفيان الثوري قال: إنما الأجر على قدر الصبر. (حليه الأولياء ٧ / ٥٤)

عن سفيان الثوري قال: أتدرون ما تفسير: لا حول ولا قوة إلا بالله؟ يقول: لا يعطي أحد إلا ما
 أعطيت ولا يقي أحد إلا ما وقيت. (حليه الاولياء ٧ / ١٤٠)

قال سفيان الثوري: ثلاثة من الصبر: لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزك نفسك. (الحليه ٦ / ٣٨٩)

قال ميمون بن مهران: الصبر صبران: الصبر على المصيبة حسن وأفضل من ذلك الصبر عن
 المعاصي. (الصبر والثواب عليه ٢٩)

وقال ايضاً: ما نال رجل من جسيم الخير نبي ولا غيره إلا بالصبر. (حليه الأولياء ٤ / ٩٠)

وقال أبو حاتم: الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي والصبر على الطاعات والصبر عند
 الشدائد المصيبات فأفضلها الصبر عن المعاصي فالعاقل يدبر أحواله بالتثبت عند الأحوال الثلاثة التي

ذكرناها بلزوم الصبر على المراتب التي وصفناها قبل حتى يرتقي بها إلى درجة الرضا عن الله جل وعلا في حال العسر واليسر معاً. (روضه العقلاء ١٦٢)

وقال أبو حاتم: الصبر جماع الأمر ونظام الحزم ودعامة العقل وبذر الخير وحيلة من لا حيلة له وأول درجته الاهتمام ثم التيقظ ثم الثبوت ثم التصبر ثم الصبر ثم الرضا وهو النهاية في الحالات. (روضه العقلاء ١٦١)

وقال ايضاً: النظر إلى الأحق سخنة عين والنظر إلى البخيل يقسي القلب ومن لم يحتمل الغم والأذى لم يقدر أن يدخل فيها يجب. (حليه الأولياء ٨ / ٣٥٠)

قال بشر الحافي: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى. (حليه الأولياء ٨ / ٣٣٧)

عزى ابن السماك رجلاً فقال: إن المصيبة واحدة: إن جزع أهلها أو صبروا والمصيبة بالأجر أعظم من المصيبة بالموت. (حليه الأولياء ٨ / ٢٠٨-٢٠٩)

عن ابن ذر - أبو ذر عمر بن ذر - قال: من أجمع على الصبر في الأمور فقد حوى الخير والتمس معاقل البر وكمال الاجور. (حليه الأولياء ٥ / ١١١)

عن أبي سلميان الداراني قال: ثلاثة من أعلام الصبر: التباعد عن الخلطاء في الشدة والسكون إليه مع تجرع غصص البلية وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحة المعيشة. (حليه الأولياء ٩ / ٣٦٢)

عن صالح المري قال: لو كان الصبر حلواً ما قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر. ولكن قال له: اصبر فإن الصبر مر. (حليه الأولياء ٦ / ١٧١)

عن علي بن الحسين قال: إذا كان يوم القيامة، ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس فيقال: على ما صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله عز وجل فيقال: صدقتم أدخلوا الجنة. (حليه الأولياء ٣ / ١٣٨-١٣٩)

عن عبد الواحد بن زيد قال: من نوى الصبر على طاعة الله: صبره الله عليه وقواه لها ومن نوى الصبر عن معاصي الله: أعانه الله على ذلك وعصمه منها. (حليه الأولياء ٦ / ١٦٣)

وعن إبراهيم التيمي قال: ما من عبد وهب الله له صبراً على الأذى وصبراً على البلاء وصبراً على

المصائب إلا وقد أوتي أفضل ما أوتيته أحد بعد الإيمان بالله . (الصبر والثواب عليه ٢٨)
 قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات أحمد إذ لم يكن أعظم منها وأحمد إذ رزقني
 الصبر عليها وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب وأحمد إذ لم يجعلها في ديني.
 (سير أعلام النبلاء ١٠٥ / ٤)

وعن أبي ميمون قال: إن للصبر شروطاً قلت الراوي: ما هي يا أبا ميمون؟ قال: إن من شروط الصبر
 أن تعرف كيف تصبر؟ ولن تصبر؟ وما تريد بصبرك؟ وتحتسب في ذلك وتحسن النية فيه لعلك أن
 يخلص لك صبرك وإلا فإنما أنت بمنزلة البهيمة نزل بها البلاء فاضطربت لذلك ثم هدأ فهدأت فلا هي
 عقلت ما نزل بها فاحتسبت وصبرت ولا هي صبرت ولا هي عرفت النعمة حين هدأ ما بها فحمدت
 الله على ذلك وشكرت. (الصبر لابن ابى الدنيا ٥٣)

قال زياد بن عمرو: كلنا نكره الموت وألم الجراح ولكننا نتفاضل بالصبر. (الصبر لابن ابى الدنيا ٤٤)
 قال زهير بن نعيم: إن هذا الأمر لا يتم إلا بشيئين: الصبر واليقين فإن كان يقين ولم يكن معه صبر لم يتم
 وإن كان صبر ولم يكن معه يقين لم يتم وقد ضرب لهما أبو الدرداء مثلاً فقال: مثل اليقين والصبر مثل
 فدادين يحفران الأرض فإذا جلس واحد جلس الآخر. (صفه الصفوة ٨ / ٤)

قال عمرو بن قيس الملائي: (فصبر جميل): الرضا بالمصيبة والتسليم. (الصبر لابن ابى الدنيا ٨٦)
 قال يحيى بن معاذ: حُفت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها فما أنت إلا
 كالمريض الشديد الداء إن صبر نفسه على مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية وإن جزعت نفسه مما
 يلقي طالت به علة الضنا. (صفه الصفوة ٩٤ / ٤)

قال الشافعي رحمه الله: (ديوان الشافعي ١٢)

دَعِ الْأَيَّامَ تَفْعَلْ مَا تَشَاءُ	وَطِبْ نَفْسًا إِذَا حَكَمَ الْقَضَاءُ
وَلَا تَجْزَعْ لِحَادِثَةِ اللَّيَالِي	فَمَا لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا بَقَاءُ
وَكُنْ رَجُلًا عَلَى الْأَهْوَالِ جَلْدًا	وَشِيمَتِكَ السَّمَاحَةَ وَالْوَفَاءُ
وَإِنْ كَثُرَتْ عَيْبُوكَ فِي الْبَرَائِيَا	وَسَرَّكَ أَنْ يَكُونَ لَهَا غِطَاءُ
تَسْتَرِّ بِالسَّخَاءِ فَكُلُّ عَيْبٍ	يُعْطِيهِ - كَمَا قِيلَ - السَّخَاءُ

وَلَا تُرِيَّ الْأَعَادِيَ قَطُّ ذُلًّا
وَلَا تَرُجُ السَّمَاحَةَ مِنْ بَخِيلٍ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقِضُهُ التَّائِي
وَلَا حُزْنٌ يَدُومٌ وَلَا سُرُورٌ
إِذَا مَا كُنْتَ ذَا قَلْبٍ قَنُوعٍ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِهِ الْمَنَائِيَا
وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ وَلَكِنْ
دَعِ الْأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ
فَإِنَّ شَمَاتَةَ الْأَعْدَا بَلَاءٌ
فَمَا فِي النَّارِ لِلظُّمَأْنِ مَاءٌ
وَلَيْسَ يَزِيدُ فِي الرِّزْقِ الْعَنَاءُ
وَلَا بُؤْسٌ عَلَيْكَ وَلَا رَخَاءُ
فَأَنْتَ وَمَالُكَ الدُّنْيَا سَوَاءُ
فَلَا أَرْضٌ تَقِيهِ وَلَا سَمَاءُ
إِذَا نَزَلَ الْقَضَا صَاقَ الْفَضَاءُ
فَمَا يُغْنِي عَنِ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ

الآثار العملية من حياة السلف :

عروة بن الزبير وصبره على الابتلاء: وقعت الأكلة (داء يقع في العضو فيأكل منه) في رجل عروة بن الزبير، فصعدت في ساقه، فبعث إليه الوليد، فحُمل إليه ودعا الأطباء فقالوا: ليس له دواء إلا القطع، وقالوا له: اشرب المرقد فقال عروة للطبيب: امض لشأنك، ما كنت أظن أن خلقاً يشرب ما يزيل عقله حتى يعرف به، فوضع المنشار على ركبته اليسرى، فما سُمع له حسٌّ، فلما قطعها جعل يقول: لئن أخذت لقد أبقيت، ولئن ابتليت لقد عافيت وما ترك جزءه من القرآن تلك الليلة، قال الوليد: ما رأيت شيخاً قط أصبر من هذا، ثم إنه أصيب بابنه محمد في ذلك السفر، ركضته بغلة في إصطبل، فلم يُسمع من عروة في ذلك كلمة، فلما كان بوادي القرى قال: (لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا) (الكهف ٦٣) اللهم كان لي بنون سبعة، فأخذت واحداً وأبقيت لي ستة، وكان لي أطراف أربعة، فأخذت واحداً وأبقيت ثلاثة، ولئن ابتليت لقد عافيت، ولئن أخذت لقد أبقيت. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٣٠)

لما هلك عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز وسهل بن عبد العزيز ومزاحم مولى عمر في أيام متتابعة دخل الربيع بن سبرة عليه وقال: أعظم الله أجرك يا أمير المؤمنين فما رأيت أحداً أصيب بأعظم من مصيبتك في أيام متتابعة والله ما رأيت مثل ابنك إبناً ولا مثل أخيك أخاً ولا مثل مولاك مولى قط فطأطأ عمر رأسه فقال لي رجل معي على الوسادة: لقد هيجت عليه قال: ثم رفع رأسه فقال: كيف قلت الآن يا ربيع؟ فأعدت عليه ما قلت أولاً قال: لا والذي قضى عليه أو قال: عليهم بالموت: ما أحب أن شيئاً من ذلك كان لم يكن. (حليه الأولياء ٥ / ٣٣٠)

قال زهير الباني: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير فخرج على الحي قد رجل جمته ولبس حلته فقيل له: ما نرضى منك بهذا وقد مات ابنك فقال: أتأمروني أن أستكين للمصيبة؟ فوالله لو أن الدنيا وما فيها لي فأخذها الله مني ووعدني عليها شربة ماء غداً ما رأيتها لتلك الشربة أهلاً فكيف: بالصلوات والهدى والرحمة. (حليه الأولياء ٢/١٩٩)

عن إبراهيم بن سعد: سمع علي بن الحسين ناعية في بيته وعنده جماعة فنهض إلى منزله ثم رجع إلى مجلسه فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم فعزوه وتعجبوا من صبره فقال: إنا أهل بيت نطيع الله فيما نحب ونحمده فيما نكره. (حليه الأولياء ٣/١٨٣)

نظر إبراهيم بن أدهم إلى رجل: قد أصيب بهال ومتاع ووقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إذ شاء وأخذته منك إذ شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية: الصبر له على البلية ومن قدم: وجد ومن أخر: فقد ندم. (الحليه ٨/٣٢-٣٣)

عن وهب بن منبه قال: أتى رجل من أفضل أهل زمانه إلى ملك كان يفتن الناس على أكل لحوم الخنازير فلما أتى به استعظم الناس مكانه وساءهم أمره فقال له صاحب شرطة الملك: اتتني بجدي نذبحه مما يحل لك أكله فاعطنيه فإن الملك إذا دعا بلحم الخنزير أتيتك به فكله فذبح جدياً فأعطاه إياه ثم أتى به الملك فدعا له بلحم الخنزير فأتى صاحب الشرط باللحم الذي كان أعطاه إياه - وهو: لحم الجدي - فأمره الملك أن يأكله فأبى فجعل صاحب الشرطة يغمز إليه ويأمره بأكله ويريه: أنه اللحم الذي دفعه إليه فأبى أن يأكله فأمر الملك صاحب شرطته أن يقتله فلما ذهب به قال: ما منعك أن تأكل وهو اللحم الذي دفعت إلي؟ أظننت أني أتيتك بغيره؟ قال: قد علمت أنه هو ولكن: خفت أن يقتاس بي الناس فكل من أراد على أكل لحم الخنزير قال: قد أكله فلان فيقتاس بي فأكون فتنة لهم فقتل.

(حليه الأولياء ٤/٥٥-٥٦)

عن إبراهيم بن مته السمرقندي قال: سألت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن عن أحمد بن حنبل قلت: هو إمام؟ قال: إي والله وكما يكون الإمام إن أحمد أخذ بقلوب الناس إن أحمد: صبر على الفقر سبعين سنة. (حليه الأولياء ٩/١٧٦)

قال أحمد بن محمد التستري: ذكروا: أنه مر عليه يعني: أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ما كان طعم فيها فبعث

إلى صديق له فاستقرض شيئاً من الدقيق فعرفوا في البيت شدة حاجته إلى الطعام فخبزوا بالعجلة فلما وضع بين يديه قال: كيف عملتم خبزتم بسرعة هذا فقيل له: كان التنور في دار صالح ابنه مسجراً وخبزنا بالعجلة فقال: ارفعوا ولم يأكل فأمر بسد بابه إلى دار صالح. (حليه الاولياء ٩/١٧٧)

وجاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقاً من حاله ومعاشه واغتماً بذلك فقال: أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا قال: فبسمعك؟ قال: لا قال: فبلسانك؟ قال: لا قال: فبعقلك؟ قال: لا في خلال وذكره نعم الله عليه ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفاً وأنت تشكو الحاجة؟ (السير ٦/٢٩٢)

قال أبو عبد الرحمن المغازلي: دخلت على رجل مبتلى بالحجاز فقلت: كيف تجردك؟ قال: أجد عافيته أكثر مما ابتلاني به وأجد نعمة عليّ أكثر من أن أحصيها قلت: أتجد لما أنت فيه ألباً شديداً؟ فبكى ثم قال: سلا بنفسي عن ألم ما بي ما وعد عليه سيدي أهل الصبر من كمال الأجور في شدة يوم عسير قال: ثم غشي عليه فمكث ملياً ثم أفاق فقال: إني لأحسب أن لأهل الصبر غداً في القيامة مقاماً شريفاً لا يتقدمه من ثواب الأعمال شيء إلا ما كان من الرضا عن الله تعالى. (الصبر والثواب عليه ٨٠)

قال الحسن: سبّ رجل رجلاً من الصدر الأول فقام الرجل وهو يمسح العرق عن وجهه وهو يتلو: (ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم الامور) (الشورى ٤٣) قال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون. (الصبر والثواب عليه ٨٧)

باب الصدق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ [التوبة: ١١٩]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ [الأحزاب: ٣٥]، وَقَالَ تَعَالَى: فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ [محمد: ٢١]

٥٤- فالأول: عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَصْدُقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لِيَكْذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا» متفق عليه.

٥٥- الثاني: عن أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، قال حفظت من رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دَعَّ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ ، وَالْكَذِبَ رِيْبَةٌ »
رواه الترمذي وقال : حديثٌ صحيحٌ .

قَوْلُهُ : « يَرِيكَ » هُوَ بفتح الياء وضمها ، وَمَعْنَاهُ : اترك ما تشك في حله ، واعدل إلى ما لا تشك فيه

٥٦- الثالث : عن أبي سفيان صخر بن حرب . رضي الله عنه . في حديثه الطويل في قصة هرقل ، قال هرقل : فماذا يأمركم يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال أبو سفيان : قلت : يقول « اعبدوا الله وحده لا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آبائكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق ، والعفاف ، والصلة » . متفقٌ عليه .

٥٧- الرابع : عن أبي ثابت ، وقيل : أبي سعيد ، وقيل : أبي الوليد ، سهل بن حنيف ، وهو بدري ، رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ سَأَلَ اللَّهَ ، تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللَّهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ » رواه مسلم .

٥٨- الخامس : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لَا يَتَّبِعُنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ . وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَنْبِيَّ بِهَا وَلَمَّا بَيَّنَّ بِهَا ، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بَيْتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا ، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا . فَغَزَا فِدْنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ : إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا ، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ ، فَجَاءَتْ يَعْنِي النَّارَ لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمَهَا ، فَقَالَ : إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا ، فليبايعني من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلُولُ ، فليبايعني قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده فقال : فيكم الغلُولُ ، فجاءوا برأسٍ مثل رأس بقرة من الذهب ، فوضعتها فجاءت النار فأكلتها ، فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ، ثم أحل الله لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا » متفقٌ عليه . « الخلفات » بفتح الخاء المعجمة وكسر اللام : جمعُ خَلْفَةٍ ، وهي الناقة الحاملُ .

٥٩- السادس : عن أبي خالد حكيم بن حزام . رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ : « أَلْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا ، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بَوْرِكَ هُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَّتْ بَرَكَةٌ بَيْعِهِمَا » متفقٌ عليه

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن نافع في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : نزلت في الثلاثة الذين خلفوا : قيل لهم : كونوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . قال كعب بن مالك : فينا نزلت أيضا : اتقوا الله وكونوا مع الصادقين . عن ابن عمر في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه . عن الضحاك في قوله : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال : أمروا أن يكونوا مع أبي بكر وعمر وأصحابهما . (تفسير الدر المنثور ٧ / ٥٨٢)
قال أنس : إن الرجل ليحرم قيام الليل وصيام النهار بالكذبة يكذبها . (الدر المنثور ٧ / ٥٩٠)
قال ابن مسعود : إن الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم شيئا ثم لا ينجزه اقرءوا إن شئتم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين هل ترون في الكذب رخصة ؟ .
(تفسير القرطبي ٨ / ٢٠٦)

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم وأعمالهم وخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك بإخلاص نية . وقيل : مع الذين صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة . (تفسير البغوى ٤ / ١٠٩)

قال ابن عباس : قالت النساء : يا رسول الله ما باله يذكر المؤمنين ولم يذكر المؤمنات ؟ فنزل : إن المسلمين والمسلمات . عن قتادة قال : لما ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قال النساء : لو كان فينا خير لذكرنا، فأنزل الله : إن المسلمين والمسلمات الآية . (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٤٦)

قال عكرمة : قال النساء للرجال : أسلمنا كما أسلمتم وفعلنا كما فعلتم، فتذكرون في القرآن ولا نذكر! وكان الناس يسمون المسلمين فلما هاجروا سموا المؤمنين فأنزل الله : إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات يعني : المطيعين والمطيعات والصادقين والصادقات والصائمين والصائمات شهر رمضان والحافظين فروجهم والحافظات يعني : من النساء والذاكرين الله كثيرا

والذاكرات يعني: ذكر آلاء الله وذكر نعمه أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما. (الدر المنثور ١٢/٤٧)

عن سعيد بن جبير في قوله: (إن المسلمين والمسلمات) الايه : يعني : المخلصين لله من الرجال، والمخلصات من النساء، والمؤمنين والمؤمنات يعني : المصدقين والمصدقات، والقانتين والقانتات يعني : المطيعين والمطيعات، والصادقين والصادقات يعني : الصادقين في إيمانهم، والصابرين والصابرات يعني : على أمر الله، والخاشعين يعني : المتواضعين لله في الصلاة، من لا يعرف من عن يمينه ولا من عن يساره ولا يلتفت من الخشوع لله، والخاشعات يعني : المتواضعات من النساء، والصابئين والصابئات قال : من صام شهر رمضان: وثلاثة أيام من كل شهر فهو من أهل هذه الآية، والحافظين فروجهم والحافظات . قال : يعني : فروجهم عن الفواحش . ثم أخبر بثوابهم فقال : أعد الله لهم يعني : لمن ذكر في هذه الآية، مغفرة . يعني : لذنوبهم، وأجرا عظيما . يعني : جزاء وافرا في الجنة.

(تفسير الدر المنثور ١٢/٤٧ - ٤٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: حينما بويح للخلافة: أيها الناس إني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة والكذب خيانة. (الكامل ١٩٢/٢)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله .

(ادب الدنيا والدين ٢٦١-٢٦٢)

وقال عمر بن الخطاب: لا يجد عبد حقيقة الإيمان حتى يدع المرء وهو محق ويدع الكذب في المزاح وهو يرى أنه لو شاء لغلب. (روضه العقلاء لابن حبان السبتي ٥٥)

قال ابن عباس في قوله تعالى: (ولا تلبسوا الحق بالباطل) (البقرة ٤٢) اي لا تخلطوا الصدق بالكذب. (تفسير الطبري ١/١٥٥)

قال ابن عباس رضي الله عنه : أربعٌ من كن فيه فقد ربح: الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر.

(ادب الدنيا والدين ٢٦١)

قال عبد الله بن عمرو: ذر ما لست منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعينك واخزن لسانك كما تخزن دراهمك. (شعب الايمان للبيهقي ٦٦/٧)

قال عمر بن عبدالعزيز: ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه. (ادب الدنيا والدين ٢٦١)
وقال الشعبي رحمه الله: عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك. (ادب الدنيا والدين ٢٦١-٢٦٢)

قال اسماعيل بن عبيد الله: كان عبد الملك بن مروان يأمرني أن أجنب بنيه السمن وكان يأمرني أن لا أطعم طعاماً حتى يخرجوا إلى البراز وكان يقول: علّم بني الصدق كما تعلمهم القرآن، وجنبهم الكذب وإن فيه كذا وكذا يعني القتل. (روضه العقلاء ٥١)

قال ميمون بن ميمون: من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يميز صدقه .
(عيون الأخبار ٢/٢٧)

وقال الأحنف لابنه: يا بني يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يُقبل قوله في عدوه ومن دناء الكذب أن الكاذب لا يُقبل قوله في صديقه ولا عدوه لكل شيء حليه وحليه المنطق الصدق يدل على اعتدال وزن العقل. (نهاية الارب في فنون الادب ٢٢٤/٣)

قال الفضيل بن عياض: ما من مضغة أحب إلى الله من لسان صدوق وما من مضغة أبغض إلى الله من لسان كذوب. (روضه العقلاء ٥٢)

قال إبراهيم الخواص: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤديه أو فضل يعمل فيه. (مدارج السالكين ٣/٢٠)
وقيل: ثلاث لا تخطيء الصادق: الحلاوة والملاحة والهيبية. (مدارج السالكين ٣/٢٠)

وقال الجنيد: حقيقة الصدق أن تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب. (مدارج السالكين ٣/٢٠)
وقال القيني: أصدّق في صغار ما يضرني لأصدّق في كبار ما ينفعني. (عيون الاخبار ٢/٢٨)

قال مالك بن دينار: إن الصدق يبدو في القلب ضعيفاً كما يبدو نبات النخلة يبدو غصناً واحداً فإذا نتفها صبي ذهب أصلها وإن أكلتها عنز ذهب أصلها فتسقى فتتشر وتسقى فتتشر حتى يكون لها أصل أصيل يوطأ وظل يستظل به وثمره يؤكل منها كذلك الصدق يبدو في القلب ضعيفاً فيتفقده صاحبه ويزيده الله تعالى ويتفقده صاحبه فيزيده الله حتى يجعله الله بركة على نفسه ويكون كلامه دواء للخاطئين قال: ثم يقول مالك: أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: بلى والله لقد رأيناهم: الحسن وسعيد بن جبير وأشباههم الرجل منهم يحيي الله بكلامه الفئام من الناس. (الحليه ٢/٣٥٩-٣٦٠)

قال أبو حاتم: الصدق يرفع المرء في الدارين كما أنَّ الكذب يهوي به في الحالين ولو لم يكن الصدق خصلة تحمد إلا أنَّ المرء إذا عرف به قبل كذبه وصار صدقاً عند من يسمعه لكان الواجب على العاقل أن يبلغ مجهوده في رياضة لسانه حتى يستقيم له على الصدق ومجانبة الكذب والعي في بعض الأوقات خير من النطق لأنَّ كل كلام أخطأ صاحبه موضعه فالعى خير منه. (روضه العقلاء ٥٤)

قال محمد بن عبد الله البغدادي: (روضه العقلاء ص ٥٣)

إذا ما المرء أخطأه ثلاثٌ فبعه ولو بكفٍّ من رمادٍ

سلامة صدره والصدق منه وكتمان السرائر في الفؤاد

الآثار العملية في حياة السلف:

وروي أن بلالاً لم يكذب منذ أسلم فبلغ ذلك بعض من يحسده فقال: اليوم أكذبه فسايره فقال له: يا بلال ما سنُّ فرسك؟ قال عظم، قال: فما جريه؟ قال: يحضر ما استطاع قال: فأين تنزل؟ قال: حيث أضع قدمي قال: ابن من أنت؟ قال ابن أبي وأمي قال: فكم أتى عليك؟ قال: ليلٍ وأيامٍ الله أعلم بعدها قال: هيهات أعيت فيك حيلتي ما أتعب بعد اليوم أبداً. (نهايه الارب في فنون الادب ٣/٢٢٥)

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني (٤٧٠ هـ - ٥٧٣ هـ): بَنَيْتُ أَمْرِي عَلَى الصِّدْقِ، وَذَلِكَ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى بَغْدَادَ أَطْلُبُ الْعِلْمَ، فَأَعْطَنِي أُمِّي أَرْبَعِينَ دِينَارًا، وَعَاهَدْتَنِي عَلَى الصِّدْقِ، وَلَمَّا وَصَلْنَا أَرْضَ (هَمْدَانَ) خَرَجَ عَلَيْنَا عَرَبٌ، فَأَخَذُوا الْقَافِلَةَ، فَمَرَّ وَاحِدٌ مِنْهُمْ، وَقَالَ: مَا مَعَكَ؟ قُلْتُ: أَرْبَعُونَ دِينَارًا. فَظَنَّ أَنِّي أَهْزَأُ بِهِ، فَتَرَكَنِي، فَرَأَى رَجُلًا آخَرَ، فَقَالَ مَا مَعَكَ؟ فَأَخْبَرْتَهُ، فَأَخَذَنِي إِلَى أَمِيرِهِمْ، فَسَأَلَنِي فَأَخْبَرْتَهُ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى الصِّدْقِ؟ قُلْتُ: عَاهَدْتَنِي أُمِّي عَلَى الصِّدْقِ، فَأَخَافُ أَنْ أَخُونُ عَهْدَهَا. فَصَاحَ بَاكِيًا، وَقَالَ: أَنْتَ تَخَافُ أَنْ تَخُونَ عَهْدَ أُمَّكَ، وَأَنَا لَا أَخَافُ أَنْ أَخُونَ عَهْدَ اللَّهِ!! ثُمَّ أَمَرَ بِرَدِّ مَا أَخَذُوهُ مِنَ الْقَافِلَةِ، وَقَالَ: أَنَا تَائِبٌ لِلَّهِ عَلَى يَدَيْكَ. فَقَالَ مَنْ مَعَهُ: أَنْتَ كَبِيرْنَا فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ، وَأَنْتَ الْيَوْمَ كَبِيرْنَا فِي التَّوْبَةِ، فَتَابُوا جَمِيعًا بِبُرْكََةِ الصِّدْقِ وَسَبَبِهِ. (نزّهه المجالس ومنتخب النفائس للصفوري ١/١٣١)

٥- باب المراقبة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ [الشعراء: ٢١٩ - ٢٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ [الحديد: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ [آل عمران: ٦]، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ [الفجر: ١٤]،

وَقَالَ تَعَالَى : يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ [غافر : ١٩] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

٦٠- وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ ، فالأوَّلُ : عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخْذَيْهِ وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتُحَجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا . قَالَ : صَدَقْتَ . فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيَصَدِّقُهُ ، قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ . قَالَ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . قَالَ : صَدَقْتَ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ . قَالَ : أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ . فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ . قَالَ : مَا الْمَسْئُورُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ . قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا . قَالَ أَنْ تَلِدَ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحِفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ثُمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ : يَا عُمَرُ ، أَتَدْرِي مِنَ السَّائِلِ قَلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ : فَإِنَّهُ جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » رواه مسلم . ومعنى : « تَلِدُ الْأُمَّةُ رَبَّتَهَا » أي : سيديتها ، ومعناه أَنْ تَكْتُرَ السَّرَارِي حَتَّى تَلِدَ الْأُمَّةَ السَّرِيَّةَ بِنْتًا لِسَيْدِهَا ، وَبُنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعْنَى السَّيِّدِ ، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ وَ « الْعَالَةُ » : الْفُقَرَاءُ . وَقَوْلُهُ « مَلِيًّا » أَي زَمِنًا طَوِيلًا ، وَكَانَ ذَلِكَ ثَلَاثًا

٦١- الثَّانِي : عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيَّةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّجَهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٦٢- الثَّلَاثُ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : « كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أَعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : أَحْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ أَحْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ مُجَاهَكَ ، إِذَا

سَأَلْتُ فَاسْأَلَ اللهُ ، وَإِذَا اسْتَعْنَتْ فَاسْتَعِنَ بِاللهِ ، وَاَعْلَمَ : أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَيَّ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

وفي رواية غير الترمذي : « احفظ الله يحفظك ، واحفظ نفسك يحفظ الله ، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

٦٣- الرابع : عن أنس رضي الله عنه قال : « إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُبِقَاتِ » رواه البخاري . وقال : « الْمُبِقَاتُ الْمُهْلِكَاتُ .

٦٤- الخامس : عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَخَارُ ، وَغَيْرُهُ اللهُ تَعَالَى ، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ » متفق عليه . و « الْغَيْرَةُ » بفتح الغين : وَأَصْلُهَا الْأَنْفَةُ .

٦٥- السادس : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ ثَلَاثَةَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ : أَبْرَصٌ ، وَأَقْرَعٌ ، وَأَعْمَى ، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا ، فَاتَى الْأَبْرَصَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيُذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَدَرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَدْرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْإِبْلُ أَوْ قَالَ الْبَقْرُ شَكَّ الرَّاوي فَأُعْطِيَ نَاقَةً عَشْرَاءَ ، فَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فَاتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعْرٌ حَسَنٌ ، وَيُذْهَبُ عَنِّي هَذَا الَّذِي قَدَرَنِي النَّاسُ ، فَمَسَحَهُ عَنْهُ . أُعْطِيَ شَعْرًا حَسَنًا . قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقْرُ ، فَأُعْطِيَ بَقْرَةً حَامِلًا ، وَقَالَ : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا . فَاتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يُرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ . قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ فَأُعْطِيَ سِئَةً وَالِدًا

فَأَنْتَجَ هَذَا وَوَلَدَ هَذَا ، فَكَانَ هَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . ثُمَّ إِنَّهُ
 أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مَسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ
 لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ ، بَعِيرًا أَتَبْلُغُ
 بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الْحَقُوقُ كَثِيرَةٌ . فَقَالَ : كَأَنِّي أَعْرَفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ ، فَقَبِيرًا ،
 فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ، فَقَالَ : إِنَّمَا وَرَثْتُ هَذَا الْمَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ ، فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا
 كُنْتَ . وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا ، فَقَالَ
 : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَيَّ مَا كُنْتَ . وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ ، فَقَالَ : رَجُلٌ مَسْكِينٌ
 وَابْنٌ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاعَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ
 عَلَيْكَ بَصْرَكَ شَاءَ أَتَبْلُغُ بِهَا فِي سَفَرِي ؟ فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي ، فَخُذْ مَا شِئْتَ
 وَدَعْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ مَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ . فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمْ
 فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخَطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ « متفق عليه

« وَالنَّاقَةُ الْعُسْرَاءُ » بِضَمِّ الْعَيْنِ وَبِالْمَدِّ : هِيَ الْحَامِلُ . قَوْلُهُ : « أَنْتَجَ » فِي رِوَايَةٍ : « فَتَجَّ » مَعْنَاهُ :
 تَوَلَّى نِتَاجَهَا ، وَالنَّاتِجُ لِلنَّاقَةِ كَالْقَابِلَةِ لِلْمَرْأَةِ . وَقَوْلُهُ : « وَلَدَ هَذَا » هُوَ بِتَشْدِيدِ اللَّامِ : أَيُّ : تَوَلَّى
 وَوَلَدَتْهَا ، وَهُوَ بِمَعْنَى نَتَجَّ فِي النَّاقَةِ . فَاَلْمَوْلُدُ ، وَالنَّاتِجُ ، وَالْقَابِلَةُ بِمَعْنَى ، لَكِنْ هَذَا لِلْحَيَوَانِ وَذَلِكَ
 لِغَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ : « انْقَطَعَتْ بِي الْحِبَالُ » هُوَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ : أَيُّ الْأَسْبَابِ . وَقَوْلُهُ : «
 لَا أَجْهَدُكَ » مَعْنَاهُ : لَا أَشَقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي . فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ : « لَا
 أَحْمَدُكَ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمِيمِ ، وَمَعْنَاهُ : لَا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ ، كَمَا قَالُوا : لَيْسَ عَلَى طُولِ
 الْحَيَاةِ نَدَمٌ أَيُّ عَلَى فَوَاتِ طُولِهَا .

٦٦- السَّابِعُ : عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :
 « الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ
 الْأَمَانِي » رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ : مَعْنَى « دَانَ نَفْسَهُ
 » : حَاسَبَهَا .

٦٧- الثامن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ « حَدِيثٌ حَسَنٌ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ .

٦٨- التاسع: عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ أَمْرَأَتَهُ » رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله: (الذي يراك حين تقوم) قال: للصلاة. (تفسير الدر المنثور ١٧/٣١٥)

عن مجاهد قوله: (الذي يراك حين تقوم) قال: أينما كنت. (تفسير الطبري ١٩/٤١٢)

عن ابن عباس في قوله: وهو معكم أين ما كنتم قال: عالم بكم أينما كنتم. عن سفيان الثوري أنه سئل

عن قوله: وهو معكم قال: علمه. (تفسير الدر المنثور ١٤/٢٦٣)

قال أبو جعفر: يعني بذلك - جل ثناؤه - : إن الله لا يخفى عليه شيء هو في الأرض ولا شيء هو في

السماء . يقول: فكيف يخفى علي يا محمد - وأنا علام جميع الأشياء - ما يضاهاى به هؤلاء الذين

يجادلونك في آيات الله من نصارى نجران في عيسى ابن مريم في مقالتهم التي يقولونها فيه ؟ ! . عن

محمد بن جعفر بن الزبير: إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء . أي: قد علم ما يريدون

وما يكيدون وما يضاهاون بقولهم في عيسى ، إذ جعلوه ربا وإلهما ، وعندهم من علمه غير ذلك ، غرة

بالله وكفرا به. (تفسير الطبري ٦/١٦٦)

قال ابن عباس: إن على جهنم سبع قناطر يسأل الإنسان عند أول قنطرة عن الإيمان فإن جاء به تاما جاز

إلى القنطرة الثانية ثم يسأل عن الصلاة فإن جاء بها جاز إلى الثالثة ثم يسأل عن الزكاة فإن جاء بها جاز

إلى الرابعة . ثم يسأل عن صيام شهر رمضان فإن جاء به جاز إلى الخامسة . ثم يسأل عن الحج والعمرة

فإن جاء بها جاز إلى السادسة . ثم يسأل عن صلة الرحم فإن جاء بها جاز إلى السابعة . ثم يسأل عن

المظالم وينادي مناد: ألا من كانت له مظلمة فليأت فيقتص للناس منه يقتص له من الناس فذلك قوله

عز وجل: إن ربك لبالمرصاد. وقال الثوري: لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر: قنطرة فيها

الرحم وقنطرة فيها الأمانة وقنطرة فيها الرب تبارك وتعالى. قال الحسن وعكرمة: أي يرصد عمل كل

إنسان حتى يجازيه به . (تفسير القرطبي ٤٥ / ٢٠)

قال الضحاك : إذا كان يوم القيامة يأمر الرب بكرسيه فيوضع على النار فيستوي عليه ثم يقول : أنا الملك الديان وعزتي وجلالي لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة بظلامته ولو ضربة بيد فذلك قوله : إن ربك لبالمرصاد . عن ابن مسعود في قوله : والفجر قال : قسم وفي قوله : إن ربك لبالمرصاد من وراء الصراط

جسور: جسر عليه الأمانة وجسر عليه الرحم وجسر عليه الرب عز وجل . (الدر المنثور ٤١٦ / ١٥)

قال ابن عباس في قوله: (يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) وهو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسنة ، أو تمر به وبهم المرأة الحسنة ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غض ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غض (بصره عنها) وقد اطلع الله من قلبه أنه ود أن لو اطلع على فرجها .

(تفسير بن كثير ١٣٧ / ٧)

وقال الضحاك : (خائنة الأعين) هو الغمز وقول الرجل : رأيت ولم ير أو : لم أر وقد رأى . وقال ابن عباس : يعلم (الله) تعالى من العين في نظرها هل تريد الخيانة أم لا ؟ وكذا قال مجاهد وقتادة . وقال ابن عباس في قوله : (وما تخفي الصدور) يعلم إذا أنت قدرت عليها هل تزني بها أم لا ؟ . وقال

السدي : (وما تخفي الصدور) أي : من الوسوسة . (تفسير بن كثير ١٣٧ / ٧)

عن أبي الجوزاء : يعلم خائنة الأعين قال : كان الرجل يدخل على القوم في البيت ، وفي البيت امرأة ، فيرفع رأسه فيلحظ إليها ثم ينكس . (تفسير الدر المنثور ٣٣ / ١٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن السماك قال: أوصاني أخي داود بوصية: أنظر أن لا يراك الله حيث هناك وأن لا يفقدك حيث أمرك واستح في قربه منك وقدرته عليك . (حليه الأولياء ٣٥ / ٧)

قال رجل لوهيب بن الورد: عظمي قال: اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك . (الحليه ١٤٢ / ٨)

قال ذو النون المصري: إذا اطلع الخبير على الضمير فلم يجد في الضمير غير الخبير: جعل فيه سراجاً منيراً . (حليه الأولياء ٣٧٩ / ٩)

قال ذو النون المصري: علامة المراقبة إثارة ما أنزل الله وتعظيم ما عظم الله وتصغير ما صغر الله .

(مدارج السالكين ٦٦ / ٢)

وسئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أولها علم القلب بقرب الله تعالى وقال المرتعش: المراقبة مراعاة السر

بملاحظة الغيب مع كل لحظة ولفظة. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

قال المحاسبي: المراقبة دوام علم القلب بعلم الله عز وجل في السكون والحركة علما لازما مقترنا بصفاء اليقين. (الوصايا للمحاسبي ٣١٣)

سئل عبد الله بن فاتك عن المراقبة فقال: إذا كنت فاعلاً: فانظر نظر الله إليك وإذا كنت قائلاً: فانظر سمع الله إليك وإذا كنت ساكناً: فانظر علم الله فيك قال الله تعالى: (إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى) (طه ٤٢). (حليه الأولياء ٣٥٨ / ١٠)

وقال ايضاً في قوله تعالى: (يعلم ما في انفسكم فاحذروه) وكان يقول الرجال ثلاثة رجل شغل بمعاشه عن معاده فهذا هالك ورجل شغل بمعاده عن معاشه فهذا فائز ورجل اشتغل بهما فهذا مخاطر مرة له ومرة عليه. (حليه الأولياء ٣٥٩ / ١٠)

جاء رجل إلى أبي يزيد البسطامي فقال: أوصني فقال له: أنظر إلى السماء فنظر صاحبه إلى السماء فقال له أبو يزيد: أتدري من خلق هذا؟ قال: الله قال أبو يزيد: إن من خلقها: لمطلع عليك حيث كنت فاحذره. (حليه الأولياء ٣٥ / ١٠)

عن محمد بن علي الترمذي قال: اجعل مراقبتك: لمن لا يغيب عن نظره إليك واجعل شكرك: لمن لا تنقطع نعمه عنك واجعل خضوعك: لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه. (حليه الأولياء ١٠ / ٢٣٥)
قال ابن المبارك: لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيرها فقال كن أبداً كأنك ترى الله عز وجل. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

وقال عبد الواحد بن زيد: إذا كان سيدي رقيباً على فلا أبالي بغيره. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)
وقال أبو عثمان المغربي: أفضل ما يلزم الإنسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والمراقبة وسياسة عمله بالعلم. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

وقال ابن عطاء أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)
وقال الجريري: أمرنا هذا مبني على أصليين أن تلزم نفسك المراقبة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهرك قائماً وقال أبو عثمان قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكن واعظاً لنفسك وقلبك ولا يغرنك إجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

قال الجنيد: إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل . (الإحياء ٤ / ٣٩٧)
 وعن مالك بن دينار قال جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقت من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها قال يقول الله عز وجل وإنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمتي فراقبوني والذين انثت أصلابهم من خشيتي وعزتي وجلالي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخفتي صرفت عنهم العذاب. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

قال عمرو بن نجد: كان شاه بن شجاع حاد الفراسة وقيل: ما أخطأت فراسته وكان يقول: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وعود نفسه أكل الحلال لم تخطئ له فراسة. (صفه الصفوة ٢ / ٢٧٤)

قال إبراهيم الخواص: المراقبة خلوص السر والعلانية لله عز وجل . (مدارج السالكين ٢ / ٦٦)
 قال سفيان الثوري عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية و عليك بالرجاء ممن يملك الوفاء و عليك بالحدز ممن يملك العقوبة. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٨)

وقال سهل: لم يتزين القلب بشيء أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهدة حيث كان.
 (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٧)

قال حميد الطويل لسليمان بن علي عظمى فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٨)
 وقال فرقد السنجي: إن المنافق ينظر فإذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى. (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٨)

سئل أبا عبد الله الحارث بن أسد عن المراقبة لله وعن المراقب لربه فقال: إن المراقبة تكون على ثلاث خلال على قدر عقل العاقلين ومعرفتهم بربهم يفترون في ذلك فإحدى الثلاث: الخوف من الله والخلة الثانية: الحياء من الله والخلة الثالثة: الحب لله. فأما الخائف: فمراقب بشدة حذر من الله تعالى وغلبة فزع. وأما المستحيي من الله: فمراقب بشدة انكسار وغلبة إخبات. وأما المحب: فمراقب بشدة سرور وغلبة نشاط وسخاء نفس مع إشفاق لا يفارقه. ولن تكاد أن تخلو قلوب المراقبين من ذكر إطلاع الرقيب بشدة حذر من قلوبهم: أن يراهم غافلين عن مراقبته والمراقبة: ثلاث خلال في ثلاثة أحوال أولها:

التثبت بالحذر قبل العمل بما أوجب الله والترك لما نهى الله عنه مخافة الخطأ فإذا تبين له الصواب: بالمبادرة إلى العمل بما أوجب الله، والترك لما نهى الله مخافة التفريط فإذا دخل في العمل: فالتكميل للعمل مخافة التقصير فمن لم يثبت قبل العمل مخافة الخطأ، فغير مراقب لمن يعمل له إذا كان لا يأمن من أن يعمل على غير ما أحب وأمر به ومن لم يبادر ويسارع إلى عمل ما يجب الله بعد ما تبين له الصواب: فما راقب إذا بطأ عن العمل لمحبة من يراقبه إذ يراه متشبهاً عن القيام بما أمر به ومن لم يجتهد في تكميل عمله: فضعيف مقصر في مراقبة من يراقبه: إذا قصر عن إحكام العمل لمن يعمل وقد علم أن الله جل ثناؤه يجب تكميله وإحكامه. وقال: سبع خلال يكمل لها عمل المرید وحكمته: حضور العقل ونفاد الفطنة وسعة العمل بغير غلط وقهر العقل للهوى وعظم الهم: كيف يرضي الرب تعالى؟ والتثبت قبل القول والعمل وشدة الحذر للآفات التي تشوب الطاعات. وأقل المریدین غفلة: أدومهم مراقبة مع تعظيم الرقيب والدليل على صدق المراقبة بإجلال الرقيب: شدة العناية بالفطنة لدواعي العقل من دواعي الهوى والتثبت بالنظر بنور العلم والتميز بين الطاعة وما شابهها من الآفات وقوة العزم على تكميل المراقبة في الخطوة في عين المليك المطلع وشدة الفزع مما يكره خوف المقت. والدليل على قوة الخوف: شدة الإشفاق مما مضى من السيئات: أن لا تغفر وما تقدم من الإحسان: أن لا يقبل ودوام الحذر فيما يستقبل: أن لا يسلم وعظم الهم من عظيم الرغبة وعظيم الرغبة من كبر المعرفة بعظيم قدر المرغوب فيه وإليه. وسمو الهمة: يخفف التعب والنصب ويهون الشدائد في طلب الرضوان ويستقل معه بذل المجهود بعظيم ما ارتفع إليه. الهم والنشاط: بالدوب دائم والسرور بالمناجاة: هائج، والصبر: زمام النفس عن المهالك وإمساك لها على النجاة. فاليقين: راحة للقلوب من هموم الدنيا وكاسب لمنافع الدين كلها؛ وحسن الأدب: زين للعالم وستر للجاهل من قصر أمله: حذر الموت ومن حذر الموت: خاف الفوت ومن خاف الفوت: قطع الشوق ومن قطع الشوق: بادر قبل زوال إمكان الظفر. فاجعل التيقظ واعظك والتثبت وكيلك والحذر منبهك والمعرفة دليلك والعلم قائدك والصبر زمامك والفزع إلى الله عز وجل عونك ومن لم توسعه الدنيا غنى ولا رفعة أهلها شرفاً ولا الفقر فيها صفة فقد ارتفعت همته وعزفت عن الدنيا نفسه من كانت نعمته: السلامة من الآثام ورغب إلى الله في حوادث فوائد لمريد نقل عن الدنيا بقلبه. ومن اشتد تفقده ما يضره في دينه وينفعه في آخرته وذكر اطلاع الله إليه ومثل عظيم هول المطلع وأشفق مما

يأتي به الخير فقد صدق الله في معاملته وحقق استعمال ما عرفه ربه. ومن قدم العزم لله على العمل بمحبته ووفاء لله بعزمه وجانب ما يعترض بقلبه من خطرات السوء ونوازع الفتن فقد حقق ما علم وراقب الله في أحواله. كهف المرید وحرزه التقوى والاستعداد عونته وجنته التي يدفع بها آفات العوارض وسور النوازل والحذر يورثه النجاة والسلامة والصبر يورثه: الرغبة والرغبة وذكر كثرة سوائف الذنوب يورثه شدة الغم وطول الحزن وعظم معرفته بكثرة آفات العوارض في الطاعات تورثه شدة الإشفاق من رد الإحسان. (حليه الأولياء ١٠ / ٩٣ - ٩٥)

قال الغزالي: اعلم أن حقيقة المراقبة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهمم إليه فمن احترز من أمر من الأمور بسبب غيره، يقال إنه يراقب فلانا ويراعي جانبه، ويعني بهذه المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة وتثمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاتة إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه. وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهي العلم بأن الله مطلع على الضمائر، عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كسبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشد من ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقينا أعني أنها خلّت عن الشكّ ثم استولت بعد ذلك على القلب قهرته فربّ علم لا شكّ فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همّه إليه والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين.

(إحياء علوم الدين ٤ / ٣٩٨)

قال ابن الجوزي: الحق عز وجل أقرب إلى عبده من حبل الوريد. لكنّه عامل العبد معاملة الغائب عنه البعيد منه فأمر بقصد نيّته ورفع اليدين إليه والسؤال له. فقلوب الجهّال تستشعر البعد ولذلك تقع منهم المعاصي إذ لو تحققت مراقبتهم للحاضر الناظر لكفوا الأكف عن الخطايا. والمتيقظون علموا قربه فحضرتهم المراقبة وكفتهم عن الانبساط. (صيد الخاطر ٢٣٦)

قال ابن القيم: المراقبة هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه فاستدامته لهذا العلم واليقين بذلك هي المراقبة وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه ناظر إليه سامع لقوله مطلع على عمله ومن راقب الله في خواطره عصمه الله في حركات

جوارحه. (مدارج السالكين ٢/٦٧-٦٨)

قال أحمد بن حنبل: (عيون الأخبار ١/٣٤٧)

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يخلف ما مضى وأن الذي يخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابع ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن يغفر الله ما مضى ويأذن لي في توبة فأتوب

الآثار العملية من حياة السلف:

قال عبد الله بن دينار خرجت مع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه إلى مكة فعرسنا في بعض الطريق فانحدر عليه راع من الجبل فقال له يا راعي بعني شاة من هذه الغنم فقال إني مملوك فقال قل لسيدك أكلها الذئب (اراد عمر ان يختبر الراعي) قال فأين الله قال فبكى عمر رضي الله عنه ثم غدا إلى المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه وقال أعتقتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

(حليه الأولياء ٤ / ٣٩٨)

قال عروة بن الزبير: خطبت إلى عبد الله بن عمر ابنته ونحن في الطواف فسكت ولم يجيني بكلمة فقلت: لو رضي لأجابني والله لا أراجعها فيها بكلمة أبداً فقد رهاً صدر إلى المدينة قبلي ثم قدمت فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وأديت إليه من حقه ما هو أهله فأتيته ورحب بي وقال: متى قدمت؟ فقلت: هذا حين قدومي فقال: أكنت ذكرت لي سودة بنت عبد الله ونحن في الطواف نتخايل الله عز وجل بين أعيننا؟ وكنت قادراً أن تلقاني في غير ذلك الموطن فقلت: كان أمراً قدراً قال: فما رأيك اليوم؟ قلت: أحرص ما كنت عليه قط فدعا ابنه: سالماً وعبد الله فزوجني.

(حليه الأولياء ١ / ٣٠٩)

كان المبارك بن واضح (والد الإمام عبد الله بن المبارك) يعمل أجيراً في بستان فجاء صاحب البستان يوماً وقال له: أريد رماناً حلواً فمضى إلى بعض الشجر وأحضر منها رماناً فكسره فوجده حامضاً فغضب عليه وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلواً فمضى وقطع من شجرة أخرى فلما كسرها وجده أيضاً حامضاً فاشتد غضبه عليه وفعل ذلك مرة ثالثة فذاقه فوجده أيضاً حامضاً فقال له بعد

ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ فقال: لا فقال: وكيف ذلك؟ فقال: لأني ما أكلت منه شيئاً حتى أعرفه فقال: ولم لم تأكل؟ قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه فعجب من ذلك صاحب البستان وسأل عن ذلك فوجده حقاً فعظم المبارك في عينيه وزاد قدره عنده وكانت له بنت خُطبت كثيراً فقال له: يا مبارك من ترى تزوج هذه البنت؟ فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب واليهود للمال والنصارى للجمال وهذه الأمة للدين فأعجبه عقله وذهب فأخبر به أمها وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجاً غير مبارك فتزوجها فجاءت بعبد الله بن المبارك. (وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ / ٣٣)

٦- باب التقوى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ [آل عمران : ١٠٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن : ١٦] . وهذه الآية مبينة للمراد من الأولى . وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب : ٧٠] ، وَالآيَاتُ فِي الْأَمْرِ بِالتَّقْوَى كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ [الطلاق : ٢-٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ [الأنفال : ٢٩] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

٦٩- فَأَلَّوْا : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قَالَ : « أَتْقَاهُمْ » فَقَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ ، قَالَ : « فَيُؤَسِّفُ نَبِيُّ اللَّهِ ابْنَ نَبِيِّ اللَّهِ ابْنَ خَلِيلِ اللَّهِ » . قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسَأَلُكَ ، قَالَ : فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَهُوا « متفقٌ عليه . و « فَقُّهُوا » بِضَمِّ الْقَافِ عَلَى الْمُشْهُورِ ، وَحُكْمِي كَسْرُهَا . أَي : عَلِمُوا أَحْكَامَ الشَّرْعِ .

٧٠- الثَّانِي : عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا . فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ . فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ . فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةٍ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النَّسَاءِ » رواه مسلم .

٧١- الثَّلَاثُ : عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِنْيَ » رواه مسلم .

٧٢- الرَّابِعُ : عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ ثُمَّ رَأَى أَنْتَقَى اللَّهُ مِنْهَا فَلَْيَأْتِ التَّقْوَى » رواه مسلم

٧٣- الْخَامِسُ : عَنْ أَبِي أَمَامَةَ صُدَيْيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقَالَ : « اتَّقُوا اللَّهَ ، وَصَلُّوا حَسْبَكُمْ ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ ، وَأَطِيعُوا أَمْرَاءَكُمْ ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ » رواه الترمذی ، في آخر كتاب الصلاة وقال : حديث حسن صحيح .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال مقاتل بن حيان : كان بين الأوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فأصلح بينهم فافتخر بعده منهم رجلان: ثعلبة بن غنم من الأوس وأسعد بن زرارة من الخزرج فقال الأوسي : منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن أفلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز (لموته) عرش الرحمن ورضي الله بحكمه في بني قريظة . وقال الخزرجي : منا أربعة أحكموا القرآن : أبي بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد ، ومنا سعد بن عبادة خطيب الأنصار ورئيسهم ، فجرى الحديث بينهما فغضبا وأنشدا الأشعار وتفاخرا ، فجاء الأوس والخزرج ومعهم السلاح فأتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته). (تفسير البغوي ٧٧/٢)

قال سعيد بن جبیر : لما نزلت : اتقوا الله حق تقاته (آل عمران ١٠٢) اشتد على القوم العمل ، فقاموا حتى ورمت عراقبيهم ، وتقرحت جباههم؛ فأنزل الله تخفيفا على المسلمين: فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الآية الأولى. عن قتادة في قوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم قال : هي رخصة من الله، كان قد أنزل في سورة آل عمران : اتقوا الله حق تقاته وحق تقاته أن يطاع فلا يعصى، ثم خفف عن عباده فأنزل الرخصة : فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا قال : والسمع والطاعة فيما استطعت يابن آدم، عليها بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه؛ على السمع والطاعة فيما استطاعوا. (الدر المنثور ١٤/٥٢٢)

عن مجاهد (: وقولوا قولا سديدا) يقول : سدادا . عن الكلبي (: وقولوا قولا سديدا) قال : صدقا .

عن قتادة قوله: (اتقوا الله وقولوا قولا سديدا) أي: عدلا قال قتادة: يعني به في منطقه وفي عمله كله والسديد الصدق. (تفسير الطبري ٢٠ / ٣٣٦)

وقال ابن عباس: أي صوابا. وقال عكرمة وابن عباس أيضا: القول السداد لا إله إلا الله. (تفسير القرطبي ١٤ / ٢٢٩)

وعن ابن عباس أيضا يجعل له مخرجا ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة. وقيل: المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه؛ قاله علي بن صالح. وقال الكلبي: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة. يجعل له مخرجا من النار إلى الجنة. وقال الحسن: مخرجا مما نهى الله عنه. وقال أبو العالية: مخرجا من كل شدة. الربيع بن خيثم: يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس. الحسين بن الفضل: ومن يتق الله في أداء الفرائض، يجعل له مخرجا من العقوبة. (تفسير القرطبي ١٨ / ١٤٩)

نزلت الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أن المشركين أسروا ابنا له، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الفاقة، وقال: إن العدو أسر ابني وجزعت الأم، فما تأمري؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله واصبر، وأمرك وإياها أن تستكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فعاد إلى بيته وقال لامرأته: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني وإياك أن نستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقالت: نعم ما أمرنا به، فجعلنا يقولان، فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمهم وجاء بها إلى أبيه وهي أربعة آلاف شاة. فنزلت هذه الآية. (تفسير القرطبي ١٨ / ١٥٠)

قال ابن عباس والسدي ومجاهد وعكرمة والضحاك وقاتل بن حيان: (فرقانا): مخرجا. زاد مجاهد: في الدنيا والآخرة. وقال محمد بن إسحاق: (فرقانا) أي: فصلا بين الحق والباطل. (تفسير بن كثير ٤ / ٤٣)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، إن تتقوا الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وترك خيائته وخيانة رسوله وخيانة أماناتكم. يجعل لكم فرقانا. يقول: يجعل لكم فصلا وفرقا بين حقكم وباطل من يبيغكم السوء من أعدائكم المشركين، بنصره إياكم عليهم، وإعطائكم الظفر بهم " ويكفر عنكم سيئاتكم " ، يقول: ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم بينكم

وبينه " ويغفر لكم " ، يقول : ويغطيها فيسترها عليكم ، فلا يؤاخذكم بها " والله ذو الفضل العظيم " ، يقول : والله الذي يفعل ذلك بكم ، له الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه بفعله ذلك وفعل أمثاله . وإن فعله جزاء منه لعبده على طاعته إياه ، لأنه الموفق عبده لطاعته التي اكتسبها ، حتى استحق من ربه الجزاء الذي وعده عليها . (تفسير الطبري ١٣ / ٤٨٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول في خطبته : أما بعد فإني أوصيكم بتقوى الله وأن تشنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرغبة وتجمعوا الإلحاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقال: (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) (الأنبياء ٩٠) . ولما حضرته الوفاة وعهد إلى عمر دعاه فوصاه بوصيته وأول ما قال له : اتق الله يا عمر .

(جامع العلوم والحكم ٤٠٦)

وكتب عمر إلى ابنه عبد الله: أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك . (جامع العلوم والحكم ٤٠٦) واستعمل علي بن أبي طالب رجلا على سرية فقال له : أوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك دونه وهو يملك الدنيا والآخرة . (جامع العلوم والحكم ٤٠٦)

وقال ابن عباس : المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به . (جامع العلوم والحكم ٤٠٠)

قال أبي الدرداء : تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام فإن الله قد بين للعباد الذي يصيرهم إليه فقال : (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) (الزلزلة ٧-٨) فلا تحقرن شيئا من الخير أن تفعله ولا شيئا من الشر أن تتقيه . (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

قال أبو الدرداء : ليتق أحدكم أن تلعهن قلوب المؤمنين وهو لا يشعر يخلو بمعاصي الله فيلقي الله له البغض في قلوب المؤمنين . (جامع العلوم والحكم ٤١١)

وقال ابن مسعود في قوله تعالى: (اتقوا الله حق تقاته) (آل عمران ١٠٢) قال : أن يطاع فلا يعصى وأن يذكر فلا ينسى وأن يشكر فلا يكفر . (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

قال ابوهريرة: وسئل عن التقوى فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك؟ قال: نعم قال: فكيف صنعت؟ قال إذا رأيت الشوك عدلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه قال: ذاك التقوى. (جامع العلوم والحكم ٤٠٢)

قال معاذ بن جبل: ينادى يوم القيامة أين المتقون؟ فيقومون في كنف من الرحمن لا يحتجب منهم ولا يستتر قالوا له: من المتقون؟ قال: قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله بالعبادة. (جامع العلوم والحكم ٤٠٠)

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجل: أوصيك بتقوى الله عز وجل التي لا يقبل غيرها ولا يرحم إلا أهلها ولا يثيب إلا عليها فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل جعلنا الله وإياك من المتقين. ولما ولى خطب فحمد الله وأثنى عليه وقال: أوصيكم بتقوى الله عز وجل فإن تقوى الله عز وجل خلف من كل شيء وليس من تقوى الله خلف. (جامع العلوم والحكم ٤٠٦)

وقال عمر بن عبد العزيز: ليس تقوى الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله فمن رزق بعد ذلك خيرا فهو خير إلى خير. (جامع العلوم والحكم ٤٠٠)

قال طلق بن حبيب رحمه الله: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله تخاف عقاب الله. (جامع العلوم والحكم ٤٠٠)

قال رجل ليونس بن عبيد: أوصني فقال: أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. (جامع العلوم والحكم لابن رجب ٤٠٦)

عن داود الطائي قال: ما أخرج الله عبدا من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلا أغناه بلا مال وأعزه بلا عشيرة وآنسه بلا أنيس. (الزهد الكبير للبيهقي رقم الحديث ٩٠٧)

وكتب ابن السماك الواعظ إلى أخ له: أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سيرتك ورقيبك في علانيتك فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك وخف الله بقدر قربه منك وقدرته عليك واعلم أنك بعينه ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره فليعظم منه حذرک وليكثر منه وجلک والسلام. (جامع العلوم والحكم ٤٠٨)

وقال أبو الجلد: أوحى الله تعالى إلى نبي من الأنبياء: قل لقومك: ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي

وتظهرونها لي إن كنتم ترون أني لا أراكم فأنتم مشركون بي وإن كنتم ترون أني أراكم فلم جعلتموني أهون الناظرين إليكم؟ (جامع العلوم والحكم ٤٠٨)

قال وهيب بن الورد: خف الله على قدر قدرته عليك واستحي منه على قدر قربه منك وقال له رجل: عطني فقال له اتق الله أن يكون أهون الناظرين إليك. (جامع العلوم والحكم ٤٠٨)

قال الحسن البصري: يا ابن آدم عملك عملك فإنها هو لحملك ودمك فانظر على أي حال تلقى عملك؟ إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها صدق الحديث والوفاء بالعهد وصلة الرحم ورحمة الضعفاء وقلة الفخر والخيلاء وبذل المعروف وقلة المباهاة للناس وحسن الخلق وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل يا ابن آدم إنك ناظر إلى عملك يوزن خيره وشره فلا تحقرن من الخير شيئاً وإن هو صغر فإنك إذا رأيت: سرك مكانه ولا تحقرن من الشر شيئاً فإنك إذا رأيت: ساءك مكانه فرحم الله رجلاً: كسب طيباً وأنفق قصداً وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقته هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحالتي مآها وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم وقد أسرع بخياركم فما تنتظرون المعاينة فكأن قد إنه لا كتاب بعد كتابكم ولا نبي بعد نبيكم يا ابن آدم بع دنياك بأخرتك تريحهما جميعاً ولا تبعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. (حليه الأولياء ١٤٣/٢)

وقال الحسن: المتقون اتقوا ما حرم الله عليهم وأدوا ما افترض عليهم. (جامع العلوم والحكم ٤٠٠)

وقال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام. (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

وقال الثوري: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتيقن. (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

قال موسى بن أعين: المتقون تنزهوا عن أشياء من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام فسماهم الله متقين. (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

وقال ميمون بن مهران: المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه. (جامع العلوم والحكم ٤٠١)

قال عون بن عبد الله: تمام التقوى أن تبغى علم ما لم يعلم منها إلى ما علم منها. (جامع العلوم والحكم ٤٠٢)

قال الشافعي: أعز الأشياء ثلاثة الجود من قلة والورع في خلوة وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف.

(جامع العلوم والحكم ٤٠٨)

رأى محمد بن المنكدر رجلاً واقفاً مع امرأة يكلمها فقال: إن الله يراكم سترنا الله وإياكم.

(جامع العلوم والحكم ٤٠٩)

وقال الحارث المحاسبي: المراقبة علم القلب بقرب الرب . وسئل الجنيد بم يستعان على غض البصر قال بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظره. (جامع العلوم والحكم ٤٠٩)

وقال سليمان التيمي: إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبح وعليه مذلته. (جامع العلوم والحكم ٤١١)
وكان ابن السماك ينشد ويقول: (جامع العلوم والحكم ٤١٠)

يا مدمن الذنب أما تستحيي والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله وستره طول مساويكا

الآثار العملية في حياة السلف:

قال ابن كثير: قال بعض السلف: لقد رأينا بعض أولاد عمر بن عبدالعزيز يحمل على ثمانين فرسا في سبيل الله وكان بعض أولاد سليمان بن عبد الملك مع كثرة ما ترك لهم من الأموال يتعاطى ويسأل من أولاد عمر ابن عبدالعزيز لأن عمر وكل ولده إلى الله عز وجل وسليمان وغيره إنما يكلون أولادهم إلى ما يتركون لهم فيضيعون وتذهب أموالهم في شهوات أولادهم. (البدايه والنهايه ٢١٨/٩)

قال أبي جعفر السائح: كان حبيب أبو محمد تاجرا يكرى الدراهم فمر ذات يوم فإذا هو بصبيان يلعبون فقال بعضهم لبعض: قد جاء آكل الربا فنكس رأسه وقال: يا رب أفشيت سري إلى الصبيان فرجع فجمع ماله كله وقال: يا رب إني أسير وإني قد اشتريت نفسي منك بهذا المال فأعتقني فلما أصبح تصدق بالمال كله وأخذ في العبادة ثم مر ذات يوم بأولئك الصبيان فلما رأوه قال بعضهم لبعض: اسكتوا فقد جاء حبيب العابد فبكى وقال: يا رب أنت تدم مرة وتحمد مرة وكله من عندك.

(جامع العلوم والحكم ٤١١)

قاضي مكة عبيد بن عمير: كانت امرأة جميلة بمكة وكان لها زوج، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرأة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم. قالت: مَنْ؟ قال: عبيد بن عمير، قالت: فائذن لي فيه فلافتننه، قال: قد أذنت لك. فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية في المسجد الحرام فأسفرت عن وجهه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله استتري فقالت: إني قد فتننت بك. قال: إني سائلك عن شيء فإن أنت صدقتيني نظرت في أمرك. قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك. قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا.

قال: صدقت. قال: فلو أدخلت قبرك وأجلست للمسألة أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أناخذين كتابك بيمينك أم بشمالك أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو أردت الممر على الصراط، ولا تدرين هل تنجين أو لا تنجين، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا. قال: صدقت. قال: اتقي الله، فقد أنعم عليك وأحسن إليك. قال: فرجعت إلى زوجها. فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطلٌ ونحن بطالون. فأقبلت على الصلاة والصوم والعبادة فكان زوجها يقول: مالي ولعبيد بن عمير أفسد علي امرأتي كانت في كل ليلة عروسًا فصيرها راهبة. (روضة المحيين ٣٤٠)

٧- بابُ اليقين والتوكُّل

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا [الأحزاب : ٢٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ لَم يَمَسُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ [آل عمران : ١٧٣ - ١٧٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ [الفرقان : ٥٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ [إبراهيم : ١١] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ [آل عمران : ١٥٩] ، والآيات في الأمر بالتوكُّل كثيرةٌ معلومةٌ . وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ [الطلاق : ٣] : أَي كَافِيهِ . وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [الأنفال : ٢] ، والآيات في فضل التوكُّل كثيرةٌ معروفةٌ .

وأما الأحاديث:

٧٤- فالأوَّلُ : عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهِيظُ وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيَّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ إِذْ رُفِعَ لِي سِوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى

الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لي انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي : هذه أمثلك ، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب « ثم نهض فدخل منزله ، فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ، فلم يشرِكوا بالله شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « ما الذي تخوضون فيه ؟ » فأخبروه فقال : « هم الذين لا يرقون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ، فقال : « أنت منهم » ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم فقال : « سبقت بها عكاشة » متفق عليه . « الرهيط بضم الراء : تصغير رَهط ، وهم دون عشرة أنفس . « والأفق » : الناحية والجانب . « وعكاشة » بضم العين وتشديد الكاف ويتخفيفها ، والتشديد أفصح .

٧٥- الثاني : عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، و عليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت . اللهم أعوذ بعزتك ، لا إله إلا أنت أن تُضلني أنت الحي الذي لا تموت والجن والإنس يموتون » متفق عليه . وهذا لفظ مسلم واختصره البخاري .

٧٦- الثالث : عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً قال : « حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا : « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل » رواه البخاري . وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « كان آخر قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقى في النار « حسبنا الله ونعم الوكيل » .

٧٧- الرابع : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة أفوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير » رواه مسلم . قيل معناه متوكلون ، وقيل قلوبهم رقيقة .

٧٨- الخامس : عن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قتل

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُمْ ، فَأَذْرَكْتَهُمُ الْقَائِلَةَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاءِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمْرَةٍ ، فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ ، وَنَمَنَا نَوْمَةً ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا ، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : « إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَاسْتَيْقِظْتُ وَهُوَ فِي يَدِي صَلْتًا ، قَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللهُ ثَلَاثًا » وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ . متفقٌ عليه . وفي رواية : قَالَ جَابِرٌ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَاتِ الرَّقَاعِ ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ ، فَاخْتَرَطَهُ فَقَالَ : تَخَافُنِي ؟ قَالَ : « لَا » قَالَ : فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : « اللهُ » .

وفي رواية أبي بكرِ الإسماعيلي في صحيحه : قال من يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قَالَ : « اللهُ » قال : فسقطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السَّيْفَ فَقَالَ : « مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ » فَقَالَ : كُنْ خَيْرَ آخِذٍ ، فَقَالَ : « تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنْي رَسُولُ اللهِ ؟ » قَالَ : لَا ، وَلَكِنِّي أَعَاهِدُكَ أَنْ لَا أَقَاتِلَكَ ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يِقَاتِلُونَكَ ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ فَقَالَ : جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ . قَوْلُهُ : « قَفَلَ » أَي : رَجَعَ . وَ « الْعِضَاءُ » الشَّجَرُ الَّذِي لَهُ شَوْكٌ . وَ « السَّمْرَةُ » بِنْفَحِ السَّيْنِ وَضَمِّ الْمِيمِ : الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْحِ ، وَهِيَ الْعِظَامُ مِنْ شَجَرِ الْعِضَاءِ . وَ « اخْتَرَطَ السَّيْفُ » أَي : سَلَّهُ وَهُوَ فِي يَدِهِ . « صَلْتًا » أَي : مَسْلُولًا ، وَهُوَ بِنْفَحِ الصَّادِ وَضَمِّهَا .

٧٩- السَّادِسُ : عَنْ عَمْرِو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا » رواه الترمذي ، وقال : حديثٌ حسنٌ . معناه تَذَهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصًا : أَي ضَامِرَةَ الْبُطُونِ مِنَ الْجُوعِ ، وَتَرْجِعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَانًا : أَي مُتَمَلِّئَةَ الْبُطُونِ

٨٠- السَّابِعُ : عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا فُلَانُ إِذَا أُوْتِيَ إِلَيَّ فِرَاشِكَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ . رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا

إِيَّاكَ ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَيَّ الْفِطْرَةَ ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصْبَحْتَ خَيْرًا » متفقٌ عليه . وفي رواية في الصحيحين عن البراء قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَيَّ شِقِّكَ الْإَيْمَنِ وَقُلْ : وَذَكَرْ نَحْوَهُ ثُمَّ قَالَ وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » .

٨١- الثَّامِنُ : عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ الْقُرَشِيِّ التَّيْمِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَهُوَ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ صَحَابَةٌ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الْغَارِ وَهُمْ عَلَيَّ رُؤُوسَنَا فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ نَحْتِ قَدَمِيهِ لَأَبْصَرْنَا فَقَالَ : « مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بَاتْنِيْنِ اللهُ ثَالِثَهُمَا » متفقٌ عليه

٨٢- التَّاسِعُ : عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ الْمَخْزُومِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ : « بِسْمِ اللهِ ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بإسنادٍ صحيحةٍ . قَالَ التِّرْمِذِيُّ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، وَهَذَا لَفْظُ أَبِي دَاوُدَ .

٨٣- الْعَاشِرُ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ قَالَ يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ : بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ يُقَالُ لَهُ هُدَيْتَ وَكُفَيْتَ وَوُقِيْتَ ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ » رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم : وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ زاد أبو داود : « فيقول : يعنني الشيطان ليشيطان آخر : كيف لك برجلٍ قد هدي وكفي ووقى ؟ » .

٨٤- وَعَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ أَخْوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْآخَرُ يَخْتَرِفُ ، فَشَكَا الْمُخْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « لَعَلَّكَ تُرَزِّقُ بِهِ » رواه الترمذي بإسنادٍ صحيحٍ على شرط مسلم . « يَخْتَرِفُ » :

يَكْتَسِبُ وَيَتَسَبَّبُ

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن كثير بن عبد الله بن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الأحزاب فقال : أخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها يعني قصور الحيرة ومدائن كسرى فأبشروا بالنصر) فاستبشر المسلمون وقالوا : الحمد لله موعد صادق إذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية . (تفسير الماوردي ٤ / ٣٨٩)

عن ابن عباس : ولما رأى المؤمنون الأحزاب إلى آخر الآية . قال : إن الله قال لهم : أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء (البقرة ٢١٤) . فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله . فتأول المؤمنون ذلك فلم يزددهم إلا إيماناً وتسليماً عن الحسن في قوله : وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً قال : ما زادهم البلاء إلا إيماناً بالرب وتسليماً للقضاء . (تفسير الدر المنثور ١١ / ٧٦٣)

قال السدي : لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه للمسير إلى بدر الصغرى لميعاد أبي سفيان أتاها المنافقون وقالوا : نحن أصحابكم الذين نهيناكم عن الخروج إليهم وعصيتونا ، وقد قاتلوكم في دياركم وظفروا ؛ فإن أتيتموهم في ديارهم فلا يرجع منكم أحد . فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل . وقال أبو معشر : دخل ناس من هذيل من أهل تهامة المدينة ، فسألهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي سفيان فقالوا : قد جمعوا لكم جموعاً كثيرة فآخشوهم أي فآخفوهم واحذروهم ؛ فإنه لا طاقة لكم بهم . فالناس على هذه الأقوال على بابه من الجمع ، والله أعلم . (تفسير القرطبي ٤ / ٢٦٣)

قال السدي : لما ندم أبو سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا : ارجعوا فاستأصلوهم ، فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا ، فلقوا أعرابياً فجعلوا له جعلاً ، فقالوا له : إن لقيت محمداً وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم ، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الأسد ، فلقوا الأعرابي في الطريق فأخبرهم الخبر ، فقالوا : حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الأسد ، فأنزل الله فيهم وفي الأعرابي الذي لقيهم : الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم الآية . (تفسير الدر المنثور ٤ / ١٤٣)

عن ابن عباس في قوله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل . قال : النعمة أنهم سلموا ، والفضل أن عيرا

مرت وكان في أيام الموسم فاشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم فريح مالا فقسمه بين أصحابه. قال السدي : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه يعني : حين خرج إلى غزوة بدر الصغرى ببدر دراهم ابتاعوا بها من موسم بدر فأصابوا تجارة، فذلك قول الله : فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء قال: أما النعمة فهي العافية وأما الفضل فالتجارة، والسوء القتل. (الدر المنثور ٤ / ١٤٨) عن ابن عباس في قوله : لم يمسسهم سوء قال : لم يؤذهم أحد . واتبعوا رضوان الله قال : أطاعوا الله ورسوله. (تفسير الدر المنثور ٤ / ١٤٩)

عن عقبة بن أبي زينب قال : مكتوب في التوراة : لا تتوكل على ابن آدم، فإن ابن آدم ليس له قوام، ولكن توكل على الحي الذي لا يموت. (تفسير الدر المنثور)

وقال الكلبي: هو أولى بنا من أنفسنا في الموت والحياة (وعلى الله فليتوكل المؤمنون). (البغوى ٤ / ٥٧) عن ابن إسحاق : فإذا عزم فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين . فإذا عزم . أي : على أمر جاءك مني أو أمر من دينك في جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم إلا ذلك ، فامض على ما أمرت به ، على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله ، أي : ارض به من العباد إن الله يحب المتوكلين. عن قتادة قوله : فإذا عزم فتوكل على الله ، أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمر أن يمضي فيه ، ويستقيم على أمر الله ، ويتوكل على الله . (تفسير الطبرى ٧ / ٣٤٦)

وقال عبد الله بن رافع : لما نزل قوله تعالى : ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فنحن إذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا ولا نحفظه ؛ فنزلت : إن الله بالغ أمره فيكم وعليكم . وقال الربيع بن خيثم : إن الله تعالى قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ، ومن أقرضه جازاه ، ومن وثق به نجاه ، ومن دعاه أجاب له . وتصديق ذلك في كتاب الله : ومن يؤمن بالله يهد قلبه . ومن يتوكل على الله فهو حسبه . إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم . ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم . وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان .

(تفسير القرطبي ١٢ / ١٥١)

عن ابن مسعود في قوله : ومن يتوكل على الله فهو حسبه قال : ليس المتوكل الذي يقول : يقضي حاجتي، وليس كل من توكل على الله كفاه ما أهمه، ودفع عنه ما يكره، وقضى حاجته، ولكن الله جعل

فضل من توكل على من لم يتوكل أن يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا. عن وهب قال : يقول الرب تبارك وتعالى : وإذا توكل علي عبدي لو كادته السماوات والأرض جعلت له من بين ذلك المخرج.

(تفسير الدر المنثور ١٤ / ٥٤٨)

عن ابن عباس قال : أوحى الله إلى عيسى : اجعلني من نفسك لهمك، واجعلني ذخرا لمعادك، وتوكل عليأكفك ولا تولى غيري فأخذلك. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٥٤٩)

عن ابن عباس قوله: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ، ولا يتوكلون ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه. (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) يقول : تصديقا (وعلى ربهم يتوكلون) يقول: لا يرجون غيره. وقال مجاهد: (وجلت قلوبهم) فرقت أي : فرغت وخافت. (تفسير بن كثير ٤ / ١٢)

قالت أم الدرداء : إنما الوجل في القلب كاحتراق السعفة . يا شهر أما تجد قشعريرة؟ قلت : بلى قالت : فادع عندها فإن الدعاء يستجاب عند ذلك. عن ابن عباس في قوله : زادتهم إيمانا قال : تصديقا . عن الربيع بن أنس في قوله : زادتهم إيمانا قال : زادتهم خشية. (تفسير الدر المنثور ٧ / ٢٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان من دعاء أبي بكر: اللهم هب لي إيمانا و يقينا ومعافاة ونية. (اليقين لابن ابي الدنيا ٧ / ١)
عن معاوية بن قرة: أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقي ناسا من أهل اليمن فقال : من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. فقال: بل أنتم المتكلمون إنما المتوكل الذي يلقي الحبه في الأرض ويتوكل على الله. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ١٤٠)

قال على بن ابي طالب : يا أيها الناس توكلوا على الله وثقوا به فإنه يكفي ممن سواه.

(التوكل لابن ابي الدنيا ١ / ٤٩)

وقال ايضا : اليقين على أربع شعب : على غائص الفهم وغمرة العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم فمن فهم فسر جميل العلم ومن فسر جميل العلم عرف شرائع الحكم ومن عرف شرائع الحكم حلم ولم يفرط في أمره وعاش في الناس. (اليقين لابن ابي الدنيا ٥)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه للحسن بن علي رضي الله عنه. كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع قال: اليقين ما رأته عينك والإيمان ما سمعته أذنك وصدقت به فقال: أشهد أنك ممن أنت منه ذرية بعضها من بعض. (اليقين لابن أبي الدنيا ٥٢)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: اليقين أن لا تُرضى الناس بسخط الله ولا تحسد أحداً على رزق الله ولا تلم أحداً على ما لم يؤت الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره فإن الله بقسطه وعلمه وحكمته جعل الروح والفرح في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن في السخط والشك. (اليقين لابن أبي الدنيا ٤٧)

كان عبد الله بن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدني إيماناً و يقيناً وفهماً أو قال: وعلماً. (المعجم الكبير ١٠٥/٩) قال عمار بن ياسر يقول: كفى بالموت واعظاً وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلاً. (الزهد لآحمد ١٧٦) قال الحسن: من علامات المسلم: قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وحلم في علم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجميل في فاقة وإحسان في قدرة وطاعة معها نصيحة وتورع في رغبة وتعفف في جهد وصبر في شدة لا ترده رغبته ولا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا يغلبه فرجه ولا يمليه هواه ولا يفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته. (اليقين لابن أبي الدنيا رقم ٣٤) قال الحسن: يا ابن آدم إن من ضعف يقينك أن تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله تعالى. (حليه الأولياء ١٦٥/٣)

سئل الحسن رحمه الله عن التوكل فقال: الرضا عن الله. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١/١٤٤) قال الحسن البصري: باليقين طُلبت الجنة وباليقين هُرب من النار وباليقين أوتيت الفرائض وباليقين صبر على الحق وفي معافاة الله خير كثير قد والله رأيناهم يتقاربون في العافية فلما نزل البلاء تفارقوا. (اليقين لابن أبي الدنيا ١/١٤)

يقول الحسن: للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر وصمته تفكير ونظرته عبرة وعلمه بر وقال: العبد لا يستحق اليقين حتى يقطع كل سبب بينه وبين العرش إلى الثرى حتى يكون الله عز وجل مراده ويؤثر الله على كل ما سواه. (حليه الأولياء ١٠/٢١٧)

قال الحسن: العز والغنى يجولان في طلب التوكل فإذا ظفرا أو طنا. (التوكل على الله لابن أبي الدنيا ١/٥٢)

وقال ايضا: ما أيقين عبد بالجنة حق يقينها إلا خشع ووجل وذل واستقام واقتصر حتى يأتيه الموت.
(اليقين لابن ابي الدنيا ٣٨)

قال سفيان الثوري: لو أن اليقين استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحاً وحنناً شوقاً إلى الجنة أو خوفاً من النار. (حليه الأولياء ١٧/٧)

قال سفيان الثوري: اليقين: أن لا تتهم مولاك في كل ما أصابك. (حليه الأولياء ٩/٧)

قال أبو حازم رحمه الله: كيف أخاف الفقر ولمولاي ما في السموات وما في الأرض وما فيها وما تحت الثرى. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٢/٢٦٩)

عن سعيد بن جبير قال: التوكل على الله جماع الإيمان وكان يدعو: اللهم إني أسألك صدقَ التوكلُ عليك وحسن الظن بك. (السير (تهذيبه) ٢/٥٠٥)

قال عبید الله بن محمد بن يزيد بن حبیش: سمعت أبي يذكر: أنه بلغه عن أبي حازم أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم أما ترى قد غلا السعر؟ فقال: وما يغمكم من ذلك؟ إن الذي يرزقنا في الرخص هو الذي يرزقنا في الغلاء. (حليه الأولياء ٣/٢٣٩)

قال ميمون بن مهران: يقول أحدهم: أجلس في بيتك واغلق عليك بابك وانظر: هل يأتيك رزقك؟ نعم والله لو كان له مثل يقين مريم وإبراهيم عليهما السلام وأغلق بابه وأرعى عليه ستره.
(حليه الأولياء ٤/٨٧)

كان داود الطائي يقول: كفى باليقين زهداً وكفى بالعلم عبادة وكفى بالعبادة شغلاً. (الحليه ٧/٣٤٣)
قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: العيال يضعفون يقين الرجل إنه إذا كان وحده فجاع: قنع وإذا كان له عيال: طلب لهم وإذا جاع الطالب: فقد ضعف اليقين. (الحليه ٩/٢٦٠)
قال: سهل بن عبد الله أركان الدين أربعة: الصدق واليقين والرضا والحب فعلاصة الصدق: الصبر وعلاصة اليقين: النصيحة وعلاصة الرضا: ترك الخلاف وعلاصة الإيثار والصبر يشهد للصدق.

(حليه الأولياء ١٠/١٩١-١٩٢)

جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: علمني شيئاً ينفعني الله به قال: أكثر من ذكر الموت وأقصر أملك وخصلة ثالثة إن أنت أصبتها بلغت الغاية القصوى وظفرت بالعبادة قال: ما هي؟ قال: التوكل.

(التوكل لابن ابي الدنيا حديث ٥٧)

قال أبو سعيد الخراز: العلم ما استعملك واليقين ما حملك سماء مركبا يركبه السائر إلى الله فإنه لولا اليقين ما سار ركب إلى الله ولا ثبت لأحد قدم في السلوك إلا به. (مدارج السالكين ٢ / ٤٠١)

قال أبو السري الباهلي: كان يقال: الاهتمام بالعمل يورث الفكرة والفكرة تورث العبرة والعبرة تورث الحزم والحزم يورث العزم والعزم يورث اليقين واليقين يورث الغنى والغنى يورث الحب والحب يورث اللقاء. (اليقين لابن ابي الدنيا حديث رقم ١٢)

قال المغيرة بن حبيب: رأى رجل عبد الله بن غالب فيما يرى النائم قال: يا أبا فراس ما صنعت؟ قال: خير الصنع قال: لإلام صرت؟ قال: إلى الجنة قال: ثم قال: بحسن اليقين وطول التهجد.

(اليقين لابن ابي الدنيا ١ / ١٨)

كان عطاء الخراساني لا يقوم من مجلسه حتى يقول: اللهم هب لنا يقينا بك حتى تهون علينا مصيبات الدنيا وحتى نعلم أنه لا يصيبنا إلا ما كتب لنا علينا ولا يأتينا من هذا الرزق إلا قسمت به.

(جامع العلوم والحكم ٢٩٠)

محمد بن أبي عمران قال: سمعت حاتماً الأصم وسأله رجل على ما بنيت أمرك هذا في التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت به نفسي وعلمت أن عملي لا يعمله غيري فأنا مشغول به وعلمت أن الموت يأتيني بغتة فأنا أبادره وعلمت أني لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستحي منه. (صفه الصفوة ٤ / ٣٩١)

قال مكحول رحمه الله: الجنين في بطن أمه لا يطلب ولا يجزن ولا يغتم فيأتيه الله برزقه من قبل سرته وغذاؤه في بطن أمه من دم حيضها فمن ثم لا تَحِيضُ الحامل، فإذا سقط استهل استهلاله إنكاراً لمكانه وقطعت سرته وحول الله رزقه إلى ثدي أمه ثم حوله إلى الشيء يصنع له ويتناوله بكفه حتى إذا اشتد وعقل قال: أين لي بالرزق! يا ويحك! أنت في بطن أمك وفي حجرها ترزق حتى إذا عقلت وشببت قلت: هو الموت أو القتل وأين لي بالرزق! ثم قرأ: (يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيصُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) (الرعد ٨). (عيون الأخبار لابن قتيبة ٢ / ٣٧٠)

عن الشعبي قال: تجالس شتير ومسروق رحمهما الله فقال شتير: عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول:

إن أشد آية في القرآن تفويضًا (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (الطلاق: ٣) فقال مسروق: صدقت.
(موسوعة ابن أبي الدنيا ١/١٦٢)

قال المروزي: قيل لأبي عبد الله رحمه الله: أي شيء صدق التوكل على الله؟ قال: أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً.
(جامع العلوم والحكم ٥٧٠)

عن المغيرة بن عباد قال: قيل لبعض الرهبان: من المتوكل؟ قال: من لم يسخط حكم الله عز وجل على كره أو محبة. (التوكل على الله لابن أبي الدنيا ٥٥)

قال شقيق بن إبراهيم: من أراد أن يعرف معرفته بالله فليُنظر إلى ما وعده الله ووعدته الناس بأيها قلبه أوثق. (حليه الأولياء ٨/٦٤)

قال أبي عبد الله الساجي: من وثق بالله، فقد أحرز قوته ومن حي قلبه فقد لقي الله ولا يشك في نظره.
(حليه الأولياء ٩/٣١٠)

عن أبي سليمان الداراني قال: من وثق بالله في رزقه: زاد في حسن خلقه وأعقبه الحلم، وسخت نفسه في نفقته، وقلت وساوسه في صلاته. (حليه الأولياء ٩/٢٥٧)

قيل لأبي حازم سلمة بن دينار: يا أبا حازم، ما مالك؟ قال: ثقني بالله تعالى وإياسي مما في أيدي الناس.
(حليه الأولياء ٣/٢٣٢)

قال أبي أسامة: وصل إلى عون بن عبد الله أكثر من عشرين ألف درهم، فتصدق بها فقال له أصحابه: لو اعتقدت عقدة لولدك فقال: اعتقدتها لنفسي واعتقدت الله لولدي قال أبو أسامة: فلم يكن في المسعوديين أحسن حالاً من ولد عون بن عبد الله. (حليه الأولياء ٤/٢٤٢)

قال أبو بكر الوراق: اليقين ملاك القلب وبه كمال الإيمان وباليقين عرف الله وبالعقل عقل عن الله. (مدارج السالكين ٢/٣٩٩)

قال السري: اليقين سكونك عند جولان الموارد في صدرك لتيقنك أن حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيا. (مدارج السالكين ٢/٣٩٩)

قال شقيق البلخي: من عمل بثلاث خصال أعطاه الله الجنة أولها: معرفة الله عز وجل بقلبه ولسانه

جوارحه والثاني: أن يكون بما في يد الله أوثق مما في يديه والثالث: يرضى بما قسم الله له وهو مستيقن أن الله تعالى مطلع عليه ولا يحرك شيئاً من جوارحه إلا بإقامة الحجة عند الله فذلك حق المعرفة وتفسير الثقة بالله: أن لا تسعى في طمع ولا تتكلم في طمع ولا ترجو دون الله سواء ولا تخاف دون الله سواء ولا تخشى من شيء سواء ولا يحرك من جوارحه شيئاً دون الله يعني: في طاعته واجتناب معصيته قال: وتفسير الرضى على أربع خصال أولها: أمن من الفقر والثاني: حب القلة والثالث: خوف الضمان قال: وتفسير الضمان: أن لا يخاف إذا وقع في يده شيء من أمر الدنيا: أن يقيم حجته بين يدي الله في أخذه وإعطائه على أي الوجوه كان. (حليه الأولياء ٨ / ٦١)

قال خالد بن معدان: تعلموا اليقين كما تعلمون القرآن حتى تعرفوه فإني أتعلمه. (اليقين لابن ابي الدنيا ٣٤) سئل عبد الله بن داود عن التوكل؟ فقال: أرى التوكل حسن الظن. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ١٥١) قال مسلم بن يسار: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتبه الله عز وجل له. (الحلية (تهذيبه) ١ / ٣٩٤)

عن زبيد قال عبد الله: إن الروح والفرج في اليقين والرضا وإن الغم والحزن من الشك والسخط وقال يعلى: الروح والفرج. (اليقين لابن ابي الدنيا ٢٣)

قال ابن القيم: متى وصل اليقين إلى القلب امتلاً نوراً وإشراقاً وانتفى عنه كل ريب وشك وسخط وهم وغم فامتلاً محبة لله وخوفاً منه ورضي به وشكراً له وتوكلأ عليه. (مدارج السالكين ٢ / ٣٧٥) قال ابن القيم: ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبل عن مكانه وكان مأموراً بإزالته لأزاله. (مدارج السالكين ١ / ٨١)

وقال أيضاً: التوكل نصف الدين والنصف الثاني الإنابة فإن الدين استعانة وعبادة. (مدارج السالكين ٣٥-٣) قال الشافعي:

تَوَكَّلْتُ فِي رِزْقِي عَلَى اللَّهِ خَالِقِي	وَأَيَقَنْتُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَكَّ رَازِقِي
وَمَا يَكُ مِنْ رِزْقٍ فَلَيْسَ يَفُوتُنِي	وَلَوْ كَانَ فِي قَاعِ الْبِحَارِ الْعَوَامِقِ
سَيَأْتِي بِهِ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ	وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنِّي اللِّسَانُ بِنَاطِقِ
فَفِي أَيِّ شَيْءٍ تَذَهَبُ حَسْرَةٌ	وَقَدْ قَسَمَ الرَّحْمَنُ رِزْقَ الْخَلَائِقِ

الآثار العملية في حياة المسلم :

قال بكر بن عبد الله المزني: فقد الحواريون نبيهم عيسى عليه السلام فقيل لهم توجه نحو البحر فانطلقوا يطلبونه فلما انتهوا إلى البحر إذا هو أقبل يمشي على الماء يرجعه الموج مرة ويضعه أخرى وعليه كساء مرتد بنصفه ومترز بنصفه حتى انتهى إليهم فقال له بعضهم : قال أبو هلال ظننت من أفاضلهم ألا آجيء إليك يا نبي الله ؟ قال : بلى فوضع إحدى رجله في الماء ثم ذهب ليضع الأخرى فقال : غرقت يا نبي الله قال : أرني يدك يا قصير الإيمان لو أن لابن آدم من اليقين قد شعيرة مشى على الماء.

(اليقين لابن أبي الدنيا ١/ ١٢)

عن سعيد بن المسيب قال : التقى عبد الله بن سلام وسلمان فقال أحدهما لصاحبه : إن مت قبلي فالفني فأخبرني ما لقيت من ربك وإن مت قبلك لقيتك فأخبرتكم فقال أحدهما للآخر : أو تلقي الأموات الأحياء ؟ قال : نعم أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءت قال : فمات فلان فلقية في المنام فقال : توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط. (التوكل على الله لابن أبي الدنيا ١/ ٥١)

عبد الرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي، عالم وإمام أهل الشام (٨٨ هـ - ١٥٧ هـ) لما دخل عبدالله بن علي العباسي (عم الخليفة أبي العباس السفاح) دمشق، وسلب الملك من بني أمية، طلب الأوزاعي، فتغيب عنه ثلاثة أيام، ثم أحضر بين يديه، قال: دخلت عليه وهو على سرير، وفي يده خيزرانة، والمسودة عن يمينه وشماله، معهم السيوف مصلطة، والعمد الحديد، فسلمت فلم يرد، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده، ثم قال: يا أوزاعي، ما ترى فيما صنعنا من إزالة أيدي أولئك الظلمة، أرباط هو؟ قال: فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بن سعيد الأنصاري يقول: سمعت محمد بن إبراهيم التيمي يقول: سمعت علقمة بن وقاص يقول: سمعت عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه))، قال: فنكت بالخيزرانة أشد مما كان ينكت، وجعل من حوله يعضون أيديهم، ثم قال: يا أوزاعي، ما تقول في دماء بني أمية؟ فقلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والشيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة))، فنكت أشد من ذلك، ثم قال: ما تقول في أموالهم؟ فقلت: إن كانت في أيديهم حرامًا، فهي حرام عليك أيضًا، وإن كانت لهم حلالًا، فلا تحل

لك إلا بطريق شرعي، فنكت أشد مما كان ينكت قبل ذلك، ثم قال: ألا نوليك القضاء؟ فقلت: إن أسلافك لم يكونوا يشقون علي في ذلك، وإني أحب أن يتم ما ابتدؤوني به من الإحسان، فقال: كأنك تحب الانصراف؟ فقلت: إن ورائي حرماً (أي نساء)، وهم محتاجون إلى القيام عليهم وسترهم، قال: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يدي، فأمرني بالانصراف، فلما خرجت إذا رسوله من ورائي، وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير: أنفق هذه، قال: فتصدقت بها، وكان في تلك الأيام الثلاثة صائماً طاوياً، فيقال: إن الأمير لما بلغه ذلك، عرض عليه الإفطار عنده، فأبى أن يفطر عنده رحمه الله.

(البداية والنهاية ١٠ / ١٢١ - ١٢٠)

قال الأصمعي: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا في بعض سككها إذ طلع أعرابي جلف جاف على قعود له متقلد سيفه، وبيده قوس. فدنا وسلم، وقال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني الأصم. قال: أنت الأصمعي؟ قلت: نعم. قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يُتلى فيه كلام الرحمن.. قال: وللرحمن كلام يتلوه الأدميون؟! قلت: نعم. قال: اتل علي شيئاً منه. فقلت له: انزل عن قعودك. فنزل، وابتدأت بسورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) (الذاريات ٢٢). قال: يا أصمعي، هذا كلام الرحمن؟ قلت: إي. والذي بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال لي: حسبك. ثم قام إلى ناقته فنحراها، وقطعها بجملدها، وقال: أعني على تفريقها، ففرقتها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها، وجعلها تحت الرحل، وولى مدبراً نحو البادية، وهو يقول: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) فأقبلت على نفسي باللوم، وقلت: لم تتب له الأعرابي؟ فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة إذ هتف بي هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابي نحيلاً مصفراً، فسلم عليّ وأخذ بيدي، وأجلسني من وراء المقام، وقال لي: اتل كلام الرحمن، فأخذت في سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم وما توعدون) صاح الأعرابي: وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً... ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم. يقول الله عز وجل (فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) فصاح الأعرابي، وقال: يا سبحان الله من الذي أغضب الجليل حتى حلف؟! ألم يصدقوه حتى ألقوه إلى اليمين؟! ألم يصدقوه حتى ألقوه إلى اليمين؟! ألم يصدقوه حتى ألقوه إلى اليمين؟! وأخرجت فيها

روحه !. (كتاب التوايين لابن قدامه المقدسى ٢٧٤ / ٢٧٥ - البدايه والنهائيه لابن كثير ٣٠٧ / ١٠)
 عن أبي قدامة الرملي قال: قرأ رجل هذه الآية: (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً) (الفرقان ٥٨) فأقبل عليّ سليمان الخواص، فقال: يا أبا قدامة! ما ينبغي لعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد بعد الله في أمره، انظر كيف قال الله تبارك وتعالى: (وتوكل على الحي الذي لا يموت)، فأخبرك أنه لا يموت، وأن جميع خلقه يموتون، ثم أمرك بعبادته، فقال: (وسبح بحمده)، ثم أتبعها بقوله: (وكفى به بذنوب عباده خبيراً)، فأخبرك بأنه خير بصير. ثم قال سليمان: والله يا أبا قدامة! لو عامل عبداً ربه بحسن التوكل وصدق النية له بطاعته، لاحتاجت إليه الأمراء فمن دونهم، فكيف يكون هذا محتاجاً، وملجؤاً إلى الغني الحميد؟! (التوكل على الله لابن ابي الدنيا حديث ٣٦)
 قال موسى بن عيسى: اجتمع حذيفة المرعشي و سليمان الخواص و يوسف أسباط فتذاكروا الفقر والغنى و سليمان ساكت فقال بعضهم : الغنى من كان له بيت يكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا وقال بعضهم : الغنى من لم يحتج إلى الناس فقيل لسليمان : ما تقول وأنت يا أبا أيوب فبكى ثم قال : رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الشر من القنوط والغنى حق الغنى من أسكن الله قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلوا ومن عطاياه وقسمه رضى فذاك الغنى حق الغنى وإن أمس طاويا وأصبح معوزا فبكى القوم جميعا من كلامه. (اليقين لابن ابي الدنيا حديث ١٩)
 جاء رجل إلى الربيع بن عبد الرحمن رحمه الله يسأله أن يكلم الأمير في حاجة فبكى الربيع ثم قال: أي أخي أقصد الله في أمرك تجده سريعاً قريباً فإني ما ظهرت أحداً في أمر أريده إلا الله عز وجل فأجده كريماً قريباً لمن قصده وأراده وتوكل عليه. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ١٦٥)

قال عروة بن أذينة في ذمّ الطمع:

لَقَدْ عَلِمْتُ - وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ - بِأَنَّ رِزْقِي - وَإِنْ لَمْ آتِ - يَأْتِينِي

أَسْعَى لَهُ فَيَعْنِينِي تَطَلُّبُهُ وَإِنْ قَعَدْتُ أَتَانِي لَا يُعْنِينِي

لَا خَيْرَ فِي طَمَعٍ يُدْنِي إِلَى طَبَعٍ وَعَقَّةٌ مِنْ قِوَامِ الْعَيْشِ تَكْفِينِي

وللبيت الأوّل حكايةٌ تمثّلُ على استشعار اليقين، وإعلاق الأمل بالخالق دون المخلوقين، وهي أنّ عروة هذا وفد على هشام بن عبد الملك في جماعةٍ من الشعراء، فلمّا دخل عليه عروة قال له: «ألست القائل:

«لَقَدْ عَلِمْتُ - وَخَيْرُ الْقَوْلِ أصدقُهُ...» الأبيات وأراك قد جئتَ تضرب من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق! فقال له: «لقد وعظتَ يا أمير المؤمنين فبالغتَ في الوعظ، وأذكرتَ ما أنسانيه الدهر»، وخرج من فوره إلى راحلته فركبها، ثم نَصَّها نحو الحجاز. فمكثَ هشامٌ يومه غافلاً عنه، فلَمَّا كان من الليل تعازَّ على فراشه، فذكره فقال: «رجلٌ من قريشٍ قال حكمةً، ووفد إليَّ اليوم، فجبَّهته ورددته عن حاجته! وهو مع هذا شاعرٌ، لا آمن ما يقول»، فلَمَّا أصبح سأل عنه، فأخبر بانصرافه، قال:

«لا جرم، ليعلم أن الرزق سيأتيه»، ثم دعا بمولى له، فأعطاه ألفي دينارٍ، وقال: «الحقُّ بهذا أين أدركته فأعطه إيَّها». قال فلم يدركه إلا وقد دخل بيته، فقال: «أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له: كيف رأيتَ؟». (شرح مقامات الحريري للشريشي ٤٦٣)

عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير مكتئباً، معه شيء ينكت به في الأرض، إذ رفع رأسه، فسنح له صاحب مسحاة، فقال له: يا هذا، ما لي أراك مكتئباً حزينا؟ قال: فكأنه ازدراه. فقال: لا شيء. فقال صاحب المسحاة: ألدنيا؟ فإن «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر والآخرة أجل صادق، يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحق والباطل، حتى ذكر أن لها مفاصل كمفاصل اللحم، من أخطأ شيئاً أخطأ الحق. فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه. قال: فقال لما فيه المسلمون. قال: فإن الله سينجيك بشفتك على المسلمين، وسل، فمن ذا الذي سأل الله فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه، وتوكل عليه فلم يكفه أو وثق به فلم ينجه. قال: فعلقت الدعاء: اللهم سلمني وسلم مني فتجلت ولم تصب منه أحداً. (التوكل على الله حديث رقم ١٦)

كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه الهوام والعقارب، فكتب إليه: «وما على أحدكم إذا أمسى وأصبح أن يقول: (وما لنا ألا نتوكل على الله) (سورة إبراهيم من الآية ١٢) قال زرعة: وهي تنفع من البراغيث. (التوكل على الله لابن أبي الدنيا حديث رقم ٢٨)

٤- باب الاستقامة

قال الله تعالى: فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ [هود: ١١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ

عَفُورٍ رَحِيمٍ [فصلت : ٣٠ - ٣٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [الأحقاف : ١٣ - ١٤] .

٨٥- وَعَنْ أَبِي عمرو ، وقيل أبي عمرة سُفْيَانَ بْنِ عبد الله رضي الله عنه قال : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ . قال : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ : ثُمَّ اسْتَقِم » رواه مسلم

٨٦- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَارِبُوا وَسَدُّوا ، وَعَلِّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ » قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله برحمته منه وَفَضْلٍ » رواه مسلم . و « الْمُقَابَلَةُ » : الْقَصْدُ الَّذِي لَا غُلُوفَ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ وَ « السَّدَادُ » : الاستقامة والإصابة ، و « يتغمّدني » يلبّسني ويسترني .

قال العلماء : معنى الاستقامة : لزوم طاعة الله تعالى ، قالوا : وهي من جوامع الكلم ، وهي نظام الأمور وبالله التوفيق .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية ، ولذلك قال : شيبني هود وأخواتها . (تفسير البغوى ٤ / ٢٠٤)

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبى محمد صلى الله عليه وسلم : فاستقم أنت ، يا محمد ، على أمر ربك والدين الذي ابتعثك به ، والدعاء إليه ، كما أمرك ربك . عن سفیان في قوله : (فاستقم كما أمرت) قال : استقم على القرآن . (تفسير الطبرى ١٥ / ٥٠٠)

عن الحسن قال : لما نزلت هذه الآية (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك) قال : شمروا شمروا فما رئي ضاحكا . (تفسير الدر المنثور ٨ / ١٤٧)

قال ابن عباس : نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك أن المشركين قالوا ربنا الله ، والملائكة بناته ، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله فلم يستقيموا . وقال أبو بكر : ربنا الله وحده لا شريك له ، ومحمد صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله فاستقام . (تفسير القرطبي ١٨ / ٣١٩)

قوله تعالى : نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة أي تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة " نحن أولياءكم " قال مجاهد : أي : نحن قرناءكم الذين كنا معكم في الدنيا ، فإذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة . وقال السدي : أي : نحن الحفظة لأعمالكم في الدنيا وأولياءكم في الآخرة . (تفسير القرطبي ١٨ / ٣٢٠)

قال أبو بكر الصديق في تفسير قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : لم يشركوا بالله شيئاً . وعنه قال : لم يلتفتوا إلى إله غيره . وعنه قال : ثم استقاموا على أن الله ربهم . (جامع العلوم والحكم ٥٠٨)
 عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) فقال : لم يروغوا روغان الثعلب . وقال عثمان رضي الله عنه : إخلاص العمل لله . وقال علي رضي الله عنه : ثم أداوا الفرائض . (الجامع لاحكام القرآن ١٥ / ٢٣٣)

عن ابن عباس في قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَقَامُوا) قال : استقاموا على أداء فرائضه . (جامع العلوم والحكم ٥٠٨)
 سئل ابن عباس رضي الله عنهما : أي آية في كتاب الله أرخص ؟ قال قوله : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) على شهادة أن لا إله إلا الله . (تفسير بن كثير ٧ / ١٧٦)

عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا) (فصلت ٣٠) قال : فلم يشركوا حتى ماتوا . (حلية الأولياء ٣ / ٣٠٠)

وقال مجاهد الذي قال عنه بعض الأئمة : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به . استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله . (مدارج السالكين ١٠٤)

قال قتادة : استقاموا على طاعة الله وكان الحسن إذا قرأ هذه الآية قال : اللهم أنت ربنا فارزقنا الإستقامة . (جامع العلوم ٥٠٩)

قال الحسن البصري : استقاموا على أمر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته . وقال سفيان الثوري رحمه الله : العمل على وفاق القول . وقال الربيع بن خيثم رحمه الله : الإعراض عما سوى الله . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : الزهد في الفانية والرغبة في الباقية . (الجامع لاحكام القرآن ١٥ / ٢٣٣)

قال الله عز وجل : (أفرايت من اتخذ إلهه هواه) (الجاثية ٢٣) قال الحسن وغيره : هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركه فهذا ينافي الاستقامة على التوحيد . (جامع العلوم والحكم ٥٠٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال شقيق البلخي: أربعة أشياء من طريق الاستقامة: لا يترك أمر الله لشدة تنزل به ولا يتركه لشيء يقع في يده من الدنيا فلا يعمل بهوى أحد ولا يعمل بهوى نفسه لأن الهوى مذموم ليعمل بالكتاب والسنة. (حليه الأولياء ١٧/٨)

قال وهب بن منبه: مر رجل عابد على رجل عابد فقال: مالك؟ قال: عجبت من فلان أنه كان قد بلغ من عبادته ومالت به الدنيا فقال: بعجل لا تعجب ممن تميل به الدنيا ولكن اعجب ممن استقام. (حليه الأولياء ٥١/٤)

قيل لابن المبارك: ابن عون بما ارتفع؟ قال: بالاستقامة. (حليه الأولياء ٤٠/٣)

قال الامام الهروي: الاستقامة هي الاجتهاد في اقتصاد. (شرح منازل السائرين ص ٨٩)

وقال ابن تيمية: استقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمينا ولا يسرة. (مدارج السالكين ١٠٤/٢)

وقال ايضا: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة. (مدارج السالكين ١٠٦/٢)

قال ابن القيم: فالاستقامة كلمة جامعة آخذة بمجامع الدين وهي القيام بين يدي الله على حقيقة الصدق والوفاء. والاستقامة تتعلق بالأقوال والأفعال والأحوال والنيات فالاستقامة فيها وقوعها لله وبالله وعلى أمر الله. (مدارج السالكين ١٠٥/٢)

وقال الواسطي: الإستقامة هي الخصلة التي بها كملت المحاسن وبفقدتها قبحت المحاسن.

(شرح صحيح مسلم للنووي ٢/٩)

قال القرطبي: هذه الأقوال وإن تداخلت فتلخيصها: اعتدلوا على طاعة الله عقداً وقولاً وفعلاً وداوموا على ذلك. (الجامع لاحكام القرآن ٣٥٨/٥)

الآثار العملية في حياة السلف :

استقامه المهموم : قال مطر الوراق : بات هرم بن حيان العبدى عند حممة فبات حممة باكيا حتى أصبح فلما أصبح قال له : ما الذي أبكاك الليلة ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تنثر الكواكب وبات حممة عند هرم فبات هرم بن حيان باكيا حتى أصبح فلما أصبح قال له حممة : ما أبكاك ؟ قال : ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور للحشر إلى الله. (الاهوال لابن ابى الدنيا حديث ١١)

استقامه اللسان : قال محمد بن المنكدر: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. (الحليه ١٤٦/٣)

٩- باب في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأحوال الآخرة وسائر أمورهما وتفسير النفس وتهذيبها وحملها على الاستقامة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا [سبأ : ٤٦] ،
 وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ
 الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا
 خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ الْآيَاتِ [آل عمران : ١٩٠-١٩١] ، وَقَالَ تَعَالَى : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى
 الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ
 فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ [الغاشية : ١٧-٢١] ، وَقَالَ تَعَالَى : أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 الْآيَةَ [محمد : ١٠] . والآيات في الباب كثيرة .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن مجاهد : قل إنما أعظكم بواحدة . قال : بطاعة الله أن تقوموا لله مثنى وفردى . قال : واحدا واثنين .
 عن مجاهد والسدي : إنما أعظكم بواحدة قال : بلا إله إلا الله . (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٢٣٠)
 عن أبي أمامة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : أعطيت ثلاثا لم يعطهن من قبلي ولا فخر ،
 أحلت لي الغنائم ولم تحل لمن كان قبلي ، كانوا يجمعون غنائمهم فيحرقونها ، وبعثت إلى كل أحر وأسود ،
 وكان كل نبي يبعث إلى قومه ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، أتيمم بالصعيد وأصلي فيها حيث
 أدركتني الصلاة قال الله تعالى : أن تقوموا لله مثنى وفردى وأعنت بالربع مسيرة شهر بين يدي .
 (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٢٣١)

عن ابن عباس قال : أتت قريش اليهود فقالوا : ما جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا : عصاه ويده بيضاء
 للناظرين ، وأتوا النصراني فقالوا : كيف كان عيسى فيكم؟ قالوا : كان يبرئ الأكمه والأبرص ، ويحيي
 الموتى ، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً ، فدعا ربه فنزلت : إن
 في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبواب فليتفكروا فيها . عن صفوان
 بن المعطل السلمي قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فرهقت صلاته ليلة فصلي

العشاء الآخرة ثم نام، فلما كان نصف الليل استيقظ فتلا الآيات العشر، آخر سورة "آل عمران" .
 ثم تسوك، ثم توضحاً فصلى إحدى عشرة ركعة. (تفسير الدر المنثور ٤/ ١٧٨)
 قال أبو جعفر : وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك ، وعلى سائر خلقه ، بأنه المدبر المصرف
 الأشياء والمسخر ما أحب ، وأن الإغناء والإفقار إليه وييده ، فقال جل ثناؤه : تدبروا أيها الناس
 واعتبروا ، ففيها أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم ، وفيما عقبته بينه
 من الليل والنهار فجعلتها مختلفان ويعتقان عليكم ، تتصرفون في هذا لمعاشكم ، وتسكنون في هذا
 راحة لأجسادكم معتبر ومدكر ، وآيات وعظات . فمن كان منكم ذالِب وعقل ، يعلم أن من نسبني إلى
 أني فقير وهو غني كاذب مفتر ، فإن ذلك كله بيدي أقبه وأصرفه ، ولو أبطلت ذلك لهلكتم ، فكيف
 ينسب إلي فقر من كان كل ما به عيش ما في السماوات والأرض بيده وإليه؟ أم كيف يكون غنيا من كان
 رزقه بيد غيره ، إذا شاء رزقه ، وإذا شاء حرمه؟ فاعتبروا يا أولي الألباب. (تفسير الطبري ٧/ ٤٩٤)
 (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم
 والنخعي وقتادة : هذا في الصلاة يصلي قائما فإن لم يستطع فقاعدا فإن لم يستطع فعلى جنب.
 (تفسير البغوي)

عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
 فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ثم قرأ فذكر إنما أنت مذكر لست
 عليهم بمصيطر . (تفسير الدر المنثور ١٥/ ٣٩٠)

قال عطاء عن ابن عباس : هل يقدر أحد أن يخلق مثل الإبل ، أو يرفع مثل السماء ، أو ينصب مثل
 الجبال ، أو يسطح مثل الأرض غيري؟ . (تفسير البغوي)

عن قتادة قال : لما نعت الله ما في الجنة ، عجب من ذلك أهل الضلالة ، فأنزل الله (أفلا ينظرون إلى
 الإبل كيف خلقت) فكانت الإبل من عيش العرب ومن حولهم قال شريح لأصحابه : أخرجوا بنا إلى
 السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت. (تفسير الطبري ٢٤/ ٣٨٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

وعن ابن عباس : ركعتان مقتصدتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب. (الإحياء ٤/ ٤٢٥)
 وقال أيضا: التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والندم على الشر يدعو إلى تركه. (الإحياء ٤/ ٤٢٥)

قيل لأبي الدرداء : أفترى الفكر عملا من الأعمال ؟ قال : نعم هو اليقين فالتفكير طريق العبد إلى اليقين.(حليه الأولياء ٦ / ٣٠٣)

وعن محمد بن واسع أن رجلاً من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت: كان نهاره اجمع في ناحيه البيت يتفكر .(الزهد للامام احمد ١ / ١٩٨)

عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعبيد بن عمير إلى عائشة رضي الله عنها فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب. فقالت: يا عبيد ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر: زر غباً تزدد حباً فقال ابن عمر: ذرينا أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت: كل أمره كان عجباً. أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي. ثم قال: ذريني أتعبد لربي. قالت: فقلت: والله إني لأحب قربك وإني أحب أن تتعبد لربك. فقام وتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه لصلاة الصبح. قالت: فقال: يا رسول الله، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. وفي رواية فقال: ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) (آل عمران ١٩٠) ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها.(صحيح بن حبان في موارد الظمان ١٣٩)

فقيل للأوزاعي ما غاية التفكير فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.(احياء علوم الدين ٤ / ٤٢٤)

وقال عمر بن عبد العزيز: الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة. قال عبد الله بن المبارك يوماً

لسهل بن علي ورآه ساكتاً متفكراً: أين بلغت؟ قال: الصراط.(إحياء علوم الدين ٤ / ٤٢٥)

وقال ايضاً : الكلام بذكر الله عز وجل حسن والفكرة في نعم الله أفضل العبادة . وبكى عمر بن

عبد العزيز يوماً فسئل عن ذلك فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تكدرها مرارتها ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن اذكر.

(تفسير ابن كثير ٤ / ٤٣٩)

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله مرة لرجل من جلسائه : لقد أرقت الليلة مفكراً قال : وفيم يا

أمير المؤمنين ؟ قال : في القبر وساكنه إنك لو رأيت الميت بعد ثلاثة في قبره لاستوحشت من قبره بعد

طول الأنس منك بناحيته ولرأيت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه الصديد وتخرقه الديدان مع تغير الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح ونقاء الثوب قال : ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه. (البداهة والنهاية لابن كثير ٧٠٥)

وقال الحسن: من لم يكن كلامه حكمة فهو لغو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) قال: أ منع قلوبهم التفكير في أمرى. (إحياء علوم الدين ٤ / ٤٢٤)

قال الحسن: إن أهل العقل لم يزالوا يعودون بالذكر على الفكر وبالفكر على الذكر حتى استنطقوا قلوبهم فنطقت بالحكمة. (إحياء علوم الدين ٤ / ٤٢٥)

قول الحسن رحمه الله : فإن ساعة تفكر خير من قيام ليلة بلا تفكر أما إذا كان قيام الليل مع التفكير فإنه أفضل بلا شك. (الزهد للامام احمد ٢٠٢)

قال الحسن : يا ابن آدم كل في ثلث بطنك و اشرب في ثلثه ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة.

(تفسير القرآن العظيم لابن كثير .ال عمران ١٩٠-١٩٤-١٨٥ / ٢)

وقال الحسن البصري رحمه الله : التفكير يدعو إلى الخير والعمل به .(حلية الأولياء ١٠ / ٧٦)

وقال الحسن: إن من أفضل العمل الورع والتفكير.(روضه العقلاء ونزهه الفضلاء ٣٠)

قال الفضيل قال الحسن : الفكرة مرآة تريك حسناتك و سيئاتك.(احياء علوم الدين ٤ / ٤٢٤)

قال يوسف بن أسباط: كان سفيان إذا أخذ في ذكر الآخرة يبول الدم من طول حزنه وفكرته.

(سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣١٧)

قال شقيق البلخي : ولو أن رجلا كتب جميع العلم لم ينتفع به حتى يكون فيه خصلتان: حتى يكون فعله

التفكير والعبر وقلبه فارغا للتفكر وعينه فارغة للعبر كلما نظر إلى شيء من الدنيا كان له عبرة.المؤمن

مشغول بخصلتين والمنافق مشغول بخصلتين المؤمن بالعبر والتفكر والمنافق مشغول بالحرص

والأمل.(حلية الأولياء ٧١ / ٨)

قال شقيق البلخي : متى أغفل العبد قلبه عن الله والتفكر في صنعه ومنتته عليه ثم مات مات

عاصيا لأن العبد ينبغي له أن يكون قلبه أبدا مع الله يقول : يا رب أعطني الإيمان وعافني من البلاء

واستر لي من عيوي وارزقني واجعل نعمك متوالية علي فهو أبدا متفكر في نعم الله عليه فالتفكر في منة الله شكر والغفلة عنه سهو. (حليه الأولياء ٨/٧١)

قال الشافعي: الفضائل أربع إحداها الحكمة وقوامها الفكرة والثانية العفة وقوامها التغلب على الشهوة والثالث القوة وقوامها التغلب على الغضب والرابعة العدل وقوامه في اعتدال قوى النفس. (الإحياء ٤/٤٢٥) وقال أيضا: صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التفریط والندم والروية والفكر يكشفان عن الحزم والفتنة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة ففكر قبل أن تعزم وتدبر قبل أن تهجم وشاور قبل أنتقدم. (إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥)

وقال الشافعي: استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر. (إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥) وقال أبو سليمان: عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير. وقال: الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والفكر في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب وقال حاتم: من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف. (إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥) قال ابو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله علي فيه نعمة ولي فيه عبرة. (حليه الأولياء ٨/١٠٩)

قال سفيان بن عيينة: التفكير مفتاح الرحمة ألا ترى أن المرء يتفكر فيتوب فآثر التفكير يظهر على المرء في عمله. (حليه الأولياء ٧/٣٠٦)

وقال أيضا: الفكرة نور يدخل قلبك وربما تمثل في هذا البيت: اذا المرء كانت له فكرة ففي كل شئ له عبرة. (حليه الأولياء ٤/٦٨)

قال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم امرؤ قط إلا علم ولا علم امرؤ قط إلا عمل. (إحياء علوم الدين ٤/٢٥٤)

قال وهب بن منبه رحمه الله: المؤمن إذا تفكر علتة السكينة. (حليه الأولياء ٤/٦٨)

قال ابن العربي رحمه الله: وأما طريقة من يبقى يوما وليلة أو شهرا متفكرا لا يفتر فطريقة بعيدة عن الصواب غير لائقة بالشرع. (أحكام القرآن ٢/٣٥٣)

قال ابن العربي: أمر الله تعالى بالنظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته في أعداد كثيرة من آي القرآن أراد

بذلك زيادة في اليقين وقوة في الإيمان وتثبيتاً للقلوب على التوحيد. (أحكام القرآن ٢/ ٣٥٣)
قال شريح القاضي لأصحابه: اخرجوا بنا إلى السوق فننظر إلى الإبل كيف خلقت والتفكر إن لم يثمر
عملاً لم يحصل منه المرء شيئاً كما أن التفكير لا يعني الصمت والعزلة عن الناس فكم صامت لا يفكر بل
تتقلب به الوسوس والخيلات. (حليه الأولياء ٤/ ١٣٣)

قال الإمام أحمد: في رجل أكل فشبغ وأكثر الصلاة والصيام ورجل أقل الأكل فقلت نوافله وكان أكثر
فكرة أيها أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: تفكر ساعة خير من قيام ليلة قال: فرأيت هذا عنده أكثر
يعني الفكر. (العظمة للاصبهاني ١/ ٢٢٩)

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي صفوان أيا أحب إليك أن يجوع الرجل فيجلس فيتفكر أو يأكل
فيقوم فيصلي؟ قال: يأكل ويقوم فيصلي ويتفكر في صلاته هو أحب إلي فحدثت به أبا سليمان يعني:
الداراني فقال: صدق الفكرة في الصلاة أفضل من الفكرة في غير الصلاة الفكرة في الصلاة عملان
وعملان أفضل من عمل. (حليه الأولياء ٨/ ٣٠٠)

عن صالح بن محمد بن زائدة: أن فتية من بني ليث كانوا عباداً وكانوا يروحون بالهجرة إلى المسجد ولا
يزالون يصلون حتى يصل العصر؛ فقال صالح لسعيد: هذه هي العبادة لو نقوى على ما يقوى عليه
هؤلاء الفتيان فقال سعيد: ما هذه العبادة ولكن العبادة: التفقه في الدين والتفكر في أمر الله تعالى.
(حليه الأولياء ٢/ ١٦٢)

قال بكر بن خنيس: قلت لسعيد بن المسيب رحمه الله وقد رأيت قوما يصلون ويتعبدون: يا أبا محمد ألا
تتعبد مع هؤلاء القوم؟ فقال لي: يا ابن أخي إنها ليست بعبادة قلت له: فما التعبد يا أبا محمد؟ قال:
التفكر في أمر الله والورع عن محارم الله وأداء فرائض الله تعالى. (حليه الأولياء ١/ ١٦٢)

قول هذا التابعي الجليل ليس تقليلاً من شأن الصلاة، فهو الذي يقول عن نفسه: ما فاتتني الصلاة في
جماعة أربعين سنه ويقول: ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد وحج أربعين حجة.
(حليه الأولياء ١/ ١٦٢-١٦٤)

قال عبد الله بن المبارك: مر رجل براهب عند مقبرة ومزيلة فناده فقال: يا راهب ان عندك كتزين من
كنوز الدنيا لك فيها معتبر كثر الرجال وكنز الأموال. (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٤٣٩)

قال مغيث الأسود : زوروا القبور كل يوم تفكركم وشاهدوا الموقف بقلوبكم وانظروا الى المنصرف بالفريقين الى الجنة أو النار و أشعروا قلوبكم وأبدانكم. ذكر النار و مقامها و أطباقها وكان يبكي عند ذلك حتى يرفع صريعا من بين أصحابه. (تفسير بن كثير(ال عمران ١٩٠-١٩٤) ٢/ ١٨٥)

قال الجنيد: أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتنسم بنسيم المعرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال: يا لها من مجالس ما أجلها! ومن شراب ما أذهه! طوبى لمن رزقه. (إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢٥)

قال ابن عون :الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جلوت القلوب بمثل الأحزان ولا استنارت بمثل الفكرة. (معالم التنزيل للبخوي ٤/ ١٥٢)

وقيل لإبراهيم : إنك تطيل الفكرة . فقال : الفكرة مخ العقل . (إحياء علوم الدين ٤/ ٥١٤)

وقال بشر: لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل. (إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢٥)

قال حاتم الأصم: من العبرة يزيد العلم ومن الذكر يزيد الحبّ ومن التفكير يزيد الخوف.

(إحياء علوم الدين ٤/ ٤٢٤)

قال ابن القيم: فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكمالها وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها فإذا قرأه بتفكير ومر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكير وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم.

(مفتاح السعادة ١/ ١٨٧)

قال أبو العتاهية : (ديوان ابوالعتاهيه ١٢٢)

فيا عجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكه وفي كل تسكينه شاهد

وفي كل شئ له آية تدل على أنه الواحد

الآثار العملية في حياة المسلم :

عن يوسف بن أسباط: قال لى سفيان الثوري وقد صلينا العشاء الآخرة: ناولني المطهرة فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره على نحره ونمت فاستيقظت وقد طلع الفجر فنظرت فإذا المطهرة بيمينه كما هي قلت هذا الفجر قد طلع فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أفكر في الآخرة. (تهذيب الكمال للمزي ١١/١٦٧)

قال محمد بن كعب القرظي: لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح بـ (إذا زلزلت) والقارعة لا أزيد عليها وأتردد فيهما وأفكر أحب إلى من أن أهدد القرآن ليلتي هذا - أو قال: أنثره نثرًا. (الزهد لابن المبارك ح ٢٨٧)

وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: إني لأستلقي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن وأعرض عملي على عمل أهل الجنة فإذا أعمالهم شديدة (كأنوا قليلا من الليل ما يهجعون) (يبيتون لربهم سجدا وقيامًا) (امن هو قانت اثناء الليل ساجدا وقائما) فلا أراني فيهم فأعرض نفسي على هذه الآية

(ما سلككم في سقر) (واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا) فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم. (حليه الأولياء ٢/١٩٨)

قال عبد الأعلى بن زياد الأسلمي : رأيت داود الطائي يوما قائما على شاطئ الفرات مبهوتا فقلت : ما يوقفك ههنا يا أبا سليمان ؟ قال : أنظر إلى الفلك كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى .

(الحليه تهذيبيه ٢/٤٦٦)

بينما أبو شريح يمشي إذ جلس فتقنع بكسائه، فجعل يبكي فقيل له: ما يبكيك؟ قال: تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي. (العمر والشيب لابن ابي الدنيا ١/٥٦)

قال ابن عقيل: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة، وبصري عن مطالعة، أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح فلا أنهض إلا وقد خطرتي ما أسطره وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين سنة.

(المنتظم ٩/٢١٣)

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي : على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عريانا ويده سيف وظن أنه لص فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال: من ذا الذي طرحك من السطح قال: ما شعرت بذلك. (إحياء علوم الدين ٤/٤٢٥)

١٠- باب في المبادرة إلى الخيرات

وَهتَّ مِنْ تَوَجُّهِ لُخَيْرِ طَلَسِ الْإِنْبَالِ عَلَيْهِ بِالْجِدِّ مِنْ شَيْرِ تَرْدِهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَاسْتَقْبُوا الْخَيْرَاتِ [البقرة : ١٤٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ [آل عمران : ١٣٣] .
وأما الأحاديث:

٨٧- فالأول : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَتَكُونُ فِتْنٌ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُؤْمِنِي كَافِرًا ، وَيُؤْمِنِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » رواه مسلم .

٨٨- الثاني : عَنْ أَبِي سُرُوعَةَ بِكسْرِ السِّينِ الْمُهْمَلَةِ وَفَتْحِهَا عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ الْعُضْرِ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجَبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ قَالَ : « ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تَبَرِّ عِنْدَنَا ، فَكَرِهْتُ أَنْ يَجْسَنِي ، فَأَمَرْتُ بِقَسْمَتِهِ » رواه البخاري . وفي رواية له : كُنْتُ خَلَفْتُ فِي الْبَيْتِ تَبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ . « التَّبْرُ » قَطْعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ .

٨٩- الثالث : عَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا ؟ قَالَ : « فِي الْجَنَّةِ » فَأَلْقَى تَمْرَاتٍ كَنَّ فِي يَدِهِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ

٩٠- الرابع : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَكْبَرُ أَجْرًا ؟ قَالَ : « أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبٌ شَحِيحٌ نَخْشَى الْفَقْرَ ، وَتَأْمُلُ الْغِنَى ، وَلَا تُتْمَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ . قُلْتَ : لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا ، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ « الْحُلُقُومُ » : مَجْرَى النَّفْسِ . وَ « الْمُرِيءُ » : مَجْرَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ .

٩١- الخامس : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ : « مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا ؟ فَبَسْطُوا أَيْدِيَهُمْ ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ : أَنَا أَنَا . قَالَ : « فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ ؟ فَأَحْجَمِ الْقَوْمُ ، فَقَالَ أَبُو دَجَانَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَا أَخْذُهُ بِحَقِّهِ ، فَأَخْذُهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ

المُشْرِكِينَ». رواه مسلم . اسم أبي دجاجة : سِمَاكُ بْنُ خُرْسَةَ . قوله : «أحجم القوم» : أي توقّفوا .
و «فَلَقَ بِهِ» : أي شق «هام المشركين» : أي رؤوسهم .

٩٢- السادس: عن الزبير بن عديّ قال: أتينا أنس بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحجاج . فقال: «اصبروا فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم» سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري .

٩٣- السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بادروا بالأعمال سبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسيا، أو غني مطغيا، أو مرضا مفسدا، أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أذهى وأمر»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن .

٩٤- الثامن: عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر: «لأعطينن هذه الراية رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه» قال عمر رضي الله عنه: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ فتساورت لها رجاء أن أذعى لها، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فأعطاه إياها، وقال: «امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك» فسار علي شيئا، ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: «قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله» رواه مسلم «فتساورت» هو بالسّين المهملة: أي أي وثبت متطلعا .

في هذا الحديث: الحث على المبادرة إلى ما أمر به، والأخذ بظاهر الأمر وترك الوجوه المحتملات إذا خالفت الظاهر لأن عليا وقف ولم يلتفت .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال عمر بن الخطاب : في الآية (وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ) قال: سابقنا سابق. قال ابن عباس : في الآية (وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ) قال. السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب. قال ابن مسعود : في الآية

(وَمِنْهُمْ سَابِقُ بِالْخَيْرَاتِ) (فاطر ٣٢) قال: يدخلون الجنة بغير حساب. (الدر المنثور ٤/٤٧٣)
 عن ابن عباس: في قوله (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ) (المؤمنون ٦١): قال سبقت لهم السعادة من
 الله. (تفسير الدر المنثور ٥/٢٢)

عن أبي زيد: في قوله تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة ١٤٨) قال: فسارعوا في الخيرات.
 (تفسير الدر المنثور ١/٢٧٢)

وعن أنس بن مالك: في الآية قال: هي التكبير الأولى. (تفسير الدر المنثور ٢/١٨٢)
 وعن الكلبي: أي إلى التوبة من الربا وقيل: إلى الثبات في القتال. (تفسير القرطبي ٤/١١٣)
 قال أبو حيان الأندلسي في قوله تعالى (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) (البقرة ١٤٨) هذا أمر بالتكبير إلى فعل الخير
 والعمل الصالح وناسب هذا أن من جعل الله له شريعة أو قبة أو صلاة فينبغي الاهتمام بالمسارعة
 إليها. (البحر المحيط ١/٦١٢)

قال عطاء بن أبي رباح: قال المسلمون: يا رسول الله بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا إذا أذنب
 أحدهم ذنبا أصبح كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أنفك اجدع أذنك افعل كذا وكذا، فسكت
 فنزلت هؤلاء الآيات: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم إلى قوله: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا
 أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا أخبركم بخير من ذلكم؟ ثم
 تلا هؤلاء الآيات عليهم. عن أنس بن مالك في قوله: وسارعوا إلى مغفرة من ربكم قال: التكبير
 الأولى. عن سعيد بن جبير في قوله: وسارعوا يقول: سارعوا بالأعمال الصالحة إلى مغفرة من ربكم قال
 : لذنوبكم وجنة عرضها السماوات والأرض يعني: عرض سبع سموات وسبع أرضين لو لصق
 بعضهن إلى بعض فالجنة في عرضهن. (تفسير الدر المنثور ٤/٧)

عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السماوات والأرض
 فأين النار؟ فقال عمر رضي الله عنه أريتم إذا جاء الليل أين النهار؟ وإذا جاء النهار أين الليل؟ فقالوا
 : لقد نزعنا مثلها من التوراة. يزيد بن الأصم: أن رجلا من أهل الكتاب قال: يقولون: جنة عرضها
 السماوات والأرض. فأين النار؟ فقال ابن عباس: أين يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار
 إذا جاء الليل؟. (تفسير بن كثير ٢/١١٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن علي رضي الله عنه قال: تقوى الله مفتاح سداد وذخيرة معاد وعتق من كل ملكة ونجاة من كل هلكة فبادروا بالأعمال عمرا ناكسا أو مرضا حابسا أو موتا خالسا فإنه هادم لذاتكم ومباعد طياتكم زائر غير محبوب وواتر غير مطلوب قد أعلقتكم حبائله وتكفنتكم غوائله وأقصدتكم معابله فيوشك أن تغشاكم دواجي ظلمه واحتدام عله وحنادس غمراته وغواشي سكراته وأليم إرهاقه ودجو إطباقه وجشوبة مذاقه فأسكت نجيكم وفرق نديكم فلا تغرّنكم الدنيا كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية والقرون الخالية الذين احتلبوا درّتها وأصابوا عزّتها وأفنوا عدّتها وأخلقوا جدّتها أصبحت مساكنهم أجدانا وأموالهم ميراثا فإنّها غرارة خدوع معطية منوع لا يدوم رخاؤها ولا ينقضي عناؤها ولا يركد بلاؤها . (منال الطالب لابن الأثير ٣٦٤)

عن أنس قال: كنّا نبكّر بالجمعة ونقيل بعد الجمعة . (البخارى ٢ (٩٠٥))

قال أبي سليمان الداراني: من كان يومه مثل أمسه فهو في نقصان قال: وفسره قال: كان أمس في شيء ينوي الزيادة فلما أصبح اليوم إلى تلك الزيادة فلم ينو الزيادة ففترت نيته فليس يثبت على هذه الحال . (حليه الأولياء ٩ / ٢٦٦)

قال أبي سليمان الداراني: إذا فاتك شيء من التطوع فاقض فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه . (حليه الأولياء ٩ / ٢٦١)

وقال ايضا: ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها؟ . (حليه الأولياء ٩ / ٢٦٢)

قال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : كل شيء من الخير يبادر به . (الاداب الشرعية ٢ / ٢٣٩) قال محمد بن نصر العابد: وشاورته (أي الإمام أحمد) في الخروج إلى الثغر فقال: بادر بادر . (الاداب الشرعية لابن مفلح ٢ / ٢٣٩)

قال وهب بن منبه: إعمل في نواحي الدين الثلاث فإن للدين نواحي ثلاثاً هن جماع الأعمال الصالحة لمن أراد جمع الصالحات أولهن: تعمل شكراً لله بالأنعم الكثيرة الغاديات الرائحات الظاهرات الباطنات الحديثات القدييات فيعمل المؤمن شكراً لهن ورجاء تمامهن . والناحية الثانية من الدين: رغبة في الجنة التي ليس لها ثمن وليس لها مثل ولا يزهدها فيها إلا سفيه . والناحية الثالثة: تعمل فراراً من النار التي

ليس عليها صبر ولا لأحد بها طاقة ولا يدان وليست مصيبتها كالمصيبات ولا حزنها كالحزن نبأها عظيم وشأنها شديد وخزيتها فظيع ولا يغفل عن الفرار والتعوذ بالله منها: إلا سفيه أحمق خاسر قد خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين. (حليه الأولياء ٤/ ٦٥-٦٦)

قال وهب ابن منبه: إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل: فاجتهد في نصحك وعلمك لله فإن العمل لا يقبل ممن ليس بناصح وإن النصح لله عز وجل لا يكمل إلا بطاعة الله كمثل الثمرة الطيبة: ريحها طيب وطعمها طيب كذلك مثل طاعة الله: النصح ريحها والعمل الطيب ثم زين طاعة الله بالعلم والحلم، والفقهاء ثم أكرم نفسك عن أخلاق السفهاء وعبدها على أخلاق العلماء وعودها على فعل العلماء وامنعها عمل الأشقياء وألزمها سيرة الفقهاء واعزلها عن سبل الخبثاء وما كان لك من فضل: فاعن به من دونك وما كان فيمن دونك من نقص: فأعنه عليه حتى تبلغه معك فإن الحكيم: يجمع فضوله ثم يعود بها على من دونه ثم ينظر في نقائص من دونه ثم يقومها ويزجها حتى يبلغه. إن كان فقيها: حمل من لا فقه له إذا رأى أنه يريد صحبته ومعونته وإذا كان له مال: أعطى منه من لا مال له وإن كان مصلحاً: استغفر الله للمذنب إذا رجا توبته وإن كان محسناً: أحسن إلى من أساء إليه واستوجب بذلك أجره ولا يغتر بالقول حتى يجيء معه الفعل ولا يتمنى طاعة الله إذا لم يعمل بها. فإذا بلغ من طاعة الله شيئاً: حمد الله ثم طلب ما لم يبلغ منها؛ وإذا علم من الحكمة لم تشبعه، حتى يتعلم ما لم يبلغ منها وإذا ذكر خطيئته سترها عن الناس واستغفر الله الذي هو القادر على أن يغفرها ثم لا يستعين على شيء من قوله بالكذب فإن الكذب في الحديث: مثل الأكلة في الخشبة يرى ظاهرها صحيحاً وجوفها نخرأ لا يزال من يغتر بها يظن أنها حاملة ما عليها حتى تنكسر على ما فيها ويهلك من اغتر بها وكذلك الكذب في الحديث لا يزال صاحبه يغتر به ويظن أنه معينه على حاجته وزائد له في رغبته حتى يعرف ذلك منه ويتبين لذوي العقول غروره ويستنبط العلماء ما كان يستخفي به عنهم فإذا اطلعوا على ذلك من أمره وتبين لهم: كذبوا خبره وأبادوا شهادته واتهموا صدقه واحتقروا شأنه وأبغضوا مجلسه واستخفوا منه بسرائرهم وكتموا حديثهم وصرفوا عنه أمانتهم وغيبوا عنه أمرهم وحزروه على دينهم ومعيشتهم ولم يحضروه شيئاً من محاضرهم ولم يأمنوا على شيء من سرهم ولم يحكموه في شيء مما شجر بينهم.

(حليه الأولياء ٤/ ٣٦-٣٧)

قال أبي عوانة : لو قيل لمنصور بن زاذان: إنك ميت اليوم أو غداً: ما كان عنده من مزيد. (الحليه ٥٨/٣)
قال الأوزاعي: رأيت عبدة يطوف بالبيت وهو ضعيف، فقلت: لو رفقت بنفسك فقال: إنما المؤمن
بالتحامل. (حليه الأولياء ٦/١١٥)

قال الفضيل بن عياض: لن يتقرب العباد إلى الله بشيء أفضل من الفرائض الفرائض رؤوس الأموال
والنوافل الأرباح. (حليه الأولياء ٨/١٠٠)

كان الجنيد يقرأ وقت خروج روحه فيقال له: في هذا الوقت؟! فيقول: أبادر طيِّ صحيفتي.
(صيد الخاطر لابن الجوزي ٣٧٢)

قال ابن الجوزي: من علم قرب الرّحيل عن مكة استكثر من الطّواف خصوصاً إن كان لا يؤمّل العود
لكبر سنّه وضعف قوّته فكذلك ينبغي لمن قاربه ساحل الأجل بعلوّ سنّه أن يبادر اللّحظات وينتظر
الهاجم بما يصلح له فقد كان في قوس الأجل منزع زمان الشّباب. (صيد الخاطر ٣٥٤)
وقال ايضاً: كم يضيّع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثّواب الجزيل وهذه الأيام مثل المزرعة فكأنّه قيل
للإنسان: كلّما بذرت حبة أخرجنا لك ألف كرّ فهل يجوز للعاقل أن يتوقّف في البذر ويتوانى؟!.
(صيد الخاطر لابن الجوزي ٦٠٣)

وقال ايضاً: من عجائب ما أرى من نفسي ومن الخلق كلّهم الميل إلى الغفلة عمّا في أيدينا مع العلم بقصر
العمر وأنّ زيادة الثّواب هناك بقدر العمل ههنا. فيا قصير العمر اغتتم يومي منّي وانتظر ساعة النّفث
وإيّاك أن تشغل قلبك بغير ما خلق له واحمل نفسك على المرّ واقمعها إذا أبت ولا تسرح لها في الطّول فما
أنت إلّا في مرعى وقبيح بمن كان بين الصّفين أن يتشاغل بغير ما هو فيه. (صيد الخاطر ٤٩٢)

قال زين العابدين على بن الحسين :

يَا زَارِعَ الْحَيْرِ تَحْصُدُ بَعْدَهُ ثَمْرًا يَا زَارِعَ الشَّرِّ مَوْقُوفٌ عَلَى الْوَهْنِ

يَا نَفْسُ كُفِّي عَنِ الْعِضْيَانِ وَاكْتَسِبِي فِعْلًا جَمِيلًا لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَنِي

يَا نَفْسُ وَيْحَكَ تُوْبِي وَاعْمَلِي حَسَنًا عَسَى تُجَازِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْحَسَنِ

الآثار العملية في حياة المسلم :

وهذا أبو الدحداح الأنصاري، لما نزل قول الله تعالى: (مَنْ ذَا الَّذِي يُقرضُ الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له
أضعافًا كثيرة) (البقرة ٢٤٥) قال للرسول صلى الله عليه وسلم وإنّ الله ليريد منّا القرض؟ قال عليه

الصلاة والسلام: نعم يا أبا الدحداح، قال: أرني يدك يا رسول الله، فناوله النبي صلى الله عليه وسلم يده، فقال أبو الدحداح: إني قد أقرضت ربي عز وجل حائطي (أي بستاني وكان فيه ٦٠٠ نخلة) وأم الدحداح فيه وعيالها، فناداها: يا أم الدحداح، قالت: لبيك، قال: أخرجني من الحائط: يعني: أخرجني من البستان فقد أقرضته ربي عز وجل. وفي رواية: أن امرأته لما سمعته يناديها عمدت إلى صبيانها تخرج التمر من أفواههم، وتنفض ما في أكمامهم. تريد بفعلها هذا الأجر كاملاً غير منقوص من الله. لذلك كانت النتيجة لهذه المسارعة أن قال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عقي رداح (أي: مثمر وممتلىء) في الجنة لأبي الدحداح. (مسند الإمام أحمد ٣/ ١٧٩ رقم ١٢٤٩٠)

١١ - باب الجاهلية

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ [العنكبوت: ٦٩]،
 وَقَالَ تَعَالَى: وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر: ٩٩]، وَقَالَ تَعَالَى: وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ
 وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً [المزمل: ٨]: أَي انْقَطِعْ إِلَيْهِ، وَقَالَ تَعَالَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
 [الزلزلة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَا تَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ
 أَجْرًا [المزمل: ٢٠]، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة: ٢٧٣]
 والآيات في الباب كثيرة معلومة.

٩٥- فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى
 قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا. فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ. وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ
 عَلَيْهِ: وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ،
 وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنْ
 اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ» رواه البخاري. «آذَنْتُهُ» أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ «اسْتَعَاذَنِي» رُوِيَ بِالنُّونِ وَبِالْبَاءِ.
 ٩٦- الثاني: عن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 قَالَ: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شَبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي
 يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» رواه البخاري.

٩٧- الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نِعْمَتَانِ

مغبونٌ فيها كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه مسلم.

٩٨- الرابع: عن عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ، لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَحَبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا؟» متفقٌ عليه. هذا لفظ البخاري، ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبه.

٩٩- الخامس: عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ» متفقٌ عليه.

والمراد: العشرُ الأواخرُ من شهر رمضان: «والمئزر»: الإزارُ وهو كنايةٌ عن اغتزال النساءِ، وقيل: المرادُ تسميرهُ للعبادة. يُقال: شددتُ لهذا الأمرِ مئزري، أي: تشمرتُ وتفرغتُ له.

١٠٠- السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المؤمن القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلِّ خَيْرٍ. احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ. وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنْ لَوْ تَفَتَّحَ عَمَلُ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

١٠١- السابع: عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ» متفقٌ عليه. وفي رواية لمسلم: «حُفَّتْ» بدلَ «حُجِبَتِ» وهو بمعناه: أي: بينه وبينها هذا الحجابُ، فإذا فعله دخلها.

١٠٢- الثامن: عن أبي عبد الله حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ، رضي الله عنهما، قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ يُصَلِّيُ بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى. فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النَّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِلًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ» ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا قَرِيبًا بِمَا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» فَكَانَ سُجُودَهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ.

رواه مسلم.

١٠٣- التاسع: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أُجْلِسَ وَأَدْعَهُ. مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٠٤- العاشر: عن أنس رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ» مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

١٠٥- الحادي عشر: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

١٠٦- الثاني عشر: عن أبي فراس ربيعة بن كعب الأسلمي خادم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَبِيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَآتَيْهِ بِوَضُوئِهِ، وَحَاجَّتِهِ فَقَالَ: «سَلْنِي» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ. فَقَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَاعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةٍ السُّجُودِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٧- الثالث عشر: عن أبي عبد الله وَيُقَالُ: أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

١٠٨- الرابع عشر: عن أبي صفوان عبد الله بن بسر الأسلمي، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عَمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. «بُسْر»: بضم الباء وبالسين المهملة.

١٠٩- الخامس عشر: عن أنس رضي الله عنه، قال: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ غَبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَيْتَ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيْتَ لِيِنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ اعْتَدِرْ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلَاءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،

فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنُ مَعَاذِ الْجَنَّةِ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أَحَدٍ. قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بَضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رُمِيَّةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمِثْلُ بِهِ الْمَشْرُكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتَهُ بَيْنَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظْنُ أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: [مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ] [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها. متفقٌ عليه. قوله: «لَيَرَيْنَّ اللَّهَ» رُوِيَ بضم الياء وكسر الراء، أي لَيُظْهِرَنَّ اللَّهُ ذَلِكَ لِلنَّاسِ، وَرُوِيَ بفتحهما، ومعناه ظاهر، والله أعلم.

١١٠ - السادس عشر: عن أبي مسعود عُقْبَةَ بن عمرو الأنصاريّ البدريّ رضي الله عنه قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نَحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا. فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ فَقَالُوا: مُرَاءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرَ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَن صَاعٍ هَذَا، فَنَزَلَتْ {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة ٧٩] الآية. متفقٌ عليه.

«وَنُحَامِلُ» بضم النون، وبالحاء المهملة: أَي يَحْمِلُ أَحَدُنَا عَلَى ظَهْرِهِ بِالْأَجْرَةِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهَا.

١١١ - السابع عشر: عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولانيّ، عن أبي ذرّ جندب بن جنادة، رضي الله عنه، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما يَرُوى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَلَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ، وَإَنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإَنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإَنْسَكُمْ وَجِنَكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ

أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيُحْمِدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثًّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ.
رواه مسلم. وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قوله تعالى: والذين جاهدوا فينا أي جاهدوا الكفار فينا. أي في طلب مرضاتنا.

وقال السدي وغيره: إن هذه الآية نزلت قبل فرض القتال.

وقال أبو سليمان الداراني: ليس الجهاد في الآية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين، وأعظمه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الأكبر.

وقال الجنيد: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص. ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نصر عليها نصره على عدوه ومن نصرت عليه نصر عليه عدوه.

وقال ابن القيم: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت ٦٩) علق سبحانه الهداية بالجهاد فأكمل الناس هداية أعظمهم جهادا وأفرض الجهاد. جهاد النفس وجهاد الهوى وجهاد الشيطان وجهاد الدنيا. فمن جاهد هذه الأربعة في الله هداه الله سبل رضاه الموصلة إلى جنته ومن ترك الجهاد فاته من الهدى بحسب ما عطل من الجهاد. (الفوائد لابن القيم ٥٩)

وقال سفيان بن عيينة لابن المبارك: إذا رأيت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثغور فإن الله تعالى يقول: لنهدينهم. وقال الضحاك: معنى الآية؛ والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الإيمان. ثم قال: مثل السنة في الدنيا كمثّل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم. وقال عبد الله بن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا. وقال يوسف بن أسباط: المعنى: لنخلصن نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم.

قال الحسن : أفضل الجهاد مخالفة الهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة .
(تفسير البغوى الجزء رقم ٦)

قال أبي مسلم الخولاني: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أوحى إلي أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلي أن (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين).
عن مجاهد في قوله : (حتى يأتيك اليقين) قال : الموت . (تفسير الدر المنثور ٨ / ٦٦٧)
عن ابن عباس قوله : (وتبتل إليه تبتيلا) قال : أخلص له إخلاصا .

عن مجاهد في قوله : (وتبتل إليه تبتيلا) قال : أخلص إليه المسألة والدعاء . عن الحسن في قوله :
(وتبتل إليه تبتيلا) قال : بتل نفسك واجتهد . عن قتادة قوله : (وتبتل إليه تبتيلا) يقول : أخلص له العبادة والدعوة . قال ابن زيد في قوله : (وتبتل إليه تبتيلا) قال : أي تفرغ لعبادته قال : تبتل ، فحبذا التبتل إلى الله وقرأ قول الله : (فإذا فرغت فانصب) قال : إذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة الله وإلى ربك فارغب) . (تفسير الطبرى ٢٣ / ٦٨٨)

قال أبي إدريس الخولاني : كان أبو بكر الصديق يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ نزلت هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فأمسك أبو بكر يده وقال : يا رسول الله إننا لراءون ما عملنا من خير أو شر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل الشر ويدخر لك مثاقيل الخير حتى توفاه يوم القيامة وتصديق ذلك في كتاب الله وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير . (الدر المنثور ١٥ / ٥٨٧)

قوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره كان ابن عباس يقول : من يعمل من الكفار مثقال ذرة خيرا يره في الدنيا ، ولا يثاب عليه في الآخرة ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الآخرة مع عقاب الشرك ، ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المؤمنين يره في الدنيا ، ولا يعاقب عليه في الآخرة إذا مات ، ويتجاوز عنه ، وإن عمل مثقال ذرة من خير يقبل منه ، ويضاعف له في الآخرة . وفي بعض الحديث : " الذرة لا زنة لها " وهذا مثل ضربه الله تعالى : أنه لا يغفل من عمل ابن آدم صغيرة ولا كبيرة . وهو مثل قوله تعالى : إن الله لا يظلم مثقال ذرة . قال ابن مسعود : هذه أحكم آية في القرآن .

قال قتادة : ذكر لنا أن رجلا ذهب مرة يستقرئ فلما سمع هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخرها قال : حسبي حسبي إن عملت مثقال ذرة من خير رأيتَه وإن عملت مثقال ذرة من شر رأيتَه، قال : وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : هي الجامعة الفاذة. (الدر المنثور ١٥ / ٥٩٠)

عن الحسن قال : لما نزلت فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره الآية قال رجل من المسلمين : حسبي إن عملت مثقال ذرة من خير أو شر رأيتَه انتهت الموعظة. عن الحارث بن سويد أنه قرأ إذا زلزلت حتى بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قال : إن هذا الإحصاء شديد. (تفسير الدر المنثور ١٥ / ٥٩٠)

وروى كعب الأحبار أنه قال : لقد أنزل الله على محمد آيتين أحصتا ما في التوراة والإنجيل والزيور والصحف : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . (القرطبي ٢٠ / ١٣٥)

عن عمر بن الخطاب أنه اتخذ حيسا - يعني تمرا بلبن - فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه . فقال بعضهم : ما يدري هذا المسكين ما هذا ؟ فقال عمر : لكن رب المسكين يدري ما هو وكأنه تأول : وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا أي مما تركتم وخلفتم ، ومن الشح والتقصير . وأعظم أجرا قال أبو هريرة : الجنة. (تفسير القرطبي ١٩ / ٥٥)

قال قتادة في الآية : لن تنالوا بر ربكم حتى تنفقوا مما يعجبكم، ومما تهوون من أموالكم (وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) يقول : محفوظ ذلك لكم، الله به عليم شاكر له . (الدر المنثور ٣ / ٦٦٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق في وصيته لعمر حين استخلفه: إن أول ما أحذرك: نفسك التي بين جنبيك. (جامع العلوم والحكم ١٧٢)

قال عمر بن الخطاب : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على من لا تخفى عليه أعمالكم (يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ) (الحاقة ١٨).

(مدارج السالكين ١ / ١٨٩ - ١٩٠)

وقال ايضا: إن لهذه القلوب إقبالا وإدبارا فإذا أقبلت فخذوها بالنوافل وإن أدبرت فألزموها الفرائض. (مدارج السالكين ٣ / ١٢٦)

قال أنس بن مالك: سمعت عمر بن الخطاب وخرجت معه حتى إذا دخل حائطا فسمعتة يقول ويبيني

وبينه جدار وهو في جوف الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بنح بنح. والله يا ابن الخطاب لتتقين الله
أو ليعذبنك. (الموطأ ٢ / ٩٩٢)

قال علي بن أبي طالب: أول ما تنكرون من جهادكم جهادكم أنفسكم. (جامع العلوم والحكم ١٧١)
قال علي بن أبي طالب: إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق
وأما طول الأمل فينسى الآخرة ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل
واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا
حساب ولا عمل. (حليه الأولياء ١ / ١١٧)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم في زمان يقود الحق الهوى وسيأتي زمان يقود الهوى الحق فنعود بالله
من ذلك الزمان. (الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٢٠٨)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: إن لهذه القلوب شهوة وإقبالاً وإن لها فترة وإدباراً فخذوها عند
شهوتها وإقبالها ودعوها عند فترتها وإدبارها. (الزهد لابن المبارك ١٣٣١)

وقال معاوية: المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى. (غذاء الالباب للسفاريني ٤٥٧ / ٢)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إذا أصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فإن كان عمله تبعاً لهواه
فيومه يوم سوء وإن كان عمله تبعاً لعلمه فيومه يوم صالح. (تفسير القرطبي ١٦ / ١٥٧)

قال عكرمة: أفرأيت من جعل إلهه الذي يعبده ما يهواه ويستحسنه فإذا استحسن شيئاً وهويه اتخذه
إلهاً!! (الجامع لأحكام القرآن ١٦ / ١٥٦)

سأل أحدهم عبد الله بن عمر عن الجهاد فقال له: ابدأ بنفسك فجاهدها وابدأ بنفسك فاغزها.

(جامع العلوم والحكم ١٧١)

قال عمار بن ياسر: ثلاث من جمعهن جمع الإيثار والإنصاف من نفسه والإنفاق من الإقتار وبذل السلام
للعالم. (الزهد لوكيع ٢ / ٥٠٤)

قال بشر الحافي: من أحب الدنيا فليتهيأ للذل. (البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٢٩٨)

وقال ايضاً: البلاء كله في هواك والشفاء كله في مخالفتك إياه. (روضه المحبين ١ / ٤٧٨)

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد أي الجهاد أفضل قال جهادك هواك وسمعت شيخنا يقول

جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه
أولا حتى يخرج إليهم. (روضه المحيين ١/ ٤٧٨)

قال الحسن: ما الذّابة الجموح بأحوج إلى اللّجام الشّديد من نفسك. (إحياء علوم الدين ٣/ ٧١)
كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري رحمها الله تعالى: أمّا بعد: فإذا أتاك كتابي فعظني وأوجز
فكتب إليه الحسن: أمّا بعد: فاعصِ هواك والسّلام!! (نوادير الرّسائل ٢١)

قال يحيى بن معاذ الرازي: أعداء الإنسان ثلاثة: دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدّنيا بالزّهّد فيها
ومن الشّيطان بمخالفته ومن النّفس بترك الشّهوات. (إحياء علوم الدين ٣/ ٧١)

وقال أيضا: جاهد نفسك بأسياف الرّياضة. والرّياضة على أربعة أوجه: القوت من الطّعام والغمض
من المنام والحاجة من الكلام وحمل الأذى من جميع الأنام فيتولّد من قلة الطّعام موت الشّهوات ومن
قلة المنام صفو الإرادات ومن قلة الكلام السّلامة من الآفات ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات.
وليس على العبد شيء أشدّ من الحلم عند الجفاء والصّبر على الأذى وإذا تحرّكت من النّفس إرادة
الشّهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جرّدت سيوف قلة الطّعام من غمد التّهجد وقلة
المنام وضربتها بأيدي الخمول وقلة الكلام حتّى تنقطع عن الظلم والانتقام فتأمن من بوائقها من بين
سائر الأنام وتصفّيتها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفات فتصير عند ذلك نظيفة ونوريّة خفيفة
روحانيّة فتجول في ميدان الخيرات وتسير في مسالك الطّاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالمملك المتزّه
في البستان. (إحياء علوم الدين ٣/ ٦٦)

قال وهب بن منبه: إذا شككت في أمرين ولم تدر خيرهما فانظر أبعدهما من هواك فاته.

(الجامع لاحكام القرآن ١٦/ ١٤٤)

قال ابن المبارك: فقله صلى الله عليه وسلم: إنّ النّصر مع الصّبر يشمل النّصر في الجهادين: جهاد العدو
الظّاهر وجهاد العدو الباطن فمن صبر فيهما نصر وظفر بعدوّه ومن لم يصبر فيهما وجزع قهر وصار
أسيرا لعدوّه أو قتيلا له. (جامع العلوم والحكم ١٧٢)

كان مالك بن دينار يطوف في السّوق فإذا رأى الشّيء يشتهيّه قال لنفسه: اصبري فوالله ما أمنعك إلا من
كرامتك عليّ. (إحياء علوم الدين ٣/ ٦٧)

قال إبراهيم بن علقمة لقوم جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهاد الأكبر؟، قال: جهاد القلب. (جامع العلوم والحكم ١٧١)

قال سعيد بن جبير: كان أحدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو أحسن منه رمى به وعبد الآخر !!
(تفسير القرطبي ١٦٧/١٦)

قال قتادة: إن الرجل إذا كان كلما هوى شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى فقد اتخذ إلهه هواه. (جامع العلوم والحكم ٢١٠)

قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من نفسي مرّة لي ومرّة عليّ. (الإحياء ٣ / ٧١)
كان أبو العباس الموصلي يقول لنفسه: يا نفس لا في الدنيا مع أبناء الملوك تنتعمين ولا في طلب الآخرة مع العباد تجتهدين كأنّي بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس ألا تستحيين. (الإحياء ٣ / ٧١)
قال ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيّاً حتى يحاسب نفسه محاسبة شريكه وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه. (الزهد لوكيع ٢ / ٥٠١ - ٥٠٢)

قال أبو علي الدقاق: من زين ظاهره بالمجاهدة حسّن الله سرائره بالمجاهدة قال الله تعالى :
(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سُبُلنا). (الرسالة القشيرية ٤٧ / ١)

قال يحيى بن معاذ: من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات. (ذم الهوى ٢٧)
قيل للمهلب : بم نلت ما نلت قال : بطاعة الحزم وعصيان الهوى. (غذاء الالباب ٢ / ٤٥٩)
قال الفضيل : من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق. (غذاء الالباب ٢ / ٤٥٨)

قال الغزالي رحمه الله: إنّ النفس عدوٌّ منازع يجب علينا مجاهدتها. (إحياء علوم الدين ٣ / ٦٥)
قال الشعبي: إنما سمي الهوى هوى لأنه يهوي بصاحبه في النار . قال سهل بن عبد الله التستري : هواك داؤك فإن خالفته فدواؤك . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦ / ١٤٤)

ويقول يونس بن عبيد: ما عالجت شيئاً أشد عليّ من الورع. (حليه الأولياء ١١٦ / ٣)
نقل ابن رجب في مجاهدة النفس عن أبي بكر قوله: وهذا الجهاد يحتاج أيضاً إلى صبر فمن صبر على مجاهدة نفسه وهواه وشيطانه غلبهم، وحصل له النصر والظفر وملك نفسه فصار ملكاً عزيزاً ومن جزع ولم يصبر على مجاهدة ذلك غلب وقهر وأسر وصار عبداً ذليلاً أسيراً في يد شيطانه وهواه كما قيل:

إذا المرء لم يغلب هواه أقامه ... بمنزلة فيها العزيز ذليل. (جامع العلوم والحكم ١٧٢)
قال ابن رجب : وكذلك جهاد العدو الباطن وهو جهاد النفس والهوى فإن جهادهما من أعظم
الجهاد. (جامع العلوم والحكم ١٧١)

يقول ابن الجوزي: النفس مجبولة على حب الهوى فافتقرت لذلك إلى المجاهدة والمخالفة ومتى لم تزجر
عن الهوى هجم عليها الفكر في طلب ما شغفت به فاستأنست بالآراء الفاسدة والأطماع الكاذبة
والأماني العجيبة خصوصاً إن ساعد الشباب الذي هو شعبة من الجنون وامتد ساعد القدرة إلى نيل
المطلوب. (ذم الهوى لابن الجوزي ٣٦)

قال ابن عبد البر: مجاهدة النفس في صرفها عن هواها أشد محاولة وأصعب مراماً وأفضل من مجاهدة
العدو. (الإستذكار ٨ / ٢٨٧)

قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ) (النازعات ٤٠) قال ابن بطال :

جهاد المرء نفسه هو الجهاد الاكمل. (فتح الباري حديث ٦١٣٥)

قال الفيروز آبادي: والحق أن يقال: المجاهدة ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر ومجاهدة الشيطان
ومجاهدة النفس والمجاهدة تكون باليد واللسان. (بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٠٣)

قال ابن القيم : المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تُنال إلا بحظ من المشقة ولا يُعبر إليها
إلا على جسر من التعب وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرَك بالنعيم وأن من آثر الراحة
فاتته الراحة وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا همَّ له
ولا لذة لمن لا صبر له ولا نعيم لمن لا شقاء له ولا راحة لمن لا تعب له بل إذا تعب العبد قليلاً استراح
طويلاً وإذا تحمل مشقه الصبر ساعه قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة والله
المستعان ولا قوة إلا بالله وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه
من الراحة أقل. (مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢ / ١٥)

وقال ابن القيم : لكل عبد بداية ونهاية فمن كانت بدايته اتباع الهوى كانت نهايته الذل والصغار

والحرمان والبلاء. (غذاء الالباب في شرح منظومه الاداب للسفاريني ٢ / ٤٥٩)

وقال ايضاً: لا يسيء الظنّ بنفسه إلا من عرفها ومن أحسن الظنّ بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه .

(مدارج السالكين ١ / ١٩١)

وقال ابن القيم: مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه. (غذاء الالباب ٤٥٧)

قال الشاعر: (بصائر ذوي التمييز ٢ / ٤٠٢)

يا من يجاهد غازيا أعداء دين الله يرجو أن يُعان وينصرا
هلاً غشيت النفس غزواً إنَّها أعدى عدوك كي تفوز وتظفرا
مهما عنيت جهادها وعنادها فلقد تعاطيت الجهاد الأكبرا

الآثار العملية من حياة السلف:

عن سعيد بن أبي هلال: أنه بلغه أن ابن رواحة ذكر شعرا له قال: فلما التقوا أخذ الراية زيد ابن حارثة فقاتل حتى قُتل ثم أخذها جعفر فقاتل حتى قُتل ثم أخذها ابن رواحة فحاد حيدة فقال: أقسمت يا نفس لتزلنني * كارهة أو لتطاونني * ما لي أراك تكرهين الجنه * ثم نزل فقاتل حتى قُتل.

(فتح الباري ٧ / ٥٨٤)

عن عبد الله بن عبدان أبو محمد البغلاني روى أن رجلا كان يتبع سفيان الثوري فيجده أبدا يخرج من لبنة رقعة ينظر فيها ، فأحب أن يعلم ما فيها ، فوقع في يده الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : سفيان اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل . (الحليه تهذيبي ٢ / ٣٧٤)

وقال المروزي: قلت لأحمد: كيف أصبحت؟ قال: كيف أصبح من ربه يطالبه بأداء الفرائض، ونبيه يطالبه بأداء السنة، والمملكان يطلبانه بتصحيح العمل، ونفسه تطالبه بهواها، وإبليس يطالبه بالفحشاء، ومملك الموت يراقب قبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة. (الحليه تهذيبي ٢ / ٩٣٠)

قال عبدالله بن ابي زكريا: عاجلت الصمت عما لا يعنيني عشرين سنة قل أن أقدر منه على ما أريد. (الصمت لابن ابي الدنيا ٢٦٠)

ويقول أبو يزيد: عاجلت كل شيء فما عاجلت أصعب من معالجة نفسي وما شيء أهون عليّ منها.

(حليه الأولياء ١٠ / ٣٦)

ومرة قال: عملت في المجاهدة ثلاثين سنة فما وجدت شيئا أشد عليّ من العلم ومتابعته.

(حليه الأولياء ١٠ / ٣٦)

قال ثابت البناني: كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة. (الإحياء ١ / ٢٨٨)

١٢- باب الحث على الازدياد من الخير في اواخر العصر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَوْلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ [فاطر : ٣٧] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْمُحَقِّقُونَ : مَعْنَاهُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً ؟ وَيُؤَيِّدُهُ الْحَدِيثُ الَّذِي سَنَدُكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى ، وَقِيلَ : مَعْنَاهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقِيلَ : أَرْبَعِينَ سَنَةً ، قَالَهُ الْحَسَنُ وَالْكَلْبِيُّ وَمَسْرُوقٌ وَنُقِلَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً . وَتَقَلُّوا أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ كَانُوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً تَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ ، وَقِيلَ : هُوَ الْبُلُوغُ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَالْجَمْهُورُ : هُوَ النَّبِيُّ ، وَقِيلَ : الشَّيْبُ ، قَالَهُ عِكْرِمَةُ وَابْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُمَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١١٢- وَأَمَّا الْأَحَادِيثُ فَالْأَوَّلُ : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «أَعْدَرَ اللهُ إِلَى أَمْرِيءٍ آخَرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

قَالَ الْعُلَمَاءُ مَعْنَاهُ : لَمْ يَتْرِكْ لَهُ عُدْرًا إِذْ أَمَهَلَهُ هَذِهِ الْمُدَّةَ . يُقَالُ : أَعْدَرَ الرَّجُلُ إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ فِي الْعُدْرِ .
١١٣- الثَّانِي : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاحِ بَدْرٍ ، فَكَانَ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ فَقَالَ : لِمَ يَدْخُلُ هَذَا مَعَنَا وَلَنَا أَبْنَاءٌ مِثْلَهُ ، ؟ فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ مِنْ حَيْثُ عَلِمْتُمْ ، فَدَعَانِي ذَاتَ يَوْمٍ فَأَدْخَلَنِي مَعَهُمْ فَمَا رَأَيْتُ أَنَّهُ دَعَانِي يَوْمَئِذٍ إِلَّا لِيُرِيَهُمْ قَالَ : مَا تَقُولُونَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } [الْفَتْحُ : ١] فَقَالَ بَعْضُهُمْ : أَمْرًا نَحْمَدُ اللهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ إِذَا نَصَرْنَا وَفَتَحَ عَلَيْنَا . وَسَكَتَ بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَقَالَ لِي : أَكذلك تقول يا ابنِ عَبَّاسٍ ؟ فَقُلْتُ : لَا . قَالَ فَمَا تَقُولُ ؟ قُلْتُ : هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَعْلَمَهُ لَهُ قَالَ : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } وَذلك علامة أجلك { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [الْفَتْحُ : ٣] فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَقُولُ . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

١١٤- الثَّالِثُ : عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ } إِلَّا يَقُولُ فِيهَا : « سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » متفقٌ عليه .

وفي رواية الصحيحين عنها : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ

وَسُجُودِهِ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي » يتأول القرآن . معنى : « يتأول القرآن » أي : يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالى : { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ } . وفي رواية لمسلم : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ : « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » . قالت عائشة : قلت : يا رسول الله ما هذه الكلمات التي أراك أخذتها تقولها ؟ قال : « جُعِلَتْ لِي علامةٌ في أمّتي إذا رأيْتُها قُلْتُهَا { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } إلى آخر السورة » . وفي رواية له : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكثِرُ مِنْ قَوْلِ : « سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ » . قالت : قلت : يا رسول الله أراك تُكثِرُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ؟ فقال : « أَخْبَرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلامَةً فِي أُمَّتِي فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكثَرْتُ مِنْ قَوْلِ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ : فَقَدْ رَأَيْتُهَا : { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } فَتُحِ مَكَّةَ { وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }

١١٥ - الرابع : عن أنس رضي الله عنه قال : إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ تَابَعَ الوَحْيِ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ وَفَاتِهِ ، حَتَّى تُؤْفَى أَكْثَرَ مَا كَانَ الوَحْيُ . متفق عليه .

١١٦ - الخامس : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ على ما مَاتَ عَلَيْهِ » رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن علي رضي الله عنه قال : (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير) العمر الذي عمركم به ستون سنة . عن مجاهد عن ابن عباس قال : العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة . عن مجاهد قال : سمعت ابن عباس يقول : العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم (أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) أربعون سنة . عن مسروق أنه كان يقول : إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله . قال ابن زيد في قوله : (وجاءكم النذير) قال : النذير : النبي وقرأ (هذا نذير من النذر الأولى) .

عن عكرمه في قوله (وجاءكم النذير) قال : الشيب . عن ابن عباس (وجاءكم النذير) قال : الشيب .
عن قتادة في الآية قال : اعلّموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نغير بطول العمر، قال : نزلت وإن
فيهم لابن ثمان عشرة سنة، وفي قوله : وجاءكم النذير قال : احتج عليهم بالعمر والرسول .
(تفسير الدر المنثور ١٢ / ٣٠٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما استبقنا إلى شيء من الخير إلا سبقنا أبو بكر وكان سباقا بالخيرات
ثم كان السابق بعده إلى الخيرات عمر وفي آخر حجة حجها عمر جاء رجل لا يُعرف كانوا يرونه من
الجن فرثاه بأبيات منها:

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق . (لطائف المعارف ١ / ٢٤٤)
قال عبد الله بن مسعود : إني لأمقت الرجل أن أراه فارغا ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل
الآخرة . (الزهد لوكيع ١ / ٤١٨)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : ما ندمت على شيء ندمي على يومٍ غربت شمسهُ نقص فيه أجلي ولم يزد
فيه عملي . (قيمة الزمن عند العلماء لعبد الفتاح ابورغدة ١ / ٢٧)

وعنه أيضا أنه كان يقول إذا قعد يذكر إنكم في عمر من الليل والنهار في اجال منقوصة واعمال محفوظة
والموت يأتي بغتة فمن زرع خيرا فيوشك ان يحصد رغبة ومن زرع شرا فيوشك ان يحصد ندامة ولكل
زارع مثل ما زرع لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له فان اعطى خيرا فالله اعطاه ومن
وقي شرا فالله وقاه المتقون سادة والفقهاء قادة ومجالسهم زيادة . (صفة الصفوة ١ / ١٥٤)

قال معاذ بن جبل : ليس تحسّر أهل الجنة إلا على ساعة مرّت بهم لم يذكروا الله عزّ وجلّ فيها . وقال أيضا
: إن كلّ مجلس لا يذكر العبد فيه ربّه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة . (الوابل الصيب ٥٩)

قال الحسن البصري : يا ابن آدم إنّما أنت كلّما ذهب يوم ذهب بعضك . (الحلية ١٤٨ / ٢)
وقال أيضا في موعظة لأصحابه : ولا يلهينك المتاع القليل الفاني ولا تربص بنفسك فهي سريعة
الانتقاص من عمرك فبادر أجلك ولا تقل غداً غداً فإنك لا تدري متى إلى الله تصير . (الحلية ٢ / ١٤٠)
وقال أيضا : ما يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزوّد مني
فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة . (حلية الأولياء ١٤٧ / ٢)

وقال ذات يوم رحمه الله لجلسائه: يا معشر الشيوخ: ما ينتظر بالزرع إذا بلغ؟ قالوا: الحصاد قال: يا

معشر الشباب: إن الزرع قد تدركه العاهة قبل أن يبلغ. (الزهد الكبير للبيهقي ٥٠٠)

ويقول رحمه الله في موعظة له: المبادرة المبادرة! فإنما هي الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأً نظر إلى نفسه ويكفي على عدد ذنوبه ثم قرأ (إِنَّا نَعُدُّهُمْ عِدًّا) (مريم ٨٤) ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد دخولك في قبرك. (قصر الامل لابن ابي الدنيا ١٠٧)

وكان يقول: يا ابن آدم إياك والتسوية فإنك بيومك ولست بغد فإن يكن غد لك فكن في غد كما كنت في اليوم وإلا يكن لك لم تندم على ما فرطت في اليوم. (الزهد لابن المبارك ٤)

وقال أيضا: أدركت أقوامًا كان أحدهم أشحَّ على عمره منه على درهمه وديناره. (الزهد للمبارك ٤)

وقال رحمه الله: يا ابن آدم نهارك ضيفك فلا يرحلن عنك إلا وهو راض وكذا ليلك .

(المجالسة وجواهر العلم ١/ ٢٢٢)

قيل للحسن البصري: لم لا تغسل قميصك؟ قال: الأمر أسرع من ذلك! (المجالسة وجواهر العلم ٢/ ٣١٠)

قال عمر بن عبد العزيز إن لي نفسا تواقه ما نالت شيئا إلا تاقته إلى ما هو أفضل منه وإنها لما نالت هذه المنزلة يعني الخلافة وليس في الدنيا منزلة أعلى منها تاقته إلى ما هو أعلى من الدنيا يعني الآخرة.

(لطائف المعارف ١/ ٢٤٤)

قال عمر بن عبد العزيز: في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة ليس السابق اليوم من سبق به بعيره

إنما السابق من غُفر له. (لطائف المعارف لابن رجب ١/ ٢٤٤)

قال بشر بن الحارث: مررت برجل من العباد بالبصرة وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال أبكي على ما

فرطت من عمري وعلى يوم مضى من أجلي لم يتبين فيه عملي. (المجالسة وجواهر العلم ١/ ٤٦ رقم ١٨٢)

قال ابن الجوزي: ولقد شاهدت خلقًا كثيرًا لا يعرفون معنى الحياة: فمنهم من أغناه الله عن التكسب

بكثرة ماله فهو يقعد في السوق أكثر النهار ينظر إلى الناس وكم تمر به من آفة ومنكر! ومنهم من يخلو

بلعب الشطرنج! ومنهم من يقطع الزمان بكثرة الحديث عن السلاطين والغلاء والرخص إلى غير ذلك

فعلمت أن الله تعالى لم يُطلع على شرف العمر ومعرفة قدر أوقات العافية إلا من وفقه وأهله اغتنام

ذلك. (وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (فصلت: ٣٥). (صيدالخطا ٢٤١)

قال ابن الجوزي: يا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة أينفق العمر النفيس في نيل الهوى الخسيس.

(المدهش ٥٥٣)

وقال بلال بن سعد لأصحابه: عباد الرحمن يقال لأحدنا: تحب أن تموت؟ فيقول: لا، فيقال: لم؟

فيقول: حتى أعمل، فيقال له: اعمل فيقول: سوف فلا يجب أن يموت ولا يجب أن يعمل وأحب شيء إليه

أن يؤخر عمل الله عز وجل ولا يجب أن يؤخر عنه عرض دنياه!. (الزهد الكبير للبيهقي ٥٠٣)

قال أبو عبيد: دخلنا على محمد بن سوقة قال: ألا أحدثكم بحديث لعله ينفعكم؟ فإنه نفعني قال لنا

عطاء بن أبي رباح يا ابن أخي إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول

الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يُقرأ أو أمرا بمعروف أو نهيًا عن منكر أو تنطق في حاجتك في معيشتك

التي لا بد لك منها أتكرونها (وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين) (الإنفطار ١١)

(عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) (ق ١٧) أما يستحي أحدكم لو

نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه. (الحليه ٣/ ٣١٤)

قال أبو جعفر بن نفيل رحمه الله: قدم علينا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين فسألني يحيى وهو يعانقني

! فقال: يا أبا جعفر قرأت على معقل بن عبيد الله عن عطاء: أدنى وقت الحائض يوم؟ فقال له: أبا عبد

الله يعني أحمد بن حنبل: لو جلست! قال: أكره أن أموت أو أفارق الدنيا قبل أن أسمع.

(تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٥٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ٢/ ١٨٢)

قال رجل لمالك بن دينار: رأيت في المنام مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا يرتحل

إلا محمد بن واسع فصاح مالك وغشي عليه: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ، أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ)

(الواقعة ١٠-١٢). (لطائف المعارف ١/ ٢٤٤)

قال سيار بن جعفر لمالك بن دينار حين ماتت أم يحيى يا أبا يحيى لو تزوجت قال لو استطعت لطلقت

نفسي. (حليه الأولياء ٢/ ٣٦٥)

قال عاصم بن سليمان الأحول: قال فضيل الرقاشي وأنا أسأله: يا هذا لا يشغلنك كثرة الناس عن

نفسك فإن الأمر يخلص إليك دونهم ولا تقل: أذهب ها هنا وها هنا ليذهب علي النهار فإنه محفوظ

عليك ولم نر شيئاً قط أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم. (الحلية ٣/ ١٠٢)

عن موسى بن إسماعيل قال: لو قلت لكم: إني ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكاً قط صدقتكم كان مشغولاً بنفسه إما أن يحدث وإما أن يقرأ وإما أن يسبح وإما أن يصلي كان قد قسم النهار على هذه الأعمال. (حليه الأولياء ٦/ ٢٥٠)

قيل للربيع بن خيثم: لو جالستنا فقال: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة فسد علي. (الحلية ٢/ ١١٦)

قالت امرأة شميظ بن عجلان: يا أبا همام إنما نعمل الشيء ونصنعه فنشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد فقال: والله إن أبغض ساعاتي إليّ الساعة التي أكل فيها. (الحلية ٣/ ١٢٨)

قال معاوية بن قرة: أكثر الناس حساباً يوم القيامة الصحيح الفارغ. (اقتضاء العلم العمل ٣/ ١٠٣)

قال المناوي رحمه الله: من أمضى يومه في غير حق قضاءه أو فرض أداهاً ومجد أثله أو حمد حصله أو خير أسسه أو علم اقتبسه فقد عرق يومه وظلم نفسه. (فيض القدير ٦/ ٢٨٨)

قال سيف اليباني: إن من علامة إعراض الله عن العبد أن يشغله بما لا ينفعه. (طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ٢٩٢)

قال أبو بكر بن عياش: احدهم لو سقط منه درهم لظّل يقول إنا لله ذهب درهمي وهو ذهب يومه ولا يقول ذهب يومي ما عملت فيه. (حليه الأولياء ٨/ ٣٠٢)

وقال أبو حازم سلمة بن دينار: إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير. (حليه الأولياء ٣/ ٢٤٢)

عن الضحّاك: في قول الله تبارك وتعالى: (إنما نعد لهم عدا) (مريم ٨٤) قال: الأنفاس. (المجالسه وجواهر العلم ٣/ ٤٤٥)

قال عثمان الباقلاني: أبغض الأشياء إلى وقت إفطاري لأني أشتغل بالأكل عن الذكر.

(تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر لابن الجوزي)

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: أثقل الساعات على ساعة أكل فيها.

(الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ٨٧)

قال الفخر الرازي رحمه الله: والله إنني أتأسف في الفوات عن الاشتغال بالعلم في وقت الأكل فإن الوقت والزمان عزيز. (عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ٤٦٢)

قال سليمان الداراني رحمه الله: لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره إلا على لذة ما فاته من الطاعة فما مضى كان ينبغي له أن يبكيه حتى يموت. (حلية الأولياء ٩ / ٢٧٥)

قال أبو مسلم الخولاني: لو قيل لي إن جهنم تسعر ما استطعت أن أزيد في عملي. (الحلية ٢ / ١٢٤)

قال ابن حجر: إنني لأتعجب ممن يجلس خالياً عن الاشتغال. (الجواهر والدرر ١ / ١٧٠)

قال أبو العباس الدينوري: ليس في الدنيا والآخرة أعز وألطف من (الوقت) و(القلب) وأنت مضيع للوقت والقلب. (الزهد الكبير ٢٩٤)

وقال ابن القيم رحمه الله: إضاعة الوقت أشد من الموت لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها. (الفوائد ٤٤)

وقال ايضاً: السنّة شجرة والشهور فروعها والأيام أغصانها والساعات أوراقها والأنفاس ثمرها فمن كانت أنفاسه في طاعة: فثمرة شجرته طيبة ومن كانت في معصية فثمرته حنظل وإنما يكون الجداد

(يعني: جني الثمار) يوم المعاد فعند الجداد يتبين حلو الثمار من مرّها. (الفوائد ١٦٤)

قال الوزير بن هبيرة: (ذيل طبقات الحنابلة ١ / ٢٨١)

والوقت أنفس ما عُنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع.

وقال ابن هانئ الأندلسي: (مجمع الحكم والامثال ٢١٧)

ولم أجد الإنسان إلا ابن سعيه فمن كان أسعى كان بالمجد أجدرًا

وبالهمة العلياء يرقى إلى العلا فمن كان أرقى همّة كان أظهرًا

ولم يتأخر من يريد تقدمًا ولم يتقدم من يريد تأخرًا

آثار العمل في حياة المسلم:

قال الفضيل بن عياض: لرجل كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى

ربك توشك أن تبلغ فقال الرجل: يا أبا علي إنا لله وإنا إليه راجعون فقال له الفضيل: تعلم ما تقول؟ قال

الرجل: قلت إنا لله وإنا إليه راجعون فقال الفضيل: تعلم ما تفسيرها؟ قال الرجل: فسرها لنا يا أبا علي

قال: قولك إنا لله قول: أنا لله عبد وأنا إلى الله راجع فمن علم أنه عبد الله وأنه إليه راجع فليعلم بأنه

موقوف ومن علم بأنه موقوف فليعلم بأنه مسؤول ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابًا، فقال

الرجل: فما الحيلة؟ قال يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى وما بقي فإنك إن

أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي. (حليه الأولياء ٨ / ١١٣)

ونقل عن عامر بن قيس من التابعين: أن رجلاً قال له: تعال أكلمك قال: أمسك الشمس يعني أوقفها لي واحبسها عن المسير لأكلمك، فإن الزمن سريع المضي لا يعود بعد مروره، فخسارته لا يمكن تعويضها واستدراكها. وقد كان جماعه قد قعدوا عند معروف واطالوا فقال: ان ملك الشمس لا يفتقر عن سوقها فمتى تريدون القيام؟ (الأداب الشرعيه ٤ / ١٧٠)

قال علي بن أحمد الخوارزمي: سمعت عبد الرحمن بن أبي حاتم يقول: كنا بمصر سبعة أشهر لم نأكل فيها مرقة كل نهارنا مقسم لمجالس الشيوخ وبالليل النسخ والمقابلة، قال: فأتينا يوماً وأنا ورفيق لي شيخاً فقالوا: هو عليل فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا فاشتريناها فلما صرنا إلى البيت حضر وقت مجلس، فلم يمكننا إصلاحه ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام وكان أن تغير فأكلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه ثم قال: لا يستطيع العلم براحة الجسد. (تذكرة الحفاظ ٣ / ٨٣٠)

وقال ابن الجهم: إذا غشيني النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة قال: فإذا اعتراني ذلك تناولت كتاباً من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانه وعزّ التبيين أشدّ إيقاظاً من نهيق الحمير وهدة الهدم. (الجاحظ في كتاب الحيوان ١ / ٥٣)

قال عمار بن رجا: أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل كانت أختي تلقمني وأنا أكتب الحديث. (سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٥٩)

قال محمد بن ثابت البناني: ذهب ألقن أبي وهو في الموت لا إله إلا الله فقال: يا بني دعني فإني في وردي السادس أو السابع. (صيد الخاطر ٣٤)

كان داوود الطائي: يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز فليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية. (المجالسة وجواهر العلم ١ / ٣٤٦)

كان العلامة النحوي محمد بن أحمد أبو بكر الخياط البغدادي: يدرس جميع أوقاته حتى في الطريق كان ريباسقط في جرف أو خبطته دابه. (المشوق إلى القراءة وطلب العلم ٦٢)

قال الوليد بن عقبة الشيباني: سمعت رجلاً يقول لداود الطائي ألا تسرح لحيتك؟! قال إني عنها

لمشغول. (المجالسة وجواهر العلم ٧/ ٢٣٢)

قال عبد الله بن داود رحمه الله: كان أحدُهم إذا بلغ أربعين سنةً طوى فراشه. وكان بعضهم يُحيي الليل فإذا نظر إلى الفجر قال: عند الصباح يَحْمَدُ القَوْمَ السَّري (فالذي يقوم الليل سوف يُسرَّ به إذا كان يوم القيامة). (عيون الأخبار ٢ / ٦٧٧)

١٤- باب في بيان كثرة طرق الخير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهُ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة: ٢١٥]، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ [البقرة: ١٩٧]، وَقَالَ تَعَالَى: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ [الزلزلة: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ [الجاثية: ١٥]

والآيات في الباب كثيرة .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي غيرُ منحصرة فنذكرُ طرفاً منها :

١١٧- الأوّل : عن أبي ذرٍّ جُنْدَبِ بْنِ جُنَادَةَ رضي الله عنه قال : قلت يا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أَفْضَلُ ؟ قال : « الإِيمانُ باللهِ ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ » . قُلْتُ : أيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قال : « أَنْفُسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا ، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا » . قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ ؟ قال : « تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ » قُلْتُ : يا رسولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ ؟ قال : « تَكُفُّ شَرَكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ » . متفقٌ عليه .

« الصانِعُ » بالصَّادِ المَهْمَلَةِ هذا هو المشهور ، وَرَوَى « صَانِعًا » بالمعجمة : أي ذَا ضِياعٍ مِنْ فَقْرٍ أَوْ عِيالٍ ، وَنَحْوَ ذَلِكَ « وَالْأَخْرَقُ » : الَّذِي لَا يُتَقَنُّ مَا يُجَاوِلُ فِعْلَهُ .

١١٨- الثاني : عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أيضاً أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ . وَيُجْزَى مِنْ ذَلِكَ رَكَعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى « رواه مسلم . « السُّلَامَى » بضم السين المَهْمَلَةِ وتخفيف اللام وفتح الميم : المَفْصَلُ .

١١٩- الثالثُ عنه قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُبَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِيءِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ » رواه مسلم .

١٢٠- الرابع عنه : أن ناساً قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ذهب أهلُ الدُّثور بالأجور ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ قَالَ : « أَوْ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ : إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا : يا رسولَ اللهِ أَيُّهَا أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ ، وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟ ، قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَائِلِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ » رواه مسلم . « الدُّثُورُ » : بالثاءِ المثلثة : الأموال ، واحِدُهَا : دُثْرٌ .

١٢١- الخامس : عنه قال : قال لي النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ » رواه مسلم .

١٢٢- السادس : عن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ : تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ ، وَتَمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » متفق عليه .

ورواه مسلم أيضاً من رواية عائشة رضي اللهُ عنها قالت : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِينَ مَفْصِلٍ ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهُ ، وَحَمَدَ اللهُ ، وَهَلَّلَ اللهُ ، وَسَبَّحَ اللهُ وَاسْتَغْفَرَ اللهُ ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ شَوْكَةً أَوْ عِظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنِ مُنْكَرٍ ، عَدَدَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِينَ ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَوْمِيذٍ وَقَدْ رَحِحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ »

١٢٣- السابع : عنه عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ

في الجنة نُزِلًا كُلَّمَا عَدَا أَوْ رَاحَ « متفق عليه . « النزل » : القوت والرزق وما ميبأ للضيف
١٢٤ - الثامن : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً
لِحَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ » متفق عليه .

قال الجوهرى : الفرسن من البعير : كالحافر من الدابة ، قال : ورُبمَا اسْتُعِيرَ فِي الشَّاةِ
١٢٥ - التاسع : عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ، أَوْ بِضْعٌ
وَسِتُونَ شُعْبَةً : فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ
الْإِيمَانِ » متفق عليه . « البضع » من ثلاثة إلى تسعة ، بكسر الباء وقد تفتح . « والشعبة » : القطعة
١٢٦ - العاشر : عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ
الْعَطَشُ ، فَوَجَدَ بَيْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ ، فَقَالَ
الرَّجُلُ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي ، فَنَزَلَ الْبَيْرُ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ
أَمْسَكَ بِهِ ، حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ . قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ
أَجْرًا ؟ فَقَالَ : « فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ » متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ ،
فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ » . وفي رواية لهما : « بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ
بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَنَزَعَتْ مَوْقَهَا فَاسْتَقَتَ لَهُ بِهِ ، فَسَقَتْهُ فَغَفِرَ لَهَا بِهِ . « الموق » : الخف .
وَيُطِيفُ » : يَدُورُ حَوْلَ « رَكِيَّةٍ » وَهِيَ الْبَيْرُ

١٢٧ - الحادي عشر : عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَّقَلُّبُ فِي الْجَنَّةِ
فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ تُوذِي الْمُسْلِمِينَ » . رواه مسلم .

وفي رواية : « مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأُنْحِنَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا
يُؤْذِيهِمْ ، فَأَدْخَلَ الْجَنَّةَ » . وفي رواية لهما : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى
الطَّرِيقِ ، فَأَخْرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ، فَغَفَرَ لَهُ »

١٢٨ - الثاني عشر : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ التَّوَضُّؤَ
، ثُمَّ أَتَى الْجُمُعَةَ ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَمَنْ مَسَّ

الحصا فقد لغا» رواه مسلم .

١٢٩- الثالث عشر : عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُسْلِمُ ، أَوْ الْمُؤْمِنُ فغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بِطَشْتِهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاءِ أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ » رواه مسلم .

١٣٠- الرابع عشر : عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الصَّلَاةُ الْخُمْسُ ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكْفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبْتَ الْكَبَائِرَ » رواه مسلم .

١٣١- الخامس عشر : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَذَلِكَ رَبَّاطٌ » رواه مسلم .

١٣٢- السادس عشر : عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ » متفق عليه . « الْبَرْدَانِ » : الصُّبْحُ وَالْعَصْرُ .

١٣٣- السابع عشر : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا » رواه البخاري .

١٣٤- الثامن عشر : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ » رواه البخاري ، ورواه مسلم من رواية حذيفة رضي الله عنه .

١٣٥- التاسع عشر : عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَلَا يَرْزُوهَ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ » رواه مسلم . وفي رواية له : « فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وفي رواية له : « لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا ، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا ، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ ، وَرَوِيَاهُ جَمِيعًا مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَوْلُهُ :

« يَرْزُوهُ » أي : يَنْقُصُهُ

١٣٦- العَشْرُونَ : عَنْهُ قَالَ : أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَتَّقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُمْ : « إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَتَّقِلُوا قُرْبَ الْمَسْجِدِ ؟ » فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرَدْنَا ذَلِكَ ، فَقَالَ : « بَنِي سَلِمَةَ دِيَارُكُمْ ، تَكْتَبُ آثَارُكُمْ ، دِيَارُكُمْ ، تُكْتَبُ آثَارُكُمْ » رواه مسلم . وفي رواية : « إِنَّ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةٌ » رواه مسلم . ورواه البخاري أيضاً بِمَعْنَاهُ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَ « بَنُو سَلِمَةَ » بِكَسْرِ اللَّامِ : قَبِيلَةٌ مَعْرُوفَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَ « آثَارُهُمْ » خُطَاهُمْ

١٣٧- الْحَادِي وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا تُحْطِئُهُ صَلَاةٌ فَاقِيلَ لَهُ ، أَوْ فَقُلْتُ لَهُ : لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظُّلَمَاءِ ، وَفِي الرَّمْضَاءِ فَقَالَ : مَا يَسُرُّنِي أَنْ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ ، إِيَّيْ أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مُمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قَدْ جَمَعَ اللَّهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ » رواه مسلم .

وفي رواية : « إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ » . « الرَّمْضَاءُ » الْأَرْضُ الَّتِي أَصَابَهَا الْحَرُّ الشَّدِيدُ .

١٣٨- الثَّانِي وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ الْعَنْزِ ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَضَدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهَا الْجَنَّةَ » رواه البخاري . « الْمَنِيحَةُ » : أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا لِأَكْلِ لَبْنِهَا ثُمَّ يَرُدُّهَا إِلَيْهِ .

١٣٩- الثَّلَاثُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفق عليه .

وفي رواية لها عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجَمَانٌ ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ

طَيِّبَةٌ

١٤٠ - الرَّابِعُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرِبَ الشَّرْبَةَ فَيُحْمَدُهُ عَلَيْهَا » رواه مسلم .
« وَالْأَكْلَةُ » بفتح الهمزة : وهي الغدوة أو العشوة .

١٤١ - الْخَامِسُ وَالْعَشْرُونَ : عَنْ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ ؟ قَالَ : « يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ ؟ قَالَ : يُعِينُ ذَا الْحَاجَةِ الْمَلْهُوفَ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ قَالَ : « يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ الْخَيْرِ » قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ ؟ قَالَ : « يُمَسِّكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ » متفق عليه

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

يقول تعالى ذكره : من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى إلى أمره وانزجر لنتهيه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله ، أطاع ربه لا لغير ذلك لأنه لا ينفع ذلك غيره والله عن عمل كل عامل غني (ومن أساء فعليها) يقول : ومن أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه وخلافه فيها أمره ونهيه ، فعلى نفسه جنى ؛ لأنه أوبقها بذلك ، وأكسبها به سخطه ولم يضر أحدا سوى نفسه (ثم إلى ربكم ترجعون) يقول : ثم أنتم أيها الناس أجمعون إلى ربكم تصيرون من بعد مماتكم فيجازي المحسن منكم بإحسانه والمسيء بإساءته فمن ورد عليه منكم بعمل صالح جوزي من الثواب صالحا ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيئا. (تفسير الطبري ٢٢ / ٦٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الحسن البصري: من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره.

(لطائف المعارف ١ / ٢٤٤)

قال وهيب بن الورد: ان استطعت الا يسبقك الى الله احد فافعل. (لطائف المعارف ١ / ٢٤٤)

قال الشبلي: من ركن إلى الدنيا أحرقتة بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن إلى الآخرة أحرقتة بنورها فصار سبيكة ذهب يتنفع به ومن ركن إلى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهر لا قيمة له

العالى الهمة يجتهد فى نيل مطلوبه ويبدل وسعه فى الوصول إلى رضى محبوبه فأما خسيس الهمة فاجتهاده فى متابعة هواه ويتكل على مجرد العفو فيفوته إن حصل له العفو منازل السابقين المقربين.

(لطائف المعارف لابن رجب ١ / ٢٤٥)

قال خالد بن معدان: إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه فإنه لا يدري متى يغلق عنه.
(سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٠)

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة: إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد فى العمل شيئا. علق الذهبى فقال: كانت أوقاته معمورة بالتعب والأوراد. (سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٤٧)

قال ابن القيم: إذا حضرت للرجل فرصة القربة والطاعة فالحزم كل الحزم فى انتهازها والمبادرة إليها والعجز فى تأخيرها والتسوية بها ولا سيما إذا لم يثق بقدرته وتمكنه من أسباب تحصيلها فإن العزائم والهمم سريعة الانتقاض قلما ثبت والله سبحانه يعاقب من فتح له بابا من الخير فلم يتهزه بأن يحول بين قلبه وإرادته فلا يمكنه بعد من إرادته عقوبة له. (زاد المعاد لابن القيم ١ / ٥٠١ / ٣)

١٤ - باب فى الانتصاف فى العبادات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى [طه : ١] ، وَقَالَ تَعَالَى: يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ [البقرة : ١٨٥] .

١٤٢ - عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة قال : من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها قال : « مه عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما دأب صاحبه عليه » متفق عليه .

« ومه » كلمة نهي وزجر . ومعنى « لا يمل الله » أي : لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ، ويعاملكم معاملة المأل حتى تملوا فتتركوا ، فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه كيوم ثوابه لكم وفضله عليكم .

١٤٣ - وعن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل

أبدأ ، وقال الآخرُ : وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلَا أَفْطِرُ ، وَقَالَ الْآخَرُ : وَأَنَا اعْتَزَلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ ، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأَفْطِرُ ، وَأَصِلِّي وَأَزُقِدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » متفقٌ عليه .

١٤٤ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهُمْ ثَلَاثًا ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ . « الْمُتَنَطِّعُونَ » : الْمُتَعَمِّقُونَ الْمُشَدِّدُونَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ التَّشْدِيدِ .

١٤٥ - عن أبي هريرة رضي الله عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يَشَادَّ الدِّينُ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدُّوْا وَقَارِبُوا وَأَبْشُرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَةِ » رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ . وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ « سَدُّوْا وَقَارِبُوا وَاغْدُوا وَرُوْحُوا وَشَيْءٍ مِنَ الدُّجَةِ الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبَلُّغُوا »

قوله : « الدِّينُ » هُوَ مَرْفُوعٌ عَلَى مَا لَمْ يُسَمَّ فَاعِلُهُ . وَرَوِيَ مَنْصُوبًا ، وَرَوِيَ : « لَنْ يَشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ » .. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَّا غَلَبَهُ » : أَيُّ : غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذَلِكَ الْمَشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ . « وَالْغَدْوَةُ » سَيْرٌ أَوَّلِ النَّهَارِ . « وَالرَّوْحَةُ » : آخِرُ النَّهَارِ « وَالدُّجَةُ » : آخِرُ اللَّيْلِ . وَهَذَا اسْتِعَارَةٌ ، وَتَمَثِيلٌ ، وَمَعْنَاهُ : اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ ، وَفِرَاحِ قُلُوبِكُمْ بِحَيْثُ تَسْتَلِدُونَ الْعِبَادَةَ وَلَا تَسْأَمُونَ مَقْصُودَكُمْ ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ الْحَازِقَ يَسِيرُ فِي هَذِهِ الْأَوْقَاتِ وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غَيْرِهَا ، فَيَصِلُ الْمَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

١٤٦ - وعن أنس رضي الله عنه قال : دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ فَقَالَ : « مَا هَذَا الْحَبْلُ ؟ قَالُوا ، هَذَا حَبْلٌ لِرَزِينَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « حُلُوهُ ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ » متفقٌ عليه

١٤٧ - وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ ، فَإِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسَ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَعْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ » . متفقٌ عليه .

١٤٨- وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلَوَاتِ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا « رواه مسلم . قوله : قَصْدًا : أَي بَيْنَ الطُّولِ وَالْقَصْرِ .

١٤٩- وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال : أَخَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَدِّلَةً فَقَالَ : مَا شَأْنُكَ ؟ قَالَتْ : أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا . فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ ، قَالَ : مَا أَنَا بِأَكْلٍ حَتَّى تَأْكُلَ ، فَأَكَلَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ : نَمْ فَنَامَ ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ : نَمْ ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ سَلْمَانُ : قُمْ الْآنَ ، فَصَلِّ يَا جَمِيعًا ، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ : إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَدَقَ سَلْمَانُ » رواه البخاري .

١٥٠- وعن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : أَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنِّي أَقُولُ : وَاللَّهِ لَا صَوْمَ النَّهَارِ ، وَلَا قَوْمَ اللَّيْلِ مَا عَشْتُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْتَ الَّذِي تَقُولُ ذَلِكَ ؟ فَقُلْتُ لَهُ : قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ ، وَنَمْ وَقُمْ ، وَصُمْ مِنْ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ الْحَسَنَةَ بَعَشْرَ أَمْثَالِهَا ، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ قُلْتُ : فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ : فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ ، قُلْتُ : فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : « فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا ، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُودَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « هُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ » فَقُلْتُ فَإِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » وَلَأنْ أَكُونَ قَبْلُ الثَّلَاثَةِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِي وَمَالِي .

وَفِي رِوَايَةٍ : « أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ ؟ » قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « فَلَا تَفْعَلْ : صُمْ وَأَفْطِرْ ، وَنَمْ وَقُمْ فَإِنَّ لِحَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرِزْقِكَ

عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ لَزُورِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا ، فَإِذْنِ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ « فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً ، قَالَ : « صُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ وَلَا تَزِدْ عَلَيْهِ » قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامَ دَاوُدَ؟ قَالَ : « نِصْفُ الدَّهْرِ » فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبُرَ : يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَفِي رِوَايَةٍ : « أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ ؟ » فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَمْ أَرِدْ بِذَلِكَ إِلَّا الْخَيْرَ قَالَ : « فَصُمْ صَوْمَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ ، وَاقْرَأَ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرِينَ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ » قُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ » فَشَدَّدْتُ فَشَدَّدَ عَلَيَّ ، وَقَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ قَالَ : فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَبُرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي قَبِلْتُ رُحْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وَفِي رِوَايَةٍ : « وَإِنَّ لَوْلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا » وَفِي رِوَايَةٍ : لَا صَامَ مِنْ صَامِ الْأَبَدِ « ثَلَاثًا . وَفِي رِوَايَةٍ : « أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صِيَامُ دَاوُدَ ، وَأَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى صَلَاةُ دَاوُدَ : كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا ، وَلَا يَفْرُ إِذَا لَاقَى » .

وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : أَنْكَحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَتْتَهُ أَيَّامًا : امْرَأَةٌ وَلَدِهِ فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْضِهَا ، فَتَقُولُ لَهُ : نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا وَلَمْ يُفْتَشْ لَنَا كَنْفًا مُنْذُ آتَيْنَاهُ فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « الْقَنِي بِهِ » فَلَقِيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ :

« كَيْفَ تَصُومُ ؟ » قُلْتُ كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : « وَكَيْفَ تَحْتِمُ ؟ » قُلْتُ : كُلَّ لَيْلَةٍ ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ وَكَانَ يَقْرَأُ عَلَى بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبْعَ الَّذِي يَقْرؤُهُ ، يَعْزُضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَحْفَ عَلَيْهِ بِاللَّيْلِ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْقَوِيَ أَفْطَرَ أَيَّامًا وَأَحْصَى وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةً أَنْ يَثْرَكَ شَيْئًا فَارَقَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . كُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ صَحِيحَةٌ مُعْظَمُهَا فِي الصَّحِيحَيْنِ وَقَلِيلٌ مِنْهَا فِي أَحَدِهِمَا .

١٥١ - وَعَنْ أَبِي رَبِيعٍ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَسِيدِيِّ الْكَاتِبِ أَحَدِ كُتَّابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم قال : لقيني أبو بكر رضي الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ ، قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكّرنا بالجنة والنار كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات نسينا كثيراً قال أبو بكر رضي الله عنه : فوالله إننا لنلقى مثل هذا فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقلت نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وما ذاك ؟ » قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة كأننا رأي العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيّعات نسينا كثيراً . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » ثلاث مرّات ، رواه مسلم

١٥٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه فقالوا : أبو إسرائيل نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ولا يستظل ولا يتكلم ، ويصوم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مرّوه فليتكلم وليستظل وليئم صومه » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يربط نفسه بحبل كي لا ينام ، فأنزل الله : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . عن علي قال : لما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم : يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلا . (المزمل ١ - ٢) قام الليل كله حتى تورمت قدماه ، فجعل يرفع رجلا ويضع رجلا فهبط عليه جبريل فقال : طه : يعني : طأ الأرض بقدميك يا محمد : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وأنزل : (فاقراءوا ما تيسر من القرآن) (المزمل ٢٠) (تفسير الدر المنثور ١٠ / ١٥٣)

كان عليه السلام يراوح بين قدميه يقوم على رجل فنزلت قاله علي . وقال الضحّاك : صلى عليه السلام هو وأصحابه فأطال القيام لما أنزل عليه القرآن ، فقالت قريش : ما أنزل عليه إلا ليشقى . وقال مقاتل :

قال أبو جهل والنضر والمطعم : إنك لتشقى بترك ديننا فتزلت. وعن ابن عباس والحسن وابن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة : معنى (طه) يا رجل . فقيل بالنبطية . وقيل بالحبشية . وقيل بالعبرانية . وقيل لغة يمنية في عك . وقيل في عكل . وقال الكلبي : لو قلت في عك : يا رجل لم يجب حتى تقول (طه) . وقال السدي معنى (طه) يا فلان . (التفسير الكبير للاندلسي ٦ / ٢٢٤)

عن ابن عباس في قوله : (طه) قال : هو كقولك : يا محمد بلسان الحبش . (الدر المنثور ١٠ / ١٥٦)
عن عائشة قالت : أول سورة تعلمتها من القرآن : طه وكنت إذا قلت : طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا شقيت يا عائش . عن قتادة : ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى قال : لا والله ، ما جعله الله شقياً ، ولكن جعله رحمة ونورا ودليلاً إلى الجنة . (الدر المنثور ١٠ / ١٥٨)
عن ابن عباس : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، قال : اليسر : الإفطار في السفر ، والعسر : الصيام في السفر . عن مجاهد في قول الله : (يريد الله بكم اليسر) قال : هو الإفطار في السفر ، وجعل عدة من أيام أخر - ولا يريد بكم العسر . عن قتادة قوله : يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، فأريدوا لأنفسكم الذي أراد الله لكم . (تفسير الطبري ٣ / ٤٧٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال القرطبي : وخطب عمر فقال : ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكفرة في الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق قط امرأة من نسائه ولا بناته فوق اثنتي عشرة أوقية فقامت إليه امرأة فقالت يا عمر : يعطينا الله وتحرمنا اليس الله سبحانه وتعالى يقول : (وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) قال عمر : أصابت امرأة وأخطأ عمر . وفي رواية فأطرق عمر ثم قال : كل الناس أفتقه منك يا عمر . وفي أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ والله المستعان . (الجامع لاحكام القرآن ٥ / ٩٩ - سنن الدارمي حديث رقم ٢١٠٣)

ترك عثمان رضي الله عنه القصر في السفر في خلافته وقال : إني إمام الناس فنظر إليّ الأعراب وأهل البادية أصلي ركعتين ، فيقولون : هكذا فرضت . (الموافقات ٣ / ٢٤٨)
قال ابن مسعود : لما بكى في مرض موته رضي الله عنه إنما قيل له : ما يبكيك ؟ قال : إنما أبكي لأنه أصابني في حال فترة ولم يصبني في حال اجتهاد . (مجمع الزوائد ٢ / ٢٦٠)

قال ابن مسعود : الإقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدع . (الزهد لاحمد ٢٣٢ - السنه للمروزي ١١٧)

قال ابن مسعود: إني اذا صمت (النافله) ضعفت عن قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب إلي.

(تهذيب الآثار رقم ٨١٥)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تغالبوا هذا الليل فإنكم لن تطيقوه فإذا نعس أحدكم فليصرف إلى

فراشه فإنه أسلم له. (مصنف بن أبي شيبة ٣٠١ / ١٣)

قال عبد الله بن مسعود لإنسان: إنك في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تُحفظ فيه حدود القرآن وتضيع

حروفه قليل من يسأل كثير من يعطي يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة بيدون أعمالهم قبل أهوائهم

وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير قراؤه يحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل

قليل من يعطي يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة بيدون فيه أهواءهم قبل أعمالهم.

(البخارى الأدب المفرد الجملة الأخيرة أوردتها الحافظ في فتح الباري ١٠ / ٥١٠)

قال ابن عباس رضي الله عنه: عليك بالفرائض وما وصف الله تعالى عليك من حقه فأده واستعن الله

على ذلك فإنه لا يعلم من عبد: صدق نية وحرصا فيما عنده من حسن ثوابه: إلا آخره عما يكره وهو

الملك يصنع ما يشاء. (حليه الأولياء ٣ / ٣٢٦)

قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ)

(يعني) في غير إسراف ولا تقتير. (الأدب المفرد، للبخاري ١٥٨ - ١٥٩)

وعنه أيضا رضي الله عنهما أنه قال: ما عال مقتصد قط. (تفسير ابن كثير ٣ / ٣٢٥)

عن سلمان الفارسي قال: إذا كان الليل كان الناس منه على ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه ومنهم

من عليه ولا له، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلت: وكيف ذاك؟ قال: أما من له ولا عليه فرجل اغتتم

غفلة الناس وظلمة الليل فتوضأ وصلّى فذاك له ولا عليه ورجل اغتتم غفلة الناس وظلمة الليل،

فمشى في معاصي الله فذاك عليه ولا له ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه. (السير ١ / ٥٥٠)

عن أبي بن كعب: عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن

ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه وما على الأرض عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر

جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة ييس ورقها فهي كذلك إذ أصابها ريح شديد فتحات

عنها ورقها إلا حطّ الله عنه خطاياها كما تحاتّ عن تلك الشجرة ورقها وإن اقتصاداً في سبيل الله وسنة

خير من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسنة فانظروا أن يكون عملكم إن كان جهاداً أو اقتصاداً أن يكون ذلك على منهاج الأنبياء وستتهم. (مصنف بن ابى شيبة ١٢ / ٩١-٩٢)

وعن عمر بن إسحاق قال: أدركت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر ممن سبقني منهم فما رأيت قوماً أيسر سيرة ولا أقل تشديداً منهم. (الاعتصام ١ / ٢٠٥-٣٠٦)

عن الحسن قال: إن هذا الدين دين واصل وإنه من لا يصبر عليه يدعه وإن الحق ثقيل وإن الإنسان ضعيف وكان يقال: ليأخذ أحدكم من العمل ما يطيق فإنه لا يدري ما قدر أجله وإن العبد إذا ركب بنفسه العنف وكلف نفسه ما لا يطيق أو شك أن يسبب ذلك كله حتى لعله لا يقيم الفريضة وإذا ركب بنفسه التيسير والتخفيف وكلف نفسه ما تطيق كان أكيس أو قال: كان أكثر العاملين وأمنعها من هذا العدو وكان يقال: شر السير الحقة. (سير الليل في أوله وهو منهي عنه وهو السير بسرعه زائدة). (الزهد لابن المبارك رقم ١٣١٠)

وقال الحسن البصرى رحمه الله: خير الأمور أوساطها. (لسان العرب ٨ / ٤٨٣٣)

وعن الحسن البصرى أنه قال: وضع دين الله دون الغلو وفوق التقصير. (الزهد لاحد ١٦٤٨)

قال عمر بن عبد العزيز: ألا إن أفضل العبادة: أداء الفرائض واجتناب المحارم. (الحليه ٥ / ٢٦٥)

كتب عمر بن عبد العزيز: إلى أحد عماله فقال بعد أن أوصاه بلزوم طريق من سلف من الصحابة الكرام ما دونهم من مقصر وما فوقهم من محسر، لقد قصر دونهم أقوام فجفوا، وطمح عنهم أقوام فغلوا إنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. (رواه أبو داود: كتاب السنة باب لزوم الجماعة رقم ٤٦١٢)

وعن مخلد بن الحسين رحمه الله قال: ما ندب الله العباد إلى شيء إلا اعترض فيه إبليس بأمرين: ما يبالي بأبيها ظفر: إما غلوا فيه، وإما تقصيراً عنه. (سير اعلام النبلاء ٩ / ٢٣٦)

قال الازاعى: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين ولا يبالي أيها اصابه الغلو أو التقصير. (المقاصد الحسنه للسخاوى ٣٣٢)

عن سليمان بن المغيرة قال: سمعت ثابتاً البناني يقول: لا يسمى عابد أبداً عابداً وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم، والصلاة؛ لأنها من لحمه ودمه. (الحليه ٢ / ٣١٨-٣١٩)

قال أبي سليمان الداراني: إذا لذت لك القراءة: فلا تركع ولا تسجد وإذا لذت لك السجود: فلا تركع ولا

تقرأ الأمر الذي يفتح لك فيه فالزمه. (حليه الأولياء ٢٦٥ / ٩)

قال عمرو بن مسعدة: قليل دائم خير من كثير منقطع. (وفيات الأعيان ٤٧٦ / ٣)

وقال وهب بن منبه رحمه الله : إن لكل شئ طرفين وسطا فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر فاذا

أمسك بالوسط اعتدل الطرفان فعليكم بالأوسط من الأشياء. (المقاصد الحسنه ٣٣٢)

قال محمد بن الحنفية: الكمال في ثلاثة : العفة في الدين والصبر على النوائب والاقتصاد وحسن التدبير في

المعيشة. (انساب الاشراف للبلاذرى ٤٦٣ / ٢)

قال عبد الله بن مرزوق: قلت لعبد العزيز بن أبي رواد: ما أفضل العبادة؟ قال: طول الحزن في الليل

والنهار. (حليه الأولياء ١٩٤ / ٨)

عن ذي النون قال: ثلاثة من أعلام العبادة: حب الليل للسهر بالتهجد والخلوة وكراهية الصبح لرؤية

الناس والغفلة والبدار بالصالحات: مخافة الفتنة. (حليه الأولياء ٣٦٢ / ٩)

عن عطاء الخراساني قال: ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له يوم

القيامة، وبكت عليه يوم يموت. (حليه الأولياء ١٩٧ / ٥)

قال أبي إدريس الخولاني: ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينه وما زاد الله عبداً قط فقها إلا زاده الله

قصداً. (الحليه (تهذيبيه) ١٦٣ / ٢)

قال ابن تيمية: فإن المشروع المأمور به الذي يجب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هو الإقتصاد في

العبادة إلى أن قال: فمتى كانت العبادة توجب له ضرراً يمنع عن فعل واجب انفع له منها كانت محرمة

مثل أن يصوم صوماً يضعفه عن الكسب الواجب أو يمنع عن العمل أو الفهم الواجب أو يمنع عن

الجهاد الواجب. وكذلك اذا كانت توقعه في محل محرم لا يقاوم مفسدته مصلحتها مثل أن يخرج ماله كله

ثم يستشرف إلى أموال الناس يسألهم وأما إن أضعفته عما هو أصلح منها وأوقعته في مكروهات فإنها

مكروهة. (مجموع الفتاوى ٢٧٢ / ٢٥)

وقال ايضاً : ومما ينبغي أن يعرف أن الله ليس رضاه أو محبته في مجرد عذاب النفس وحملها على المشاق

حتى يكون العمل كلما كان أشق كان أفضل كما يحسب كثير من الجهال أن الأجر على قدر المشقة في كل

شيء لا! ولكن الأجر على قدر منفعة العمل ومصلحته، وفائدته وعلى قدر طاعة أمر الله ورسوله فأى

العملين كان أحسن وصاحبه أطوع وأتبع كان أفضل فإن الأعمال لا تتفاضل بالكثرة وإنما تتفاضل بما يحصل في القلوب حال العمل. (مجموع الفتاوى ٢٥ / ٢٨١)

وقال أيضاً: وقد يكون ذلك أيسر العملين وقد يكون أشدهما فليس كل شديد فاضلاً ولا كل يسير مفضولاً. (مجموع الفتاوى ٢٢ / ٣١٣)

قال ابن القيم: إن الصراط المستقيم الذي وصانا الله به وباتباعه هو الصراط الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وهو قصد السبيل وما خرج عنه فهو من السبل الجائرة والجائر عنه إما مفرط ظالم أو مجتهد متأول أو مقلد جاهل وكل ذلك قد نهى الله عنه، فلم يبق إلا الإقتصاد والاعتصام بالسنة وعليها مدار الدين. (إغاثة اللهفان ١ / ١١٣)

الآثار العملية في حياة السلف:

جاء رجل إلى أبي أمامة رضى الله عنه فقال: إنه أتاني آت فقال: اعمل مثل عمل أبي أمامة، فقال أبو أمامة: وما عسى أن يبلغ عمل أبي أمامة، أصلي الخمس، وأصوم رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، وإذا صوتت الطير صوت معها، يعني من السحر. (موسوعة ابن الدنيا ١ / ٣٠٨)

عن أيوب قال: مر ابن عمر برجل يكيل كيلا كأنه يعتدي فيه فقال له: ويحك ما هذا؟ فقال له: أمر الله بالوفاء قال ابن عمر: ونهى عن العدوان. (مصنف عبد الرزاق ٨ / ٦٧ رقم ١٤٣٣٨)

قال أبو هريرة: أنه كان له خيط فيه ألفا عقدة فلا ينام: حتى يسبح به. (حليه الأولياء ١ / ٣٨٣)

قال جابر بن عبد الله لأبي جعفر محمد الباقر لما دخل عليه وعنده قوم فسألوه عن الغسل فقال: يكفيك صاع. (أربع حفنات بكف الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرها - فالصاع أربع امداد) فقال رجل: ما يكفيني. فقال جابر: كان يكفي من هو أوفى منك شعرا وخير منك، ثم أمنا في ثوب.

(فتح الباري ١ / ٢٥٢)

عن أبي مجلز قال: صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك، فقال: ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا: بلى، قال: أما إني دعوت فيهما بدعاء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به: اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحييني ما علمت الحياة خيرا لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغنى ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقاك وأعوذ بك من ضراء مضره ومن فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة

مهديين. (مسند الإمام أحمد ١٤/١٣٨)

وروى مصعب بن سعد قال: كان أبي إذا صلى في المسجد تجوز وأتم الركوع والسجود وإذا صلى في البيت أطال الركوع والسجود والصلاة، قلت: يا أبتاه إذا صليت في المسجد جوزت وإذا صليت في البيت أطلت؟ قال: يا بني إنا أئمة يقتدى بنا. (مجمع الزوائد ١/١٨٢)

١٥ - باب المحافظة على الأعمال

قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ [الحديد : ١٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا [الحديد : ٢٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزَاهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا [النحل : ٩٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ [الحجر : ٩٩] .

وأما الأحاديث فمنها حديث عائشة: وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه.

وقد سبق في الباب قبله (حديث رقم ١٤٢).

١٥٣ - وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيْلِ ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ » رواه مسلم .

١٥٤ - وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ » متفق عليه

١٥٥ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنْ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثَلَاثِي عَشْرَةَ رَكْعَةً « رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن عائشه قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون، فسحب رداءه، محمرا وجهه، فقال : أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم؟! ولقد أنزل علي في ضحككم آية: ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله. قالوا : يا رسول الله : فما كفارة ذلك؟ قال : تبكون قدر ما ضحكتم. عن ابن عباس قال : إن الله استبطن قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال : ألم يأن للذين آمنوا الآية . وقال ايضا : لما نزلت : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله الآية، أقبل بعضنا على بعض : أي شيء أحدثنا؟! أي شيء صنعنا؟! ! قال ابن مسعود : ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله إلا أربع سنين. عن عبد الله بن مسعود قال : إن بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، اخترعوا كتابا من عند أنفسهم، استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، كأنهم لا يعلمون، فقالوا : اعرضوا هذا الكتاب على بني إسرائيل، فإن تابعوك فاتركوهم، وإن خالفوكم فاقتلوهم، قالوا : لا، بل أرسلوا إلى فلان - رجل من علمائهم - فاعرضوا عليه هذا الكتاب، فإن تابعكم فلن يخالفكم أحد بعده، وإن خالفكم فاقتلوه، فلن يختلف عليكم أحد بعده، فأرسلوا إليه، فأخذ ورقة وكتب فيها كتاب الله، فوضعها في قرن، ثم علقها في عنقه، ثم لبس عليه الثياب، فعرضوا عليه الكتاب، فقالوا : أتؤمن بهذا؟ فأوما إلى صدره فقال : آمنت بهذا، وما لي لا أؤمن بهذا؟! يعني الكتاب الذي في القرن، فخلوا سبيله، وكان له أصحاب يغشونه، فلما مات وجدوا القرن الذي فيه الكتاب معلقا عليه فقالوا : ألا ترون إلى قوله : آمنت بهذا وما لي لا أؤمن بهذا؟! إنما عنى هذا الكتاب، فاختلف بنو إسرائيل على بضع وسبعين ملة، وخير مللهم أصحاب ذي القرن. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٢٧٦-٢٧٩)

وقال قتادة : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ذكر لنا أن شداد بن أوس كان يروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن أول ما يرفع من الناس الخشوع. (تفسير بن كثير ٨ / ٢٠)

قال الكلبي ومقاتل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك أنهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا : حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت (نحن نقص عليك أحسن القصص) (يوسف ٣) فأخبرهم أن القرآن أحسن قصصا من غيره ، فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان

عن مثل ذلك فنزل قوله تعالى (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها) (الزمر ٢٣) فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فقالوا : حدثنا عن التوراة فإن فيها العجائب فنزلت هذه الآية . فعلى هذا التأويل ، قوله : (ألم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) يعنى فى السر والعلانية . (تفسير البغوى ٣٧ / ٨) قوله تعالى : ثم قفينا أي : أتبعنا على آثارهم أي : على آثار الذرية . وقيل : على آثار نوح وإبراهيم برسلنا موسى وإلياس وداود وسليمان ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى ابن مريم فهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه وآتيناه الإنجيل وهو الكتاب المنزل عليه . قوله تعالى : وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه . على دينه يعنى الحواريين وأتباعهم رأفة ورحمة أي : مودة فكان يواد بعضهم بعضا . عن ابن عباس في قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها قال : كانت ملوك بعد عيسى بدلوا التوراة والإنجيل ، وكان فيهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ويدعون إلى دين الله تعالى ، فقال أناس ملكهم : لو قتلت هذه الطائفة . فقال المؤمنون : نحن نكفيكم أنفسنا . فطائفة قالت : ابنوا لنا أسطوانة ارفعونا فيها ، وأعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا ولا نرد عليكم . وقالت طائفة : دعونا نهم في الأرض ونسيح ، ونشرب كما تشرب الوحوش في البرية ، فإذا قدرتم علينا فاقتلونا . وطائفة قالت : ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحفر الآبار ونحترث البقول فلا تروننا . وليس أحد من هؤلاء إلا وله حميم منهم ففعلوا ، فمضى أولئك على منهاج عيسى ، وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا : نسيح ونتعبد كما تعبد أولئك ، وهم على شركهم لا علم لهم بإيمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم ، فذلك قوله تعالى : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله الآية . (تفسير القرطبي ٢٣٧ / ١٧)

عن قتادة : (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة) فهاتان من الله ، والرهبانية ابتدعها قوم من أنفسهم ، ولم تكتب عليهم ولكن ابتغوا بذلك وأرادوا رضوان الله ، فما رعوها حق رعايتها ، ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصومع . (تفسير الطبرى ٢٣ / ٢٠٤)

عن قتادة في قوله : (ورهبانية ابتدعوها) قال : ذكر لنا أنهم رفضوا النساء ، واتخذوا الصومع .

(تفسير الدر المنثور ١٤ / ٢٩٣)

عن عطاء بن أبي رباح قال : قال لي ابن عباس : يا عطاء ، ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فأراني حبشية صفراء ، فقال : هذه أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : إن بي هذه الموتة - يعنى الجنون -

فادع الله أن يعافيني، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت دعوت فعافاك الله، وإن شئت صبرت واحتسبت ولك الجنة. فاختارت الصبر والجنة قال: وهذه المجنونة سعيرة الأسدية، وكانت تجمع الشعر والليف، فنزلت هذه الآية ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها. (تفسير الدر المنثور ٩/١٠٦) عن قتادة قوله (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا) فلو سمعتم بامرأة نقضت غزلها من بعد إبرامه لقلتم: ما أحق هذه! وهذا مثل ضربه الله لمن نكث عهده. (تفسير الطبري ١٧/٢٨٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال علي رضي الله عنه: كونوا لقبول العمل أشدَّ اهتماماً منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز وجل يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) (المائدة ٢٧). (لطائف المعارف ٢٢٣)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أستيقن أن الله قد تقبل مني صلاة واحدة أحب إلي من الدنيا وما فيها إن الله يقول: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ). (تفسير ابن كثير ٣/٨٥)

قال معاذ رضي الله عنه عند موته: اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لا لغرس الأشجار ولا لجري الأنهار إنما أبكي لظماً الهواجر وقيام الليالي المظلمة ومزاحمة العلماء بالركب ومجالسة أناس يتتقون أطايب الكلام كما يتتقى أطايب الثمر. (لطائف المعارف ٥١٩)

قال مسروق: سألت عائشة: أي العمل كان أحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم؟ قالت: الدائم. (متفق عليه برقم ١١٣٢)

وكان مالك بن دينار رحمه الله: يقوم طولَ ليله قابضاً على لحيته ويقول: يا رب قد علمت ساكنَ الجنة من ساكنِ النار ففي أي الدارين منزلُ مالك؟. (جامع العلوم والحكم ١٧٤)

وقال ابن دينار: الخوف على العمل ألا يتقبل أشد من العمل. (لطائف المعارف ٢٢٣)

الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز يوم أن ذهب إليه ولده وقال له: يا أبت! ما لي أراك لا تحمل الناس على الحق جملة واحدة حماس الشباب مع صدق وإخلاص فوالله لا أبالي إن غلت بي وبك القدور في سبيل الله. أي: لا أبالي بأن أبتلى أنا وأنت في سبيل الله جل وعلا فقال الوالد الفقيه عمر بن عبد العزيز: يا بني! إن الله ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمها في الثالثة يا بني إني أخشى أن أحمل الناس على الحق جملة واحدة فيدعوا الحق جملة واحدة فتكون فتنة. (مناقب عمر بن عبد العزيز لابن الحكم ٥٧)

يقول الحسن البصري: لا يكون لعمل المؤمن أجل دون الموت وقرأ قوله تعالى: (وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ). (مجموع الفتاوى ١١/٤١٨-٥٣٩)

قال عامر بن عبد قيس: والله لأجتهدن ثم والله لأجتهدن فإن نجوت فبرحمة الله وإلا لم ألم نفسي.
(جامع العلوم والحكم ٢٤٩)

كان زياد رحمه الله يقول لابن المنكدر ولصفوان بن سليم: الجدد الجدد والحذر والحذر فإن يكن الأمر على ما نرجو كان ما عملتما فضلا، وإلا لم تلوما أنفسكما. (جامع العلوم والحكم ٢٤٩)

كان مطرف بن عبد الله يقول: اجتهدوا في العمل فإن يكن الأمر ما وإن يكن الأمر شديدا كما نخاف نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة غير الذي كنا نعمل نقول: قد عملنا فلم ونحاذر لم نقل: ربنا أخرجنا نعمل صالحا ينفعنا ذلك. (جامع العلوم والحكم ٢٤٩-٢٥٠)

الآثار العملية من حياة السلف:

علم النبي صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أذكار قبل النوم تقوي البدن وتقوي القلب سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين والله أكبر أربعاً وثلاثين تمام المائة قبل النوم قيل لعلي لما قال: ما تركته منذ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يوم صفيين؟ قال: ولا يوم صفيين. (اخرجه البخارى ٦٣١٨ - مسلم ٢٧٢٧)

وكانت عائشة رضي الله عنها تصلي الضحى ثماني ركعات ثم تقول: لو نُشِر لي أبوأي ما تركتها.
(رواة مالك برقم ٣٥٨)

عن أم حبيبة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من صلى اثنتي عشرة ركعة في يوم وليلة بني له بيت في الجنة. قالت أم حبيبة: ما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عنبسة: فما تركتهن منذ سمعتهن من أم حبيبة، وقال عمرو بن أوس: ما تركتهن منذ سمعتهن من عنبسة وقال النعمان بن سالم: ما تركتهن منذ سمعتهن من عمرو بن أوس.

(اخرجه مسلم برقم ١٢٠٤)

سليمان التيمي وهو من كبار أئمة التابعين ومن عبّادهم يصفه حماد بن سلمة فيقول: ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله عز وجل فيها إلا وجدناه مطيعاً، إن كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً وإن لم

تكن ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً أو عائداً أو مشيعاً لجنائز أو قاعداً في المسجد قال: فكنا نرى أنه لا يُحسن يعصي الله عز وجل. (الحليه تهذيبيه ١ / ٤٤٠)

وقال ابوبكر بن عياش لولده: يا بني لا تعص الله في هذه الحجرة، فإني ختمت القرآن فيها ثمانية عشرة ألف ختمة. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٥٠٤)

إبراهيم بن أبي بكر بن عياش قال: بكيت عند أبي حين حضرته الوفاة فقال: ما يبكيك؟ أترى الله يضيع لأبيك أربعين سنة يختم القرآن كل ليلة؟. (صفه الصفوة ٢ / ٩٦)

قيل لمسروق رحمه الله: لو قصرت عن بعض ما تصنع من الاجتهاد فقال والله تعذرني نفسي إن دخلت النار أن لا ألومها أما بلغك في قول الله تعالى: (ولا أقسم بالنفس اللوامة) إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم فاعتنقتهم الزبانية وحيل بينهم وبين ما يشتهون وانقطعت عنهم الأمانى ورفعت عنهم الرحمة وأقبل كل امرئ منهم يلوم نفسه. (جامع العلوم والحكم ٢٤٩)

قال عاصم بن عمام البيهقي: بثُّ ليلةً عند أحمد بن حنبل فجاء بياض فوضعه فلماً أصبح نظر إلى الماء بحاله فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له وردٌ بالليل. (سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٩٨)

عن أبي حمزة الثمالي أن علي بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة ويقول: إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٩٣)

لما حضر خيثة الموت: جاءت امرأته جلست بين يديه فبكت. قال: ما يبكيك الموت؟ لا بد منه قالت المرأة: الرجال بعدك علي حرام كأنها تريد أن تطمأنه أنها لا تتزوج بأحد بعده ولا بأخيه قال خيثة: ما كل هذا أردت منك إنما كنت أخاف رجلاً واحداً أخي فلان كان فاسقاً يتناول الشراب فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب بعد إذ القرآن كان يتلى فيه كل ثلاث. (صفه الصفوة ٩٤ / ٣)

قال وكيع: كان الحسن بن صالح يقتسم الليل هو وأمه وأخوه يقوم الثلث الأول يوقظ أمه تقوم الثلث الثاني توقظ ابنها الآخر يقوم الثالث يوقظهم لصلاة الفجر لما ماتت الأم اقتسما الليل قسمين.

(سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٦٩)

حدثنا زائدة أن منصوراً صام أربعين سنة وقام ليلاً وكان يبكي فتقول له أمه يا بني: قتلت قتيلاً؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي فإذا كان الصبح كحل عينيه ودهن رأسه وبرق شفثيه وخرج إلى

الناس. (سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٦)

جيران منصور بن المعتمر: قال الولد لأمه يا أمي أين الجذع الذي كان على سطح دار جارنا منصور؟ قالت: ليس بجذع إنه منصور وقد مات لكن من طول القيام كان الولد في الليل يظنه جذع شجرة بل كانت بعض الطيور تحط على بعضهم وهو ساجد تظنه جماداً. (سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٦)

سفيان بن عيينة قال: رأيت منصور بن المعتمر (يعنى في الرؤيه) فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن ألقى الله تعالى بعمل نبي. ثم قال سفيان: صام منصور ستين سنة يقوم ليلاً ويصوم نهاراً رحمه الله. (سير أعلام النبلاء ٥/٤٠٨)

عبد الرحمن بن أبي أنعم البجلي لو قيل له: إن ملك الموت قد توجه إليك ما كان عنده زيادة في العمل. (سير أعلام النبلاء ٥٧/٦٣)

قال الواقدي تلميذ ابن أبي ذئب قرين الإمام مالك رحمه الله من علماء المدينة: كان ابن أبي ذئب يصلي الليل أجمع ويجتهد في العبادة ولو قيل له: إن القيامة تقوم غدا ما كان فيه مزيد من الاجتهاد. (سير أعلام النبلاء ٧/١٤١)

قال عبد الرحمن بن مهدي: لو قيل لحماة بن سلمة: إنك تموت غدا ما قدر أن يزيد في العمل شيئاً. قلت: كانت أوقاته معمورة بالتعب والأوراد. (سير أعلام النبلاء ٧/٤٤٧)

١٦ - باب الأمر بالمحافظة على السنة وأدائها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا [الحشر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ [النجم: ٣-٤]، وَقَالَ تَعَالَى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ [الأحزاب: ٢١]، وَقَالَ تَعَالَى: فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء: ٦٥] وَقَالَ تَعَالَى: فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء: ٥٩] قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقَالَ تَعَالَى: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ [النساء: ٨٠] وَقَالَ تَعَالَى: وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطِ اللَّهِ [الشورى: ٥٢-٥٣]

٥٣ [وَقَالَ تَعَالَى : فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ] [النور : ٦٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ [الأحزاب : ٣٤]

والآيات في الباب كثيرة ..

وأما الأحاديث:

١٥٦ - فالأوّل : عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « دَعُونِي مَا تَرَكْتُمْ : إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤَالِهِمْ ، وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ ، فَإِذَا نَهَيْتُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَإِذَا أَمَرْتُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ » متفق عليه .

١٥٧ - الثاني : عن أبي نجيح العرْباض بن سارية رضي الله عنه قال : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً بليغةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ ، فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّمَا مَوْعِظَةٌ مُودَعٍ فَأَوْصِنَا . قال : « أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ ، وَأَنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسِيرِي اخْتِلافاً كَثِيراً . فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح . « النَّوَاجِدُ » بالذال المعجمة : الأثيابُ ، وقيل : الأَصْرَاسُ .

١٥٨ - الثالثُ : عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبِي . قِيلَ وَمَنْ يَا بِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبِي » رواه البخاري .

١٥٩ - الرَّابِعُ : عن أبي مسلم ، وقيل : أبي إياس سلمة بن عمرو بن الأَكْوَعِ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ : « كُلْ بِيَمِينِكَ » قَالَ : لَا أَسْتَطِيعُ . قَالَ : « لَا اسْتَطَعْتَ » ما منعه إِلَّا الْكِبْرُ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ ، رواه مسلم .

١٦٠ - الْخَامِسُ : عن أبي عبد الله النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَتُسَوَّنَّ صُفُوفُكُمْ أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ » متفق عليه

وفي رواية لمسلم: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي صُفوفنا حتى كأننا يسوي بها القِداح حتى إذا رأى أننا قد عقلنا عنه ثم خرج يوماً ، فقام حتى كاد أن يكبر ، فرأى رجلاً بادياً صدره فقال : « عباد الله لتسؤون صُفوفكم أو ليُخالفن الله بين وجوهكم » .

١٦١- السَّادِسُ : عن أبي موسى رضي الله عنه قال : اخترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فلما حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنهم قال : « إن هذه النار عدو لكم ، فإذا نمتُمْ فأطفئوها عنكم » متفق عليه

١٦٢- السَّابِعُ : عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت طائفة طيبة ، قبلت الماء فأنبتت الكلاً والعُشب الكثير ، وكان منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا . وأصاب طائفة أخرى ، إنما هي قيعانٌ لا تُمسك ماءً ولا تُنبت كلاً فذلك مثلٌ من فقهه في دين الله ، ونفعه ما بعثني الله به ، فعلم وعلم ، ومثلٌ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » متفق عليه . « فقه » بضم القاف على المشهور ، وقيل : بكسرِها ، أي : صارَ فقيهاً .

١٦٣- الثَّامِنُ : عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد ناراً فجعل الجنادب والفراس يقعن فيها وهو يذهب عنها وأنا آخذ بحجزكم عن النار ، وأنتم تفلتون من يدي » رواه مسلم . « الجنادب » : نحو الجراد والفراس ، هذا هو المعروف الذي يقع في النار . « والحجز » : جمع حُجزة ، وهي معقد الإزار والسر اويل .

١٦٤- التَّاسِعُ : عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بلعق الأصابع والصحفة وقال : « إنكم لا تدرُونَ في أيها البركة » رواه مسلم . وفي رواية له : « إذا وقعت لُقمةٌ أحدكم . فليأخذها فليمط ما كان بها من أذى ، وليأكلها ، ولا يدعها للشيطان ، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه ، فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » وفي رواية له : « إن الشيطان يخضر أحدكم عند كل شيءٍ من شأنه حتى يخضره عند طعامه ، فإذا سقطت من أحدكم اللُقمة فليمط ما كان بها من أذى ، فليأكلها ، ولا يدعها للشيطان .

١٦٥- العاشر: عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : قام فينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمَوْعِظَةٍ فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } [الأنبياء : ١٠٣] أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلْقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَلَا وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ فَأَقُولُ : يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدْتُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ } إِلَى قَوْلِهِ : { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : ١١٧ ، ١١٨] فَيَقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ » متفق عليه . « غُرْلًا » أَي : غَيْرَ مَحْتَوِينَ .

١٦٦- الحادي عشر: عن أبي سعيد عبد الله بن مغلل ، رضي الله عنه ، قال : نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : « إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ ، وَلَا يَنْكَأُ الْعَدُوَّ ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ الْعَيْنَ ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ » متفق عليه

وفي رواية : أن قريبا لابن مغلل خذف ، فنهأه وقال : إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ الْخَذْفِ وَقَالَ : « إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا » ثُمَّ عَادَ فَقَالَ : أُحَدِّثُكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نَهَى عَنْهُ ، ثُمَّ عُدَّتْ تَخْذِفُ ، ؟ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا .

١٦٧- وعن عابس بن ربيعة قال : رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه ، يُقَبِّلُ الْحَجَرَ . يَعْنِي الْأَسْوَدَ وَيَقُولُ : إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ .. متفق عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال عبد الرحمن بن زيد : لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له : انزع عنك هذا . فقال الرجل : أتقرأ علي بهذا آية من كتاب الله تعالى ؟ قال : نعم ، وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . (تفسير القرطبي ١٨ / ١٩)

عن الحسن : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا قال : كان يؤتيهم الغنائم ، وينهاهم عن

الغلول عن ابن جريج : وما آتاكم الرسول من طاعتي وأمري، فخذوه ، وما نهاكم عنه من معصيتي فانتهوا. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٣٦٦)

عن قتادة قوله : (وما ينطق عن الهوى) أي ما ينطق عن هواه (إن هو إلا وحي يوحى) قال : يوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرائيل ، ويوحى جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم. (الطبرى ٢٢ / ٤٩٨)

عن حسان قال : كان جبريل ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ١٢)

قال الحسن : قال قوم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم : يا محمد إنا نحب ربنا . فأنزل الله : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم. (تفسير الدر المنثور ٣ / ٥٠٩)

عن ابن جريج قال : كان أقوام يزعمون أنهم يحبون الله، يقولون : إنا نحب ربنا . فأمرهم الله أن يتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم وجعل اتباع محمد صلى الله عليه وسلم علما لحبه.

قال أبو الدرداء في قوله : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله. قال : على البر والتقوى والتواضع وذلة النفس. (تفسير الدر المنثور ٣ / ٥١٠)

عن سفيان بن عيينة، أنه سئل عن قوله : المرء مع من أحب. فقال : ألم تسمع قول الله : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله . يقول : يقربكم . والحب هو القرب، والله لا يحب الكافرين لا يقرب الكافرين. (تفسير الدر المنثور ٣ / ٥١١)

عن السدي في قوله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قال : مواسة عند القتال.

عن ابن عمر في قوله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة قال : في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم. (تفسير الدر المنثور ١١ / ٧٦٠)

عن قتادة قال : هم عمر بن الخطاب أن ينهى عن الخبرة من صباغ البول، فقال له رجل : أليس قد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها؟ قال عمر : بلى . قال الرجل : ألم يقل الله : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة؟ فتركها عمر. (تفسير الدر المنثور ١١ / ٧٦١)

قال أبو جعفر : يعني - جل ثناؤه - بقوله : " فلا " فليس الأمر كما يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل إليك وهم يتحاكمون إلى الطاغوت ، ويصدون عنك إذا دعوا إليك يا محمد واستأنف القسم - جل ذكره - فقال : وربك يا محمد " لا يؤمنون " أي : لا يصدقون بي وبك وبما أنزل إليك " حتى يحكموك فيما شجر

بينهم . يقول : حتى يجعلوك حكما بينهم فيما اختلط بينهم من أمورهم ، فالتبس عليهم حكمه . يقال : شجر يشجر شجورا وشجرا ، وتشاجر القوم : إذا اختلفوا في الكلام والأمر مشاجرة وشجارا . ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت . يقول : لا يجدوا في أنفسهم ضيقا مما قضيت . وإنما معناه : ثم لا تخرج أنفسهم مما قضيت أي : لا تأثم بإنكارها ما قضيت ، وشكها في طاعتك ، وأن الذي قضيت به بينهم حق لا يجوز لهم خلافه . (تفسير الطبري ٨ / ٥١٨)

عن أم سلمة قالت : خاصم الزبير رجلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففضى للزبير فقال الرجل : إنما قضى له لأنه ابن عمته ، فأنزل الله : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الآية . (الدر المنثور ٤ / ٥٢٢)
عن مجاهد في قوله : حرجا قال : شكا . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٥٢٥)

عن مجاهد في قوله : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال : فإن تنازع العلماء ردوه إلى الله والرسول . قال يقول : فردوه إلى كتاب الله وسنة رسوله . عن مجاهد في قوله : فردوه إلى الله والرسول قال : إلى الله : إلى كتابه وإلى الرسول : إلى سنة نبيه . عن ميمون بن مهران : فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول قال : الرد إلى الله الرد إلى كتابه ، والرد إلى رسوله إن كان حيا ، فإن قبضه الله إليه فالرد إلى السنة . (تفسير الطبري ٨ / ٥٠٥)

قال ربيع بن خثيم : حرف وأيا حرف : من يطع الرسول فقد أطاع الله فوض إليه فلا يأمر إلا بخير .
(تفسير الدر المنثور)

عن قتادة قوله : وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم (قال تبارك وتعالى) ولكل قوم هاد (داع يدعوهم إلى الله عز وجل عن السدي (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم) يقول : تدعو إلى دين مستقيم .
(تفسير الطبري ٢١ / ٥٦١)

والفتنة هنا القتل ؛ قاله ابن عباس . عطاء : الزلازل والأهوال . جعفر بن محمد : سلطان جائر يسلط عليهم . وقيل : الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول . والضمير في (أمره) قيل هو عائد إلى أمر الله تعالى ؛ قاله يحيى بن سلام . وقيل : إلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله قتادة . ومعنى يخالفون عن أمره أي يعرضون عن أمره . (تفسير القرطبي ١٢ / ٢٩٩)

عن قتادة في قوله : (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) أي : السنة ، قال : يمتن عليهم

بذلك. (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٤٥)

عن أبي أمامة بن سهل في قوله : واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في بيوت أزواجه النوافل بالليل والنهار. (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٤٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به وإني لأخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ. (سنن أبي داود حديث ٢٩٦٩)

كان عبد الله بن عمر: يتحفظ ما يسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا لم يحضر يسأل من يحضر عما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعل وكان يتتبع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل مسجد صلى فيه وكان يعترض براحلته في كل طريق مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال له في ذلك فيقول: أتجرى أن تقع أخفاف راحلتي على أخفاف راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(تاريخ بغداد ١ / ١٧٢)

ذكر عبادة بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن درهمين بدرهم فقال فلان: ما أرى بهذا بأسًا يدا بيد فقال عبادة: أقول قال النبي صلى الله عليه وسلم وتقول: لا أرى به بأسًا؟ والله لا يظنني وإياك سقف ابداء. (أخرجه ابن ماجه حديث ١٨)

قال عمر بن عبد العزيز: لا رأي لأحد مع سنة سنّها رسول الله صلى الله عليه وسلم. (سنن الدارمي ح ٤٤٦)
قال ابن وهب: سمعت مالك بن أنس يقول: ألزم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: أمران تركتهما لن تضلوا ما تمسكنم بهما كتاب الله وسنة نبيه. (اعلام الموقعين ١ / ٢٥٦)

قال ابن وهب كنا عند مالك فذكرت السنة فقال مالك: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. (تاريخ بغداد ٧ / ٣٣٦)

قال يحيى بن سليمان بن نضلة: سمعت مالك بن أنس يقول: من مات على السنة فليبشر.

(ذم الكلام واهله ٤ / ١٢١ - ٨٨٠)

قال مالك بن أنس: لو لقي الله رجل بملء الأرض ذنوبًا ثم لقي الله بالسنة لكان في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا. (ذم الكلام واهله ٤ / ١٢١ - ١٢٢ - ٨٨١)

عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: المتبع للسنة كالقابض على الجمر وهو اليوم عندي أفضل من ضرب
السيف في سبيل الله عز وجل. (تاريخ بغداد ١٢ / ٤١٠)

قال الجنيد: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة منلم يحفظ الكتاب ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يُقتدى به.
(تاريخ بغداد ٧ / ٢٤٣)

عن أبي سليمان الداراني قال: ليس لمن أهم شيئاً من الخير أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر فإذا سمعه
من الأثر عمل به وحمد الله حيث وافق ما في قلبه. (تاريخ بغداد ١٠ / ٢٤٩)

قال الحسين بن أبي زيد: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله ادع الله أن يحييني
على الإسلام فقال لي: والسنة وجمع إبهامه وسبابته وحلق حلقة وقال ثلاث مرات: والسنة والسنة
والسنة. (تاريخ بغداد ٨ / ١١٠)

قال أبو قلابة: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال.
(طبقات ابن سعد ٧ / ١٨٤)

الآثار العملية في حياة السلف:

- الإتباع في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم:

عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعد بن مالك إلى عمر، فقالوا: لا يحسن أن يصلى فقال سعد:
أما أنا فكنت أصلى بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاتي العشي أركد في الأولتين وأحذف
في الآخرتين فقال عمر: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق وبعث رجالاً يسألون عنه في مساجد الكوفة فلا
يأتون مسجداً من مساجد الكوفة إلا أثنوا عليه خيراً وقالوا: معروفاً حتى أتوا مسجداً من مساجد بني
عبس فقال رجل يقال له أبو سعدة اللهم فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية فقال: اللهم إن
كان كاذباً فاعم بصره واطل فقره وعرضه للفتن. قال عبد الملك: فأنا رأيت يتعرض للإمام في السكك
فإذا قيل له: أبا سعدة؟ يقول: مفتون أصابتنى دعوة سعد. (تاريخ بغداد ١ / ١٤٥)

عن عدي بن ثابت الأنصاري قال: حدثني رجل أنه كان مع عمار بن ياسر بالمداين فأقيمت الصلاة
فتقدم عمار وقام على دكان يصلى والناس أسفل، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه فاتبعه عمار حتى أنزله
حذيفة، فلما فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة: ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا أمَّ
الرجل القوم فلا يقيم في مقام أرفع من مقامهم أو نحو ذلك. قال عمار: لذلك اتبعتك حين أخذت على

يدي. (تاريخ بغداد / ١٥١)

عن عبد الرزاق أن أهل مكة يقولون: أخذ ابن جريج الصلاة عن عطاء وأخذها عطاء عن ابن الزبير وأخذها ابن الزبير عن أبي بكر وأخذها أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال عبد الرزاق: وكان ابن جريج حسن الصلاة. (تاريخ بغداد / ١٠٤ / ٤٠٤)

عن علي أنه قال لعمر: يا أمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع وانكس الإزار وأرقع القميص واخصف النعل تلحق بهما. (تاريخ بغداد / ٥ / ٢١٦)

- الإتياع في غسل الجمعة :

عن ابن عباس قال: قال لي عمر: ما حبسك عن الصلاة؟ قلت: لما أن سمعت الأذان توضأت ثم أقبلت قال عمر: الوضوء أيضاً! ما بهذا أمرنا. قال فما تركت الغسل يوم الجمعة بعد. (تاريخ بغداد / ١ / ٢٤٩)

عن كعب قال: لأغتسلن يوم الجمعة ولو كأساً بدينار. (تاريخ بغداد / ١ / ٢٦٢)

- الإتياع في الاستخلاف:

عن سالم بن عبد الله عن أبيه أنه كلم أباه في الاستخلاف فقال: إن الله حافظ دينه وأي ذلك أفعل فقد بين لي أن لا أستخلف فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف وإن استخلف فقد استخلف أبو بكر رضي الله عنه. (تاريخ بغداد / ١ / ٢٥٨)

- صور من اتباع السلف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم:

بلغ ابن أبي ذئب أن مالكا لم يأخذ بحديث البيهقي بالخيار قال: يستتاب وإلا ضربت عنقه ومالك لم يرد الحديث ولكن تأوله على غير ذلك فقال شامي: من أعلم مالك أو ابن أبي ذئب؟ فقال: ابن أبي ذئب في هذا أكبر من مالك وابن أبي ذئب أصلح في دينه وأورع ورعاً وأقوم بالحق من مالك عند السلاطين وقد دخل ابن أبي ذئب على أبي جعفر فلم يبهه أن قال له الحق، قال: الظلم فاش ببابك وأبو جعفر أبو جعفر. (تاريخ بغداد / ٢ / ٣٠٢)

جاء معاذ وعند أبي موسى رجل فقال: هذا كان كافراً فأسلم ثم ارتد فقال معاذ: لا أنزل ولا أجلس حتى يقتل قال: فقتل. (تاريخ بغداد / ٢ / ٣٧٥)

قال زيد بن حباب: رأيت سفیان الثوري يقص أظفاره يوم الخميس فقلت يا أبا عبد الله: غداً الجمعة

فقال: السنة لا تؤخر. (تاريخ بغداد ٦ / ٣٨٩)

عن أبي عطاء أيوب بن طهمان الثقفي: أنه رأى علي بن أبي طالب حين دخل الإيوان بالمدائن أمر بالتماثيل التي في القبلة فقطع رؤوسها ثم صلى. (تاريخ بغداد ٧ / ٣)

عن أبي إسحاق المروزي: أنه سئل يوماً أبا سعيد عن المتوفي عنها زوجها إذا كانت حاملاً هل يجب لها النفقة؟ فقال: نعم فقليل له: ليس هذا مذهب الشافعي فلم يصدق فأروه كتابه فلم يرجع وقال إن لم يكن مذهبه فهو مذهب علي وابن عباس. (تاريخ بغداد ٧ / ٢٦٩)

عن حميد بن الصباح مولى المنصور عن أبيه قال: أراد المنصور أن يذرع الكرخ فقال لي: احمل الذراع معك فخرج وخرجت معه ونسيت أن أحمل الذراع فلما صرنا بباب الشرقية قال لي: أين الذراع؟ فدهشت وقلت: أنسيته يا أمير المؤمنين. فضربني بالقرعة، فشجني وسال الدم على وجهي فلما رأيته قال: أنت حر لوجه الله حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ضرب عبده في غير حد حتى يسيل دمه فكفارته عتقه. (تاريخ بغداد ٨ / ١٦٦)

قال مصعب بن عبد الله رحمه الله تعالى: كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقليل له يوماً في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة.

(خلاصة الشفا في تعريف حقوق المصطفى ١ / ٩٦-٩٧)

ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيُنظر إلى لونه كأنه نزع منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان لمن أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس ويتركوه. (خلاصة الشفا في تعريف حقوق المصطفى ٢ / ٤٣)

وهذا الحسن البصري : كان يبكي إذا حدث بحديث الجذع الذي بكى لما فارقه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشفقوا إليه. (مسند بن الجعد ١/٤٦٦)

قال حماد بن زيد رحمه الله: كنا عند أيوب السخيتاني فسمع لغطاً فقال: ما هذا اللغط؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرفع الصوت عليه في حياته.

(الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١/١٩٥ رقم ٣٣٢)

قال أبو سلمة الخزاعي رحمه الله: كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليُحدث توضعاً وضوءاً للصلاة، ولبس أحسن ثيابه ولبس قلنسوة، ومشط لحيته فليل له في ذلك فقال: أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الموطأ لمالك ١/٢٨)

ويحدث أحمد بن سنان عن مجلس وكيع بن الجراح في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: لا يُتحدث في مجلسه ولا يُبرى قلم ولا يتبسم ولا يقوم أحد قائماً كانوا في مجلسه كأنهم في صلاة فإن أنكر منهم شيئاً انتعل ودخل. (سير أعلام النبلاء ٩/١٥٤)

قال بشر بن الحارث : سأل رجل ابن المبارك عن حديث وهو يمشي قال : ليس هذا من توقير العلم قال بشر : فاستحسنته جدا . (صفه الصفوة ٤/١١٣)

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى: أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه فجلس وحدث به فقيل له: وددت أنك لم تتعن فقال: كرهت أن أحدث عن رسول الله وأنا مضطجع وسئل ابن المبارك رحمه الله تعالى عن حديث وهو يمشى فقال: ليس هذا من توقير العلم. (خلاصه الشفا ٤٤/٢)

سئل الإمام مالك متى سمعت من أيوب السخيتاني؟ فقال حج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٦/١٧)

ومر الإمام مالك على أبي حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له فقال: لم أجد موضعاً فكرهت أن آخذ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا قائم. (حلية الأولياء ٦/٣١٨)

قال الشافعي: كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو قولي وإن لم تسمعه مني وقال أيضاً: إذا

وجدتم سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي فإني أقول به. (تاريخ دمشق ٣٨٩/٥١)

وروى الربيع بن سليمان رحمه الله تعالى فقال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال له: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المسألة كذا وكذا فقال له السائل: يا أبا عبد الله تقول به؟ قال الربيع: فرأيت الشافعي أرعد وانتفض وقال: يا هذا، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً فلم أقل به نعم على الرأس والعينين على الرأس والعينين. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٨٩/٥١)

عن أبي الفضل الزجاج قال: لما قدم الشافعي إلى بغداد وكان في الجامع إما نيف وأربعون حلقة أو خمسون حلقة فلما دخل بغداد مازال يقعد في حلقة حلقة ويقول لهم: قال الله وقال الرسول وهم يقولون: قال أصحابنا حتى ما بقي في المسجد حلقة غيرة. (تاريخ بغداد ٦٨/٢)

وقال الشافعي: أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد. (الفلاني ص ٦٨ - ابن القيم ٣٦١/٢)

ما جاء عن الإمام أحمد: لما امتحن في فتنة خلق القرآن وتعاقب ثلاثة من خلفاء بني العباس المأمون والمعتصم والواثق على امتحانه وسجنه في ذلك وهو ثابت على الحق لم يغير ولم يبدل وحمل رحمه الله تعالى إلى مجلس الواثق مقيداً في أغلاله وناظرهم وهو على تلك الحال فخصمهم وقطع حججهم وأبطل مكيدتهم وفتح الله تعالى على قلب الخليفة الواثق فعلم صدق الإمام أحمد وكونه على الحق فأمر أن يفك قيده ففك وأخذ الإمام أحمد فنازعه إياه السجن فأمر الواثق أن يدفع القيد إلى الإمام فدفع إليه فسأله الواثق عن سبب أخذه فأخبره أنه ينوي به أن يخاصم به من ظلموه عند الله تعالى يوم القيامة وقال أقول: يا رب سل عبدك هذا لم قيّدني وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك علي وبكى الإمام أحمد فبكى الواثق وبكى من في المجلس ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله على يديه فقال له الإمام أحمد: والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كنت رجلاً من أهله. (الجوهرة في نسب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة ١٧٨)

قال أحمد بن حنبل: من رد حديث النبي صلى الله عليه وسلم فهو على شفا هلكة. (طبقات الخنابلة ١٥/٢)

١٧- باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى**وما يقوله من دُعي إلى ذلك ، وأمر بمهرون أو نهي عن منكر**

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [النساء : ٦٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [النور : ٥١] .
وفيه من الأحاديث حديث أبي هريرة المذكور في أول الباب قبله (انظر الحديث رقم ١٥٦) وغيره من الأحاديث فيه.

١٦٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
{ اللهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ } الآية [البقرة ٢٨٣] اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ فَقَالُوا : أَيُّ رَسُولِ اللهِ كُفَلْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلَاةَ وَالْجِهَادَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا . قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ، وَذَلَقَتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ ، أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا : { آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : { لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ، رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } قَالَ : نَعَمْ { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِيْرَآكَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا } قَالَ : نَعَمْ { رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ } قَالَ : نَعَمْ { وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } قَالَ : نَعَمْ . رواه مسلم

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : أخبر بطاعة المهاجرين والأنصار وإن كان ذلك فيما يكرهون أي هذا قولهم وهؤلاء لو

كانوا مؤمنين لكانوا يقولون سمعنا وأطعنا. (تفسير القرطبي ٢٠٦/١٩)

عن قتادة : قال الله جل وعز :إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون وقد ذكر لنا أن عبادة بن الصامت كان عقيبا، بدريا أحد نقيب الأنصار ، وذكر لنا أنه بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يخاف في الله لومة لائم وأنه لما حضره الموت دعى ابن أخته جنادة بن أبي أمية فقال: ألا أنبئك ماذا عليك وماذا لك؟. قال: بلى قال: فإن عليك السمع والطاعة في عسرك، ويسرك، ومنشطك، ومكرهك، وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله . وذكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله ولا خير إلا في جماعة ، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة. قال: وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان يقول: عروة الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين. عن مقاتل بن حيان ، قول الله :سمعنا وأطعنا قال: سمعنا للقرآن الذي، جاء من عند الله وأطعنا أقرؤا الله أن يطيعوه في أمره ونهيه. (تفسير ابن ابي حاتم ٨ / ٢٦٢٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابن عباس: أراهم سيهلكون أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: نهى أبو بكر وعمر. (مسند الإمام احمد ١ / ٣٣٧)

قال ميمون بن مهران: الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته وقال تعالى (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) قال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ). (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ١٤ / ١)

قال الامام احمد: عجبْتُ لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون الى رأى سفيان الثورى والله تعالى يقول: (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أتدري ما الفتنة؟ الشرك. (الإبانة الكبرى لابن بطة ٩٧)

الآثار العملية في حياة السلف :

قالت عائشة رضي الله عنها: يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل :

(وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ) (النور ٣١) شققن مروطن فاختمرن بها. (البخارى ٤٧٥٨)
 وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) (الاحزاب ٥٩) خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهنَّ الغربان من الأكسية. (رواة ابو داود ٤١٠١ - جامع الاصول ١٠ / ٦٤٥)
 عن ابن عمر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تمنعوا إماء الله أن يصلين في المسجد فقال ابنُ له: إنا لنمنعهنَّ فغضب غضبًا شديدًا وقال: أحذثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول: إنا لنمنعهنَّ؟! (رواة ابن ماجه حديث ١٦)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبي بن كعب من فضيخ (البسر اذا نبذ) زهو (البسر الذي يحمر أو يصفر قبل أن يترطب) وتمر فجاءهم آت فقال إن الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقتها. (البخاري ٥٢٦٠)

وقال أيضا: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أصبنا حمرا خارجا من القرية فطبختنا منها فنأدى مُنادي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إن الله ورسوله ينهيانكم عنها فإنها رجس من عمل الشيطان فأكفئت القُدور بما فيها وإنما لتفور بما فيها. (رواه مسلم ١٩٤٠ - ج ٤)

قال عبد الله بن عمر: بينما الناس في قُباء في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل عليه الليلة قرآنٌ وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم إلى الشام قِبَلَ المقدس (وهذه القبلة عباد الله هي عكس القبلة الحالية) قال: فاستداروا إلى الكعبة أثناء صلاتهم.

(التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ٤ / ١٧)

عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى خاتما من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده فقيل للرجل بعدما ذهب النبي عليه السلام: خذ خاتمك فانتفع به فقال: لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (مسلم ٢٠٩٠)

عن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت قدمت علي أمي وهي راغبة أفأصل أمي قال نعم صلي أمك. (مسلم ١٠٠٣ / البخارى ٢٤٧٧)

عن جابر بن عبد الله قال: لما استوى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قال: اجلسوا فسَمِع

ذلك ابن مسعود فجلس على باب المسجد فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: تعال يا عبدالله بن مسعود. (رواه أبو داود ١٠٩١)

بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء؛ فهم به، فدخل عليه أنس رضي الله عنه فقال له: سمعت رسول الله يقول: استوصوا بالأنصار خيراً أو قال: معروفًا اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم فألقى مصعب نفسه عن سريره وألزم خده بالبساط وقال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرأس والعين فتركه. (رواه أحمد ١٣١١٦)

قال ابن إسحاق وحدثني نبيه بن وهب أخو بن عبد الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أقبل بالأسارى فرقمهم بين أصحابه وقال استوصوا بالأسارى خيراً قال وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم أخو مصعب بن عمر لأبيه وأمه في الأسارى قال فقال أبو عزيز مربي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال شد يدك به فأن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم خصوني بالخبر وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها قال فاستحيي فأردها على أحدهما فيردها علي ما يمسيها. (تهذيب سيرة ابن هشام ٢٠٣/١)

لقد كان لمرثد بن أبي مرثد: سجل حافل في علاقة مع امرأة زمن النبي صلى الله عليه وسلم وفي نفسه منها ما في نفسه وكانت هذه المرأة بغية يقال لها عناق وكانت صديقتها قبل الإسلام فلما أسلم مرثد قطع علاقته بهذه المرأة وهاجر إلى المدينة وكان يقوم بتهريب أناس من المسلمين المستضعفين من مكة إلى المدينة فكان ذات ليلة أن وعد رجلا من أسارى المسلمين ليحمله قال: فجئت فحملته حتى انتهيت إلى ظل حائط من حوائط مكة في ليلة مقمرة فجاءت عناق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إليّ عرفتنني فقالت: مرثد فقال: مرثد فقالت: مرحبا وأهلا هلم فبت عندنا الليلة قلت: يا عناق إن الله حرم الزنا فما كان منها إلا أن صاحت وقالت: يا أهل الخيام وجعلت تنادي الكفار الذين في داخل الخيام يا أهل الخيام: هذا مرثد يحمل أسراكم قال: فتبعني ثمانية وسلكت الطريق وحملت صاحبي ونجاني الله منهم حتى قدمت المدينة النبوية فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله: أنكح عناقا فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئا فأنزل الله (الزاني لا ينكح إلا

زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زاني أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين) فقال صلى الله عليه وسلم يا مرثد : الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة فلا تنكحها.(السنن الكبرى للبيهقي ١٥٣ / ٧)

ففي قصة زواج جلييب عن أبي برزة الأسلمي وفيه : أن الصحابة كانوا إذا كان لأحدهم أيم لم يزوجها حتى يعلم هل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة أم لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لرجل من الأنصار : يا فلان زوجني ابنتك، قال: نعم.. ونعمة عين قال: إني لست لنفسي أريدها قال: فلمن؟ قال: لجلييب قال: يا رسول الله حتى أستأمر أمها، فأتاها فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ابنتك قالت: نعم ونعمة عين فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنه ليس لنفسه يريدها قالت: فلمن؟ قال: لجلييب قالت: أجلييب إني لا لعمر الله لا تزوج جلييبا فلما قام أبوها ليأتي النبي صلى الله عليه وسلم قالت الفتاة من خدرها: من خطبني إليكما؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: أتردون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره ادفعوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لن يضيعني فذهب أبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: شأنك بها فزوجها جلييبا قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة لثابت : هل تدري ما دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم به؟ قال: وما دعا لها به؟ قال : اللهم صب عليها الخير صبا صبا ولا تجعل عيشها كدا قال ثابت: فزوجها إياه قال: فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة له فأفاء الله عليه فقال : هل تفقدون من أحد؟ قالوا: نفقد فلانا وفلانا ونفقد فلانا ثم قال هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا. قال: لكنني أفقد جلييبا فاطلبوه في القتلى فنظروا في القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه يقولها مرارا فوضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ساعده ما له سرير إلا ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وضعه في قبره قال ثابت فما كان من الأنصار أيم أنفق منها. (مسند الامام احمد ٣٣ / ٢٨ - شعب الايمان للبيهقي ١١٤ / ٣)

قال أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه : كان الناس إذا نزلوا منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم.(رواه أبو داود ٣٩١٤)

قال قتادة: قال بعض المهاجرين: لقد طلبتُ عمري كلّه هذه الآية فما أدركتها: أن أستأذن على بعض

إخوتي فيقول لي: ارجع فأرجع وأنا مُغْتَبِطٌ (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَازْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ) (النور ٢٨). (تفسير ابن كثير ٣ / ٤٥٠)

يقول أبو إسحاق الحبال: كنا يوماً نقرأ على شيخ فقرأنا حديث النبي عليه الصلاة والسلام: ((لا يدخل الجنة قتات)) (رواه البخاري برقم ٥٥٩٦) ومسلم برقم (١٥٢) وكان في الجماعة رجل عامي يبيع القت - وهو علف الدواب - ، فقام وبكى وقال: أتوب إلى الله من بيع القت، فقال له الشيخ: ليس هذا القصد، لكن القتات النمام: الذي ينقل الحديث من قوم إلى قوم، فسكن الرجل، وطابت نفسه. (تاريخ الإسلام للذهبي ٣٣ / ٧٩)

ذكر الحميدي أنه كان عند الشافعي قال: فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال الشافعي: قضى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا، فقال رجل للشافعي: وما تقول أنت؟ فقال الشافعي: سبحان الله! تراني في كنيسة تراني في بيعة (أي دار عبادة اليهود) ترى على وسطي زناراً (وهو شعار أهل الذمة) أقول لك قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول: ما تقول أنت. (ذم الكلام وأهله ٣ / ١٣)

١٨ - باب النهي عن اليد ومهدات الأمور

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ [يونس : ٣٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ [الأنعام : ٣٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ [النساء : ٥٩] أَيْ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ . وَقَالَ تَعَالَى : وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ [الأنعام : ١٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ [آل عمران : ٣١] وَالآيَاتُ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي مشهورة فنقتصر على طرف منها:

١٦٩ - عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » متفقٌ عليه . وفي رواية لمسلم : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

١٧٠ - وعن جابر ، رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلَا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْدِرُ جَيْشٍ يَقُولُ : « صَبَّحَكُمُ وَمَسَّاكُمُ »

وَيَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » وَيَقْرُنُ بَيْنَ أَصْبَعَيْهِ ، السَّبَابَةِ ، وَالْوُسْطَى ، وَيَقُولُ : « أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ثُمَّ يَقُولُ : « أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ . مَنْ تَرَكَ مَا لَا فَلَإِهِلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دِينًا أَوْ ضَيَاعًا ، فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ » رواه مسلم .

وعن العزباض بن سارية ، رضي الله عنه ، حديثه السابق في باب المحافظة على السنة .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال أشهب: سئل مالك عن شهادة اللعاب بالشطرنج والنرد، فقال : أما من آدمناها فما أرى شهادتهم طائلة، يقول الله : فماذا بعد الحق إلا الضلال فهذا كله من الضلال . (تفسير الدر المنثور ٧ / ٦٦٣)

عن ابن عباس : ما فرطنا في الكتاب من شيء . ما تركنا شيئاً إلا قد كتبناه في أم الكتاب . قال ابن زيد في قوله : ما فرطنا في الكتاب من شيء . قال : لم نغفل الكتاب ما من شيء إلا وهو في الكتاب .

(تفسير الطبري ١١ / ٣٤٤)

عن ابن عباس قوله : (فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) : (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) (الشورى ١٣) ونحو هذا في القرآن . قال : أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمرء والخصومات في دين الله) عن مجاهد في قول الله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) قال : البدع والشبهات . (تفسير الطبري ١٢ / ٢٣٠)

عن أبان : أن رجلاً قال لابن مسعود : ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطره في الجنة وعن يمينه جواد ، وعن يساره جواد ، وثم رجال يدعون من مر بهم . فمن أخذ في تلك الجواد انتهت بهلى النار ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود (وأن هذا صراطي مستقيماً) . (تفسير الطبري ١٢ / ٢٣١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن عباس قال : (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ) فأهل البدع، والأهواء، (وَأَمَّا الَّذِينَ أبيضَّتْ وُجُوهُهُمْ) فأهل السنة، والجماعة . (تاريخ بغداد ٢٤٦٩)

قال عمر بن الخطاب : أيها الناس إن هذا القرآن كلام الله فلا أعرفن ما عطفتموه على أهوائكم فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس، فدخلوه طوعاً وكرهاً وقد وضعت لكم السنن ولم يترك لأحد مقالاً إلا أن يكفر عبد عمداً عيناً فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. (الشريعة للاجرى ١٥٥)

قال عمر بن الخطاب: اتقوا الرأي في دينكم قال سحنون: يعني البدع. (جامع بيان العلم ٢٠٠٢)
قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم والرأي فإن أصحاب الرأي أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يعوها وتفلفت منهم أن يحفظوها فقالوا في الدين برأيهم. (اعلام الموقعين ١ / ٤٤)
قال عثمان بن حاضر: قلت لابن عباس أوصني فقال عليك بالاستقامة واتباع الأثر وإياك والتبدع. (سنن الدارمي ١٤١)

قال عبدالله بن عباس : إن أبغض الأمور إلى الله البدع . (السنة للمروزي ٨٤)
وقال: لا تجالس أهل الأهواء، فإن مجالستهم ممرضة للقلوب. (الشريعة للاجرى ١٣٣)
وقال: ما يأتي على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن. (البدع والنهى عنها ٩٥)

قال عبدالله بن عمر: كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة. (ذم الكلام ٢٧٦)
وقال ايضاً : ما فرحت بشيء من الإسلام أشد فرحاً من أن قلبي لم يدخله شيء من هذه الأهواء.
(شرح أصول الاعتقاد ٢٢٧)

قال عبدالله بن مسعود : إياكم وما يحدث الناس من البدع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمرة ولكن الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيوان من قلبه ويوشك أن يدع الناس ما ألزمهم الله من فرضه في الصلاة والصيام والحلال والحرام ويتكلمون في ربهم عز وجل فمن أدرك ذلك الزمان فليهرب. قيل: يا أبا عبدالرحمن فإلى أين؟ قال: إلى لا أين يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحداً من أهل البدع.
(شرح أصول الاعتقاد ١٩٦)

وقال ايضاً: يا أيها الناس إن الله بعث محمد بالحق وأنزل عليه الفرقان وفرض عليه الفرائض وأمره أن يعلم أمته فبلغ رسالته ونصح لأمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وبين لهم ما يجهلون فاتبعوه ولا تبتدعوا فقد كفيتم كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة. (ذم الكلام ٢٣٩)

وقال ايضا: من أحب أن يكرم دينه فليعتزل مخالطة السلطان ومجالسة أصحاب الأهواء فإن مجالستهم ألصق من الجرب. (البدع والنهي عنها ١٢٧)

وقال ايضا : عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه بذهاب أهله عليكم بالعلم فإن أحدكم لا يدري متى يفتر إلى ما عنده وستجدون أقواما يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق. (الإعتصام ١/١٠٧-١٠٨)

قال عبد الله بن مسعود: يجيء قوم يتركون من السنة مثل هذا يعني الإصبع فإن تركتموهم جاؤوا بالطامة الكبرى وإنه لم يكن أهل كتاب قط إلا كان أول ما يتركون السنة وإن آخر ما يتركون الصلاة ولولا أنهم يستحيون لتركوا الصلاة. (شرح اصول اعتقاد اهل السنة ١/٩٠)

قال حذيفة بن اليمان: اتقوا الله معشر القراء، وخذوا طريق من كان قبلكم فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً ولئن تركتموه شمالاً ويميناً ضللتهم ضلالاً بعيداً. (السنة للمروزي ٨٦)

قال حذيفة بن اليمان العبيسي: فاعلم أن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تنكر وأن تنكر ما كنت تعرف وإياك والتلون في دين الله تعالى فإن دين الله واحد. (اعتقاد أهل السنة ١٢٠)

قال ابو موسى الاشعري : لئن يجاورني أهل بيت من يهود ونصارى، وقردة، وخنازير أحب إلي من أن يجاورني صاحب هوى يمرض قلبي. (الإبانه لابن بطه ٤٧١)

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضياً ولا تُزعت سنة إلا ازدادت هرباً. (الإبانه لابن بطه ١/٣٥١)

قال معاذ بن جبل: فإياكم وما ابتدع فإنما ابتدع ضلالة. (شرح اصول اعتقاد اهل السنة ١/٨٩)
عن مصعب بن سعد بن ابي وقاص قال: قال لي أبي: أي بني لا تجالس مفتونا فإنه لا يخطئك منه إحدى خصلتين: إما أن يستزلك وإما أن يمرض قلبك. (أصول السنة لابن أبي زمنين ٢٣٥)

قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله عز وجل واستكمال لطاعته وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بها سنوا فقد اهتدى ومن استبصر بها بصر ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله عز وجل ما تولاه وأصله جهنم وساءت مصيرا. (شرح اصول اعتقاد اهل السنة ١/٩٣)

قال عمر بن عبدالعزيز : أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة. (سنن أبي داود ٤٦١٢)

قال الحسن البصرى : تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه فتهلك أو تخالفه فيمرض قلبك. (البدع والنهي عنها ١٢٦)

وقال ايضا: ثلاثة ليست لهم حرمة في الغيبة أحدهم: صاحب بدعة الغالي ببدعته.

(شرح أصول الاعتقاد ٢٢٤)

وقال ايضا : لا تمكن أذنك من صاحب هوى فيمرض قلبك ولا تخبين أميراً وإن دعاك لتقرأ عنده سورة من القرآن فإنك لا تخرج من عنده إلا بشر مما دخلت. (الإبانة لابن بطه ٣٩٦)

وقال ايضا: إنه والله لا يقبل الله من مبتدع عبادة: صلاة ولا صوماً. وما ازداد المرء في بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله تعالى بُعداً. (ذم الكلام ٥٩٥)

وقال: صاحب البدعة لا تقبل له صلاة ولا حج ولا عمرة ولا جهاد ولا صرف ولا عدل. (الشرية ٢٠٥٤)

وقال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم. (طبقات ابن سعد ١٧٢/٧)

وقال: لا يقبل الله من صاحب البدعة شيئاً. (شرح أصول الاعتقاد ٢٧١)

وقال: شرداء خالط قلباً يعني الهوى. (السنة لابي بكر الخلال ١٣٨/٢)

وقال: لو أن رجلاً أدرك السلف الأول ثم بُعثَ اليوم ما عرف من الإسلام شيئاً إلا هذه الصلاة.

(البدع والنهي عنها ١٧٦)

قال محمد بن سيرين : لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم. (صحيح مسلم ١٥ / ١ رقم ٥)

وعن أسماء بن خارجة قال: دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالوا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله عز وجل؟ قال: لا لتقومن عني أو لأقومن. (الشرية للاجري ١٢١)

وعنه قال: كان محمد بن سيرين يرى أن أسرع الناس ردة أهل الأهواء. (الشرية للاجري ٤٧٤)

وعن حبيب بن أبي الزبرقان، قال: كان محمد بن سيرين إذا سمع كلمة من صاحب بدعة وضع إصبعيه في أذنيه ثم قال: لا يجل لي أن أكلمه حتى يقوم من مجلسه. (الإبانة لابن بطة ٤٨٤) عن عبد الملك بن عوف أن محمد بن سيرين كان يرى أن هذه الآية نزلت في أصحاب الأهواء (وإذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ). (أصول السنة لابن أبي زمنين ٢٣٧) وقال محمد بن سيرين: كانوا يقولون: ما دام على الاثر فهو على الطريق. (اعتقاد أهل السنة لللالكائي ١٠٩) قال ابراهيم النخعي: لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإني أخاف أن تتردد قلوبكم.

(البدع والنهي عنها لابن وضاح ١٢٤)

عن ابراهيم النخعي في قوله: (فَأَعْرِضْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ). قال: ما أرى الإغراء في هذه الأمة، إلا الأهواء المتفرقة والبغضاء. (ذم الكلام ٨٢٠)

قال سفيان بن عيينه: من شهد جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع. (ذم الكلام ٩١١) قال بشر بن يحيى: سمعت ابن عيينة يقول في قوله: (أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا) قال: أنزل من السماء قرآناً فاحتمله الرجال بعقولها (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) وهو قول أهل البدع والأهواء (وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) وهو الحلال والحرام. (حليه الاولياء ٧/٢٧٧)

عن إسحاق بن أبي إسرائيل قال: سمعت سفيان بن عيينة يقول: لا تجد مبتدعاً إلا وجدته ذليلاً ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا هُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا). (شعب الإيمان ٧/٧٢-٧٢-٩٥٢٢)

قال الفضيل بن عياض: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة فكأنما أرى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع فكأنما أرى رجلاً من المنافقين. (شرح السنة ١٥٧) وقال: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة. (شرح السنة ١٦٣) وقال: لا تجلس مع صاحب بدعة فإني أخاف أن تنزل عليك اللعنة. (شرح السنة ١٦٤) وقال: من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله وأخرج نور الإسلام من قلبه. (شرح السنة ١٦٥) وقال: أدركت خيار الناس كلهم أصحاب سنة وهم ينهون عن أصحاب البدعة. (الحليه ٨/١٠٤٤)

وقال: إذا رأيت مبتدعاً في طريق فخذ في طريق آخر. (الإبانه لابن بطه ٤٩٣)
 وعن النضر قال: سمعت أبا قلابة يقول لأيوب: يا أيوب احفظ مني ثلاثاً: لا تقاعد أهل الأهواء ولا
 تسمع منهم ولا تفسر القرآن برأيك فإنك لست من ذلك في شيء وانظر هؤلاء الرهط من أصحاب
 النبي صلى الله عليه وسلم فلا تذكرهم إلا بخير. (أصول السنة لابن أبي زمنين ١٨٦)
 عن أيوب عن أبي قلابة أنه كان يقول: إن أهل الأهواء أهل الضلالة ولا أرى مصيرهم إلا إلى النار.
 (الشريعة للاجرى ١٣٥)

قال عبدالله بن المبارك: الموت اليوم كرامة لكل مسلم لقي الله على السنة فإننا لله وإنا إليه راجعون فيلى
 الله نشكو وحشتنا وذهاب الإخوان وقلة الأعوان وظهور البدع وإلى الله نشكو عظيم ما حل بهذه الأمة
 من ذهاب العلماء وأهل السنة وظهور البدع. (البدع والنهي عنها ٩٧)
 وقال ايضاً: صاحب البدعة على وجهه الظلمة وإن ادهن كل يوم ثلاثين مرة. (شرح أصول الاعتقاد ٢٨٤)
 قال ابو ادريس الخولاني: لأن أرى في المسجد ناراً تضطرم أحب إلي من أن أرى فيه بدعة لا تغير.
 (ذم الكلام ٧٩٩)

وقال: ما أحدثت أمة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنة. (البدع والنهي عنها ٨٧)
 قال عبدالرحمن بن مهدي: رأيت سفیان الثوري في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلا أن
 وضعت في اللحد ووقفت بين يدي الله عز وجل فحاسبني حساباً يسيراً ثم أمر بي إلى الجنة فبينما أنا بين
 رياحينها وأشجارها لا أسمع حساً ولا حركة فإذا بصوت يقول: يا سفیان بن سعيد هل تعلم أنك
 آثرت الله على نفسك؟ فقلت: أي والله فأخذتني صواني الثار من كل جانب. (تاريخ بغداد ٤٣٨ / ٨)
 قال سفیان الثوري: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها.
 (ذم الكلام ٩١٤)

قال مالك بن انس: ما آية في كتاب الله عز وجل أشد على أهل الأهواء من هذه الآية:
 (يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا
 كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) فأى كلام أبين من هذا؟. (الرسالة الوافية ٢٠٣)
 وقال: لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء وأهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام

فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعرياً كان أو غير أشعري ولا تقبل له شهادة في الإسلام ويهجر ويؤدب على بدعته. (جامع بيان العلم ١٨٠٠)

وقال مالك بن أنس: السنه سفينه نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. (تاريخ دمشق ١٤ / ٩٩)

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قلت للشافعي: صاحبنا الليث يقول: لو رأيت صاحب هوى يمشي على الماء ما قبلته قال: قصر لو رأيت يمشي في الهواء لما قبلته. (آداب الشافعي ١٨٤)

كان الشافعي إذا سئل عما جرى بين الصحابة قال: تلك فتنة قد طهر الله منها أيدينا أفلا نطهر منها ألسنتنا. (مناقب الشافعي للرازي ١ / ٤٤٩)

عن عيسى بن أحمد بن عثمان الهمداني قال: كان عبد العزيز بن عبد الله الداركي إذا جاءته مسألة يستفتي فيها تفكر طويلاً ثم أفتى فيها وربما كانت فتواه خلاف مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله وتعالى عنها فيقال له في ذلك فيقول: ويحكم حدث فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا والأخذ بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة إذا خالفاه. (تاريخ بغداد ٤٦٤ / ١٠)

قال أحمد بن حنبل: أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء. (شرح أصول الاعتقاد ٣١٧)

عن عبد الله بن أحمد قال: لم يسمع أبي من شعيب بن حرب ببغداد إنما سمع منه بمكة قال أبي: جئنا إليه أنا وأبو خيشمة وكان ينزل مدينة أبي جعفر على قرابة له قال فقلت: لأبي خيشمة سله قال: فدنا إليه فسأله فرأى كفه طويلاً فقال: من يكتب الحديث يكون كفه طويلاً! يا غلام هات الشفرة قال فقمنا ولم يحدثنا بشيء. (تاريخ بغداد ٢٤١ / ٩)

قال الفضل بن زياد: سألت أبا عبد الله يعني: أحمد بن حنبل عن الكرابيسي وما أظهر؟ فكلح وجهه ثم قال: إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها تركوا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب. (تاريخ بغداد ٨ / ٦٦)

وقال: أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم ولا يخالطهم ولا يأنس بهم. (الإبانة لابن بطه ٤٩٥)

وقال أيضا : لا غيبة لأصحاب البدع. (طبقات الحنابلة ٢ / ٢٧٤)

وعن الحسين بن منصور قال: سئل أحمد بن حنبل عن نكتب العلم؟ فقال: عن الناس كلهم إلا عن ثلاثة صاحب هوى يدعو إليه أو كذاب فإنه لا يكتب عنه قليل ولا كثير أو عن رجل يغلط فيرد عليه فلا يقبل. (العلل لابوبكر المروزي ٢٨٧)

سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري : وكان يخدم الشبلي ما الذي رأيت منه يعني عند وفاته ؟ فقال: قال لي: علي درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه ثم قال: وضيني للصلاة ففعلت فنسيت تحليل لحيته وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال: ما تقولون: في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة.

(تاريخ بغداد ٣٩٦ / ١٤)

قال غالب القطان: رأيت مالك بن دينار في النوم وهو قاعد في مقعده الذي كان يقعد فيه وهو يشير بإصبعه ويقول: صنفان من الناس لا تجالسوهما فإن مجالستها فاسدة لقلب كل مسلم: صاحب بدعة قد غلا فيها وصاحب دنيا مسرف فيها. (شرح أصول الاعتقاد ٢٩٢)

قال الازاعي: اتقوا الله معشر المسلمين واقبلوا نصيح الناصحين وعظة الواعظين واعلموا أن هذا العلم دين فانظروا ما تصنعون وعمن تأخذون وبمن تقتدون ومن على دينكم تأمنون فإن أهل البدع كلهم مبطلون أفاكون آثمون لا يراعون ولا ينظرون ولا يتقون فكونوا لهم حذرين متهمين رافضين مجانبين فإن علماءكم الأولين ومن صلح من المتأخرين كذلك كانوا يفعلون ويأمرون. (تاريخ دمشق ٦ / ٣٦٢)

عن عبد الله بن الديلمي قال : إن أول ذهاب الدين ترك السنة يذهب الدين سنة سنة كما يذهب الحبل قوة قوة. (شرح اصول اعتقاد اهل السنة ١ / ٩٣)

عن حسان بن عطية قال: ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيامة. (شرح اصول اعتقاد اهل السنة ١ / ٩٣)

قال مصعب بن سعد: لا تجالسوا مفتونا فإنه لن يخطئك منه إحدى خصلتين: إما أن يفتنك فتتبعه أو يؤذيك قبل أن تفارقه. (الإعتقاد للبيهقي ٢٣٩)

قال يونس بن عبيد : أوصيكم بثلاث فخذوها عني حيت أو مت: لا تمكن سمعك من صاحب هوى

ولا تخل بامرأة ليست لك بمحرم ولو أن تقرأ عليها القرآن ولا تدخلن على أمير ولو أن تعظه.

(الإبانه لابن بطه ٣٨٧)

قال يوسف بن اسباط : أصل البدع أربعة: الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة ثم تشعب كل فرقة ثمان عشرة طائفة فتلك اثنتان وسبعون فرقة والثالث والسبعون : الجماعة التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها الناجية. (الإبانه لابن بطه ٥٦٧ / ٢)

قال سلام بن أبي مطيع: رأى أيوب رجلاً من أهل الأهواء، فقال: إني أعرف الذلة في وجهه. ثم قرأ: (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) ثم قال: هذه لكل مفتر. (شرح أصول الاعتقاد ٢٨٩)

قال عبدالرحمن بن عمر: ذكر عند عبدالرحمن بن مهدي قوم من أهل البدع واجتهادهم في العبادة فقال: لا يقبل الله إلا ما كان على الأمر والسنة. ثم قرأ: (وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ) فلم يقبل ذلك منهم ووبخهم عليه ثم قال: الزم الطريق والسنة. (حليه الأولياء ٨ / ٩)

عن سعيد بن عامر، قال: مرض سليمان التيمي فبكى في مرضه بكاء شديداً فقل له: ما يبكيك أتجزع من الموت؟ قال: لا ولكن مررت على قدرتي فسلمت عليه فأخاف أن يحاسبني ربي عز وجل عليه. (حليه الأولياء ٣ / ٣٢)

قال الربيع بن خثيم: جاء رجل من أهل الأهواء إلى طاووس فقال: أتأذن لي أن أجلس فقال له طاووس: إن جلست قمنا فقال: يغفر الله لك أبا عبدالرحمن فقال: هو ذاك إن جلست والله قمنا. فانصرف الرجل. (الإبانه لابن بطه ٤٠٣)

قال ابو العاليه :عليكم بسنة نبيكم والذي كان عليه أصحابه وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين الناس العداوة والبغضاء. (الشريعة للاجرى ١٩)

قال قتادة: ولعمري لو كان أمر الخوارج هدىً لاجتمع ولكنه كان ضلالاً فتفرق وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله وجدت فيه اختلافاً كثيراً. (تفسير الطبرى ١٧٨ / ٣)

قال ميمون بن مهران : ثلاثة ارفضوهن: مجادلة أصحاب الأهواء وشتم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر في النجوم. (أصول السنة لابن أبي زمين ١٨٧)

قال مجاهد بن جبر: ما أدري أي النعمتين أعظم علي: أن هداني إلى الإسلام أو أن جنبني الأهواء.
(أصول السنة ٢٣٩)

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله: (وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ). قال: البدع والشبهات. (السنة للمروزي ١٩)
وعن هشام قال: كان الحسن ومحمد يقولان: لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم ولا تسمعوا
منهم. (الإبانة لابن بطه ٣٩٥)

قال ايوب السخيتاني: ما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً. (البدع والنهي عنها ٦٧)
قال يحيى بن كثير: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في غيره. (الشرعية للاجري ١٤٤)
وكان عبدالله بن عون يقول عند الموت: السنة السنة وإياكم والبدع. حتى مات. (شرح السنة ١٥٨)
قال سليمان الاحول: ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه. (ذم الكلام ٤٦٢)

قال أبو بكر بن أبي دواد: أهل الرأي هم أهل البدع. (الجامع لابن عبدالبر ١٠٤٢/٢)
قال ابن رجب: فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة
والدين منه بريء. (جامع العلوم والحكم ١٢٨/٢)

وقال أيضاً: والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه فأما ما كان له أصل من
الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعاً وإن كان بدعة لغة. (جامع العلوم والحكم ١٢٧/٢)
قال الشاطبي: والرأي إذا عارض السنة فهو بدعة وضلالة. (الاعتصام ٣٣٥/٢)

الآثار العملية في حياة السلف:

عن عبد الله بن عكيم قال: كنا عند حذيفة بالمدائن فاستسقى دهقاناً (تاجر أو زعيم المدينة) فجاءه بقاء
في اناء من فضة فحذفه به حذيفة وكان رجلاً فيه حدة فكرهوا ان يكلموه ثم التفت إلى القوم فقال
اعتذر اليكم من هذا اني كنت تقدمت إليه ان لا يسقيني في هذا ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قام فينا فقال لا تشربوا في آنية الفضة والذهب ولا تلبسوا الديباج والحريز فانها لهم في الدنيا
ولكم في الآخرة. (تاريخ بغداد ١٠/٣)

عن أبي حنيفة قال: لقيت عطاء بمكة، فسألته عن شيء فقال: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال:
أنت من أهل القرية الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً؟ قلت: نعم قال: فمن أي الأصناف أنت؟ قلت:
من لا يسب السلف ويؤمن بالقدر ولا يكفر أحداً بذنب قال: فقال لي عطاء: عرفت فالزم.

(تاريخ بغداد ٣٣١ / ١٢)

قال يحيى بن يعمر: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا: لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبدالله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد فاكتفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: أبا عبدالرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أي بريء منهم وأنهم برآء مني. (صحيح مسلم ٨)

وعن يسار أبي الحكم أن عبدالله بن مسعود حدث أن أناساً بالكوفة يسبحون بالحصى في المسجد فأتاهم وقد كوم كل رجل منهم بين يديه كومة حصى فلم يزل يحصبهم بالحصى حتى أخرجهم من المسجد وهو يقول: لقد أحدثتم بدعة ظلماً أو قد فضلتهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم علماً.

(البدع والنهي عنها ١٦)

عن مبارك بن فضالة قال: وفدا بن سوار في وفد من أهل البصرة إلى أبي جعفر فإنا لعنده ذات يوم إذ أتى برجل فامر بقتله فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين وأنا حاضر فقلت: يا أمير المؤمنين ألا أحدثك حديثاً سمعته من الحسن؟ قال: وما هو؟ قلت: حدثنا الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة جمع الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد من عند الله فيقول: ليقومن من له على الله يد فلا يقومن إلا من عفا. فأقبل عليّ فقال: الله لسمعته من الحسن؟ قال قلت لله لسمعته من الحسن قال: خليا عنه. (تاريخ بغداد ٢١٢ / ١٣)

عن محمد بن سماعه قال: كان عيسى بن أبان حسن الوجه وكان يصلي معنا وكنت أدعوه أن يأتي محمد بن الحسن فيقول: هؤلاء قوم يخالفون الحديث وكان عيسى حسن الحفظ للحديث فصلى معنا يوماً الصبح وكان يوم مجلس محمد فلم أفارقه حتى جلس في المجلس فلما فرغ محمد أدنيته إليه وقلت: هذا ابن أخيك أبان بن صدقة الكاتب ومعه ذكاء ومعرفة بالحديث وأنا أدعوه إليك فيأبى ويقول: إنا نخالف الحديث فأقبل عليه وقال له: يا بني ما الذي رأيتنا نخالفه من الحديث لا تشهد علينا حتى تسمع منا فسأله يومئذ عن خمسة وعشرين باباً من الحديث فجعل محمد بن الحسن يجيبه عنها ويخبره بما

فيها من المنسوخ ويأتي بالشواهد والدلائل فالتفت إلي بعد ما خرجنا فقال: كان بيني وبين النور ستر فارتفع عني ما ظننت أن في ملك الله مثل هذا الرجل يظهره للناس ولزم محمد بن الحسن لزوماً شديداً حتى تفقه به. (تاريخ بغداد ١٥٨ / ١١)

عن ابن عبد الله بن مغفل قال: سمعني أبي وأنا أقول: اللهم إني أعوذ بك من النار وحميمها وغساقها وسلاسلها وأغلاها وأنكالها وأسالك الجنة ونعيمها وأزواجها وأسالك القصر الأبيض الذي عن يمين الجنة فقال: يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سيأتي قوم يعتدون في الدعاء وإني أعيذك بالله أن تكون منهم إذا أعطيت الجنة أعطيت كل ما عدت فيها وإذا آجرت من النار آجرت مما عدت فيها ومما لم تعد. (تاريخ بغداد ١٧٦ / ١١)

عن عبد الرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد عن أبيه قال: لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض المأمون لبعض حاجته ثم خرج فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد فإنه لم يقم قال: فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ثم استخلاه فقال له: يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال اجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وما هو؟ قال علي بن الجعد: سمعت المبارك بن فضالة يقول: سمعت الحسن يقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار قال: فأطرق المأمون متفكراً في الحديث ثم رفع رأسه فقال: لا يشتري إلا من هذا الشيخ قال: فاشترى منه ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار. (تاريخ بغداد ٣٦١ / ١١)

عن عبد الملك بن قريش الأصمعي أنه قال: كنت عند الرشيد يوماً فرفع إليه في قاضي كان قد استقضاه يقال له: عافية فكبر عليه فأمر بإحضاره وكان في المجلس جمع كثير فجعل أمير المؤمنين يخاطبه ويوقفه على ما رفع إليه وطال المجلس ثم إن أمير المؤمنين عطس فشتمته من كان بالحضرة ممن قرب منه سواه فإنه لم يشتمته فقال له الرشيد: ما بالك لم تشمتني كما فعل القوم؟ فقال له عافية: لأنك يا أمير المؤمنين لم تحمد الله فلذلك لم أشمتك هذا النبي صلى الله عليه وسلم عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر فقال يا رسول الله: مالك شمت ذلك ولم تشمتني؟ قال: لأن هذا حمد الله فشمتناه وأنت فلم تحمده فلم أشمتك فقال له الرشيد: ارجع إلى عمك أنت لم تسامح في عطسة تسامح في غيرها

وصرفه منصرفاً جليلاً ووزير القوم الذين كانوا رفعوا عليه. (تاريخ بغداد ٣٠٩ / ١٢)

قال خرزاذ القائد: كنت عند الرشيد فدخل أبو معاوية الضرير وعنده رجل من وجوه قریش فجرى الحديث إلى أن خرج أبو معاوية إلى حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة: أن موسى لقي آدم فقال: أنت آدم الذي أخرجتنا من الجنة وذكر الحديث فقال القرشي: أين لقي آدم موسى؟ قال: فغضب الرشيد وقال: النطع والسيف زنديق والله يطعن في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول: كانت منه بادرة ولم يفهم يا أمير المؤمنين حتى سكنه. (تاريخ بغداد ١٤ / ٧)

عن المدائني قال: مر المنصور بفرج بن فضالة فلم يقم له فقيل له في ذلك فقال: خشيت أن يسألني لم قمت؟ ويسأله لم رضيت؟. (تاريخ بغداد ٣٩٤ / ١٢)

وفي رواية أنه: أقبل المنصور يوماً ركباً والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب فقام الناس فدخل من الباب ولم يقم له الفرج، واستشاط غضباً ودعا به فقال له: ما منعك من القيام حين رأيتني؟ قال: خفت أن يسألني الله عنه لم فعلت؟ ويسألك لم رضيت؟ وقد كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم. (تاريخ بغداد ٣٩٤ / ١٢)

عن أبي بكر الخراساني قال: تبعت أحمد بن حنبل يوم الجمعة إلى مسجد الجامع فقام عند قبة الشعراء يركع والأبواب مفتحة وكان يتطوع ركعتين ركعتين فمر بين يديه سائل فمنعه منعاً شديداً وأراد السائل أن يمر بين يديه فقمنا إلى السائل فنحنياه. (تاريخ بغداد ٣٨٧ / ١٤)

عن عبد الرحمن الطيب وهو طيب أحمد بن حنبل وبشر الحافي قال: اعتلا جميعاً في مكان واحد فكنت أدخل إلى بشر فأقول له: كيف تجددك يا أبا نصر؟ قال: فيحمد الله ثم يخبرني فيقول: أحمد الله إليك أجد كذا وكذا وأدخل إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل فأقول: كيف تجددك يا أبا عبد الله؟ فيقول: بخير فقلت له يوماً: إن أخاك بشراً عليل وأسأله عن خبره فيبدأ بحمد الله ثم يخبرني، فقال: سله عن أخذ هذا؟ فقلت له: إني أهاب أن أسأله فقال: قل له: يقول لك أخوك أبو عبد الله: عن أخذت هذا؟ قال: فدخلت عليه فعرفته ما قال فقال لي: أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد: أزر عن ابن عون عن ابن سيرين: إذا حمد الله العبد قبل الشكوى لم تكن شكوى وإنما أقول لك أجد كذا أعرف قدرة الله في قال: فخرجت من عنده فمضيت إلى أبي عبد الله فعرفته ما قال قال: وكنت بعد ذلك إذا دخلت إليه يقول:

أحمد الله إليك: ثم يذكر ما يجده. (تاريخ بغداد ٢٧٧/ ١٠)

عن محمد بن مغلّس قال: حدثنا شعيب بن محرز ودخلت عليه بالبصرة وأنا أجز إزارى فقال لي: ارفع يا شاب إزارك فإن شعبة أبا بسطام أخبرني عن سعيد بن أبي سعيد المقبري قال: سمعت أبا هريرة يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما أسفل من الكعبين من الإزار في النار.

(تاريخ بغداد ٣٨٥/ ٩)

عن الحكم بن عمرو الغفاري قال: دخلت أنا وأخي رافع بن عمرو وأنا مخضوب بالحناء وأخي رافع مخضوب بالصفرة فقال لي: عمر هذا خضاب الإسلام وقال لأخي رافع: هذا خضاب الإيوان.

(تاريخ بغداد ٣٦/ ١١)

١٤ - باب في من سن سنة حسنة أو سيئة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا [الفرقان: ٧٤]، وَقَالَ تَعَالَى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا [الأنبياء: ٧٣].

١٧١ - عَنْ أَبِي عَمْرٍو جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النَّهَارِ أَوْ الْعَبَاءِ. مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ عَامَّتُهُمْ، بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِمَا رَأَى مِنْهُمْ مِنَ الْفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلَالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ، فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} إِلَى آخِرِ الْآيَةِ: {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}، وَالْآيَةُ الْآخَرَى الَّتِي فِي آخِرِ الْحُشْرِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مِمَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ مِنْ دِرْهَمِهِ مِنْ ثَوْبِهِ مِنْ صَاعِ بُرِّهِ مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ حَتَّى قَالَ: وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعَجُّزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمِينَ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهَا وَوَزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» رواه مسلم. قَوْلُهُ: «مُجْتَابِي النَّهَارِ» هُوَ بِالْجِيمِ وَبَعْدَ

الألفِ بَاءٌ مُوحَّدةٌ . والنَّارُ : جَمْعُ نَمْرَةٍ ، وَهِيَ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُحْطَطٌ . وَمَعْنَى « مُجْتَابِيهَا » أَي : لا يَسِيهَا قَدْ خَرَقُوهَا فِي رُؤُوسِهِمْ . « وَالْجُوبُ » : الْقَطْعُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ } أَي : نَحْتُوهُ وَقَطَعُوهُ . وَقَوْلُهُ « تَمَعَّرَ » هُوَ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ ، أَي : تَغَيَّرَ . وَقَوْلُهُ : « رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ » بفتح الكاف وضمها ، أَي : صَبْرَتَيْنِ . وَقَوْلُهُ : « كَأَنَّهُ مَذْهَبَةٌ » هُوَ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَفَتْحِ الْمَاءِ وَالْبَاءِ الْمَوْحِدَةِ ، قَالَهُ الْقَاضِي عِيَاضُ وَغَيْرُهُ . وَصَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ : « مُذْهَبَةٌ » بِدَالِ مَهْمَلَةٍ وَضَمِ الْمَاءِ وَبِالنُّونِ ، وَكَذَا ضَبَطَهُ الْحَمِيدِيُّ ، وَالصَّحِيحُ الْمَشْهُورُ هُوَ الْأَوَّلُ . وَالْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْوَجْهَيْنِ : الصَّفَاءُ وَالِاسْتِنَارَةُ .

١٧٢ - وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دِمَهِهَا لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس : والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين قال : يعنون من يعمل بالطاعة، فتقر به أعيننا في الدنيا والآخرة، واجعلنا للمتقين إماما قال : أئمة هدى يهتدى بنا، ولا تجعلنا أئمة ضلالة؛ لأنه قال لأهل السعادة : وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا (الأنبياء ٧٣) ولأهل الشقاوة : وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار (القصص ٤١) . (تفسير الدر المنثور ١١ / ٢٢٩)

عن عكرمة : والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين قال : لم يريدوا بذلك صباحة ولا جمالا، ولكن أرادوا أن يكونوا مطيعين. عن الحسن ، أنه سئل : عن هذه الآية : هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين أهذه القررة أعين في الدنيا أم في الآخرة؟ قال : لا والله، بل في الدنيا . قيل : وما هي؟ قال : هي أن يرى الرجل المسلم من زوجته، من ذريته، من أخيه، من حميمه، طاعة الله، ولا والله، ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى ولدا، أو ولدا، أو حميما، أو أخا مطيعا لله . (الدر المنثور ١١ / ٢٣٠)

عن قتادة : واجعلنا للمتقين إماما يقول : قادة في الخير ودعاة وهداة يؤتم بهم في الخير لله .

(تفسير الدر المنثور ١١ / ٢٣١)

عن مالك، أنه تلا : وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا فقال : حدثني الزهري، أن عطاء بن يزيد

حدثه، عن أبي هريرة ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول : ما رزق عبد خيرا له أوسع من الصبر لله عن قتادة في قوله : وجعلنا منهم أئمة قال : رؤساء في الخير سوى الأنبياء، يهدون بأمرنا لما صبروا قال : على ترك الدنيا لله. (تفسير الدر المنثور ١١ / ٧١١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

المذهب الحنفي:

١- قال الشيخ ابن عابدين الحنفي في حاشيته (١/٣٧٦): فقد تكون البدعة واجبة كنصب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة، وتعلم النحو المفهم للكتاب والسنة ومندوبة كإحداث نحو رباط ومدرسة وكل إحسان لم يكن في الصدر الأول ومكروهة كزخرفة المساجد ومباحة كالتوسع بلذيذ المآكل والمشرب والثياب. انتهى

٢- قال بدر الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري (١١/١٢٦) عند شرحه لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: نعمت البدعة وذلك عندما جمع الناس في التراويح خلف قارىء وكانوا قبل ذلك يصلون أوزاعاً متفرقين: والبدعة في الأصل إحداث أمر لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم البدعة على نوعين إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة وإن كانت مما يندرج تحت مستقبح في الشرع فهي بدعة مستقبحه.

المذهب المالكي:

١- قال محمد الزرقاني المالكي في شرحه للموطأ (١/٢٣٨) عند شرحه لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نعمت البدعة هذه فساها بدعة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يسن الاجتماع لها ولا كانت في زمان الصديق وهي لغة ما أحدث على غير مثال سبق وتطلق شرعاً على مقابل السنة وهي ما لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم ثم تنقسم إلى الأحكام الخمسة.

٢- قال الشيخ أحمد بن يحيى الونشريسي المالكي في كتاب المعيار المعرب (١/٣٥٧-٣٥٨) ما نصه: وأصحابنا وإن اتفقوا على إنكار البدع في الجملة فالتحقيق الحق عندهم أنها خمسة أقسام، ثم ذكر الأقسام الخمسة وأمثلة على كل قسم ثم قال: فالحق في البدعة إذا عُرِضت أن تعرض على قواعد الشرع فأبي القواعد اقتضتها ألحقت بها وبعد وقوفك على هذا التحصيل والتأصيل لا تشك أن قوله صلى الله عليه وسلم: كل بدعة ضلالة من العام المخصوص كما صرح به الأئمة.

المذهب الشافعي:

أ- قال الشافعي رضي الله عنه: المحدثات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة الضلالة، والثاني ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا فهذه محدثة غير مذمومة. (رواه البيهقي في مناقب الشافعي ١/ ٤٦٩) (وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ١٣/ ٢٦٧)
 ب- روى الحافظ أبو نعيم في كتابه (حلية الأولياء ٩ / ٧٦) عن إبراهيم بن الجنيدي قال: حدثنا حرملة بن يحيى قال: سمعت محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه يقول: البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مذمومة. فما وافق السنة فهو محمود وما خالف السنة فهو مذموم واحتج بقول عمر بن الخطاب في قيام رمضان: نعمت البدعة هي. انتهى

٢- قال أبو حامد الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين، كتاب اداب الأكل ج ٢ / ٣) ما نصه: وما يقال إنه أبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس كل ما أبدع منهيا بل المنهي بدعة تضاد سنة ثابتة وترفع أمرا من الشرع مع بقاء علته بل الإبداع قد يجب في بعض الأحوال إذا تغيرت الأسباب. انتهى

٣- قال العز بن عبد السلام في كتابه (قواعد الأحكام ٢ / ١٧٢-١٧٤) : البدعة منقسمة إلى واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة ثم قال: والطريق في ذلك أن تُعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة أو في قواعد التحريم فهي محرمة أو الندب فمندوبة أو المكروه فمكروهة أو المباح فمباحة. انتهى.

٤- قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٦/ ١٥٤-١٥٥): قوله صلى الله عليه وسلم: (وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) هذا عامٌ مخصوص والمراد: غالب البدع. قال أهل اللُّغة: هي كلُّ شيء عمل على غير مثال سابق. قال العلماء: البدعة خمسة أقسام: واجبة، ومندوبة ومحرمة، ومكروهة، ومباحة. فمن الواجبة: نظم أدلة المتكلمين للردِّ على الملاحدة والمبتدعين وشبه ذلك. ومن المندوبة: تصنيف كتب العلم وبناء المدارس والربط وغير ذلك. ومن المباح: التبسط في ألوان الأطعمة وغير ذلك. والحرام والمكروه ظاهران وقد أوضحت المسألة بأدلتها المبسوطة في (تهذيب الأسماء واللغات) فإذا عرف ما ذكرته علم أن الحديث من العامِّ المخصوص وكذا ما أشبهه من الأحاديث الواردة ويؤيد ما قلناه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في التراويح: نعمت البدعة، ولا يمنع من كون الحديث عامًّا مخصوصًا قوله:

(كُلُّ بَدْعَةٍ مُؤَكَّدًا بِكُلِّ، بَلْ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيسُ مَعَ ذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: (تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ) (الأحقاف- ٢٥). انتهى

وقال النووي أيضا في شرحه على صحيح مسلم (١٦/٢٢٦-٢٢٧): قوله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا...) إلى آخره. فيه: الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنة والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله: فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس. وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفتاح لباب هذا الإحسان. وفي هذا الحديث: تخصيص قوله صلى الله عليه وسلم: كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وأن المراد به المحدثات الباطلة والبدع المذمومة. انتهى

٥- قال الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في الفتح (٤/٢٩٨): قوله قال عمر: نعم البدعة في بعض الروايات نعمت البدعة بزيادة التاء والبدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة والتحقيق إن كانت مما تدرج تحت مستحسن في الشرع فهي حسنة وإن كانت مما تدرج تحت مستقبح في الشرع فهي مستقبحة وإلا فهي من قسم المباح وقد تنقسم إلى الأحكام الخمسة. انتهى

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري المجلد الثاني، كتاب الجمعة، باب الأذآن يوم الجمعة: وكل ما لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم يسمى بدعة لكن منها ما يكون حسنا ومنها ما يكون بخلاف ذلك. انتهى

المذهب الحنبلي:

قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابه (المطلع على أبواب المنعص ٣٣٤) من كتاب الطلاق: والبدعة مما عمل على غير مثال سابق والبدعة بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلالة والبدعة منقسمة بانقسام أحكام التكليف الخمسة.

وقال الحافظ ابن الأثير: البدعة بدعتان بدعة هدى وبدعة ضلال فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو من حيز الذم والإنكار وما كان واقعا تحت عموم مما ندب الله إليه وحض عليه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم فهو في حيز المدح وما لم يكن له مثال موجود

كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف فهو في الأفعال المحموده ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشرع به لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد جعل له في ذلك ثواباً فقال: من سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها. وقال في ضده: ومن سنَّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها. وذلك إذا كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن هذا النوع قول عمر رضي الله عنه: نِعِمَّت البدعة هذه. لَمَّا كانت من أفعال الخير وداخلة في حيز المدح سماها بدعة ومدحها لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يسنّها لهم وإنما صلاها ليالي ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا يجمع الناس لها ولا كانت في زمن أبي بكر وإنما عمر رضي الله عنه جمع الناس عليها وندبهم إليها فبهذا سماها بدعة وهي على الحقيقة سنة، لقوله صلى الله عليه وسلم: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى بقوله: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وعلى هذا التأويل يُحمل الحديث الآخر: كل محدثة بدعة وإنما يريد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة. انتهى. (النهاية في غريب الحديث ١٠٦/١-١٠٧)

وقال الحافظ ابن حجر: هذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه: من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه. (فتح الباري ٥/٣٧٢)

٢٠- باب في الدلالة على خير

والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قَالَ تَعَالَى : وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ [القصص : ٨٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ [النحل : ١٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : ٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ [آل عمران : ١٠٤] .

١٧٣- وعن أبي مسعود عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو النَّصَارِيِّ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ دَعَا إِلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ » رواه مسلم .

١٧٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامٍ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئاً » رواه مسلم .

١٧٥- وعن أبي العباس سهل بن سعيد السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ» فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ قَالَ: «فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ» فَأَتِي بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرُهُمْ بِمَا يَجِبُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ» متفقٌ عليه.

قوله: «يَدُوكُونَ»: أي يُحْوِضُونَ ويتحدَّثُونَ، قوله: «رِسْلِكَ» بكسر الراءِ وبفتحة لُغْتَانِ، وَالْكَسْرُ أَفْصَحُ

١٧٦- وعن أنسٍ رضي الله عنه أن فتي من أسلم قال: يا رسول الله إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز به؟ قال: «أنت فلان فإنه قد كان تجهز فمرض» فأثاه فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول: أعطني الذي تجهزت به فقال: يا فلانة أعطيه الذي تجهزت به ولا تحبسي منه شيئاً فوالله لا تحبسين منه شيئاً فيبارك لك فيه. رواه مسلم

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

والأمر في قوله: وادع إلى ربك مستعمل في الأمر بالدوام على الدعوة إلى الله لا إلى إيجاد الدعوة؛ لأن ذلك حاصل، أي لا يصرفك إعراض المشركين عن إعادة دعوتهم إعدارا لهم.
(تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ١٩٦/٢١)

قال ابن جرير: وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة (والموعظة الحسنة) أي: بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها؛ ليحذروا بأس الله تعالى. (تفسير بن كثير)

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) يعني مواضع القرآن. (البغوى ٥٣/٥)

عن أبي جعفر الباقر قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير.

ثم قال : الخير اتباع القرآن وسنتي . (تفسير الدر المنثور ٣ / ١٧٧)
 عن ابن عباس قوله (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) " البر " ما أمرت به
 و " التقوى " ما نُهيّت عنه . (تفسير الطبري ٩ / ٤٩١)
 قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه : ولتكن منكم . أيها المؤمنون " أمة " يقول : جماعة " يدعون "
 الناس إلى الخير يعني إلى الإسلام وشرائعها التي شرعها الله لعباده " ويأمرون بالمعروف . يقول : يأمر
 الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله " وينهون عن المنكر " : يعني
 وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله ، بجهادهم بالأيدي والجوارح ، حتى
 ينقادوا لكم بالطاعة . وقوله : وأولئك هم المفلحون يعني : المنجحون عند الله الباقون في جناته
 ونعيمه . (تفسير الطبري ٧ / ٩١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال طلحة بن عبيد الله : إن أقل العيب على المرء أن يجلس في داره . (تاريخ دمشق ٢٥ / ١٠٥)
 عن معمر قال تلا الحسن : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين)
 قال : هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق إلى الله أجاب الله في
 دعوته ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحاً في إجابته وقال : إنني من المسلمين
 فهذا خليفة الله . (تفسير بن كثير ٧ / ١٨٠ - ١٨١)

وقال ايضاً : فمقام الدعوة إلى الله أفضل مقامات العبد . (مفتاح دار السعادة لابن القيم)
 قال عمر بن عبد العزيز : ما طوعني الناس على ما أردت من الحق حتى بسطت لهم من الدنيا
 شيئاً . (حليه الأولياء ٥ / ٢٩٠)

وجاء عن عبد القادر الجيلاني أنه قال : أتمنى أن أكون في الصحارى والبراري كما كنت في الأول لا أرى
 الخلق ولا يروني ثم قال : أراد الله مني منفعة الخلق فقد أسلم على يدي أكثر من خمسمائة وتاب على يدي
 أكثر من مائة ألف . قد يكون في هذا مبالغة . وهذا خير كثير وترد عليّ الأثقال يعني المصائب والهموم
 التي لو وضعت على الجبال تفسخت فأضع جنبي على الأرض وأقول : (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ
 الْعُسْرِ يُسْرًا) (الشرح ٥ - ٦) ثم أرفع رأسي وقد انفرجت عني . (سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٨٤)
 وقال : إذا وُلد لي ولد أخذته على يديّ ، وأقول : هذا ميت فأخرجه من قلبي فإذا مات لم يؤثر عندي موته

شيئاً. (سير أعلام النبلاء ١٥ / ١٨٤)

قال الشيخ عبدالقادر الجيلاني: سبحان من ألقى في قلبي نصح الخلق وجعله أكبر همي. ثم يقول: إذا رأيت وجه مريد صادق قد أفلح على يدي: شبت وارتويت واكتسيت وفرحت كيف خرج مثله من تحت يدي. (الفتح الرباني والفيض الرحمانى ص ٤١)

قال ابن الجوزى: الزهاد -يعني المعتزلين- في مقام الخفافيش قد دفنوا أنفسهم بالعزلة عن نفع الناس وهي حالة حسنة إذا لم تتمتع من خير من جماعة واتباع جنازة وعبادة مريض إلا أنها حالة الجبناء. فأما الشجعان فهم يتعلمون ويعلمون وهذه مقامات الأنبياء عليهم السلام. (صيد الخاطر ٧٤ / ١)

قال ابن الجوزى: ألسنت تبغي القرب منه أي: من الله سبحانه وتعالى؟! فاشتغل بدلالة عباده عليه فهي حالات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أما علمت أنهم آثروا تعليم الخلق على خلوات التبعيد لعلمهم أن ذلك أثر عند حبيبيهم سبحانه وتعالى؟! ثم قال: وهل كان شغل الأنبياء إلا معاناة الخلق وحثهم على الخير ونهيهم عن الشر؟! (صيد الخاطر ١٠ / ١)

عن عبد الله بن يوسف: أن أبا عبد رب كان يشتري الرقاب فيعتقهم، فاشترى يوماً عجوزاً رومية فأعتقها فقالت: ما أدري أين آوي فبعث بها إلى منزله فلما انصرف من المسجد أتى بالعشاء فدعاها فأكلت ثم راطنها فإذا هي أمه فسألها الإسلام فأبت فكان يبلغ من برها ما يبلغ فأتى يوماً بعد صلاة العصر يوم الجمعة فأخبر أنها أسلمت فخر ساجداً حتى غابت الشمس. (حليه الاولياء ٥ / ١٦٠)

قال بشر بن الحارث الحافي رحمه الله: يعدد ثلاث خصال امتاز بها الإمام أحمد بن حنبل وفضل بها عليه وقصر هو عنها أحدها: أنه نصب إماماً للعامة. (احياء علوم الدين)

عن سفيان الثوري أنه قال: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ٣٦)

ووصفوا الأوزاعي بأنه: كان رجل عامة ومثله المحدث الثقة الفقيه أبو إسحاق الفزاري وكذلك خالد بن عبد الله الواسطي أحد المحدثين الثقات من شيوخ البخاري، كلهم وصفوا بأنهم كانوا: رجال عامه. (تهذيب التهذيب لابن حجر)

الإمام الغزالي رحمه الله يقول: اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر من

حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف. (الإحياء ٢ / ٣٤٢)
 عن أبي البخترى قال: وددت أن الله تعالى يطاع وأني عبد مملوك. (حليه الاولياء ٤ / ٣٨٠)
 قال سفيان بن عيينه : ارفع الناس منزلة عند الله من كان بين الله وبين عباده وهم الأنبياء
 والعلماء. (مفتاح دار السعادة ١ / ١١٩)
 قال ابن القيم : وتبليغ سنته صلى الله عليه وسلم إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو لأن
 تبليغ السهام يفعله كثير من الناس وأما تبليغ السنن فلا يقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أمهم
 جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه. (التفسير القيم ٤٣١)
 وقال أيضا : مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبده. (حادى الارواح ٦٦)

قال الشافعى : (جواهر الأدب للهاشمي ٢ / ٤٩٠ - بتصرف)

ما في المقام لذي عقلٍ وذو أدبٍ	من راحةٍ فدع الأوطانَ واغترِبِ
أُخْرِجَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَجِدَ عَوْضًا عَمَّنْ	تُفَارِقُهُ وَإِنْ نَصَبَ فَإِنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَبِ
إِنِّي رَأَيْتُ وَقُوفَ الْمَاءِ يُفْسِدُهُ	إِنْ سَاحَ طَابَ وَإِنْ لَمْ يَجِرْ لَمْ يَطْبِ
وَالْأَسَدُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْأَرْضِ مَا افْتَرَسَتْ	وَالسَّهْمُ لَوْ لَا فِرَاقُ الْقَوْسِ لَمْ يُصَبِ
وَالشَّمْسُ لَوْ وَقَفَتْ فِي الْفُلْكِ دَائِمَةً	لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَرَبِ
وَالتَّبَرُ كَالثَّرَابِ مُلْقَى فِي أَمَاكِنِهِ	وَالْعُودُ فِي أَرْضِهِ نَوْعٌ مِنَ الْحَطَبِ
فَإِنْ تَعَرَّبَ هَذَا عَزَّ مَطْلَبُهُ	وَإِنْ تَعَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كَالذَّهَبِ.

الآثار العملية في حياة المسلم :

وفي غزوة أحد لما خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى أحد وعرض أصحابه فرد من استصغر رد
 سمرة بن جندب وأجاز رافع بن خديج لما قيل أنه رام (أي يجيد الرمي) وقي رواية أنه وقف على
 رؤوس أصابع رجله يتناول، فقال سمرة بن جندب لربيبة مري بن سنان: يا أبت أجاز رسول الله
 (صلى الله عليه وسلم) رافع بن خديج وردني وأنا أصرع رافع بن خديج فقال مري بن سنان: يا رسول
 الله رددت ابني وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) لرافع وسمرة:
 تصارعا فصرع سمرة رافعا فأجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهدا مع المسلمين.

(تاريخ الطبري ٢ / ٦١)

في غزوة بدر يقول سعد بن أبي وقاص : رأيت أخي عمير قبل أن يعرضنا رسول الله يوم بدر يتواري - أي: يختبئ في الجيش - فقلت: ما لك يا أخي؟! قال: إني أخاف أن يراني رسول الله فيردني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة. يريد الشهادة! ماذا يفعل بعض الأبناء اليوم في هذه السن؟ قال سعد: فعرض عمير على رسول الله فرده لصغره، فلما رده بكى فأجازه، فكان سعد يقول: فكنت أعقد حمائل

سيفه من صغره. (مستدرك الحاكم ٣ / ١٥٠ ح رقم ٤٨٦٤ - طبقات بن سعد ٣ / ١٥٠)

عن يزيد بن الأصم: أن رجلاً كان ذا بأس وكان يوفد إلى عمر لبأسه وكان من أهل الشام وأن عمر فقدته فسأل عنه فقليل له: تتابع في هذا الشراب فدعا كاتبه فقال: أكتب من عمر بن الخطاب إلى فلان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير - ثم دعا وأمن من عنده ودعوا له أن يقبل الله بقلبه وأن يتوب عليه - فلما أتت الصحيفة الرجل جعل يقرأها ويقول: غافر الذنب قد وعدني الله أن يغفر لي وقابل التوب شديد العقاب قد حذرني الله عقابه ذي الطول والطول: الخير الكثير لا إله إلا هو إليه المصير فلم يزل يرددتها على نفسه ثم بكى ثم نزع فأحسن النزع فلما بلغ عمر أمره قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخوا لكم زل زلة فسددوه ووفقوه وادعوا الله أن يتوب عليه ولا تكونوا أعواناً للشيطان عليه. (الحليه ٤ / ٩٧ - ٩٨)

عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: وقع في قلب أم شريك الإسلام فأسلمت وهي بمكة وهي إحدى نساء قريش ثم إحدى بني عامر بن لؤي وكانت تحت أبي العسكر الدوسي فأسلمت ثم جعلت تدخل على نساء قريش سرّاً فتدعوهن وترغبهن في الإسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا ولكننا سنردك إليهم قالت: فحملوني على بعير ليس تحتي شيء موطأ ولا غيره ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقوني قالت: فما أتت عليّ ثلاث حتى ما في الأرض شيء أسمعته قالت: فترزقوا منزلاً وكانوا إذا نزلوا منزلاً أو وثقوني في الشمس واستظلوا هم منها وحبسوا عني الطعام والشراب فلا تزال تلك حالي حتى يرتحلوا قالت: فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس واستظلوا منها إذا أنا بأبرد شيء على صدري فتناولته فأذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع فرفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد أيضاً فتناولته فشربت منه قليلاً ثم رفع قالت فصنع به مراراً

ثم تركت فشربت حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء ورأوني حسنة الهيئة قالوا لي: أتحللت فأخذت سقاءنا، فشربت منه؟ قلت: لا والله ما فعلت ولكنه كان من الأمر كذا وكذا قالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظرنا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك وأقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوهبت نفسها له بغير مهر فقبلها ودخل عليها. (حليه الأولياء ٢/٦٦-٦٧)

عن عروة بن الزبير: أن الأنصار لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله وأيقنوا واطمأنت أنفسهم إلى دعوته فصدقوه وآمنوا به كانوا من أسباب الخير وواعدوه الموسم من العام القابل فرجعوا إلى قومهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث إلينا رجلاً من قبلك فيدعو الناس إلى كتاب الله فإنه أدنى أن يتبع فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير - أخا بني عبد الدار - فنزل بني غنم على أسعد بن زرارة يحدثهم ويقص عليهم القرآن فلم يزل مصعب عند سعد بن معاذ يدعو ويهدي الله على يديه حتى قل دار من دور الأنصار إلا أسلم فيها ناس لا محالة وأسلم أشرفهم وأسلم عمرو بن الجموح وكسرت أصنامهم ورجع مصعب بن عمير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يدعى: المقرئ. (حليه الأولياء ١/١٠٧)

عن عامر الشعبي: أن رجلاً خرجوا من الكوفة نزلوا قريباً يتعبدون فبلغ ذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاهم ففرحوا بمجيئه إليهم. فقال لهم: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: أحببنا أن نخرج من غمار الناس نتعبد. فقال عبد الله بن مسعود: لو أن الناس فعلوا مثل ما فعلتم فمن كان يقاتل العدو؟ وما أنا ببارح حتى ترجعوا. (الزهد لابن المبارك ٣٩٠)

قال ابن شهاب: كان هشام بن حكيم في نفر من أهل الشام يأمرهم بالمعروف وينهون عن المنكر ليس لأحدٍ عليهم إمارة. قال مالك: كانوا يمشون في الأرض بالإصلاح والنصيحة يحتسبون قال: وسمعتُ مالكا يقول: كان هشام بن حكيم كالسائح لم يتخذ أهلاً ولا ولداً. (الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٤/٩٩)

الفضيل بن عياض بعث له ابن المبارك من طرسوس (مقره في جنوب تركيا) وبعد معركة من معاركه وقبل أن ينفذ عنه غبار المعركة أبياتا شعرية رائعة جدا تظل حجة لكل داعية من بعده يصفه فيها بأنه عابد لآعب بعبادته.

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب
 من كان يخضب خدة بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب
 أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الكريمة تتعب
 ريح العبير لكم ونحن عبرنا رهب السنابك والغبار الأطيب (الرهج الغبار. السنبك. طرف حافر الفرس)
 ولقد أتانا عن مقال نبينا قول صحيح صادق لا يكذب
 لا يستوي غبار خيل الله في أنف امرئ ودخان نار تلهب
 هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب. (طبقات الشافعية الكبرى ١/ ٢٠١)

عن السري بن مغلّس السقّطي أن لصاً دخل بيت مالك بن دينار، فما وجد شيئاً، فجاء ليخرج، فناداه مالك: سلام عليكم، فقال: وعليكم السلام، قال: ما حصل لكم شيء من الدنيا، فترغب في شيء من الآخرة، قال: نعم، قال: توّضاً من هذا المِرْكَنِ وَصَلَّ رَكَعَتَيْنِ، واستغفر الله، ففعل، ثم قال: يا سيدي أجلس إلى الصبح؟ قال: فلما خرج مالك إلى المسجد، قال أصحابه: من هذا معك؟ قال: جاء يسرقنا فسرقتنا. (تاريخ الإسلام للذهبي ٢/ ١٤٤)

٢١- باب المشاؤون على البر والتقوى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة: ٢]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّاصَوْا بِالصَّبْرِ [العصر: ١-٢]
 قَالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: كَلَاماً مَعْنَاهُ: إِنَّ النَّاسَ أَوْ أَكْثَرَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنِ تَدْبِيرِ هَذِهِ السُّورَةِ.
 ١٧٧- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهَنِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ جَهَّزَ غَازِيَاً فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا وَمَنْ خَلَفَ غَازِيَاً فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا «متفق عليه» .
 ١٧٨- وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَعَثَ بَعْثًا إِلَى بَنِي لِحْيَانَ مِنْ هُدَيْلٍ فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالْآخَرُ بَيْنَهُمَا» رواه مسلم.
 ١٧٩- وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَ رَجُلًا بِالرُّوحَاءِ فَقَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ اللهِ» فَرَفَعَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا فَقَالَتْ: أَهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَلَكِ أَجْرٌ» رواه مسلم.

١٨٠ - وَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « الْحَازِنُ الْمُسْلِمُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفَذُ مَا أُمِرَ بِهِ ، فَيُعْطِيهِ كَامِلًا مَوْفِرًا ، طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ » متفقٌ عليه

وفي رواية : « الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ » وَضَبُّوا « الْمُتَصَدِّقِينَ » بفتح القاف مع كسر النون على التثنية ، وَعَكْسُهُ عَلَى الْجَمْعِ وَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ثابت عن عبد الله بن حصن (أبي مدينة) ، قال : كان الرجلان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقيا ، لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر " سورة العصر " إلى آخرها ، ثم يسلم أحدهما على الآخر . وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة ، لوسعتهم . (تفسير بن كثير ٨ / ٤٨٠)

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب لعنه الله وذلك بعد ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة : ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ قال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة . فقال : وما هي ؟ فقال (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال : وقد أنزل علي مثلها . فقال له عمرو : وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر ، إنما أنت أذنان وصدر ، وسائر كحفر نقر . ثم قال :

كيف ترى يا عمرو ؟ فقال له عمرو : والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . (بن كثير ٨ / ٤٧٩)

عن قتادة في قوله ! : والعصر قال : ساعة من ساعات النهار وفي قوله : وتواصوا بالحق قال : كتاب الله وتواصوا بالصبر قال : طاعة الله . عن محمد بن كعب القرظي والعصر قال : قسم أقسم به ربنا وتبارك وتعالى إن الإنسان لفي خسر قال : الناس كلهم ثم استثنى فقال : إلا الذين آمنوا ثم لم يدعهم وذاك حتى قال : وعملوا الصالحات ثم لم يدعهم وذاك حتى قال : وتواصوا بالحق ثم لم يدعهم وذاك حتى قال : وتواصوا بالصبر يشترط عليهم . (تفسير الدر المنثور ١٥ / ٦٤٣)

قال ابن كثير : يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعونة على فعل الخيرات ، وهو البر ، وترك المنكرات وهو

التَّقْوَى، وينهاهم عن التَّنَاصِرِ عَلَى الْبَاطِلِ، وَالتَّعَاوُنِ عَلَى الْمَأْثِمِ وَالْمَحَارِمِ. (تفسير بن كثير ١٢ / ٢)
يقول القرطبي في تفسيره : (وتعاونوا على البر والتقوى) هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر
والتقوى ؛ أي لِيُعْنِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ، وَتَحَاثُوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاعْمَلُوا بِهِ ، وَانْتَهُوا عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ
وَامْتَنَعُوا مِنْهُ وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : الدال على الخير كفاعله.
(مجمع الزوائد للهيثمي ١٤٠ / ٣)

وقال الماوردي: نذب الله سبحانه إلى التعاون بالبر وقرنه بالتقوى له لأن في التقوى رضا الله تعالى، وفي
البر رضا الناس، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس فقد تمت سعادته وعمت نعمته .
(الجامع لاحكام القرآن ٤٦ / ٦ - ٤٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال سفيان بن عيينه : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) قال: هو ان تعمل
به وتدعوا اليه وتعين فيه وتدل عليه. (حليه الأولياء ٧ / ٢٨٤)

قال ابن القيم في قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى) اشتملت هذه الاية على جميع مصالح العباد
في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين
الحالتين وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق فأما ما بينه وبين الخلق من
المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة
الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولاسعادة له إلا بها وهي البر والتقوى اللذان هما جماع
الدين كله . (زاد المهاجر ١ / ٦ - ٧)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك ياخوان الصدق فعش في أكنافهم؛ فإنهم زين في الرخاء وعدة
في البلاء. (الإخوان لابن ابي الدنيا ص ٨٤ رقم ٣٥)

قال عمر بن الخطاب : اخ الاخوان على قدر التقوى ولا تجعل بذله الا عند من يشتهي ولا تضع حاجتك
الا عند من يجب قضاؤها ولا تغبط الاحياء الا بما تغبط الاموات وشاور في امر دينك الذين يخشون الله
عزوجل . (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا رقم ٤٧)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقاء الاخوان جلاء الاحزان. (ادب الدنيا والدين ١٦١)

قال المغيرة بن شعبه : التارك للاخوان متروك. (ادب الدنيا والدين ١٨٦)

جاء عن أبي موسى الأشعري في خطبة خطبها في قوم : فانظروا رحمكم الله واعقلوا وأحكموا الصلاة واتقوا الله فيها وتعاونوا عليها وتناصحوا فيها بالتعليم من بعضكم لبعض والتذكير من بعضكم لبعض من الغفلة والنسيان فإن الله عز وجل قد أمركم أن تعاونوا على البر والتقوى والصلاة أفضل البر .
(طبقات الحنابلة ١ / ٣٥٤٤)

قال ابن عمر: الجلاوزة (أعوان الظلمه) والشَّروط كلاب النَّار يوم القيامة. (الكبائر للذهبي ١١٢)
قال ابن المعتز: من اتخذ إخوانًا، كانوا له أعوانًا. (ادب الدنيا والدين للهاوردي ص ١٦١)
قال يزيد بن الأسود : لقد أدركت أقواما من سلف هذه الأمة قد كان الرجل إذا وقع في هوي أو دجلة نادى يا لعباد الله فيتواثبون إليه فيستخرجونه ودابته مما هو فيه ولقد وقع رجل ذات يوم في دجلة فنادى يا لعباد الله فتواثب الناس إليه فما أدركت إلا مقاصه في الطين فلأن أكون أدركت من متاعه شيئا فأخرجه من تلك الوحلة أحب إلي من دنياكم التي ترغبون فيها . (شعب الإيمان ٦ / ١٠٧)
قال أبو حمزة الشيباني: لمن سأله عن الإخوان في الله من هم؟ قال: هم العاملون بطاعة الله عز وجل المتعاونون على أمر الله عز وجل، وإن تفرقت دورهم وأبدانهم. (الاخوان ص ٩٩ رقم ٤٩)
قال هياج بن عبيد: كان لرافع قدم في الزهد وإنما تفقه الشيخ أبو إسحاق وأبو يعلى بن الفراء بمعاونة رافع لهما لأنه كان يحمل وينفق عليهما. (سير أعلام النبلاء ١٨ / ٥٢)
عن سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي، قال: يعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك: فأما من تلقاه ببشر ويلقاك بضرس، يمن عليك بعمله فلاكثر الله في الناس أمثال هؤلاء . (الإخوان ١٩٦)
قال عطاء بن أبي رباح: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاثٍ فإن كانوا مرضى فعودوهم أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٧٦)
قال رجلٌ لداود الطائي: أوصني قال: اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤنةً، وأكثرهم لك معونةً. (الاخوان لابن أبي الدنيا ص ٩٥ رقم ٤٣)
قال أبو الحسن العامري: التَّعاون على البرِّ داعية لاتفِّاق الآراء، واتفِّاق الآراء مجلبة لإيجاد المراد، مكسبة للوداد. (البصائر والذخائر لابن حيان التوحيدى ١٤٨ / ٩)
قال ابو جعفر بن صهبان : اول المودة طلاقه الوجه والثانيه التودد والثالثه قضاء حوائج الناس.

(الإخوان لابن أبي الدنيا ١٩٤)

قال الماوردي: تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام: منهم من يعين ويستعين، ومنهم من لا يعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يعين، ومنهم من يعين ولا يستعين.

فأما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدي ما عليه ويستوفي ماله، فهو كالمقرض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء، وهو مشكور في معونته، ومعدور في استعانته، فهذا أعدل الإخوان. وأما من لا يعين ولا يستعين فهو متروك قد منع خيره وقمع شره فهو لا صديق يرحى، ولا عدو يخشى. وأما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع، مشكور الصنع وقد حاز فضيلتي الابتداء والاكتفاء فلا يرى ثقيلًا في نائبة ولا يقعد عن نهضة في معونة. فهذا أشرف الإخوان نفسًا وأكرمهم طبعًا فينبغي لمن أوجد له الزمان مثله وقل أن يكون له مثل لأنه البر الكريم والدر اليتيم. وأما من يستعين ولا يعين فهو لئيم ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة. (ادب الدنيا والدين ١٧١-١٧٣)

قال مالك بن دينار يوصي ختنه: يا مغيرة انظر كل أخ لك وصاحب لك وصديق لك لا تستفيد منه في دينك خيرا فانبذ عنك صحبته، فإنما ذلك لك عدو يا مغيرة: الناس أشكال: الحمام مع الحمام والغراب مع الغراب والصعو مع الصعو (طائر ما فيه خير) وكل مع شكله. (مساوىء الأخلاق ٢٤٣)

رؤي أن أكثم بن صيفي دعا أولاده عند موته، فاستدعى بضامة من السهام، وتقدم إلى كل واحد أن يكسرها، فلم يقدر أحد على كسرها، ثم بددها وتقدم إليهم أن يكسروها، فاستهلوا كسرها، فقال: كونوا مجتمعين؛ ليعجز من ناوكم عن كسركم كعجزكم. (صيد الافكار في الادب والاخلاق والحكم ١٣٥/٢)

ودعا يزيد بن المهلب ولده حبيبا ومن حضر من ولده، ودعا بسهام، فحزمت، وقال: أفترونكم كاسريها مجتمعة؟ فقالوا: لا. قال: أفترونكم كاسريها مفترقة؟ قالوا: نعم، قال: هكذا الجماعة.

(صفحات مشرقه من حياة السابقين لنذير محمد كتيبي ٣٦٢)

قال الإمام أحمد: إذا اشترى الرجل من رجل شيئا وهو يعلم أنه سرقة فقد شاركه.

(مسائل الإمام أحمد - رواية البغوي ٦٨١)

قال عدى بن زيد: عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردا فتردى مع الردى. (ادب الدنيا والدين ١٦٦)

قال الشاعر: (صيد الافكار في الادب والاخلاق والحكم ٣٠٣)

لولا التَّعاونُ بينَ النَّاسِ ما شرفتُ
نفسٌ ولا ازدهرتُ أرضُ بعمرانِ

الآثار العملية من حياة السلف:

وكان الحسن بن صالح وأخوه عليّ وأمهما يتعاونون على العبادة بالليل وبالنهار قياما وصياما فلما ماتت أمهما تعاونا على القيام والصيام عنهما وعن أمهما فلما مات علي قام الحسن عن نفسه وعنهما وكان يقال للحسن حية الوادي يعني لا ينام بالليل . (حلية الأولياء ٧ / ٣٢٨)

في قصة سلمان رضي الله عنه عندما كاتب سيده وكان فقيرا لا يملك ما كاتب عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة: أعينوا أخاكم فأعانوه حتى تحرر من رقه وأصبح حرا. (مسند أحمد ٥ / ٤٤١)
يقول أنس بن مالك في حفر الخندق: جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق حول المدينة وينقلون التراب على متونهم ويقولون: نحن الذين بايعوا محمدا ... على الإسلام ما بقينا أبدا . والنبي صلى الله عليه وسلم يجيهم ويقول: اللهم إنه لا خير إلا خير الآخرة ... فبارك في الأنصار والمهاجرة .
(رواه البخاري ٢٨٣٥)

٢٢ - باب النصيحة

قَالَ تَعَالَى : إِنَّمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات : ١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنْ خَابَ عَنِ نُوْحٍ : وَأَنْصَحْ لَكُمْ [الأعراف : ٦٢] ، وَعَنْ هُوْدٍ : وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ [الأعراف : ٦٨] .
وأما الأحاديث:

١٨١ - فَالْأَوَّلُ : عَنْ أَبِي رُقَيْةَ تَمِيمِ بْنِ أَوْسِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » قُلْنَا : لِمَنْ ؟ قَالَ « اللهُ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » رواه مسلم .

١٨٢ - الثَّانِي : عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى : إِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَالنَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ . متفق عليه .

١٨٣ - الثَّلَاثُ : عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

يقول - تعالى ذكره - لأهل الإيمان به (إنما المؤمنون إخوة) في الدين (فأصلحوا بين أخويكم) إذا اقتتلا

بأن تحملوهما على حكم الله وحكم رسوله. (تفسير الطبري ٢٢ / ٢٩٧)

عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل وهو القدوة في قتال أهل البغي ، عن أهل

الجملة وصفين : أمشركون هم ؟ فقال : لا من الشرك فروا ، فقيل : أمنافقون هم ؟ فقال : لا إن

المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا قيل : فما حالهم ؟ قال : إخواننا بغوا علينا. (البغوى ٧ / ٣٤٢)

وأنصح لكم النصيح : إخلاص النية من شوائب الفساد في المعاملة ، بخلاف الغش .

قال الأصمعي : الناصح الخالص من العسل وغيره . مثل الناصع . وكل شيء خالص فقد نصح .

وانتصح فلان أقبل على النصيحة . يقال : انتصحني إنني لك ناصح. (تفسير القرطبي ٧ / ٢١١)

(أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين) ناصح أدعوكم إلى التوبة أمين على الرسالة .

قال الكلبي : كنت فيكم قبل اليوم أمينا. (تفسير البغوى ٣ / ٢٤٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب : لا خير في قوم ليسوا بناصحين ولا خير في قوم لا يجيبون الناصحين.

(رساله المسترشدين للحارث المحاسبي ٧١)

قال علي لأبي سفيان: المؤمنون قوم نصحة بعضهم لبعض متوادون وإن بعدت ديارهم والمنافقون

غششة بعضهم لبعض وإن قربت ديارهم. (الرياض النضرة في مناقب العشرة ١ / ١٩٠ رقم ٥٠١)

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه، قال: أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن علمني كلمات،

جوامع، نوافع؛ فقال: أعبد الله، ولا تشرك به شيئا؛ وزل مع القرآن حيث زال؛ ومن جاءك بالحق: فاقبل

منه، وإن كان بعيداً بغيضاً؛ ومن جاءك بالباطل: فاردد عليه، وإن كان حبيباً قريباً. (الحلية ١ / ١٣٤)

قال عمر بن عبد العزيز: من وصل أخاه بنصيحة له في دينه ونظر له في صلاح دنياه فقد أحسن صلته

وأدى واجب حقه. (القناعة والعفاف لابن أبي الدنيا ص ٦٤)

قال عمر بن عبد العزيز: لو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم أمر نفسه ويكمل الذي خلق له من عبادة

ربه إذن لتواكل الناس الخير وإذن يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقلّ الواعظون والساعون لله

عزّ وجلّ بالنصيحة في الأرض. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بن أبي الدنيا ١٠٧)

قال سفيان الثوري: قلت لمسعر بن كدام: تحب أن يهدى إليك عيوبك؟ قال: أما من ناصح: فنعم وأما من موبخ فلا. (حليه الأولياء ٧/٢١٧)

قال احمد بن حنبل: ليس على المسلم نصح الذمى و عليه نصح المسلم. (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٤)
قال الشافعي: من وعظ أخاه سرأ: فقد نصحه وزانه ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه. (الحليه ٩/١٤٠)
عن محمد بن إدريس الشافعي قال: ما ناظرت أحداً قط، إلا على النصيحة. (الحليه ٩/١١٨)
قال الفضيل بن عياض: ما ادرك عندنا من ادرك بكثرة الصيام و الصلاة وانما ادرك عندنا فيحاء الانفس وسلامة الصدور والنصح للامة. (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٤)

قال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر وينصح والفاجر يبتك و يعير. (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٤)
قال الحسن البصرى: مازال ناس ينصحون لله في عبادة و ينصحون العباد في حق الله عليهم و يعملون له في الارض بالنصحية اولئك خلفاء الله الارض. (بصائر ذوي التمييز ٥/٦٧ - ٦٨)
قال الحسن: انك لن تبلغ حق نصيحتك لاختيك حتى تأمره بما تعجز عنه. (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٤)
قال الحسن البصرى: المؤمن شعبة من المؤمن وهو مرآة أخيه؛ إن رأى منه ما لا يعجبه سدده وقومه ونصحه بالسر والعلانية. (الزهد لابن المبارك ٦٦٢)

وسئل ابن المبارك أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله، قيل: فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: جهده إذا نصح أن لا يأمر ولا ينهى. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بن ابى الدنيا ١٠٧)
قال ابن مهدي: ما رأيت عيناي أفضل من أربعة: ما رأيت أحفظ للحديث من الثوري، ولا أشد تقشفا من شعبة، ولا أعقل من مالك، ولا أنصح للأمة من ابن المبارك. (سير أعلام النبلاء ٦/٢١٤)
عن وهب بن منبه: قال رجل لراهب: فأوصني، فأني أراك حكيماً، قال: ازهد في الدنيا، ولا تنازع أهلها فيها، وكن فيها كالنحلة، إذا اختلفا، اختلفا طيباً، وإن وضعت، وضعت طيباً، وإن رفعت على عود، لم تكسره؛ وانصح لله نصح الكلب لأهله: يجيعونه، ويطردونه، ويضربونه، ويأبى إلا أن ينصح لهم؛ قال: فكان وهب بن منبه إذا ذكر هذا الحديث، قال: سواتاه، إذا كان الكلب أنصح لأهله منك لله.

(حليه الأولياء ٤/٢٨)

عن زهير بن عبد الرحمن عن يزيد بن ميسرة وكان قد قرأ الكتب - قال: إن الله تعالى أوحى فيما أوحى

إلى موسى بن عمران عليه السلام: إن أحب عبادي إلي: الذين يمشون في الأرض بالنصيحة، والذين يمشون على أقدامهم إلى الجمعات، والمستغفرون بالأسحار؛ أولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بعذاب ورأيتهم: كفت عنهم عذابي؛ وإن أبغض عبادي إلي: الذي يقتدي بسيئة المؤمن، ولا يقتدي بحسنه. (حليه الأولياء ٥/ ٢٣٧)

قال مرة بن شرحبيل: سئل سلمان بن ربيعة عن فريضة فخالفه عمرو بن شرحبيل فغضب سلمان بن ربيعة، ورفع صوته؛ فقال عمرو بن شرحبيل: والله لكذلك أنزلها الله تعالى فأتيا أبا موسى الأشعري فقال: القول ما قال أبو مسرة وقال لسلمان: ما كان ينبغي لك أن تغضب إن أرشدك رجل وقال لعمرو: قد كان ينبغي لك أن تساوره. يعني: تساره. ولا ترد عليه والناس يسمعون. (حليه ٤/ ١٤٢-١٤٣) عن جعفر بن برقان قال: قال لي ميمون بن مهران: يا جعفر، قل لي في وجهي ما أكره؛ فإن الرجل لا ينصح أخاه، حتى يقول له في وجهه ما يكره. (حليه الأولياء ٤/ ٨٦)

قال أبي عبد الله الرازي: قال لي سفيان بن عيينة: يا أبا عبد الله عليك بالنصح لله في خلقه فلن تلقاه بعمل أفضل منه ألا، لا تأنس بمراد هؤلاء فلو نادى مناد من السماء: إن الناس كلهم يدخلون الجنة وأنا وحدي أدخل النار؛ لكنت بذلك راضيا. (حليه الأولياء ٧/ ١٧٨)

قال سهل بن عبد الله: أركان الدين أربعة: الصدق واليقين والرضا والحب فعلامة الصدق: الصبر وعلامة اليقين: النصيحة وعلامة الرضا: ترك الخلاف؛ وعلامة الإيثار والصبر يشهد للصدق. (حليه الأولياء ١٠/ ١٩١-١٩٢)

قال فرقد السبخي: أحب الناس إلى الله من يحبون الخلق إلى الخالق، ويمشون بين عباده بالنصائح، ويخافون عليهم أعمالهم ويوم تبدو الفضائح، أولئك أولياء الله وأحباؤه وأهل صفوته، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه. (جامع العلوم والحكم)

قال معمر: كان يقال انصح الناس لك من خاف الله فيك . و كان السلف اذا اسدو نصيحة أحد وعظه سرا حتى يقال بعضهم من وعظ اخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الناس فهي فضيحة . (جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٤)

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: كان من كان قبلكم إذا رأى الرجل من أخيه شيئا، يأمره في رفق، فيؤجر

في أمره ونهيه، وإن أحد هؤلاء يخرق بصاحبه، فيستغضب أخاه ويهتك ستره. (جامع العلوم والحكم ١/٢٢٤)
 قال يحيى بن معين: ما رأيت رجلاً على خطأ إلا سترته واحببت ان أزين أمره و ما أستقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه ولكن ابين له خطاه فيما بيني وبينه فأن مثل ذلك والا تركته. (السير ١١/٨٣)
 قال ميمون بن مهران: قل لي في وجهي ما أكره فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره. (صفه الصفوة ٢/٣٦٠)

قال ابن حزم: ولا تنصح على شرط القبول منك فإن تعديت هذه الوجوه فأنت ظالم لا ناصح وطالب طاعة ومملك لا مؤدي حق أمانة وأخوة وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، لكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبده. (الأخلاق والسير ٤٤)

ويقول: فإن خشنت كلامك في النصيحة فذلك إغراء وتنفير وقد قال الله تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا) (طه ٤٤). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا). (متفق عليه).
 (الأخلاق والسير ٤٤)

قال بلال بن سعد: بلغني أن المسلم مرآة أخيه، فهل تستريب من أمري شيئاً. (الحليه ٥/٢٢٥)
 قال ابن عبد البر: محض اخاك النصيحة وان كانت عنده فضيحة. (بصائر ذوي التمييز ٣/٦٠٥)
 قال أبو حاتم البستي: الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة، وترك الخيانة لهم بالإضرار والقول والفعل معاً؛ إذ إن المصطفى صلى الله عليه وسلم كان يشترط على من بايعه من أصحابه.
 (روضة العقلاء ١/١٩٤)

وقال أيضاً: النصيحة تجب على الناس كافة ولكن أبدأها لا يجب إلا سراً لأن من وعظ أخاه علانية فقد شانه ومن وعظه سراً فقد زانه وأخيراً طوبى لعبد نصح أخاه بحكمة ودعا إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة وتخلق بالأخلاق والآداب الجميلة الذي إذا رأى من أخيه خيراً نشره، وإن اطلع على عيبٍ كتمه وستره. (روضة العقلاء ١/١٩٦)

وقال أيضاً: خير الإخوان أشدهم مبالغة في النصيحة، كما أن خير الأعمال أحدها عاقبة وأحسنها إخلاصاً، وضرب الناصح خير من تحية الشانئ. (روضة العقلاء للبستي ١٩٤)
 قال عبد الله السابوري: (مجمع الحكم والامثال لاحمد قبش ٥١٤)

من كان ذا نصيحة نهاكا ومن يكن ذا بغضة أغراكا

الآثار العملية في حياة السلف:

عن ابن حرملة مولى أسامة بن زيد أن الحجاج بن أيمن ابن أم أيمن - وكان أيمن أبا أسامة لأمه وهو رجل من الأنصار - فدخل الحجاج فصلى صلاة لا يتم ركوعه ولا سجوده فرآه ابن عمر فدعاه حين فرغ فقال: يا ابن أخي أتحسب أنك صليت؟ إنك لم تصل فعد لصلاتك. (المعجم الكبير للطبراني ٢٥/٩٠)

دخل أبو مسلم الخولاني على معاوية بن أبي سفيان وقال: السلام عليك أيها الأجير فقال الناس: الأمير يا أبا مسلم ثم قال: السلام عليك أيها الأجير؛ فقال الناس: الأمير؛ فقال معاوية: دعوا أبا مسلم، هو أعلم بما يقول؛ قال أبو مسلم: إنما مثلك: مثل رجل استأجر أجيراً، فولاه ماشيته، وجعل له الأجر على أن يحسن الرعية، ويوف جزاها وألبانها؛ فإن هو أحسن رعيته، ووفر جزاها، حتى تلحق الصغيرة، وتسمن العجفاء: أعطاه أجره، وزاد من قبله زيادة؛ وإن هو لم يحسن رعيته، وأضاعها، حتى تهلك العجفاء، وتعجف السمينة ولم يوفر جزاها وألبانها: غضب عليه صاحب الأجر، فعاقبه، ولم يعطه الأجر. (حليه الأولياء ٢/١٢٥)

عن حمدون ابن أبي الطوسي قال: سمعتُ عبدالله بن المبارك يقول: قدمت الشام على الأوزاعي، فرأيتُه ببيروت، فقال لي: يا خراساني؛ من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكنى أبا حنيفة؟ قال: فرجعتُ إلى بيتي، فأقبلتُ على كتب أبي حنيفة، فأخرجتُ منها مسائل من جواد المسائل، وبقيتُ في ذلك ثلاثة أيام، فجتُّ يوم الثالث وهو مؤذنٌ مسجدهم وإمامهم - يعني الأوزاعي - والكتاب في يدي، فقال: أيُّ شيء هذا الكتاب؟ فناولته، فنظر في مسألة منها وقَّعتُ عليها: قال النعمان. فما زال قائماً بعد ما أذن حتى قرأ صدرًا من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كُمِّه، ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها، فقال لي: يا خراساني؛ من النعمان بن ثابت هذا؟ قلتُ: شيخٌ لقيته بالعراق. فقال: هذا نبيل من المشايخ. اذهب فاستكثر منه. قلتُ: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه. (تاريخ بغداد ١٣/٣٣٨)

عن علي بن زيد بن جدعان قال: قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك ولا يهيجك ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها فاخذت كفاً من حصباء فحصبته بها قال الحجاج: فما زلت أحسن الصلاة. (حليه الأولياء ٢/١٦٥)

وكان يونس بن عبيد خزازاً (صانع الثياب) وذات يوم جاء رجلٌ شاميٌّ إلى سوق الخزازين فوقف على

يونس، فقال: عندك مُطْرَفٌ (وهو ثوب مَرَبَّعٌ من خَزٍّ له أعلام) بأربع مئة؟ فقال يونس بن عبيد: عندنا بمئتين. فنادى المنادي: الصلاة. فانطلق يونس إلى بني قشير ليُصَلِّيَ بهم فجاء وقد باع ابن اخته المُطْرَف من الشاميِّ بأربع مئة فقال: ما هذه الدراهم؟ قال: ثمن ذاك المطرف فقال: يا عبدالله هذا المطرف الذي عرضته عليك بمئتي درهم فإن شئت فخذها وخذ مئتين وإن شئت فدعه. (السير ٥/ ١٦٥)

قال عبد الرحمن بن مصعب: كان رجل ضرير يجالس سفیان الثوري؛ فإذا كان شهر رمضان: يخرج إلى السواد، فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى فقال سفیان: إذا كان يوم القيامة: أئيب أهل القرآن من قراءتهم ويقال لمثل هذا: قد تعجلت ثوابك في الدنيا؛ فقال: يا أبا عبد الله، تقول لي هذا، وأنا جليسك؟ قال: أخاف أن يقال لي يوم القيامة: كان هذا جليسك، أفلا نصحتك. (حليه الأولياء ٧/ ١٦)

عن عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز: أنه دخل على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، إن لي حاجة فأخطني - وعنده مسلمة بن عبد الملك - فقال له عمر: أسر دون عمك، فقال: نعم، فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه، فقال له: يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك؟ فقال: رأيت بدعة فلم تمتها، أو سنة لم تميتها، فقال له: يا بني أشيء حملتكه الرعية إلي، أم رأي رأيت من قبل نفسك؟ قال: لا والله، ولكن رأي رأيت من قبل نفسي، وعرفت أنك مستول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيراً، فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني: إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا علي فتقا تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجمة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة (حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) (الأعراف ٨٧). (حليه الأولياء ٥/ ٢٨٢-٢٨٣)

حُبس أحمد بن حنبل وبعض أصحابه في المحنة قبل أن يضرب؛ قال أحمد بن حنبل: لما كان الليل، نام من كان معي من أصحابي، وأنا متفكر في أمري؛ فإذا أنا برجل طويل يتخطى الناس، حتى دنا مني؛ فقال: أنت أحمد بن حنبل، فسكت؛ فقالها ثانية، فسكت؛ فقال في الثالثة: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؛ قلت: نعم؛ قال: اصبر، ولك الجنة؛ قال أبو عبد الله: فلما مسني حر السوط، ذكرت قول الرجل. (حليه الأولياء ٩/ ١٩٣)

عن هارون بن عبد الله الحَمَّال قال: جاءني أحمد بن حنبل بالليل فدقَّ عليَّ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت أن خرجت إليه، فمَسَّاني ومَسَّيته، قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفياء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرة أخرى، إذا قعدت فاقعد مع الناس.

(الجامع لاخلاق الراوى واداب السامع ١/ ٤١١)

عن علقمة بن مرثد قال: لما ولي عمر بن هبيرة العراق: أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما بيت وكانا فيه شهرا، أو نحوه ثم إن الخصى غدا عليهما ذات يوم، فقال: إن الأمير داخل عليكم فجاء عمر يتوكأ على عصاه فسلم، ثم جلس معظماً لها فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتباً أعرف أن في إنفاذها الهلكة فإن أطعته: عصيت الله، وإن عصيته: أطعت الله عز وجل؛ فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ قال الحسن: يا أبا عمرو، أجب الأمير؛ فتكلم الشعبي، فانحط في حبل ابن هبيرة؛ فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير، قد قال الشعبي ما قد سمعت؛ قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى، فظ غليظ، لا يعصي الله ما أمره؛ فيخرجك من سعة قصرك، إلى ضيق قبرك؛ يا عمر بن هبيرة: إن تتق الله: يعصمك من يزيد بن عبد الملك، ولا يعصمك يزيد عبد الملك من الله عز وجل؛ يا عمر بن هبيرة: لا تأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت، فيغلق بها باب المغفرة دونك؛ يا عمر بن هبيرة: لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة، كانوا والله، على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً، من إقبالكم عليها وهي مدبرة؛ يا عمر بن هبيرة: إني أخوفك مقاماً خوفك الله تعالى، فقال: (ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدَ) (إبراهيم ١٤) يا عمر بن هبيرة: إن تك مع الله تعالى في طاعته، كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك؛ وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله، وكلك الله إليه؛ قال: فبكى عمر، وقام بعبوته؛ فلما كان من الغد: أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما، وكثر منه ما للحسن، وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار؛ فخرج الشعبي إلى المسجد، فقال: يا أيها الناس، من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل؛ فوالذي نفسي بيده: ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله منه. (حلية الأولياء ١٤٩-١٥٠/٢)

٢٢- باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [آل عمران : ١٠٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [آل عمران : ١١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : ١٩٩] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ [التوبة : ٧١] وَقَالَ تَعَالَى : لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ [المائدة : ٧٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ [الكهف : ٢٩] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ [الحجر : ٩٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : فَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْتِسِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ [الأعراف : ١٦٥] والآيات في الباب كثيرة معلومة وأما الأحاديث

١٨٤- فالأول : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ » رواه مسلم

١٨٥- الثاني : عن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلَفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ » رواه مسلم .

١٨٦- الثالث : عن أبي الوليد عبادة بن الصَّامِتِ رضي الله عنه قال : « بايعنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ ، وَعَلَى أَثَرَةِ عَلَيْنَا ، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا

كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً « متفق عليه .

« الْمُنْشَطُ وَالْمَكْرَهُ » بَفَتْحِ مِيمَيْهِمَا : أَيُّ : فِي السَّهْلِ وَالصَّعْبِ . « وَالْأَثْرَةُ : الْاِخْتِصَاصُ بِالْمُشْتَرَكِ ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ . « بَوَاحًا » بَفَتْحِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ بَعْدَهَا وَاوْتُمَّ أَلْفٌ ثُمَّ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ أَيُّ ظَاهِرًا لَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيلًا .

١٨٧- الرَّابِعُ : عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَثَلُ الْقَائِمِ فِي حُدُودِ اللَّهِ ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ فَقَالُوا : لَوْ أَنَّا خَرَفْنَا فِي نَصِينَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا ، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا ، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا » . رواه البخاري .

الْقَائِمُ فِي حُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى « مَعْنَاهُ : الْمُتَكَبِّرُ لَهَا الْقَائِمُ فِي دَفْعِهَا وَإِزَالَتِهَا وَالْمُرَادُ بِالْحُدُودِ : مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ : « اسْتَهَمُوا » : اقْتَرَعُوا .

١٨٨- الْخَامِسُ : عَنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ هِنْدِ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ فَمِنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِيءَ وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ ، وَلَكِنْ مِنْ رَضِيَ وَتَابَعَ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا ، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ » رواه مسلم .

مَعْنَاهُ : مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إِنْكَارًا بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ الْإِثْمِ وَأَدَّى وَظِيْفَتَهُ ، وَمَنْ أَنْكَرَ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابَعَهُمْ ، فَهُوَ الْعَاصِي .

١٨٩- السَّادِسُ : عَنِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ الْحَكَمِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزَعَا يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَيُلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ ، فَتَحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ » وَحَلَقَ بِأَصْبُعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلِكَ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ » متفق عليه .

١٩٠- السَّابِعُ : عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِيَّاكُمْ

وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرْفَاتِ « فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدُّ ، تَتَحَدَّثُ فِيهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ » قالوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : « غَضُّ الْبَصَرِ ، وَكَفُّ الْأَذَى ، وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ » متفقٌ عليه

١٩١- الثامن : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأى خاتماً من ذهبٍ في يد رجلٍ ، فَنَزَعَهُ فَطَرَحَهُ وَقَالَ : « يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَهْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ ، » فَقِيلَ لِلرَّجُلِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خُذْ خَاتَمَكَ ، انْتَفِعْ بِهِ . قَالَ : لا والله لا أخذه أبداً وقد طرحه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . رواه مسلم .

١٩٢- التاسع : عن أبي سعيد الحسن البصري أن عائذ بن عمرو رضي الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أي بن زياد فقال : أي بني ، إني سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إِنْ شَرَّ الرَّعَاءِ الْخُطْمَةَ » فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ : اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : وهل كانت لهم نخالة إنما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم ، رواه مسلم

١٩٣- العاشر : عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ ، ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

١٩٤- الحادي عشر : عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

١٩٥- الثاني عشر : عن أبي عبد الله طارق بن شهاب البجلي الأحمسي رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرَزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : « كَلِمَةٌ حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ » رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ . « الْغَرَزُ » بَعَيْنٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثَمَّ زَايٌ ، وَهُوَ رِكَابٌ كَوْرُ الْجَمَلِ إِذَا كَانَ مِنْ جِلْدٍ أَوْ خَشَبٍ ، وَقِيلَ : لَا يَخْتَصُّ بِجِلْدٍ وَخَشَبٍ .

١٩٦- الثالث عشر : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ : يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِّ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكْيَلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ » ثم قال : { لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ } إلى قوله : { فَاسْقُونَ } [المائدة : ٧٨ ، ٨١] ثم قال : « كَلَّا ، وَاللَّهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَتَأْخُذَنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَلَتَأْطِرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا ، وَلَتَقْضُرَّنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَضْرًا ، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللَّهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَيَلْعَنَكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ » رواه أبو داود، والترمذي وقال : حديث حسن .

١٩٧- الرابع عشر : عن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه . قال : يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ } [المائدة : ١٠٥] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعْمَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ » رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : كتتم خير أمة أخرجت للناس . قال : هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة . قال عمر بن الخطاب : لو شاء الله لقال : أنتم . فكنا كلنا ولكن قال : "كتتم " في خاصة أصحاب محمد ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس . (الدر المنثور ٣ / ٧٢٥)
عن قتادة قال : ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قرأ هذه الآية : كتتم خير أمة أخرجت للناس الآية . ثم قال : يا أيها الناس ، من سره أن يكون من تلكم الأمة فليؤد شرط الله منها . (الدر المنثور ٣ / ٧٢٦)
عن مجاهد في قوله : كتتم خير أمة أخرجت للناس يقول : على هذا الشرط ؛ أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر ، وتؤمنوا بالله . يقول : لمن أنتم بين ظهرائه ، كقوله : ولقد اخترناهم على علم على العالمين .

عن أبي هريرة في قوله : كتتم خير أمة أخرجت للناس . قال : خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم ، حتى يدخلوا في الإسلام . عن ابن عباس : كتتم خير أمة أخرجت للناس قال : خير الناس للناس عن ابن عباس في قوله : كتتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف . يقول : تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، ويقاثلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر عن أبي بن كعب قال : لم تكن أمة أكثر استجابة في الإسلام من هذه الأمة ، فمن ثم قال : كتتم خير أمة أخرجت للناس . (الدر المنثور ٣/٧٢٧)

عن عطية في الآية قال : خير الناس للناس ، شهدتم للنبيين الذين كفر بهم قومهم بالبلاغ . عن ابن عباس في قوله : كتتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف . يقول : تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، والإقرار بما أنزل الله ، ويقاثلونهم عليه ، ولا إله إلا الله هو أعظم المعروف ، وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر . (تفسير الدر المنثور ٣/٧٢٨)

قال عبد الله بن الزبير : ما نزلت هذه الآية إلا في أخلاق الناس . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وفي لفظ : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . عن ابن عمر في قوله تعالى خذ العفو قال أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس . (الدر المنثور ٦/٧٠٩)

قال جابر : لما نزلت هذه الآية : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين . قال النبي صلى الله عليه وسلم : يا جبريل ما تأويل هذه الآية ؟ قال : حتى أسأل ، فصعد ثم نزل فقال : يا محمد ، إن الله يأمرك أن تصفح عمن ظلمك وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ألا أدلكم على أشرف أخلاق الدنيا والآخرة . قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : تعفو عمن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتصل منقطعك . (تفسير الدر المنثور ٦/٧٠٨)

عن مجاهد في قوله : خذ العفو من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تجسس وأمر بالعرف قال : بالمعروف . (تفسير الدر المنثور ٦/٧٠٩)

عن قتادة في قوله : خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين قال : خلق أمر الله به نبيه ودله عليه . (تفسير الدر المنثور ٦/٧١٠)

عن ابن عباس في قوله : خذ العفو قال : خذ الفضل أنفق الفضل وأمر بالعرف يقول : بالمعروف .

عن السدي قال : نزلت هذه الآية:خذ العفو فكان الرجل يمسك من ماله ما يكفيه ويتصدق بالفضل فنسخها الله بالزكاة وأمر بالعرف قال : بالمعروفوأعرض عن الجاهلين قال : نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال أمره الله بالكف ثم نسخها القتال وأنزل : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية (الحج : ٣٩) . (تفسير الدر المنثور ٦/ ٧١٤)

قال ابن شوذب : كنا عند مكحول ومعنا سليمان بن موسى فجاء رجل واستطال على سليمان وسليمان ساكت ، فجاء أخ لسليمان فرد عليه فقال مكحول: لقد ذل من لا سفيه له.(الدر المنثور ٦/ ٧١٢)

عن ابن عباس: والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض قال : إخاؤهم في الله يتحابون بجلال الله والولاية له. عن الضحاك في قوله : والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر : يدعون إلى الإيمان بالله ورسوله والنفقات في سبيل الله وما كان من طاعة الله، وينهون عن المنكر ينهون عن الشرك والكفر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة من فرائض الله، كتبها الله على المؤمنين.(تفسير الدر المنثور ٧/ ٤٣٣)

عن ابن عمر قال : إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة، وأهل المنكر في الدنيا أهل المنكر في الآخرة؛ إن الله ليبعث المعروف يوم القيامة في صورة الرجل المسافر، فيأتي صاحبه إذا انشق قبره فيمسح عن وجهه التراب ويقول : أبشريا ولي الله بأمان الله وكرامته، لا يهولنك ما ترى من أهوال يوم القيامة . فلا يزال يقول له احذر هذا، واتق هذا . يسكن بذلك روعه حتى يجاوز به الصراط، فإذا جاوز به الصراط عدل ولي الله إلى منزله في الجنة، ثم يثني عنه المعروف فيتعلق به فيقول : يا عبد الله، من أنت؟ خذلني الخلائق في أهوال القيامة غيرك، فمن أنت؟ فيقول له : أما تعرفني؟ فيقول : لا، فيقول : أنا المعروف الذي عملته في الدنيا، بعثني الله خلقا لأجازيك به يوم القيامة .(الدر المنثور ٧/ ٤٣٥)

عن ابن عباس قوله" : لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم" قال : لعنوا بكل لسان : لعنوا على عهد موسى في التوراة ، ولعنوا على عهد داود في الزبور ، ولعنوا على عهد عيسى في الإنجيل ولعنوا على عهد محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن.(تفسير الطبرى ١٠/ ٤٨٩)

عن مجاهد: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم .قال : لعنوا على لسان داود فصاروا قردة ولعنوا على لسان عيسى فصاروا خنازير.(تفسير الطبرى ١٠/ ٤٩٠)

عن ابن عباس ، قوله : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر يقول : من شاء الله له الإيمان آمن ، ومن شاء الله له الكفر كفر ، وهو قوله : وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين وليس هذا بإطلاق من الله الكفر لمن شاء ، والإيمان لمن أراد ، وإنما هو تهديد ووعد . قال ابن زيد في قوله : فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وقولها عملوا ما شئتم . قال : هذا كله وعيد ليس مصانعة ولا مرأسة ولا تفويضا .

(تفسير الطبرى ١٨ / ١٠)

عن قتادة في قوله : وقل الحق من ربكم . قال : الحق هو القرآن . (تفسير الدر المنثور)
قال ابن عباس : فاصدع بما تؤمر أي : أمضه . وفي رواية : افعل ما تؤمر . عن عبد الله بن مسعود : ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا ، حتى نزلت : فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه .

(تفسير بن كثير ٤ / ٥٢٢)

عن ابن زيد في قوله : فاصدع بما تؤمر قال : بالقرآن الذي أوحى إليه أن يبلغهم إياه .

(تفسير الدر المنثور ٨ / ٦٥٧)

عن عكرمة قال : جئت ابن عباس يوما وهو يبكي ، وإذا المصحف في حجره فقلت : ما يبكيك يا ابن عباس ؟ فقال : هؤلاء الورقات ، وإذا هو في سورة الأعراف . قال : تعرف أيلة ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه كان بها حي من يهود سيقت الحيتان إليهم يوم السبت ، ثم غاصت ، لا يقدرون عليها حتى يغوصوا عليها بعد كد ومؤنة شديدة ، وكانت تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها الماخض ، فكانوا كذلك برهة من الدهر ، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال : إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت فخذوها فيه ، وكلوها في غيره من الأيام ، فقالت ذلك طائفة منهم ، وقالت طائفة : بل نهيتم عن أكلها وأخذها وصيدها في يوم السبت . فغدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها ، واعتزلت طائفة ذات اليمين وتنحت ، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت ، فقال الأيمنون : ويلكم ، لا تتعرضوا لعقوبة الله . وقال الأيسرون : لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قال الأيمنون : معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون إن ينتهوا فهو أحب إلينا ألا يصابوا ولا يهلكوا ، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم فمضوا على الخطيئة ، وقال الأيمنون : قد فعلتم يا أعداء الله ، والله لنبايننكم الليلة في مدينتكم ، والله ما أراكم تصبحون حتى يصبحكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده من العذاب . فلما أصبحوا ضربوا

عليهم الباب ، ونادوا فلم يجابوا ، فوضعوا سلما وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال : أي عباد الله ، قردة - والله - تعاوى ، لها أذنان ، ففتحوا فدخلوا عليهم ، فعرفت القردة أنسابها من الإنس ، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة ، فجعلت القردة تأتي نسيبها من الإنس فتشم ثيابه وتبكي ، فيقول : ألم نهكم ؟ فتقول برأسها : أي نعم ، ثم قرأ ابن عباس : فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس قال : أليم وجيع ، قال : فأرى الذين نهوا قد نجوا ، ولا أرى الآخرين ذكروا ، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها ، قلت : إي ، جعلني الله فداك ، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا : لم تعظون قوما الله مهلكهم قال : فأمر بي فكسيت ثوبين غليظين . (تفسير الدر المنثور ٦ / ٦٣٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن ابي طالب : اول ما تغلبون عليه في الجهاد . الجهاد بايديكم ثم الجهاد بالستكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم يعرف القلب المعروف وينكر المنكر نكس فجعل اعلاه اسفله .

(جامع العلوم والحكم ٢ / ٢٤٥)

قال ابن عباس: إذا أتيت سلطاناً مهيباً تخاف أن يسطو عليك، فقل: الله أكبر، الله أعز من خلقه جميعاً، الله أعز مما أخاف وأحذر، أعوذ بالله الذي لا إله إلا هو المسك للسموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه، من شر عبده فلان، وجنده وأتباعه وأشياعه من الجن والإنس اللهم كن لي جاراً من شرهم، جل ثناؤك، وعز جارك، وتبارك اسمك، ولا إله غيرك؛ ثلاث مرات. (حليه الأولياء ١ / ٣٢٢)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ) (الأعراف ١٦٥) وليت شعري ما صنع الله بالذين لم ينهوا؟! . (جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ص ١١٠)

قال ابن عباس : سئل عن امر السلطان بالمعروف و نهيه عن المنكر . فقال ان كنت فاعلا لا بد فيما بينك وبينه . (شعب الإيمان للبيهقي ٧٣ / ١٠)

قال ابن مسعود: تكلموا بالحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله. (الآداب الشرعية ١ / ٧٢)

قيل لابن عمر رضي الله عنهما في بعض أوقات الفتن: لو تركت القول في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه؟ فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: ((لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)) ونحن شهدنا فيلزمنا أن نبليغكم، وسيأتي زمان إذا قيل فيه الحق لم يقبل. (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢ / ٣٥٧)

قال ابن مسعود : يذهب الصالحون ويبقى اهل الريب قالوا يا ابا عبد الرحمن ومن اهل الريب ؟
 قال قوم لا يأمر بالمعروف ولا ينهون عن المنكر . (الزهد لابن المبارك حديث رقم ١٤٨٩)
 وسمع ابن مسعود رجلاً يقول : هلك من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقال ابن مسعود : هلك
 من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر . (جامع العلوم والحكم ٢ / ٢٤٥)

عن خلاد بن عبد الرحمن: أن أبا الطفيل حدثه: أنه سمع حذيفة يقول: يا أيها الناس، ألتسألوني؟ فإن
 الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألون عن
 ميت الأحياء؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى
 ومن الكفر إلى الإيمان فاستجاب له من استجاب فحيى بالحق من كان ميتاً، ومات بالباطل من كان
 حياً؛ ثم ذهب النبوة، فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكاً عضوضاً فمن الناس من ينكر
 بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافأ يده وشعبة من الحق ترك ومنهم
 من ينكر بقلبه كافأ يده ولسانه، وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه، فذلك ميت
 الأحياء. (حليه الأولياء ١ / ٢٧٤ - ٢٧٥)

عن حذيفة: أنه قيل له: في يوم واحد تركت بنو إسرائيل دينهم قال: لا ولكنهم كانوا إذا أمروا بشيء
 تركوه وإذا نهوا عن شيء ركبوه حتى انسلخوا من دينهم كما ينسلخ الرجل من قميصه.
 (حليه الأولياء ١ / ٢٧٩)

قال حذيفة: ليأتين عليكم زمان، خيركم فيه من لم يأمر بمعروف وينه عن منكر. (الحليه ١ / ٢٨٠)
 وقال حذيفة: لعن الله من ليس منا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو لتقتلن بينكم فليظهرن
 شراركم على خياركم، فليقتلنهم حتى لا يبقى أحد يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر ثم تدعون الله عز
 وجل فلا يجيبكم بمقتكم. (حليه الأولياء ١ / ٢٧٩)

وقال: إن كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيصير منافقا. وإني لأسمعها
 من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات. لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتحاظن على الخير؛
 أو ليسحتنكم الله بعذاب جميعاً أو ليؤمرن عليكم شراركم، ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم .
 (حليه الأولياء ١ / ٢٧٩)

وقال حذيفة يأتي على الناس زمان لأن تكون فيهم جيفة حمار أحب إليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم وأوحى الله تعالى إلى يوشع بن نون عليه السلام إني مهلك من قومك أربعين الفا من خيارهم وستين ألفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الأخيار قال إنهم لم يغضبوا لغضبي وواكلوهم وشاربوهم . (إحياء علوم الدين ٢ / ٣١١)

وقال حذيفة: الإسلام ثمانية أسهم، الصلاة سهم والزكاة سهم والجهاد سهم وصوم رمضان سهم والأمر بالمعروف سهم والنهي عن المنكر سهم والإسلام سهموقد خاب من لا سهم له. (فتح الباري ٢٤ / ١) قال ابو الدرداء : لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطان ظالما لا يجلب كبيركم ولا يرحم صغيركم ويدعوا عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتستنصرون فلا تنصرون وتستغفرون فلا يغفر لكم . (إحياء علوم الدين ٢ / ٣١١)

قال مكحول: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله قوله عز وجل : (عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) (المائدة ١٠٥) قال: يا ابن أخي لم يأت تأويل هذه بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك حيثنذ نفسك لا يضررك من ضل إذا اهتديت يا أخي الآن نعظ ويسمع منا. (الحليه ٥ / ١٧٩) دخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال: إنك قد اكتفيت رجالا ابتاعوا دنياك بدينهم فلا تأمنهم على ما ائتمنتك الله عليه فإنك مسئول عما اجترحوا فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك فقال له سليمان: لقد سللت لسانك فقال: لك لا عليك. (الشفاء لابن الجوزي ٨٩)

قال وهيب بن الورد: لقي رجل فقيه رجلاً هو أفاقه منه، فقال له: يرحمك الله، ما الذي أعلن من عملي؟ قال: يا عبد الله الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. (حليه الاولياء ٨ / ١٥٥) قال الحسن البصري: مروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، وإلا كنتم أئتم الموعظات. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ٤٩)

وقال الحسن: لقد أدركت أقواماً كانوا أمر الناس بالمعروف وأخذهم به، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء. (حليه الأولياء ٢ / ١٥٥)

وقال سفيان الثوري: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث. رفيق بما يأمر،

رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر، عالم بما ينهى. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٤٦)
وقال سفيان رحمه الله: إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ٤٦)

سئل أحمد بن حنبل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: يأمر بالرفق والخضوع ثم قال: إن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد يتنصر لنفسه.

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٠)

قال إسحاق بن راهويه: إنّه سأل أبا عبد الله أحمد بن حنبل قال: قلت: رجل تكلم بكلام سوء يجب عليّ فيه أن أغيّره في ذلك الوقت فلا أقدر على تغييره وليس لي أعوان يعينونني عليه. قال: إذا علم الله من قلبك أنّك منكر لذلك فأرجو ألا يكون عليك شيء. (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٥٠)

عن علي بن الحسين قال: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنا بد كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي تقاة قيل: وما تقاته؟ قال يخاف جباراً عنيداً أن يفرض عليه أو أن يطغى.

وقال علي بن الحسين: من كتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجرأ رفاً، فلا ينفعه أبداً. (الحليه ٣ / ١٤٠)
عن الوليد بن شجاع بن الوليد قال: قال أبي: كنت أخرج مع سفيان الثوري، فما يكاد لسانه يفتر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً. (حليه الأولياء ٧ / ١٣)

عن إبراهيم الحربي قال: من تعدون الغريب في زمانكم هذا؟ فقال واحد منهم: الغريب من نأى عن وطنه، وقال آخر: الغريب من فارق أحبائه، وقال كل واحد منهم: شيئاً، فقال إبراهيم: الغريب في زماننا رجل صالح عاش بين قوم صالحين: إن أمر بالمعروف آزره، وإن نهى عن المنكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا مانوه، ثم ماتوا، وتركوه. (تاريخ بغداد ٦ / ٣٦)

قال يحيى بن بيان: لقيني سفيان الثوري عند جبل بني فزارة، فقال: أتدري من أين جئت؟ قلت: لا قال: جئت دار الصيادلة نهيتهم عن بيع (الذاذي) (حب يوضع الرطل منه في فرق من الماء فيكون مسكراً) إني لأرى الشيء يجب على أن أمر فيه وأنهى عنه فلا أفعل، فأبول دماً. (الحليه ٧ / ١٤ - ١٥)

قال أبو عبد الرحمن العُمري الزاهد: إن من غفلت عن نفسك إعراضك عن الله بأن ترى ما يُسخطه فتجاوزة ولا تأمر ولا تنهى خوفاً من المخلوق. من ترك الأمر بالمعروف خوفاً من المخلوقين نزعت منه

الهييه فلو أمر ولدة لاستخف به. (حليه الأولياء ٨ / ٢٨٤)

قال بشر الحافي: لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى. (الحليه ٨ / ٣٣٧)

عن كعب قال: الفردوس فيه الأمور بالمعروف والناهون عن المنكر. (حليه الأولياء ٥ / ٣٨٠)

قال النووي : قال العلماء: لا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات بل ذلك

جائز لأحد المسلمين. (مسلم بشرح النووي ٢ / ٢٣)

قال القرطبي : قال العلماء . الامر بالمعروف باليد على الامراء و باللسان على العلماء و بالقلب على

الضعفاء . (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤ / ٤٩)

الآثار العملية من حياة السلف:

قال جبير بن نفير: كنت في حلقة فيها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإني لأصغرُ القوم فتذاكروا

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقلت: أليس الله يقول: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ) (المائدة ١٠٥)

فأقبلوا عليّ بلسان واحد فقالوا: تنزع آية من القرآن لا تعرفها ولا تدري ما تأويلها؟! حتى تمنيتُ أني لم

أكن تكلمت، ثم أقبلوا يتحدثون، فلما حضر قيامهم قالوا: إنك غلامٌ حَدَث السنِّ، وإنك نزعْتَ آية لا

تدري ما هي، وعسى أن تدرك ذلك الزمان؛ إذا رأيتُ شحاً مُطاعاً، وهوى مُتَّبِعاً، وإعجابَ كلِّ ذي

رأي برأيه، فعليك بنفسك لا يضرك من ضلَّ إذا اهتديت. (تفسير الطبري ٩ / ٤٦)

زين العابدين علي بن الحسين خرج من المسجد يوماً، فاعترضه رجل في طريقه فسبه، فقام الناس إليه

يريدون ضربه، فقال: دعوه، ثم أقبل عليه، وقال: ما ستره الله عنك من عيوبنا أكثر، ألك حاجة نعينك

عليها؟ فاستحيا الرجل، فألقى عليه خميصة، وأمر له بألف درهم، فكان الرجل إذا رآه قال: "إنك من

أولاد الأنبياء". (البدايه والنهايه جزء ٩)

ومرة كان يتوضأ فصب عليه جاريه له ماءً حاراً ففزع، وغضب، فقال له: والكاظمين الغيظ، قال زين

العابدين: كظمت غيظي، قال: والعافين عن الناس قال: عفوت عنك، قال: والله يجب المحسنين، قال:

اذهب فأنت حر لوجه الله . (البدايه والنهايه لابن كثير جزء ٩)

عن وهيب قال: لقي رجل عالم رجلاً عالماً هو فوقه في العلم فقال له: يرحمك الله، أخبرني عن هذا البناء

الذي لا إسراف فيه، ما هو؟ قال: هو ما سترك من الشمس، وأكنك من المطر؛ فقال: يرحمك الله،

فأخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه؛ قال: ما سد الجوع، ودون الشبع؛ قال: فأخبرني

يرحمك الله، عن هذا اللباس الذي لا إسراف فيه، ما هو؟ قال: ما ستر عورتك، وأدفاك؛ قال: فأخبرني
يرحمك الله، عن هذا الضحك الذي لا إسراف فيه، ما هو؟ قال: التبسم، ولا يسمعن؛ قال: يرحمك الله،
فأخبرني عن هذا البكاء الذي لا إسراف فيه، ما هو؟ قال: لا تملن من البكاء من خشية الله؛ قال: يرحمك
الله، فما الذي أخفي من عملي؟ قال: ما يظن بك: أنك لم تعمل حسنة قط، إلا أداء الفرائض؛ قال:
يرحمك الله، فما الذي أعلن من عملي؟ قال: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإنه دين الله الذي بعث
به أنبياءه صلوات الله عليهم إلى عباده؛ وقد قيل في قول الله عز وجل: (وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ)
(مريم ٣١). قيل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أينما كان. (حليه الأولياء ٨/ ١٥٣)

قال الأصمعي: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك بن مروان وهو جالس على سريره وحواليه
الأشراف من كل بطن وذلك بمكة المكرمة في وقت حجه في خلافته، فلما نظر إليه قام إليه وأجلسه معه
على السرير وقعد بين يديه وقال له: يا أبا محمد ما حاجتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين اتق الله في حرم الله
وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فتعاهده بالعمارة واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم
جلست هذا المجلس واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك
المستول عنهم واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق بابك دونهم. فقال له أفعل ثم نهض
وقام فقبض عليه عبد الملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟ فقال
مالي إلى مخلوق حاجة، ثم خرج فقال عبد الملك هذا والله الشرف هذا والله الشرف.
(تنبيه الغافلين لابن النحاس ٤٥-٤٦)

قال سفيان الثوري: دخلت على أبي جعفر المنصور بمنى، فقال: ارفع إلينا حاجتك، فقلت له: اتق الله قد
ملأت الأرض ظلماً وجوراً قال: فطأ رأسه ثم رفعه وقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت إنما أنزلت هذه
المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعاً فاتق الله، وأوصل إليهم حقوقهم، قال:
فطأ رأسه، ثم رفعه وقال: ارفع إلينا حاجتك. فقلت: حج عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال
لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهماً وأرى ههنا أموالاً لا تطيقها الجبال. (تنبيه الغافلين ٤٣)
قال محمد بن أبي القاسم: وعظ عابد جباراً فأمر به فقطعت يداه ورجلاه وحمل إلى متعبده، فجاء إخوانه
يعزونه، فقال: لا تعزوني ولكن هتوني بما ساق الله إلي ثم قال: إلهي أصبحت في منزلة الرغائب أنظر إلى

العجائب إلهي أنت تتودد بنعمك إلى من يؤذيك، فكيف توددك إلى من يؤذى فيك. (الحليه ١٠/١٣٥-١٣٦)

٢٤- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف

أو نهى عن منكر وخالف قوله بعبارة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ

[البقرة: ٤٤] ، وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ

تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [الصف: ٢-٣] ، وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ شَعِيبٍ: وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَتَاهَاكُمْ عَنْهُ [هود: ٨٨] .

١٩٨- وعن أبي زيد أسامة بن حارثة ، رضي الله عنها ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا

يَدُورُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَا ، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ : يَا فُلَانُ مَا لَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ ؟ فَيَقُولُ : بَلَى ، كُنْتُ أَمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتَيْهِ » متفق عليه

قوله : « تَنْدَلِقُ » هُوَ بِالذَّالِ الْمَهْمَلَةِ ، وَمَعْنَاهُ تَخْرُجُ . و « الْأَقْتَابُ » : الْأَمْعَاءُ ، وَاجِدْهَا قِتْبُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن قتادة في قوله تعالى: أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم قال : كان بنو إسرائيل يأمرون الناس

بطاعة الله ويتقواه ، وبالبر ، ويخالفون ، فعيرهم الله ، عز وجل .

وكذلك قال السدي . عن ابن عباس : وتنسون أنفسكم أي : تتركون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا

تعقلونأي : تنهون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة ، وتركون أنفسكم ، أي :

وأنتم تكفرون بما فيها من عهدي إليكم في تصديق رسولي ، وتنقضون ميثاقي ، وتجددون ما تعلمون

من كتابي. (تفسير بن كثير ١/ ٢٤٧)

قال بن عباس : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله دلنا على أحب

الأعمال فنعمل به ، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان بالله لا شك فيه ، وجهاد أهل معصيته

الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به ، فلما نزل الجهاد كره ذلك أناس من المؤمنين وشق عليهم أمره ،

فقال الله : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . (تفسير الدر المنثور ٢٣ / ٣٥٠)

عن قتادة قوله : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون أي ذنبهم ويعلمهم كما تسمعون كبر مقتا عند الله وكانت رجال تخبر في القتال بشيء لم يفعلوه ولم يبلغوه فوعظهم الله في ذلك موعظة بليغة فقال : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. إلى قوله : كأنهم بنيان مرصوص . (الدر المنثور ٢٣ / ٣٥٥)

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره : قال شعيب لقومه : يا قوم أرأيتم إن كنت على بيان وبرهان من ربي فيما أدعوكم إليه من عبادة الله ، والبراءة من عبادة الأوثان والأصنام ، وفيما أنهاكم عنه من إفساد المالورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا طيبا . وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه يقول : وما أريد أن أنهاكم عن أمر ثم أفعل خلافه ، بل لا أفعل إلا ما أمركم به ، ولا أنتهي إلا عما أنهاكم عنه .

(تفسير الطبري ١٥ / ٤٥٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن ابي طالب : يا حملة العلم اعملوا به فإنما العلم من عمل بما علم ووافق علمه عمله وسيكون أقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم يخالف عملهم علمهم وتخالف سريرتهم علانيتهم حتى أن الرجل ليغضب على جلسه أن يجلس إلى غيره ويدعه يباهي بعضهم بعضاً يجلسون حلقاً في مجالسهم أولئك لا تصعد أعمالهم تلك إلى الله تعالى . (جامع بيان العلم ٢ / ٧)

قال ابن مسعود : إن الناس قد أحسنوا القول كلهم فمن وافق قوله فعله فذلك الذي أصاب حظه ومن خالف قوله عمله فإنما يوبخ نفسه . (الصمت واداب اللسان لابن ابي الدنيا حديث ٣٦٠)

قال ابو الدرداء: ان علامات الجهل ثلاث العجب وكثرة النطق فيما لا يعنيه وان ينهى عن شيء ويأتيه . (جامع بيان العلم ٢ / ٧)

قال أبي الدرداء: من عمل بعشر ما يعلم علمه الله ما يجهل . (الجامع لأخلاق الراوي ١ / ٩٠)

قال أبي الدرداء: إني لأمرم بالأمر وما أفعله ولكنني أرجو فيه الأجر . (حليه الاولياء ١ / ٢١٣)

قال ابن مسعود: أنه ما عمل أحد بما علمه الله إلا احتاج الناس إلى ما عنده . (الجامع لأخلاق الراوي ٣٤)

قال الحسن البصري : اعتبروا الناس بأعمالهم ودعوا أقوالهم فإن الله عز وجل لم يدع قولاً إلا جعل عليه دليلاً من عمل يُصدقه أو يُكذبه، فإذا سمعت قولاً حسناً، فَرَوَيْدا بصاحبه، وإن وافق منه القول العمل فنعمة، ونعمت عين، وإن خالف القول العمل، فإياك أن يشتبه عليك شيء من أمره، فإنها خُدَعُ

للسالكين. (الزهد لابن المبارك ٧٧)

أن الحسن قال لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: يرحمك الله، وأينا يفعل ما يقول؟ يود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر.

(تفسير القرطبي ١/٣٦٨)

قال أبي عبد الله محمد بن خفيف: ما سمعت شيئاً من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واستعملته. (تاريخ دمشق ٥٢/٤٠٦)

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: لو أن المرء لم يعظ أخاه حتى يحكم نفسه ويكمل في الذي خلق له لعبادة ربه إذا تواكل الناس بالخير، وإذا أيرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واستحلت المحارم وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض. (حليه الأولياء ٥/٢٧٦-٢٧٧)

قول الإمام أحمد: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به. (الجامع لأخلاق الراوي ١٨٤)

قال سفيان الثوري: العلم يهتف بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل. (جامع بيان العلم وفضله ٨١٣)

قال سعيد بن جبير: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهي عن منكر. (تفسير القرطبي ١/٣٦٧-٣٦٨)

وقال الإمام مالك تعليقاً على قوله: وصدق ومن ذا الذي ليس فيه شيء؟. (تفسير القرطبي ١/٣٦٨)

قال إبراهيم الحربي: إنه ينبغي للرجل إذا سمع شيئاً في آداب النبي أن يتمسك به. (جامع بيان العلم ٨١٤) وعلل السخاوي ذلك فقال: ولأن ذلك سبب ثبوته وحفظه ونموه والاحتياج فيه إليه. (قواعد التحديث ٣٥٩)

قال الشعبي وإسماعيل بن إبراهيم بن مجمع ووكيع بن الجراح: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به. (شعب الإيمان للبيهقي ١٧٩٨)

قال النووي: ينبغي لمن بلغه شيء من فضائل الأعمال أن يعمل به ولو مرة ليكون من أهله، ولا ينبغي أن يتركه مطلقاً بل يأتي بما تيسر منه لقوله: وإذا أمرتكم بشيء فافعلوا منه ما استطعتم. (الأذكار ٦)

ولهذا قال سابق البربري: (جامع بيان العلم ٢/٧)

إذا العلم لم تعمل به كان حجةً عليك ولم تُعذر بما أنت جاهلُهُ

فإن كنت قد أوتيت علماً فإنما يصدق قول المرء ما هو فاعلُهُ

٢٥ - باب الأمر بأداء الأمانة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّ اللهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا [النساء : ٥٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب : ٧٢] .

١٩٩ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبًا ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ » متفقٌ عليه . وفي رواية : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

٢٠٠ - وعن حُذَيْفَةَ بْنِ الِیَمَانِ ، رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ : حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ ، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ فَقَالَ : « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيُظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المِجْلِ ، كَجَمْرِ دَخَرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ ، فَتَنْفَطِرُ فَتَرَاهُ مُتَبَرًّا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ » ثُمَّ أَخَذَ حَصَاةً فَدَخَرَجَهَا عَلَى رِجْلِهِ ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ : إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا ، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدُهُ مَا أَظْرَفُهُ ، مَا أَعْقَلُهُ ، وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيَّانٍ . وَلَقَدْ أَتَى عَلِيٌّ زَمَانًا وَمَا أَبَالِي أَيْكُمْ بَايَعْتُ ، لَيْسَ كَانَ مُسْلِمًا لِيرِدْنَهُ عَلِيٌّ دِينَهُ ، وَلَيْسَ كَانَ نَضْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لِيُرِدْنَهُ عَلِيٌّ سَاعِيهِ ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ أَبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا » متفقٌ عليه .

٢٠١ - وعن حُذَيْفَةَ ، وَأَبِي هَرِيرَةَ ، رضي الله عنهما ، قالَا : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَجْمَعُ اللهُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، النَّاسَ فَيُقِيمُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تَزْلِفَ لَهُمُ الجَنَّةُ ، فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ : يَا أَبَانَا اسْتَفْتَحْ لَنَا الجَنَّةَ ، فَيَقُولُ : وَهَلْ أَخْرَجْتُمْ مِنَ الجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَتَهُ أَيْبِكُمْ ، لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللهِ ، قَالَ : فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ ، اعْمَدُوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكْلِيمًا ،

فَيَأْتُونَ مُوسَى ، فيَقُولُ : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ ، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ فيَقُولُ عِيسَى : لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ . فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيَقُومُ فيُؤَذِّنُ لَهُ ، وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحْمُ فيَقُومَانِ جُنْبَتِي الصَّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فيَمُرُّ أَوْلَاكُمْ كَالْبَرْقِ « قُلْتُ : بِأَبِي وَأُمِّي ، أَيُّ شَيْءٍ كَمَرَّ الْبَرْقِ ؟ قال : « أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ ؟ ثُمَّ كَمَرَّ الرِّيحِ ثُمَّ كَمَرَّ الطَّيْرِ ؟ وَأَشَدُّ الرِّجَالِ تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَاهُمْ ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصَّرَاطِ يَقُولُ : رَبِّ سَلِّمْ ، حَتَّى تَعَجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ ، حَتَّى يَجِيَّ الرَّجُلُ لَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا ، وَفِي حَافَتِي الصَّرَاطِ كَلَالِيْبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخِذٍ مَنْ أَمَرْتُ بِهِ ، فَمَخْذُوشُ نَاجٍ وَمُكَرَّدَسٌ فِي النَّارِ » وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعَرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا . رواه مسلم .

قوله : « وِرَاءَ وَرَاءَ » هُوَ بِالْفَتْحِ فِيهِمَا . وَقِيلَ : بِالضَّمِّ بِلا تَنْوِينٍ ، وَمَعْنَاهُ : لَسْتُ بِتِلْكَ الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُذَكَّرُ عَلَى سَبِيلِ التَّوَاضُعِ . وَقَدْ بَسَطْتُ مَعْنَاهَا فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٠٢- وعن أَبِي حُيَيْبٍ بضم الخاء المعجمة عبد الله بن الزبير ، رضي الله عنهما قال : لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الْجَمَلِ دَعَانِي فَمُتُّ إِلَى جَنْبِهِ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ الْيَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ ، وَإِنِّي لَا أُرِي إِلَّا سَأَقْتُلُ الْيَوْمَ مَظْلُومًا ، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي أَفْتَرَى دَيْنَنَا يُقْبَى مِنْ مَالِنَا شَيْئًا ؟ ثُمَّ قَالَ : بَعِ مَالَنَا وَأَقْضِ دَيْنِي ، وَأَوْصِي بِالثُلُثِ ، وَثُلُثُهُ لِبْنِيهِ ، يَعْنِي لِبْنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ثُلُثُ الثُّلُثِ . قَالَ : فَإِنْ فَضَلِ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّيْنِ شَيْءٌ فَثُلُثُهُ لِبْنِيكَ ، قَالَ هِشَامٌ : وَكَانَ وَكَدَّ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ وَرَأَى بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ حُيَيْبٍ وَعَبَّادٍ ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تَسْعَةُ بَنِينَ وَتَسَعُ بَنَاتٍ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ : يَا بُنَيَّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ بِمَوْلَايَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ يَا أَبَتِ مَنْ مَوْلَاكَ ؟ قَالَ : اللَّهُ . قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبِيَةِ مَنْ دَيْنُهُ إِلَّا قُلْتُ : يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ أَقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ ، فيَقْضِيهِ . قَالَ : فَقَتَلَ الزُّبَيْرُ وَلَمْ يَدَعْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِلَّا أَرْضِينَ ، مِنْهَا الْغَابَةُ وَإِحْدَى عَشْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ . وَدَارَيْنِ بِالْبَصْرَةِ ، وَدَارًا بِالْكُوفَةِ وَدَارًا بِمِصْرَ . قَالَ : وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ بِالْمَالِ ، فيَسْتَوْدِعُهُ إِيَّاهُ ، فيَقُولُ الزُّبَيْرُ : لَا

وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ إِنِّي أَخْشَى عَلَيْهِ الضَّيْعَةَ . وَمَا لِي إِمَارَةٌ قَطُّ وَلَا جِبَايَةٌ وَلَا خَرَجًا وَلَا شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَوْ مَعَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفِي أَلْفٍ وَمِائَتِي أَلْفٍ ، فَلَقِي حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ فَقَالَ : يَا ابْنَ أَخِي كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدِّينِ ؟ فَكْتَمْتُهُ وَقُلْتُ : مِائَةٌ أَلْفٍ . فَقَالَ : حَكِيمٌ : وَاللَّهِ مَا أَرَى أَمْوَالَكُمْ تَسْعُ هَذِهِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفِي أَلْفٍ ؟ وَمِائَتِي أَلْفٍ ؟ قَالَ : مَا أَرَأَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا ، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي . قَالَ : وَكَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ اشْتَرَى الْعَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةَ أَلْفٍ ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِالْأَلْفِ وَسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ ، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ : مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ شَيْءٌ فَلْيُؤَاغِبْنَا بِالْغَابَةِ ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ : إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُمَهَا لَكُمْ ؟ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا ، قَالَ فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخَّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَا ، قَالَ : فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا . فَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْهَا فَقَضَى عَنْهُ دَيْنَهُ ، وَوَفَّاهُ وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ ، وَالْمُنْدُرُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَابْنُ زَمْعَةَ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : كَمْ قَوْمَتِ الْعَابَةُ ؟ قَالَ : كُلُّ سَهْمٍ بِمِائَةِ أَلْفٍ قَالَ : كَمْ بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَ : أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ ، فَقَالَ الْمُنْدُرُ بْنُ الزُّبَيْرِ : قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ : قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ . وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ : قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : كَمْ بَقِيَ مِنْهَا ؟ قَالَ : سَهْمٌ وَنِصْفٌ سَهْمٍ ، قَالَ : قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ . قَالَ : وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِسِتِّمِائَةِ أَلْفٍ . فَلَمَّا فَرَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قِضَاءِ دَيْنِهِ قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ : أَقْسِمُ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا . قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أَنْادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعِ سِنِينَ : أَلَا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ . فَجَعَلَ كُلُّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي الْمَوْسِمِ ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلُثَ وَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ . رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن جريج قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : نزلت في عثمان بن طلحة بن أبي طلحة قبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة ، ودخل به البيت يوم الفتح فخرج وهو يتلو هذه الآية ، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح . قال : وقال عمر بن الخطاب لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو هذه الآية : فداه أبي وأمي ما سمعته يتلوها قبل ذلك . قال عيرضي الله عنه كلمات أصاب فيهن : حق على الإمام أن يحكم بما أنزل الله ، وأن يؤدي الأمانة ، وإذا فعل ذلك فحق على الناس أن يسمعوا ، وأن يطيعوا ، وأن يجيبوا إذا دعوا . (تفسير الطبري ٨ / ٤٩٢)

عن زيد بن أسلم قال : نزلت هذه الآية : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها : في ولاية الأمر وفيمن ولي من أمور الناس شيئاً . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤٩٧)

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : هي مسجلة للبر والفاجر . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤٩٨)

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها قال : إنه لم يرخص لموسر ولا لمعسر . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤٩٩)

قوله عز وجل : إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال . الآية . أراد بالأمانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله على عباده ، عرضها على السماوات والأرض والجبال على أنهم إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم ، وهذا قول ابن عباس . وقال ابن مسعود : الأمانة : أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين ، والعدل في المكيال والميزان ، وأشد من هذا كله الودائع . وقال مجاهد : الأمانة : الفرائض ، وقضاء الدين وقال أبو العالية : ما أمروا به ونهوا عنه . (تفسير البغوي ٦ / ٣٨٠)

عن ابن عباس فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السماوات والأرض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف ، فقال لمن أتحمّلن هذه الأمانة بما فيها ؟ قلن : وما فيها ؟ قال : إن أحسستن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن ، فقلن : لا يا ربنا ، نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً ، وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها لا معصية ولا مخالفة ، وكان العرض عليهن تخييراً لا إلزاماً ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها ، والجهادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة

ساجدة له كما قال جل ذكره للسموات والأرض : أتتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين. (فصلت ١١)
وقال للحجارة : وإن منها لما يهبط من خشية الله (البقرة ٧٤)

وقال تعالى : ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب . (الحج - ١٨) الآية. (تفسير البغوى ٦ / ٣٨٠)

عن ابن مسعود أنه قال : مثلت الأمانة كصخرة ملقاة ، ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها ، وقالوا : لا نطيق حملها ، وجاء آدم من غير أن يدعى ، وحرك الصخرة ، وقال : لو أمرت بحملها لحملتها ، فقلن له : احملها ، فحملها إلى ركبتيه ثم وضعها ، وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت ، فقلن له : احملها فحملها إلى حقوه ، ثم وضعها ، وقال : والله لو أردت أن أزداد لزدت ، فقلن له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه ، فأراد أن يضعها فقال الله : مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة . إنه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس : ظلوما لنفسه جهولا بأمر الله وما احتمل من الأمانة. (تفسير البغوى ٦ / ٣٨١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه : اصدق الصدق الامانه واكذب الكذب الخيانه .

(السنن الكبرى للبيهقى ١٣٠٠٩)

قال عمر بن الخطاب : لما أتى بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود في يده ويقول والله ان الذى أدى الينا هذا لامين فقال رجل يا أمير المؤمنين أنت امين الله يؤدون اليك ما اديت الى الله فاذا رتعت رتعوا فقال صدقت. (عيون الأخبار لابن قتيبه ١ / ١١٥)

قال عمر بن الخطاب: لاتغرنى صلاة امرىء ولاصومه من شاء صام ومن شاء صلى لادين لمن لامانه له .(مكارم الأخلاق للخرائطى ١٦٢)

عن عمر بن الخطاب، أنه قال لأصحابه: تمنوا، فقال رجل: أتمنى لو أن لي هذه الدار مملوءة ذهباً أنفقه في سبيل الله؛ ثم قال: تمنوا فقال رجل: أتمنى، لو أنها مملوءة لؤلؤاً وزبرجداً وجوهرأ، أنفقه في سبيل الله، وأتصدق؛ ثم قال: تمنوا، فقالوا: ما ندرى يا أمير المؤمنين، فقال عمر: أتمنى، لو أن هذه الدار مملوءة رجالاتاً، مثل أبي عبيدة بن الجراح.(حليه الأولياء ١ / ١٠٢)

قال ابو هريرة : أول ما يرفع من هذه الامه الحياء والامانه فسلوهما الله . (مكارم الأخلاق ١٧٨)

قال ابن عباس : لم يرخص الله لمعسر ولا مدين أن يمسك الأمانة . (البحر المحيط ٦٨٤ / ٣)
 عن ابن مسعود قال: القتل في سبيل الله، يكفر الخطايا كلها يوم القيامة إلا الدين، يؤتى بالرجل يوم
 القيامة وإن قتل في سبيل الله، فيقال له: أد أمانتك، فيقول: يا رب، لا أقدر عليها، قد ذهب عني الدنيا،
 قال: فيقول: انطلقوا به إلى الهاوية، فبئست الأم، وبئست المربية، فيلقى فيها فيهوى حتى يبلغ قعرها،
 قال: ويمثل معه أمانته، فيحتملها ثم يصعد، حتى إذا رأى أنه ناج زلت منه، فهوت وهوى معها أبدأ؛
 قال: والأمانة في كل شيء، في الوضوء والصيام، والغسل من الجنابة، وأشد من ذلك الودائع، قال
 زاذان: فلقيت البراء بن عازب فقلت له: ألا تسمع ما قال أخوك عبد الله بن مسعود فأخبرته بقوله،
 فقال: صدق ألم تسمع الله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا} (النساء: ٥٨).
 (حليه الأولياء ٢٠١ / ٤)

وقال ميمون بن مهران: ثلاثة يؤدّين إلى البرِّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرَّحم . (شعب الايمان ٢١٩ / ٧)
 قال ميمون بن مهران: ثلاث المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى من اتّمتك عليها من مسلم
 وكافر، وبر الوالدين قال الله تعالى: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا)
 (لقمان ١٥) والعهد تفى به لمن عاهدت من مسلم أو كافر. (حليه الاولياء ٨٧ / ٤)

قال سفيان بن عيينه : من لم يكن له رأس مال فليخذ الأمانة راس مال له . (الدر المنثور ٥٠٠ / ٤)
 قال الشافعي: آلات الرّياسة خمس: صدق اللّهجة، وكتمان السّرّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة،
 وأداء الأمانة. (سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٠)

عن مالك أنه بلغه: أن لقمان الحكيم قيل له: ما بلغ بك ما ترى؟ قال: صدق الحديث وأداء الأمانة
 وترك ما لا يعنيني. (حليه الأولياء ٦ / ٣٢٨)

قال مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة. (حليه الأولياء ٢ / ٣٧٣)
 قال ابن أبي الدنيا: الدّاعي إلى الخيانة شيثان: المهانة وقله الأمانة، فإذا حسمها عن نفسه بما وصفت
 ظهرت مروءته. (ادب الدنيا والدين للهاوردي ٣٣٣)
 وعن خالد الربيعي قال كان يقال: إنَّ من أجدر الأعمال أن لا تؤخر عقوبته أو يعجل عقوبته: الأمانة
 تخان، والرحم تقطع، والاحسان يكفر. (مكارم الأخلاق للخرائطي ١ / ١٧٢)

قال الأعمش: أعظم الخيانة: أداء الأمانة إلى الخائنين وقال الأعمش نقض العهد وفاء العهد لمن ليس له عهد. (حليه الأولياء ٤٨/٥)

قال كعب الأحبار: يأتي على الناس زمان ترفع فيه الأمانة، وتنزع فيه الرحمة وتكثر فيه المسألة فمن سأل عند ذلك الزمان، لم يبارك له فيه. (حليه الأولياء ٣٦٧/٥)

قال يحيى بن أبي كثير: لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أي شقيه يقع. (حليه الأولياء ٦٩/٣)

قال أبو يزيد البسطامي: اللهم إنك خلقت هذا الخلق بغير علمهم وقلدتهم أمانة من غير إرادتهم فإن لم تعنهم فمن يعينهم. (حليه الأولياء ٣٤/١٠)

عن سعيد بن جبير: في قوله تعالى: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (الكهف ٨٢). قال: كان يؤدي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحفظ الله تعالى له كنزه، حتى أدرك ولداه، فاستخرجا كنزهما. (الحليه ٢٨٧/٤)

عن محمد بن أبي عبد الرحمن المسعودي عن أبيه قال: ما رأيت أحسن أمانة من أبي حنيفة: مات يوم مات، وعنده ودائع بخمسين ألفاً ما ضاع منها ولا درهم واحد. (تاريخ بغداد ٣٥٩/١٣)

قال الفضيل بن عياض: ينادى مناد يوم القيامة أين الذين أكلت عيالاتهم أماناتهم؟ قال أبو علي الحسين بن فهم ورأيت يحيى بن معين يبكي عند هذا. (تاريخ بغداد ١١٧/٢)

قال كعب المزني: (ديوان كعب بن زهير ١٨٩)

أرعى الأمانة لا أخون أمانتي
إن الخؤون على الطريق الأنكى

الآثار العملية من حياة السلف:

عن أبي السباع رضي الله عنه قال: اشتريت ناقة من دار وائلة بن الأسقع، فلما خرجت بها، أدركنا وائلة، وهو يجرداء، فقال: يا عبد الله، اشتريت؟ قلت: نعم، قال: هل بين لك ما فيها؟ قلت: وما فيها؟ قال:

إنها لسمينة ظاهرة الصحة، قال: فقال: أردت بها سفراً، أم أردت بها لحماً؟ قلت: بل أردت عليها الحج، قال: فإن بخفها نقباً، قال: فقال صاحبها: أصلحك الله، ما تريد إلى هذا تفسد علي؟ قال: إني سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يجل لأحد يبيع شيئاً إلا يبين ما فيه، ولا يجل لمن يعلم ذلك إلا يبينه. (السنن الكبرى للبيهقي رقم ١١٠٤٩)

وقال نافع مولى ابن عمر: طاف ابن عمر سبعمائة وصلى ركعتين، فقال له رجل من قريش: ما أسرع ما

طففت وصلّيت يا أبا عبد الرحمن. فقال ابن عمر: أنتم أكثر منّا طوافاً وصياماً، ونحن خير منكم بصدق الحديث، وأداء الأمانة وإنجاز الوعد. (الأدب الشرعي لابن مفلح ٥٠٠ / ٤)

كان لأبي حنيفة شريك في التجارة يقال له بشر فخرج بشر في تجارته بمصر، فبعث إليه أبو حنيفة سبعين ثوباً من ثياب خزّ فكتب إليه: إن في الثياب ثوب خزّ معيياً بعلامة كذا فإذا بعته فين للمشتري العيب قال: فباع بشر الثياب كلها ورجع إلى الكوفة فقال أبو حنيفة: هل بينت ذلك العيب الذي في الثوب الخزّ؟ فقال: بشر نسيت ذلك العيب، فقال: فتصدق أبو حنيفة بجميع ما أصابه من تلك التجارة الأصل والفرع جميعاً، قال: وكان نصيبه من ذلك ألف درهم، وقال مأل قد دخلت فيه الشبهة، فلا حاجة لي به. (إرشاد العباد إلى سبيل الرشاد للفناني ٢٤١)

لما حبس ابن سيرين في السجن قال له السجنان: إذا كان الليل فاذهب إلى أهلك، فإذا أصبحت فتعال، فقال ابن سيرين: لا والله لا أعينك على خيانة السلطان. (تاريخ بغداد ٥ / ٣٣٤)

قال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهب علي أن أردّه إلى صاحبه، فلما قدمت مرو، ونظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي - الحسن بن عرفة - إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه. (تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧)

٢٦- باب تهريم الظلم والأمر ببرد الظالم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ [غافر: ١٨] وَقَالَ تَعَالَى: وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ [الحج: ٧١]. وأما الأحاديث فمنها حديث أبي ذر المتقدم (انظر الحديث رقم ١١١) في آخر باب المجاهدة.

٢٠٣- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا حِمَارَهُمْ » رواه مسلم .

٢٠٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لَتَوُذَّنَّ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ » رواه مسلم .

٢٠٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الْوَدَاعِ ، وَالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا ، وَلَا نَذْرِي مَا حَجَّةُ الْوُدَاعِ ، حَتَّى حَمِدَ اللَّهُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ فَأَطْنَبَ فِي ذِكْرِهِ ، وَقَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتُهُ : أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَإِنَّهُ إِنْ يُخْرِجُ فِيكُمْ مَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ فَلَيْسَ يَخْفِي عَلَيْكُمْ ، إِنْ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ . أَلَا إِنْ اللَّهُ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثًا وَيْلَكُمْ أَوْ : وَيْحَكُمْ ، انظُرُوا : لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » رواه البخاري ، وروى مسلم بعضه .

٢٠٦- وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شَيْءٍ مِنَ الْأَرْضِ طَوْقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ)) متفق عليه .

٢٠٧- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنْ اللَّهُ لِيُمْلِي لِلظَّالِمِ فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ ، ثُمَّ قرأ : { وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ } .

٢٠٨- وعن معاذ رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّي رَسُولَ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَكَلِيلَةٍ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فُتَرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ . وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ » متفق عليه .

٢٠٩- وعن أبي حميد عبد الرحمن بن سعيد الساعدي رضي الله عنه قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له : ابن اللثبية على الصدقة ، فلما قدم قال : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا أَهْدِي إِلَيَّ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبِرِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا وَلَايَ اللَّهُ ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ : هَذَا لَكُمْ ، وَهَذَا هَدِيَّةٌ أَهْدَيْتُ إِلَيَّ ، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا ، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ

شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى ، يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَلَا أَعْرَفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رِغَاءٌ ، أَوْ بَقْرَةً لَهَا خُوَارٌ ، أَوْ شَاةٌ تَبْعُرُ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ » ثلاثاً ، متفقٌ عليه . ٢١٠- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ ، مِنْ عَرَضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرٍ مَظْلَمْتِهِ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتٍ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ » رواه البخاري .

٢١١- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ » متفقٌ عليه .

٢١٢- وعنه رضي الله عنه قال : كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ ، فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هُوَ فِي النَّارِ » فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا . رواه البخاري .

٢١٣- وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِنْ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ : السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ : ثَلَاثُ مُتَوَالِيَاتٍ : ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ ، وَالْمَحْرَمُ ، وَرَجَبُ الَّذِي بَيْنَ جُمَادِي وَشَعْبَانَ ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ » قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ، قَالَ : أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ ؟ قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟ » قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ : « أَلَيْسَ الْبَلَدَةُ الْحَرَمُ ؟ » قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا ؟ » قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ . قَالَ : « أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ؟ » قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : « فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا ، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ ، أَلَا فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ ، أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ ، فَلَعَلَّ بَعْضٌ مِنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ مَنْ سَمِعَهُ » ثُمَّ قَالَ : « أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ، أَلَا هَلْ بَلَغْتُ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ »

متفق عليه .

٢١٤- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » فقال رجلٌ : وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فقال : « وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكَ » رواه مسلم .

٢١٥- وعن عدي بن عميرة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : « مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَكَتَمْنَا خِيَطًا فَمَا فَوْقَهُ ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقام إليه رجلٌ أسودٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فقال : يا رسول الله أقبل عني عملك قال : « ومالك ؟ » قال : سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، قال : « وَأَنَا أَقُولُهُ الْآنَ : مَنْ اسْتَعْمَلَنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فليجيء بقليله وكثيره ، فما أُوتِيَ مِنْهُ أَحَدًا وَمَا تُهَى عَنْهُ انْتَهَى » رواه مسلم .

٢١٦- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْرِ أَقْبَلِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ ، وَفُلَانٌ شَهِيدٌ ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا : فُلَانٌ شَهِيدٌ . فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ » رواه مسلم .

٢١٧- وعن أبي قتادة الحارث بن ربي رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْإِيْمَانَ بِاللَّهِ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، تُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ ؟ فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ قُلْتَ ؟ » قال : أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَتُكْفَرُ عَنِّي خَطَايَايَ ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ ، مُقْبِلٌ غَيْرٌ مُدْبِرٌ ، إِلَّا الدَّيْنَ فَإِنَّ جَبْرِيلَ قَالَ لِي ذَلِكَ » رواه مسلم .

٢١٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ ؟ » قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ . فقال : « إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ

القيامة بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هَذَا ، وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا ، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنَيْتَ حَسَنَاتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» رواه مسلم .

٢١٩- وعن أم سلمة رضي الله عنها ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْسَنَ بَحْجَتِهِ مِنْ بَعْضٍ ، فَأَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » متفق عليه . «أَلْحَنَ» أَي : أَعْلَمَ
٢٢٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصَبَّ دَمًا حَرَامًا » رواه البخاري .

٢٢١- وعن خولة بنت عامر الأنصارية ، وهي امرأة حمزة رضي الله عنه وعنهما ، قالت : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّ رِجَالَ يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقِّ فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن السدي ما للظالمين من حميم ولا شفيح قال : من يعنيه أمرهم ولا شفيح لهم . وقوله : يطاع صلة للشفيح . ومعنى الكلام : ما للظالمين من حميم ولا شفيح إذا شفيح أطيع فيما شفيح ، فأجيب وقبلت شفاعته له . (تفسير الطبري ٣٦٩ / ٢١)

ما للظالمين من حميم ولا شفيح يطاع في الحميم قولان : أحدهما : أنه القريب قاله الحسن . الثاني : الشفيق ، قاله مجاهد ، ومعنى الكلام : ما لهم من حميم ينفذ ولا شفيح يطاع أي يجاب إلى الشفاعة وسميت الإجابة طاعة لموافقها إرادة المجاب . (تفسير الماوردي ١٥٠ / ٥)

(وما للظالمين) للمشركين (من نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله . (تفسير البغوي ٤٠٠ / ٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اتق دعوة المظلوم فان دعوة المظلوم مستجابة .

(شرح الزرقاني على الموطأ ١ / ٧٦١)

عن الحارث بن سويد قال: وشى رجل بعمار إلى عمر بن الخطاب، فقال عمار لما بلغه: اللهم، إن كان كاذباً: فاجعله موطاً العقبين، وابسط له من الدنيا. (حليه الأولياء ١/١٤٢)

قال علي بن ابي طالب: يوم المظلوم على الظالم (اي يوم القيامة) اشد من يوم الظالم على المظلوم (اي في الدنيا). (المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي ١٢٧)

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لو أن جبلاً بغى على جبل، لُدك الباغي. (حليه الأولياء ١/٣٢) وقال أيضا: ما ظهر البغي في قوم قط، إلا ظهر فيهم الموتان. (حليه الأولياء ١/٣٢٢)

قال أبي الدرداء: اياك ودمعه اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسرى بالليل والناس نيام. (الحليه ١/٢٢١) وقال ايضا: إن أبغض الناس إليّ أن أظلمه: من لا يستعين علي إلا بالله عز وجل. (الحليه ١/٢٢١)

عن عبد الله بن سلمة قال: قال رجل لمعاذ بن جبل: علمني؛ قال: وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص؛ قال: صم وافطر، وصل ونم واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم. (حليه الأولياء ١/٢٣٣)

عن جرير قال: قال سلمان رضي الله عنه: يا جرير، تواضع لله، فإنه من تواضع لله تعالى في الدنيا، رفعه يوم القيامة؛ يا جرير، هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت: لا أدري قال: ظلم الناس بينهم في الدنيا؛ قال: ثم أخذ عويداً لا أكاد أن أراه بين أصبعيه قال: يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا العود لم تجده قال: قلت: يا أبا عبد الله؛ فأين النخل والشجر؟ قال: أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلىها الثمر. (حليه الأولياء ٦/١٠٧)

قال رجل عند ابي هريرة: ان الظالم لا يظلم الانفسه فقال ابوهريرة كذبت والذى نفس ابو هريرة بيده ان الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. (العقوبات لابن ابي الدنيا ١٧٨)

قال معاوية رضي الله عنه: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله. (العقد الفريد ٣٠/١) قال عمر بن عبد العزيز: إنما هلك من كان قبلنا: بحبسهم الحق حتى يشتري منهم وبسطهم الظلم، حتى يفتدي منهم. (حليه الأولياء ٥/٣١١)

وعنه قال: ادروا الحدود ما استطعتم في كل شبهة، فإن الوالي: إن أخطأ في العفو، خير من أن يتعدى في الظلم والعقوبة. (حليه الأولياء ٥/٣١١)

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينته. فكتب إليه: حصنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم. (العقد الفريد لابن عبدبره ١/٣١)

قال رباح بن عبيدة: كنت قاعداً عند عمر ابن عبد العزيز فذكر الحجاج، فشتمته، ووقعت فيه؛ فقال عمر: مهلاً يا رباح، إنه بلغني: أن الرجل ليظلم بالمظلمة، فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتقصه، حتى يستوفي حقه؛ فيكون للظالم عليه الفضل. (حليه الأولياء ٥/٢٧٧)

قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن وهو يلعن نفسه، قيل له: وكيف يلعن نفسه؟! قال: يقول: وهو ظالم (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ). (تنبيه الغافلين ١/٤٠٧)

وقال ميمون بن مهران: الظالم، والمعين على الظلم، والمحب له سواء. (مساوى الاخلاق ٢٢٠)

وقال ايضاً: في قوله تبارك وتعالى: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) قال: تعزية للمظلوم ووعيد للظالم. (مساوى الأخلاق للخرائطي ٢٢٠)

قال يزيد بن ميسرة: كان المسيح عليه السلام يقول: إن أحببتم أن تكونوا أصفياء الله ونور بني آدم: فاعفوا عن من ظلمكم وعودوا من لا يعودكم واقرضوا من لا يجزيكم وأحسنوا إلى من لا يحسن إليكم. (حليه الأولياء ٥/٢٣٩)

قال عبد الرحمن بن نجيح: سمعت يزيد بن ميسرة يقول: إن ظللت تدعو على رجل ظلمك، فإن الله تعالى يقول: إن آخركم يدعو عليك، إن شئت استجبنا لك واستجبنا عليك، وإن شئت آخرتكما إلى يوم القيامة ووسعكما عفو الله. (حليه الأولياء ٥/٢٣٩)

قال سفيان الثوري: ان لقيت الله بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله تعالى اهون عليك من ان تلقاة بذنوب واحد فيما بينك وبين العباد. (تنبيه الغافلين ١/٤٠٩)

قال يحيى الشيباني: مكتوب في التوراة: كما تدين تدان وبال كأس الذي تسقى به تشرب وزيادة لأن البادي لا بد أن يزداد. (حليه الأولياء ٦/١٠٧)

قال شريح القاضي: سيعلم الظالمون حق من انتقصوا ان الظالم ليتنظر العقاب وان المظلوم ليتنظر النصر والثواب. (الزواج عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ٢/١٢٤)

وقال ابن الجوزي: الظلم يشتمل على معصيتين: أخذ مال الغير ومبارزة الرب بالمخالفة. وإنما ينشأ

الظلم عن ظلمة القلب لو استنار بنور الهدى لاعتبر فإذا سعى المتقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً . (كشف المشكل ٥٥٩ / ٢)
 وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبَّتُ شيئاً قط هبتي من رجل ظلمته، وأنا أعلم أن لا ناصر له إلا الله، فيقول : حسبي الله، الله بيني وبينك . (الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر ١٢٢ / ٢)
 قال سعيد بن المسيب : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة . (الكبائر للذهبي ١١٢)

قال مجاهد : لو أن الجنة وهي دار البقاء أسست على حجر من الظلم لأوشك أن تخرب .
 (المستطرف في كل فن مستظرف للابشيهي ١٢٧)

بكى عليُّ بن الفضيل يوماً فقليل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكي على من ظلمني إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة . (المستطرف في كل فن مستظرف ١٢٨)
 قال مكحول الدمشقي : ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مدّ لهم يداً أو حبر لهم دواة أو برى لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . (الكبائر للذهبي ١١٢)

قال الشافعي : بسّ الزاد الى الميعاد ظلم العباد . (كتاب مواعظ الشافعي ١ / ١٦)

قال ابوبكر الوراق : اكثر ما ينزع الايمان من القلب ظلم العباد . (تنبيه الغافلين ٤٠٩ / ١)

قال حسان بن عطية : يعذب الله الظالم بالظالم، ثم يدخلها النار جميعاً . (حليه الأولياء ٧٤ / ٦)

قال يوسف بن أسباط : من دعا لظالم بالبقاء، فقد أحب أن يعصى الله . (حليه الأولياء ٨ / ٢٤٠)

عن إبراهيم التيمي قال : إن الرجل ليظلمني، فأرحمه . (حليه الأولياء ٤ / ٢١٣)

قال ابن القيم : والظلم عند الله عز وجل يوم القيامة له دواوين ثلاثة : ديوان لا يغفر الله منه شيئاً ، وهو الشرك به فإن الله لا يغفر أن يُشرك به . وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً ، وهو ظلم العباد بعضهم بعضاً ، فإن الله تعالى يستوفيه كله وديوان لا يعبأ الله به شيئاً ، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه عز وجل ، فإن هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محواً ، فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار ، والحسنات الماحية ، والمصائب المكفرة ، ونحو ذلك . بخلاف ديوان الشرك ؛ فإنه لا يُمحى إلا بالتوحيد وديوان

المظالم لا يُمحي إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. (الوابل الصيب من الكلم الطيب ٢٣)
 وقال ابن القيم: الإنسان خلق في الأصل ظلوماً جهولاً، ولا ينفك عن الجهل والظلم إلا بأن يعلمه الله ما ينفعه ويلهمه رشده، فمن أراد به خيراً علّمه ما ينفعه فخرج به عن الجهل ونفعه بما علمه فخرج به عن الظلم ومن لم يرد به خيراً أبقاه على أصل الخلقة فأصل كلّ خير هو العلم والعدل، وأصل كل شرّ هو الجهل والظلم. (إغاثة اللهفان ٢ / ١٣٧)

قال القرطبي: قال تعالى: (إِنَّمَا تُمَلَىٰ هُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا) (آل عمران ١٧٨) يملئ يظلم في مدته، ويصحّ بدنه ويكثر ماله وولده ليكثر ظلمه وهذا كما فعل الله بالظلمة من الأمم السالفة والقرون الخالية حتى إذا عمّ ظلمهم وتكامل جرمهم أخذهم الله أخذة رابية فلا ترى لهم من باقية وذلك سنة الله في كلّ جبار عنيد. (تفسير القرطبي ١ / ٧٣)

قال علي بن ابي طالب: (ديوان علي بن ابي طالب ٥٠)

أدّ الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسب

واحذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دعاءه لا يجب

الآثار العملية في حياة المسلم:

عن هشام بن عروة عن أبيه أن أروى بنت أويس ادعت على سعيد بن زيد أنه أخذ شيئاً من أرضها فخاصمته إلى مروان بن الحكم فقال سعيد أنا كنت أخذ من أرضها شيئاً بعد الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أخذ شبراً من الأرض ظلماً طوقه إلى سبع أرضين فقال له مروان لا أسألك بينة بعد هذا فقال اللهم إن كانت كاذبة فعم بصرها واقتلها في أرضها قال فما ماتت حتى ذهب بصرها ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرة فماتت . (مسلم رقم ١٦١٠ - ٥٣ / ١١ - البخاري ١٣٧ / ٣ رقم ٢٤٥٢)

قال حسان بن عطية: شكى رجل إلى أبي الدرداء أخاه فقال: سينصرك الله عز وجل عليه فوفد إلى معاوية فأجازه معاوية بمائة دينار فقال له أبو الدرداء: هل علمت أن الله قد نصرك على أخيك؟ وفد على معاوية، فأجازه بمائة دينار وولد له غلام. (حليه الأولياء ١ / ٢٣٣)

نادى طاوس اليماني: هشام بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل، فقال له: ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على

(الظالمين) فصعق هشام فقال طاوس هذا ذل الصفه فكيف المعايينه. (الزواجر ١٢٤ / ٢)
 عن عبد الله بن عياش مولى بني جشم عن أبيه عن شيخ قد سماه وكان قد أدرك سبب تسيير عامر بن
 عبد الله قال: مر برجل من أعوان السلطان وهو يجر ذمياً والذمي يستغيث به؛ قال: فأقبل على الذمي
 فقال: أديت جزيتك؟ قال: نعم فأقبل عليه فقال: ما تريد منه؟ قال: أذهب به يكسح دار الأمير قال:
 فأقبل على الذمي فقال: تطيب نفسك له بهذا؟ قال: يشغلني عن ضيعتي؛ قال: دعه، قال: لا أدعه؛ قال:
 دعه، قال: لا أدعه؛ قال: فوضع كساءه، ثم قال: لا تخفر ذمة محمد صلى الله عليه وسلم وأنا حي؛ ثم
 خلصه منه، قال: فتراقى ذلك، حتى كان سبب تسييره. (حليه الأولياء ٢ / ٩١)

ومر رجل برجل قد صلبه الحجاج، فقال يا رب إن حلمك على الظالمين قد أضر بالمظلومين، فنام تلك
 الليلة، فرأى في منامه أن القيامة قد قامت، وكأنه قد دخل الجنة، فرأى ذلك المصلوب في أعلى عليين،
 وإذا منادٍ ينادي، حلمي على الظالمين أحل المظلومين في أعلى عليين من سلب نعمة غيره سلب نعمة
 (المستطرف للابشيهي ١٢٧)

كتب يحيى بن خالد البرمكي، لما حبس إلى الرشيد: إن كل يوم يمضي من يومي يمضي من نعمتك مثله
 والموعود المحشر، والحكم الديان، وقد كتبت إليك بأبيات كتب بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى
 معاوية بن أبي سفيان:

أما والله إن الظلم شؤم	وَلَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظُّلْمُ
إِلَى الدَّيَّانِ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي	وعند الله تجتمع الخصوم
ستعلم في الحساب إذا التقينا	عَدَا عِنْدَ الْمَلِكِ مِنَ العُشُومِ
ستقطع اللذاذة عن أناس	من الدنيا وتنقطع الهوم
لأمر ما تصرّفت الليالي	لأمر ما تحركت النجوم (شعب الايمان للبيهقي رقم الحديث ٦٩٧٩)

٢٧- باب تعظيم حرّمات المسلمين وبيان حقونهم والشنة عليهم ورحمتهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ [الحج: ٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ
 يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج: ٣٢]، وَقَالَ تَعَالَى: وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ
 لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر: ٨٨]، وَقَالَ تَعَالَى: مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً [المائدة : ٣٢] .

٢٢٢- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً » وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ . متفق عليه .

٢٢٣- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا ، أَوْ أَسْوَاقِنَا ، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ » متفق عليه .

٢٢٤- وعن الثَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى » متفق عليه .

٢٢٥- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : قَبَّلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَسَنَ ابْنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما ، وَعِنْدَهُ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ ، فَقَالَ الْأَقْرَعُ : « إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الْوَالِدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا فَظَنَرْتُ إِلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ » متفق عليه .

٢٢٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : « أَتَقْبَلُونَ صِبْيَانَكُمْ ؟ » فَقَالَ : « نَعَمْ » قَالُوا : « لَكِنَّا وَاللَّهِ مَا نُقْبَلُ » ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُمُ الرَّحْمَةَ » متفق عليه .

٢٢٧- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ » متفق عليه .

٢٢٨- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ . وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيَطْوِلْ مَا شَاءَ » متفق عليه . وفي رواية : « وَذَا الْحَاجَةِ » .

٢٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ : « إِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَدْعُ الْعَمَلَ ، وَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةً أَنْ يَعْمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ » متفق عليه .

٢٣٠- وعنهما رضي الله عنها قالت : نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ ، فقالوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ ؟ قال : « إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي » متفقٌ عليه معناه : يَجْعَلُ فِي قُوَّةٍ مَنْ أَكَلَ وَشَرَبَ .

٢٣١- وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنِّي لَا أَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةً أَنْ أُشَقَّ عَلَى أُمَّه » رواه البخاري .

٢٣٢- وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ فَلَا يَطْلُبُنَا اللَّهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يَدْرِكُهُ ، ثُمَّ يَكْبِتُهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ » رواه مسلم .

٢٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لَا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يُسْلِمُهُ ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرْبٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » متفقٌ عليه

٢٣٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يُجُونُهُ وَلَا يَكْذِبُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٢٣٥- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا . الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ . التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسَبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ . كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » رواه مسلم .

« النَّجَسُ » أَنْ يَزِيدَ فِي ثَمَنِ سَلْعَةٍ يُنَادِي عَلَيْهَا فِي السُّوقِ وَنَحْوِهِ ، وَلَا رَغْبَةَ لَهُ فِي شِرَائِهَا بَلْ يَقْصِدُ أَنْ يَغْرَّ غَيْرَهُ ، وَهَذَا حَرَامٌ . « وَالتَّدَابُرُ » : أَنْ يُعْرِضَ عَنِ الْإِنْسَانِ وَيُهْجِرَهُ وَيَجْعَلَهُ كَالشَّيْءِ

الذي وراء الظهر والدُّبُر .

٢٣٦- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » متفق عليه .

٢٣٧- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا » فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ ؟ قَالَ : « تَحْجِزُهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ » رواه البخاري .

٢٣٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ : رَدُّ السَّلَامِ ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعُ الْجَنَائِزِ ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ » متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : « حَقُّ الْمُسْلِمِ سِتُّ : إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْ لَهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ . وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ » .

٢٣٩- وعن أبي عمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ : أَمْرًا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ ، وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسِمِ ، وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ . وَهَنَانًا عَنِ خَوَاتِيمٍ أَوْ تَخْتُمَ بِالذَّهَبِ ، وَعَنْ شُرْبِ بِالْقَضَّةِ ، وَعَنْ المِيَاثِرِ الحُمْرِ ، وَعَنْ القَسِيِّ ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدَّبِيَّاجِ . متفق عليه . وفي رواية : وَإِنْشَادِ الصَّلَاةِ فِي السَّبْعِ الأوَّلِ . « المِيَاثِرِ » بِيَاءٍ مُثَنَّةٍ قَبْلَ الأَلِفِ ، وَثَاءٍ مِثْلَةً بَعْدَهَا ، وَهِيَ جَمْعُ مَيْثِرَةٍ ، وَهِيَ شَيْءٌ يَتَّخَذُ مِنْ حَرِيرٍ وَيُحْمَشَى قُطْنًا أَوْ غَيْرَهُ وَيُجْعَلُ فِي السُّرُجِ وَكُورِ البَعِيرِ يَجْلِسُ عَلَيْهِ الرَّاكِبُ « والقسي » بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة : وَهِيَ ثِيَابٌ تُنْسَجُ مِنْ حَرِيرٍ وَكَتَّانٍ مُخْتَلِطَيْنِ . « وَإِنْشَادُ الصَّلَاةِ » : تَعْرِيفُهَا .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال زيد بن أسلم: الحرمات: المشعر الحرام والبيت الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام هؤلاء

الحرمة. قال مجاهد في قوله: ذلك ومن يعظم حرمة الله قال: الحرمة: مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. (تفسير الطبري ١٨/٦١٨)

عن عطاء وعكرمة: ذلك ومن يعظم حرمة الله قال: المعاصي. (تفسير الدر المنثور ١٠/٤٨٧)
 عن ابن عباس في قوله: ذلك ومن يعظم شعائر الله قال: البدن. عن ابن عباس: ذلك ومن يعظم شعائر الله قال: الإستسنان والإستحسان والإستعظام. (تفسير الدر المنثور ١٠/٤٩١)
 عن ابن جريج قال لما نزلت: وأنذر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين. عن ابن زيد في قوله: واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين يقول: ذلل لهم. وفي قوله: فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون. قال: أمره بهذا ثم نسخه فأمره بجهادهم. (تفسير الدر المنثور ١١/٣١٤)

عن ابن عباس في قوله: من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا، قال: من شد على عضد نبي أو إمام عدل فكأنما أحيا الناس جميعا ومن قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا. (تفسير الطبري ١٠/٢٣٣)
 عن ابن عباس: من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا قال: هو كما قال، وقال: ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا فأحياؤها: لا يقتل نفسا حرمها الله، فذلك الذي أحيا الناس جميعا يعني: أنه من حرم قتلها إلا بحق حيي الناس منه جميعا. (تفسير الطبري ١٠/٢٣٦)

عن سليمان بن علي الربيعي، قال: قلت للحسن: هذه الآية لنا يا أبا سعيد كما كانت لبني إسرائيل؟ فقال: إي والذي لا إله غيره، كما كانت لبني إسرائيل وما جعل دماء بني إسرائيل أكرم على الله من دمائنا، وقال الحسن البصري: (فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا)، قال: وزرأ، (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) قال: أجزأ. (تفسير بن كثير ٣/٨٣-٨٤)

قال أبي هريرة: دخلت على عثمان يوم الدار فقلت: جئت لأنصرك، فقال: يا أبا هريرة، أيسرك أن تقتل الناس جميعا وإياي معهم؟ قلت: لا، قال: فإنك إن قتلت رجلا واحدا فكأنما قتلت الناس جميعا، فانصرف. عن الحسن في قوله: من قتل نفسا بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا. قال: في الوزر، ومن

أحيائها فكأنها أحياء الناس جميعاً قال : في الأجر عن الحسن في قوله : ومن أحيائها قال : من قتل له حميم فعفا عنه فكأنها أحياء الناس جميعاً. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٢٧٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما حينما أتاه يُكَلِّمُه في أن يلين لهم لأنه اخاف الناس حتى خاف الابكار في خدورهن فقال: إني لا أجد لهم إلا ذلك والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي من الرَّأفة والرَّحمة والشفقة لأخذوا ثوبي عن عاتقي. (المجالسة وجواهر العلم ٤ / ٤٣)

قال أبو هريرة: كنا نسمي جعفر بن أبي طالب أبا المساكين قال: وكان يذهب بنا إلى بيته فإذا لم يجد لنا شيئاً أخرج إلينا عكةً هي إناء من جلدٍ يجعل فيه السمن غالباً والعسل أثرها عسل قال: فشققناها وجعلنا نلحقها. (شعب الإيمان للبيهقي ١٣ / ٣١٢)

قال أبو هريرة: لو رأيت الظباء ترتع بالمدينة ما ذعرتها. (صحيح مسلم حديث رقم ١٣٧٢)
قال عبدالله بن عمر: من ورطت الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله. (فتح الباري ١٢ / ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٦٨٦٣)

قال عبد الله بن مسعود: لو أن رجلاً أراد بالحداد فيه بظلم وهو بعدن أبين لأذاقه الله من العذاب الأليم. (أضواء البيان ٤ / ٢٩٤ - ٢٩٥)

عن أبي سليمان الداراني قال: إنما الغضب على أهل المعاصي: عندما حل نظرك إليهم عليها فإذا تفكرت فيما يصيرون إليه من عقوبة الآخرة دخلت الرحمة لهم القلب. (حليه الأولياء ٩ / ٢٦٢)

قال أبي سليمان الداراني: الرضا عن الله عز وجل والرحمة للخلق: درجة المرسلين. (الحليه ٩ / ٢٦٢)
قال الحسن بن حكيم: حدثني أمي فقالت: كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوة وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٤ / ٢٢٤)

كتب عمر بن عبد العزيز إلى حيان بمصر إنّه بلغني أنّ بمصر إبلاً نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل (الرطل يساوي ٤٤٩.٢٨ جرام) فإذا أتاك كتابي هذا فلا أعرفنّ أنّه يحمل على البعير أكثر من ستائة رطل وكتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحداً بلجامٍ ثقيل من هذه الرستنية ولا ينخس بمقرعة في أسفلها حديدة. (سيرة عمر بن عبد العزيز لابي محمد المصري ١٤١)

وعن عبد الملك بن حميد قال: كنت مع عبد الملك بن صالح بدمشق فأصاب كتاباً في ديوان دمشق

(بسم الله الرحمن الرحيم) من عبد الله بن عباس، إلى معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله، الذي لا إله إلا هو، عصمنا الله وإياك بالتقوى أمّا بعد، فإنك من ذوي النهى من قريش، وأهل الحلم والخلق الجميل منها، فليصدر رأيك بما فيه النظر لنفسك، والتقىة على دينك، والشفقة على الإسلام وأهله، فإنه خير لك، وأوفر لحظك في دنياك وآخرتك. (تاريخ دمشق ٢٧/٤١٥)

عن ابن عون قال: كان لابن سيرين منازل لا يكرها إلا من أهل الذمة فقيل له في ذلك قال: إذا جاء رأس الشهر رعته وأكره أن أروع مسلماً. (حليه الأولياء ٢/٢٦٨)

عن عبد الرحمن بن جبيات قال: قيل لعمر بن قيس الملائبي: ما الذي نرى بك من تغير الحال؟ قال: رحمة للناس من غفلتهم عن أنفسهم. (حليه الأولياء ٥/١٠٢)

قال أبو الخير: القلوب ظروف، فقلب مملوء إيماناً، فعلامته الشفقة على جميع المسلمين، والاهتمام بما يهملهم، ومعاونتهم على أن يعود صلاحه إليهم. وقلب مملوء نفاقاً، فعلامته الحقد والغش والحسد. (تاريخ دمشق ٦٦/١٦١)

وقال الجنيد: عندما سئل عن الشفقة على الخلق ما هي؟ تعطيهم من نفسك ما يطلبون ولا تحمّلهم ما لا يطيقون ولا تخاطبهم بما لا يعلمون. (شعب الإيمان للبيهقي ٦/٢٦٤)

قال عبدالله بن عثمان رحمه الله (شيخ البخاري): ما سألتني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان (الحاكم). (الآداب الشرعية ٢/١٨٠)

قال أبو عبدالله الجهنبي: المواساة تجديد للمؤاخاة. (الفتوة - أبو عبدالرحمن السلمي ٩٣)
قال سفيان الثوري: المواساة طريق بدت بين العوسج (شجر ذات شوك). (المتحابين في الله لابن قدامه ٧٦)
قال محمد بن واسع: ما رددت أحداً عن حاجة أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي.
(قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا ٦٤)

عن أبي عمران الجوني قال: لم ينظر الله تعالى إلى إنسان قط إلا رحمه ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم؛ ولكنه قضى أنه لا ينظر إليهم. (حلية الأولياء ٢/٣١٤)

قال يحيى بن بكير: احترقت دار عبدالله بن لهيعة فبعث إليه الليث بن سعد بألف دينار.
(حليه الأولياء ٧/٣٢٢)

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: المواساة من أخلاق المؤمنين (حلية الأولياء ٧ / ٣٧٠)

قال ابن قتيبة رحمه الله: لا حُصِّنت النعم بمثل المواساة. (عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٣٨٨)

وكان عمرو إذا نظر إلى أهل السوق بكى وقال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم. (الحليه ٥ / ١٠٢)

وقال محمد الإخسيكائي: (معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦ / ٢٦٤٠)

ارحَمْ أَخِيَّ عِبَادَ اللَّهِ كُلَّهُمْ وانظُرْ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ اللَّطْفِ وَالشَّفَقَةِ

وَقَرِّ كَبِيرَهُمْ وَارحَمْ صَغِيرَهُمْ وراعِ فِي كُلِّ خَلْقٍ وَجْهَ مَنْ خَلَقَهُ

الآثار العملية من حياة السلف:

عن مالك الداراني: أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أخذ أربعمئة دينارٍ فجعلها في صرةٍ فقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح ثم انتظر ساعةً في البيت حتى تنظر ما يصنع فذهب بها الغلام فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك فقال: وصله الله ورحمه ثم قال: تعالٍ يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلانٍ، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ، وبهذه الخمسة إلى فلانٍ، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر رضي الله تعالى عنه وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبلٍ، فقال: اذهب بها إلى معاذٍ وانتظر في البيت ساعةً حتى تنظر ما يصنع، فذهب بها إليه فقال: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك، فقال: رحمه الله ووصله تعالى يا جارية، اذهبي إلى بيت فلانٍ بكذا، اذهبي إلى بيت فلانٍ بكذا، فاطلعت امرأة معاذٍ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرق إلا ديناران، فدحا (ألقى) بهما إليها (أي أعطاهما)، ورجع الغلام إلى عمر فأخبره، فسُرَّ بذلك وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. (حلية الأولياء ١ / ٢٣٧)

واشتهى عمر بن الخطاب الحوت يوماً فقال: لقد خطر على قلبي شهوة الطري من حيتان، فخرج يرفأً، في طلب الحوت لعمر رضي الله عنه، ورحل راحلته فسار ليلتين مُدْبِرًا وليلتين مُقْبِلًا واشترى مِكتَلًا، وجاء بالحوت، ثم غسل يرفأً الدابة، فنظر إليها عمر فرأى عرقاً تحت أذنها فقال: عدَّبت بهيمةً من البهائم في شهوة عمر لا والله لا يذوقه عمر، عليك بِمِكتَلِكَ. (تاريخ دمشق ٤٤ / ٣٠١)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما طعنه أبو لؤلؤة المجوسي: يا ابن عباس، انظر من قتلني، فجال ساعة، ثم جاء، فقال: غلام المغيرة، قال: الصَّنَع (يشير إلى غلام المغيرة بن شعبة، أبو لؤلؤة فيروز)، قال: نعم، قال: قاتله الله لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منِّي بيد رجل يدعي

الإسلام. (صحيح التوثيق في سيرة وحياة الفاروق ٣٦٩ - ٣٧٠)

ورآه عيينة بن حصن يوماً يُقبل أحد أبنائه، وقد وضعه في حجره وهو يحنو عليه، فقال عيينة: أُنقبَلُ وأنت أمير المؤمنين؟ لو كنت أمير المؤمنين ما قبلت لي ولدًا. فقال عمر: الله، الله حتى استحلفه ثلاثاً، فقال عمر: فما أصنع إن كان الله نزع الرَّحمة من قلبك؟ إنَّ الله إنَّما يرحم من عباده الرَّحماء.

(جامع معمر بن راشد ٢٩٩/١١)

ومرَّ رضي الله عنه براهب فوقف ونودي بالراهب فقيل له: هذا أمير المؤمنين، فاطَّلَع فإذا إنسان به من الضر والاجتهاد وترك الدنيا، فلَمَّا رآه عمر بكى، فقيل له: إنَّه نصراني، فقال عمر: قد علمت ولكني رحمته، ذكرت قول الله عزَّ وجل: (عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً) (الغاشية ٣) رحمتُ نصبه واجتهاده وهو في النَّار. (مصنف عبدالرزاق ٢٤٠/٣)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءني مسكينة تحمل ابنتين لها، فأطعمتها ثلاث تمرات، فأعطت كل واحدة منهما تمرًا ورفعت إلى فيها تمرًا لتأكلها فاستطعمتها ابتناها فشقت التمرة التي كانت تريد أن تأكلها بينها فأعجبني شأنها، فذكرت الذي صنعت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ان الله قد اوجب لها بها الجنة أو اعتقها بها من النار. (رواه مسلم ٢٦٣٠)

روى أن هشام بن عبد الملك الخليفة الأموي أنه كان لا يُدخل في بيت المال شيئاً حتى يشهد أربعون قسماً لقد أخذ من حقه، ولقد أُعطي الناس حقوقهم، ما يُدخل شيئاً في بيت المال حتى يقسم أربعون أنه أخذ من حقه، وأن الناس أعطوه. يعني ليس من المظالم ما أخذ من أحد بطريق فيه ظلم . (سير أعلام النبلاء ٣٥٢/٥)

وهذا عطاء السُّلَيمي قيل له: إن فلان بن علي قتل أربعمائة من أهل دمشق على دم واحد فقال متنفساً: هاه، ثم خر ميتاً. (تاريخ الإسلام ٣٣٢/٨)

عن مغيث - بن سمي - قال: تعبد راهب من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة؛ قال: فنظر يوماً في غب السماء، فأعجبته الأرض، فقال: لو نزلت، فمشيت في الأرض، ونظرت فيها؛ قال: فنزل، ونزل معه برغيف؛ فعرضت له امرأة، فتكشفت له، فلم يملك نفسه أن وقع عليها، فأدركه الموت وهو على تلك الحال؛ قال: وجاء سائل، فأعطاه الرغيف، ومات؛ فجيء بعمل ستين سنة، فوضع في كفة؛ قال:

وجيء بخطيئته، فوضعت في كفة، فرجحت بعمله؛ حتى جيء بالرغيف، فوضع مع عمله؛ قال:
فرجح بخطيئته. (حلية الأولياء/٦ / ٦٩)

٢٨- باب ستر هورات المسلمين والنهي عن إظهارها لغير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
[النور: ١٩].

٢٤٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم .

٢٤١- وعنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : يَا فُلَانُ عَمِلْتَ الْبَارِحَةَ كَذًا وَكَذَا ، وَقَدْ بَاتَ يَسْتَرُهُ رَبُّهُ ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ » متفق عليه .
٢٤٢- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا زَنَتِ الْأُمَّةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ ، وَلَا يُثْرَبْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الْحَدَّ وَلَا يُثْرَبْ عَلَيْهَا ، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّلَاثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلِ مِنْ شَعْرِ » متفق عليه . «التَّثْرِبُ» : التَّوْبِيخُ .

٢٤٣- وعنه قال : أُنْبِئَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْرًا قَالَ : « اضْرِبُوهُ » قال أبو هريرة : فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ . فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : أَخْزَاكَ اللهُ ، قَالَ : لَا تَقُولُوا هَكَذَا لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن مجاهد : إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة قال : تظهر ، يحدث عن شأن عائشة .
عن قتادة : إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة قال : يحبون أن يظهر الزنى عن خالد بن معدان قال : من حدث بما أبصرته عيناه، وسمعتة أذناه، فهو من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا. عن عطاء قال : من أشاع الفاحشة فعليه النكال وإن كان صادقاً. عن علي بن أبي طالب قال : القائل للفاحشة والذي يشيع بها في الإثم سواء. عن شبيل بن عون قال : كان يقال : من سمع بفاحشة فأفشاها، فهو

فيها كالذي أبدأها. (تفسير الدرالمثور ٧٠٣/١٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو أخذت سارقاً لأحببت أن يسْتُرَّه الله عزَّ وجلَّ، ولو أخذت شارباً، لأحببت أن يسْتُرَّه الله عزَّ وجلَّ. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٥/١٣)

قال عبد الله بن مسعود ثلاث أحلف عليهنَّ والرَّابِعة لو حلفت لبرزت لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له ولا يتولَّى الله عبداً في الدنيا فوَلَّاه غيره يوم القيامة ولا يحبُّ رجل قومًا إلا جاء معهم يوم القيامة، والرَّابِعة التي لو حلفت عليها لبرزت لا يسْتُرُّ الله على عبد في الدنيا إلا سَتَرَ عليه في الآخرة. (مصنف عبد الرزاق ١١/١٩٩)

عن أشعث بن أبي الشعثاء عن أبيه قال كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال لجيشه إنكم نزلتم أرضاً كثيرة النساء والشراب يعني الخمر فمن أصاب منكم حدا فليأتنا فنظهره فأتاه ناس فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب إليه أنت لا أم لك الذي يأمر الناس أن يهتكوا ستر الله الذي سترهم به.

(الزهد لهناد بن السرى ٢/٦٤٦ - مصنف الصنعاني رقم ٩٣٧١)

قال أبي عثمان النهدي: إن المؤمن ليعطى كتابه في ستر من الله تعالى فيقرأ سيئاته فيتغير لونه ثم يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه ثم ينظر وإذا سيئاته قد بدلت حسنات فعند ذلك يقول: (هَأْوُمُ اقْرُؤُوا كِتَابِيَهْ) (الحاقه). (الزهد لابن المبارك ١/٤٩٧)

قال عبد الله بن المبارك: كان الرَّجُل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في سِتْر، ونهاه في سِتْر، فيؤجر في سِتْره، ويؤجر في نبيه، فأما اليوم فإذا رأى أحدًا من أحد ما يكره، استغضب أخاه وهتك سِتْره.

(روضه العقلاء ١/١٩٦)

وعن إبراهيم بن أدهم قال: بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ، وفتنهم حُسن الثناء، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسُّرِّ مغرورين، وبثناء النَّاسِ مسرورين، وعمَّا افترض الله متخلفين مقصرين وإلى الأهواء مائلين. قال فبكى ثم قال أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى. (الزهد الكبير للبيهقي ١/١٨٧)

عن عبيد الله بن عبد الكريم الجيلي قال : من رأته يطلب العثرات على الناس فاعلم أنه معيوب ومن

ذكر عورات المؤمنين فقد هتك ستر الله المرخى على عباده. وقال: لولا المناق ما عرف للمؤمنين عيب ولولا الرياء ما عرف المستورون ولولا أهل المعرفة لكان الناس كلهم في معنى البهائم، ولولا ستر الله، لكان الناس كلهم مهتوكين فمن كرمه جعل البر والفاجر في ستره وإن الله عز وجل عبادا ما نظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم وإن الله يتعاهدهم كما تتعاهد الأم الشفيقة طفلها في المهد.

(التويخ والتنبيه لابي الشيخ الاصبهاني ١/١٠١)

وقال أبو البركات الغزي العامري عن آداب العشرة بين المسلمين: ومنها: الاجتهاد في ستر عورات الإخوان وقبائحهم، وإظهار مناقبهم، وكونهم يداً واحدةً في جميع الأوقات. (آداب العشرة ١/٥٣)

وقال ابن رجب: روي عن بعض السلف أنه قال: أدركت قوماً لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب الناس، فذكر الناس عيوبهم. وأدركت أقواماً، كانت لهم عيوب فكفوا عن عيوب الناس فنسيت عيوبهم. (جامع العلوم والحكم ٢/٢٩١)

قال سفيان بن عيينة: لولا ستر الله عز وجل ما جالسنا أحدًا. (شعب الإيمان للبيهقي ٦/٢٩٠)

قال شبيب بن عوف الأحمسي: كان يقال: من سمع بفاحشة، فأفشاها، كان فيها كالذي بدأها.

(الزهد لوكيع ١/٧٦٨)

وقال الحسن البصري: من كان بينه وبين أخيه ستر فلا يكشفه. (مكارم الأخلاق ١/١٤٩)

وقال العلاء بن بدر: لا يعذب الله عز وجل قوماً يسترون الذنوب. (مكارم الأخلاق ١/١٥٣)

قال ابن القيم: وأما اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزنا، ففي غاية الحكمة والمصلحة؛ فإن الشارع احتاط للقصاص والدماء، واحتاط لحد الزنا، فلو لم يقبل في القتل إلا أربعة لضاعت الدماء، وتوأتب العادون، وتجرءوا على القتل وأما الزنا فإنه بالغ في ستره، كما قدر الله ستره، فاجتمع على ستره شرع الله وقدره، فلم يقبل فيه إلا أربعة يصفون الفعل وصف مشاهدة، ينتفي معها الاحتمال؛ وكذلك في الإقرار، لم يكتف بأقل من أربع مرات، حرصاً على ستر ما قدر الله ستره، وكرة إظهاره، والتكلم به، توعده من يجب إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم، في الدنيا والآخرة. (اعلام الموقعين ٢/٥٠)

وقال أيضاً: ومن الناس من طبعه طبع خنزير: يمر بالطيبات فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رجليه قمه وهكذا كثير من الناس، يسمع منك، ويرى من المحاسن أضعاف أضعاف المساوي، فلا

يحفظها، ولا ينقلها، ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة، أو كلمة عَوْرَاء، وجد بغيته، وما يناسبها، فجعلها
فاكته ونقله. (مدارج السالكين ٤٠٦ / ١)

وقال أيضًا: للعبد سترٌ بينه وبين الله وسِترٌ بينه وبين النَّاسِ فمن هتك السِّترَ الذي بينه وبين الله هتك الله
السِّترَ الذي بينه وبين النَّاسِ. (الفوائد لابن القيم ٣١ / ١)

قصيدة الواضحيه لابن بهيج الاندلسي في الدفاع عن السيدة عائشه الطاهرة المبررة:

ما شانُ أمِّ المؤمنينَ وسَّاني	هُدِيَ المُحِبُّ لها وَضَلَّ الشَّانِي
إِنِّي أَقُولُ مُبِينًا عَنْ فَضْلِهَا	وَمُتَرَجِّمًا عَنْ قَوْلِهَا بِلِسَانِي
يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ	فَالْبَيْتُ بَيْتِي وَالْمَكَانُ مَكَانِي
إِنِّي خُصِصْتُ عَلَى نِسَاءِ مُحَمَّدٍ	بِصِفَاتٍ بَرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعَانِي
وَسَبَقْتُهُنَّ إِلَى الْفَضَائِلِ كُلِّهَا	فَالسَّبْقُ سَبْقِي وَالْعِنَانُ عِنَانِي
مَرِضَ النَّبِيِّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرَائِي	فَالْيَوْمُ يَوْمِي وَالزَّمَانُ زَمَانِي
زَوْجِي رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ	اللَّهُ زَوْجِي بِهِ وَحَبَانِي
وَأَنَّهُ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ بِصُورِي	فَأَحْبَبَنِي الْمُخْتَارُ حِينَ رَأَانِي
أَنَا بِكْرُهُ الْعَذْرَاءُ عِنْدِي سِرُّهُ	وَضَجِيعُهُ فِي مَنْزِلِي قَمْرَانِي
وَتَكَلَّمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِحُجَّتِي	وَبَرَاءَتِي فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وَاللَّهُ خَفَّرَنِي وَعَظَّمَ حُرْمَتِي	وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ بَرَّانِي
وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ لَعَنَ الَّذِي	بَعَدَ الْبِرَاءَةَ بِالْقَبِيحِ رَمَانِي
وَاللَّهُ وَبَّخَ مَنْ أَرَادَ تَنْقِصِي	إِفْكَأً وَسَبَّحَ نَفْسَهُ فِي شَانِي
إِنِّي لِمُحْصَنَةُ الْإِزَارِ بَرِيئَةٌ	وَدَلِيلُ حُسْنِ طَهَارَتِي إِحْصَانِي
وَاللَّهُ أَحْصَنَنِي بِخَاتَمِ رُسُلِهِ	وَأَذَلَّ أَهْلَ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
وَسَمِعْتُ وَحْيَ اللَّهِ عِنْدَ مُحَمَّدٍ	مِنْ جِبْرِيلَ وَنُورُهُ يَغْشَانِي
أَوْحَى إِلَيْهِ وَكُنْتُ تَحْتَ ثِيَابِهِ	فَحَنَا عَلَيَّ بِثَوْبِهِ خَبَانِي
مَنْ ذَا يُفَاخِرُنِي وَيُنْكِرُ صُحْبَتِي	وَمُحَمَّدٌ فِي حِجْرِهِ رَبَّانِي؟

وَأَخَذْتُ عَنْ أَبِي دِينَ مُحَمَّدٍ
 وَأَبِي أَقَامَ الدِّينَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ
 وَالْفَخْرُ فَخْرِي وَالْخِلاَفَةُ فِي أَبِي
 وَأَنَا ابْنَةُ الصَّدِيقِ صَاحِبِ أَحْمَدٍ
 نَصَرَ النَّبِيَّ بِإِلَهٍ وَفَعَالِهِ
 ثَانِيهِ فِي الْغَارِ الَّذِي سَدَّ الْكُوَى
 وَجَفَا الْغَنَى حَتَّى تَخَلَّلَ بِالْعَبَا
 وَتَخَلَّلَتْ مَعَهُ مَلَائِكَةُ السَّمَا
 وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَخْشَ لَوْمَةَ لَائِمٍ
 قَتَلَ الْأُلَى مَنَعُوا الزَّكَاةَ بِكُفْرِهِمْ
 سَبَقَ الصَّحَابَةَ وَالْقَرَابَةَ لِلْهُدَى
 وَاللَّهُ مَا اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فَضِيلَةٍ
 إِلَّا وَطَارَ أَبِي إِلَى عَلِيَّيَاهَا
 وَيَلُّ لِعَبْدِ خَانَ آلِ مُحَمَّدٍ
 طُوبَى لِمَنْ وَالِي جَمَاعَةَ صَاحِبِهِ
 بَيْنَ الصَّحَابَةِ وَالْقَرَابَةِ أُلْفَةٌ
 هُمْ كَالْأَصَابِعِ فِي الْيَدَيْنِ تَوَاصِلًا
 حَصَرَتْ صُدُورُ الْكَافِرِينَ بِوَالِدِي
 حُبُّ الْبُتُولِ وَبَعْلِهَا لَمْ يَخْتَلِفْ
 أَكْرَمُ بِأَرْبَعَةِ أُمَّةٍ شَرَعْنَا
 نُسَجَّتْ مَوَدَّتُهُمْ سَدَى فِي حُمْةٍ
 اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَ وَدُّ قُلُوبِهِمْ
 رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ صَفَتْ أَخْلَافُهُمْ
 وَهُمَا عَلَى الْإِسْلَامِ مُصْطَفِيَانِ
 فَالْتَّصُلْ نَصْلِي وَالسَّنَانُ سِنَانِي
 حَسْبِي بِهَذَا مَفْخَرًا وَكَفَانِي
 وَحَبِيبِي فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 وَخُرُوجِهِ مَعَهُ مِنَ الْأَوْطَانِ
 بِرِدَائِهِ أَكْرَمَ بِهِ مِنْ ثَانٍ
 زُهدًا وَأُدْعَى عَنْ آيِمَا إِذْعَانِ
 وَأَتَتْهُ بِشْرَى اللَّهِ بِالرِّضْوَانِ
 فِي قَتْلِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 وَأَذَلَّ أَهْلَ الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ
 هُوَ شَيْخُهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 مِثْلَ اسْتِيقَاقِ الْحَيْلِ يَوْمَ رِهَانِ
 فَمَكَانُهُ مِنْهَا أَجَلٌ مَكَانِ
 بِعَدَاوَةِ الْأَزْوَاجِ وَالْأَخْتَانِ
 وَيَكُونُ مِنْ أَحْبَابِهِ الْحَسَنَانِ
 لَا تَسْتَحِيلُ بِنَزْعَةِ الشَّيْطَانِ
 هَلْ يَسْتَوِي كَفٌّ بِغَيْرِ بَنَانِ؟!
 وَقُلُوبُهُمْ مِثْلَتْ مِنَ الْأَضْغَانِ
 مِنْ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ فِيهِ اثْنَانِ
 فَهُمْ لِيْنَتِ الدِّينِ كَالْأَرْكَانِ
 فَبِنَاؤُهَا مِنْ أَثْبَتِ الْبُيُوتِ
 لِيَغِيظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طَعَّانِ
 وَخَلَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنَ السَّنَانِ

فَدُخُوهُمْ بَيْنَ الْأَحْبَةِ كُفْلَةٌ وَسَبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَى الْحَرَمَانِ
 جَمَعَ إِلَهُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَبِي وَاسْتَبَدَّلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ
 وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُصْرَةَ عَبْدِهِ مَنْ ذَا يُطِيقُ لَهُ عَلَى خِذْلَانِ؟
 مَنْ حَبَّبَنِي فَلْيَجَنِّبْ مَنْ سَبَّبَنِي إِنْ كَانَ صَانَ مَحَبَّتِي وَرَعَانِي
 وَإِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلْظَمَ بِمُبْغِضِي فَكِلَاهُمَا فِي الْبُغْضِ مُسْتَوِيَانِ
 إِنِّي لَطِيبَةٌ خُلِقْتُ لِطَيْبٍ وَنِسَاءُ أَحْمَدَ أَطِيبُ النَّسْوَانِ
 إِنِّي لَأُمُّ الْمُؤْمِنِينَ فَمَنْ أَبِي حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ بِالْحُسْرَانِ
 اللَّهُ حَبَّبَنِي لِقَلْبِ نَبِيِّهِ وَإِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ هَدَانِي
 وَاللَّهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرَامَتِي وَيُهَيِّئُ رَبِّي مَنْ أَرَادَ هَوَانِي
 وَاللَّهُ أَسْأَلُهُ زِيَادَةَ فَضْلِهِ وَمَحَدَّثُهُ شُكْرًا لِمَا أَوْلَانِي
 يَا مَنْ يَلُودُ بِأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَرْجُو بِذَلِكَ رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ
 صِلْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَحِدْ عَنَّا فَتُسَلَبَ حُلَّةَ الْإِيْمَانِ
 إِنِّي لَصَادِقَةُ الْمَقَالِ كَرِيمَةٍ إِي وَالذِّي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
 خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ رَوْضَةٌ مَحْفُوفَةٌ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ
 صَلَّى إِلَهُ عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ فِيهِمْ تُشْمُّ أَزَاهِرُ الْبُسْتَانِ

قال الشاعر: (مجمع الحكم والامثال لاحمد قبش ٣٧١)

إذا أنت عبت الناس عابو أو أكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يُسْتَرُّ
 وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطلق فيه لسان محبر
 إذا ما ذكرت الناس فاترك عيوبهم فلا عيب إلا دون ما فيك يُدْكَرُ
 فإن عبت قوماً بالذي ليس فيهم فذاك عند الله والناس أكبرُ
 وإن عبت قوماً بالذي فيك مثله فكيف يعيب العور منه وأعورُ

الآثار العملية من حياة السلف:

وعن الشعبي: أن رجلاً أتى عمر بن الخطاب قال: إن ابنة لي أصابت حدًا فعمدت إلى الشفرة فذبحت نفسها، فأدركتها، وقد قطعت بعض أوداجها فداويتها فبرأت ثم أتتها نسكت فأقبلت على القرآن فهي

كُنْتُطِبُ إِلَيْي فَأَخْبِرْ مِنْ شَأْنِهَا بِالَّذِي كَانَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تَعْمَدُ إِلَى سِتْرِ سِتْرَةِ اللَّهِ فَتَكْشِفُهُ؟ لَنْ بُلَغْنِي أَنَّكَ ذَكَرْتَ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهَا، لِأَجْعَلَنَّكَ نِكَالًا لِأَهْلِ الْأَمْصَارِ، بَلْ أَنْكِحْهَا نِكَاحَ الْعَفِيفَةِ الْمُسْلِمَةِ.

(مصنف عبدالرزاق ٦/٢٤٦)

وعن المعرور بن سويد قال: أتى عمر بامرأة راعية زنت فقال عمر: ويح المريه، أفسدت حسبها، اذهبا بالمريه فاجلداها، ولا تحرقا عليها جلدها، إننا جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم،

ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا فلا يطلعن ستر الله منكم أحد. (التويخ والتنبيه للاصبهاني ١/٦٥)

عن مريم بنت طارق: أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: يا أم المؤمنين إن كريبًا (أجير) أخذ بساقي وأنا محرمة فقالت رضي الله عنها: حجرا حجرا وأعرضت بوجهها وقالت بكفها وقالت:

يا نساء المؤمنين إذا أذنبت إحداكن ذنبًا فلا تخبرن به الناس ولتستغفر الله تعالى ولتتب إليه فإن العباد يعيرون ولا يغيرون والله تعالى يغير ولا يعير. (مكارم الأخلاق ١/١٥٣)

قال ابن مهدي: سمعت سفيان الثوري يقول: طلبت في أيام المهدي فهربت فأتيت اليمن فكنت أنزل في حي وأوي إلى مسجدهم فسرق في ذلك الحي فاتهموني فأتوا بي معن بن زائدة وكان قد كتب إليه في

طلبي - فقبل له: إن هذا قد سرق منا فقال: لم سرقت متاعهم؟ فقلت: ما سرقت شيئًا، فقال لهم: تنحوا لأسأله ثم أقبل علي فقال: ما اسمك؟ قلت: عبد الله بن عبد الرحمن قال: يا عبد الله بن عبد الرحمن

نشدتك بالله، لما نسبت لي نسبك قلت: أنا سفيان بن سعيد بن مسروق، قال: الثوري؟ قلت: الثوري قال: أنت بغية أمير المؤمنين؟ قلت: أجل فأطرق ساعة، ثم قال: ما شئت فأقم، وارحل متى شئت

فوالله، لو كنت تحت قدمي ما رفعتها. (حليه الأولياء ٤/٧)

٢٤ - باب قضاء حوائج المسلمين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [الحج: ٧٧].

٢٤٤ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو

الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ. وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق

عليه.

٢٤٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « من نَفَسَ عن مؤمن كُرْبَةً من كُرْبِ الدُّنْيَا ، نَفَسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً من كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، ومن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، والله في عَوْنِ الْعَبْدِ ما كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ ، ومن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إلى الْجَنَّةِ . وما اجْتَمَعَ قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . ومن بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » رواه مسلم

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا أي : صلوا ، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ، واعبدوا ربكم وحده ، وافعلوا الخير . قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الأخلاق . لعلكم تفلحون . لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة . (تفسير البغوى ٤٠٢ / ٥)

قال أبو قحافة لابنه أبي بكر رضي الله عنه: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك إذا فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعوك ويقومون دونك؟ قال: يا أبت إنما أريد ما أريد قيل فنزلت فيه الآية: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنِيسِرُهُ لِلْيُسْرَى). (اسباب النزول للواحدى ٨٥٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عبد الملك بن حبيب: كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: إنه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس، فأكرم وجوه الناس، فحسب المسلم الضعيف من العدل أن ينصف في الحكم والقسمة. (مسند ابن الجعد ص ١٨٠ رقم ١١٦٣)

عن النزال بن سبرة يحدث عن علي رضي الله عنه: أنه صلى الظهر، ثم قعد في حوائج الناس في رحبة الكوفة، حتى حضرت صلاة العصر. (البخاري، حديث ٥٦١٦)

قال ابن عباس : لأن أعول أهل بيت من المسلمين شهرا ، أو جمعة ، أو ما شاء الله ، أحب إلي من حجة بعد حجة ولطبق بدائق أهديه الى أخ لى فى الله عزوجل احب الى من دينار انفقه فى سبيل الله عز وجل .

عن ابن عباس: ثلاثة لا أكافئهم: رجل بداني بالسلام، ورجل وسَّع لي في المجلس ورجل اغبرت قدماه في المشي إليَّ إرادة التسليم عليَّ، فأما الرابع فلا يكافئه عني إلا الله قيل: ومن هو؟ قال: رجل نزل به أمرٌ فبات ليلته يفكر بمن ينزله، ثم رأني أهلاً لحاجته فأنزلها بي. (البيهقي في الشعب ٧/٤٣٦)

وعن ابن عباس: من مشى بحق أخيه ليقضيه فله بكل خطوة صدقة. (البر والصله ٣١٩)

قال ابن مسعود: يحشر الناس يوم القيامة أعرى ما كانوا قط وأجوع ما كانوا قط وأظماً ما كانوا قط وأنصب ما كانوا قط فمن كسا الله عز وجل كساه الله ومن أطعم الله عز وجل أطعمه الله ومن سقى الله عز وجل سقاه الله ومن عفا الله عز وجل أعفاه الله. (جامع العلوم والحكم ٣٥٦)

قال حكيم بن حزام: ما أصبحت وليس على بابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب.

(سير أعلام النبلاء ٣/٥١)

قال الزبير بن بكار: كان للعباس بن عبدالمطلب ثوب لعاري بني هاشم، وجفنة لجائعهم، وكان يمنع الجار ويبذل المال ويعطي في النوائب. (سير أعلام النبلاء ٢/٧٨)

قال أبو جعفر الباقر: جاء رجل إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما فاستعان به في حاجة فوجده معتكفاً، فاعتذر إليه فذهب إلى الحسن رضي الله عنه، فاستعان به فقضى حاجته وقال الحسن: لقضاء حاجة أخ لي في الله أحب إليَّ من اعتكاف شهر. (البداية والنهاية لابن كثير ٨/٣٩)

قال محمد ابن الحنفية رحمه الله (ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه): أيها الناس، اعلموا أن حوائج الناس إليكم نعم الله عز وجل إليكم، فلا تملوها فتتحول نقماً، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذكراً، وأورث ذكراً، وأوجب أجراً، ولو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ويفوق العالمين. (شعب الإيمان؛ للبيهقي ١٠/١٣٦ رقم ٧٢٨٤)

قال جعفر بن محمد الصادق: إن لله وجوهاً من خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجود مجداً، والإفضال مغنماً، والله يجب مكارم الأخلاق. (ربيع الأبرار الزمخشري ٤/٣٥٧)

وكان أبو وائل: يطوف على نساء الحي وعجائزهن كل يوم فيشتري لهن جوائجهن وما يصلحهن.

(جامع العلوم والحكم ٣٤١)

قال أبي عمر الزاهد: ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة وفي قضاء حقوقهم رفعة. (تذكرة الحفاظ ٣/١٦١)

عن النضر بن شميل قال: ما رأيت أرحم لمسكين من شعبة إذا رأى المسكين لا يزال ينظر إليه حتى يغيب عن وجهه. (حليه الأولياء ٧/١٤٦-١٤٧)

قال يحيى بن بكير: احترقت دار عبدالله بن لهيعة فبعث إليه الليث بن سعد رحمه الله بألف دينار. (حليه الأولياء ٧/٣٢٢)

قال ميمون بن مهران: المروءة: طلاقة الوجه والتؤدّد إلى الناس وقضاء الحوائج. (المروءة لابن الرزيان ٧٠)

قال حسان بن أبي سنان: لولا المساكين ما أنجرت. (حليه الأولياء ٣/١١٦)

يقول ابن القيم رحمه الله: ومن أسباب شرح الصدر: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال، والجاه، والنفع بالبدن، وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدراً، وأطيهم نفساً، وأنعمهم قلباً. (زاد المعاد ٢/٢٥)

وقال ايضاً: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة وكلما قوى قويت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله. (الفوائد ١٧١)

قال أبو العتاهية رحمه الله: (الأداب الشرعية ٢ / ١٧٨)

اقض الحوائج ما استطعت وكن لهم أخيك فارح

فلخير أيام الفتى يوم قضى فيه الحوائج

الآثار العظيمة من حياة السلف:

قال الزبير بن العوام: مر أبو بكر الصديق رضي الله عنه يوماً ببلاط بن رباح رضي الله عنه وهو يعذب فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته فأنقذه مما ترى فقال أبو بكر: أفعل عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال: قد قبلت قال: هو لك فأعطاه أبو بكر غلامه ذلك وأخذ بلاطاً فأعتقه. (سيرة ابن هشام ١/٣١٨)

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض نواحي المدينة بالليل، فيسقي لها ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت فجاءها غير مرة؛ كيلا يسبق إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يأتيها وهو يومئذ خليفة.

(تاريخ الخلفاء للسيوطي ٧٥)

قال الأوزاعي: إن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل، فرآه طلحة بن عبيدالله،

فذهب عمر، فدخل بيتًا، ثم دخل بيتًا آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة (مشلولة) فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال: ثكلتك (أي فقدتك) أمك يا طلحة أعثرات عمر تتبع؟.
(حلية الأولياء ١/٤٧)

قال عبدالله بن أبي حدرد: لما قدمنا مع عمر بن الخطاب الجابية (مكان) إذا هو بشيخ من أهل الذمة (أي من غير المسلمين) يستطعم (أي يطلب طعامًا من الناس) فسأل عنه، فقلنا: يا أمير المؤمنين، هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف، فوضع عنه عمر الجزية التي في رقبته، وقال: كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم، فأجرى عليه من بيت المال عشرة آلاف دراهم، وكان له عيال.
(تاريخ دمشق ٢٧/٣٣٤)

قال أسلم (مولى عمر): إن عمر بن الخطاب طاف ليلة، فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحوها صبيان يكون، وإذا قدر على النار قد ملأها ماءً، فدنا عمر بن الخطاب من الباب، فقال: يا أمة الله، لماذا بكاء هؤلاء الصبيان؟ فقالت: بكاؤهم من الجوع، قال: فما هذه القدر التي على النار؟ فقالت: قد جعلت فيها ماءً أعللهم بها حتى يناموا، أو همهم أن فيها شيئًا من دقيق وسمن، فجلس عمر فبكى، ثم جاء إلى دار الصدقة، فأخذ غرارة - (أي كيسًا كبيرًا) - وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم، وتمر وثياب ودراهم، حتى ملأ الغرارة، ثم قال: يا أسلم، احمل علي، فقلت: يا أمير المؤمنين، أنا أحمله عنك! فقال لي: لا أم لك يا أسلم، أنا أحمله؛ لأنني أنا المسؤول عنهم في الآخرة، قال: فحمله على عنقه، حتى أتى به منزل المرأة، قال: وأخذ القدر، فجعل فيها شيئًا من دقيق، وشيئًا من شحم وتمر، وجعل يحركه بيده، وينفخ تحت القدر، قال أسلم: وكانت لحيته عظيمة، فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته، حتى طبخ لهم، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا، ثم خرج وريض - (جلس) - بحذائهم كأنه سبيع، وخفت منه أن أكلمه، فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا، ثم قال: يا أسلم، أتدري لم ربيضت بحذائهم؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين، قال: رأيتهم يبكون، فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون، فلما ضحكوا طابت نفسي. (تاريخ دمشق ٤٤/٣٥٢)

قال الحسن البصرى: لأن أقضي حاجة لمسلم أحبُّ إلي من أن أعتكف شهرين. (قضاء الحوائج ٤٨)

قال الحسن: والله لقد أدركتُ أقوامًا كان أحدهم يخلف أخاه في أهله أربعين عامًا بعد موته ينفق عليهم. (حليه الأولياء ٤ / ٢٤٢)

قال شعبة بن الحجاج: لما توفي الزبير بن العوام، لقي حكيم بن حزام عبد الله بن الزبير فقال: كم ترك أخي من الدين؟ قال: ألف ألف (أي مليون) قال على خمسمائة الف . (سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٠)

قال فيض بن إسحاق: كنتُ عند الفضيل بن عياض فجاءه رجل فسأله حاجةً فألحَّ بالسؤال عليه فقلت له: لا تؤذ الشيخ فقال لي الفضيل: اسكت يا فيض أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملوا النعم فتتحول ألا تحمد ربك أن جعلك موضعًا تُسأل (أي: يطلب الناس منك المساعدة) ولم يجعلك موضعًا تُسأل؟! (أي: تطلب المساعدة من غيرك).

(لباب الألباب لاسامة بن منقذ ١ / ٣١٧)

قال عبيد الله بن الشميظ رحمه الله: جاءت امرأة إلى الحسن البصري رحمه الله تشكو الحاجة، فقالت: إني جارتك، قال كم بيني وبينك؟ قالت: سبع دُور، أو قالت: عشر، فنظر تحت الفراش، فإذا ستة دراهم أو سبعة، فأعطاها إياها، وقال: كدنا نهلك. (مكارم الأخلاق ٨٣ رقم ٣٣٤)

قال كلثوم بن جوشن رحمه الله: استعان رجل بالحسن البصري في حاجة، فخرج معه، فقال الرجل: إني استعنت بابن سيرين وفرقد، فقالا: حتى نشهد الجنازة، ثم نخرج معك، قال: أما إنها لو مشيا معك لكان خيرًا. (الطبقات لابن سعد ٧ / ١٢٥)

بعث الحسن البصري قوما من اصحابه في قضاء حاجه لرجل. وقال لهم مروا بثابت البناني فخذوة معكم فأتوا ثابت فقال انى معتكف فرجعوا الى الحسن فأخبروه فقال . قولوا له يا اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجه اخيك المسلم خير لك من حجه بعد حجه . فرجعوا الى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم . (البر والصله لابن الجوزى ٢٤٧)

استعان رجل بثابت البناني رحمه الله على القاضي في حاجة، فجعل لا يمر بمسجد إلا نزل فصلى حتى انتهى إلى القاضي، فكلمه في حاجة الرجل فقضاها، فأقبل ثابت على الرجل، فقال: لعله شقَّ عليك ما رأيت؟ قال: نعم، قال: ما صليت صلاةً إلا طلبت إلى الله تعالى في حاجتك. (حلية الأولياء ٢ / ٣٢١)

جاء رجل إلى ابن المبارك : فسأله أن يقضي ديناً عليه فكتب إلى وكيل له فلما ورد عليه الكتاب قال

الوكيل للرجل: كم الدين الذي سألته قضاءه قال: سبعمائة درهم وإذا ابن المبارك قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم فراجعه الوكيل وقال إن الغلات قد فنيت فكتب إليه عبدالله: إن كانت الغلات قد فنيت فإن العمر أيضاً فنى فأجز ما سبق به قلبي. (صفه الصفوة ٢/٣٢٨)

خرج عبدالله بن المبارك مرة إلى الحج، فاجتاز ببعض البلاد فمات طائر معهم فأمر بإلقائه على مزبلة وسار أصحابه أمامه وتخلف هو وراءهم، فلما مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها فأخذت ذلك الطائر الميت فكشفت عن أمرها وفحصت، حتى سألتها فقالت: أنا وأختي ها هنا ليس لنا شيء وقد حلت لنا الميتة، وكان أبونا له مال عظيم، فظلم وأخذ ماله وقُتِل فأمر عبدالله بن المبارك برد الأحمال وقال لو كيلاه: كم معك من النفقة؟ فقال: ألف دينار، فقال: عد منها عشرين ديناراً تكفيننا إلى مرو، وأعطها الباقي فهذا أفضل من حجنا في هذا العام ثم رجع. (البدايه والنهايه ٩/١٨٤)

قال أبو داود الطيالسي: كنا عند شعبة بن الحجاج فجاء سليمان بن المغيرة يبكي، وقال: مات حماري، وذهبت مني الجمعة، وذهبت حوائجي، قال: بكم أخذته؟ قال: بثلاثة دنانير، قال شعبة: فعندي ثلاثة دنانير، والله ما أملك غيرها، ثم دفعها إليه. (سير أعلام النبلاء ٧/٢١١)

قال عبدالله بن رجاء الغداني البصري: كان لأبي حنيفة جار إسكاف (صانع الأحذية) يعمل نهاره أجمع فإذا جنَّ الليل رجع إلى منزله وقد حمل لحماً فطبخه أو سمكة فشواها ثم لا يزال يشرب حتى إذا دبَّ الشراب فيه غزل بصوت يقول: أضاعوني وأي فتى أضاعوا. ليوم كريبه وسداد ثغر. فلا يزال يشرب الخمر ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم، وكان أبو حنيفة يصلي الليل كله، ففقد أبو حنيفة ليلةً صوته، فاستخبر عنه، فقيل: أخذه العسس وهو محبوس، فلما صلى أبو حنيفة الصبح من غده ركب بغلته، وجاء الأمير فاستأذن عليه، فأذن له وألا ينزل حتى يظأ البساط، فلم يزل الأمير يوسع له في مجلسه حتى أنزله مساوياً له؛ فقال: ما حاجتك؟ فقال: إسكاف أخذه الحرس ليأمر الأمير بتخليته، قال: نعم، وكل من أخذ معه تلك الليلة، فخلى جميعهم، فركب أبو حنيفة والإسكاف يمشي وراءه، ولما نزل مضى إليه، وقال: يا فتى أضعناك؟ قال: لا، بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجار ورعاية الحق، وتاب الرجل، ولم يعد إلى ما كان فيه. (تاريخ بغداد ١٥/٤٨٧)

روى عن ابن المقفع رحمه الله أن جازاً له يبيع داره في دين ركبته، وكان يجلس في ظل دار هذا الجار، فقال:

ما قمت إذا بحرمة ظل داره إن باعها معدماً (محتاجاً) فدفعت إليه ثمن الدار، وقال: لا تبعها.

(إحياء علوم الدين ٢/ ٢٣١)

عن ابن شبرمة: أنه قضى حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهدية فقال: ما هذا؟ قال: لما أسديتني إليّ فقال: خذ مالك عافاك الله إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات وعده من الموتى. (تاريخ دمشق ٣٤/ ٣٠٧)

عن عبدالله بن الحسن بن الحسين رضي الله عنهم قال: أتيت باب عمر بن عبدالعزيز في حاجة فقال: إذا كانت لك حاجة إليّ فأرسل إليّ رسولاً، أو اكتب لي كتاباً، فإني لأستحي من الله أن يراك بياي. (المستطرف للابشهي ١٣٦)

قال الفضل بن سهل لثامه بن الاشرس: ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب؟ فقال: زل عن موضعك وعليّ ألا يلقاك منهم أحد فقال: له: صدقت وجلس لهم في قضاء حوائجهم. (حلية الأولياء ٤/ ١٠)

قال عبدان بن عثمان الأزدي: ما سألتني أحدٌ حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بيالي، فإن تم وإلا استعنت بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت بالسلطان. (سير أعلام النبلاء ١٠/ ٢٧١)

٣٠- باب الشفاعة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا [النساء: ٨٥].

٢٤٦- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَتَاهُ طَالِبٌ حَاجَةً أَقْبَلَ عَلَى جُلْسَائِهِ فَقَالَ: « اشفَعُوا تُوجَرُوا وَيَقْضَى اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ » متفق عليه . وفي رواية: « مَا شَاءَ » .

٢٤٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة بريرة وزوجها . قال: قال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لَو رَاجَعْتِهِ ؟ » قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: « إِنَّمَا أَشْفَعُ » قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ . رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي

بالنميمة بين الناس. وقال مجاهد: هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤجر الشفيع على شفاعته وإن لم يشفع. (تفسير البغوى ٢/٢٥٧)

عن قتادة في قوله: يكن له نصيب منها قال: حظ منها. (تفسير الطبرى ٨/٥٨٢)
سئل ابن زيد عن قول الله: من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها. قال: الشفاعة الصالحة التي يشفع فيها وعمل بها هي بينك وبينه، هما فيها شريكان. ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
قال: هما شريكان فيها، كما كان أهلها شريكين. (تفسير الطبرى ٨/٥٠٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عمر رضي الله عنه: سيكون بعدنا قوم يكذبون بالرجم ويكذبون بالحوض ويكذبون بالشفاعة ويكذبون بعذاب القبر ويكذبون بقوم يخرجون من النار. (الشريعة للاجرى ٣٣٧)
عن ابن عمر قال: لقد بلغت الشفاعة يوم القيامة حتى أن الله عز وجل ليقول للملائكة: أخرجوا برحمتي من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. قال: ثم يخرجهم حفنات بيده بعد ذلك. (الشريعة للاجرى ٣٤٦)

قال ابن عمر رضي الله عنهما: يجيء القرآن يشفع لصاحبه، يقول: يا رب لكلّ عامل عمالة من عمله، وإني كنت أمنعه اللذة والنوم فأكرمه، فيقال: ابسط يمينك فيملاً من رضوان الله، ثم يقال: ابسط شمالك فيملاً من رضوان الله، ويكسى كسوة الكرامة، ويحلّى حلية الكرامة ويلبس تاج الكرامة. (سنن الدارمي ٢/٥٢٣ رقم ٣٣١٢)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون له قائدا إلى الجنة، ويشهد عليه، ويكون سائقا به إلى النار. (سنن الدارمي ٢/٥٢٥ رقم ٣٣٢٥)
عن عبدالله بن مسعود: قال: لا تزال الشفاعة بالناس وهم يخرجون من النار، حتى إن إبليس الأبالس ليتناول لها رجاء أن تصيبه. (الطبراني في الكبير ١٠/٢١٥)

قول ابن مسعود في تفسير قوله تعالى عن اليهود: (أَكَاوُنَ لِلشُّحْتِ) : الشُّحْتِ : أن تطلب لأخيك الحاجة فتُقضى؛ فيهدي إليك هدية فتقبلها منه. (تفسير الطبري ٨/٤٣٣)

قال ابن عباس: السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم. (ابن كثير ٣/٥٥٥)

قال ابن عباس ما يزال الله تبارك وتعالى يدخل الجنة ويشفع، حتى يقول: ومن كان مسلماً فليدخل الجنة. فذلك قوله: (رَبِّمَا يَوْمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ). (الحجر ٢). (الزهد لهناد ١٩٠)
قال انس: من كذب بالشفاعة فليس له فيها نصيب ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب.
(الزهد لهناد ١٨٩)

عن جابر رضي الله عنه: الشفاعة بينة في كتاب الله (ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نحوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين). (تاريخ دمشق ٢٥٦/٦٥)

قال الحسن البصري : استكثروا في الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة. (معارج القبول ٢/٨٢٧)
قال عبد الله محمد بن إبراهيم ابن كثير: دخلنا على أبي نواس نعوذ في مرضه الذي مات فيه فقال له عيسى بن موسى الهاشمي: يا أبا علي أنت في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة وبينك وبين الله هنات فتب إلى الله. قال لهم أبو نواس: أسندوني فلما استوى جالساً. قال: إياي تخوف بالله وقد حدثني حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك قال: قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: لكل نبي شفاعة وإني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة أفترى لا أكون منهم؟!.
(تاريخ بغداد ١/٣٩٦)

قال ابن تيمية: وأما الهدية في الشفاعة مثل أن يشفع لرجل عند ولي أمر ليرفع عنه مظلمة أو يوصل إليه حقه أو يولي ولاية يستحقها أو يستخدمه في الجند المقاتلة وهو مستحق لذلك أو يعطيه من المال الموقوف على الفقراء أو الفقهاء أو القراء أو النساك أو غيرهم وهو من أهل الاستحقاق ونحو هذه الشفاعة التي فيها إعانة على فعل واجب أو ترك محرّم ؛ فهذه أيضاً لا يجوز فيها قبول الهدية ويجوز للمهدي أن يبذل في ذلك ما يتوصل به إلى أخذ حقه أو دفع الظلم عنه . هذا هو المنقول عن السلف والأئمة الأكابر . وقد رخص بعض المتأخرين من الفقهاء في ذلك وجعل هذا من باب " الجعالة " وهذا مخالف للسنة وأقوال الصحابة والأئمة . فهو غلط لأن مثل هذا العمل هو من المصالح العامة التي يكون القيام بها فرضاً إما على الأعيان وإما على الكفاية . (مجموع الفتاوى ٣١ / ٢٨٦)

قال القحطاني في نونيته :

ودخول بعض المسلمين جهنما
والله يرحمهم بصحة عقدهم
وشفيعهم عند الخروج محمد
حتى إذا طهروا هنالك أدخلوا
فالله يجمعنا وإياهم بها
من غير تعذيب وغير هوان
وكبائر الآثام والطغيان
ويبدلوا من خوفهم بأمان
وطهورهم في شاطيء الحيوان
جنات عدن وهي خير جنان

الآثار العملية من حياة السلف :

قال عروة بن الزبير: لقي الزبير سارقا فشفع فيه، فقبل له حتى يبلغ الإمام، فقال: إذا بلغ الإمام فلعن الله الشافع والمشفع. (مصنف ابن أبي شيبة ١٢ / ٨٧)

قال عكرمة رحمه الله تعالى: إن عباسا وعمارا والزبير أخذوا سارقا فخلّوا سبيله فقلت لابن عباس: بشما صنعتم حين خلّيتم سبيله، فقال: لا أم لك! أما لو كنت أنت لسرك أن يُخلّى سبيلك. (مصنف ابن أبي شيبة ١٢ / ٩٠)

عن الحسن بن سهل: وقد جاءه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن: تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ الحسن يقول: فُرِضت علي زكاة ما ملكت يدي وزكاة جاهي أن أعين وأشفعا فإذا ملكت فجد وإن لم تستطع فاجهد بوسعك كله أن تنفعا. (تاريخ بغداد ٧ / ٣٢٢)

عن بكر بن شاذان وأبي الفضل التميمي: أنه جرى بينهما كلام، فبدرت من أبي الفضل كلمة ثقلت على بكر وانصرف ثم ندم التميمي فقصد أبا بكر ابن يوسف وقال له: قد كلمت بكراً بشيء جفا عليه وندمت على ذلك، وأريد أن تجمع بيني وبينه، فقال له ابن يوسف: سوف نخرج لصلاة العصر فخرج بكر وجاء إلى ابن يوسف والتميمي عنده فقال له: التميمي أسألك بالله أن تجعلني في حل، فقال بكر: سبحان الله والله ما فارقتك حتى أحللتك، وانصرف فقال التميمي: قال لي والدي: يا عبد الواحد احذر من أن تخاصم من إذا نمت كان متبهاً. (تاريخ بغداد ٧ / ٩٧)

قال معاوية الضرير: دعاني هارون أمير المؤمنين لأحدثه فدخلت عليه أول الليل، فحدثته إلى أن مضى من الليل هزيع. فقال لي: حاجتك يا أبا معاوية فقلت سلم بن سالم هبه لي. قال: فاستوى جالساً فعرفت

الغضب في وجهه وفي كلامه فقال: إن سلماً ليس على رأيك ورأى أصحابك على الإرجاء وقد جلس في المسجد الحرام يقول: لو شئت أن أضرب أمير المؤمنين ببائة ألف سيف لفعلت، وليس هذا رأيك، ولا رأي أصحابك، ثم سكن. فقال: حدثنا، فتحدثنا عامة الليل فقال: حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أرسل إليّ أنه لا يقدر على الصلاة من كثرة قيوده، فقال لحسين الخادم وهو قائم على رأسه: كم عليه من القيود؟ قال: لا أدري قيده هرثمة، فصار إلى هرثمة، فقال: كم على سلم بن سالم من القيود؟ قال: اثنا عشر قيداً. قال: فك ثمانية عنه، ودع أربعة، فأرسل إلى سلم جزاك الله خيراً، فرجت عني توضأت وصليت. (تاريخ بغداد ٩/١٤٢)

عن أبي مسعود عقبة بن عمرو أنه أتى إلى أهله فإذا هدية فقال ما هذا فقالوا الذي شفعت له فقال أخرجوها أتعجل أجر شفاعتي في الدنيا؟ (مصنف ابن أبي شيبة ٢١٢٦١)

عن مسلم بن صبيح قال: شفع مسروق لرجل في حاجة فأهدى له جارية فغضب غضباً شديداً وقال: لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك ولا أكلم فيما بقي من حاجتك سمعت ابن مسعود يقول: من شفع شفاعته ليرد بها حقاً أو يرفع بها ظلماً فأهدى له فقبل فهو سحت.

(تفسير الطبري ٨/٤٣٢)

٢١- باب الإصلاح بين الناس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ [النساء: ١١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: وَالصُّلْحُ خَيْرٌ [النساء: ١٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ [الأنفال: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ [الحجرات: ١٠].

٢٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدُلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ» متفق عليه. «ومعنى تَعْدُلُ بَيْنَهُمَا» تُصْلِحُ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ.

٢٤٩- وعن أم كلثوم بنت عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ رضي الله عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « لَيْسَ الْكُذَّابُ الَّذِي يُضِلُّحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا ، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا » متفق عليه . وفي رواية مسلمٍ زيادة ، قالت : وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرْخِصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ ، تَعْنِي : الْحَرْبَ ، وَالْإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ ، وَحَدِيثَ الْمَرْأَةِ زَوْجَهُ .

٢٥٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَ خُصُومٍ بِالْبَابِ عَالِيَةٍ أَصْوَاتِهِمَا ، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ ، وَهُوَ يَقُولُ : وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « أَيُّنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ؟ » فقال : أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَلَهُ أَيُّ ذَلِكَ أَحَبُّ . متفقٌ عليه .

معنى « يَسْتَوْضِعُهُ » : يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعْضَ دِينِهِ . « وَيَسْتَرْفِقُهُ » : يَسْأَلُهُ الرَّفْقَ « وَالْمُتَأَلِّي » : الْحَالِفُ .

٢٥١- وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلَغَهُ أَنَّ بَنِي عَمْرِو بن عَوْفٍ كان بينهم شَرٌّ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُضِلُّحُ بَيْنَهُمْ فِي أَنَاسٍ مَعَهُ ، فَحُبِسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَانَتِ الصَّلَاةُ ، فَجَاءَ بِلَالٌ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما فقال : يَا أَبَا بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حُبِسَ ، وَحَانَتِ الصَّلَاةُ ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَوْمَّ النَّاسَ ؟ قال : نَعَمْ إِنْ شِئْتَ ، فَأَقَامَ بِلَالٌ الصَّلَاةَ ، وَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ ، وَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْشِي فِي الصُّفُوفِ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَأَخَذَ النَّاسُ فِي التَّصْفِيْقِ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيْقَ انْتَفَتَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدَهُ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَرَجَعَ الْقَهْقَرَى وَرَاءَهُ حَتَّى قَامَ فِي الصَّفِّ ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَصَلَّى لِلنَّاسِ ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ مَا لَكُمْ حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلَاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصْفِيْقِ ؟ ، إِنَّمَا التَّصْفِيْقُ لِلنِّسَاءِ . مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ فَلْيَقُلْ : سُبْحَانَ اللَّهِ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ حِينَ يَقُولُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ، إِلَّا انْتَفَتَ . يَا أَبَا بَكْرٍ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ حِينَ

أَشْرَتْ إِلَيْكَ ؟ » فقال أَبُو بَكْرٍ : مَا كَانَ يَنْبَغِي لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . متفقٌ عليه . معنى « حُبْسٍ » : أَمْسَكُوهُ لِيُضَيِّقُوهُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال الواحدي رحمه الله: النجوى في اللغة : سر بين اثنين. (التفسير الكبير للرازي ص ٥)

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس : من جاءك يناجيك في هذا فاقبل مناجاته، ومن جاء يناجيك في غير هذا فاقطع أنت عنه ذلك، لا تناجيه. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٥)

محمد بن يزيد بن خنيس قال : دخلنا على سفیان الثوري نعوذ ومعنا سعيد بن حسان المخزومي فقال له سفیان : أعد علي الحديث الذي كنت حدثتني عن أم صالح، قال : حدثتني أم صالح بنت صالح، عن صفية بنت شيبة، عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام ابن آدم كله عليه لا له، إلا أمرا بمعروف، أو نهيا عن منكر، أو ذكرا لله عز وجل، فقال محمد بن يزيد : ما أشد هذا الحديث! فقال سفیان : وما شدة هذا الحديث؟ إنما جاءت به امرأة، عن امرأة، هذا في كتاب الله الذي أرسل به نبيكم صلى الله عليه وسلم أما سمعت الله يقول : لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ؟ فهو هذا بعينه، أو ما سمعت الله يقول : يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا (النبأ ٣٨) فهو هذا بعينه أو ما سمعت الله يقول : والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر (العصر ١-٣) ؟ فهو هذا بعينه. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٦)

عن ابن عباس في الآية قال : تلك المرأة تكون عند الرجل لا يرى منها كثيرا مما يجب، وله امرأة غيرها أحب إليه منها، فيؤثرها عليها، فأمر الله إذا كان ذلك أن يقول لها : يا هذه، إن شئت أن تقيمي على ما ترين من الأثرة فأواسيك وأنفق عليك فأقيمي، وإن كرهت خليت سبيلك، فإن هي رضيت أن تقيم بعد أن يخيبرها فلا جناح عليه، وهو قوله : والصلح خير يعني أن تخير الزوج لها بين الإقامة والفرار خير من تمادي الزوج على أثرة غيرها عليها. عن ابن عباس في الآية قال : هو الرجل تكون تحته المرأة الكبيرة فينكح عليها المرأة الشابة، ويكره أن يفارق أم ولده، فيصلحها على عطية من ماله ونفسه،

فيطيب له ذلك الصلح. (تفسير الدر المنثور ٥/٦٨)

عن ابن عباس! فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم " قال هذا تحريج من الله على المؤمنين أن يتقوا ويصلحوا ذات بينهم قال عباد قال سفيان : هذا حين اختلفوا في الغنائم يوم بدر. عن ابن جريج قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفل الرجل على قدر جده وغنائه على ما رأى ، حتى إذا كان يوم بدر ، وملاً الناس أيديهم غنائم ، قال أهل الضعف من الناس : ذهب أهل القوة بالغنائم ! فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : " قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم " ليرد أهل القوة على أهل الضعف. (تفسير الطبرى ١٣ / ٣٨٤)

قوله تعالى : إنما المؤمنون إخوة أي في الدين والحرمة لا في النسب ، ولهذا قيل : أخوة الدين أثبت من أخوة النسب ، فإن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين ، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. قوله تعالى : فأصلحوا بين أخويكم أي بين كل مسلمين تحاصمًا . وقيل : بين الأوس والخزرج. (تفسير القرطبي ١٦ / ٢٩٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن موسى بن عقبة أن عمر بن الخطاب كتب إلى أبي موسى أو معاوية: أما بعد فالزم خمس خلال يسلم لك دينك، وتظفر بأفضل حظك: عليك بالبينة العادلة، والأيمان القاطعة وإدناء الضعيف حتى ييسر لسانه، ويقوى قلبه، وتعهد الغريب فإنه إذا طال احتباسه ترك حقه ولحق بأهله، وإنما أبطل حقه من أرجأ أمره، ولم يرفع به رأساً، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يتبين لك وجه القضاء، والسلام. (أنساب الأشراف ٣ / ٤٢٢)

قال عمر بن الخطاب قال: ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس. (سنن البيهقي ٦ / ٦٦)

عن حسان بن عطية قال: شكى رجل إلى أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه أخاه؛ فقال: سينصرك الله عز وجل عليه؛ فوفد إلى معاوية، فأجازه معاوية بمائة دينار؛ فقال له أبو الدرداء: هل علمت أن الله قد نصرك على أخيك، وفد على معاوية، فأجازه بمائة دينار، وولد له غلام. (حلية الأولياء ١ / ٢٢٣)

قال أنس رضي الله عنه: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة. (القرطبي ٥ / ٣٨٥)

قال أبو أمامة: امش ميلاً وعد مريضاً وامش ميلين وزر أخاً في الله وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين.

(شرح الأربعين النووية ١/٧٧)

عن عبد الله بن ثابت قال: كنت عند محمد بن كعب فقال له محمد: أين كنت؟ قال: كان بين قومي شيء فأصلحت بينهم. قال: أصبحت لك مثل أجر المجاهدين في سبيل الله ثم قرأ: (لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ). (تفسير ابن حاتم ٤/١٠٦٥)

قال الفضيل بن عياض: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً فقل يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب للتقوى فإن قال: لا يحتل قلبي العفو ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل قل: فإن كنت تحسن تتصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله وصاحب العفو ينال الليل على فراشه وصاحب الانتصار يقلب الأمور. (حليه الاولياء ٥/١١٢)

قال سفيان بن عيينة: لو أن رجلاً اعتذر إلى رجلٍ فحرّف الكلام ليرضيه بذلك، لم يكن كاذباً، يتأول الحديث: ((ليس بالكاذب الذي يُصلح بين الناس)) فأصلحه ما بين وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس. (شرح السنه للبعوى ١٣/١٢٠)

وقال الأوزاعي: ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة من إصلاح ذات البين ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار. (تفسير القرطبي ٥/٣٨٥)

قال بن شهاب: ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها. (البخاري ٢٦٩٢ - مسلم ٢٦٠٥)

قال ابن المعتز: استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره. (زهر الأداب وثمر الألباب ١/٤٩٥)

قال ابن بابويه: إن الله عز وجل أحبّ الكذب في الإصلاح وأبغض الصدق في الفساد.

(منهاج الصالحين للبلقي ٤٢٠)

قال ابن جرير الطبري: لا تجعلوا الله قوةً لأيمانكم في ألا تبرؤوا، ولا تتقوا، ولا تصلحوا بين الناس، ولكن إذا حلف أحدكم، فرأى الذي هو خيرٌ مما حلف عليه؛ من ترك البر والإصلاح بين الناس فليحنت في يمينه، وليبر، وليتق الله، وليصلح بين الناس، وليكفر عن يمينه. (جامع البيان ٢/٤٠٢)

قال القرطبي: من شفع شفاعة حسنة لصلح بين اثنين استوجب الأجر. (تفسير القرطبي ٥/٢٩٥)

قال ابن كثير: من سعى في أمرٍ فترتب عليه خير كان له نصيب من ذلك. (تفسير ابن كثير ٥/٢٩٥)

قال ابن القيم: فالصلح الجائز بين المسلمين هو الذي يعتمد فيه رضا الله سبحانه ورضا الخصمين، فهذا أعدل الصلح وأحقه، وهو يعتمد العلم والعدل، فيكون المصلح عالما بالوقائع، عارفا بالواجب، قاصدا للعدل، فدرجة هذا أفضل من درجة الصائم القائم. (اعلام الموقعين ١ / ١٠٩ - ١١٠)

قال المقنع الكندي: (الإيمان لابن منده ص ٣٤)

وإن الذي بيني وبين بني أبي
بين بني عمي لمختلف جدا
إذا قدحو الي نار حرب بزندهم
قدحت لهم في كل مكرمة زندا
وإن أكلوا الحمي وفرت لحومهم
وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم
وليس رئيس القوم مني حمل الحقدًا

الآثار العملية في حياة السلف :

روي أن ابن أبي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر رضي الله عنه كان يخلع النساء اللاتي يتزوج بهن، فطارت له في الناس من ذلك أحوثة يكرهها، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن الأرقم حتى أتى به إلى منزله، ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضيني؟ قالت: لا تنشدني، قال: فإني أنشدك الله، قالت: نعم. فقال لابن الأرقم: أسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال: إنكم لتحدثون أني أظلم النساء وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم. فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبي عذرة فجاءت هي وعمتها، فقال: أنت التي تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إني أول من تاب وراجع أمر الله تعالى. إنه ناشدني فتحرّجت أن أكذب. أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فاكذبي، فإن كان إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدّثه بذلك؛ فإن أقل البيوت الذي بني على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب. (البخاري - الفتح ٥ (٢٦٩٣))

الحسن بن علي رضي الله عنه؛ فإن الله أصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين، كما جاء في الصحيح أنه لما تواجه معاوية والحسن رضي الله تعالى عنهما، فقال عمرو: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها، فقال له معاوية - وكان والله خير الرجلين - : أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، فمن لي بأمور الناس؟ من لي بنسائهم؟ من لي بضيعتهم؟ فبعث إليه رجلين من قريش، فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه، فأتياه، فقبل رضي الله عنه الصلح، ورجع عن القتال، وهذا مصداق ما أخبر به صلى الله عليه وسلم "أنه التفت إلى الحسن مرة وإلى الناس، فقال: (إن ابني

هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين). (البخارى رقم ٢٧٠٤)

٢٢ - باب فضل ضيعة المسلمين والفقراء والمساكين

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ [الكهف : ٢٨] .

٢٥٢- عن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لِأَبْرِهِ ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ ؟ كُلُّ عَتَلٍ جَوَاطِظٍ مُسْتَكْبِرٍ » . متفقٌ عليه . « الْعُتْلُ » : الْغَلِيظُ الْجَافِي . « وَالْجَوَاطِظُ » بفتح الجيم وتشديد الواو وبالطاء المعجمة وهو الجموعُ المنوعُ ، وقيل : الضخْمُ الْمُخْتَالُ فِي مِشِيَّتِهِ ، وقيل : الْقَصِيرُ الْبَطِينُ .

٢٥٣- وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : مرَّ رجلٌ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لرجلٍ عنده جالسٍ : « مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا ؟ » فقال : رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشْفَعَ . فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا رَأَيْكَ فِي هَذَا ؟ » فقال : يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشْفَعَ ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِاءِ الْأَرْضِ مِثْلُ هَذَا » متفقٌ عليه . قوله : « حَرِيٌّ » هو بفتح الحاء وكسر الراء وتشديد الياء : أي حَقِيقٌ . وقوله : « شَفَعَ » بفتح الفاء

٢٥٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « اِخْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ : فِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِي ضُعَفَاءِ النَّاسِ وَمَسَاكِينِهِمْ فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الْجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أَعْدَبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ ، وَلِكُلِّكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا » رواه مسلم .

٢٥٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ

السَّمِينُ الْعَظِيمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ « متفقٌ عليه .

٢٥٦- وعنه أَنَّ امْرَأَةً سُودَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ الْمَسْجِدَ ، أَوْ شَابًا ، فَفَقَدَهَا ، أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَ عَنْهَا أَوْ عَنْهُ ، فَقَالُوا : مَاتَ . قَالَ : « أَفَلَا كُنْتُمْ أَذْنُتُمُونِي » فَكَأَنَّهُمْ صَغَرُوا أَمْرَهَا ، أَوْ أَمْرَهُ ، فَقَالَ : ذُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ « فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ هَذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا هُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ » متفقٌ عليه . قوله : « تَقُمُّ هُوَ بفتح التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ : أَي تَكْنُسُ . « وَالْقِيَامَةُ » : الْكُنَاسَةُ . « وَأَذْنُتُمُونِي » بِمَدِّ الْهَمْزَةِ : أَي : أَعْلَمْتُمُونِي .

٢٥٧- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « رَبِّ أَشَعْتَ أَخْبَرَ مَذْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ » رواه مسلم .

٢٥٨- وعن أسامة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا عَامَّةٌ مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ ، وَأَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أَمْرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ . وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةٌ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ » متفقٌ عليه .

« وَالْجَدُّ بِفتح الجيم : الحظُّ والغني . وقوله : « مَحْبُوسُونَ » أَي : لَمْ يُؤْذَنَ لَهُمْ بَعْدُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ .

٢٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ : عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ ، وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا ، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا ، فَاتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فَقَالَ : يَا رَبُّ أُمِّي وَصَلَاتِي فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ فَانصرفتَ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي ، فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ ، فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي . فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي فَقَالَتْ : يَا جُرَيْجُ فَقَالَ : أَيُّ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي ، فَأَقْبَلَ عَلَى صَلَاتِهِ ، فَقَالَتْ : اللَّهُمَّ لَا تُنْتِهَ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى وُجُوهِ الْمُؤْمِسَاتِ . فَتَذَاكَّرَ بَنُو إِسْرَائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتِمَّلُ بِحُسْنِهَا ، فَقَالَتْ : إِنَّ سِتْمًا لَأَقْتِنَنَّه ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ ، فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا ، فَأَنْتَ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَى صَوْمَعَتِهِ ، فَأَمَكَّتَهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَقَعَ عَلَيْهَا . فَحَمَلَتْ ، فَلَمَّا وُلِدَتْ قَالَتْ : هُوَ جُرَيْجُ ، فَاتَّوَهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟

قالوا: زَنَيْتَ بِهَذِهِ الْبَغِيِّ فَوَلَدْتُ مِنْكَ . قال : أَيْنَ الصَّبِيِّ ؟ فَجَاءُوا بِهِ فَقَالَ : دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّيَ فَصَلَّى ، فَلَمَّا انصَرَفَ أَتَى الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ وَقَالَ : يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ ؟ قال : فُلَانُ الرَّاعِي ، فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقْبَلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ وَقَالُوا : نَبِيٌّ لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ قال : لا ، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ ، فَفَعَلُوا . وَبَيْنَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ ، فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى دَابَّةٍ فَاِرِهَةً وَشَارَةَ حَسَنَةً فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذَا ، فَتَرَكَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهِ فَجَعَلَ يَرْضَعُ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِأُصْبُعِهِ السَّبَابَةِ فِي فِيهِ ، فَجَعَلَ يَمْصُهَا ، قال : « وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا ، وَيَقُولُونَ : زَنَيْتَ سَرَقَتِ ، وَهِيَ تَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . فَقَالَتْ أُمُّهُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا ، فَتَرَكَ الرِّضَاعَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلَنِي مِثْلَهَا ، فَهُنَالِكَ تَرَجَعَا الْحَدِيثِ فَقَالَتْ : مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ ، وَمَرُّوا بِهَذِهِ الْأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ : زَنَيْتَ سَرَقَتِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهَا فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلَنِي مِثْلَهَا ؟ ، قَالَ : إِنَّ ذَلِكَ الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَنِي مِثْلَهُ ، وَإِنَّ هَذِهِ يَقُولُونَ لَهَا زَنَيْتِ ، وَلَمْ تَزِنِ ، وَسَرَقَتْ ، وَلَمْ تَسْرِقْ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ اجْعَلَنِي مِثْلَهَا » متفق عليه . « وَالْمُومِسَاتُ » : بَضَمٌ الْمِيمِ الْأُولَى ، وَإِسْكَانُ الْوَاوِ وَكَسْرُ الْمِيمِ الثَّانِيَةِ وَبِالْسِينِ الْمَهْمَلَةِ وَهُنَّ الزَّوَانِي . وَالْمُومِسَةُ : الزَّانِيَةُ . وَقَوْلُهُ : « دَابَّةٌ فَاِرِهَةٌ » بِالْفَاءِ : أَيِ حَاذِقَةٌ نَفِيسَةٌ . « الشَّارَةُ » بِالشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَتَخْفِيفِ الرَّاءِ : وَهِيَ الْجَمَالُ الظَّاهِرُ فِي الْهَيْئَةِ وَالْمَلْبَسِ . وَمَعْنَى وَصَلِ « تَرَجَعَا الْحَدِيثِ » أَيِ : حَدَّثْتَ الصَّبِيَّ وَحَدَّثَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن زيد في قوله : واصبر نفسك . الآية قال : قال القوم للنبي صلى الله عليه وسلم : إنا نستحي أن نجالس فلانا وفلانا وفلانا فجانبهم يا محمد وجالس أشرف العرب فتزل القرآنواصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم ولا تحقرهم ، قال : قد أمروني بذلك ، قال : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا . (الطبرى ١٨ / ٦)

عن ابن عباس في قوله : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . قال : نزلت في أمية بن خلف؛ وذلك أنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى أمر كرهه الله؛ من طرد الفقراء عنهم، وتقريب صنائيد أهل مكة، فأنزل الله : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا . يعني : من ختمنا على قلبه، يعني التوحيد . واتبع هواه . يعني الشرك، وكان أمره فرطاً : يعني فرطاً في أمر الله، وجهالة بالله. (تفسير الدر المنثور ٩/٥٢٧)

عن ابن عباس في قوله : مع الذين يدعون ربهم . قال : يعبدون ربهم . وقوله : ولا تعد عينك عنهم . يقول : لا تتعدهم إلى غيرهم. (تفسير الدر المنثور ٩/٥٢٨)

عن نافع قال : أخبرني عبد الله بن عمر في هذه الآية : واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم . أنهم الذين يشهدون الصلوات المكتوبة. (تفسير الدر المنثور ٩/٥٢٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عكرمة: قال لقمان لابنه: قد ذقت المرارة، فليس شيء أمر من الفقر وحملت الحمل الثقيل فليس شيء أثقل من جار السوء ولو أن الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب. (حلية الأولياء ٣/٣٣٧)

قال عبد الله بن عمرو: تجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فبرزون فيقولون: ما عندكم؟ فتقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا قال: فيقال: صدقتم قال: فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال. (حلية الأولياء ١/٢٨٩)

قال أبو الدرداء: ثلاث أحبهن ويكرههن الناس: الفقر والمرض والموت. (حلية الأولياء ١/٢١٧)

قال أبي هريرة: رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب، فمنهم من يبلغ ركبتيه، ومنهم من هو أسفل من ذلك؛ فإذا ركع أحدهم: قبض عليه، مخافة أن تبدو عورته. (حلية الأولياء ١/٣٤١)

قال واثلة بن الأسقع: كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار. (حلية الأولياء ١/٣٤١)

قال عمرو بن العاص: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة أحب إلي من أن أكون عاشر عشرة أغنياء فإن الأكثرين: هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا يقول: يتصدق يميناً وشمالاً. (حلية الأولياء ١/٢٨٨)

عن يزيد بن ميسرة: أنه كان يقول: من رد سائلاً فقد قتله. (حلية الأولياء ٥/٢٤٢)

قال الخواص: الفقر يعمل على الإخلاص وجماء القلب وحضوره للعمل والغني يعمل على كثرة الوسواس وتفارقة القلب في مواضع الأعمال. (حلية الأولياء ١٠/٣٢٧-٣٢٨)

قال عون بن عبد الله: يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفاً مثله كمثل سفيتتين في هذا البحر مرت واحدة وليس فيها شيء فقال صاحب البحر: خلوا سبيلها ومرت الأخرى موقرة فحبست لينظر ما فيها. (حلية الأولياء ٤/٢٥٤)

قال رجاء بن أبي سلمة: قلت لحسان بن أبي سنان: أما تحدثك نفسك بالفاقة؟ قال: بلى قلت: فبأي شيء تردها؟ قال: أقول لها وكان ذلك تأخذين المسحاة فتجلسين مع الفعلة فتكتسبين دانقاً أو دانقين تعيشين بهما فتسكن. (حلية الأولياء ٣/١١٧)

عن طاووس: أنه رأى رجلاً مسكيناً: في عينيه عمشاً وفي ثوبه وسخ فقال له: عد إن الفقر من الله فأين أنت عن الماء؟. (حلية الأولياء ٤/١٤)

قال إبراهيم بن أدهم: الفقر مخزون عند الله في السماء بعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب. (حلية الأولياء ٨/١٥)

قال محمود الوراق: (أدب الدنيا والدين؛ لعلي الماوردي ١٥٩)

يا عائبَ الفقيرِ ألا تزدجرُ
من شرفِ الفقرِ ومن فضله
عيبُ الغنى أكبرُ لو تَعْتَبِرُ
على الغنى إن صحَّ منك النظرُ
أنك تعصي لتنال الغنى
ولست تعصي الله كي تفتقر

قال العباس بن الأحنف: (المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ٢٩١)

يمشي الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضدهُ
وتراه مبغوضاً وليس بمُذنبٍ
والناسُ تُغلقُ دونهُ أبوابها
يرى العداوةَ ولا يرى أسبابها!
حتى الكلابِ إذا رأتهِ ذا ثروةٍ
خضعتْ لديه وحركتْ أذنانها
وإذا رأتهِ فقيراً عابراً
نَبَحَتْ عليه وكثرتْ أنيابها

الآثار العملية من حياة السلف:

عروة بن الزبير: أن معاوية بعث مرة إلى عائشه بمائه ألف درهم، فوالله ما أمست حتى فرقتهما. فقالت لها مولاتها: لو اشتريت لنا منها بدرهم لحما؟ فقالت: ألا قلت لي؟. (سير أعلام النبلاء ٢/١٨٧)

قال عمر بن علي البزار: وحدّثني من أثق به أن الشيخ رضي الله عنه كان ماراً يوماً في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه، فنزع ثوباً على جلده ودفعه إليه، وقال: بعه بما تيسر وأنفقه. واعتذر إليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة.

(الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ٦٥)

عن أبي قلابة: أن أبا الدرداء رضي الله تعالى عنه مر على رجل قد أصاب ذنباً فكانوا يسبونونه فقال: رأيتم لو وجدتموه في قليب ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: نعم قال: فلا تسبوا أحاكم واحمدوا الله الذي عافاكم قالوا: أفلا تبغضه؟ قال: إنما أبغض عمله فإذا تركه فهو أخي. وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: أدع الله تعالى في يوم سرائك لعله أن يستجيب لك في يوم ضرائك. (حليه الأولياء ١ / ٢٢٥)

٢٢ - باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والنواضع معهم وخفض الجناح لهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ [الحجر: ٨٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا [الكهف: ٢٨] ، وَقَالَ تَعَالَى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ [الضحى: ٩-١٠] ، وَقَالَ تَعَالَى: أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ [الماعون: ٦].

٢٦٠- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتَّةَ نَفَرٍ ، فَقَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اطْرُدْ هَؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا ، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هَذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجْلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ فَحَدَّثَ نَفْسَهُ ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: { وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ } [الأنعام: ٥٢] رواه مسلم.

٢٦١- وعن أبي هُبَيْرَةَ عَائِدِ بْنِ عَمْرٍو الْمَزْنِيِّ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبَ وَبِلَالَ فِي نَفَرٍ فَقَالُوا: مَا أَخَذْتَ سَيْوْفَ اللهِ مِنْ عَدُوِّ اللهِ مَا أَخَذَهَا ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

، فَأَخْبَرُهُ فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ ؟ لَيْتَنِي كُنْتُ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ ؟ فَأَتَاهُمْ فَقَالَ : يَا إِخْوَتَاهُ أَغْضَبْتِكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أُخِيَّ . رواه مسلم . قوله « مَا أَخَذَهَا » أَي : لَمْ تَسْتَوْفِ حَقَّهَا مِنْهُ . وقوله : « يَا أُخِيَّ » رُوِيَ بِفَتْحِ الهمزة وكسر الخاءِ وتخفيفِ الياءِ ، ورُوِيَ بِضَمِّ الهمزة وفتح الخاءِ وتشديد الياءِ .

٢٦٢- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا » وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى ، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا . رواه البخاري .
و « كَافِلُ الْيَتِيمِ » : الْقَائِمُ بِأُمُورِهِ .

٢٦٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِيْغَيْرِهِ . أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ » وَأَشَارَ الرَّاوي وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى . رواه مسلم . وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْيَتِيمُ لَهُ أَوْ لِيْغَيْرِهِ » معناه : قَرِيبُهُ ، أَوْ الْأَجْنَبِيُّ مِنْهُ ، فَالْقَرِيبُ مِثْلُ أَنْ تَكْفَلَ أُمَّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيْرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٦٤- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَا اللَّقْمَةُ وَالتَّمْرَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ » متفقٌ عليه .
وفي رواية في « الصحيحين » : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللَّقْمَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَا التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَلَكِنَّ الْمِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غَنَى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْطِنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » .

٢٦٥- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « السَّاعِي عَلَى الْأَرْزَمَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » وَأَحْسَبُهُ قَالَ : « وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْطُرُ ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ » متفقٌ عليه .

٢٦٦- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا ، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ » رواه مسلم .

وفي رواية في الصحيحين عن أبي هريرة من قوله : « بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ »

٢٦٧- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ » وَصَمَّ أَصَابِعَهُ . رواه مسلم . « جَارِيَتَيْنِ » أَي : بِنْتَيْنِ .

٢٦٨- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ لَهَا فَلَمْ نَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقَسَمْتُهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : « مَنْ ابْتَلَى مِنْ هَذِهِ الْبَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ » متفقٌ عليه .

٢٦٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : جَاءَنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا ، فَأَطْعَمْتَهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفَعَتْ إِلَيَّ فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا ، فَاسْتَطْعَمْتُهَا ابْنَتَاهَا ، فَشَقَّتْ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا ، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا ، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِنْ اللهُ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الْجَنَّةَ ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ » رواه مسلم .

٢٧٠- وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزازي رضي الله عنه قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفِينَ الْيَتِيمِ وَالْمَرْأَةِ » حديث حسن صحيح رواه النسائي بإسناد جيد . ومعنى « أُحَرِّجُ » : أُلْحِقُ الْحَرَجَ ، وَهُوَ الْإِنْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهَا ، وَأُحَدَّرُ مِنْ ذَلِكَ تَحْذِيرًا بَلِيغًا ، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زَجْرًا أَكِيدًا .

٢٧١- وعن مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنهما : رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْ تُنْصِرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضِعْفَائِكُمْ » رواه البخاري هكذا مُرْسَلًا فَإِنْ مُصْعَبُ بْنُ سَعْدٍ تَابِعِيٌّ وَرَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَرْقَانِيُّ فِي صَحِيحِهِ مُتَّصِلًا عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه .

٢٧٢- وعن أبي الدرداء عويمر رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ابْغُونِي فِي الضُّعَفَاءِ ، فَإِنَّا تُنْصِرُونَ ، وَتُرْزَقُونَ بِضِعْفَائِكُمْ » رواه أبو داود بإسناد جيد .

عن سعيد بن جبير : واخفض جناحك قال : اخضع. (تفسير الدر المنثور ٨ / ٦٥٢)
 عن قتادة : فأما اليتيم فلا تقهر. قال : كن لليتيم كأب رحيم وأما السائل فلا تنهر قال : رد المسكين
 برحمة ولين. عن مجاهد : فأما اليتيم فلا تقهر قال : تغمصه وتحقره. عن مجاهد: فلا تقهر قال : فلا تظلم.
 عن سفيان وأما السائل فلا تنهر قال : من جاء يسألك عن أمر دينه فلا تنهره. (الدر المنثور ١٥ / ٤٩٠)
 عن ابن عباس أرايت الذي يكذب بالدين قال : يكذب بحكم الله فذلك الذي يدع اليتيم قال : يدفعه
 عن حقه. (فتح القدير للشوكاني ١ / ١٦٥٨)

وقوله: ولا يحض على طعام المسكين يقول تعالى ذكره : ولا يحث غيره على إطعام المحتاج من
 الطعام. (تفسير الطبري ٢٤ / ٦٣٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال داود عليه السلام : كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك كما تزرع كذلك تحصد ما أقبح الفقر بعد
 الغنى وأكثر من ذلك وأقبح، الضلالة بعد الهدى وإذا وعدت صاحبك فأنجز له ما وعدته فالإفعل
 يورث بينك وبينه عداوة وتعود بالله من صاحب إن ذكرت لم يعينك وإن نسيت لم يذكرك .
 (صحيح الأدب المفرد حديث ١٠٣)

قال عمر بن الخطاب : ابتغوا (اي اتجروا) في أموال اليتامى لئلا تأكلها الزكاة. (السنن للدراقطني ٢ / ١١٠)
 قال ابن مسعود في الوليمة : اذا خص الغنى وترك الفقير أمرنا ان لا نُجيب. (فتح الباري ٩ / ٢٤٥)
 وقال رجل لأبي الدرداء : أوصني قال : ارحم اليتيم وأدنه منك، وأطعمه من طعامك. (الحليه ١ / ٢١٤)
 أبو برزة الأسلمي : روى ابن سعد عن الحسن بن حكيم قال حدثتني أمي أنه كانت لأبي برزة جفنة من
 ثريد غدوة وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين . (الطبقات لابن سعد ٤ / ٢٢٤)
 وعن عبدالله بن القاسم عن أبيه أنه قال: كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تليني وأخالي يتيمين
 في حجرها، فكانت تخرج من أموالنا الزكاة. (الموطأ ١ / ٢٥١-٥٨٩)
 وعن مالك : أنه بلغه أن عائشة كانت تُعطي أموال اليتامى الذين في حجرها من يتجر لهم
 فيها. (الموطأ ١ / ٢٥١-٥٩٠)

عن أسماء بن عبيد قال : قلت لابن سيرين : عندي يتيم فقال : اصنع به ما تصنع بولدك أضربه كما
 تضرب ولدك . (صحيح الأدب المفرد الألباني برقم ١٠٤ / ١٤٠)

روى مالك عن يحيى بن سعيد أنه اشترى لبني أخيه يتامى في حجره مالا فبيع ذلك المال بعد بهال كثير. (الموطأ ٥٩١)

قال جابر بن زيد: لأن أتصدق بدرهم على يتيم أو مسكين أحب إلي من حجة بعد حجها لإسلام. (حلية الأولياء ٩٠ / ٣)

قال السدي: يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأنفه وعينه يعرفه كل من رآه يأكل مال اليتيم. (الحاوي في تفسير القرآن الكريم ٣٤٧٨)

أم سفيان الثوري: قال وكيع بن الجراح: قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني اطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلي وقالت: يا بني إذا كتبت عشرة أحرف فانظر هل ترى في نفسك زيادة في مشيك وحلمك ووقارك فإن لم يزدك فاعلم أنه لا يضررك ولا ينفعك. (صفة الصفوة ٣ / ١٨٩)

أم محمد بن إدريس الشافعي: وُلد الإمام الشافعي بغزة ومات أبوه إدريس شاباً فنشأ الشافعي يتيماً في حجر أمه فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وحفظ موطأ مالك وهو ابن عشر سنين وطلب العلم حتى أصبح مذهبه أحد المذاهب الأربعة المشهورة. (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٦ - ١١)

أم أحمد بن حنبل: كان والد أحمد بن حنبل من أجناد مرو مات شاباً وله نحو من ثلاثين سنة فقامت أم أحمد على تربيته وحثته على حفظ القرآن وطلب الحديث، فطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان عدد شيوخه الذين روى عنهم في المسند أكثر من مائتين وثمانين شيخاً روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي. والإمام أحمد صاحب أحد المذاهب الأربعة المشهورة. (السير ١١ / ١٧٧ - ١٨٣)

قال ابن عبد البر: روى عن علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمر والحسن بن علي وجابر أن الزكاة واجبة في مال اليتيم كما رواه مالك عن عمر وعائشة وقال بقولهم من التابعين: عطاء وجابر بن زيد ومجاهد وابن سيرين وبه قال مالك والشافعي وأصحابهما والحسن بن حي والليث بن سعد وإليه ذهب أبو ثور وأحمد بن حنبل وجماعة. (الإستذكار لابن عبد البر ٣ / ١٥٥)

قال الشاعر ايليا ابو ماضي:

قالوا: اليتيم، فقلت: أَيْتَمُ مَنْ أَرَى مَنْ كَانَ لِلخَلْقِ النَّبِيلِ خَصِيماً

قالوا: اليتيم، فقلت: أَيْتَمُ مَنْ أَرَى مَنْ عَاشَ بَيْنَ الْأَكْرَمِينَ لَتِيماً

كم رافلٍ في نعمة الأبوين، لم يسلك طريقاً للهدى معلوماً
يا كافل الأيتام، كفك واحدة لا تُنبِتُ الأشواكَ والزقوما
ما أُنبتت إلا الزهورَ نديّةً والشَّيخَ والرَّيحانَ والقيصوما
أبشِرْ فإنَّ الأرضَ تُصبحُ واحدةً للمحسنين، وتُعلنُ التكريباً
أبشِرْ بصحبةٍ خيرٍ مَنْ وَطِئَ الثرى في جَنَّةٍ كَمَلتْ رضاً ونعيماً

الآثار العملية في حياة السلف :

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى السوق فلحقت عمر امرأة شابة فقالت يا أمير المؤمنين هلك زوجي وترك صبية صغاراً والله ما ينضجون كراعا ولا لهم زرع ولا ضرع وخشيت أن تأكلهم الضبع وأنا بنت خفاف بن إبياء الغفاري وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فوقف معها عمر ولم يمض ثم قال مرحبا بنسب قريب ثم انصرف إلى بعير ظهير كان مربوطا في الدار فحمل عليه غرارتين ملاءهما طعاما وحمل بينهما نفقة وثيابا ثمناولها بخطامه ثم قال اقتاديه فلن يفنى حتى يأتيكم الله بخير فقال رجل يا أمير المؤمنين أكثرت لها قال عمر ثكلتك أمك والله إني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا فافتتحاه ثم أصبحنا نستفيء سهمانها فيه.

(البخارى ٤ / ١٥٢٨ - رقم ٣٩٢٨)

عن الحسن أن ابن عمر: كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتييم فلم يجده وكانت له سويقة محلاة يشربها بعد غدائه ، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء ، ويده السويقة ليشربها ، فناولها إياه وقال : خذها فما أراك غبنت. (حلية الأولياء ١ / ٢٩٩)

قال نافع: مرض ابن عمر فاشتبهى عنباً أول ما جاء العنب فأرسلت صفيية امرأته بدرهم فاشتريت عنقوداً بدرهم، فاتبع الرسول سائلٌ فلما أتى الباب ودخل قال السائل: السائل قال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه، ثم أرسلت بدرهمٍ آخر فاشتريت به عنقوداً فاتبع الرسول السائل، فلما انتهى إلى الباب ودخل فقال السائل: السائل قال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفيية إلى السائل فقالت: والله لئن عدت لا تصيب مني خيراً ثم أرسلت بدرهمٍ آخر فاشتريت به. (شعب الإيمان للبيهقي ٥ / ١٤١)

روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه: كان لا يأكل طعاماً إلا وعلى خِوانه (مائدته) يتييم .

(صحيح الأدب المفرد ١٠٢ / ١٣٦)

عن القاسم بن محمد: جاء أعرابي إلى ابن عباس فقال: إن في حجري أيتاماً وإن لهم إبلاً ولي إبل وأنا أُمْنَح من إبلي فقراء فماذا يحل من ألبانها؟ فقال: إن كنت تبغي ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسعى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا نهك في الحلب. (عمدة القارئ شرح البخاري ١٢ / ٢٧)

عن مالك بن أنس: بلغه عن عائشة رضي الله عنها أن مسكيناً سألها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه، فقالت: ليس لك ما تفطرين عليه، فقالت: أعطيه إياه ففعلت. قالت: فما أمسينا حتى أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ممن كان يُهدي لنا شاة وكفنها، فدعتني عائشة فقالت: كُلي من هذا، هذا خير من قرصك. (الموطأ ٢ / ٩٩٧)

عن شُميسة العتكية قالت: ذكر أدب اليتيم عند عائشة رضي الله عنها فقالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط. (صحيح الادب المفرد للالباني حديث ١٠٥)

٤٤- باب الوصية بالنساء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [النساء: ١٩] وَقَالَ تَعَالَى: وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُواهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً [النساء: ١٢٩]

٢٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «استوصوا بالنساء خيراً، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء» متفق عليه

وفي رواية في الصحيحين: «المرأة كالضلع إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها، استمتعت فيها عوج». وفي رواية لمسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع، لئن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها، وكسرها طلاقها». قوله: «عوج» هو بفتح العين والواو.

٢٧٤- وعن عبد الله بن زَمَعَةَ رضي الله عنه، أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحْطَبُ، وذكر الناقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا» أَنْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ

عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ « ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ ، فَوَعظَ فِيهِنَّ ، فَقَالَ : « يَعْمِدُ أَحَدَكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ » ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحْكَهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ وَقَالَ : « لِمَ يَضْحَكُ أَحَدَكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ ؟ » متفق عليه .

« وَالْعَارِمُ » بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالرَّاءِ : هُوَ الشَّرِيرُ الْمُفْسِدُ ، وَقَوْلُهُ : « انْبَعَثَ » ، أَي : قَامَ بِسُرْعَةٍ .

٢٧٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ » أَوْ قَالَ : « غَيْرُهُ » رواه مسلم .

وقولُهُ : « يَفْرَكُ » هُوَ بَفَتْحِ الْيَاءِ وَإِسْكَانِ الْفَاءِ مَعْنَاهُ : يُبْغِضُ ، يَقَالُ : فَرَكَتِ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا ، وَفَرَكَهَا زَوْجُهَا ، بِكَسْرِ الرَّاءِ ، يَفْرِكُهَا بِفَتْحِهَا : أَي : أَبْغَضَهَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٧٦- وعن عمرو بن الأَخْوَصِ الجُشَمِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ حَمَدَ اللهُ تَعَالَى ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَذَكَرَ وَوَعظَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا ، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا ، فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرْشَكُمْ مِنْ تَكَرُّهٍ ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكَرَّهُونَ ، أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ » . رواه الترمذی وقال : حديث حسن صحيح .

قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « عَوَانٍ » أَي : أَسِيرَاتٍ ، جَمْعُ عَانِيَةٍ ، بِالْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ ، وَهِيَ الْأَسِيرَةُ ، وَالْعَانِي : الْأَسِيرُ . شَبَّهَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَرْأَةَ فِي دُخُولِهَا تَحْتَ حُكْمِ الزَّوْجِ بِالْأَسِيرِ « وَالضَّرْبُ الْمُبْرِحُ » : هُوَ الشَّاقُّ الشَّدِيدُ ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا » أَي : لَا تَطْلُبُوا طَرِيقًا تَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيْهِنَّ وَتُؤْذِنَهُنَّ بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٢٧٧- وعن معاوية بن حنيفة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ما حقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : « أَنْ تُطْعَمَهَا إِذَا طَعِمْتَ ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ ، وَلَا تُبْخِحَ ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود وقال : معنى « لَا تُبْخِحَ » أَي : لَا تُثْقِلْ قَبْحَكَ اللهُ .

٢٧٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وَخِيَارَكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٢٧٩- وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللَّهِ » فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : ذُرْنِ النَّسَاءَ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءً كَثِيرًا يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أَوْلَيْكَ بِخِيَارِكُمْ » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٢٨٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ » رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن السدي في قوله : وعاشروهن قال : خالطوهن . عن عكرمة قال : حقها عليك الصحبة الحسنة، والكسوة، والرزق . عن مقاتل: وعاشروهن بالمعروف يعني صحبتتهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً فيطلقها فتزوج من بعده رجلاً فيجعل الله له منها ولداً ويجعل الله في تزويجها خيراً كثيراً. (تفسير الدر المنثور ٤ / ٢٩١)

قال ابن كثير : (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) أي: طيَّبوا أقوالكم لهن، وحسَّنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت مثله. (تفسير ابن كثير ٢ / ٢٤٢)

يقول الحافظ ابن كثير: يمسك المرأة إما لمحبتة لها وإما لرحمته بها. (تفسير ابن كثير ٦ / ٣٠٩)

وفي قوله : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء قال : في الحبوا لجماع، وفي قوله : فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة قال : لا هي أيم ولا هي ذات زوج. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٧٠)

عن مجاهد قال : كانوا يستحبون أن يسووا بين الضرائر حتى في الطيب، يتطيب هذه كما يتطيب لهذه. عن جابر بن زيد قال : كانت لي امرأتان، فلقد كنت أعدل بينهما حتى أعد القبل عن محمد بن سيرين في

الذي له امرأتان : يكره أن يتوضأ في بيت إحداها دون الأخرى. عن ابن مسعود في قوله : ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء قال : في الجماع عن عبيدة في قوله: ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء قال : في الحب والجماع. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٧١)

عن ابن عباس في قوله : فتذروها كالمعلقة قال : لا مطلقة ولا ذات بعل. عن قتادة في قوله : كالمعلقة قال : كالمسجونة. (تفسير الدر المنثور ٥ / ٧٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال سمرة بن جندب : سمعت عمر بن الخطاب يقول : النساء ثلاثة : امرأة هينة لينة عفيفة مسلمة ودود ولود تعين أهلها على الدهر ولا تعين الدهر على أهلها وقل ما يجدها ثانية : امرأة عفيفة مسلمة إنما هي وعاء للولد ليس عندها غير ذلك ثالثة : غل قُمل يجعلها الله في عنق من يشاء ولا ينزعها غيره. الرجال ثلاثة : رجل عفيف مسلم عاقل يأتمر في الأمور إذا أقبلت ويسهب فإذا وقعت يخرج منها برأيه ورجل عفيف مسلم ليس له رأي فإذا وقع الأمر أتى ذا الرأي والمشورة فشاوره واستأمره ثم نزل عند أمره ، ورجل جائر حائر لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً. (مصنف بن ابى شيبة ٣ / ٤٠٠)

قال عمر بن الخطاب : ما استفاد رجل أو قال عبد بعد إيمان بالله خيراً من امرأة حسنة الخلق ودود ولود وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شراً من امرأة سيئة الخلق حديدة اللسان ثم قال : إن منهن غنياً لا يخذى منه وإن منهن غلاماً لا يفدى منه . (مصنف بن ابى شيبة ٣ / ٤٠٠)

قال عمر بن الخطاب: النساء عَوْرَةٌ فاستروها بالبيوت وداووا ضَعْفَهُنَّ بالسكوت. (عيون الأخبار ٤ / ٣٦٥)
قال ابن عيينة عن أبيه: جاء جرير بن عبد الله رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه ما يلقي من النساء، فقال عمر: إنا لنجد ذلك حتى إني لأريد الحاجة، فيقال لي ما تذهب إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن، فقال له عند ذلك عبد الله بن مسعود: أما بلغك أن إبراهيم شكى إلى الله عز وجل خلق سارة فقيل له: إنما خلقت من ضلع فالبسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خزية في دينها، فقال له عمر: لقد حشى الله بين أضلاعك علماً كثيراً. (الزواج للهيشمي ٢ / ٢٨٠)

قال عمر بن الخطاب: ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا التمسوا ما عنده وجدوة رجلا. (تاريخ دمشق ٣٣١ / ١٩)

قال ابن عباس : إني لاتزين لامرأتي كما احب أن تتزين لي لأن الله قال : (وَهَنَّ مِثْلَ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

بالمعروف (البقرة ٢٢٨). (تفسير الطبري ٤/٥٣٢)

جاءت امرأة الى معاذ رضى الله عنه وقالت انك حقاً رسول رسول الله؟ قالت فما حق الزوجه على زوجها: قال: حقها عليه الا يضرب وجهها ولا يقبحه. وحقها عليه ان يطعمها بما يأكل ويكسوها مما يلبس. وحقها عليه الا يهجرها في بيتها. (موسوعه ابن ابى الدنيا ٨/١١٥)

عن عبد الرحمن بن أبزى قال: مثل المرأة الصالحة عند الرجل كمثل التاج المتخوص بالذهب على رأس الملك ومثل المرأة السوء عند الرجل الصالح مثل الحمل الثقيل على الشيخ الكبير. (مصنف بن ابى شيه ٣/٤٠٠)

وقال يحيى بن عبد الرحمن الحنظلي: أتيت محمد بن الحنفية فخرج إلى في ملحفة حمراء ولحيته تقطر من (الغالية) (هي خليط الأطياب بل خليط من أفضل الأطياب) يقول يحيى فقلت له: ما هذا؟ قال محمد: إن هذه الملحفة ألقته على امرأتي ودهتني بالطيب وإنهن يشتهين منا ما نشتهيهن منهن. (تفسير القرطبي ٥/٩٧)

قال الحافظ ابن حجر: شدة الوطأة على النساء مذموم؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بسيرة الأنصار في نسائهم وترك سيرة قومه. (فتح الباري ٩/٢٠٢)

عن الزبير بن بكار: سئل منذ كم زوجتك معك؟ قال لا تسألني ليست ترد القيامه اكثر كباشا منها. يقول ضحيت عنها سبعين كبشا. من برة ووفائه بها. (سير اعلام النبلاء ١٢/٣١٣)

الامام احمد بن حنبل: ذكر امرأته يوماً فترحم عليها وقال مكثنا عشرين سنه ما اختلفنا في كلمه واحده. (سير اعلام النبلاء ١١/٣٣٣)

قال الغزالي: والمعاشرة بالمعروف تكون بحسن الخلق معها، وكف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عن طيشها وغضبها اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام بل أن يزيد على احتمال الأذى منها بالمداعبة والمزاح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح معهن. (إحياء علوم الدين ٤٣/٢)

قال شريح القاضي: (سير اعلام النبلاء ٤/١٠٦)

رأيت رجالا يضربون نساءهم فسلت يميني حتى اضرب زينب
أضربها من غير ذنب ات به فما العدل منى ضرب من ليس مذنب

وزينب شمس والنساء كواكب اذا طلعت لم تبق منها كوكب

وهذا محمد بن عبيد الله المسيحي يرثي امرأته يقول: (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ٦/٢٥٦٨)

ألا في سبيل الله قلبٌ تقطعا وفادحةٌ لم تُبقِ للعين مدمعا

أصبراً وقد حلّ الثرى من أودّه فله همٌّ ما أشد وأوجعا

فيا ليتني للموت قُدمت قبلها وإلا فليت الموت أذهبنا معا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: لما سافر في طلب العلم قال في زوجته ليلي الحلبية أبياتاً، يقول فيها:

(الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ١٢ / ١٢٣)

رحلتُ وخلفتُ الحبيب بداره برُغمي ولم أجنح إلى غيره ميلا

أشأغل نفسي بالحديث تعللاً نهاري وفي ليلي أحن إلى ليلي .

هذا يحيى الهندي الأندلسي أوصى ابنه عند دفنه بأبيات يقول فيها، يوصيه أن يدفنه بجانب زوجته التي

ماتت قبله، يقول: (الإحاطة في أخبار غرناطة ٤ / ٣٤٤)

إذا متُّ فادفني حذاء خليلتي يخالط عظمي في التراب عظامها

ورثبٌ ضريحي كيفما شاءه الهوى تكون أمامي أو أكون أمامها .

الآثار العملية من حياة السلف :

يروى أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما كان قد تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل

وكانت من أجمل نساء قريش وكان عبد الرحمن من أحسن الناس وجها وأبرهم بوالديه فلما دخل بها

غلبت على عقله وأحبها حبا شديدا فثقل ذلك على أبيه فمر به أبو بكر يوما وهو في غرفة له فقال: يا بني

إني أرى هذه قد أذهلت رأيك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست أقدر على ذلك فقال أقسمت عليك

إلا طلقتها فلم يقدر على مخالفة أبيه فطلقها فجزع عليها جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل

لأبي بكر أهلك عبد الرحمن فمر به يوما وعبد الرحمن لا يراه وهو مضطجع في الشمس ويقول هذه

الآيات:

فوالله لا أنساك ما ذر شارق وما ناح قمري الحمام المطوق

فلم أر مثلي طلق اليوم مثلها ولا مثلها في غير شيء يطلق

لها خلق عف ودين ومحمد وخلق سوي في الحياء ومنطق

فسمعه أبوه فرق له وقال له راجعها يا بني فراجعها وأقامت عنده حتى قُتل عنها يوم الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه:

فأليت لا تنفك نفسي حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
فتى طول عمري ما أرى مثله فتى أكر وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنه خاضها إلى القرن حتى يترك الرمح أحمرا. (المستطرف ٤٨٣)

وعن سلمان بن جبير مولى ابن عباس وقد أدرك أصحاب رسول الله قال: ما زلت أسمع حديث عمر رضي الله عنه هذا فإنه خرج ذات ليلة يطوف بالمدينة، وكان يفعل ذلك كثيرا، فمر بامرأة مغلقة عليها بابها وهي تقول، فاستمع لها عمر:

تطاول هذا الليل تسري كواكبه وأزقني أن لا حبيب أأعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره لحرك من هذا السرير جوانبه
يلاعبني طورًا وطورًا كأنها بدا قمرٌ في ظلمة الليل حاجبه
ولكنني أخشى رقيبًا موكلًا بأنفسنا لا يقفّر الدهر كاتبه

ثم تنفست الصعداء وقالت: أهان على ابن الخطاب وحشتي بييتي، وغيبة زوجي، وقلة نفقتي. فقال لها: رحمك الله فلما أصبح بعث لها نفقة وكسوة، وكتب إلى عامله يسرح لها زوجها. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٢)

وعن الحسن قال: سأل عمر رضي الله عنه ابنته حفصة: كم تصبر المرأة عن الرجل؟ قالت: ستة أشهر، فقال: لا جرم لا أجهز رجلا أكثر من ستة أشهر. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٢)

وكان لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه امرأتان، فإذا كان يوم هذه اشترى لحمًا بنصف درهم، وإذا كان يوم هذه اشترى لحمًا بنصف درهم. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ١١٥)

قال الأصمعي: امرأة خطبها الخليفة سليمان بن عبد الملك لما خرج مع سليمان بن المهلب في نزهة وجدوا امرأة تبكي عند قبر فهبت الريح فرفعت البرقع عن وجهها فكأنها هي شمس من حُسنها وجمالها فقال لها المهلب: يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟ فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر وقالت: فإن تسألاني عن هواي فإنه بملحود هذا القبر يا فتيان

وإني لأستحييه والترّب بيننا كما كنت أستحييه وهو يراني. (الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ٤٦٦)

سئل أبو عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك؟ قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي في تزويجي فأبى فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان إني قد هويتك وأنا أسألك بالله أن تتزوجني فأحضرت أباها وكان فقيراً يقول: فزوجني وفرح بذلك فلما دخلت عليها رأيتها عوراء عرجاء مشوهة وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج. فأقعد حفظاً لقلبها ولا أظهر لها من البغض شيئاً وكأني على جمر الغضا من بغضها فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظ قلبها.

(صيد الخاطر ٤٠٥)

تقدمت امرأة إلى مجلس القاضي موسى بن إسحاق بمدينة الري سنة ٢٨٦ هـ فادعى وكيلها بأن لموكلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها) فأنكر الزوج فقال القاضي لوكيل الزوجة : شهودك قال : أحضرتهم فطلب بعض الشهود أن ينظر إلى المرأة ليشير إليها في شهادته فقام الشاهد وقال للمرأة : قومي فقال الزوج : تفعلون ماذا؟! قال الوكيل : ينظرون إلى امرأتك وهي سافرة الوجه لتصح عندهم معرفتها (وذلك للحاجة) قال الزوج : إني أشهد القاضي أن لها علي هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها فقالت المرأة : فإني أشهد القاضي أي وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمته في الدنيا والآخرة فقال القاضي وقد أعجب بغيرتها : يكتب هذا في مكارم الأخلاق. (تاريخ بغداد ١٥ / ٥٣)

٣٥- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ [النساء : ٣٤] .

وأما الأحاديث فمنها حديث عمرو بن الأحوص السابق (انظر الحديث رقم ٢٧٦) في الباب قبله.

٢٨١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » متفق عليه .
وفي رواية لها : « إِذَا بَاتَتْ الْمَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعْنَتُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ » .
وفي رواية قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْتِيهِ عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » .

٢٨٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لا يَحِلُّ لامرأة أن تصوم وزوجها شاهداً إلا بإذنه ، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه » متفق عليه ، وهذا لفظ البخاري .

٢٨٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « كُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْأَمِيرُ رَاعٍ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه .

٢٨٤- وعن أبي عليٍّ طلق بن عليٍّ رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُورِ » . رواه الترمذي والنسائي ، وقال الترمذي : حديث حسن صحيح .

٢٨٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَوْ كُنْتُ آمِراً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لِأَمْرٍ لَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٢٨٦- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّهَا امْرَأَةُ مَا تَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتْ الْجَنَّةَ » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٢٨٧- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لا تُؤْذِي امْرَأَةً زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الْخُورِ الْعَيْنِ لا تُؤْذِيهِ قَاتِلُكَ اللهُ ، فَإِنَّهَا هُوَ عِنْدَكَ دَخِيلٌ يُؤْشِكُ أَنْ يُفَارِقَكَ إِلَيْنَا » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٢٨٨- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ما تركتُ بعدي فِتْنَةً هِيَ أَضْرُّ عَلَى الرَّجَالِ : مِنَ النِّسَاءِ » متفق عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال الكلبي: امرأته حبيبة بنت محمد بن مسلمة ، وذلك أنها نشزت عليه فلطمها ، فانطلق أبوها معها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أفرشته كريمتي فلطمها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لتقتنص

من زوجها " ، فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فجاء جبريل عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " ارجعوا هذا جبريل أتاني بشيء " ، فأنزل الله هذه الآية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أردنا أمرا وأراد الله أمرا ، والذي أراد الله خير ورفع القصاص. (تفسير البغوى ٢/٢٠٧)

قال ابن كثير وقوله : (وللرجال عليهن درجة) (البقرة ٢٢٨) أي في الفضيلة في الخلق والخلق والمنزلة وطاعة الأمر والإنفاق والقيام بالمصالح والفضل في الدنيا والآخرة كما قال تعالى : (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) (النساء ٣٤) . (تفسير ابن كثير ١/٣٦٣) وقال أيضا : يقول تعالى : (الرجال قوامون على النساء) أي الرجل قيم على المرأة ، أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها ومؤدبها إذا اعوجت بما فضل الله بعضهم على بعض أي لأن الرجال أفضل من النساء والرجل خير من المرأة ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم لقوله صلى الله عليه وسلم : (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) رواه البخاري من حديث عبد الرحمن بن أبي بكره عن أبيه وكذا منصب القضاء وغير ذلك (وبما أنفقوا من أموالهم) أي من المهور والنفقات والكلف التي أوجبها الله عليهم لمن في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فالرجل أفضل من المرأة في نفسه وله الفضل عليها والإفضال ، فناسب أن يكون قيا عليها كما قال الله تعالى : (وللرجال عليهن درجة) الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (الرجال قوامون على النساء) يعني أمراء عليها أن تطيعه فيما أمرها به من طاعتها وطاعته أن تكون محسنة لأهلها حافظة لماله. (تفسير ابن كثير ١/٦٥٣)

وقال البغوي في تفسيره (٢/٢٠٦) : (بما فضل الله بعضهم على بعض) يعني : الرجال على النساء بزيادة العقل والدين والولاية وقيل : بالشهادة لقوله تعالى : (فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان) وقيل : بالجهد وقيل : بالعبادات من الجمعة والجماعة وقيل : هو أن الرجل ينكح أربعاً ولا يحل للمرأة إلا زوج واحد وقيل : بأن الطلاق بيده وقيل : بالميراث وقيل : بالدية وقيل : بالنبوة .

وقال البيضاوي في تفسيره (٢/١٨٤) : (الرجال قوامون على النساء) يقومون عليهن قيام الولاية على الرعية ، وعلل ذلك بأمرين ، وهبي وكسبي فقال : (بما فضل الله بعضهم على بعض) بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل وحسن التدبير ومزيد القوة في الأعمال والطاعات ولذلك خصوا بالنبوة والإمامة والولاية وإقامة الشعائر والشهادة في مجامع القضايا ، ووجوب الجهاد والجمعة ونحوها

وزيادة السهم في الميراث وبأن الطلاق بيده . (وبما أنفقوا من أموالهم) في نكاحهن كالمهر والنفقة. عن مجاهد في قوله : الرجال قوامون على النساء قال : بالتأديب والتعليم وبما أنفقوا من أموالهم قال : بالمهر. عن قتادة : فالصالحات قانتات أي : مطيعات لله ولأزواجهن، حافظات للغيب قال : حافظات لما استودعهن الله من حقه، وحافظات لغيب أزواجهن. وعن السدي: حافظات للغيب بما حفظ الله يقول : تحفظ على زوجها ماله وفرجها حتى يرجع كما أمرها الله . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٣٨٦)

عن عمر قال : ما استفاد رجل بعد إيمان بالله خيرا من امرأة حسنة الخلق ودود ولود، وما استفاد رجل بعد الكفر بالله شرا من امرأة سيئة الخلق، حديدة اللسان. (تفسير الدر المنثور ٤ / ٣٨٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابن عباس رضي الله عنه : لا تصوم المرأة تطوعا وهو شاهد إلا بإذنه يعني زوجها . (مصنف بن أبي شيبة ٣ / ٣٩٩)

قال عبد الله بن عمرو : ألا أخبركم بالثلاث الفواقير قال : وما هن ؟ قال : إمام جائر إن أحسنت لم يشكر وإن أسأت لم يغفر وجار سوء إن رأى حسنة غطاها وإن رأى سيئة أفشاها وامرأة السوء إن شهدت غاضبتك وإن غبت عنها خاتتك. (مصنف بن أبي شيبة ٣ / ٤٠٠)

كانت عائشة رضي الله عنها تقول: يا معشر النساء لو تعلمن بحق أزواجهن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن وجه زوجها بنحر وجهها. وفي رواية: تمسح الغبار عن قدمي زوجها بنحر وجهها. (مصنف ابن أبي شيبة ٤ / ٢٠٥)

ودخلت بكرة بنت عقبة على عائشة فسألتها عن الحناء فقالت: شجرة طيبة وماء طهور وسألتها عن الحفاف فقالت لها إن كان لك زوج فاستطعت أن تتزعي مقلتيك فتضعيها أحسن مما هما فافعلي. (سير أعلام النبلاء ٢ / ١٩٢)

عن حميد عن أمه قالت : كان نساء أهل المدينة إذا أردن أن يبنين بامرأة على زوجها بدأن بعائشه فأدخلنها عليها فتضع يدها على رأسها تدعو لها وتأمرها بتقوى الله وحق الزوج. (مصنف بن أبي شيبة ٣ / ٣٩٨)

أوصت أسماء بنت خزيمة الفزاري إبتها عند زواجها قائلة : يا بنيتي إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك، ولكنها تذكرة للعاقل ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليها، كنت أغنى الناس عن الزوج ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال يا بنيتي إنك

خرجت من العش الذي فيه عشت إلى فراش لا تعرفينه وقرين لا تألفينه. فكوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا وكوني له أمة يكن لك عبدا لا تلحفى عليه فيقلاك ولا تتباعدى عنه فينساك ان دنا منك فاقتربى وان نأى عنك فابعدى عنه. احملى عنى عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرًا.

١- الصحبة بالقناعة ٢- والمعاشرة بحسن الطاعة.

٣- والحفظ لموضع أنفه وسمعه وعينه فلا يشمن منك إلا طيبا ولا يسمعن إلا حسنا ولا ينظر إلا جميلا. ٤- والتفهم لوقت طعامه. ٥- والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مبغضة ٦- والرعاية على عياله وحشمه فإن الإحتفاظ بالمال من حسن التقدير والرعاية على العيال والحشم من حسن التدبير.

٧- ولا تفشي له سرا ولا تعصي له أمرا فإن أفشيت سره لم تأمني غدره وإن عصيت أمره أو غرت صدره ٨- وكوني أشد ما تكونين إليه موافقة يكن لك أطول ما يكون مرافقة .

٩- ثم اتقي مع ذلك الفرح أمامه ان كان ترحا والحزن عنده إن كان فرحا فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من سوء التدبير.

١٠- واعلمي أنك لا تصلين إلى ماتحين حتى تؤثرى رضاه على رضاك فيما أحببت وكرهت والله يختار لك الخير وهو الموفق وعليه الأتكال . (احكام النساء لابن الجوزى ٧٤-٧٨)

ابنه سعيد بن المسيب: قالت ما كنا نكلم ازواجنا الا كما تكلمون امرائكم . (زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزى ٢٠١/١)
عبدالله بن جعفر : قال لابنته يابنيه اياك والخيرة فأنها مفتاح الطلاق واياك والمعاتبه فأنها تورث الضغينه وعليك بالزينة والطيب، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء. (البيان والتبيين ٤٥ / ٢)
عن عبد الله بن الحارث قال: ثلاثة لا تجاوز صلاة أحدهم رأسه: إمام أم قوما وهم له كارهون وامرأة تعصي زوجها وعبد أبق من سيده. (مصنف لابن أبي شيبة ٣/٣٩٨)

قال عمرو بن الحارث بن المصطلق: كان يقال: أشد الناس عذابا اثنان: امرأة تعصي زوجها وإمام قوم وهم له كارهون. (مصنف ابن أبي شيبة ٣/٣٩٨)

قال الكلابي: قال بعضهم لولده يا بني لا تتخذها حنانه (التي تحنُّ لزوج كان لها) ولا ائانه (التي تئنُّ كسلاً وتمارضاً) ولا منانه (التي تمنُّ على زوجها بياها) ولا عُشبة الدار (الهجينه) ولا كُبة القفا (هي

التي يأتي زوجها أو ابناها القوم فإذا انصرف من عندهم قال رجلٌ من جُبناء القوم قد والله كان بيني وبين امرأة هذا المولى أو أمه أمرٌ). (الأمالى لابي على القالى ٥٦ / ٢)

سئل مالك بن أنس عن المرأة تبالغ في إكرام زوجها فتتلقاه وتنزع ثيابه وتقف حتى يجلس؟ فقال: أما التلقي فلا بأس به وأما القيام حتى يجلس فلا فان هذا فعل الجبارة وقد أنكره عمر بن عبد العزيز. (فتح الباري ٥١ / ١١)

قال ابو عمرو بن العلاء: أنكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته معبد بن زرارة فلما أخرجها إليه قال لها: يا بنية أمسكي عليك الفضلين قالت: وما الفضلان؟ قال فضل الكلام وفضل العُلْمَة. (البيان والتبيين للجاحظ ١٠٨ / ١)

عن إبراهيم قال: كانوا يقولون: لو أن امرأة مصت أنف زوجها من الجذام حتى تموت ما أدت حقه. (تفسير الدر المنثور ١٥٤ / ٢)

قال الإمام أحمد: في امرأة لها زوج وأم مريضة طاعة زوجها أوجب عليها من أمها إلا أن يأذن لها. (شرح منتهى الإرادات ٤٧ / ٣)

قال ابن تيمية: وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج. (الفتاوى ٢٦٠ / ٣٢)

قال الشاعر في تعدد الزوجات:

جَلَسَا سَوِيًّا وَاللَّيَالِي مُقْمِرَةٌ..
يَتَغَازِلَانِ وَيَأْكُلَانِ (مُجَدَّرَةٌ!)
قال الحبيب -مُمَازِحًا- ..
يا زوجتي: إِنِّي أَرَاكِ فَقِيهَةً مُتَنَوِّرَةً
وَكَبِيرَةً وَخَطِيرَةً وَمُدْمَرَةً
وَلَقَدْ وَجَدْتُ الْيَوْمَ حَلًّا رَائِعًا..
قالت: تَفْضَلُ يَا حَيَاتِي إِنِّي..
فَأَنَا لِمُشْكَلَةِ الْعُنُوسَةِ عِنْدَنَا..
قال الحبيب: أَيَا رِبِيعِ الْعُمُرِ مَا..
لَوْ أَنَّ كُلَّ رَجَالِنَا قَدَّ عَدَدُوا..
فَإِذَا قَبِلْتِ بَأَنَّ أَكُونَ صَحِيَّةً..
هَذَا؟! كَلَامُ حَكِيمَةٍ مَا أَكْبَرَهُ!
لَمْ يَبْقَ مِنْ جِنْسِ النِّسَاءِ مُعَمَّرَةٌ
وَنَكُونُ لِلْأَجْيَالِ شَمْسًا نَيَّرَهُ

فَلَنْ رَضِيَتْ فَإِنَّ أَجْرَكَ طَيِّبٌ .. فَجَزَاءٌ مَنْ تَرْضَى بِذَلِكَ الْمَغْفِرَةَ!!
صَحِيحَتْ وَقَالَتْ: يَا رَفِيقِي إِنَّهُ .. رَأَيْ جَمِيلٌ، كَيْفَ لِي أَنْ أُنْكِرَهُ؟!
عِنْدِي عَرُوسٌ (لَقَطَّةٌ) تَرْجُو لَهَا .. رَجُلًا لَيْسَتْ رَهَا الْحَيَاةَ وَتَسْتُرُهُ
فَإِذَا قَبِلَتْ بِهَا سَأَخْطِبُهَا غَدًا .. قَبَلَ الْفَوَاتِ فَإِنِّي مُتَأَخَّرُهُ
هِيَ لَا تُرِيدُ مِنَ النُّقُودِ مُقَدَّمًا .. لِلْمَهْرِ، أَيْضًا، لَا تُرِيدُ مُؤَخَّرَهُ
فَتَنهَدَ الزَّوْجُ الْمُعْقَلُ قَائِلًا .. هَذِي الصِّفَاتُ الرَّائِعَاتُ الْحَيَّرَهُ!
قَالَتْ: وَلَكِنَّ الْعَرُوسَ قَعِيدَةٌ .. سَوْدَاءُ، عَمَشَاءُ الْعَيُونِ (مُحْتَبِرَةٌ)
وَضَعِيفَةٌ فِي السَّمْعِ دَرْدَاءٌ لَهَا .. طَقْمٌ مِنَ الْأَسْنَانِ مِثْلُ الْمِسْطَرَّةِ
وَالشَّعْرُ يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ مُنَشَّرٌ .. مِثْلُ (الْحَرِيسِ) فَلَا تَسَلْ مَا أَنْشَرَهُ!!
وَالْأَنْفُ، قَالَ مُقَاطِعًا: وَيْلِي! كَفَى .. هَذِي عَرُوسٌ - زَوْجَتِي - أُمُّ مَقْبَرَةٍ!!
فَتَخَاصَمَ الزَّوْجَانِ حَتَّى (قَبَعَتْ) .. مَا بَيْنَهُمْ نَارُ الْحُرُوبِ مُسَعَّرَةٌ
وَاسْتَيْقِظَ الْجِيرَانُ لَيْلًا، هَزَّهُمْ .. صَوْتُ الصُّرَاخِ كَأَنَّهُ مُتَفَجِّرَةٌ
وَرَأَوْا أَنَاثًا قَدْ تَطَايَرَ فِي السَّمَاءِ .. صَخْنًا، وَمِقْلَاةً، كَذَلِكَ طَنْجَرَةٌ
كَأَسَا، وَإِبْرِيْقًا، وَمَكْنَسَةً، كَذَا .. سَمِعُوا اسْتِغَاثَةَ صَارِخٍ: مُتَجَبَّرَةٌ
ذَهَبَ الزَّعِيمُ إِلَى الدَّوَامِ صَبِيحَةً .. لَكَأَنَّهُ بَطْلُ الْمَعَارِكِ عَنْتَرَةٌ!!
مَا فِيهِ إِلَّا (فَشْحَةٌ) فِي رَأْسِهِ .. يَدُهُ إِلَى الْكَتِفِ الْيَمِينِ مُجَبَّرَةٌ
وَبِعَيْنِهِ الْيُسْرَى مَلَامِحٌ كَدَمَةٍ .. كُحْلِيَّةً، وَكَذَا الْخُدُودُ (مَهْبَرَةٌ)
وَبِهِ رُضُوضٌ فِي مَفَاصِلِ جِسْمِهِ .. لَكَأَنَّمَا مَرَّتْ عَلَيْهِ مُجَنْزَرَةٌ!!
وَمَضَى يَقْصُ عَلَى الرَّفَاقِ بِأَنَّهُ .. قَدْ حَطَّمَ الْوَحْشَ الْمُخِيفَ وَكَسَّرَهُ
صَحِيكُوا وَقَدْ عَلِمُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِ .. تَبًّا، لَقَدْ جَعَلَ الرَّجُولَةَ (مَسْحَرَةً)!!

الآثار العملية من حياة السلف:

زوج أبو بكر الصديق ابنته أسماء للزبير بن العوام والزبير رجل مشغول بالجهاد ومع النبي صلى الله عليه وسلم وشديد الغيرة فاشتكت أسماء فقال: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تتزوج بعده جمع بينهما في الجنة. (الطبقات لابن سعد ٨ / ٢٥١)

عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنها قالت: تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز وكان يخبز جارات لي من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال إخ إخ ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أي قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس فكانها أعتقني. (البخارى ٥٢٢٤ - مسلم ١٠٤١/٢)

قال عمر بن الخطاب لحفصة ابنته: أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟! قالت: نعم قال: خابت وخسرت ثم يعظ حفصة ويقول: أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم فتهلكين. (البخارى ٢٤٦٨ مسلم ١٤٧٩)

جاءت امرأة إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين زوجي كثر شره وقل خيره قال لها عمر: ما نعلم من زوجك إلا خيراً فأرسل إليه فجاء فقال له عمر: هذه امرأتك تزعم أنه كثر شرك وقل خيرك قال: بئسما قالت يا أمير المؤمنين والله إنها لأكثر نسائي كسوة وأكثرهن رفاهية بيت ولكن بعلمها بكيء أي: تقدم به السن فصار لا يستطيع الجماع فقال عمر للزوجة: ما تقولين قالت: صدق فأخذ الدرّة فقام إليها فتناولها وقال: يا عدوة نفسها أفنت شبابيه وأكلت ماله ثم أنشأت تشنين عليه ما ليس فيه قالت: يا أمير المؤمنين أقلني في هذه المرة والله لا تراني في هذا المقعد أبدا فدعا عمر بأثواب ثلاثة وقال لها اتقي الله وأحسني صحبة هذا الشيخ كان شاباً ثم تقدمت به السن أو مرض بالسكر أو جاءته الآفات فكما أحسن إليك في هذه السنوات الطويلة فتحميله فيما بقي قال الراوي: كأني أنظر إليها أخذت الأثواب منطلقة ثم أقبل عليه عمر فقال: لا يمنعك ما رأيتني صنعت بها أن تحسن صحبتها قال: أفعل يا أمير المؤمنين.

(محض الصواب في فضائل عمر بن الخطاب للمبرد ٩٩٩/٣ - ١٠٠٠)

دخل أبو الأسود على معاوية ومعه امرأته يشتكيان فقالت: لقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين طلاق جاني من بعل غادر لا تأخذه من الله مخافة قال ومن بعلك؟ قالت هذا فالتفت إليه معاوية وقال أحقاً ما تقول هذه المرأة؟ قال أما ما ذكرت من أمر طلاقها فهو حق ولكني لم أطلقها لريبة ولكنني كرهت شمائلها فقطعت حباثلها فهي كثيرة الصخب مهينة للأهل مؤذية للبعل إن ذكر خير دفتته وإن ذكر شر أذاعته ولا يزال زوجها معها في تعب قالت يا أمير المؤمنين: هو والله جهول ملحاح شحيح حين يضاف ضيفه جائع وجاره ضائع لا يحمي ذماراً ولا يرعى جواراً فالمسألة مشتعلة بين الطرفين وقد تنتهي إلى طريق مسدود فتخاصم في الولد أمام معاوية فوثب أبو الأسود فانتزعه منها فقال معاوية مهلاً يا أبا الأسود قال يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله أي: أنه كان في ظهره ووضعته قبل أن تضعه أي: وضعته في رحمها قبل أن تضعها هي بالولادة فلذلك هو عنده بحسب هذا التحليل أنه أحق بالولد فقالت: يا أمير المؤمنين صدق لكن حمله خفاً وحملته ثقلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً وكان حجري له حواء وبطني له وعاء وثدي له سقاء فأمره معاوية أن يدفع إليها الولد. (أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان ٧٤-٧٦)

روى أن أساء بنت يزيد بن السكن رضي الله عنها: جاءت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، واعلم نفسي لك فداء أنه ما من امرأة كانت في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا أو لم تسمع إلا وهي على مثل رأيي إن الله بعثك إلى الرجال والنساء كافة فآمننا بك وبإهلك وإنا معشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم ومفضى شهواتكم وحاملات أولادكم وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا: بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الخير يا رسول الله؟ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله ثم قال: سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها عن أمر دينها من هذه؟ قالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إليها ثم قال: انصري في أيتها المرأة وأعلمي من وراءك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يعدل ذلك كله قال: فادبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً. (تاريخ دمشق ٧/ ٣٦٣)

٣٦ - باب النفقة على العيال

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ [البقرة : ٢٣٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا [الطلاق : ٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [سبأ : ٣٩] .

٢٨٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « دِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ فِي رِقَبَةٍ ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتُهُ عَلَى أَهْلِكَ » رواه مسلم .

٢٩٠- وعن أبي عبد الله وَيُقَالُ لَهُ : أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثَوْبَانَ بْنِ بُجْدَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ دِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، وَدِينَارًا يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ » رواه مسلم .

٢٩١- وعن أم سلمة رضي الله عنها قَالَتْ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ ، هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ ، وَكُنْتُ بَتَارِكْتَهُمْ هَكَذَا وَهَكَذَا ، إِنَّهَا هُمْ بَنِيَّ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ لَكَ أَجْرٌ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ » متفقٌ عليه .

٢٩٢- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قَدَّمْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ فِي بَابِ النَّبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : « وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ » متفقٌ عليه .

٢٩٣- وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ » متفقٌ عليه .

٢٩٤- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كَفِي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ » حديثٌ صحيحٌ رواه أبو داود وغيره .

ورواه مسلم في صحيحه بمعناه قَالَ : « كَفِي بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يَحْسَبَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوَّتَهُ » .

٢٩٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُضْبِحُ الْعِبَادُ

فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط مُنْفَقاً خَلْفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط مُمْسِكاً تَلْفاً « متفق عليه .

٢٩٦- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَإِبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنَى ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ ، يُعِفَّهُ اللهُ ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال أبو جعفر: يعني - تعالى ذكره - بقوله : " وعلى المولود له " وعلى آباء الصبيان للمراضع " رزقهن " يعني : رزق والدتهن . ويعني ب " الرزق " : ما يقوتهن من طعام ، وما لا بد لهن من غذاء ومطعم . و " كسوتهن " ويعني : ب " الكسوة " : الملبس . عن الضحاك في قوله : والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " قال : إذا طلق الرجل امرأته وهي ترضع له ولدا ، فتراضيا على أن ترضع حولين كاملين فعلى الوالد رزق الموضع والكسوة بالمعروف على قدر الميسرة لا تكلف نفسا إلا وسعها . عن الربيع قوله : وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف " قال : على الأب . (تفسير الطبري ٤٤ / ٥)

عن مجاهد في قوله : لينفق ذو سعة من سعته قال علي : المطلقة إذا أرضعت له . عن ابن جريج في قوله : ومن قدر عليه رزقه قال : قتر ، فلينفق مما آتاه الله قال : أعطاه ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها قال : أعطاه . (تفسير الدر المنثور ٥٦١ / ١٤)

عن أبي سنان قال : سأل عمر بن الخطاب عن أبي عبيدة ، فقيل له : إنه يلبس الغليظ من الثياب ، ويأكل أخشن الطعام ، فبعث إليه بألف دينار ، وقال للرسول : انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها؟ فما لبث أن لبس ألين الثياب وأكل أطيب الطعام ، فجاء الرسول فأخبره ، فقال : رحمه الله ، تأول هذه الآية : لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . عن معمر قال : سألت الزهري عن الرجل لا يجد ما ينفق على امرأته ، يفرق بينهما؟ قال : يستأني له ، ولا يفرق بينهما ، وتلا : لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا . (تفسير الدر المنثور ٥٦٢ / ١٤)

عن الضحاك أنه سئل عن قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه النفقة في سبيل الله؟ قال : لا، ولكن نفقة الرجل على نفسه وأهله فالله يخلفه. عن ابن عباس في قوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : في غير إسراف ولا تقثير. عن مجاهد قال : إذا كان لأحدكم شيء فليقتصد، ولا يتأول هذه الآية : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ؛ فإن الرزق مقسوم يقول : لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه. عن مجاهد في قوله : وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : ما كان من خلف فهو منه، وربما أنفق الإنسان ماله كله في الخير ولم يخلف حتى يموت، ومثلها : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (هود ٦) يقول : ما أتاهم من رزق فمنه، وربما لم يرزقها حتى تموت. (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٢٢٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابو هريرة: كانت له دار تصدق بها على مواليه، والمقصود بمواليه يعني: أولئك الذين كانوا من جملة الأرقاء الذين كان يملكهم ثم أعتقهم فتصدق بها عليهم. (سير أعلام النبلاء ٢ / ٦٢٦)
قال الحسن : ما يعلم أهل السماء وأهل الأرض ما يثبت الله العبد على الشيء يُفْرَحُ به عياله وأهله وولده. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ٩١)
وقيل للحسن: الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها، فقال: أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسَّعَ اللهُ عليك. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ٩١)
قيل للحسن: يا أبا سعيد أرايت إن اشتريت لامرأتي عطرا بعشرين درهما أسرف هو؟ قال: لا. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٨ / ٩٢)

وكان ابن المبارك رحمه الله يقول: لا يقع موقع الكسب على العيال شيء، يعني يقول: هو أفضل شيء، أن تكتسب من أجل العيال، قال: ولا الجهاد في سبيل الله. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٩٩)
عن عبد الله بن المبارك رحمه الله أنه قال: لا أرى لصاحب عشرة آلاف درهم أن يدع الكسب فإنه إن لم يفعل لم آمن أن لا يعطف على جاره ولا يوسع على عياله. (المنتظم ٩ / ٦١)
ويقول زيد بن أبي الزرقاء : ما سألت أحداً شيئاً منذ خمسين سنة، وقال: إذا كان للرجل عيال وخاف على دينه فليهرب يعني: أن الرجل قد يضعف ولربما تزين له نفسه من أجل هؤلاء العيال أن يطلب من الآخرين أو أن يبيع شيئاً من دينه من أجل هذا الاكتساب. قال الذهبي رحمه الله: يهرب لكن بشرط أن لا يضيع من يعول وقد هرب زيد بن أبي الزرقاء ونزل الرملة أشهراً وكان من العابدين. (السير ٩ / ٣١٧)

ويقول محمد بن محمد بن أبي الورد رحمه الله: قال لي مؤذن بشر بن الحارث -يعني الحافي-: رأيت بشراً في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قلت: ما فعل بأحمد بن حنبل؟ قال: غفر له، فقلت: ما فعل بأبي نصر التمار؟ قال: هيهات، ذاك في عليين، فقلت: بماذا نال ما لم تنالاه؟ قال: بفقره وصبره على بُنيّاته. (سير أعلام النبلاء ١٠ / ٥٧٣)

قال أبي قلابة: أيّ رجل أعظم أجراً من رجل ينفق على عيالٍ له صغار، يُعفّمهم الله به ويُغنيهم. (صفة الصفوة ١٦٨ / ٣)

قال الشعبي: ما ترك عبد مالا هو فيه أعظم أجراً، من مال يتركه لولده يتعفف به عن الناس. (حلية الأولياء ١١٢ / ٢)

قال الغزالي: أن من حق الولد على أبيه: أن لا يستعمل في حضانته وإرضاعه إلا امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه، فإذا وقع عليه نشو الصبي انعجت طيبته من الخبث، فيميل طبعه إلى ما يناسب الخبائث. (إحياء علوم الدين ٣ / ٧٠)

قال أحمد بن محمد بن عبد الله اليماني: (روضه العقلاء ٢٣٨)

سأبذلّ مالي كلّما جاء طالبٌ وأجعلُهُ وفقاً على القرضِ والقرضِ
فإمّا كريماً صنتُ بالجودِ عرضَه وإمّا لثيماً صنتُ عن لؤمِهِ عرضي

الآثار العملية من حياة السلف:

قال أبو موسى بن يسار: رأيت عكرمة جائياً من سمرقند على حمار تحته جوالقان (كالخُرَج يُجْعَلان على البعير) فيها حرير أجازه بذلك عامل سمرقند يعني الأمير ومعه غلام فقيل له: ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة وهو من كبار أصحاب ابن عباس الذين أخذوا عنه التفسير ومع ذلك يذهب هذه المسافات الشاسعة البعيدة من أجل الاكتساب لبناته. (سير أعلام النبلاء ٢٨ / ٥)

قال عبد العزيز بن أبي رواد أنه: قلت لعكرمة: تركت الحرمين وجئت إلى خرسان؟ قال: أسعى على بناتي يعني: يطلب الرزق بهذا السفر البعيد من الحرمين إلى خرسان من أجل الاكتساب لهؤلاء البنات. (سير أعلام النبلاء ٢٧ / ٥)

قال حماد: رأيت أيوب رحمه الله لا ينصرف من سوقه؛ إلا معه شيء يحمله لعياله، حتى رأيت قارورة الدهن بيده يحملها، فقلت له في ذلك. فقال: إني سمعت الحسن رحمه الله يقول: إن المؤمن أخذ عن الله

عز وجل أدياً حسناً، فإذا أوسع عليه أوسع وإذا أمسك عليه أمسك. (حلية الأولياء ٤٣٣/١)
 قال مسلم: لقيني معاوية بن قرّة: وأنا جاء من الكلاء فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: اشتريت لأهلي كذا وكذا. قال: وأصبت من حلال؟ قلت: نعم. قال: لأن أغدو فيها غدوت به أحب إلي من أن أقوم الليل وأصوم النهار. (صفة الصفوة ٣/١٨٢)

٤٧- باب الإنفاق مما يجب ومن الجيد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ [آل عمران: ٩٢] وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ [البقرة: ٢٦٧]

٢٩٧- عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالاً مِنْ نَخْلِ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ قَالَ أَنَسُ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ { لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ } وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لَهِ تَعَالَى أَرْجُو بَرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَضَعَهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ » فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفَعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وَبَنِي عَمِّهِ. متفق عليه.

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَالٌ رَابِحٌ » رُوي في الصحيحين « رَابِحٌ » و « رَابِحٌ » بالباء الموحدة وبالياء المثناة، أي رَابِحٌ عَلَيْكَ نَفْعُهُ، و « بَيْرَحَاءٌ » حَدِيثُهُ نَخْلٍ، وروي بكسر الباء وفتحها.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قوله تعالى: لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ: الجنة، قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد، وقال مقاتل بن حيان: التقوى، وقيل: الطاعة وقيل: الخير، وقال الحسن: أن تكونوا أبرارا. قوله تعالى: حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ أَي: مَنْ أَحَبُّ أَمْوَالِكُمْ إِلَيْكُمْ، روى الضحاك عن ابن عباس: أن المراد منه أداء الزكاة. وقال

مجاهد والكلبي : هذه الآية نسختها آية الزكاة ، وقال الحسن : كل إنفاق يبتغي به المسلم وجه الله حتى الثمرة ينال به هذا البر وقال عطاء : لن تنالوا البر أي : شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وأنتم أصحاب أشحاء . (تفسير الدر المنثور ٢/٦٦)

عن مجاهد قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت فدعا بها فأعجبه فقال : إن الله عز وجل يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فأعتقها عمر . وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال : خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية . لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . قال ابن عمر : فذكرت ما أعطاني الله عز وجل ، فما كان شيء أعجب إلي من فلانة هي حرة لوجه الله تعالى ، قال : لولا أنني لا أعود في شيء جعلته الله لنكحتها . (الدر المنثور ٢/٦٧)
عن علي بن أبي طالب في قوله : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم . قال : من الذهب والفضة ، ومما أخرجنا لكم من الأرض قال : يعني من الحب والتمر وكل شيء عليه . عن مجاهد في قوله : أنفقوا من طيبات ما كسبتم قال : من التجارة ، ومما أخرجنا لكم من الأرض قال : من الثمار .

(تفسير الدر المنثور ٣/٢٥٤)

يأمر تعالى عباده المؤمنين بالإنفاق والمراد به الصدقة هاهنا ؛ قاله ابن عباس من طيبات ما رزقهم من الأموال التي اكتسبوها . قال مجاهد : يعني التجارة بتيسيره إياها لهم . وقال علي والسدي : من طيبات ما كسبتم . يعني : الذهب والفضة ، ومن الثمار والزروع التي أنبتها لهم من الأرض . قال ابن عباس : أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه ، ونهاهم عن التصديق برذالة المال ودينه وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، ولهذا قال : ولا تيمموا أي : تقصدوا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه أي : لو أعطيتموه ما أخذتموه ، إلا أن تتغاضوا فيه ، فالله أغنى عنه منكم ، فلا تجعلوا الله ما تكرهون .

(تفسير بن كثير ١/٦٩٧)

عن البراء : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذه إلا أن تغمضوا فيه قال : نزلت فينا ، كنا أصحاب نخل وكان الرجل يأتي من نخله بقدر كثرته وقلته فيأتي الرجل بالقنو فيعلقه في المسجد وكان أهل الصفة ليس لهم طعام ، فكان أحدهم إذا جاع جاء فضربه بعصاه فيسقط منه البسر والتمر فيأكل وكان أناس ممن لا يرغبون في الخير يأتي بالقنو فيه الحشف والشيص ويأتي بالقنو قد انكسر

فيعلقه ، فنزلت : ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بأخذيهِ إلا أن تغمضوا فيه قال : لو أن أحدكم أهدي له مثل ما أعطى ما أخذه إلا على إغماض وحياء فكنا بعد ذلك يجيء الرجل منا بصالح ما عنده. (نفسير بن كثير ١/٦٩٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أبي هريرة قال: اشترى عثمان بن عفان من رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مرتين، بيع الخلق حين حفر بئر رومة، وحين جهز جيش العسرة. (حلية الأولياء ١/٥٨)

عن صفوان بن عمرو: أن أبا الدرداء كان يقول: يا معشر أهل الأموال، بردوا على جلودكم من أموالكم، قبل أن تكون وإياكم فيها سواء، ليس إلا أن تنظروا فيها وننظر فيها معكم. (الحلية ١/٢١٨)

قال قبيصة: صحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه. (حلية الأولياء ١/٨٨)

قال أبو ذر: في المال ثلاثة شركاء القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها وأنت ذميم فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن فان الله عز وجل يقول: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران ٩٢) ألا وان هذا الجمل مما كنت أحب من مالي، فأحببت أن أقدمه لنفسي. (حلية الأولياء ١/١٦٣)

قال مجاهد: لو أن رجلاً أنفق مثل أحد في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين. (الحلية ٣/٣٩٢)

قال حاتم الأصم: من ادعى حب الجنة من غير إنفاق ماله، فهو كذاب. (حلية الأولياء ٨/٧٥)

قال حاتم الأصم: إذ تصدقت بالدرهم فإنه ينبغي لك خمسة أشياء: أما واحد فلا ينبغي لك أن تعطى وتطلب الزيادة، ولا ينبغي لك أن تعطي من ملامة الناس، ولا ينبغي لك أن تمن على صاحبه، ولا ينبغي لك إذا كان عندك درهمان فتعطي واحداً تأمن هذا الذي بقي عندك، ولا ينبغي لك أن تعطى تبتغي الثناء؛ وقال: مثلها مثل رجل يكون له دار فيها غنم له، وللدار خمسة أبواب، وخارج الدار ذئب يدور حولها، فإن أخذت أربعة أبواب وبقي واحد، دخل الذئب واكل الغنم كلها، وهكذا إذا تصدقت وأردت من هذه الخمسة الأشياء شيئاً واحداً، فقد أبطلت الصدقة. (حلية الأولياء ٨/٧٧)

كان علي بن الحسين: إذا ناول الصدقة السائل، قبله ثم ناوله. (حلية الأولياء ٣/١٣٦)

قال شهاب بن عامر: أن الحسن بن علي: قاسم الله عز وجل ماله مرتين حتى تصدق بفرد نعله.

(حلية الأولياء ٢ / ٣٧)

كان علي بن الحسين يحمل الخبز على ظهره بالليل فيتصدق به ويقول: إن صدقة السر تطفئ غضب الرب عز وجل. (حلية الأولياء ٣ / ١٦٣)

عن أصبغ بن زيد قال: كان أويس القرني إذا أمسى يقول: هذه ليلة الركوع، فيركع حتى يصبح وكان يقول إذا أمسى: هذه ليلة السجود، فيسجد حتى يصبح، وكان إذا أمسى تصدق بما في بيته من الفضل من الطعام والثياب، ثم يقول: اللهم من مات جوعاً فلا تؤاخذني به، ومن مات عريانا فلا تؤاخذني به. (حلية الأولياء ٢ / ٨٧)

عن هشام بن عروة قال: قال عروة لبنيه: يا بني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحي أن يهديه إلى كريمه فإن الله عز وجل أكرم الكرماء وأحق من أختير إليه. (حلية الأولياء ٢ / ١٧٧)

قال يونس بن عبيد: ما أعلم شيئاً أقل من درهم طيب ينفقه صاحبه في حق أو أخ يسكن إليه في الإسلام وما يزدادان إلا قلة. (حلية الأولياء ٣ / ١٧)

عن بشر بن الحارث يقول: الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد، ثم قال: ذاك يركب ويرجع ويراه الناس، وهذا يعطى سرا لا يراه إلا الله عز وجل. (حلية الأولياء ٨ / ٣٣٩)

قال معن بن عيسى: سمعت أن عامر بن عبد الله ربا خرج بالبصرة فيها عشرة آلاف درهم يقسمها، فما يصلي العتمة ومعه منها درهم. (حلية الأولياء ٣ / ١٦٦)

قال عون بن عبد الله: إذا أعطيت المسكين شيئاً فقال: بارك الله فيك فقل أنت بارك الله فيك حتى تخلص لك صدقتك. (حلية الأولياء ٤ / ٢٥٣)

قال مالك بن دينار: أخذ السبع صبيا لامرأة فتصدقت بلقمة فألقاه السبع فنوديت لقمة بلقمة. (حلية الأولياء ٢ / ٣٨٤)

قال سفيان الثوري: ما أرى كان يدفع عن أهل هذه المدينة إلا بمحمد بن سوقة ورث عن أبيه مائة ألف، فتصدق به كله. (حلية الأولياء ٥ / ٥)

قال ميمون بن مهران: لئن أتصدق بدرهم في حياتي أحب إلي من أن يتصدق عني بعد موتي بمائة درهم. (حلية الأولياء ٤ / ٨٧)

قال سعيد بن جبير: من إضاعة المال أن يرزقك الله حلالاً، فتنفقه في معصية الله . (الحلية ٤ / ٢٨١)
 قال الأعمش: ورث خيشمة بن عبد الرحمن مائتي ألف درهم، فأنفقها على الفقراء والفقهاء.
 (حلية الأولياء ٤ / ١١٣)

قال مغيرة: كان أويس القرني يتصدق بثيابه، حتى يجلس عرباناً لا يجد ما يروح فيه أي إلى الجمعة.
 (حلية الأولياء ٢ / ٨٤)

كان الربيع بن خثيم يقول: إذا جاء سائل أطعموه سكرأ فإن الربيع يحب السكر. (الحلية ٢ / ١١٥)
 كان جعفر بن محمد: يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء. (حلية الأولياء ٣ / ١٩٤)
 قال المنتصر بن بلال الأنصاري: (روضه العقلاء ٢٣٥)

الجودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ لا يستوي البخلُ عندَ اللهِ والجودُ
 والفقْرُ فيه شخوصٌ والغنى دعةٌ والنَّاسُ في المالِ مرزوقٌ ومحدودٌ

آثار العملية في حياة السلف:

عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل قال: وكان ربما تصدق في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً قال: وأعطاه ابن عامر مرتين ثلاثين ألفاً فقال: يا نافع إني أخاف أن تفتنني دراهم ابن عامر، اذهب فأنت حر، وكان لا يدمن اللحم شهراً إلا مسافراً أو في رمضان قال: وكان يمكث الشهر لا يذوق فيه مزعة لحم. (حلية الأولياء ١ / ٢٩٥)

قال نافع: ما مات ابن عمر، حتى أعتق ألف إنسان أو زاد. (حلية الأولياء ١ / ٢٩٦)

وقال نافع: بعث معاوية إلى ابن عمر مائة ألف فما حال الحول وعنده منها شيء. (الحلية ١ / ٢٩٦)
 وقال ايضاً: باع ابن عمر أرضاً له بيأتي ناقة، فحمل على مائة منها في سبيل الله عز وجل، واشترط على أصحابها أن لا يبيعوا حتى يجاوزوا بها وادي. (حلية الأولياء ١ / ٢٩٦)

قال عبد الله بن أبي عثمان: كان عبد الله بن عمر رضي الله عنه أعتق جاريته التي يقال لها رُمَيْثَة، فقال: إني سمعت الله عز وجل قال في كتابه: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران ٩٢) وإني والله إن كنت لأحبك في الدنيا، اذهبي، فأنت حرة لوجه الله. (صفة الصفوة ١ / ٢٦٩)

عن المسور بن مخرمة: باع عبد الرحمن بن عوف أرضاً له من عثمان بأربعين ألف دينار فقسم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين، وأمهات المؤمنين، وبعث إلى عائشة معي بمال من ذلك المال، فقالت عائشة:

أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لن يحنو عليكم بعدي إلا الصالحون سقا الله ابن عوف من سلسيل الجنة. (حلية الأولياء / ١ - ٩٨ - ٩٩)

عن مجاهد قال: كان بالمدينة أهل بيت ذو حاجة، عندهم رأس شاة فأصابوا شيئاً، فقالوا: لو بعثنا بهذا الراس الى من هو احوج اليه منا قال فبعثوا به فلم يزل يدور بالمدينة حتى رجع الى اصحابه الذين خرج من عندهم. (حلية الأولياء / ٣ - ٣٩٦ - ٣٩٧)

كان عروة بن الزبير: إذا كان أيام الرطب يثلثم (يفتح) حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون قال: وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو، فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية: (وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) (الكهف ٣٩) حتى يخرج من الحائط. (حلية الأولياء / ٢ - ١٨٠)

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: كان للزبير بن العوام رضي الله عنه ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة، ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. (الحلية (تهذيبه) / ١ - ٩٢)

قال عوف بن الحسن: باع طلحة أرضاً له بسبعائة ألف فبات ذلك المال عنده ليلة، فبات أرقاً من مخافة المال حتى أصبح، ففرقه. (حلية الأولياء / ١ - ٨٩)

عن سعدى بنت عوف امرأة طلحة بن عبيد الله قالت: لقد تصدق طلحة يوماً بائة ألف درهم، ثم حبسه عن الرواح إلى المسجد أن جمعت له بين طرفي ثوبه. (حلية الأولياء / ١ - ٨٨)

قال عروة: لقد رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفاً وإنما لترقع جيب درعها. (الحلية / ٢ - ٤٧)

قال أبي عبد الله الحضرمي: مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل في كل يوم بدينار وينفقه على الفقراء ويصوم ثم يخرج من بين الصلاتين المغرب والعشاء فيتصدق ما يفطر عليه من الابواب. (حلية الأولياء / ١٠ - ٣٤٠)

عن سعيد بن عبد العزيز يقول: كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان يقسمه كل ليلة ثم يقوم إلى منزله وليس معه منه شيء. (حلية الأولياء / ٧ - ١٤٥)

عن حجاج قال: ركب شعبة حمراً له، فلقيه سليمان بن المغيرة، فشكى إليه، فقال له شعبة: والله ما أملك إلا هذا الحمار، ثم نزل عنه ودفعه إليه. (حلية الأولياء / ٧ - ١٤٥)

عن الحميدي يقول: قدم الشافعي من صنعاء إلى مكة بعشرة آلاف دينار في مندبل، فضرب خباءة في موضع خارجاً من مكة، فكان الناس يأتونه فيه، فما برح حتى وهب كلها. (حلية الأولياء ٩/ ١٣٠)

قال مهدي بن سابق: طلب ابن أخ محمد بن سوقة منه شيئاً، فبكى فقال له: والله يا عم، لو علمت أن مسألتي تبلغ منك هذا ما سألتك، قال: ما بكيت لسؤالك، إنما بكيت لأني لم أبتديك قبل سؤالك.

(حلية الأولياء ٥/ ٦-٧)

٢٨- بيان وجوب أمره وأولاده المصيرين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن مخالفة ، وتاديبهم ، ومنعهم من ارتكاب منهي منه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَأَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطِرَابِ عَلَيْهَا [طه : ١٣٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا [التحريم : ٦] .

٢٩٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرّة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُخْ كُخْ ، إِزْمِ بِهَا ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ، ؟ » متفق عليه .

وفي رواية : « إنا لا نحلُّ لنا الصَّدقة » وقوله : « كُخْ كُخْ » يُقَالُ بِاسْتِثْنَاءِ الْحَاءِ ، وَيُقَالُ بِكَسْرِهَا مَعَ التَّنْوِينِ وَهِيَ كَلِمَةٌ زَجْرٌ لِلصَّبِيِّ عَنِ الْمُسْتَقْدِرَاتِ ، وَكَانَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَبِيًّا .

٢٩٩- وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد : ريب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجْرٍ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَتْ يَدَيَّ تَطِيْشُ فِي الصَّخْفَةِ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا غُلَامُ سَمَّ اللهُ تَعَالَى وَكُلَّ بِيَمِينِكَ ، وَكُلَّ مِمَّا يَلِيكَ » فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ . متفق عليه . « وَتَطِيْشُ » : تَدْوُرُ فِي نَوَاحِي الصَّفْحَةِ .

٣٠٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « كُكُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْإِمَامُ رَاعٍ ، وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفق عليه .

٣٠١- وعن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ ، وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ .

٣٠٢- وعن أبي ثُرَيْبَةَ سَبْرَةَ بْنِ مَعْبُدِ الْجَهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ » حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود ، والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ . وَلَقَدْ أَبِي دَاوُدَ : « مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ »

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى شيئاً من الدنيا جاء إلى أهله فقال الصلاة . وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا . عن زيد بن أسلم عن أبيه ، قال : كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانته أنا ويرفأ وكانت له من الليل ساعة يصليها فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها . (الطبري ٤٠٦/١٨)

عن سعيد بن جبير في قوله : وأمر أهلك قال : قومك . عن أبي سعيد الخدري قال : لما نزلت : وأمر أهلك بالصلاة كان النبي صلى الله عليه وسلم يجيء إلى باب علي صلاة الغداة ثمانية أشهر يقول : الصلاة رحمكم الله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا (الأحزاب ٣٣) .

(تفسير الدر المنثور ٢٦٦/١٠)

عن علي بن أبي طالب في قوله : قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال : علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم عن ابن عباس في قوله : قوا أنفسكم وأهليكم نارا قال : اعلموا بطاعة الله ، واتقوا معاصي الله ، وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار) . عن زيد بن أسلم قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : قوا أنفسكم وأهليكم نارا فقالوا : يا رسول الله ، كيف نقي أهلنا نارا؟ قال : تأمروهم بما يجب الله ، وتنهوهم عما يكره الله . عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : مر عيسى عليه السلام بجبل معلق بين السماء والأرض ، فدخل فيه وبكى ، وتعجب من حوله ، ثم خرج إلى من حوله ، فسأل : ما قصة هذا الجبل؟ فقالوا : ما لنا به علم ، كذلك أدركنا آباءنا فقال : يا رب ، ائذن لهذا الجبل يخبرني ما قصته ، فأذن

له فقال : لما قال الله : نارا وقودها الناس والحجارة طرت، خفت أن أكون من وقودها، فادع الله أن يؤمنني، فدعا الله، فأمنه، فقال : الآن قررت، فقرر على الأرض . (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٥٩٠)

عن محمد بن هاشم قال: لما نزلت هذه الآية : وقودها الناس والحجارة قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فسمعها شاب إلى جنبه فصعق، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجره رحمة له، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثم فتح عينيه، فإذا رأسه في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبي أنت وأمي، مثل أي شيء الحجر؟ فقال : أما يكفيك ما أصابك؟ على أن الحجر منها لو وضع على جبال الدنيا لذابتمنه، وإن مع كل إنسان منهم حجرا وشيطانا. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٥٩٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال كعب الأحبار: قال لقمان الحكيم فيما يعظ به ابنه: يا بني، أقم الصلاة، فإن مثلها في دين الله كمثل عمود فسطاط، فإن العمود استقام، نفعت الأوتاد والأطناب والظلال، فإذا مال العمود أو تغير، لم ينفع وتد، ولا طناب، ولا ظلال؛ يا بني، وإنما مثل الأدب الحسن، كمثل طاق في جدار، بين كل طبقتين خشب مغروس، فكلما تحات طبقة، أمسكه خشبه، بإذن الله؛ إن الله إذا سجد له شيء، لم يقلع من نظر الله، فإذا قال: يا رب يا رب، سمع نداءه وأجابه؛ وكن عبداً لمن صاحبك، يكن لك عبداً، ولا تصاعر خدك للناس فيبغضوك، والله أشد منهم مقتاً؛ وتصدق يا بني من فضل ما أعطاك ربك: يزدك من فضله، ويطفئ عنك غضبه؛ وارحم الجار، الفقير والمسكين، والمملوك والأسير، والخائف واليتيم، فأدنه، وامسح رأسه؛ فإن الله يرحمك إذا رحمت عباده. (حلية الأولياء ٦ / ١٩)

عن لقمان، قال لابنه: يا بني، ليس غناء كصحة ولا نعيم كطيب نفس. وقال مالك: قال لقمان لابنه: يا بني، إن الناس قد تناول عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة سراع يذهبون، وإنك قد استدبرت الدنيا منذ كنت واستقبلت الآخرة وإن دارا تسير إليها أقرب إليك من دار تخرج منها. (الحلية ٦ / ٣٢٠)

عن مكحول عن كعب: أن لقمان قال لابنه: يا بني، كن أحرص عاقلاً، ولا تكن نطوقاً جاهلاً؛ ولأن يسيل لعابك على صدرك وأنت كاف اللسان عما لا يعينك، أجمل بك وأحسن، من أن تجلس إلى قوم فتنطق بما لا يعينك؛ ولكل عمل دليل، ودليل العقل التفكير، ودليل التفكير الصمت؛ ولكل شيء مطية، ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تنهى عما تتركب، وكفى بك عقلاً أن يسلم الناس من شرك.

(حلية الأولياء ٦ / ٦)

قال عقبه بن الحارث: رأيت أبا بكر رضي الله عنه يحمل الحسن بن علي ويقول: بأبي شبيه بالنبي ليس شبيهاً بعلي وعلي معه يتبسم. (ابن أبي الدنيا في العيال ١ / ٤٣١)

قال الحافظ في الفتح: وكان عمر الحسن إذ ذاك سبع سنين. (فتح الباري ١٤ / ٤٩)

وقال سنان بن سلمة: كنت في غلمة بالمدينة نلتقط البلح فأبصرنا عمر وسعى الغلمان وقمت، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنها هو ما ألتقت الريح. قال: أرني أنظر. فلما أريته قال: انطلق. قال: قلت: يا أمير المؤمنين، وهؤلاء الغلمان، إنك لو تواريت انتزعوا ما معي قال: فمشى معي حتى بلغت مأمني. (العيال ١ / ٤١٨)

وجيء بسكران في رمضان إلى عمر بن الخطاب فقال له موبخاً وزاجراً في رمضان ويملك وصبياننا صيام؟! فضربه. (البخاري ١٦٩٠)

قد عزل عمر والياً؛ لأنه لا يلاعب أطفاله. (العيال لابن أبي الدنيا ١ / ٤١٣ - البخاري ٤ / ٢٢٧)

ومزق ابن مسعود رضي الله عنه قميصاً من حرير على أحد أولاده وقال: قل لأمك تكسوك غير هذا. (مجمع الزوائد ٥ / ١٤٧)

وقال الموفق: ويتجنب الثياب التي عليها تصاوير أو صلبان. (المغني لابن قدامة ١ / ٦٢٨)

قال ابن مسعود رضي الله عنه: حافظوا على أبنائكم في الصلاة، ثم تعودوا الخير فإن الخير بالعادة. (العيال ١ / ٤٦٩)

قال عامر بن عبدالله بن مسعود: كان أبي إذا دخل الدار استأنس أي أشعر أهله بما يؤنسهم وتكلم ورفع صوته حتى يستأنسوا. (ادب الاسلام ١٤)

قال علي بن أبي طالب لابنه الحسن: يا بُني رأس الدين صُحبة المتقين، وتماّم الإخلاص اجتناب المحارم، وخيرُ المقال ما صدّقه الفعال. اقبل عذر من اعتذر إليك، واقبل العفو من الناس، وأطع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفاك. (كنز العمال ١٦ / - ٢٦٩ - رقم ٤٤٣٩٢)

قال معاذ بن جبل لابنه: يا بُني إذا صليت فَصَلِّ صلاة مودّع لا تظنّ أنك تعودُ إليها أبداً، واعلم يا بني أن المؤمن يموتُ بين حسنتين؛ حسنة قَدَمها، وحسنة أُخَرها. (الزهد لآحمد حديث ٦٣٨)

وعن الشعبي عن ابن عباس قال: قال لي أبي: أيُّ بُني إني أرى أمير المؤمنين يدعوك ويقربك ويستشيرك مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فاحفظ عني ثلاث خصال: اتق الله.. لا يُجربنَّ عليك

كذبة، وَلَا تُفْشِيَنَّ لَهُ سِرًّا، وَلَا تَغْتَابَنَّ عِنْدَهُ أَحَدًا. قال الشعبي: فقلت لابن عباس: كلُّ واحدةٍ خيرٌ من ألف!! قال: كلُّ واحدةٍ خيرٌ من عشرة آلاف. (حليه الأولياء ١ / ٣١٨)

قال عكرمة: ختن ابن عباس بنيه فأرسلني فجئتته بلعابين فلعبوا وأعطاهم أربعة دراهم. (العيال ٢ / ٧٨٨)
قال ابن عباس: من قرأ القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن أوتى الحكم صبيا. (الآداب الشرعية ١ / ٢٤٤)
قال عبادة بن الصامت لابنه: يا بني، لن تجد حقيقة الإيمان، حتى تعلم: أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: أكتب؛ قال: يا رب، ماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات على غير هذا، فليس مني». غريب من حديث إبراهيم، تفرد به يحيى عن الوليد. (حلية الأولياء ٥ / ٢٤٨)

قال ابن عمر لرجل: يا هذا أحسن أدب ابنك فإنك مسؤول عنه، وهو مسؤول عن برك.
(العيال لابن الدنيا برقم ٣٢٩)

وكان ابن عمر يقول: إنَّ الوالد مسؤول عن الولد وإنَّ الولد مسؤول عن الوالد يعني: في الأدب والبرِّ.
(الزهد لابن السري ٢ / ٤٨٦)

عن ابن عمر أنه قال: أسأهم الله عزَّ وجل أبرارا لأئمتهم برُّوا الآباء والأبناء فكما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق. قال الوليد بن نمير بن أوس أنه سمع أباة يقول: كانوا يقولون: الصَّلاح من الله، والأدب من الآباء. (الأدب المفرد للبخاري)

قال أبي ذر: قال صلى الله عليه وسلم: إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزهِ الذي تحت العرش فتعلموهن وعلموهن نساءكم وأبناءكم؛ فإنها صلاة وقرآن ودعاء. (مستدرک الحاكم ١ / ٥٦٢)
قال سعيد بن العاص: إذا علِّمتُ ولدي القرآن وأحججته وزوجته فقد قضيتُ حقه وبقي حقي عليه.
(العيال لابن الدنيا ١ / ٢٢٥)

أرسل معاوية رضي الله عنه: إلى دغفل فسأله عن العربية وعن أنساب العرب وسأله عن النجوم فإذا رجل عالم قال: يادغفل! من أين حفظت هذا؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول وإن آفة العلم النسيان قال: انطلق بين يديّ - يعني ابنه - يزيد فعلمه العربية وأنساب قريش والنجوم وأنساب الناس.

(العيال لابن أبي الدنيا ١/٥٢٨)

قال انس بن مالك : كانوا يعلمون أولادهم محبة الشيخين كما يعلمونهم السورة من القرآن.

(شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للطبري ٧/١٣١٣)

قال عبد العزيز بن جعفر اللؤلؤي : قلت للحسن : حب أبي بكر وعمر سنة ؟ قال : لا فريضة.

(شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للطبري ٧/١٣١٢)

ولما دفع عبد الملك وُلده إلى الشعبي يؤدبهم قال : علمهم الشعر يمجّدوا وينجدوا ، وحسّن شعورهم

تشتد رقابهم ، وجالس بهم عليّة الرجال يناقضوهم الكلام . (العيال ١/٥١٢)

عن علي بن الحسين، أنه قال لابنه: يا بني، اصبر على النوائب، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك إلى

الأمر الذي مضرتك عليك، أكثر من منفعته له. (حلية الأولياء ٣/١٣٨)

أوصى عمر بن عبد العزيز مؤدب ولده سهلاً قائلاً : وليفتح كل غلام فيهم بجزء من القرآن يثبت في

قراءته ؛ فإذا فرغ تناول قوسه ونبله وخرج إلى الغرض حافياً فرمى سبعة أرشقة ثم انصرف إلى القائلة.

(التربية البدنية والرياضية في التراث ٣٨)

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يكتب للأمصار : لا يقرن المعلم فوق ثلاث ؛ فإنها مخافة للغلام

يعني لا يجمع ثلاث ضربات. (ابن أبي الدنيا في العيال ١/٥٣١)

قال الرشيد لمعلم ولده. قال خلف الأحمر: بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد الأمين فقال: يا أحمرا إن

أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمره قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة، فكن له

بحيث وضعك أمير المؤمنين. أقرئه القرآن وعلمه الأخبار ورواه الأشعار وعلمه السنن، وبصره بمواقع

الكلام وبدئه وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذه بتعظيم مشايخ بني هاشم، إذا دخلوا عليه، ورفع

مجالس القواد إذا حضروا مجلسه. ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه

فتميت ذهنه. ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه وقومته ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن

أباهما فعليك بالشدة والغلظة. (المحاسن والمساوى للبيهقي ٢٤٤)

قال محمد بن ابى زيد : لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط

شيئا. (حكم المعلمين ١/١١٦)

عن كثير بن زياد أنه سأل الحسن البصري عن قوله تعالى: (هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) (الفرقان ٧٤) فقال: يا أبا سعيد ما هذه قرّة الأعين؟ أفي الدنيا أم في الآخرة؟ قال: لا بل والله في الدنيا قال: وما هي؟ قال: هي والله أن يُرى الله العبد من زوجته، من أخيه، من حميمه طاعة الله لا والله ما شيء أحب إلى المرء المسلم من أن يرى والدًا أو ولدًا أو حميمًا أو أخًا مطيعًا لله عزَّ وجلَّ. (شعب الإيمان ١١ / ١٣٨)

عن الحسن أنه دخل منزله وصبيان يلعبون فوق البيت ومعه عبد الله ابنه فنهاهم فقال الحسن: دعهم فإن اللعب ربيعهم. (بن أبي الدنيا في العيال ٢ / ٧٩١)

وقال رجل للحسن: قد خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: ممن يتقي الله فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها. (احياء علوم الدين ٢ / ٤١)

عن الحسن البصري قال: إذا رأيت الرجل يقتر على عياله، فإن عمله بينه وبين الله أخبث وأخبث. (حلية الأولياء ٦ / ١٧٨)

وكان علي بن الحسين يعلمهم: قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت وكان بعض السلف يعلم الصبيان قول: لا إله إلا الله. (مصنف بن أبي شيبة ١ / ٣٤٨)

وقال يونس: حذق ابن لعبد الله بن الحسن فقال عبد الله: إن فلاناً قد حذق فقال الحسن: كان الغلام إذا حذق قبل اليوم نحروا جزوراً وصنعوا طعاماً للناس. (العيال ١ / ٤٨٩)

وقال الإمام أحمد: اليتيم يؤدب ويضرب ضرباً خفيفاً. (الآداب الشرعية ١ / ٤٧٧)

وسئل الإمام أحمد عن ضرب المعلم الصبيان فقال: على قدر ذنوبهم ويتوقى بجهد الضرب وإن كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه. (الآداب الشرعية ١ / ٤٧٧)

قال صالح بن الأمام أحمد بن حنبل: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متقشف لأنظر إليه يجب ان أكون مثله. (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٢٩)

قال سفيان الثوري: من حق الولد على الوالد أن يحسن أده. (العيال لابن أبي الدنيا ٢٣٢)

قال الثوري: ينبغي للرجل ان يُكره ولده على العلم فإنه مسؤول عنه. (سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٧٣)

عن سفيان الثوري قال: من سعادة المرء، أن يشبهه ولده. (حلية الأولياء ٧ / ٧٢)

قال محمد بن عمران الضبي: سمعت أبي يحكي قال: مرّ سفيان الثوري بزياد بن كثير وهو يصف

الصبيان للصلاة، ويقول: استووا اعتدلوا سوّوا مناكبكم وأقدامكم اتكئ على رجلك اليسرى، وانصب اليمنى ووضّع يديك على ركبتيك ولا تسلّم حتى يسلم الإمام من كلا الجانبين، فقام سفيان ينظر ثم قال: بلغني أنّ الأدب يطفى غضب الربّ. (حلية الأولياء ٧ / ٧٩)

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده : ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك فإن عيونهم معقودة بك فالحسن عندهم ما صنعت والقبيح عندهم ما تركت وعلمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه ولا تتركهم منه فيهجروه ثم روهم من الشعر أعفّه ومن الحديث أشرفه ولا تُخرجهم من علم إلى غيره حتى يُحكّموه فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للفهم. (البيان والتبيين ٢٤٩)

قال النضر بن شميل: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول : قال لي أبي : يا بني ! اطلب الحديث فكلما سمعت حديثاً وحفظته فلك درهم. (شرف اصحاب الحديث للبغدادى حديث ١٣٤)

قال أبو خبيب الكرابيسي : كان معنا ابن لأيوب السخثياني في الكُتّاب فحذق الصبي فأتينا منزلهم فوضّع له منبر فخطب عليه ونهبوا علينا الجوز وأيوب قائم على الباب يقول لنا: ادخلوا وهو خاص لنا. (العيال لابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٥)

وكان مسروق لا يعصى أبنته شيئاً قال: فنزلت اليه فقالت : يا أبتاه أظفر وأشرب قال : ما أردت بي يابنيه؟ قالت: الرفق قال يابنيه إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .

(سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٨٩)

عن إبراهيم بن شيبان قال: سمعت إسماعيل ابن عبيد يقول: لما حضرت أبي الوفاة، جمع بني، وقال، يا بني، عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآن فتعاهدوه، وعليكم بالصدق؛ حتى لو قتل أحدكم قتيلاً ثم سئل عنه، أقر به؛ والله، ما كذبت كذبه منذ قرأت القرآن؛ يا بني، وعليكم بسلامة الصدور لعامة المسلمين، فوالله، لقد رأيتني وأنا لا أخرج من بابي، وما ألقى مسلماً، إلا والذي في نفسي له، كالذي في نفسي لنفسي؛ أفترون أني لا أحب لنفسي إلا خيراً. (حلية الأولياء ٦ / ٨٥ - ٨٦)

قال عبد الله بن طاووس: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم واعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن خلقه.

(حلية الأولياء ٤ / ١٣)

عن مالك ابن مغول قال: شكى أبو معشر ابنه إلى طلحة بن مصرف، فقال: إستعن عليه بهذه الآية: (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي) (الأحقاف ١٥). (حلية الأولياء ١٩ / ٥)

كان ابن الجوزي الواعظ من ثمار الشيخ أبي القاسم البلخي فإنه علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقأها وكان عمره ثلاث عشرة سنة قال ابن الجوزي: وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا وهو أول مجالسه رحمه الله. (المنتظم ١٧ / ٢٣٦)

الأمام السلمي لما أراد الحج قال: استأذنت امي في الحج فقالت لى: توجهت الى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غدا. (سير أعلام النبلاء ١٧ / ٢٤٩)

كان ابن شهاب الزهري يشجع الصغار ويقول: لا تحتقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فإن عمر بن الخطاب كان إذانزل به الأمر المعضل دعا الفتيان فاستشارهم يتبع حدة عقولهم. (جامع بيان العلم وفضله ١ / ٨٥)
قال ابراهيم الحري: جنبوا أولادكم قرناء السوء قبل أن تصبغوه في البلاء كما يصبغ الثوب. (ذم الهوى ٢٦٦)

قال عبدالله بن عيسى: لا تزال هذه الأمة بخير ما تعلم ولدانها القرآن. (العيال لابن أبي الدنيا ٣٠٩)
كان عبد الله التستري يردد في طفولته قبل أن ينام الله شاهدي الله ناظري الله معي. (العيال ١ / ٤٦٩)
قال ابن عقيل: والعاقل إن خلا بأطفاله خرج بصورة طفل ويهجر الجد في ذلك الوقت. (الآداب الشرعية ٣ / ٢٢٨)

عن أم الأسود بن يزيد قعدت من رجليها فجزعت ابنه لها فقالت لا تجزعي اللهم ان كان خيرا فزد! (الرضا عن الله ٩٤)

قال رجل للأعمش: هؤلاء الأطفال حولك! قال: اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك. (الكفاية في علم الرواية ٢١٥)

قال إبراهيم النخعي: كانوا يرخصون للصبيان في اللعب كله إلا بالكلاب. (العيال ٢ / ٧٩٨)
قال سعيد بن جبير: الحث على التدرج في أخذ الطفل بالجد. (فتح الباري ١٩ / ١٠٠)
عن سعيد بن جبير قال: إني لأزيد في صلاتي، من أجل ابني هذا. (حلية الأولياء ٤ / ٢٧٩)

قال ابن تيمية : فإن ما حرم الله على الرجل فعله حرم عليه أن يُمكن منه الصغير وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوباً من حرير على صبي للزبير فمزقه وقال : لا تُلبسوهم الحرير .
(مجموع الفتاوى ٢٢/١٤٣)

قال ابن تيمية : طلب الحلال والنفقة على العيال باب عظيم لا يعدله شيء من أعمال البر .
(الإيمان الاوسط ٦٠٩)

قال ابن القيم رحمه الله : إذا رأى الصبي وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالرمح وأنه لا نفاذ له من العلم ولم يخلق له ومكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين . (التربية البدنية والرياضية في التراث ٧٧)

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وكم ممن أشقى ولده، وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانتة على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء .
(تحفة المودود بأحكام المولود ١/٢٤٢)

قال خلف الأحمر : (جامع بيان العلم ١ / ٣٦٠)

خَيْرٌ مَا وَرَثَ الرَّجَالُ بَيْنَهُمْ أَدَبٌ صَالِحٌ وَحُسْنُ الشَّنَاءِ
هُوَ خَيْرٌ مِنَ الدَّنَائِرِ وَالْأَوْ رَاقٍ فِي يَوْمِ شِدَّةٍ أَوْ رَخَاءِ
تِلْكَ تَفَنَى وَالِدَيْنِ وَالْأَدَبُ الصَّالِحُ لَا يَفْنِيَانِ حَتَّى اللَّقَاءِ
إِنْ تَأَدَّبْتَ يَا بُنَيَّ صَغِيرًا كُنْتَ يَوْمًا تُعَدُّ فِي الكِبَرَاءِ
وَإِذَا مَا أَضَعْتَ نَفْسَكَ أُفِيَتْ كَبِيرًا فِي زُمْرَةِ العَوَغَاءِ
لَيْسَ عَطْفُ القَضِيبِ إِنْ كَانَ رَطْبًا وَإِذَا كَانَ يَابِسًا بِسَوَاءِ .

قال أبو العلاء المعري : (ديوان لزوم ما لا يلزم كمال الأزجي ٢/٤٩٦)

وينشأ ناشئُ الفتيان منا على ما كان عودُه أبوه
وما دان الفتى بحجى ولكن يعلمه التدين أقربوه
وقال الشبراوى : (مجانى الادب في حدائق العرب)

قد ينفَعُ الأدبُ الأولادَ في صغرٍ وليس ينفَعُهُم من بعده أدبُ
الغصونُ إذا عدلتها اعتدلت ولا يلينُ ولو لينتَهُ الخشبُ

الآثار العملية من حياة السلف :

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه عقوق ولده، فأمر عمر بإحضار الولد، وأنبَّ عمر الولد لعقوقه لأبيه، فقال الولد: يا أمير المؤمنين، أليس للولد حقوق على أبيه؟! قال: بلى، قال: فما هي يا أمير المؤمنين؟ قال عمر: أن يتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه الكتاب أي: القرآن قال الولد: يا أمير المؤمنين، إن أبي لم يفعل شيئاً من ذلك؛ أما أمي فإنها زنجية كانت لمجوسي، وقد سماني جُعلاً، ولم يعلمني من الكتاب حرفاً واحداً، فالتفت عمر إلى الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته من قبل أن يعقك، وأسأت إليه من قبل أن يسيء إليك. (تبيينه الغافلين للسمرقندي)

الفرزدق حيث دخل مع أبوه على بن أبي طالب رضي الله عنه وقال له: ان ابني يوشك ان يكون شاعراً فقال له: أقرئه القرآن فهو خير له فقال: ما زالت كلمته في نفسي حتى قيد نفسه بقيد وآلي ان لا يفكه حتى يحفظ القرآن فما فكه حتى حفظه. (خزانه الأدب ١/ ٢٢٢)

دخل أبو هريرة عنه مرة المسجد يوم الجمعة فوجد غلاماً فقال له: يا غلام! اذهب العب! قال: إنما جئت إلى المسجد قال له: يا غلام! اذهب العب! قال: إنما جئت إلى المسجد. قال: فتقعد حتى يخرج الإمام؟ قال: نعم. (مسند احمد ٢/ ٤٨٣)

وكان عروة يأمر بنيه بالصيام إذا أطاقوه وبالصلاة إذا عقلوا. (العيال ١/ ٤٧٠)

فقد روت عائشة رضي الله عنها أنهم كانوا يأخذون الصبيان من الكتائب ليقوموا بهم في رمضان ويرغبوهم في ذلك عن طريق الأطعمة الشهية. (رواه البيهقي في الكبرى ٢/ ٤٥٩)

عن عائشة: أنها كانت تلعب بالأرجوحة مع صاحباتها قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم بها. (البيهقي ١٠/ ٢٢٠)

عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يضرب بنيه على اللحن. (العيال ١/ ٥٠٨)

روى سعيد بن جبير أنه كان مع عبد الله بن عمر في الطريق فإذا صبيان يرمون دجاجة فقال ابن عمر: من فعل هذا؟ فتفرقوا فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن من مثل بالحيوان.

(سنن الدارمي ٢/ ٨٤)

مر ابن عمر رضي الله عنهما في طريق فرأى صبيانا يلعبون فأعطاهم درهمين. (الأدب المفرد رقم ١٣٠٣)
 عن جابر الخيواني قال: كنتُ عند عبد الله بن عمرو فقدم عليه قهرمانٌ من الشَّام، وقد بقيت ليلتان من رمضان، فقال له عبد الله: هل تركتَ عند أهلي ما يكفيهم؟ قال: قد تركتُ عندهم نفقة فقال عبد الله: عزمْتُ عليك لما رجعت فتركتَ لهم ما يكفيهم؛ فإني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: كفى بالمرء إثمًا أن يُضيِّع من يعولُ. (المستدرک على الصحيحين للحاكم رقم ٨٥٢٦)

مر عمرو بن العاص على حلقة من قريش فقال: ما لكم قد طرحتم هذه الأغيلمة؟ لا تفعلوا! أوسعوا لهم في المجلس وأسمعوهم الحديث وأفهموهم إياه فإنهم صغار قوم أو شك أن يكونوا كبار قوم وقد كنتم صغار قوم فأنتم اليوم كبار قوم. (شرف اصحاب الحديث للبغدادى ٦٥)

وهو ما صبه عروة بن الزبير في آذان أولاده حين قال لهم: يا بني اطلبوا العلم فإن تكونوا صغار قوم لا يُحتاج إليهم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين لا يستغنى عنكم. (العقد الفريد ٢/٦٧)

دخل عمرو بن العاص على معاوية وعنده ابنته عائشة فقال: من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه تفاعحة القلب قال: انبذها عنك فإنهن يلدن الأعداء ويقربن البعداء ويورثن الضغائن قال لا تقل هذا يا عمرو فوالله ما مرض المرضى ولا ندب الموتى ولا أعان على الأحزان إلا هن وإنك لو اجد خالا قد نفعه بنو أخته فقال عمرو ما أراك يا أمير المؤمنين إلا وقد حببتهن إلى بعد بغضي هن. (ثمار القلوب ١/٣٤١)

قال حسن بن علي بن حسن: دخلت مع أبي علي الحسن بن علي، فقال: كم لابنك هذا من سنة؟ قال: سبع سنين، قال: فمره بالصلاة. (العيال لابن أبي الدنيا ٢٢٢)

أيقن صلاح الدين الايوبى أن التغذية السليمة للطفل تجعله قويا سليم الجسم والأطفال رجال المستقبل فلبعد نظره أوقف صلاح الدين وقفاً لإمداد الأمهات بالحليب اللازم لأطفالهن وقد جعل في أحد أبواب قلعة دمشق ميزاباً يسيل منه الحليب وميزاباً يسيل منه الماء المذاب بالسكر فتأتي الأمهات يومين في كل أسبوع فيأخذن لأطفالهن ما يحتاجون إليه من الحليب والسكر. (من روائع حضارتنا ١٢٧)

الأمام السلمي لما أراد الحج قال: استأذنت امي في الحج، فقالت لى: توجهت الى بيت الله فلا يكتبن عليك حافظاك شيئاً تستحي منه غدا. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٧/٢٤٩)

قال صالح بن الإمام احمد بن حنبل: كان أبى يبعث خلفي اذا جاءه رجل زاهد أو متكشف لأنظر اليه

يجب ان أكون مثله، (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٢ / ٥٢٩)

وعن ميمون بن مهران أن رجلاً من بني عبد الله بن عمر استكساه إزاراً وقال قد تحرق إزاري. فقال: ارفع إزارك، ثم البسه. فكّرهُ الفتى ذلك فقال له عبد الله: ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله عز وجل في بطونهم وعلى ظهورهم. وكأنه أراد أن يريه على الاخشيشان أو علم منه نوع ميلٍ إلى التوشع في ملاذ الدنيا المباحة فوعظه بهذه الموعظة. (تاريخ دمشق ١٣ / ١٦٦)

ابن عياض رجل صالح حكم شرق الأندلس عندما حضرته الوفاة قالوا له : الى من تسند أمرنا وكان له ولد ، فأشاروا به عليه ؟ فقال : لا يصلح !! لأنني سمعت انه يشرب الخمر، ويغفل عن الصلاة؟؟ (المعجب في تلخيص أخبار المغرب عبد الواحد المراكشي ٢٧٩)

لملك المسعود صاحب اليمن ، لما مات ابنه سرّ والده بموته لأنه كان يعسف التجار، ويشرب الخمر بمكة ؟ . (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢ / ٣٣١)

سهل بن عبد الله التستري رحمه الله، وكان من كبار العبّاد، قال: كنت وأنا ابن ثلاث سنين أقوم بالليل فأنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار. فقال لي يوماً: ألا تذكرُ اللهَ الذي خلقك! فقلت: كيف أذكره؟ قال: قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات: الله معي، الله ناظرٌ إلي، الله شاهدي. يقول: فقلت ذلك لياليّ ثم أعلمته، فقال: قل: في كل ليلة سبعة مرات. فقلت ذلك ثم أعلمته، فقال: قل ذلك كل ليلة إحدى عشر مرة. فقلته؛ فوقع في قلبي حلاوته. فلما كان بعد سنة قال لي خالي: احفظ ما علمتُك ودُم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا والآخرة. فلم أزل على ذلك سنين فوجدت لذلك حلاوة في سري. ثم قال لي خالي يوماً: يا سهل من كان الله معه وناظرًا إليه وشاهدَه أيعصيه؟ إياك والمعصية. (طبقات الأولياء لابن الملقن ١ / ٣٩)

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في " أربعين البلدان " له : لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت ، قدر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان ، فسلمت عليه ، وقبلته ، وجلست بين يديه ، فقال لي : ما أقدّمك هذه البلاد ؟ قلت : كان قصدي إليك ، ومعولي بعد الله عليك ، وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي ، وسعيت إليك بقدمي ، لأدرك بركة أنفاسك ، وأحظى بعلو إسنادك فقال : وفقك الله وإيانا لمرضاته ، وجعل سعينا له ، وقصدنا إليه ، لو كنت عرفتني حق معرفتي ، لما

سلمت علي ، ولا جلست بين يدي ، ثم بكى بكاء طويلا ، وأبكى من حضره ، ثم قال : اللهم استرنا بسترك الجميل ، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا . يا ولدي ، تعلم أي رحلت أيضا لسماع " الصحيح " ماشيا مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين . فكان والدي يضع على يدي حجرين ، ويقول : احمليهما . فكنت من خوفه أحفظهما بيدي ، وأمشي وهو يتأملني ، فإذا رأي قد عييت أمرني أن ألقى حجرا واحدا ، فألقي ، ويخف عني ، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي فيقول لي : هل عييت ؟ فأخافه ، وأقول : لا . فيقول : لم تقصر في المشي ؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز ، فيأخذ الآخر ، فيلقيه ، فأمشي حتى أعطب ، فحيثئذ كان يأخذني ويحملني . وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم ، فيقولون : يا شيخ عيسى ، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج فيقول : معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، بل نمشي ، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه . فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ، ولم يبق من أقراني أحد سواي ، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي حلواء ، فقلت : يا سيدي قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إلي من أكل الحلواء . فتبسم ، وقال : إذا دخل الطعام خرج الكلام . (سير اعلام النبلاء ٢٠ / ٣٠٨)

عن زياد قال: كان زبيد الأيامي مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان: يا صبيان، تعالوا فصلوا، أهب لكم الجوز؛ قال: فكانوا يجيئون ويصلون، ثم يحوطنون حوله؛ فقلنا له: ما تصنع بهذا؟ قال: وما علي، أشترى لهم جوزاً بخمسة دراهم، ويتعودون الصلاة. (حلية الأولياء ٥ / ٣١)

قال رجل للأعمش: هؤلاء الأطفال حولك! قال: اسكت، هؤلاء يحفظون عليك أمر دينك .

(الكفاية في علم الرواية ص ٢١٥)

٣٩ - باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجُنُبِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

[النساء: ٣٦]

٣٠٣- وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَا زَالَ

جِرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورُّهُ» متفق عليه .

٣٠٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً ، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ » رواه مسلم .

وفي رواية له عن أبي ذر قال : إن خليلي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصَانِي : « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهُ ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتِ مَنْ جِيرَانِكَ ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ » .

٣٠٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ ، » قِيلَ : مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ ، » متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارَهُ بَوَائِقِهِ » . « الْبَوَائِقُ » الْغَوَائِلُ وَالشُّرُورُ .

٣٠٦- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ لَجَارَتِهَا وَكَلُوفِرْسَنَ شَاةٍ » متفق عليه .

٣٠٧- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ « ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مَعْرِضِينَ ، وَاللَّهِ لَا أَرْمِينَنَّهُ بِهَا بَيْنَ أَكْتَانِكُمْ . متفق عليه . روى « خَشَبُهُ » بِالْإِضَافَةِ وَالْجَمْعِ ، وَرَوَى « خَشَبَةٌ » بِالتَّنْوِينِ عَلَى الْإِفْرَادِ . وقوله: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ : يعني عن هذه السنة .

٣٠٨- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَتْ » متفق عليه .

٣٠٩- وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُقِلْ خَيْرًا أَوْ لَيْسُكَتْ » رواه مسلم بهذا اللفظ، وروى البخاري بعضه .

٣١٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله إن لي جارين ، فإلى أيهما أهدي؟

قال : « إلى أقربها منك باباً » رواه البخاري .

٣١١- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لَصَاحِبِهِ ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لَجَارِهِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قوله تعالى : (واعبدوا الله) أي : وحدوه وأطيعوه. (تفسير البغوى ٢ / ٢١٠)

واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً واستوصوا بالوالدين إحساناً . وبذي القربى هم قرابة النسب من ذوي الأرحام . واليتامى جمع يتيم وهو من مات أبوه لم يبلغ الحلم . والمساكين جمع مسكين وهو الذي قد ركبته ذل الفاقة والحاجة فيتمسكن لذلك . (تفسير الماوردى ١ / ٤٨٥)

عن ابن عباس في قوله : والجار ذي القربى يعني الذي بينك وبينه قرابة، والجار الجنب يعني الذي ليس بينك وبينه قرابة . عن نوف الشامي في قوله : والجار ذي القربى قال : المسلم، والجار الجنب قال : اليهودي والنصراني . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤١٥)

قال ثوبان : ما من جار يظلم جاره ويقهره حتى يحمله ذلك على أن يخرج من منزله إلا هلك .

(تفسير الدر المنثور ٤ / ٤١٨)

عن ابن عباس في قوله : والصاحب بالجنب قال : الرفيق في السفر . عن زيد بن أسلم : والصاحب بالجنب قال : هو جلسك في الحضر ورفيقك في السفر وامرأتك التي تضاجعك . (الدر المنثور ٤ / ٤٢١)

عن مقاتل : وما ملكت أيانكم يعني : من عبيدكم وإمائكم . يوصي الله بهم خيراً أن تؤدوا إليهم حقوقهم التي جعل الله لهم . (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤٢٤)

عن أبي المتوكل الناجي، أن أبا الدرداء كانت لهم وليدة فلطمها ابنه يوماً لطمه فأقعده لها وقال : اقتصي . فقالت : قد عفوت، فقال : إن كنت عفوت فاذهبي فادعي من هناك من حرام، فأشهدهم أنك قد عفوت . فذهبت فدعتهم فأشهدتهم أنها قد عفوت، فقال : اذهبي فأنت لله، وليت آل أبي الدرداء يتقبلون

كفافاً. (تفسير الدر المنثور ٤ / ٤٣١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

رأى أبو بكر الصديق ولده عبد الرحمن وهو يناصي جارا له فقال: لا تناص جارك فإن هذا يبقى والناس يذهبون. (إحياء علوم الدين ٢ / ٢١٤)

قال عمر بن الخطاب: إذا حمد الرجل جاره وذو قرابته ورفيقه فلا تشكوا في صلاحه. (شرح السنة ١٣ / ٧٣) عن علي أنه قال: من سمع النداء، فهو جار. (الفتح ١٠ / ٤٤٧ - الجامع لاحكام القرآن جزء ٥)

عن عبدالله بن عمر: أنه ذبحت له شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجاننا اليهودي؟ أهديتم لجاننا اليهودي؟ قلنا: لا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. (السنن والاثار للبيهقي ٦ / ٢١٤)

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد أتى علينا زمان وما أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم، ثم الآن الدينار والدرهم أحب إلى أحدنا من أخيه المسلم، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول: يا رب، سل هذا لم أغلق بابه دوني ومنعني فضله.

(الأدب المفرد باب ٦٠ / حديث ١١١)

عن عائشة رضي الله عنها: حد الجوار أربعون دارا من كل جانب. (رواة البيهقي ١٢٩٨٧)

قال الشافعي: حد الجوار أربعون دارا من كل جانب ، ويدل له خبر: حد الجوار أربعون دارا هكذا وهكذا وهكذا وأشار قداما وخلفا ويمينا وشمالا. (مغنى المحتاج ٤ / ٩٥)

عن عائشة رضي الله عنها قالت: خلال المكارم عشر تكون في الرجل ولا تكون في أبيه وتكون في العبد ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذم للجار، والتذم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء. (إحياء علوم الدين ٢ / ٣١٤)

جاء رجلاً إلى ابن مسعود رضي الله عنه، فقال: إن لي جاراً يؤذيني ويشتمني ويضيق علي، قال: اذهب فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه. (إحياء علوم الدين ٢ / ٣١٤)

عن سلمان الفارسي قال: إن من اقتراب الساعة أن يظهر البناء على وجه الأرض، وأن تقطع الأرحام، وأن يؤذي الجار جاره. (مصنف بن ابى شيبة ٣٧٥٤٧)

عن ابن أبي غنية قال: حدثني هذا الشيخ عن جدته قالت: أرسل إلي طلحة بن مصرف: إني أريد أن

أوتد في حائطك وتدا فأرسلت إليه: نعم وافتح فيه كوة. (حليه الأولياء ١٤ / ٥)

قال الحسن البصري: كان لا يرى بأساً أن تطعم جارك اليهودي والنصراني من أضحيتك.
(المتقى من مكارم الأخلاق ٥٦)

قال الحسن البصري: ليس حُسن الجوار كف الأذى عن الجار، ولكن حُسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار. (الاداب الشرعيه ١٤ / ٢)

عن الوليد بن دينار قال: سئل الحسن عن الجار فقال: أربعين داراً أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره. (البخارى الادب المفرد باب ٥٩ حديث ١٠٩)

عن سفيان الثوري قال: إذا شربت شيئاً لا تريد أن تنيل جارك منه، فواره. (حليه الأولياء ٦٦ / ٧)

وقال أبو داود السجستاني رحمه الله: إني لأغبط جيران سعيد بن عامر. (سير أعلام النبلاء ٣٨٦ / ٩)

قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: حفظ الجار من كمال الإيمان. (فتح الباري ٤٥٦ / ١٠)

قال عبيد بن عمير: كان يقال: من حقّ الجار عليك أن تعرفه معروفك، وتكفّ عنه أذاك.
(شعب الإيمان للبيهقي ٨٣٢٣)

قال الغزالي: واعلم أنه ليس حق الجوار كفّ الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضاً قد كفّ أذاه، فليس في ذلك قضاء حقه ولا يكفي احتمال الأذى بل لا بد من الرّفق وإسداء الخير والمعروف.
(إحياء علوم الدين ٢ / ٢١٣)

وقال الغزالي ايضاً: وجملة حق الجار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهتته في الفرح، ويظهر الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء في ميزابه، ولا في مطرح التراب في فنائه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرخته إذا نابتة نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمة، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه ودنياه. (الإحياء ٢ / ٢١٣)

ذكر الغزالي: أن بعضهم شكوا كثرة الفئران في داره، فقيل له: لو اقتنيت هراً أي: قطة؛ حتى يهرب الفأر

من دارك فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر، فيهرب إلى الجيران، فأكون قد أحببت لهم ما لا أحبُّ لنفسي. (إحياء علوم الدين ٢ / ٢٩١)

قال الغزالي: يمن المسكن سعته وحسن جوار أهله، وشؤمه ضيقه وسوء جوار أهله. (الاحياء ٢ / ٣١٢)
أنشد أحمد بن علي الحراني: (المنتقى من مكارم الاخلاق ٥٤)

والجار لا تذكر كريمة بيته واغضب لابن الجار إن هو أغضبا

احفظ أمانته وكن عزا له أبدا وعمها ساءه متجنبا

كن لينا للجار واحفظ حقه كرما ولا تك للمجاور عقربا

قال حاتم الطائي: (المنتقى من مكارم الاخلاق ٦٠)

ناري ونار الجار واحدة وإليه قبلي تنزل القدر

ما ضرّ جارالي أجاوره أن لا يكون لبابه ستر

أغضي إذا ما جارتي برزت حتى يوارى جارتي الخدر

الاجار الصالح في حياة المسلم :

عن عمرو بن الشريد قال: وقفت على سعد بن أبي وقاص فجاء المسور بن مخرمة فوضع يده على إحدى منكبي إذ جاء أبو رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا سعد ابتع مني بيتي في دارك فقال سعد: والله ما أبتاعها فقال المسور: والله لتبتاعنها فقال سعد: والله لا أزيدك على أربعة آلاف منجمة أو مقطعة قال أبو رافع لقد أعطيت بها خمسمائة دينار ولولا أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الجار أحق بصقبة (اي بجواره) ما أعطيتها أربعة آلاف وأنا أعطي بها خمسمائة دينار فأعطاها إياه.

(البخارى ٢ / ٧٨٧ رقم ٢١٣٩)

عن يحيى المازني أنّ الضحّاك بن خليفة ساق خليجا له من العريض، فأراد أن يمرّ به في أرض محمد بن مسلمة، فمنعه، فقال له: لم تمنعني، ولك فيه منفعة، تشرب فيه أولا وآخرا، ولا يضرّك؟ فأبى (محمد) فكلم الضحّاك فيه عمر بن الخطّاب. فدعا عمر بن الخطّاب محمد بن مسلمة، فأمره أن يخلّي سبيله، فقال محمد: لا والله، فقال عمر: لم تمنع أخاك ما ينفعه ولا يضرّك؟ فقال: لا والله، فقال له عمر: والله ليمرّن به ولو على بطنك، ففعل الضحّاك. (الموطأ ٢ / ٧٤٦) في الأفضية)

كان لأبي حنيفة رحمه الله جازٌ إسكافٌ بالكوفة، يعمل نهاره أجمع، فإذا أجنَّه الليل رجع إلى منزله بالخمر ولحمٍ أو سمكٍ، فيطبخ اللحم أو يشوي السمك، حتى إذا دبَّ الشرابُ فيه رفع عقيرته ينشد:

أَصَاعُونِي وَأَيِّ فِتَى أَصَاعُوا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ وَسِدَادِ ثَغْرِ

فلا يزال يشرب ويردُّ هذا البيت حتى يغلبه النوم.

وكان أبو حنيفة رحمه الله يصلي الليلَ ويسمع جَلْبَتَه وإنشاده، ففقد صوته ليلالي، فسأل عنه فقيل له: أخذه العسس منذ ثلاث ليالٍ، وهو محبوسٌ، فصلَّى الفجرَ وركب بغلته، ومشى فاستأذن على الأمير، فقال: «اثنوا له، وأقبلوا به راكبًا، ولا تدعوه ينزل حتى يطا البساط»، ففعل به ذلك، فوسَّع له الأميرُ مجلسه، وقال له: «ما حاجتك؟» فقال: «لي جازٌ إسكافٌ أخذه العسس منذ ثلاث ليالٍ، فتأمر بتخليته»، فقال: «نعم، وكلُّ من أخذ تلك الليلة إلى يومنا هذا»، ثم أمر بتخليتهم أجمعين، فركب أبو حنيفة وتبعه جازُه الإسكاف، فلما أوصله داره، قال أبو حنيفة: «أثرانا يا فتى أضعنك؟» قال: «لا، بل حفظت ورعيت، جزاك الله خيرًا عن صحبة الجوار ورعاية الحق، والله عليَّ ألا أشرب الخمر أبدًا»، ولم يعد إلى ما كان عليه. (شرح مقامات الحريري ٣ / ٣١)

يُروى أن مالك بن دينار كان له جار يهودي فحول اليهودي مستحمة إلى جدار البيت الذي فيه مالك وكان الجدار متهدمًا فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت كل يوم ولم يقل شيئًا وأقام على ذلك مدة وهو صابر على الأذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال له: يا مالك أذيتك كثيرًا وأنت صابر ولم تخبرني فقال مالك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم. ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه. فنديم اليهودي وأسلم. (احياء علوم الدين ٢ / ٢١٣)

هذا جار لأبي حمزة السكري أراد أن يبيع داره فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار وبألفين لجوار أبي حمزة لمنزلة هذا الرجل، وإحسانه إلى جيرانه، حسب جيرته بمثل قيمة الدار، فوجه إليه أبو حمزة بعدما سمع ذلك وبلغه، وجه له بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك. (سير اعلام النبلاء ٧ / ٣٨٧)

اشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة داره التي في السوق بتسعين ألف درهم فلما كان الليل سمع بكاء أهل خالد فقال لأهله: ما هؤلاء؟ قالوا: سيكون على دارهم قال: يا غلام اتتهم فأعلمهم أن الدار والمال لهم جميعًا. (مختصر منهاج القاصدين ٢٠٣)

قال الحسن بن عيسى النيسابوري: سألت عبد الله بن المبارك فقلت: الرجل المجاور يأتيني فيشكو غلامي أنه أتى إليه أمرا والغلام ينكره فأكره أن أضربه ولعله بريء، وأكره أن أدعه فيجد علي جاري فكيف أصنع؟ قال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثا يستوجب فيه الأدب فاحفظه عليه، فإذا شكاه جارك فأدبه على ذلك الحدث فتكون قد أرضيت جارك وأدبتة على ذلك الحدث، وهذا تلتف في الجمع بين الحقين. (إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٤)

روى أن جارا ليعلى بن عبيد سئل عنه يعلى، وهذا الرجل اسمه الوليد بن القاسم الهمداني، فقال يعلى بن عبيد عن هذا الرجل: نعم الرجل هو جارنا منذ خمسين سنة ما رأينا إلا خيرا. (السير ٩/ ٤٣٩)

عن أسماء بن خارجة أنه قسم مالا فنسي جاراً له، فاستحى أن يعطيه وقد بدى غيره، فدخل عليه وصب عليه المال صبا. (سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٣٦)

٤٠- باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ [النساء : ٣٦] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ [النساء : ١] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ [الرعد : ٢١] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا [العنكبوت : ٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا [الإسراء : ٢٣ - ٢٤] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالَهُ فِي شَامِئِنَ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ [لقمان : ١٤] .

٣١٢- عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» متفقٌ عليه .

٣١٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا يَجْزِي وَلَدٌ

والِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا ، فَيَشْتَرِيَهُ ، فَيَعْتِقَهُ » رواه مسلم .

٣١٤- وعنه أيضاً رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُصَلِّ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَلْيُقَلِّ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ » متفقٌ عليه .

٣١٥- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَّغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَقَالَتْ : هَذَا مُقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : نَعَمْ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ فَذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اقْرءوا إِنْ شِئْتُمْ : { فَهَلِ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ } [محمد ٢٢ ، ٢٣] متفقٌ عليه . وفي رواية للبخاري : فقال الله تعالى : « مَنْ وَصَلَكِ ، وَصَلَّتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ »

٣١٦- وعنه رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي ؟ قَالَ : « أُمَّكَ » قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « أُمَّكَ » قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : « أُمَّكَ » متفقٌ عليه .

وفي رواية : يا رسول الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ ؟ قَالَ : « أُمَّكَ ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أُمَّكَ ، ثُمَّ أَبَاكَ ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ » . « وَالصَّحَابَةُ » بمعنى : الصُّحْبَةِ . وقوله : « ثُمَّ أَبَاكَ » هكذا هو منصوب بفعلٍ محذوفٍ ، أي ثم برَّ أباك وفي رواية : « ثُمَّ أَبُوكَ » وهذا واضح .

٣١٧- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « رَغِمَ أَنْفٌ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَبُويهِ عِنْدَ الْكَبِيرِ ، أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ، فَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ » رواه مسلم .

٣١٨- وعنه رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي ، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فَقَالَ : « لَيْتَنِي كُنْتُ كَمَا قُلْتَ ، فَكَأَنَّا تُسِفُّهُمْ الْمَلَأُ ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » رواه مسلم .

« وَتُسِفُّهُمْ » بضم التاء وكسر السين المهملة وتشديد الفاء . « وَالْمَلَأُ » بفتح الميم ، وتشديد اللام

وهو الرماد الحار: أي كأنها تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق أكل الرماد من الإثم، ولا شئ على المحسن إليهم، لكن ينافهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه، والله أعلم.

٣١٩- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه» متفق عليه. ومعنى «ينسأ له في أثره»: أي: يؤخر له في أجله وعمره.

٣٢٠- وعنه قال: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله بيزحاء، وكانت مستقبله المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول: {لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} وإن أحب مالي إلي بيزحاء، وإيتها صدقة لله تعالى، أرجو برها وذخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بخ، ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه. متفق عليه. وسبق بيان ألفاظه في باب الإنفاق مما يجب.

٣٢١- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أقبل رجل إلى نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغي الأجر من الله تعالى. قال: «فهل من والدك أحد حي؟» قال: نعم بل كلاهما قال: «فتبتغي الأجر من الله تعالى؟» قال: نعم. قال: «فارجع إلى والدك، فأحسن صحبتها. متفق عليه. وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: جاء رجل فاستأذنه في الجهاد فقال: «أحي والدك؟» قال: نعم، قال: «ففيها فجاهد».

٣٢٢- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا

قَطَعْتُ رَحْمَهُ وَصَلَهَا» رواه البخاري . و « قَطَعْتُ » بفتح القافِ وَالطَّاءِ . وَ « رَحْمَهُ » مَرْفُوعٌ
 ٣٢٣- وعن عائشة قالت : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الرَّحْمُ مَعْلَقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ :
 مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ ، وَمَنْ قَطَعَنِي ، قَطَعَهُ اللهُ » متفقٌ عليه .
 ٣٢٤- وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَسْتَأْذِنِ النَّبِيَّ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا كَانَ يَوْمَهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي
 ؟ قَالَ : « أَوْ فَعَلْتِ ؟ » قَالَتْ : نَعَمْ قَالَ : « أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَعْطَيْتَهَا أَحْوَالَكَ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكَ » متفقٌ
 عليه

٣٢٥- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت : قَدِمْتُ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي
 عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَعْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ : قَدِمْتُ عَلَيَّ
 أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ ، أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ : « نَعَمْ صِلِي أُمَّكَ » متفقٌ عليه .
 وقولها : « رَاغِبَةٌ » أَي : طَامِعَةٌ عِنْدِي تَسْأَلُنِي شَيْئًا ، قِيلَ : كَانَتْ أُمَّهَا مِنَ النَّسَبِ ، وَقِيلَ : مِنْ
 الرِّضَاعَةِ وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ .

٣٢٦- وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعنهما قالت : قال رسول الله
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ » قَالَتْ : فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ اللهِ ابْنِ
 مسعودٍ فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفٌ ذَاتُ الْيَدِ وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَنَا
 بِالصَّدَقَةِ ، فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِي عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : بَلِ
 اتَّبَيْتِهِ أَنْتِ ، فَاذْأَمْرًا مِنْ الْأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتِي
 حَاجَتُهَا ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَلْقَيْتُ عَلَيْهِ الْمَهَابَةَ . فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ ، فَقُلْنَا
 لَهُ : ائْتِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبِرِيهِ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ تَسْأَلَانِكَ : أَلْجِزِيُّ الصَّدَقَةَ
 عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا ؟ وَلَا تُخْبِرُهُ مِنْ نَحْنُ ، فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللهِ
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ هُمَا ؟ » قَالَ : امْرَأَةٌ مِنَ
 الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « أَيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ ؟ » قَالَ : امْرَأَةٌ عَبْدِ اللهِ ،

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « هُمْ أَجْرَانِ : أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ » متفق عليه .
 ٣٢٧- وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل أن هرقل قال لأبي سفيان : فماذا يأمركم به ؟ يعني النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : قلت : يقول : « اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة ، والصدق ، والعفاف ، والصلوة » متفق عليه .

٣٢٨- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضاً يُذَكَّرُ فِيهَا الْقَيْرَاطُ » وفي رواية : « سَتَفْتَحُونَ مَضْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقَيْرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْراً ، فَإِنَّ هُمْ ذِمَّةٌ وَرَجِمَاءُ »
 وفي رواية : « فَإِذَا افْتَحْتُمُوهَا ، فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا ، فَإِنَّ هُمْ ذِمَّةٌ وَرَجِمَاءُ » أو قال « ذِمَّةٌ وَصِهْرَاءُ »
 رواه مسلم

قال العلماء : الرَّجِمُ التي هُمْ كَوْنُ هَاجِرٍ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ . « وَالصَّهْرُ » : كَوْنُ مَارِيَةِ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ .

٣٢٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء : ٢١٤] دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ ، وَخَصَّ وَقَالَ : « يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ ، يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ ، أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي الْمُطَلِّبِ أَنْقِدُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةَ أَنْقِذِي نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئاً ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَجِمًا سَابِلُهُا بِيْلَاهُا » رواه مسلم . قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بِيْلَاهُا » هو بفتح الباءِ الثانيةِ وكسرها « والبِلَالُ » الماء . ومعنى الحديث : سَأَصِلُهَا ، شَبَّهُهَ قَطِيعَتَهَا بِالْحَرَارَةِ تُطْفَأُ بِالْمَاءِ وَهَذِهِ تُبْرَدُ بِالصَّلَاةِ .

٣٣٠- وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَهَاراً غَيْرَ سِرٍّ يَقُولُ : « إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ لَيُسُوا بِأَوْلِيَائِي إِنَّهَا وَلِيِّي اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ،

وَلَكِنْ هُمْ رَحِمٌ أَبْلَاهُ بِبِلَاهِهَا « متفق عليه . واللفظ للبخاري .

٣٣١- وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعملٍ يُدخلني الجنة ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ . فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ » متفق عليه .

٣٣٢- وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيَفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ ، فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا ، فَالْمَاءُ ، فَإِنَّهُ طَهُورٌ » وقال : « الصَّدَقَةُ عَلَى الْمَسْكِينِ صَدَقَةٌ ، وَعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ : صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ » . رواه الترمذي . وقال : حديث حسن .

٣٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا ، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا ، فقال لي : طَلَّقَهَا فَأَبَيْتُ ، فَأَتَى عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَلَّقَهَا » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٣٣٤- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رجلاً أتاه فقال : إِنَّ لِي امْرَأَةً وَإِن أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا ؟ فقال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِنْ شِئْتَ فَأَضِعْ ذَلِكَ الْبَابَ ، أَوْ احْفَظْهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٣٣٥- وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْحَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ » رواه الترمذي : وقال حديث حسن صحيح .

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة ، منها حديث أصحاب الغار ، وحديث جريج وقد سبقا ، وأحاديث مشهورة في الصحيح حَدَّثَتْهَا اخْتِصَارًا ، وَمِنْ أَهَمِّهَا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى جُمَلٍ كَثِيرَةٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَأَدَابِهِ وَسَادُّكُرُهُ بِتَمَامِهِ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى فِي بَابِ الرَّجَاءِ ، قَالَ فِيهِ دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ النَّبُوءَةِ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : « نَبِيٌّ » فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : « أُرْسَلَنِي اللهُ تَعَالَى ، فَقُلْتُ : بِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتُ ؟ قَالَ : « أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوَحِّدَ اللهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ

شيء» وذكر تمام الحديث . والله أعلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قول الله : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام يقول : اتقوا الله الذي تساءلون به ، واتقوا الله في الأرحام فصلوها . عن قتادة : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : اتقوا الله وصلوا الأرحام فإنه أبقى لكم في الدنيا ، وخير لكم في الآخرة. (تفسير الطبري ٧ / ٥٢١)

عن الضحاك في قوله : واتقوا الله الذي تساءلون به قال يقول : اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به . عن مجاهد : واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام قال يقول : أسألك بالله وبالرحم. (الطبري ٧ / ٥١٨)

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن البر والصبر ليخففان سوء الحساب يوم القيامة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب . عن ابن جريج في قوله : ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل . قال : بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا لم تمش إلى ذي رحمك برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته . وكان عبد الله بن عمرو يقول : إن الحلیم ليس من ظلم ثم حلم حتى إذا هيجه قوم اهتاج ولكن الحلیم من قدر ثم عفا وإن الوصول ليس من وصل ثم وصل فتلك مجازاة ولكن الوصول من قطع ثم وصل وعطف على من لا يصله. (تفسير الدر المنثور ٨ / ٤٢٦)

عن سعد بن أبي وقاص، قال : قالت أمي : لا أكل طعاما ولا أشرب شرابا حتى تكفر بمحمد . فامتنعت من الطعام والشراب حتى جعلوا يشجرون فإياها بالعصا، فنزلت هذه الآية : ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما الآية. (الدر المنثور ١١ / ٥٣٢)

عن ابن عباس في قوله : وقضى ربك قال : أمر . عن مجاهد في قوله : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه قال : عهد ربك ألا تعبدوا إلا إياه . عن الحسن في قوله : وبالوالدين إحسانا . يقول : برا . عن مجاهد في قوله : إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف لما تميظ عنهما من الأذى؛ الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه، فيما كانا يميظان عنك من الخلاء والبول . عن الحسين بن علي: لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف لحرمه. (تفسير الدر المنثور ٩ / ٢٨٩)

عن الحسن، أنه قيل له : إلام ينتهي العقوق؟ قال : أن يجرمها ويهجرهما ويحد النظر إلى وجهها. عن زهير بن محمد في قوله : وقل لها قولاً كريماً . قال : إذا دعواك فقل لها : لبيكما وسعديكما. عن أبي الهذاج التجيبي قال : قلت لسعيد بن المسيب : كل ما ذكر الله في القرآن من بر الوالدين فقد عرفته إلا قوله : وقل لها قولاً كريماً ما هذا القول الكريم؟ قال ابن المسيب : قول العبد المذنب للسيد الفظ. (تفسير الدر المنثور ٩/ ٢٩٠)

عن عروة في قوله : واخفض لها جناح الذل من الرحمة. قال : يلين لها حتى لا يمتنع من شيء أحبها. عن عطاء بن أبي رباح في قوله : واخفض لها جناح الذل من الرحمة. قال : لا ترفع يديك عليها إذا كلمتها. عن عروة في قوله : واخفض لها جناح الذل من الرحمة. قال : إن أغضباك فلا تنظر إليها شزراً فإنه أول ما يعرف غضب المرء بشدة نظره إلى من غضب عليه. (تفسير الدر المنثور ٩/ ٢٩١)

عن زهير بن محمد في قوله : واخفض لها جناح الذل من الرحمة . قال : إن سباك أو لعناك، فقل رحمة الله، غفر الله لكما. (تفسير الدر المنثور ٩/ ٢٩٢)

عن قتادة قال : نسخ من هذه الآية حرف واحد، لا ينبغي لأحد من المسلمين أن يستغفر لوالديه إذا كانا مشركين، ولا يقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً . ولكن ليخفض لها جناح الذل من الرحمة، وليقل لها قولاً معروفاً قال الله : ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين. (تفسير الدر المنثور ٩/ ٢٩٣)

عن ابن عباس في قوله : وهنا على وهن قال : شدة بعد شدة، وخلقا بعد خلق. قال الضحاك في قوله : وهنا على وهن يقول : ضعفا على ضعف . (تفسير الطبري ١٣٧)

وفصاله في عامين يعني بالفصال الفطام من رضاع اللبن . أن اشكر لي ولوالديك أي اشكر لي النعمة ولوالديك التربية . وشكر الله بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة ، قال قتادة : إن الله فرق بين حقه وحق الوالدين وقال اشكر لي ولوالديك. (تفسير الماوردى ٤/ ٣٣٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال لقمان الحكيم لابنه: يا بني من أرضى والديه فقد أرضى الرحمنَ ومن أسخطهما فقد أسخط الرحمنَ. (بر الوالدين لأبي بكر الطرطوشي ٣٧)

قال لقمان لابنه: يا بني إن الوالدين بابٌّ من أبواب الجنة إن رضياً عنك مضيتَ إلى الجنة وإن سخطا حُجبت. (كتاب البر والصلة لابن الجوزي ٨٠)

قال ابن عباس: ما من مسلم له أبوان فيصبح وهو محسن إليهما إلا فتح الله له بايين من الجنة ولا يمسي وهو مسيء إليهما إلا فتح الله له بايين من النار ولا سخط عليه واحد منهما فيرضى الله عنه حتى يرضى عنه قال: قلت: وإن كانا ظالمين؟ قال: وإن كانا ظالمين. (مصنف بن ابى شيبة ١٠٠/٦)

قال طيسلة بن مياس: قال لي ابن عمر: أتفرق (تخاف) النار وتحب أن تدخل الجنة؟ قلت: إي والله قال: أحبي والدك؟ قلت: عندي أُمي قال: فوالله لو ألت لها الكلام وأطعمتها الطعام لتدخلن الجنة ما اجتنبت الكبائر. (الأدب المفرد ٣٤ رقم ٤)

عن هشام بن عروة عن أبيه أو غيره: أن أبا هريرة أبصر رجلين فقال لأحدهما: ما هذا منك؟ فقال: أبي فقال: لا تُسمه باسمه ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله. (صحيح الأدب المفرد حديث رقم ٣٢)

قال محمد بن سيرين: كنا عند أبي هريرة ليلة، فقال: اللهم اغفر لأبي هريرة ولأُمي ولمن استغفر لهما قال لي محمد: فنحن نستغفر لهما حتى ندخل في دعوة أبي هريرة. (صحيح الأدب المفرد حديث رقم ٢٨)

عن أبي حازم: أن أبا مرة مولى أم هانئ ابنة أبي طالب أخبره: أنه ركب مع أبي هريرة إلى أرضه بالعقيق، فإذا دخل أرضه صاح بأعلى صوته: عليك السلام ورحمة الله وبركاته يا أمتاه، تقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، يقول: رحمك الله، ربيتي صغيراً، فتقول: يا بني، وأنت فجزاك الله خيراً، ورضي عنك، كما برزتي كبيراً. (صحيح الأدب المفرد للألباني حديث ١١)

عن ميمون بن أبي شبيب قال: قيل لمعاذ بن جبل ما حق الوالد على الولد؟ قال: لو خرجت من أهلك ومالك ما أدت حقها. (مصنف بن ابى شيبة ١٠٠/٦)

كان عروة بن الزبير يقول في سجوده: اللهم اغفر للزبير بن العوام، وأسما بنت أبي بكر في سجوده يدعو لوالديه. (مصنف عبد الرزاق ٤٤٩/٢)

كان زين العابدين من سادات التابعين كان كثير البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأمك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة، قال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليها عينها فأكون قد عققتها. (وفيات الأعيان ٣/٢٦٨)

أبو يوسف الفقيه الذي تتلمذ على يد أبي حنيفة، وانتفع بأبي حنيفة جداً جداً، كان يقول: اللهم اغفر لأبوي ولأبي حنيفة. (بر الوالدين للحافظ الطرطوشي ص ٧٨)

مسعر بن كدام له أم عابدة، لكن يحمل لها اللبد إلى المسجد، يبسطه، يصلي عليه، يتقدمه هو لمقدمة المسجد، يصلي ثم يقعد ويجتمع الناس فيحدث، شيخ عالم، مسعر معروف، ثم بعد ذلك ينتهي المجلس الحديث يقوم، فيطوي لبد أمه ويرافقها إلى البيت . (صفة الصفوة ٢ / ١١٠)

قال ميمون بن مهران: ثلاث المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى من اتئمتك عليها من مسلم أو كافر وبر الوالدين قال تعالى : (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) (لقمان ١٥) الآية؛ والعهد، تفي به لمن عاهدت، من مسلم أو كافر. (حلية الأولياء ٤ / ٨٧)

عن عمرو بن ميمون بن مهران قال: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول، فلم يستطع الشيخ يتخطاه فاضطجعت له فمر على ظهري. (حلية الأولياء ٤ / ٨٢)

كان كهمس بن الحسن يعمل في الجص كل يوم بدانقين فإذا أمسى اشترى به فاكهة، فأتى بها إلى أمه. (حلية الأولياء ٦ / ٢١٢)

قال أبو عبد الرحمن الحنفي: رأى كهمس بن الحسن عقربا في البيت ، فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته إلى جحرها فأدخل يده في الجحر يأخذها وجعلت تضربه ، فقيل : ما أردت إلى هذا ؟ لم أدخلت يدك في جحرها تخرجها ؟ قال : إني أحمد ! خفت أن تخرج من الجحر فتجيء إلى أمي فتلدغها وكان يمينه الذي يحلف به إني أحمد وأحمد. (حلية الأولياء ٦ / ٢١١)

قال هشام بن حسان قلت للحسن البصري: إني أتعلم القرآن، وإن أمي تنتظرنى بالعشاء، فقال الحسن: تعش العشاء مع أمك تقر به عينها أحب إلى من حجة تحجها تطوعاً. (البر والصلة ٧٣)

عن الحسن البصري أنه سُئل: ما بر الوالدين؟ قال: أن تبذل لها ما ملكت، وأن تطيعها فيما أمرك به، إلا أن تكون معصية. (مصنف عبدالرزاق ٥ / ١٧٦ رقم ٩٢٨٨)

عن حفصة بنت سيرين قالت : كانت والدة محمد بن سيرين حجازية ، وكان يعجبها الصبغ ، وكان محمد إذا اشترى لها ثوبا اشترى ألين ما يجد ، فإذا كان عيد ، صبغ لها ثيابا ، وما رأيته رافعا صوته عليها ، كان إذا كلمها كالمصغي إليها. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٦١٩)

ودخل رجل على محمد ابن سيرين وهو عند أمه فقال: ما شأن محمد أيشتكى شيئا؟ قالوا: لا ولكن هكذا يكون حاله إذا كان عند أمه. (حلية الأولياء ٢ / ٢٧٣)

قالت حفصة بنت سيرين: كان محمد إذا دخل على أمه لم يكلمها بلسانه كله تحشياً لها.

(الزهد لأحمد ٣٢٠)

قال هشام بن حسام: حدثني بعض آل سيرين، قال: ما رأيت محمد بن سيرين يكلم أمه قط، إلا وهو يتضرع. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧٣)

قال مجاهد بن جبر: لا ينبغي للولد أن يدفع يد والده عنه إذا ضربه قال: ومن شد النظر إلى والديه فلم يبرهما ومن أدخل عليهما حزناً فقد عققهما. (البر والصلة لابن الجوزي ١١٧)

قال مجاهد: فلا تقل لها أف: إذا بلغا من الكبر ما كان يليان منه في الصغر فلا تقل لها أف.

(مصنف بن أبي شيبة ١٠٠ / ٦)

عن هشام بن عروة عن أبيه فلا تقل لها أف قال: لا تمنعها شيئاً أراداه أو قال: أحباه.

(مصنف بن أبي شيبة ١٠٠ / ٦)

قال سفيان بن عيينة: من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا لوالديه عقبها فقد شكر لها. (فتح الباري ١٠ / ٢)

قال طاوس بن كيسان: من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان، والوالد، قال: ويقال:

إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه. (مصنف عبدالرزاق ج ١١ رقم ٢٠١٣٣)

سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال: إن أبي يأمرني أن أطلق امرأتي، قال: لا تطلقها قال: أليس عمر

أمر ابنه عبد الله أن يطلق امرأته قال: حتى يكون أبوك مثل عمر رضي الله عنه. (الآداب الشرعية ١ / ٤٤٧)

لما ماتت أم إياس بن معاوية بكى قيل له: ما يبكيك؟ قال: كان لي بابان مفتوحان إلى الجنة، وغلقت

أحدهما. (البر والصلة لابن الجوزي ٧٢)

عن الأشجعي قال: استسقت أم مسعر ماء منه في بعض الليل، فذهب، فجاء بقربة ماء؛ فوجدها قد

غلبها النوم، فثبت بالشربة على يديه حتى أصبح. (حلية الأولياء ٧ / ٢١٧)

وكان حجر بن الأدبر يلمس فراش أمه بيده ويتقلب بظهره عليه ليتأكد من لينه وراحته ثم يضجعها

عليه. (البر والصلة ١ / ٨٩)

قال منذر الثوري: كان ابن الحنيفة يغسل رأس أمه بالخطمي ويمشطها، ويقبلها ويخضبه.

(البر والصلة ١ / ٨٩)

قال سعيد بن سفيان الثوري: ما جفوت أبي قط وإنه ليدعوني وأنا في الصلاة غير المكتوبة فأقطعها له.
(مكارم الأخلاق ٦٤)

قال وهب بن منبه: البر بالوالد يثقل الميزان والبر بالوالدة يثدُّ الأصل والذي يثدُّ الأصل أفضل.
(البر والصلة ٧٣)

وكان طلق بن حبيب يقبل رأس أمه وكان لا يمشي فوق ظهر بيتٍ هي تحته إجلالاً لها. (بر الوالدين ٧٨)
وكان محمد بن المنكدر يضع خده على الأرض ثم يقول لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي.
(حلية الأولياء ٣/ ١٥٠)

يقول محمد بن المنكدر: بت أعمرز رجل أمني ويات أخي يصلي ليلته فما تسرني ليلته بليتي.
(ربيع الأبرار ونصوص الاخيار ٤/ ٢٦٢)

عن عبدالله ابن عون: أنه نادته أمه، فأجابها، فعلا صوته فأعتق رقبتين. (حلية الأولياء ٣/ ٣٩)
قال مكحول والإمام أحمد بن حنبل: بر الوالدين كفارة للكبائر. (جامع العلوم والحكم ١٧٣)
عن منصور بن المعتمر قال: كان يقال: للأُم ثلاث أرباع البر. (حلية الأولياء ٥/ ٤٢)

الآثار العملية في حياة السلف:

عن زرعة بن إبراهيم أن رجلاً جاء إلى عمر فقال إن لي أماً بلغ بها الكبر وإنما لا تقضي حاجتها إلا وظهري مطية لها وأوضئها وأصرف وجهي عنها فهل أدت حقها قال لا. قال أليس قد حملتها على ظهري وحبست نفسي عليها. فقال عمر إنها كانت تصنع ذلك بك وهي تتمنى بقاءك وأنت تتمنى فراقها. (بر الوالدين لابن الجوزي ١/ ١)

عن أبي بردة بن أبي موسى أن ابن عمر رضي الله عنه شهد رجلاً يانيا يطوف بالبيت، يحمل أمه على ظهره يقول:

إني لها بغيرها المذلل إن أذعرت ركابها (بغيرها) لم أذعر

حملتها أكثر ممّا حملت فهل ترى جازيتها يا ابن عمر

فقال ابن عمر: لا، ولا بزفرة واحدة، والزفرة: تردّد النفس حتّى تختلف الأضلاع، ويقصد بذلك آلام المرأة عند الحمل والوضع. (الأدب المفرد للبخاري ١/ ١٨)

لأمك حقّ - لو علمت - كثير كثيرك يا هذا لديه يسير

فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي لها من جواها أنه وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة فمن غصص منها الفؤاد يطير
وكم غسلت عنك الأذى بيمينها وما حجرها إلا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها ومن ثديها شرب لديك نمير (عذب)
وكم مرة جاعت، وأعطتك قوتها حنانا وإشفاقا وأنت صغير
فأها لذي عقل ويتبع الهوى وأها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها فأنت لما تدعو إليه فقير

كانت النخلة تبلغ بالمدينة ألفاً فعمد أسامة بن زيد إلى نخلة فقطعها من أجل جمارها فقبل له في ذلك، فقال: إن أمي اشتتهه على وليس شيء من الدنيا تطلبه أمي أقدر عليه إلا فعلته. (مكارم الأخلاق ٥٥)
عن سعيد بن عامر عن هشام قال: قالت حفصة بنت سيرين: بلغ من بر الهذيل ابني بي، أنه كان يكسر القصب في الصيف فيوقد لي في الشتاء، قال: لئلا يكون له دخان، وكان يحلب ناقته بالغداة، فيأتيني به، فيقول: اشربي يا أم الهذيل، فإن أطيب اللبن ما بات في الضرع، قالت: فإت، فرزق الله علي من الصبر ما شاء أن يرزق، وكنت أجد مع ذلك حرارة في صدري لا تكاد تسكن، قالت: فأتيت ليلة من الليالي على هذه الآية: (ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) (النحل ٩٦). فذهب عني ما كنت أجد. (البر والصلة لابن الجوزي ١/٨٩)

المعلی بن أيوب قال: سمعت المأمون يقول: لم أر أبر من الفضل بن يحيى بأبيه، بلغ من بره بأبيه: أن يحيى كان لا يتوضأ إلا بالماء الحار، وكان في السجن، فمنعهما السجن من إدخال الحطب في ليلة باردة، فقام الفضل حين أخذ يحيى مضجعه إلى قمقم يسخن فيه الماء، فملأه، ثم أدناه من نار المصباح، فلم يزل قائماً وهو في يده حتى أصبح وحكى غير المأمون: أن السجن فطن لارتفاقه بالمصباح في تغيير الماء، فمنعهم من الاستصباح في الليلة القابلة، فعمد الفضل إلى القمقم مملوء فأخذه معه في فراشه، وألصقه بأحشائه حتى أصبح وقد فتر الماء. (البر والصلة ١/٨٩-٩٠)

قال سفيان بن عيينة: قدم رجل من سفر فصادف أمه قائمة تصلي فكره أن يقعد وهي قائمة، فعلمت ما أراد فطولت ليؤجر. (البر والصلة لابن الجوزي ١/٨٩)

قال موسى بن عقبة: سمعت الزهري يقول: كان أبو الحسن علي بن الحسين زين العابدين كان من سادات التابعين وكان البر بأمه حتى قيل له: إنك من أبر الناس بأملك ولسنا نراك تأكل معها في صحفة فقال: أخاف أن تسبق يدي إلى ما سبقت إليه عينها فأكون قد عققتها. (البر والصلة ١/ ٨٦)

سأل رجل ابن المبارك فقال: إن أمي لم تزل تقول: تزوج حتى تزوجت. فالآن قالت لي: طلقها فقال: إن كنت عملت عمل البر كله وبقي هذا عليك فطلقها وإن كنت تطلقها وتأخذ إلى مشاغبة أمك فتضر بها فلا تطلقها. (حلية الأولياء ٨/ ٣٤٥)

عن محمد بن بشر الأسلمي أنه قال: لم يكن أحد بالكوفة أبر بأمه من منصور بن المعتمر وأبي حنيفة، وكان منصور بن المعتمر يفلي رأس أمه. (البر والصلة لابن الجوزي ١/ ٨٤)

عن عمر بن ذر: أنه لما مات ابنه، قيل له: كيف كان بره؟ قال: ما مشى معي نهارة قط إلا كان خلفي، ولا ليلاً إلا كان أمامي، ولا رقى على سطح أنا تحته. (البر والصلة لابن الجوزي ١/ ٨٩)

عن مصعب بن عثمان، قال: كان الزبير بن هشام باراً بأبيه، إن كان ليرقى إلى السطح في الحر فيؤتى بالماء البارد، فإذا ذاقه فوجد برده لم يشربه وأرسله إلى أبيه. (البر والصلة ١/ ٨٩)

قال محمد بن عمر كان محمد بن عبد الرحمن بن أبي الزناد باراً بأبيه وكان أبوة يقول: يا محمد فلا يجيبه حتى يثب فيقوم على رأسه فيلبيه فيأمره بحاجته فلا يستثبته هيبة له حتى يسأل من فهم ذلك عنه. (البر والصلة لابن الجوزي ١/ ٨٩)

٤١ - باب تهريم العقوق وتطية الرجم

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ [محمد : ٢٢-٢٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ اللَّعَنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ [الرعد : ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا [الإسراء : ٢٣-٢٤] .

٣٣٦- وعن أبي بكره نفع بن الحارث رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَلَا أُنبئُكُمْ بِأكْبَرِ الكِبَائِرِ ؟ » ثلاثاً قلنا : بلى يا رسول الله : قال : « الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ » وكان مُتَكِنًا فَجَلَسَ ، فقال : « أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وشهادة الزورِ » فما زال يكرِّرها حتى قلنا : ليتها سكت . متفق عليه .

٣٣٧- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الكِبَائِرُ : الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ ، وَالْيَمِينُ الغَمُوسُ » رواه البخاري .

« اليمِينُ الغَمُوسُ » التي يَخْلِفُهَا كاذباً عامداً ، سُمِّيَتْ غَمُوساً ، لِأَنَّهَا تَغْمِسُ الحَالِفَ فِي الإِثْمِ .

٣٣٨- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مِنْ الكِبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ ، » قالوا : يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه ؟ ، قال : « نَعَمْ ، يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أباه ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ » متفق عليه .

وفي رواية : « إِنَّ مِنْ أكْبَرِ الكِبَائِرِ أَنْ يلعنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ ، » قيل : يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه ؟ ، قال : « يَسُبُّ أبا الرَّجُلِ ، فَيَسُبُّ أباه ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ » .

٣٣٩- وعن أبي محمد جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قاطِعٌ » قال سفيان في روايته : يعني : قاطع رحم . متفق عليه .

٣٤٠- وعن أبي عيسى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ ، وَمَنْعاً وَهَاتِ ، وَوَأَدَ البَنَاتِ ، وَكَرَهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكثيرة السَّوَالِ ، وَإِضَاعَةَ المَالِ » متفق عليه . قوله : « مَنْعاً » معناه : منع ما وجبَ عَلَيْهِ وَ « هَاتِ » : طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ وَ « وَأَدَ البَنَاتِ » معناه : دَفْنُهُنَّ فِي الحَيَاةِ ، وَ « قِيلَ وَقَالَ » معناه : الحَدِيثُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُهُ ، فَيَقُولُ : قِيلَ كَذَا ، وَقَالَ فَلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ ، وَلا يَطْنُهَا ، وَكَفَى بِالمرءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ . وَ « إِضَاعَةُ المَالِ » : تَبذِيرُهُ وَصَرْفُهُ فِي غَيْرِ الوُجُوهِ المَأذُونِ فِيهَا مِنْ مَقاصِدِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا ، وَتَرْكُ حِفْظِهِ مَعَ إِمْكَانِ الحِفْظِ . وَ « كَثْرَةُ السَّوَالِ » الإِلْحاحُ فِيما لا حَاجَةَ إِلَيْهِ .

وفي الباب أَحاديثُ سَبَقَتْ فِي البَابِ قَبْلَهُ كَحَدِيثِ « وَأَقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ » وَحَدِيثِ « مَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ » .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن محمد بن كعب : فهل عسيتم إن توليتم قال : إن توليتم أمر الناس . عن قتادة : فهل عسيتم إن توليتم الآية قال : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله؟ ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الأرحام وعصوا الرحمن . عن بريدة قال : كنت جالسا عند عمر إذ سمع صائحا فقال : يا يرفأ انظر ما هذا الصوت فنظر ثم جاء فقال : جارية من قريش تباع أمها، فقال عمر : ادع لي المهاجرين والأنصار فلم يمكث إلا ساعة حتى امتلأت الدار والحجرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فهل تعلمونه كان فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم القطيعة قالوا : لا، قال : فإنها قد أصبحت فيكم فاشية، ثم قرأ : فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ثم قال : وأي قطيعة أقطع من أن تباع أم امرئ فيكم وقد أوسع الله لكم قالوا : فاصنع ما بدا لك فكتب في الآفاق أن لا تباع أم حر فإنها قطيعة رحم وإنه لا يحل . (تفسير الدر المنثور ١٣/٤٣٦)

عن ابن عباس : الرحم معلقة بالعرش فإذا أتاها الواصل بشت به وكلمته وإذا أتاها القاطع احتجبت منه . (تفسير الدر المنثور ١٣/٤٤٤)

عن قتادة يرويه قال : تحييء الرحم يوم القيامة لها حجنة تحت العرش تتكلم بلسان طلق ذلق : اللهم صل من وصلني واقطع من قطعني . (تفسير الدر المنثور ١٣/٤٣٨)

وقوله : أولئك الذين لعنهم الله يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين يفعلون هذا ، يعني الذين يفسدون ويقطعون الأرحام الذين لعنهم الله ، فأبعدهم من رحمته فأصمهم ، يقول : فسلبهم فهم ما يسمعون بأذانهم من مواعظ الله في تنزيله وأعمى أبصارهم يقول : وسلبهم عقولهم ، فلا يتبينون حجج الله ، ولا يتذكرون ما يرون من عبره وأدلته . (تفسير الطبري ٢٢/١٧٨)

قال ابن عباس: أكبر الكبائر الإشراف بالله لأن الله يقول : ومن يشرك بالله فكأنها خر من السماء فتخطفه الطير . (الحج ٣١) ونقض العهد ، وقطيعة الرحم؛ لأن الله تعالى يقول : أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار . يعني : سوء العاقبة . (تفسير الطبري ١٦/٤٢٨)

قال ميمون بن مهران : قال لي عمر بن عبد العزيز : لا تصاحب قاطع رحم فإن الله تبارك وتعالى لعنه في آيتين من القرآن : آية في الرعد قوله تبارك وتعالى : (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) (٢٥) وآية في سورة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تبارك

وتعالى : (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) (٢٢-٢٣). (مساوى الاخلاق ٣١٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عمر بن الخطاب قال: ليس الوصل أن تصل من وصلك، ذلك القصاص، ولكن الوصل أن تصل من قطعك. (فتح الباري لابن حجر ١٠ / ٤٢٣)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: تعلموا أنسابكم، ثم صلوا أرحامكم، والله إنه ليكون بين الرجل وبين أخيه الشيء ولو يعلم الذي بينه وبينه من داخله الرحم، لأوزعه (كفاه) ذلك عن انتهاكه. (صحيح الأدب المفرد للألباني ٥٦ حديث ٧٢).

قال ابن عباس: احفظوا أنسابكم، تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا بُدَّ بالرحم إذا قُرِّبت، وإن كانت بعيدة، ولا قُرِّبَ بها إذا بُدِّت، وإن كانت قريبة، وكلُّ رحمٍ آتيةٌ يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلته، إن كان وصلها، وعليه بقطيعة، إن كان قطعها. (صحيح الأدب المفرد ٥٦ حديث ٧٣)

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن أصحاب الأعراف من هم وما الأعراف؟ فقال: أما الأعراف فهو جبل بين الجنة والنار وإنما سمي الأعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار و عيون و أما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد فمنعهم القتل في سبيل الله من دخول النار و منعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة فهم على الأعراف حتى يقضي الله فيهم أمره. (الكبائر للذهبي ١ / ٣٩)

قال ابن عباس: كن مع الوالدين كالعبد المذنب الذليل للسيد الفظ الغليظ. (مفاتيح الجنان لزيادة الحنفى ٥٩٧)

قال عبد الله بن مسعود: ثلاثة لا ترد دعوتهم: الوالد والمظلوم والمسافر. (بر الوالدين ١ / ٨)

قال ابن عمر: بكاء الوالدين من العقوق والكبائر. (الادب المفرد الصحيحه ٢٨٩٨ - ١٩ / ١)

عن ابن عمر قال: من اتقى ربه، ووصل رحمه، أنسى له في عمره، وثرى ماله، وأحبَّ أهله.

(صحيح الأدب المفرد للألباني ٥١ حديث ٥٨)

وسئل الحسن عن الوالد والوالده فقال: حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم. (محاضرات الادباء ١ / ١٤٨)

وسئل الحسن: ما دعاء الوالد للولد؟ قال: نجاة. (بر الوالدين لابن الجوزي ١ / ٨)

قال الحسن البصري: دعاء الوالدين يثبت المأل والولد دعاء الوالدين على الولد يستأصل المال والولد.

(البر والصلة ١٢٠-١٢٣)

وقال الحسن البصري: منتهى القطيعة أن يجالس الرجل أباه عند السلطان. (بروالدين ٨ / ١)
قال عمر بن عبد العزيز لابن مهران: لا تأتني أبواب السلاطين وإن أمرتهم بمعروف أو نهيتهم عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن علمتها سورة من القرآن، ولا تصحبن عاقا؛ فإنه لن يقبلك وقد عق والديه. (المستطرف ٢ / ٢٠)

عن ميمون بن مهران قال: ثلاثة تؤدّي إلى البرِّ والفاجر الأمانة والعهد وصلة الرحم. (السير ٥ / ٧٤)
قال الفضل بن عبد الصمد لأحمد بن حنبل: رجلٌ له إخوة وأخوات بأرض غصب ترى أن يزورهم؟ قال: نعم يزورهم ويرأودهم على الخروج منها فإن أجابوا إلى ذلك وإلا لم يُقَمَّ معهم ولا يدع زيارتهم. (الأداب الشرعية ١ / ٤٥٢)

عن أبي سليمان الداراني قال: ما وجدنا شيئاً أعجل ثواباً من بر القربة. كنت ربما نويت أن أخرج إلى أخ لي بالعراق فأجد ثواب ذلك قبل أن أكتري، وقبل أن أتجهز، وأي شيء صلتي له ليس عندي شيء أعطيته، ولكن أرجو إذا رأوني وصلوه. (تاريخ بغداد ٨ / ٣٦٦)
عن سفيان قال: قيل لأبي حازم: ما القربة؟ قال: المودة. قيل: فما الراحة؟ قال: دخول الجنة، وقال المودة لا تحتاج إلى القربة، والقربة تحتاج إلى المودة. (تاريخ بغداد ١١ / ٩١)

قال سعيد بن المسيب: وقد ترك دنائير اللهم إنك تعلمُ أي لم أجمعها إلا لأصون بها ديني وحسبي لا خير فيمن لا يجمع المال فيقضي دينه ويصل رحمه ويكف به وجهه. (الأداب الشرعية ٣ / ٢٦٩)

قال سعيد بن المسيب: البار بوالديه لا يموت ميتة السوء. (تاريخ بن معين ٢ / ٣٢٨)
قال كعب الأحبار: والذي نفسي بيده إن الله ليجعل حين العبد إذا كان عاقاً لوالديه فيعجله العذاب وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان برا بوالديه ليزداد برأ وخيراً. (حلية الأولياء ٥ / ٣٧٨)
سئل كعب الأحبار عن العقوق فقال: إذا أمرك أبواك فلم تعطهما فقد عقتها وإذا دعوا عليك فقد عقتها العقوق كله. (حلية الأولياء ٦ / ٣٢)

قال عطاء بن أبي رباح: كدرهم أضعه في قرابة، أحبُّ إليَّ من ألف أضعها في فاقة، قال: قلت: يا أبا محمد وإن كان قرابتي مثلي في الغنى؟ قال: وإن كان أغنى منك. (مكارم الاخلاق ص ٨٣ رقم ٢٤٧)

عن عبيد بن جريح أنه سئل: ما العقوق فيما أنزل الله على موسى؟ قال: إذا أمر الوالد ولده بشيء فلم يطعه فقد عاقه وإذا الوالد اشتكى إلى الله ما يلقي من ولده فقد عاقه العقوق كله. (مساوى الاخلاق ٢٥٦/١)

وعن محمد بن سيرين قال: من مشى بين يدي أبيه فقد عقه إلا أن يمشي يميظ الأذى عن طريقه. ومن دعا أباه باسمه فقد عقه إلا أن يقول: يا أبت. (بر الوالدين لابن الجوزى ١/٨)

قال عمرو بن دينار: تعلموا أنه ما من خطوة بعد الفريضة أعظم أجراً من خطوة إلى ذي رحم.

(مكارم الأخلاق ٨٢ رقم ٢٤٥)

قال سفیان الثوري: لا تبغض أحداً ممن يطيع الله، وكن رحيماً للعامة والخاصة، ولا تقطع رحمك وإن قطعك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء. (حلية الأولياء ٨٢/٨)

قال ربيعة: إذا فاض العلم فيضا وكان المولود لوالده غيظا والشتاء قيظا والحكم حيفا أتاكم الدجال يزيغ زيفا. (مساوى الأخلاق للخرائطي ١٠٤)

عن مجاهد: ثلاثة لا تحجب دعوتهم عن الله عز وجل دعوة المظلوم ودعوة الوالد لولده وشهادة ألا إله إلا الله. (بر الوالدين لابن الجوزى ١/٨)

قال سليمان بن موسى: قيل لابن محيريز: ما حق الرحم؟ قال تستقبل إذا أقبلت وتتبع إذا أدبرت. (مكارم الأخلاق ٨٥ رقم ٢٥٦)

وقال يزيد بن أبي حبيب: (إيجاب الحججة على الوالدين عقوق). يعني الانتصار عليهما في الكلام. (بر الوالدين لابن الجوزى ١/٨)

قال أبو بكر بن أبي مريم: قرأت في التوراة أن من يضرب أباه يقتل. (الكبائر للذهبي ١/٣٩)

قال وهب: قرأت في التوراة: على من صك والده الرجم. (الكبائر للذهبي ١/٣٩)

عن عروة بن الزبير قال: ما بر والده من شد الطرف إليه. (مصنف بن ابى شيبة ١٠٠/٦)

قال الطيبى: إن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم. (فتح البارى ١٠/٤١٦)

قال النووي: قال أصحابنا: يستحب أن يقدم الأم في البر ثم الأب ثم الأولاد ثم الأجداد والجندات ثم الإخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ويقدم

الأقرب فالأقرب. (صحيح مسلم للنووي ١٠٣/٦)

قال إبراهيم المنذر رحمه الله :

أَغْرَى أَمْرُؤُومًا غُلَامًا جَاهِلًا بِنُقُودِهِ كَيْمًا يَنَالُ بِهِ الْوَطْرَ
 قَالَ: ائْتِنِي بِفُؤَادِ أُمَّكَ يَا فَتَى وَلَكَ الدَّرَاهِمُ وَالْجَوَاهِرُ وَالذُّرُزُ
 فَمَضَى وَأَغْمَدَ خِنْجَرًا فِي صَدْرِهَا وَالْقَلْبُ أَخْرَجَهُ وَعَادَ عَلَى الْأَثْرِ
 لَكِنَّهُ مِنْ فَرْطِ سُرْعَتِهِ هَوَى فَتَدَخَّرَجَ الْقَلْبُ الْمَقْطَعُ إِذْ عَثَرَ
 نَادَاهُ قَلْبُ الْأُمِّ وَهُوَ مُعَفَّرٌ وَلَدِي حَبِيبِي هَلْ أَصَابَكَ مِنْ صَرَزِ
 فَكَأَنَّ هَذَا الصَّوْتِ رَغَمَ حُنُوهُ غَضَبِ السَّمَاءِ عَلَى الْغُلَامِ قَدْ انْهَمَزَ
 وَرَأَى فَطِيعَ جِنَايَةٍ لَمْ يَأْتِهَا أَحَدٌ سِوَاهُ مُنْذُ تَارِيخِ الْبَشَرِ
 وَازْتَدَدَ نَحْوَ الْقَلْبِ يَغْسِلُهُ بِمَا فَاصَّتْ بِهِ عَيْنَاهُ مِنْ سَيْلِ الْعِبَرِ
 وَيَقُولُ: يَا قَلْبُ انْتَقِمْ مِنِّي وَلَا تَغْفِرْ فَإِنَّ جَرِيْمَتِي لَا تُغْتَفَرُ
 وَاسْتَلَّ خِنْجَرَهُ لِيَطْعَنَ صَدْرَهُ طَعْنًا فَيَبْقَى عِبْرَةً لِمَنْ اعْتَبَرَ
 نَادَاهُ قَلْبُ الْأُمِّ كُفَّ يَدَا وَلَا تَذْبَحْ فُؤَادِي مَرَّتَيْنِ عَلَى الْأَثْرِ

الآثار العملية من حياة السلف :

عن أبي غسان الضبي أنه خرج يمشي بظهر الحرة وأبوه يمشي خلفه، فلحقه أبو هريرة، فقال: من هذا الذي يمشي خلفك؟ قلت: أبي قال: أخطأت الحق ولم توافق السنة، لا تمش بين يدي أبيك، ولكن أمشي خلفه أو عن يمينه، ولا تدع أحداً يقطع بينك وبينه، ولا تأخذ عرقاً (أي: لحماً مختلطاً بعظم) نظر إليه أبوك، فلعله قد اشتهاه، ولا تحد النظر إلى أبيك، ولا تقعد حتى يقعد، ولا تنم حتى ينام. (بر الوالدين ٢-٣)

قال الأصمعي (رحمه الله): حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس، وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه جبل يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجرة، والحر شديد، وخلفه شاب في يده رشاء (الحبل) من قَدِّ (جلد مدبوغ) ملوي يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف؟ أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي، قلت: فلا جزاك الله خيراً، قال: اسكت، فهكذا كان هو يصنع بأبيه، وهكذا كان يصنع أبوه بجده، فقلت: هذا أعق الناس. (مساوي الأخلاق ٢٥٢)

قال المدائني: دخل على المهدي رجل فقال: يا أمير المؤمنين إن المنصور شتمني وقذف أبي، فإما أمرتني أن أحلله وإما عوضتني، فاستغفرت له. قال: ولم شتمك؟ قال: شتمت عدوه بحضرته، فغضب. قال: ومن عدوه الذي غضب لشمته؟ قال: إبراهيم بن عبد الله بن حسن. قال: إن إبراهيم أمس به رحماً وأوجب عليه حقاً فإن كان شتمك كما زعمت فعن رحمه ذب وعن عرضه دفع وما أساء من انتصر لابن عمه. قال: إنه كان عدواً له. قال: فلم ينتصر للعداوة إنما انتصر للرحم فأسكت الرجل فلما ذهب ليولي. قال: لعلك أردت أمراً فلم تجد له ذريعة عندك أبلغ من هذه الدعوى؟ قال: نعم. فتبسم ثم أمر له بخمسة آلاف درهم. (تاريخ بغداد ٥ / ٣٩٤)

عن داود بن المبارك قال: توفي محمد بن جعفر بخراسان مع المأمون، فركب المأمون لشهوده، فلقبهم خرجوا به، فلما نظر إلى السرير نزل فترجل ورفع عن تراقيه، ثم دخل بين العمودين، فلم يزل بينهما حتى وضع، وتقدم فصلى عليه، ثم حمله حتى بلغ به القبر، ثم دخل قبره، فلم يزل فيه حتى بنى عليه، ثم خرج فقام على القبر، وهو يدق، فقال له عبد الله بن الحسن: - ودعا له - يا أمير المؤمنين إنك قد تعبت، فلو ركبت فقال له المأمون: إن هذه رحم قطعت من مائتي سنة. (تاريخ بغداد ٢ / ١١٥)

حضر صالح العباسي مجلس المنصور وكان يحدثه ويكثر من قوله أبي رحمه الله فقال له الربيع: لا تكثر الترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين. فقال له: لا ألومك فإنك لم تذق حلاوة الآباء! فتبسم المنصور وقال: هذا جزاء من تعرض لبني هاشم! وقال أبو العيناء: ما أخجلني أحد كما أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن ابن رجاء، قلت له يوماً: أبيعك أبوك مني فإني أريد ابناً مثلك؟ فقال: البيع لا يمكن إن شئت أحمل أبي على امرأتك لتأتيك بولد مثلي! ومر الأخطل بالفرزدق وهو صبي فقال: أيسرك أن أكون أباك؟ فقال: لا ولكن يسرنى أن تكون أُمِّي لياكل أبي من أطايبك!. (مجالس الأدباء ١ / ١٤٦)

قال مُنَازِلُ بْنُ لَاحِقٍ: كنت شاباً على اللهو والطرب لا أفيق عنه وكان لي والد يعظني كثيراً ويقول يا بني احذر هفوات الشباب وعثراته فإن الله سطوات ونقعات ما هي من الظالمين ببعيد وكان إذا ألح عليّ بالموعظة ألححت عليه بالضرب فلما كان يوم من الأيام ألح عليّ بالموعظة فأوجعته ضرباً فحلف بالله مجتهداً ليأتين بيت الله الحرام فيتعلق بأستار الكعبة ويدعو عليّ فخرج حتى انتهى إلى البيت فتعلق بأستار الكعبة وقال: يَا مَنْ إِلَيْهِ أَتَى الْحُجَّاجُ فَدَقَّ قَطْعُوا عُرْضَ الْمُهَامِيهِ مِنْ قُرْبٍ وَمِنْ بُعْدٍ

إِنِّي أَتَيْتُكَ يَا مَنْ لَا يُحِبُّ مَنْ
يَدْعُوهُ مُبْتَهَلًا بِالْوَاحِدِ الصَّمَدِ
هَذَا مُنَازِلٌ لَا يَزْتَدُّ عَنْ عُقُقِي
فَخَذَ بِحَقِّي يَا رَحْمَانُ مِنْ وَلَدِي
وَسَلَّ مِنْهُ بِحَوْلٍ مِنْكَ جَانِبُهُ
يَا مَنْ تَقَدَّسَ لَمْ يُؤَلَدْ وَلَمْ يَلِدْ

فاستجاب الله تعالى دعاء الوالد فأصبح الولد مشلولاً من نصف جسمه الأيمن. (التوابين ١٤٣-١٤٢)

٤٢- باب فضل بر أصدقاء الأب والأم

والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

٣٤١- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وَدَّأَيْهِ»

٣٤٢- وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رجلاً مِنَ الْأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ ، قَالَ ابْنُ دِينَارٍ : فَقُلْنَا لَهُ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ إِيَّهِمُ الْأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : إِنَّ هَذَا كَانَ وَدَّاءَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ أَبْرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ وَدَّأَيْهِ» .

وفي رواية عن ابن دينار عن ابن عمر أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَوْمًا عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ ، فَقَالَ : أَلَسْتَ فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ؟ قَالَ : بَلَى : فَأَعْطَاهُ الْحِمَارَ ، فَقَالَ : ارْكَبْ هَذَا ، وَأَعْطَاهُ الْعِمَامَةَ وَقَالَ : اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ، أَعْطَيْتَ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ مِنْ أَبْرِّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ وَدَّأَيْهِ بَعْدَ أَنْ يُؤَلَّى» وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رَوَى هَذِهِ الرِّوَايَاتِ كُلَّهَا مُسْلِمٌ .

٣٤٣- وعن أبي أسيد بضم الهمزة وفتح السين مالك بن ربيعة الساعدي رضي الله عنه قال : بينا نحنُ جلوسٌ عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ جاءه رجلٌ من بني سلمة فقال : يا رسول الله

هَلْ بَقِيَ مِنْ بَرِّ أَبِي شَيْءٍ أَبْرُهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمَا وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقَيْهِمَا» رواه أبو داود.

٣٤٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرتُ على خديجةَ رضي الله عنها. وما رأيتها قطُّ، ولكنْ كان يُكثِرُ ذِكْرَهَا، وَرَبَّهَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقَطُّعُهَا أَعْضَاءَ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرَبَّيَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إِلَّا خَدِيجَةُ، فيقولُ: «إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ» متفقٌ عليه.

وفي رواية وإن كان ليدبح الشاة، فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن.

وفي رواية كان إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة».

وفي رواية قالت: استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاخَ لَذَلِكَ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». قولها: «فارتاخ» هو بالحاء وفي الجمع بين الصحيحين للحميدي: «فارتاخ» بالعين ومعناه: اهتم به.

٣٤٥- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خرجتُ مع جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه في سفرٍ، فكانَ يَحْدُمُنِي فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَلْ، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا آكَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ متفقٌ عليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

كان ابن عمر إذا قدم مكة نزل على أصحابه، فيأتيه طعامه من عند دار خالد بن أسيد، فيأكل من طعامهم ثلاثة أيام، ثم يقول: احبسوا عنا صدقتكم، ويقول لنافع: أنفق من عندك الآن.

(شرح الزرقاني على الموطأ ٤ / ٤٨٠)

قال النووي: وفي هذا: فضل صلة أصدقاء الأب والإحسان إليهم وإكرامهم وهو متضمن لبر الأب وإكرامه لكونه بسببه وتلتحق به أصدقاء الأم والأجداد والمشايخ والزوج والزوجة.

(شرح النووي صحيح مسلم ١٦ / ٩٣)

وقال القاري: وإنما كان أبر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وإذا راعى أهل وده فكان

مراعاة أهل رحمه أخرى. (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٨ / ٦٨٠)

الآثار العملية في حياة السلف :

عن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: قدمت المدينة، فأتاني عبد الله بن عمر فقال: أتدري لم أتيتك؟ قال: قلت: لا قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أحب أن يصل أباه في قبره فليصل إخوان أبيه بعده. وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاءً وودًّا فأحببتُ أن أصل ذاك.

(صحيح ابن حبان ٢ / ١٧٥ - ٤٣٢ - أخرجه أبو يعلى ٣ / ١٣٦١)

٤٤- باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبيان فضلهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً [الأحزاب: ٣٣] ، وَقَالَ تَعَالَى: وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ [الحج: ٣٢] .

٣٤٦- وعن يزيد بن حيان قال: انطلقتُ أنا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَةَ، وعمرو بن مُسْلِمٍ إلى زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقَيْتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي وَاللهُ لَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعْيِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا حَدَّثْتُمْكُمْ، فَاقْبَلُوا، وَمَا لَافَ تَكَلَّفُونِيهِ ثُمَّ قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِهَاءٍ يُدْعَى حُمَاءَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، فَحَمِدَ اللهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعِظَ، وَذَكَرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ: أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَبَ فِيهِ. ثُمَّ قَالَ « وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكَرُكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نَسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مِنْ حُرْمِ الصَّدَقَةِ بَعْدَهُ، قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُلُّ هَؤُلَاءِ حُرْمِ الصَّدَقَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: « أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ

فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَحَدُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ وَهُوَ حُبُّ اللَّهِ، مِنْ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَى الْهُدَى ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَى ضَلَالَةٍ .

٣٤٧- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ أَنَّهُ قَالَ : ازُقُّبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن عكرمة عن ابن عباس في قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قال : نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة. (تفسير بن كثير ٦ / ٤١٠)

عن قتادة قوله : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه . قال ابن زيد في قوله: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال: الرجس هاهنا : الشيطان وسوى ذلك من الرجس : الشرك. قال أبي سعيد الخدري : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزلت هذه الآية في خمسة : في وفي علي رضي الله عنه وحسن رضي الله عنه وحسين رضي الله عنه وفاطمة رضي الله عنها : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . (تفسير الطبري ٢٠ / ٢٦٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي . (البخارى ٤٢٤١ ومسلم ١٧٥٩)

عن عمر بن الخطاب أنه قال للعباس رضي الله عنهما : والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب يعني والده لو أسلم لأن إسلامك كان أحب إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب. (طبقات ابن سعد ٤ / ٢٢)

قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله عليها وعلى أبيها السلام: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان أحدٌ من الناس أحبَّ إلينا من أبيك، وما أحدٌ بعد أبيك أحب إلينا منك. (تاريخ بغداد ١٦٨ / ٥)

قال رزين بن عبيد : كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما فأتى زين العابدين علي بن الحسين فقال له ابن

عباس مرحباً بالحبيب ابن الحبيب . (أخرجه أحمد في الفضائل ٢ / ٧٧٧)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سيهلك فيّ صنفان، محب مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، ومبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، وخير الناس فيّ حالا النمط الأوسط فالزموه.

(نهج البلاغة خطبة ١٢٧ السنة لابن أبي عاصم)

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي

الأمي صلى الله عليه وسلم إليّ: (أن لا يجيني إلا مؤمن، ولا يُبغضني إلا منافق)

(رواه مسلم في أوائل صحيحه في كتاب الإيمان رقم (٧٨) ورواه الترمذي (٣٧٣٦)

قال الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لرجل ممن يغلو في آل البيت: ويحكم أحبونا لله فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا. فقال الرجل: إنكم ذو قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم أهل بيته. فقال: ويحكم لو كان الله نافعاً بقرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا أباه وأمه. والله إني لأخاف أن يضاعف الله للعاصي منا العذاب ضعفين. والله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين. لقد أساء آباؤنا وأمهاتنا إن كان ما تقولون من دين الله حقا ثم لم يخبرونا به ولم يطلعونا عليه ولم يرغبونا فيه فنحن والله أقرب منهم قرابة منكم وأوجب عليهم حقا، وأحق بأن يرغبوا فيه منكم ولو كان الأمر كما تقولون إن الله ورسوله اختار عليا لهذا الأمر وللقيام على الناس بعده، إن كان علي لأعظم الناس في ذلك خطيئة وجرما إذ ترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه كما أمره ويعذر فيه إلى الناس فقال الرافضي: ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال: أما والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بذلك الإمرة والسلطان والقيام على الناس لأفصح لهم بذلك كما أفصح لهم بالصلاة والزكاة وصيام رمضان وحج البيت ولقال لهم: أيها الناس هذا ولي أمركم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا فما كان من وراء هذا فإن أنصح الناس كان للمسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(طبقات بن سعد ٥ / ٣١٩ - ٣٢٠)

وسأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما عن دم الباعوض فقال ممن أنت قال من أهل العراق قال انظروا إلى هذا يسألني عن دم الباعوض وقد قتلوا ابن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وسمعت النبي صلى

الله عليه وعلى آله وسلم يقول هما ریحانتاي من الدنيا. (رواة البخارى ٥٩٩٤)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدث أبي بحديث سفينة فقلت يا أبة ما تقول في التفضيل؟ قال في الخلافة أبو بكر وعمر وعثمان. فقلت: فعلي بن أبي طالب؟ قال: يا بني علي بن أبي طالب من أهل بيت لا يقاس بهم أحد. (مناقب الإمام احمد للجوزى ٢١٩)

قال الحسن البرهاري: واعر ف لبي هاشم فضلهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرهم وحقوقهم في الإسلام وموالي القوم منهم وتعرف لسائر الناس حقهم في الإسلام واعر فضل الأنصار ووصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآل الرسول فلا تنساهم واعر فضلهم وكرامتهم. (شرح السنه ٩٦-٩٧)

قال الامام ابى بكر محمد بن الحسين الاجرى: واجب على كل مؤمن ومؤمنة محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبنو هاشم: علي بن أبي طالب وولده وذريته، وفاطمة وولدها وذريتها، والحسن والحسين وأولادهما وذريتهما، وجعفر الطيار وولده وذريته، وحمزة وولده، والعباس وولده وذريته رضي الله عنهم، هؤلاء أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واجب على المسلمين محبتهم وإكرامهم واحتياهم وحسن مداراتهم، والصبر عليهم، والدعاء لهم. (الشريعة ٥/٢٢٧٦)

قال سفيان الثوري: لا يجتمع حب عثمان وعلي إلا في قلوب نبلأ الرجال. (تاريخ بغداد ٥/٢١٩)

قال ابن تيمية: ويحبون يعني أهل السنه والجماعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدیر حُم: (أذكركم الله في أهل بيتي) وقال: أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفون بني هاشم فقال والذي نفسي بيده! لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتى وقال: إن الله اصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم. ويتولون أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يُغضون الصحابة ويسبونهم وطريقة النواصب الذين

يُؤذون أهل البيت بقول أو عمل. (العقيدة الوسطية لابن تيميه ١٢/٩)

قال الموفق ابن قدامه المقدسى : ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهرات المبررات من كل سوء أفضلهم خديجة بنت خويلد وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر. (لمعه الإعتقاد ١٧٨)

قول أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي: ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه الطاهرات من كل دنس وذريته المقدسين من كل رجس فقد برئ من النفاق .

(العقيدة الطحاوية شرح ابن أبي العز ٤٦٧ - ٤٧١)

قال ابن كثير : ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجليلة كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وأهل ذريته رضي الله عنهم أجمعين. (تفسير ابن كثير ١٩٩/٦)

قال الشافعي :

يا آل بيت رسول الله حُبُّكُمْ
فَرَضَ مِنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْتُمْ
مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

وقال ايضاً:

إِذَا فِي مَجْلِسٍ نَذَرُ عَلِيًّا
وَسَبْتِيهِ وَفَاطِمَةَ الزَّكِيَّةِ
يُقَالُ تَجَاوَزُوا يَا قَوْمُ هَذَا
فَهَذَا مِنْ حَدِيثِ الرَّافِضِيِّ
بَرِئْتُ إِلَى الْمُهَيِّمِينَ مِنْ أَنْاسِي
يَرُونَ الرَّفْضَ حُبَّ الْفَاطِمِيَّةِ

كان عمران بن حطان شاعراً شديداً في مذهب الصُّفَرِيَّةِ - وهي فرقة من فرق الخوارج وبلغ من خبيثه في بغض علي رضي الله عنه أنه رثى عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رضي الله عنه فقال في ضربه علياً:

يَا ضَرْبَةَ مَنْ مُنِيبٍ مَا أَرَادَ بِهَا
إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ
أَوْفَى الرِّيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا

قال عبد القاهر: قد أجبناه عن شعره هذا بقولنا:

يَا ضَرْبَةَ مَنْ كَفُورٍ مَا اسْتَفَادَ بِهَا إِلَّا الْجَزَاءَ بِمَا يُضْلِيهِ نِيرَانَا
إِنِّي لَأَلْعَنُهُ دِينًا وَالْعَنُ مَنْ يَرْجُو لَهُ أَبَدًا عَفْوًا وَغُفْرَانَا
ذَاكَ الشَّقِيَّ لِأَشَقَى النَّاسِ كُلِّهِمْ أَخَفُّهُمْ عِنْدَ رَبِّ النَّاسِ مِيزَانَا

وقال آخر في الرد عليه: وهو بكر بن حسان الباهري:

«قُلْ لِابْنِ مُلْجَمٍ - وَالْأَقْدَارُ غَالِيَةٌ هَدَمْتَ لِلدِّينِ وَالْإِسْلَامِ أَرْكَانَا
فَلَا عَفَا اللَّهُ عَنْهُ سُوءَ فِعْلَتِهِ وَلَا سَقَى قَبْرَ عِمْرَانَ بْنِ حِطَّانَا
يَا ضَرْبَةَ مَنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
بَلْ ضَرْبَةٌ مِنْ غَوِيٍّ أَوْرَدَتْهُ لَطَى وَسَوْفَ يَلْقَى بِهَا الرَّحْمَنَ غَضَبَانَا

قال عبد الله بن المبارك معارضًا الخارجيَّ عمران بن حطان:

إِنِّي امْرُؤٌ لَيْسَ فِي دِينِي لِغَامِزَةٍ لَيْنٌ وَلَكُنْتُ عَلَى الْأَسْلَافِ طَعَانَا
وَفِي ذُنُوبِي إِذَا فَكَّرْتُ مُشْتَغَلٌ وَفِي مَعَادِي إِنْ لَمْ أَلْقَ غُفْرَانَا
عَنْ ذِكْرِ قَوْمٍ مَضُّوا كَانُوا لَنَا سَلَفًا وَلِلنَّبِيِّ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْوَانَا
وَلَا أَرَأَى لَهُمْ مُسْتَغْفِرًا أَبَدًا كَمَا أُمِرْتُ بِهِ سِرًّا وَإِعْلَانَا
فَمَا الدُّخُولُ عَلَيْهِمْ فِي الَّذِي عَمِلُوا بِالطَّعْنِ مِنِّي وَقَدْ فَرَطْتُ عِضْيَانَا
فَلَا أَسْبُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا عُمَرَ وَلَا أَسْبُ مَعَاذَ اللَّهِ عُمَانَا
وَلَا ابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ أَشْتُمُهُ حَتَّى أَلْبَسَ تَحْتَ التُّرْبِ أَكْفَانَا
وَلَا الزُّبَيْرَ حَوَارِيَّ الرَّسُولِ وَلَا أُهْدِي لِطَلْحَةَ شِمًّا عَزَّ أَوْ هَانَا
وَلَا أَقُولُ لِأُمَّ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ الْغَوَاةُ لَهَا زُورًا وَمِهْنَانَا
وَلَا أَقُولُ عَلِيٍّ فِي السَّحَابِ لَقَدْ وَاللَّهِ - قُلْتُ إِذَا جَوْرًا وَعُدْوَانَا
لَوْ كَانَ فِي الْمُرْنِ أَلْقَتُهُ وَمَا حَمَلَتْ مُرْنُ السَّحَابِ مِنَ الْأَحْيَاءِ إِنْسَانَا
إِنِّي أَحِبُّ عَلِيًّا حُبَّ مُقْتَصِدٍ وَلَا أَرَى دُونَهُ فِي الْفَضْلِ عُمَانَا
أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ كَانَتْ لَهُ قَدَمٌ فِي السَّابِقِينَ لَهَا فِي النَّاسِ قَدُّ بَانَا

وَكَانَ عُمَرَانُ ذَا صِدْقٍ وَذَا
وَرَعَ مُرَاقِبًا وَجَزَاهُ اللَّهُ غُفْرَانًا
مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ قَلْبِي مُشَايَعَةً
لِلْمُبْغِضِينَ عَلِيًّا وَابْنَ عَفَانَا
إِنِّي لَا مَنَحُهُمْ بُغْضِي عَلَانِيَةً
وَلَسْتُ أَكْتُمُهُمْ فِي الصَّدْرِ كِتْمَانًا
إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبَلُ اللَّهِ فَاعْتَصِمُوا
بِهَا هِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا
اللَّهُ يُدْفَعُ بِالسُّلْطَانِ مُعْضَلَةً
عَنْ دِينِنَا رَحْمَةً مِنْهُ وَرِضْوَانًا
لَوْلَا الْأِيْمَةُ لَمْ يَأْمَنْ لَنَا سُبُلٌ
وَكَانَ أَضْعَفُنَا تَهْبًا لِأَقْوَانَا

(ديوان عبد الله بن المبارك (٢٨) «الفرق بين الفرق» للبغدادي (٧٣))

الآثار العملية من حياة السلف:

وعن عُبَيْدِ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَصْرَ ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ: أَبُي شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَا شَبِيهٌ بَعْلِي، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ. (البخاري ح ٣٥٤٢)

قال عكرمة: تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي جارية تلعب مع الجوارى فجاء إلى أصحابه فدعوا له بالبركة فقال: إني لم أتزوج من نشاط بي ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي فأحببت أن يكون بيني وبين نبي الله صلى الله عليه وسلم سبب ونسب. (سنن النسائي ٤ / ٧١)

عن أنس: أن عمر بن الخطاب كان إذا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بَعَمِ نَبِينَا فَاسْقِنَا قَالَ: فَيَسْقُونَ. (البخاري ١٠١٠)

أن العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة فاسقنا الغيث قال: فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس (فتح الباري ٣ / ٤٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان يأتي إلى بيت بعض الصحابة ليأخذ عنه الحديث فيجده قائلاً فيتوسد رداءه على بابه فتسفي الريح التراب على وجهه فإذا خرج وراءه قال: يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما جاء بك ألا أرسلت إلي فأتيتك؟. (الطبقات الكبرى ٢ / ٣٦٧)

كان العباسُ إذا مرَّ بعمر أو بعثمان وهما راكبان نزلًا حتى يُجاوِزَهما، إجلالاً لعم رسول الله صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء ٢/ ٩٣)

عن الشعبي قال : صلى زيد بن ثابت رضي الله عنه على جنازة ثم قُرب له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا نفعل بالعلماء فقَبِلَ زيد بن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا. (طبقات ابن سعد ٢/ ٣٦٠)

روى أن الحسن بن علي دخل على معاوية في مجلسه فقال له معاوية : مرحباً وأهلاً بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر له بثلاثمائة ألف . (البدایه والنهایة لابن كثير ٢/ ١٤٠)

وأيضاً أن الحسن والحسين رضي الله عنهما وفدا على معاوية رضي الله عنه فأجازهما بإتني ألف وقال لهما : ما أجاز بهما أحد قبلي فقال الحسين ولم تعط أحد أفضل منا. (البدایه والنهایة ٨/ ١٩٣)

عن القاضي أبي بكر بن الطيب لما أرسله المسلمون إلى ملك النصارى بالقسطنطينية، فإنهم عظموه وعرف النصارى قدره، فخافوا أن لا يسجد للملك إذا دخل، فأدخلوه من بابٍ صغيرٍ ليدخل منحنيًا، ففطن لكرهم فدخل مستدبرًا متلقيًا لهم بعجزه، ففعل نقيض ما قصدوه، ولما جلس وكلموه أراد بعضهم القدح في المسلمين، فقال له: «ما قيل في عائشة امرأة نبيكم؟» يريد إظهار قول الإفك الذي يقوله من يقوله من الرافضة أيضًا، فقال القاضي: «ثبتان قدح فيها ورُميتا بالزنا إفكًا وكذبًا: مريم وعائشة، فأما مريم فجاءت بالولد تحمله من غير زوج، وأما عائشة فلم تأت بولدٍ مع أنه كان لها زوج» فأبهت النصارى. (منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢/ ٥٦)

٤٤- باب توفير العلماء والكبار وأهل الفضل

وتقديرهم على غيرهم ، ورفع مجالسهم ، وإظهار مراتبهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ [الزمر ٩]

٣٤٨- وعن أبي مسعود عُبَيْدِ بْنِ عَمْرٍو البدرِيّ الأنصاريّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً، فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةَ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًا وَلَا يُؤْمَنُ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدُ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» رواه مسلم. وفي رواية له

: « فَأَقْدَمُهُمْ سَلَمًا » بَدَلَ « سِنًا » : أَيِ إِسْلَامًا .

وفي رواية : يَوْمَ الْقَوْمِ أَقْرَوْهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً ، فَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَيَوْمُهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهَجْرَةِ سَوَاءً ، فَلْيَوْمَهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًا .

وَالْمُرَادُ « بِسُلْطَانِهِ » مَحَلٌّ وَلَايَتِهِ ، أَوْ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ . « وَتَكْرِمَتُهُ » بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرِ الرَّاءِ : وَهِيَ مَا يَنْفَرِدُ بِهِ مِنْ فِرَاشٍ وَسَرِيرٍ وَنَحْوِهِمَا .

٣٤٩- وعنه قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْسُحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ وَيَقُولُ : « اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا ، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ ، لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْ لَوْا الْأَحْلَامَ وَالنُّهْيَ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » رواه مسلم .

وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِيَلِينِي » هو بتخفيف النون وكَيْسَ قَبْلَهَا يَاءٌ ، وَرُوي بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا . « وَالنُّهْيَ » : الْعُقُولُ : « وَأَوْلُوا الْأَحْلَامَ » هُمُ الْبَالِغُونَ ، وَقِيلَ : أَهْلُ الْحِلْمِ وَالْفَضْلِ .

٣٥٠- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِيَلِينِي مِنْكُمْ أَوْ لَوْا الْأَحْلَامَ وَالنُّهْيَ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ » ثلاثاً « وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الْأَسْوَاقِ » رواه مسلم .

٣٥١- وعن أبي يحيى وقيل : أبي مُحَمَّدٍ سَهْلِ بْنِ أَبِي حَثْمَةَ بِفَتْحِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الثَّاءِ الْمَثَلِثَةِ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : انْطَلَقَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ وَحِيصَةُ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ ، فَتَفَرَّقَا . فَأَتَى حِيصَةَ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا ، فَدَفَنَهُ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَهْلٍ وَحِيصَةُ وَحُوْبِصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَتَكَلَّمُ فَقَالَ : « كَبَّرَ كَبَّرٌ » وَهُوَ أَحَدُ الْقَوْمِ ، فَسَكَتَ ، فَتَكَلَّمَا فَقَالَ : « أَتَخْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ ؟ » وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ . مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَبَّرَ كَبَّرٌ » مَعْنَاهُ : يَتَكَلَّمُ الْأَكْبَرُ .

٣٥٢- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أَحَدٍ يَعْنِي فِي الْقَبْرِ ، ثُمَّ يَقُولُ : « أَيُّهُمَا أَكْثَرَ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ ؟ » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ

. رواه البخاري .

٣٥٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسَوَاكٍ ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ ، فَتَاوَلْتُ السَّوَاكَ الْأَصْغَرَ ، فَقِيلَ لِي : كَبِّرْ ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ مِنْهُمَا » رواه مسلم مُسْنَدًا وَالبخاريُّ تَعْلِيْقًا .

٣٥٤- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ تَعَالَى إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ ، وَالْجَافِي عَنْهُ وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ » حديثٌ حَسَنٌ رواه أبو داود .

٣٥٥- وعن عمرو بن شعيبٍ ، عن أبيه ، عن جده رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا ، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا » حديثٌ صَحِيحٌ رواه أبو داود والترمذي ، وقال الترمذي : حديثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ . وفي رواية أبي داود « حَقَّ كَبِيرِنَا » .

٣٥٦- وعن ميمون بن أبي شبيبٍ رحمه الله أن عائشة رضي الله عنها مرَّ بها سَائِلٌ ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً ، وَمرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ ، فَأَقْعَدْتُهُ ، فَأَكَلَ فَقِيلَ لَهَا فِي ذَلِكَ ؟ فَقَالَتْ : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْزَلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ » رواه أبو داود . لَكِنْ قَالَ : مَيْمُونٌ لَمْ يُدْرِكْ عَائِشَةَ .

وَقَدْ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي أَوَّلِ صَحِيحِهِ تَعْلِيْقًا فَقَالَ : وَذَكَرَ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ نُنْزِلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ ، وَذَكَرَهُ الْحَاكِمُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ « مَعْرِفَةُ عُلُومِ الْحَدِيثِ » وَقَالَ : هُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ .

٣٥٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قَدِمَ عُمَيْيَةُ بْنُ حِصْنٍ ، فَتَزَلَّ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحَزْرِيِّ بْنِ قَيْسٍ ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه ، وَكَانَ الْقُرَاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ، فَقَالَ عُمَيْيَةُ لابْنِ أَخِيهِ : يَا ابْنَ أَخِي لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الْأَمِيرِ ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه ، فَلَمَّا دَخَلَ : قَالَ هِيَ يَا ابْنَ الْحَطَّابِ : فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزَلَ ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالْعَدْلِ ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَزْرِيُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

{ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } وَإِنْ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ . وَاللَّهُ مَا جَاوَزَهَا عُمُرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ وَقَافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . رواه البخاري .

٣٥٨- وعن أبي سعيد سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رضي الله عنه قال : لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلَامًا فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا أَنْ هَهُنَا رِجَالًا هُمْ أَسْنُ مِنِّْي . متفق عليه

٣٥٩- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللَّهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ » رواه الترمذي وقال حديث غريب . معنى « ازُقُّبُوا » رَاعُوهُ وَاحْتَرِمُوهُ وَأَكْرِمُوهُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن جابر عن أبي جعفر رضوان الله عليه . هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال : نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون . (تفسير الطبرى ٢١ / ٢٦٨)

قال قتادة : هل يستوي الذين يعلمون هذا فيعملون به والذين لا يعلمون هذا فلا يعملون به .

قال يحيى : أن الذين يعلمون هم المؤمنون يعلمون أنهم لا قور ربهم ، والذين لا يعلمون هم المشركون الذين جعلوا لله أندادا . (تفسير الماوردى ٥ / ١١٨)

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون أي : لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل إنما يتذكر يتعظ أولو الألباب أصحاب العقول . (تفسير الجلالين ١ / ٤٦١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن عباس : خير سليمان عليه السلام بين العلم والمال والملك فاختر العلم فأعطي المال والملك معه . (تفسير القرطبي ١٧ / ٣٠٠)

وقال علي بن أبي طالب : من حق العالم عليك إن أتيته أن تسلم عليه خاصة وعلي القوم عامة ، وأن تجلس قدامه ، ولا تشير بيدك ولا تعمز بعينيك ، ولا تقل قال فلان خلاف قولك ولا تأخذ بثوبه ولا تلح عليه في السؤال ، فإنما هو بمنزلة النخلة المرطبة التي لا يزال يسقط عليك منها شيء .

(جامع بيان العلم وفضله ١ / ١٧٦)

قال سفيان الثوري: لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة. (شرح السنه للبغوى ١/ ٢٧٩)

ويقول أبو زرعة الرازي: كنت عند أحمد بن حنبل فذكر إبراهيم بن طهمان وكان متكئاً من علة مريضاً فجلس وقال: لا ينبغي أن يُذكر الصالحون فيتكأ. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٨١)

قال الإمام أحمد: لحوم العلماء مسمومة من شمسها مرض ومن أكلها مات. (المعبد في اداب المفيد والمستفيد ٧١)

قال الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى: واعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته - أن لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة لأن الوقعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم. (تبيين كذب المفتري ص ٢٨)

وقال ايضاً: ومن أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته بموت القلب (فليَحذَرِ الَّذِينَ يُجَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور ٦٣). (تبيين كذب المفتري ص ٢٨)

قال الحسن: لولا العلماء لصار الناس كالبهائم. (إحياء علوم الدين ١/ ١١)

قال الحسن: كانوا يقولون موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار. (سنن الدرामी ١/ ١٠٧)

عن أبي حنيفة والشافعي قالا: إن لم يكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي. (الفقيه والمتفقه للخطيب ١/ ١٥٠)

وعن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: كفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً، وهو يقع في الصالحين. (شعب الإيمان للبيهقي ٣١٦/ ٥)

قال ابن المبارك: من استخف بالعلماء ذهب آخرته، ومن استخف بالأمرأ ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته. (سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٠٨)

وعن الحسن بن علي الخلال قال: كنا عند مُعْتَمِر بن سليمان يحدثنا، إذ أقبل ابن المبارك، فقطع معتمر حديثه، فقيل له: حدثنا فقال: إنا لا نتكلم عند كُبرائنا. (الجامع للخطيب ١/ ٣٢١)

جاء فتى إلى سفيان بن عيينة من خلفه فجذبه، وقال: يا سفيان! حدثني! فالتفت سفيان إليه وقال: يا بني! من جهل أقدار الرجال، فهو بنفسه أجهل. (اداب العشرة للغزى ٥٥)

قال محمد بن سيرين: رأيت عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه ويسودونه ويشرفونه مثل

الأمير. (الجامع للخطيب الغدادي ١ / ١٨٢)

وكان الأوزاعي إذا سئل عن مسألة وسعيد بن عبد العزيز حاضر قال: سلوا أبا محمد. (تاريخ دمشق ٢١ / ٢٠٠)

وقال الأوزاعي: الناس عندنا أهل العلم. (الدر المنثور للسيوطي ٦ / ٣٤٤)

وجاء عن الأعمش: كنت آتي مجاهداً فيقول: لو كنت أطيق المشي لأتيتك. (وفيات الأعيان ٢ / ٤٠١)

وقال الإمام أحمد بن الأذري: الوقعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبار الذنوب. (الرد الوافر ١٩٧)

وقال الأعمش رحمه الله: كنا نهاب إبراهيم كما يُهاب الأمير. (تذكرة الحفاظ ١ / ٧٤)

وقال طاووس: إن من السنة توقيير العالم. (جامع بيان العلم ١ / ٤٥٩)

قال ابن القيم: في وصف أهل العلم حيث قال: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام

الذين خُصّوا باستنباط الأحكام وعُنوا بضبط قواعد الحلال والحرام فهم في الأرض بمنزلة النجوم في

السماء بهم يهتدي الحيران في الظلماء وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب

وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء بنص الكتاب قال تعالى: (يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا

اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) (سورة النساء الآية ٥٩). (إعلام الموقعين عن رب العالمين ١ / ٩)

قال القاضي عبد الوهاب - المالكي البغدادي (وفيات الاعيان ٣ / ٢٢١)

مَتَى تَصِلُ الْعَطَاشُ إِلَى ارْتَوَاءٍ إِذَا اسْتَقَّتِ الْبِحَارُ مِنَ الرَّكَائِيَا؟!

وَمَنْ يَثْنِي الْأَصَاغِرَ عَنْ مُرَادٍ وَقَدْ جَلَسَ الْأَكَابِرُ فِي الزَّوَايَا

وإن ترفع الوضعاء يوماً على الرفعاء من أدهى الزوايا

إِذَا اسْتَوَتْ الْأَسَافِلُ وَالْأَعَالِي فَقَدِ طَابَتْ مُنَادِمَةُ الْمُنَايَا

الآثار العملية في حياة المسلم :

قال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن حديث ما منعني منه إلا

هيئته، حتى تخلف في حجة أو عمرة في الأراك الذي ببطن مر الظهران لحاجته، فلما جاء وخلوت به

قلت: يا أمير المؤمنين! أريد أن أسألك عن حديث منذ سنتين ما منعني إلا هيبة لك قال: فلا تفعل، إذا

أردت أن تسألني فسلني، فإن كان عندي منه أخبرتك وإلا قلت: لا أعلم، فسألت من يعلم قلت: من

المرأتان اللتان ذكرهما الله تعالى أنها تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: عائشة

وحفصة. (جامع بيان العلم /١ /٤٥٦)

عن الشعبي قال : أمسك ابن عباس بركاب زيد بن ثابت، فقال: أتمسك لي وأنت ابن عم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ؟ قال: إنا هكذا نصنع بالعلماء. (الجامع للخطيب /١ /١٨٨)

قال مجاهد: كنت أصحب ابن عمر في السفر فإذا أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي فإذا ركبت

سوى عليّ ثيابي . قال مجاهد : فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك فقال: يا مجاهد إنك ضيق الخلق. وقال

ايضا : ربما أخذني ابن عمر بالركاب ، وربما أدخل ابن عباس أصابعه في بطني . (تاريخ دمشق ص ٣٥ /ج ٥٧)

قال الزهري : ما جالست أحدا من العلماء إلا وأرى أني قد أتيت على ما عنده وقد كنت أختلف إلى

عروة بن الزبير حتى ما كنت أسمع منه إلا معادا ما خلا عبيد الله بن عبد الله فإنه لم آتة إلا وجدت عنده

علما طريفا. (سير أعلام النبلاء /٤ /٤٧٦)

وجاء عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: كان يحيى بن سعيد - يعني: الأنصاري- يجالس ربيعة

الرأى (شيخ الامام مالك) فإذا غاب ربيعة حدثهم يحيى أحسن الحديث وكان كثير الحديث فإذا حضر

ربيعة كف يحيى إجلالاً لربيعة وليس ربيعة أسن منه، وهو فيما هو فيه وكان كل واحد منها مبيجلاً

لصاحبه. (سير أعلام النبلاء /٦ /٢٥١)

عن هشام بن عروة بن الزبير بن العوام وهو من التابعين أهوى إلى يد أبي جعفر ليقبلها، يد أبي جعفر

المنصور الخليفة العباسي فمنعه وقال: يا ابن عروة إنا نكرمك عنها، ونكرمها عن غيرك.

(تهذيب الكمال في اسماء الرجال /٢٤٠ /٣)

وبلغ الثوري وهو بمكة مقدم الأوزاعي فخرج حتى لقيه بزدي طوى طرف مكة (يعني في الناحية الآن

لربما قريباً من الزاهر) فلما لقيه حلّ رسن البعير من القطار (يعني القوافل كانت مقطورة، هذا البعير

يربط بهذا البعير) فوضعه على رقبته عالم إمام وضعه على رقبته فجعل يتخلل به فإذا مر بجماعة قال:

الطريق للشيخ تواضع ما قال: أنتظر أن يأتيني وأن يبادر هو بزيارتي لا خرج إليه بزدي طوى ولوي

الحبل على رقبته. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم /١ /٢٠٨)

قال أبي الحسن بن العطار: رأيت أحمد بن حنبل يأخذ لداود بن عمرو بالركاب. (السير /١١ /١٣١)

جاء محمد بن أبي بشر إلى الإمام أحمد يسأله عن مسألة فقال: ائت أبا عبيد يعني: القاسم بن سلام فإن له

بيانا لا تسمعه من غيره، يقول: فأتيته فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد يعني: أن الإمام أحمد أحلني عليك، وقال فيك ما قال، فقال: ذلك رجل من عمال الله نشر الله رداء عمله يعني الله عز وجل أظهر عمله الطيب للناس، وإن أخفاه هو وذخر له عنده الزلفى، أما تراه محبباً مألوفاً؟، ما رأيت عيني بالعراق رجلاً اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم فإنه لكما قيل:

يزينك إماماً غاب عنك فإن دنا رأيت له وجهاً يسرك مُقبلاً
 يعلم هذا الخلق ما شدد عنهم من الأدب المجهول كهفًا ومَعقلاً
 ويحسن في ذات الإله إذا رأى مضيئاً لأهل الحق لا يسأمُ البلاء
 وإخوانه الأذنون كلُّ موفق بصيرٍ بأمر الله يسمو على العُلا. (سير أعلام النبلاء ١/٢٠١)

ولما مات سعيد بن أحمد بن حنبل جاء إبراهيم الحري وهو إمام كبير إلى عبد الله بن أحمد يعزیه فقام إليه عبد الله الحري فقال ابن الإمام أحمد لعبد الله: تقوم إليّ؟ قال: والله لو رآك أبي لقام إليك، فقال إبراهيم: والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه ابن عيينة من طبقة أعلى من طبقة الإمام أحمد قبله. (مناقب الإمام أحمد ٢٠٢)
 قال أحمد بن حنبل: ما بت منذ ثلاثين سنة إلا وأنا أدعو إلى الشافعي وأستغفر له، وقال له ابنه عبد الله يا أبا أي رجل كان الشافعي فإني أسمعك تكثر من الدعاء له قال يا بني كان كالشمس للنديا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف أو منهما من عوض. (المنتظم ١٠ / ١٣٩)

ويقول حاشد بن إسماعيل: كنت بالبصرة فسمعت قدوم محمد بن إسماعيل البخاري فلما قدم قال بُندار، وبنُدار هو أحد شيوخ البخاري: اليوم دخل سيد الفقهاء. (تاريخ دمشق ٥٢ / ٨٤)

ويقول محمد: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: لما دخلت البصرة صرت إلى مجلس بندار فلما وقع بصره علي قال: من أين الفتى؟ قلت: من أهل بخارى، فقال لي: كيف تركت أبا عبد الله يعني: البخاري؟ ما عرفه، يسأله عن البخاري والبخاري هو الذي أمامه، كيف تركت أبا عبد الله؟، فأمسكتُ فقالوا له: يرحمك الله، هو أبو عبد الله فقام وأخذ بيدي وعانقني وقال: مرحباً بمن أفتخر به منذ سنين.

(تاريخ بغداد وذيوله ٢ / ١٧)

وخرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير إلى بخارى في حاجة له، فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبد الله؟ قال: لا، فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير إذ قدمت بخارى ولم تصر إلى أبي عبد الله محمد

بن إسماعيل، كيف تصل إلى بخارى ولا تقابل محمد بن إسماعيل البخاري صاحب الصحيح رحمه الله؟.
(تاريخ بغداد وذيوله ١٦٧/٢٠)

قال محمد بن يعقوب الحافظ: سمعت أبي يقول: رأيت مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح بين يدي البخاري يسأله سؤال الصبي تواضعاً وتادباً. (تاريخ بغداد وذيوله ١٧ / ٢)
وقال مسلم بن الحجاج لما جاء إلى البخاري مسلم يقول للبخاري: دعني أقبل رجلك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين وطبيب الحديث في علله. (تاريخ بغداد وذيوله ١٧ / ٢)

قال مالك: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين وقد نزل على مثال له أي فراش فإذا على بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان وجاء صبي يخرج ثم يرجع فقال لي: أتدري من هذا؟ يعني الخليفة أبو جعفر المنصور وهو من أقوى خلفاء بني العباس يقول للإمام مالك: أتدري من هذا الصبي؟ قلت: لا قال: هذا ابني وإنما يفزع من هيبتك هذا ولد الخليفة ثم سألتني عن أشياء منها حلال ومنها حرام ثم قال لي: أنت والله أعقل الناس وأعلم الناس قلت لا والله يا أمير المؤمنين. (سير أعلام النبلاء ٨/٦١)

ويقول خالد بن عبد السلام الصديقي: شهدت جنازة الليث بن سعد مع والدي فما رأيت جنازة قط أعظم منها، رأيت الناس كلهم عليهم الحزن، وهم يعزي بعضهم بعضاً ويكفون، فقلت: يا أبتِ كأن كل واحد من الناس صاحب هذه الجنازة، فقال: يا بني لا ترى مثله، يعني ما سترى مثل الليث بن سعد. (سير أعلام النبلاء ٨/١٦٢)

قال أبي عبد الله المعيطي: رأيت أبا بكر بن عياش بمكة فأتاه سفيان ابن عيينة فبرك بين يديه فجعل أبو بكر يقول له: يا سفيان كيف أنت؟ يا سفيان كيف عيال أبيك؟ قال: فجاء رجل يسأل سفيان عن حديث فقال سفيان: لا تسألني ما دام هذا الشيخ قاعداً. (الجامع للخطيب ١/٣٢٠)

قال الليث: كان سعيد بن المسيب يركع ركعتين ثم يجلس فيجتمع إليه أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لا يجترئ أحد منهم أن يسأله عن شيء إلا أن يبتدئهم بحديث أو يجيئه سائل فيسأل فيسمعون. (الجامع للخطيب ١/٤٠٠)

وعن عبد الرحمن بن حرمة الأسلمي قال: ما كان إنسان يجترئ على سعيد بن المسيب يسأله عن شيء حتى يستأذنه كما يستأذن الأمير. (الجامع للخطيب ١/١٨٤)

٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم ومحببتهم**ومحببتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة**

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا؟ [الكهف : ٦٠ - ٦٦] وَقَالَ تَعَالَى : وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ [الكهف : ٢٨] .

٣٦٠- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انطلق بنا إلى أم أيمن رضي الله عنها نزورها كما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يزورها ، فلما انتهيا إليها ، بكثت ، فقالا لها : ما يبكيك أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقالت : إني لا أبكي أنني لأعلم أن ما عند الله تعالى خير لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء . فهيجتُها على البكاء ، فجعلا يبكيان معها . رواه مسلم .

٣٦١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا ، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ . قَالَ : هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ ؟ قَالَ : لَا ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى ، قَالَ : فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتُهُ فِيهِ » رواه مسلم .

يقال : « أَرْصَدَهُ » لِكَذَا : إِذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ ، وَ « الْمَدْرَجَةُ » بَفَتْحِ الْمِيمِ وَالرَّاءِ : الطَّرِيقُ وَمَعْنَى « تَرُبُّهَا » : تَقْوُمُ بِهَا ، وَتَسْعَى فِي صَلَاحِهَا .

٣٦٢- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي اللهِ ، نَادَاهُ مُنَادٍ : بِأَنْ طُبَّتْ ، وَطَابَ مَمْسَاكَ ، وَتَبَوَّاتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا » رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وفي بعض النسخ غريب .

٣٦٣- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ . كَحَامِلِ الْمِسْكِ ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ ، إِذَا أَنْ يُحْذِيكَ

، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً طَيِّبَةً . وَنَافِخُ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحاً مُنْتِنَةً « متفقٌ عليه . « يُجْذِيكَ » : يُعْطِيكَ .

٣٦٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعِ : لِمَاهُا ، وَلِحَسْبِهَا ، وَلِحِمَاهُا ، وَلِدِينِهَا ، فَظَفَرٌ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ « متفقٌ عليه . ومعناه : أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْمَرْأَةِ هَذِهِ الْخِصَالَ الْأَرْبَعِ ، فَاحْرِضِ أَنْتَ عَلَى ذَاتِ الدِّينِ . وَاطْفَرْ بِهَا ، وَاحْرِصِ عَلَى صُحْبَتِهَا .

٣٦٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجَبْرِيلَ : « مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ؟ » فَزَلَّتْ : { وَمَا نَنْتَزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ } رواه البخاري .

٣٦٦- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا ، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا » . رواه أبو داود ، والترمذي بإسنادٍ لا بأسٍ به .

٣٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُجَالِلُ » رواه أبو داود . والترمذي بإسنادٍ صحيح ، وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ

٣٦٨- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . متفقٌ عليه وفي رواية قال قيل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم ؟ قال : « المرء مع من أحب » .

٣٦٩- وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا أَعَدَدْتُ لَهَا ؟ » قَالَ : حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ قَالَ : « أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » . متفقٌ عليه ، وهذا لفظ مسلمٍ

وفي رواية لهما : مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ ، وَلَا صَلَاةٍ ، وَلَا صَدَقَةٍ ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ

٣٧٠- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء رجلٌ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال : يا رسول الله كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ » متفقٌ عليه .

٣٧١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَهَمُوا . وَالْأَزْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَفَ ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا ، اخْتَلَفَ » رواه مسلم . وروى البخاري قوله : « الْأَزْوَاحُ » إلخ من رواية عائشة رضي الله عنها .

٣٧٢- وعن أسير بن عمرو ويقال : ابن جابر وهو « بضم الهمزة وفتح السين المهملة » قال : كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ سَأَلَهُمْ : أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ رضي الله عنه ، فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ تُمُّ مِنْ قَرْنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ » فَاسْتَغْفِرُ لِي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الْكُوفَةَ ، قَالَ : أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ فَوَافَى عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ ، فَقَالَ : تَرَكْتُهُ رَثَّ الْبَيْتِ قَلِيلِ الْمَتَاعِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرْنٍ ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ " فَاتَى أُوَيْسًا ، فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : أَنْتَ أَحَدَثُ عَهْدًا بِسَفَرِ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ . رواه مسلم

٣٧٣- وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ ،

فَأَذِنَ لِي ، وَقَالَ : « لَا تَنْسَنَا يَا أَخِيَّ مِنْ دُعَائِكَ » فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا . وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ : « أَشْرِكْنَا يَا أَخِيَّ فِي دُعَائِكَ » .

حديث صحيح رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٣٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا ، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَفِي رِوَايَةٍ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

كان ابن عباس يقول في هذه الآية : وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح . يقول : لا أنفك، ولا أزال، حتى أبلغ مجمع البحرين . يقول : ملتقى البحرين، أو أمضي حقبا . يقول : أو أمضي سبعين خريفا، فلما بلغا مجمع بينهما . يقول : بين البحرين، نسيا حوتها . يقول : ذهب منها فأخطأهما، وكان حوتا مليحا معها يحملانه، فوثب من المكتل إلى الماء، فكان سبيله في البحر سربا فأنسى الشيطان فتى موسى أن يذكره، وكان فتى موسى يوشع بن نون، واتخذ سبيله في البحر عجبا . يقول : موسى عجب من أثر الحوت ودوراته التي غار فيها قال ذلك ما كنا نبغ . قول موسى : فذاك حيث أخبرت أني أجد الخضر حيث يفارقني الحوت فارتدا على آثارهما قصصا . يقول : اتبع موسى ويوشع أثر الحوت في البحر وهما راجعان على ساحل البحر فوجدا عبدا من عبادنا . ويقول فوجدا خضرا، آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال الله تعالى : وفوق كل ذي علم عليم . (يوسف ٧٦) . فصحب موسى الخضر فكان من شأنها ما قص الله في كتابه . (تفسير الدر المنثور ٩/٥٧٦)

قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس : أن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس : كذب عدو الله؛ حدثنا أبي بن كعب، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل : أي الناس أعلم؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبدا بمجمع البحرين وهو أعلم منك . قال موسى : يا رب، فكيف لي به؟ قال : تأخذ معك حوتا تجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم .

فأخذ حوتا فجعله في مكتل، ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سربا، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يجبره بالحوت، فانطلقا بقية يومها وليلتها، حتى إذا كان من الغد، قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا. قال: ولم يجد موسى النصب، حتى جاوز المكان الذي أمره الله به، فقال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا. قال: فكان للحوت سربا، ولموسى ولفتاه عجبا. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا. قال سفيان: يزعم ناس أن تلك الصخرة عندها عين الحياة، لا يصيب ماؤها ميتا إلا عاش. قال: وكان الحوت قد أكل منه، فلما قطر عليه الماء عاش، قال: فرجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام! قال: أنا موسى. قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال إنك لن تستطيع معي صبرا. يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا. فقال له الخضر: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدم فقال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟! لقد جئت شيئا إمرأ. قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا. (تفسير الدر المنثور ٥٧٧/٩)

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء. عن ابن عباس قال: الخضر ابن آدم لصلبه، ونسئ له في أجله حتى يكذب الدجال. (تفسير الدر المنثور ٥٩٦/٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عمر بن الخطاب: لا تعترض فيما لا يعينك واعتزل عدوك واحتفظ من خليلك إلا الأمين فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تفش إليه سره واستشر في

أمرك الذين يخشون الله عز وجل. (حليه الأولياء ١ / ٥٥)

عن ميمون بن مهران قال: قلت لعمر ليلة: يا أمير المؤمنين، ما بقاؤك على ما أرى؛ أما في أول الليل: فأنت في حاجات الناس؛ وأما وسط الليل: فأنت مع جلسائك؛ وأما آخر الليل: فالله أعلم ما تصير إليه قال: فضرب على كتفي، وقال: ويحك يا ميمون، إني وجدت لقياء الرجال تلقيحا لألبابهم.

(حليه الأولياء ٥ / ٣٤٠)

قال أبي الدرداء: معاتبة الأخ خير لك من فقدته ومن لك بأخيك كله؟ أعط أخاك، ولن له ولا تطع فيه حاسداً فتكون مثله غداً يأتيك الموت فيكيفك فقدته؛ وكيف تبكيه بعد الموت، وفي حياته ما قد كنت تركت وصله؟. (حليه الأولياء ١ / ٢١٥-٢١٦)

قال أبي الدرداء: إن خيركم: الذي يقول لصاحبه: إذهب بنا نصوم قبل أن نموت؛ وإن شراركم: الذي يقول لصاحبه: إذهب بنا نأكل، ونشرب، ونلهو، قبل أن نموت. (حليه الأولياء ١ / ٢١٨)

قال ابن مسعود: أنه سأل أقرانه وأصحابه هل تتزاورون؟ قالوا: نعم، حتى إن أحدنا ليزور أخاه في ناحية الكوفة أي: نشتاقي إلى بعضنا البعض فيزور أحدنا صاحبه فأخبرهم أنهم على خير ما داموا على ذلك. (سنن الدارمي)

قال عطاء: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت لعبيد بن عمير: قد آن لك أن تزورنا فقال: أقول يا أمه كما قال: الأول: زر غبا تزدد حبا. قال فقالت: دعونا من رطانتكم هذه. (بن كثير ١ / ٣٤٧)

عن مالك بن دينار قال: كل جليس لا تستفيد منه خيراً فاجتنبه. (حليه الأولياء ٢ / ٣٧٢)

قال مالك بن دينار: كم من رجل يحب أن يلقي أخاه ويزوره فيمنعه من ذلك الشغل والأمر يعرض له عسى الله أن يجمع بينهما في دار لا فرقة فيها ثم يقول مالك وأنا أسأل الله أن يجمع بيننا وبينكم في ظل طوبى ومستراح العابدين. (حليه الأولياء ٢ / ٣٦٢)

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: قصدتك يا أبا إسحاق من خراسان لأصحبك فقال له إبراهيم: على أن أكون بمالك أحق به منك، قال: لا قال إبراهيم: قد صدقتني فنعم الصاحب أنت. (الحليه ٨ / ٢٨)

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم يريد صحبتته فقال له إبراهيم: ما معك؟ فأخرج دراهم فأخذ منها إبراهيم دراهم فقال: إذهب فاشترى لنا موزاً، فقال الرجل: موزاً بهذا كله؟ فقال إبراهيم: ضم

دراهمك، وامض ليس تقوى على صحبتنا. (حليه الأولياء ٨ / ١١)

قال محمد بن كعب القرظي: قال لي عمر بن عبد العزيز: لا تصحب من الأصحاب من خطرک عنده على قدر قضاء حاجته، فإذا انقضت حاجته، انقطعت أسباب مودته؛ واصحب من الأصحاب: ذا العلي في الخير، والأناة في الحق: يعينك على نفسك، ويكفيك مؤنته. (حليه الأولياء ٥ / ٣٤٢-٣٤٣)

قال جعونة: استعمل عمر بن عبد العزيز عاملاً فبلغه أنه عمل للحجاج فعزله فأثاه يعتذر إليه فقال: لم أعمل له إلا قليلاً قال: حسبك من صحبة شريوم أو بعض يوم. (حليه الأولياء ٥ / ٢٨٩)

قال خارجة بن زيد النحوي: دخلت على محمد بن سيرين بنيتة زائراً فوجدته جالساً بالأرض، فألقى إليّ وسادة، فقلتُ له: إني قد رضيت لنفسي ما رضيت لنفسك (أنت جالس من غير وسادة فأريد أن أجلس من غير وسادة) فقال: إني لا أرضى لك في بيتي ما أرضى به لنفسي، واجلس حيث تؤمر، فلعن الرجل في بيته شيءٌ يكره أن تستقبله، وكذلك نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن رد الوسائد إذا أعطاك وسادة لتستعملها. (بهجه المجالس وانس المجالس ١ / ٥٣)

قال سهل بن سعد: كنا لنفرح بيوم الجمعة كانت لنا عجوز تأخذ أصول السلق فتجعله في قدر لها فتجعل فيه حبات من شعير إذا صلينا زرناها فقربته إلينا وكنا نفرح بيوم الجمعة من أجل ذلك وما كنا نتغدى ولا نقيل إلا بعد الجمعة والله ما فيه شحم ولا ودك. (فتح الباري حديث ٥٠٨٨)

قال جعفر: سمعت مالك بن دينار يقول للمغيرة بن حبيب ما لا أحصي وكان ختنه: يا مغيرة كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه في دينك خيراً فانبذ عنك صحبتته. (الحلية ٦ / ٢٤٨)

قال ابن الاعرابي: تناسى مساويء الإخوان يدم لك ودهم. (اداب العشرة ١ / ١)

عن أبي جعفر محمد بن علي قال: أوصاني أبي، فقال: لا تصحبن خمسة، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق؛ قال: قلت: جعلت فداك يا أبة من هؤلاء الخمسة؟ قال: لا تصحبن فاسقاً، فإنه بايعك بأكلة فما دونها، قال: قلت: يا أبة، وما دونها؟ قال: يطمع فيها، ثم لا ينالها؛ قال: قلت: يا أبة، ومن الثاني؟ قال: لا تصحبن البخيل، فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه؛ قال: قلت: يا أبة، ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذاباً، فإنه بمنزلة السراب، يبعد منك القريب، ويقرب منك البعيد؛ قال: قلت: يا أبة، ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق، فإنه يريد أن ينفحك، فيضرك؛ قال: قلت: يا أبة، ومن الخامس؟ قال: لا

تصحبين قاطع رحم، فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله تعالى، في ثلاثة مواضع. (حليه الأولياء ٣/١٨٣-١٨٤)
 عن عباد بن كليب قال: اجتمعت أنا ومحمد بن النضر وعبد الله بن المبارك وفضيل بن عياض فصنعنا
 طعاماً فلم يخالفنا محمد بن النضر في شيء فقال عبد الله: إنك لم تخالفنا فقال محمد:

وإذا صاحبت فاصحب صاحباً ذا حياء وعفاف وكرم

قوله لك لا إن قلت لا وإذا قلت نعم قال نعم. (حليه الأولياء ٨/٢٢٢)

قال الفضيل بن عياض: إذا خالطت فخالط حسن الخلق: فإنه لا يدعو إلا إلى خير وصاحبه منه في
 راحة؛ ولا تخالط سيئ الخلق فإنه لا يدعو إلا إلى شر وصاحبه منه في عناء. (حليه الأولياء ٨/٩٦)

عن أبي الربيع الرشديني قال: رأيت عبد الله بن وهب دخل مسجد الفسطاط في يوم مطير؛
 فجعل يطلب إنساناً يجلس معه، فجاء إلى مؤخر المسجد، فرأى سعيداً الأخرم؛ فقام إليه، فاعتنقا جميعاً
 يبكيان؛ فسمعت ابن وهب يقول: يا أبا عثمان، ذهب من كان إذا صدأت قلوبنا جلاها. (الحليه ٨/٣٢٤)

عن ذي النون قال: بالعقول: يجتني ثمر القلوب، ويحسن الصوت: تستمال أئنة الأبصار، وبالتوفيق:
 تنال الحظوة، وبصحبة الصالحين: تطيب الحياة؛ والخير مجموع في القرين الصالح: إن نسيت ذكرك، وإن
 ذكرت أعانك. (حليه الأولياء ٩/٣٥٩)

عن مضاء وأبي صفوان بن عوانة قالا: من أحب رجلاً، وقصر في حقه، فهو كاذب في حبه؛ وإذا أراد الله
 بالشاب خيراً، وفق له رجلاً صالحاً. (حليه الأولياء ٩/٣٢٥)

عن مجاهد قال: ما من ميت يموت، إلا عرض عليه أهل مجلسه: إن كان من أهل الذكر، فمن أهل
 الذكر؛ وإن كان من أهل اللهو، فمن أهل اللهو. (حليه الأولياء ٣/٣٨٣)

قال عبد الله بن طاووس: قال لي أبي: يا بني صاحب العقلاء تنسب إليهم وإن لم تكن منهم ولا
 تصاحب الجهال فتنسب إليهم وإن لم تكن منهم وأعلم أن لكل شيء غاية وغاية المرء حسن
 خلقه. (حليه الأولياء ٤/١٣)

عن عون بن عبد الله قال: صحبت الأغنياء، فلم يكن أحد أطول غماً مني، فإن رأيت رجلاً: أحسن
 ثياباً مني، وأطيب ريحاً مني، غمني ذلك؛ فصحبت الفقراء، فاسترحت. (الحليه ٤/٢٤٢-٢٤٣)

عن مطرف بن عبد الله قال: لقاء إخواني أحب إلي من لقاء أهلي! أهلي يقولون: يا أبي يا أبي وإخواني

يدعون الله بدعوة أرجو فيها الخير. (الزهد لأحمد ٢٩٦)

قال الشافعي: ما أحد إلا وله محب ومبغض فإن كان لا بد من ذلك فليكن المرء مع أهل طاعة الله عز وجل. (حليه الأولياء ١١٧/٩)

قال حاتم الأصم: قال لي شقيق البلخي: إصحب الناس كما تصحب النار خذ منفعتها واحذر أن تحرقك. (حليه الأولياء ٧٧/٨)

قال بكر بن محمد العابد: قلت لسفيان الثوري: دلني على رجل أجلس إليه قال: تلك ضالة لا توجد. (حليه الأولياء ٥٢/٧)

قال محمد بن سوقه: ما استفاد رجل أخاً في الله إلا رفعه الله بذلك درجة. (حليه الأولياء ٧/٥)

قال سفيان لمحمد بن المنكدر: ما بقي من لذتك؟ قال: لقاء الإخوان، وإدخال السرور عليهم. (حليه الأولياء ١٤٦/٣)

وقال محمد بن علي: لا تجالسوا أصحاب الخصومات فإنهم يخوضون في آيات الله. (سنن الدارمي ١/٨٣)

قال ابن تيمية موضحاً حكم مسأله زيارة الاماكن الفاضله: لم يشرع الله تعالى للمسلمين مكاناً يقصد للصلاة إلا المسجد، ولا مكاناً يقصد للعبادة إلا المشاعر، فمشاعر الحج، كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة، بخلاف المساجد، فإنها هي التي تقصد للصلاة، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر، وفيها الصلاة والنسك... وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة ولا الدعاء ولا الذكر، إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك، وإن كان مسكناً لنبي أو منزلاً أو محرماً. فإن الدين أصله متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها، بخلاف ما كان من خصائصه. فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا، ولا أمرنا به، ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه، فهذا ليس من العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قرينة مخالفة له صلى الله عليه وسلم.

(مجموعه الرسائل والمسائل ٥/٢٦٣ - ٢٦٤)

وقال ايضاً: كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وسائر السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، يذهبون من المدينة إلى مكة حجاجاً وعماراً ومسافرين، ولم ينقل عن أحد منهم أنه تحرى الصلاة في مصليات

النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن هذا لو كان عندهم مستحباً لكانوا إليه أسبق، فإنهم أعلم بستته، وأتبع لها من غيرهم. (اقتضاء الصراط المستقيم ٢ / ٧٤٨)

قال علي بن أبي طالب: (ديوان علي بن أبي طالب)

وإذا الصديق رأيتُه متملِّقاً فهو العدوُّ وحقُّه يُتَجَنَّبُ
لا خيرَ في امرئٍ متملِّقٍ حلو اللسانِ وقلبه يُتَلَهَّبُ
يلقاكَ يحلفُ أنه بك واثقٌ وإذا توارى عنك فهو العَقْرَبُ
يعطيك من طرفِ اللسانِ حلاوةً ويروغُ منك كما يروغُ الثعلبُ
واخترَ قرينك وأطفيه نفاخراً إنَّ القرينَ إلى المقارنِ يُنسَبُ

قال الشافعي:

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعةً فلا خيرَ في ودِّ يجيُّ تكلُّفاً
ولا خيرَ في خلٍّ يخونُ خليله ويلقاهُ من بعدِ المودَّةِ بالجفا
ويُنكِرُ عَيْشاً قَدْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ وَيُظْهِرُ سِرًّا كانِ بِالْأَمْسِ قَدْ خَفَا
سَلامٌ عَلَى الدُّنْيَا إذا لم يَكُنْ بِهَا صَدِيقٌ صَدُوقٌ صَادِقٌ الوَعْدِ مُنْصِفاً

الآثار العملية من حياة السلف:

عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سلمان وبين أبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال: ما شأنك متبذلة؟ قالت: إن أخاك أبا الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، قال: فلما جاء أبو الدرداء قرب إليه طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم، فقال له سلمان: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فنام، فلما كان عند الصبح، قال له سلمان: قم الآن، فقاما فصليا، فقال: إن لنفسك عليك حقا، ولربك عليك حقا، ولضيفك عليك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي

حق حقه فأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك، فقال له: صدق سلمان. (البخارى ١٩٦٨)

قال المعرور بن سويد: خرجنا مع عمر بن الخطاب، فعرض لنا في بعض الطريق مسجد، فابتدره الناس يصلون فيه، فقال عمر: ما شأنهم؟ فقالوا: هذا مسجد صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أيها الناس، إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم مثل هذا، حتى أحدثوها بييعة، فمن عرضت له فيه

صلاة فليصل، ومن لم تعرض له فيه صلاة فليمض. (مصنف عبدالرزاق ١١٨/٢ - ٢٧٣٤)
تردّد ثقيل على ظريف وأطال تردّاده عليه حتى سئم منه، فقال له الثقيل: «من تراه أشعر الشعراء؟»
فأجاب الظريف: هو ابن الوردية بقوله:

غِبْ وَرُزْ غِبًّا تَزِدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ

فقال الثقيل: أخطأت، فإنّ النجاريّ أشعرُ منه بقوله:

إِذَا حَقَّقْتَ مِنْ خَلِّ وَدَادَا فُزُّهُ وَلَا تَخَفْ مِنْهُ مَلَالَا
وَكَنْ كَالشَّمْسِ تَطْلُعُ كُلَّ يَوْمٍ وَلَا تَكُ فِي زِيَارَتِهِ هَالَالَا

فأجاب الظريف: إنّ الحريريّ أشعر منه بقوله:

لَا تَزُرْ مَنْ نُحِبُّ فِي كُلِّ شَهْرٍ غَيْرَ يَوْمٍ وَلَا تَزِدْهُ عَلَيْهِ

وإن لم تصدّقني فقد وهبتك الدار بما فيها وخرج وهو يقول:

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلْسَّاكِينِ سِوَى الرَّحِيلِ. (العقد الفريد لابن عبد ربّه ٣٩ / ١)

٤٦ - باب فضل السب في الله والعتب عليه

واعلام الرجل من يهيه أنه يهيه ، وماذا يقول له إذا أظلمه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ
السُّورَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ [الحشر: ٩]
٣٧٥- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بَيْنَ
حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا، سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللهُ، وَأَنْ
يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ» متفق عليه

٣٧٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي
ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مَعَلَّقٌ
بِالْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ،
فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهُ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ سَمَاءُهَا مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ

ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ « متفقٌ عليه .

٣٧٧- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللهُ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي » رواه مسلم .

٣٧٨- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَّبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » رواه مسلم .

٣٧٩- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا » وذكر الحديث إلى قوله : « إِنَّ اللهُ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتَهُ فِيهِ » رواه مسلم . وقد سبق بالبَابِ قبله .

٣٨٠- وعن البراءِ بْنِ عَازِبٍ رضي اللهُ عنهما عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْأَنْصَارِ : « لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا الْمُؤْمِنُ وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُتَافِقٌ مَنِ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ » متفقٌ عليه

٣٨١- وعن مُعَاذِ رضي اللهُ عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي لَهُمْ مَنَابِرٌ مِنْ نُورٍ يَغِيظُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٣٨٢- وعن أبي إدريس الخولانيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ ، فَإِذَا فَتَى بَرَّاقُ الثَّنَائِيَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ ، أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي اللهُ عنه ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ ، هَجَرْتُ ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي ، فَانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ اللهُ ، فَقَالَ : اللهُ ؟ فَقُلْتُ : اللهُ ، فَقَالَ : اللهُ ؟ فَقُلْتُ : اللهُ ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ رِدَائِي ، فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَبَشِرْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « قَالَ اللهُ تَعَالَى وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ » حديثٌ صحيحٌ رواه

مالك في الموطأ بإسناده الصحيح .

قوله « هَجَرْتُ » أي بَكَرْتُ ، وهو بتشديد الجيم قوله : « اللهُ فَقُلْتُ : اللهُ » الأول بهمزة ممدودة للاستفهام والثاني بلا مد .

٣٨٣- عن أبي كريمة المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

٣٨٤- وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بيده وقال : « يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ ، إِنِّي لِأُحِبُّكَ ثُمَّ أَوْصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي ذُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ : اللَّهُمَّ اعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ » حديث صحيح ، رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح .

٣٨٥- وعن أنس ، رضي الله عنه ، أن رجلاً كان عند النبي صلى الله عليه وسلم فمَرَّ بِهِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ هَذَا فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَعْلَمْتَهُ ؟ » قَالَ : لَا قَالَ : « أَعْلِمْتَهُ » فَلَحِقَهُ ، فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللَّهِ فَقَالَ : أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه المصدق لما جاء به موسى ألا إن الله قد قال لكم يا معشر أهل التوراة، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم إلى آخر السورة. عن ابن عباس ذلك مثلهم في التوراة يعني : نعتهم مكتوب في التوراة والإنجيل قبل أن يخلق الله السماوات والأرض عن ابن عباس في قوله : سيأهم في وجوههم من أثر السجود قال : صلاتهم تبدو في وجوههم يوم القيامة ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه قال : سنبله حين يتسلخ نباته عن حياته فأزره يقول : نباته مع التفافه حين يسنبل، فهذا مثل ضربه الله لأهل الكتاب إذا خرج قوم ينبتون كما ينبت الزرع يتسلخ فيهم رجال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم يغلظون، فهم الذين كانوا معهم وهو مثل ضربه الله لمحمد صلى الله عليه وسلم يقول : يبعث الله النبي

وحده ثم يجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ثم يكون القليل كثيرا ويستغلظون ويغيظ الله بهم الكفار، يعجب الزراع من كثرته وحسن نباته. عن ابن عباس محمد رسول الله والذين معه أبو بكر أشداء على الكفار عمر رحماء بينهم عثمان تراهم ركعا سجدا علي يتغون فضلا من الله ورضوانا طلحة والزبير سياهم في وجوههم من أثر السجود عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة بن الجراح ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فأزره بأبي بكر فاستغلظ بعمر فاستوى على سوقه : بعثمان يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار بعلي وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جميع أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. عن قتادة في قوله : رحماء بينهم. قال: جعل الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض سياهم في وجوههم من أثر السجود قال : علامتهم الصلاة ذلك مثلهم في التوراة قال: هذا المثل في التوراة ومثلهم في الإنجيل قال : هذا مثل آخر كزرع أخرج شطأه قال: هذا نعت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل قيل له : إنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يخرج منهم قوم يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر. (تفسير الدر المنثور ١٣/٥٢٣)

عن قتادة في قوله : والذين تبوءوا الدار والإيمان إلى آخر الآية قال : هم هذا الحي من الأنصار، أسلموا في ديارهم، فابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بستين، وأحسن الله عليهم الثناء في ذلك، وهاتان الطائفتان الأولتان من هذه الأمة أخذتا بفضلها، ومضتا على مهلهما، وأثبت الله حظهما في هذا الفيء، ثم ذكر الطائفة الثالثة، فقال : والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا إلى آخر الآية، قال : إنما أمرنا أن نستغفروا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمروا بسبهم. قال عمر: أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم حرمتهم وأوصيه بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم. عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : للمدينة عشرة أسماء؛ هي المدينة، وهي طيبة، وطابة، ومسكينة، وجابرة، ومجبورة، ويندد، ويثرب، والدار. (الدر المنثور ١٤/٣٦٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رزقكم الله عز وجل مودة امرئ مسلم فتشبهوا بها.

(الإخوان لابن أبي الدنيا ١٠٧)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يذكر الرجل من إخوانه في بعض الليل، فيقول: يا طولها من ليلة

فإذا صلى المكتوبة غدا إليه فإذا التقيا عانقه. (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا ١٣٤)
ولما أتى عمر رضي الله عنه: الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفاض إليه ألماً، فالتزمه
عمر وقبّل يده وجعل يبكيان. (كتاب الاخوان لابن ابي الدنيا ١٨٢)
وقال ايضاً: عليك ياخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء.
(كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا الاخوان ٨٤)

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُقبّل رأس أبي بكر الصديق. (الإخوان ١٩٩)
ورئي على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثوب كأنه يُكثر لبسه، فقيل له فيه فقال: هذا كسانيه
خليلي وصفيي عمر بن الخطاب، إنّ عمر ناصح الله فنصح الله . (مصنف ابن ابي شيبة ٦/٣٥٦)
قال عمر بن الخطاب: ثلاث يصفين لك ود أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً وتوسع له في المجلس
وتدعوه بأحب أسمائه إليه. (إحياء علوم الدين ٢/١٨١)

قال علي رضي الله عنه: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة ألا تسمع إلى قول أهل النار فما لنا
من شافعين. ولا صديق حميم. (مرقاة المفاتيح حديث ٥٠٨٧ ص ٣١٨١)

يقول أبو الدرداء: ما أنصف إخواننا الأغنياء، يحبوننا في الله ويفارقوننا في الدنيا، إذا لقيته قال: أحبك يا
أبا الدرداء، فإذا احتجت إليه في شيء امتنع مني. (الزهد لابن المبارك ٢٣٢)

قال ابي الدرداء: إني لاستغفر لسبعين من اخواني في سجودي اسميهم باسماء ابايهم. (السير ٥٦/٩)
قال ابن عباس: أحب إخواني إلى الذي إذا أتيته قبلني وإذا غبت عنه عذرني. (الإخوان ١١٣)

قال مجاهد: مر على عبد الله بن عباس رجل فقال: إنّ هذا يحبني. فقيل: أنى علمت ذلك؟ قال: إني
أحبه. (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا ١٢٧)

وكان ابن مسعود إذا خرج إلى أصحابه قال: أنتم جلاء حزني. (الإخوان لابن ابي الدنيا ١٣٥)
عن علي بن الحسين رحمه الله قال: فقد الأعبة غربة. (حلية الأولياء ٣/١٣٤)

وقال الحسن: يا ابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بأعمالهم
فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم. (إحياء علوم الدين ٢/١٤٠)

قال الحسن البصري: إخواننا أحب إلينا من أهلينا، إخواننا يذكرونا بالآخرة وأهلونا يذكرونا بالدنيا

ومن صفاتهم الإيثار. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٧٦)

قال أبو سليمان الدارني لو أن الدنيا كلها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له. وقال أيضا: إني

لألقم اللقمة أخوا من إخواني فأجد طعمها في حلقي. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٧٤)

وقال محمد بن واسع: لا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيد بطونهم؛ لأنهم إذا

كانوا كذلك ثبّط بعضهم بعضاً عن الآخرة. (اخرجه ابن ابى الدنيا ١٠٠)

وقال رجل لمحمد بن واسع: إني لأحبك في الله فقال: أحبك الذي أحببتني له. ثم حول وجهه

وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك وأنت لي مبغض. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٤٠ - ١٤١)

قال علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة قال: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال

حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك اصحب من إذا

مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها وإن رأى سيئة سدها اصحب من إذا سألته أعطاك

وإن سكت ابتدأك وإن نزلت بك نازلة واساك اصحب من إذا قلت صدق قولك وإن حاولت ما أمراً

أمرك وإن تنازعتما أثرك. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٧١)

قال أبو إدريس الخولاني لمعاذ: إني أحبك في الله قال: أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول: ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة

البدر يفرح الناس و هم لا يفرعون ويخاف الناس و هم لا يخافون و هم أولياء الله الذين لا خوف

عليهم و لا هم يحزنون فقل من هم يا رسول الله؟ قال: هم المتحابون في الله تعالى. (الإحياء ٢ / ١٥٨)

قال أبي الحسن بن قريش: حضرت إبراهيم الحربي وجاءه يوسف القاضي ومعه ابن عمر فقال له: يا أبا

إسحاق لو جئناك على مقدار واجب حقك لكانت أوقاتنا كلنا عندك فقال: ليس كل غيبة جفوة ولا كل

لقاء مودة وإنما هو تقارب القلوب. (سير أعلام النبلاء ٣٥٨ / ١٣)

قال المأمون: الإخوان ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثلاً لدواء يحتاج إليه

في وقت دون وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج إليه قط ولكن العبد قد يبتلي به وهو الذي لا أنس

فيه ولا نفع. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٧٢)

وقال ابن عيينة: سمعت مساور الوراق يحلف بالله عز وجل ما كنت أقول لرجل إني أحبك في الله عز

وجل فأمنه شيئاً من الدنيا. (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا ٢٠٢)

قال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته لم تضرك عداوته. (إحياء علوم الدين ١٧٥ / ٢)

وقال رجل لشهر بن حوشب: إني لأحُبُّك قال: ولم لا تحبني وأنا أخوك في كتاب الله، ووزيرك على دين الله، ومؤنتي على غيرك. (عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري ١٥ / ٣)

وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول لأصحابه: يُدخِل أحدكم يده في كُمِّ صاحبه ويأخذ ما يريد؟ قلنا: لا. قال: فلستم بإخوان كما تزعمون. (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا ٢٠٣)

وكان بلال بن سعد الأشعري يقول: أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع في كفك ديناراً. (كتاب الإخوان لابن ابي الدنيا ١٣٦).

قال أبي قلابة: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهداً، فإن لم تجد له عذراً فقل في نفسك: لعل لأخي عذراً لا أعلمه. (صفة الصفوة ٢ / ١٤٠)

قال ابن السياك عند موته: اللهم إنك تعلم أنني إذا كنت أعصيك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قرينة لي إليك. (إحياء علوم الدين ٢ / ١٤٠)

وقال الثعالبي: المحبة ثمن لكل شيء وإن غلا، وسلم إلى كل شيء وإن علا. (سحر البلاغ ١٣٠)

وقال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبة لا يزيدا البر ولا ينقصها الجفاء. (محاضرات الادباء ٤١١ / ٢)

وقال الجنيد: إذا صحت المحبة سقطت شروط الأدب. (لباب الاداب لاسامه بن منقذ ٢٣١)

وسئل الإمام أحمد عن الحب في الله فقال: ألا تحبه لطمع في دنياه. (طبقات الحنابلة ١ / ٥٧)

قال أبي حازم المدني: إذا أحببت أحاً في الله فأقل مخالطته في دنياه. (حلية الأولياء ٣ / ٢٤٤)

وكان المحدث القارئ طلحة بن مصرف إذا لقي مالك بن مغول يقول له: لَلْقِيَاك أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعَسَلِ. (حلية الأولياء ٥ / ١٧)

قال عثمان بن حكيم الأودي: اصحب من هو فوقك في الدين ودونك في الدنيا. (الإخوان ٩٦)

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: (المستطرف للابشيهي ٢٣١)

عليك بإخوان الصفاء فإنهم عماد إذا استنجدتهم وظهور

وإن قليلاً ألفت خل وصاحب وإن عدواً واحداً الكثير

الآثار العملية في حياة المسلم :

ودخل رجل من أصحاب الحسن البصري عليه، فوجده نائماً على سريره ووجد عند رأسه سلة فيها فاكهة ففتحها فجعل يأكل منها، فانتبه، فرأى الرجل يأكل، فقال: رحمك الله هذا والله فعل الأخيار. (كتاب الإخوان ٢٤٥).

وقال أبو خلدة: دخلنا على ابن سيرين أنا وعبد الله بن عون، فرحب بنا، وقال: ما أدري كيف أتخفكم؟ كل رجل منكم في بيته خبز ولحم، ولكن سأطعمكم شيئاً لا أراه في بيوتكم. فجاء بشهدة، وكان يقطع بالسكين ويطعمنا. (كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ٢٣٩)

وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة إلا وفي أحدهما وصف من الآخر وإن أجناس الناس كأجناس الطير ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة قال فرأى يوماً غراباً مع حمامة فعجب من ذلك فقال: اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فإذا هما أعرجان فقال: من ههنا اتفقا. (إحياء علوم الدين ١٦٢ / ٢)

قال ابن الفضيل: أتيت أبا إسحاق السبيعي بعدما كف بصره، قال: قلت: تعرفني؟ قال: فضيل؟ قلت: نعم قال: إني والله أحبك، لولا الحياء منك لقبلتك فضمني إلى صدره ثم قال: حدثني الأحوص عن عبد الله: (لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال ٦٣) قال: نزلت في المتحايين. (مسند ابن الجعد ٧٤)

قال أحمد بن سنان القطان: سمعت مهدي بن حسان يقول كان عبد الرحمن بن مهدي يكون عند سفيان عشرة أيام وخمسة عشر يوماً بالليل والنهار يقول: فإذا جاءنا ساعة جاءنا رسول سفيان في أثره يطلبه فيدعنا ويذهب إليه. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٠١ / ٩)

قال معمر: احتبس طاوس بن كيسان على رفيق له حتى فاته الحج وهو في انتظاره. (الحلية ٤ / ١٠)

٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد**والصمت على الشقاق بها والسعي في تصليتها**

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ [آل عمران : ٣١] ، وَقَالَ تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ

بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ [المائدة : ٥٤] .

٣٨٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا ، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِذَنَّهُ » رواه البخاري .

معنى « آذنته » : أَعْلَمْتُهُ بِأَنِّي مُحَارِبٌ لَهُ . وقوله : « اسْتَعَاذَنِي » روي بالباء وروي بالنون .

٣٨٧- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى الْعَبْدَ ، نَادَى جِبْرِيلُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبُوهُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ » متفقٌ عليه .

وفي رواية لمسلم : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ ، فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا ، فَأَحْبِبُوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ، فَيَقُولُ : إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا ، فَأَبْغِضْهُ ، فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا ، فَأَبْغِضُوهُ ، فَيَبْغِضُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ » .

٣٨٨- وعن عائشة رضي الله عنها ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم ، فيختمهم بـ { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ » فَسَأَلُوهُ ، فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن الحسن قال : إن أقواما كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعمون أنهم يحبون الله فأراد الله أن يجعل لقولهم تصديقا من عمل، فقال : إن كنتم تحبون الله الآية . فكان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم تصديقا لقولهم. (تفسير الدر المنثور ٣/ ٥٠٩)

عن الحسن في قوله : فاتبعوني يحببكم الله . قال : فكان علامة حبه إياهم اتباع سنة رسوله. (تفسير الدر المنثور ٣/ ٥١١)

عن الحسن في قوله : يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال : هذا والله أبو بكر وأصحابه. (تفسير الطبري ١٠/ ٤١١)

عن قتادة: من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه . إلى قوله : والله واسع عليم . أنزل الله هذه الآية وقد علم أن سيرتد مرتدون من الناس ، فلما قبض الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد : أهل المدينة ، وأهل مكة ، وأهل البحرين من عبد القيس قالوا : نصلي ولا نزكي والله لا تغصب أموالنا! فكلم أبو بكر في ذلك فقبل له : إنهم لو قد فقهاوا لهذا أعطوها أو : أدوها فقال : لا والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه ، ولو منعوا عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه فبعث الله عصابة مع أبي بكر ، فقاتل على ما قاتل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم حتى سبى وقتل وحرق بالنيران أناسا ارتدوا عن الإسلام ومنعوا الزكاة فقاتلهم حتى أقروا بالماعون وهي الزكاة صغرة أقمياء . فأتته وفود العرب ، فخيرهم بين خطة مخزية أو حرب مجلية . فاخترت الخطة المخزية وكانت أهون عليهم أن يقرؤا : أن قتلاهم في النار وأن قتل المؤمنين في الجنة وأن ما أصابوا من المسلمين من مال ردوه عليهم ، وما أصاب المسلمون لهم من مال فهو لهم حلال. (تفسير الطبري ١٠/ ٤١١)

عن جابر بن عبد الله قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله : فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال : هؤلاء قوم من أهل اليمن، ثم من كندة، ثم من السكون، ثم من تجيب. (الدر المنثور ٥/ ٣٥٥)

عن علي في قوله : أذلة على المؤمنين قال : أهل رقة على أهل دينهم، أعزة على الكافرين قال : أهل غلظة على من خالفهم في دينهم. عن مجاهد في قوله : أعزة على الكافرين قال : أشداء عليهم، وفي قوله : يجاهدون في سبيل الله قال : يسارعون في الحرب. (تفسير الدر المنثور ٥/ ٣٥٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال محمد بن أحمد الشمشاطي: سمعت ذا النون المصري يقول: إن الله عباداً ملاً قلوبهم من صفاء: محض محبته، وهيج أرواحهم، بالشوق إلى رؤيته، فسبحان من شوق إليه أنفسهم، وأدنى منه همهم، وصفت له صدورهم؛ سبحان موفقهم، ومؤنس وحشتهم، وطيب أسقامهم؛ إلهي: لك تواضعت أبدانهم، منك إلى الزيادة انبسط أيديهم، ما طيبت به عيشهم، وأدمت به نعيمهم، فأذقتهم من حلاوة الفهم عنك، ففتحت لهم أبواب سماواتك، وأتحت لهم الجواز في ملكوتك؛ بك أنست محبة المحبين، وعليك معول شوق المشتاقين، وإليك حنت قلوب العارفين، وبك أنست قلوب الصادقين، وعليك عكفت رهبة الخائفين، وبك استجارت أفئدة المقصرين؛ قد بسطت الراحة من فتورهم، وقل طمع الغفلة فيهم، لا يسكنون إلى محادثة الفكرة فيما لا يعينهم، ولا يفترون عن التعب والسهر؛ يناجونه بألستهم، ويتضرعون إليه بمسكتهم، يسألونه العفو عن زلاتهم، والصفح عما وقع الخطأ به في أعمالهم؛ فهم الذين ذابت قلوبهم بفكر الأحزان، وخدموه خدمة الأبرار، الذين تدفقت قلوبهم ببهه، وعاملوه بخالص من سره؛ حتى خفيت أعمالهم عن الحفظة، فوقع بهم ما أملوا من عفو، ووصلوا بها إلى ما أرادوا من محبته؛ فهم والله الزهاد، والسادة من العباد، الذين حملوا أثقال الزمان، فلم يألموا بحملها؛ وفقوا في مواطن الامتحان، فلم تزل أقدامهم عن مواضعها، حتى مال بهم الدهر، وهانت عليهم المصائب، وذهبوا بالصدق والإخلاص عن الدنيا؛ إلهي، فيك نالوا ما أملوا، كنت لهم سيدي مؤيداً، ولعقولهم مؤدياً؛ حتى أوصلتهم أنت إلى مقام الصادقين في عملك، وإلى منازل المخلصين في معرفتك؛ فهم إلى ما عند سيدهم متطلعون، وإلى ما عنده من وعيده ناظرون؛ ذهبت الآلام عن أبدانهم، لما أذاقهم من حلاوة مناجاته، ولما أفادهم من ظرائف الفوائد من عنده؛ فيا حسنهم والليل قد أقبل بحنادس ظلمته، وهدأت عنهم أصوات خليقته، وقدموا إلى سيدهم الذين له يأملون؛ فلو رأيت أيها البطل أحدهم، وقد قام إلى صلاته وقراءته؛ فلما وقف في محرابه، واستفتح كلام سيده: خطر على قلبه أن ذلك المقام، هو المقام الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين؛ فانخلع قلبه، وذهل عقله؛ فقلوبهم في ملكوت السماوات معلقة، وأبدانهم بين أيدي الخلائق عارية، وهمومهم بالفكر دائمة؛ فما ظنك بأقوام أخيار أبرار، وقد خرجوا من رق الغفلة، واستراحوا من وثائق الفترة، وأنسوا بيقين المعرفة، وسكنوا إلى روح الجهاد والمراقبة بلغنا الله وإياكم هذه الدرجة. (حليه الأولياء ٩/ ٣٣٩-٣٤٠)

سئل ذوالنون عن المحبة فقال: أن تحب ما أحب الله، وتبغض ما أبغض الله، وتفعل الخير كله، وترفض كل ما يشغل عن الله وأن لا تخاف في الله لومة لائم مع العطف للمؤمنين والغلظة للكافرين واتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدين. (حليه الأولياء ٩ / ٣٩٤)

قال عبد الله بن ميمون: سمعت ذا النون يقول: قل لمن أظهر حب الله: إحذر أن تذلل لغير الله؛ ومن علامة المحب لله: أن لا يكون له حاجة إلى غير الله. (حليه الأولياء ٩ / ٣٧٣)

قال الفضيل بن عياض: إذا أحب الله عبداً أكثر غمه (شغله باخرته) وإذا أبغض الله عبداً: أوسع عليه دنياه (شغله بدنياه). (حليه الأولياء ٨ / ٨٨)

سأل رجل الفضيل بن عياض فقال: يا أبا علي متى يبلغ الرجل غايته من حب الله تعالى؛ فقال له الفضيل: إذا كان عطاؤه ومنعه إياك عندك سواء، فقد بلغت الغاية من حبه. (حليه الأولياء ٨ / ١١٣)

عن الحسين بن زياد قال: أخذ فضيل بن عياض بيدي، فقال: يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول الرب: من ادعى محبتي إذا جنه الليل نام عني؟ أليس كل حبيب يحب خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخاطبوني على المشاهدة، وكلموني على حضوري غداً أقر أعين أحبائي في جناتي. (حليه الأولياء ٨ / ٩٩-١٠٠)

قال أبي يزيد البسطامي: ليس العجب من حبي لك وأنا عبد فقير إنما العجب من حبك لي وأنت ملك قدير. (حليه الأولياء ١٠ / ٣٤)

عن أبي يزيد البسطامي قال: غلظت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه؛ فلما انتهيت: رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته سبقت معرفتي، ومحبتة أقدم من محبتي، وطلبه لي أولاً، حتى طلبته. (حليه الأولياء ١٠ / ٣٤)

عن أبي عبد الله الساجي قال: الذي جعل الله المعرفة عنده: يتنعم مع الله في كل أحواله؛ قال وسمعت الساجي يقول: لو لم يكن لله ثواب يُرجى، ولا عقاب يُخشى: لكان أهلاً أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، بلا رغبة في ثواب، ولا رهبة من عقاب، ولكن لحبة، وهي أعلى الدرجات؛ أما تسمع موسى عليه السلام يقول: (وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) (طه ٨٤). فانتظم الثواب والعقاب، لأن من عبد الله على حبه: أشرف عند الله ممن عمل على خوفه، ومثل ذلك في الدنيا؛ أين من أطاعك على خوف

منك. (حليه الأولياء ٩ / ٣١٤)

قال الحسن البصري: ادّعى ناس محبة الله عز وجل فابتلاهم بهذه الآية: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي) (ال عمران ٣١). (تفسير بن كثير ٢ / ٣٣)

قال السري السقطي: للمريد عشر مقامات: التحبب إلى الله بالنافلة، والتزين عنده بنصيحة الأمة والأنس بكلام الله، والصبر على أحكامه والأثرة لأمره والحياء من نظره وبذل المجهود في محبوه، والرضاء بالقلّة، والقناعة بالخمول. (حليه الأولياء ١٠ / ١١٧)

عن إبراهيم بن أدهم، أنه قال ذات يوم: لو أن العباد علموا حب الله عز وجل: لقل مطعمهم، ومشربهم، وملبسهم، وحرصهم وذلك؛ أن ملائكة الله: أحبوا الله، فاشتغلوا بعبادته عن غيره، حتى أن منهم: قائماً، وراكعاً، وساجداً منذ خلق الله تعالى الدنيا، ما التفت إلى من عن يمينه وشماله، اشتغالا بالله عز وجل، وبخدمته. (حليه الأولياء ٨ / ٣٦)

كان القاسم بن عثمان الجوعي يقول: أصل المحبة: المعرفة، وأصل الطاعة: التصديق، وأصل الخوف: المراقبة، وأصل المعاصي: طول الأمل، وحب الرئاسة: أصل كل موقعة. (حليه الأولياء ٩ / ٣٢٣)

عن أبي جعفر المصري قال: قال الله تعالى: معشر المتوجهين إلي بحبي: ما ضركم ما فاتكم من الدنيا، إذا كنت لكم حظاً؟ وما ضركم من عاداكم: إذا كنت لكم سلماً. (حليه الأولياء ١٠ / ١٩)

عن عبد الله بن أبي داود قال سمعت بكر بن عبد الله يقول إذا كنت مع صاحب لك يمشي فتخلف يبول فلم تقم عليه حتى يقضي بوله فلست له بصاحب وإذا ما انقطع شسعه فقام يصلحه فلم تقم عليه فلست له بصاحب. (مكارم الأخلاق لابن ابى الدنيا ص ٩٤ رقم ٢٩٢)

قال عباد بن الوليد القرشي: كان عمرو بن عبيد يصل إخوانه بالدنانير والدراهم حتى ربا نزع ثوبه فيدفعه إلى بعضهم ويقول ما أعدل بركم شيئاً. (مكارم الأخلاق ص ٩٨ رقم ٣٠٩)

عن مالك بن دينار قال: إن القلب المحب لله: يجب النصب لله عز وجل. (حليه الأولياء ٢ / ٢٣٢)

قال يحيى بن معاذ: ليس بصادق من ادعى حبه، ولم يحفظ حده. (حليه الأولياء ١٠ / ٦٧)

الآثار العملية في حياة المسلم:

قال محمد بن زياد: اجتمع رجال من الأخيار أو قال: العلماء والعباد، وذكروا الموت فقال بعضهم: لولا أنه أتاني آت أو ملك الموت فقال: أيكم سبق إلى هذا العمود، فوضع عليه يده مات لرجوت أن لا

يسبقني إليه أحد منكم: شوقاً إلى لقاء الله. (حليه الاولياء ٦/١١٢)

الصلت بن بسطام التيمي عن أبيه قال: رأيت طلحة بن مصرف يخرج من زقاق ضيق في التيم فقلت من أين يجيء طلحة قالوا يأتي أم عمارة بن عمير يبرها بالنفقة والكسوة والصلة قال وذاك بعد موت عمارة ببضع عشرة سنة قال وكانت أم عمارة أعجمية. (مكارم الاخلاق لابن ابى الدنيا ٩٨ رقم ٣١٠)

٤٨- باب التهذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا [الأحزاب: ٥٨] وَقَالَ تَعَالَى: فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ [الضحى: ٩-١٠].
وأما الأحاديث فكثيرة منها حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الباب قبل هذا (انظر الحديث رقم ٣٨٥) (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ومنها حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السابق (انظر الحديث رقم ٢٦٠) في باب ملاطفة اليتيم، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (يا أبا بكر لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) (انظر الحديث رقم ٢٦١)

٣٨٩- وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبُكُمْ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، يُدْرِكُهُ، ثُمَّ يَكْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» رواه مسلم.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن قتادة في الآية قال: إياكم وأذى المؤمن فإن الله يحوطه ويغضب له، وقد زعموا أن عمر بن الخطاب قرأها ذات يوم فأفرعه ذلك، حتى ذهب إلى أبي بن كعب، فدخل عليه فقال: يا أبا المنذر، إني قرأت آية من كتاب الله تعالى فوقعت مني كل موقع: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات والله إني لأعاقبهم وأضربهم. فقال له: إنك لست منهم، إنما أنت مؤدب إنما أنت معلم. عن ابن عمر: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات إلى قوله: وإثما مبينا قال: فكيف بمن أحسن إليهم! يضاعف لهم الأجر.

(تفسير الدر المنثور ١٢/١٣٨)

وقال الضحاك، والكلبي: نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن

بالليل لقضاء حوائجهم ، فيغمزون المرأة ، فإن سكتت اتبعوها ، وإن زجرتهم انتهوا عنها ، ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ، ولكن كانوا لا يعرفون الحرّة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا ، يخرجن في درع وخمار ، الحرّة والأمة ، فشكون ذلك إلى أزواجهن ، فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية : والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية . ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال جل ذكره : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ . جمع الجلابيب ، وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار . (تفسير البغوى ٦ / ٣٧٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال رجل لعمر بن عبد العزيز: اجعل كبير المسلمين عندك أبا وصغيرهم ابنا وأوسطهم أخا فأبى أولئك تحب أن تسيء إليه؟ . (جامع العلوم والحكم ٢٩٤)

قال الربيع بن خثيم: الناس رجلان: مؤمن فلا تؤذوه وجاهل فلا تجاهله. (آداب العشرة ١٥)
قال الشافعي: الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله.
(سير أعلام النبلاء ١٠ / ٩٧)

قال يحيى بن معاذ الرّازي: ليكن حظّ المؤمن منك ثلاثة: إن لم تنفعه فلا تضرّه، وإن لم تفرحه فلا تغمّه، وإن لم تمدحه فلا تدمّه. (جامع العلوم والحكم ٢٩٤)

لما قدم حاتم الأصم إلى أحمد بن حنبل قال له: أحمد بعد بشاشته به: أخبرني كيف التخلّص إلى السلامة؟ فقال له حاتم: بثلاثة أشياء. فقال أحمد: ما هي؟ قال: تعطيتهم مالك، ولا تأخذ ما لهم، وتقضي حقوقهم ولا تطالبهم بقضاء حقوقك، وتصبر على أذاهم ولا تؤذهم. فقال أحمد: إنها لصعبة قال حاتم: وليتك تسلم. (سوء الخلق محمد بن إبراهيم الحمد ١ / ١٣)

قال ابن القيم: من العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنا والسرقه وشرب الخمر ومن النظر المحرم وغير ذلك ، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه ، حتى إن الرجل يشار إليه بالدين والزهد والعبادة وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالأ يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول. (الجواب الكافي ١ / ١١١)

قال ابن رجب رحمه الله: تضمّنت النصوص أن المسلم لا يحلّ إيصال الأذى إليه بوجه من الوجوه من

قول أو فعل بغير حق. (جامع العلوم والحكم ٢٩٤)

قال طلحة بن عبيد الله: (الحلم لابن أبي الدنيا ص ٧٣)

فلا تعجل على أحد بظلم فإن الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحش وإن ملئت غيظاً على أحد فإن الفحش لوم

الآثار العملية من حياة السلف :

قال أنس بن مالك: ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إبراهيم مسترضعاً له في عوالي المدينة " النبي صلى الله عليه وسلم وكل بإبراهيم من يرضعه في منطقة العوالي في المدينة فكان من رحمته صلى الله عليه وسلم بولده قال أنس: كان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليُدخن وكان ظئره قيناً" (الظئر المرصعة التي كانت ترضعه أمة) فيأخذه فيقبله ثم يرجع، فلما توفي إبراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن إبراهيم ابني وإنه مات في الثدي يعني: أثناء الرضاع وإنه له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة. (رواه مسلم ٢٣١٦)

قال عبد الرحمن بن عوف لعمر بن الخطاب حينما أتاه يكلمه في أن يلين لهم لأنه أخاف الناس حتى خاف الأبيكار في خدورهن، فقال: (إني لا أجد لهم إلا ذلك، والله لو أنهم يعلمون ما لهم عندي، من الرأفة، والرَّحمة، والشفقة، لأخذوا ثوبي عن عاتقي. (المجالسه وجواهر العلم ٤٣/٤)

أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه من رحمته أنه كان له جفنة (القصبه) من ثريد، غدوة، وجفنة عشية، للأرامل واليتامى والمساكين. (تاريخ دمشق ٦٦/٦٢)

٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر

وسرأئروهم إلى الله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ [التوبة : ٥] .

٣٩٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَمَرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى »

متفق عليه

٣٩١- وعن أبي عبد الله طارق بن أشيم ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، حَرَّمَ مَالَهُ وَدَمَهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى » رواه مسلم .

٣٩٢- وعن أبي معبد المقداد بن الأسود ، رضي الله عنه ، قال : قلت لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ ، فَاقْتُلْنَا ، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيْهِ بِالسَّيْفِ ، فَقَطَعَهَا ثُمَّ لاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ ، فَقَالَ : أَسَلَمْتُ اللهُ ، أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا ؟ فَقَالَ : « لَا تَقْتُلُهُ » ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ قَطَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَمَا قَطَعَهَا ؟ فَقَالَ : « لَا تَقْتُلُهُ ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ . وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ » متفقٌ عليه .

ومعنى « إِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ » أي : مَعْصُومُ الدَّمِ مَحْكُومٌ بِإِسْلَامِهِ ، ومعنى « إِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ » أي : مُبَاحُ الدَّمِ بِالْقِصَاصِ لِوَرَثَتِهِ ، لَا أَنَّهُ بِمَنْزِلَتِهِ فِي الْكُفْرِ ، وَاللهُ أَعْلَمُ .

٣٩٣- وعن أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما ، قال : بعثنا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ ، وَطَعَنَتْهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ ، بَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِي : « يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا ، فَقَالَ : « أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ » ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسَلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . متفقٌ عليه .

وفي رواية : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ ؟ » ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السَّلَاحِ ، قَالَ : « أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟ » ، فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى تَمَنَيْتُ أَنِّي أَسَلَمْتُ يَوْمَئِذٍ . « الْحَرَقَةُ » بضم الحاء المهملة وفتح الراء : بطن من جهينة القبيلة المعروفة وقوله متعوذاً: أي معتصماً بها من القتل لا معتقداً لها .

٣٩٤- وعن جندب بن عبد الله ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ بَعْثًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، وَأَتَاهُمُ التَّقْوَا ، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ

مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فُقْتَلَهُ ، وَأَنَّ رَجُلًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فُقْتَلَهُ ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَسَأَلَهُ ، وَأَخْبَرَهُ ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ ، فَقَالَ : « لِمَ قُتِلْتُمْ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا وَسَمَّى لَهُ نَفْرًا وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَقْتَلْتُمْ ؟ » قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : « فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتَغْفِرْ لِي . قَالَ : « وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَيَّ أَنْ يَقُولَ : « كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه مسلم

٣٩٥- وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : سمعتُ عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه يقول : « إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالْوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّ الْوَحْيَ قَدْ انْقَطَعَ ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمْ الْآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعْمَالِكُمْ ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا ، أَمَّنَّا ، وَقَرَّبَنَا وَكَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ ، اللَّهُ يُجَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا ، لَمْ نَأْمَنَّهُ ، وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال عبد الله بن مسعود : أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ومن لم يترك فلا صلاة له. وقال عبد الرحمن بن زيد : أبى الله أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة وقال : يرحم الله أبا بكر ما كان أفقهه. (بن كثير ٤ / ١١١) فإن تابوا من الشرك وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم يقول : دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة إن الله غفور لمن تاب رحيم به. (تفسير البغوي ٤ / ١٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال يحيى بن أبي كثير: قال سليمان بن داود عليه السلام لا تحكموا على أحد بشيء حتى تنظروا من يخادن. (الإبانة ٢ / ٤٨٠ رقم ٥١٤)

وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: إن ناساً كانوا

يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيراً، أمناه وقربناه، وليس لنا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءاً، لم نأمنه، ولم نصدقه وإن قال: إن سريرته حسنة. (البخاري رقم ٢٤٩٨)
قال ابن مسعود رضى الله عنه : اعتبروا الناس بأخداهم المسلم يتبع المسلم والفاجر يتبع الفاجر.
(الإبانة الكبرى ٤٧٧ / ٢ رقم ٥٠٢)

وقال ابن مسعود: إنما يباشي الرجل ويصاحب من يحبه ومن هو مثله. (الإبانة الكبرى ٤٧٦ / ٢ رقم ٤٩٩)
وقال ايضاً: اعتبروا الأرض بأسمائها و اعتبروا الصاحب بالصاحب. (الإبانة ٤٧٩ / ٢ رقم ٥٠٩)
قال الإمام الشافعي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لم يقض إلا بالظاهر فالحكام بعده أولى أن لا يقضوا إلا على الظاهر ولا يعلم السرائر إلا الله عز وجل. (الام للشافعي ٢٩٧ / ١)
قال أبو داود السجستاني: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: أرى رجلاً من أهل السنة مع رجل من أهل البدعة أترك كلامه قال: لا أو تعلمه أن الرجل الذي رأيت معه صاحب بدعة فإن ترك كلامه فكلمه وإلا فألحقه به. (طبقات الحنابلة ١ / ١٦٠)

قال معاذ بن معاذ رحمه الله: قلت ليحيى بن سعيد: يا أبا سعيد الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذلك في ابنه ولا صديقه ولا جلسه. (الإبانة الكبرى ٤٨٠ / ٢ رقم ٥١٤)
قال أبو حاتم: وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد فذكر لأحمد بن حنبل فقال: أنظروا على من نزل و إلى من يأوي. (الإبانة ٤٨٠ / ٢ رقم ٥١٤)

قال قتادة: إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله وشكله فصاحبوا الصالحين من عباد الله لعلكم أن تكونوا معهم أو مثلهم. (الإبانة ٤٧٧ / ٢ رقم ٥٠٠)

قال شعبة: وجدت مكتوباً عندي: إنا يصاحب الرجل من يجب. (الإبانة ٤٥٢ / ٢ رقم ٤١٩)
قال محمد بن عبيد الله الغلابي: يتكاثم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة. (الإبانة ٢٠٥ / ١ رقم ٤٤)
قال عتبة الغلام: من لم يكن معنا فهو علينا. (الإبانة لابن بطه ٤٣٧ / ٢ رقم ٤٨٧)
قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفيه إن أمور الناس محمولة على الظاهر فمن أظهر شعار الدين أجريت عليه أحكام أهله ما لم يظهر منه خلاف ذلك. (فتح الباري ١ / ٤٩٦)

قال ابن بطال: وقد أجمعوا أن أحكام الدين على الظاهر وإلى الله السرائر. (شرح ابن بطال ١٦ / ١٢٢)

قال القرطبي: وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر، وأن السرائر إلى الله عز وجل.

(الجامع لأحكام القرآن ١٢ / ٢٠٣)

قال ابن بطة: فانظروا رحمكم الله من تصحبون وإلى من تجلسون واعرفوا كل إنسان بخدنه وكل أحد

بصاحبه. (الإبانة رقم ٤٦)

قال بدر الدين العيني: فإذا دخل رجل غريب في بلد من بلاد المسلمين بدين أو مذهب في الباطن غير

أنه عليه زي المسلمين حمل على ظاهر أمره على أنه مسلم حتى يظهر خلاف ذلك. (عمدة القاري ٦ / ٣٣٧)

قال الشاعر: (صيد الافكار لمحمد المهدي ١ / ٥٠٥)

ما يستريحُ المسيءُ ظناً
من طولِ غمٍّ وما يري

الآثار العملية في حياة السلف:

عن كرز بن علقمة قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران ستون راكبا منهم

: أربعة وعشرون رجلا من أشرفهم والأربعة والعشرون منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم: العاقب

أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم وأمرهم واسمه عبد المسيح

والسيد: ثمالهم صاحب رحلهم ومجتمعهم واسمه الأيهم وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل

أسقفهم وحرهم وإمامهم وصاحب مدراسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم وكانت

ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه وبنوا له الكنائس وبسطوا عليه الكرامات

لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم فلما وجهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من نجران

جلس أبو حارثة على بغلة له موجهة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز

بن علقمة يسايره إذ عثرت بغلة أبي حارثة فقال له كرز: تعس الأبعد يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم

سلم فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست فقال: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنه النبي الأمي الذي كنا

نتنظره فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم: شرفونا

ومولونا وأكرمونا وقد أبوا إلا خلافه ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كرز بن

علقمة حتى أسلم بعد ذلك. (زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٥٤٩)

دخل الربيع بن سليمان تلميذ الشافعي على الشافعي وهو مريض فقال له: قوى الله ضعفك فقال

الشافعي: لو قوى الله ضعفي لقتلني فقال الربيع: والله ما أردت إلا الخير فقال الشافعي: أعلم أنك لو شتمتني لم ترد إلا الخير. (ادب الشافعي للرازي ٢٧-٢٧٤)

قال يحيى بن سعيد القطان لما قدم سفيان الثوري البصرة، جعل ينظر إلى أمر الربيع بن صبيح وقدرة عند الناس، سأل: أي شيء مذهبه؟، قالوا: ما مذهبه إلا السنة قال: من بطانته؟ قالوا: أهل القدر قال: هو قدري. (الإبانة ٢/٤٥٣ رقم ٤٢١)

دُعي أيوب السخيتاني إلى غسل ميت فخرج مع القوم فلما كشف عن وجه الميت عرفه فقال: أقبلوا قبل صاحبكم فليست أغسله رأيت يياشي صاحب بدعة. (الإبانة ٢/٤٧٨ رقم ٥٠٣)

* ٥ - باب التوفيق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ [البقرة: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ [البروج: ١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ وَمَا نُؤَخَّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ [هود: ١٠٢-١٠٦]، وَقَالَ تَعَالَى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ [آل عمران: ٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ [عبس: ٣٤-٣٧]، وَقَالَ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهِلُ كُلَّ مَرْصِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ [الحج: ١-٢]، وَقَالَ تَعَالَى: وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ [الرحمان: ٤٦]، وَقَالَ تَعَالَى: وَأَقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنْ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ [الطور: ٢٥-٢٨] والآيات في الباب كثيرة جداً معلومات والغرض الإشارة إلى بعضها وقد حصل:

وأما الأحاديث فكثيرة جداً فنذكر منها طرفاً، وبالله التوفيق:

٣٩٦- عن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : حدثنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو الصَّادِقُ المصدوقُ : « إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَاقِبَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكُتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ . فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ، فَيَدْخُلُهَا ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » متفقٌ عليه .

٣٩٧- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُحْرِقُونَهَا » رواه مسلم .

٣٩٨- وعن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، رضي الله عنهما ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوَضَعُ فِي أَحْصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا » متفقٌ عليه .

٣٩٩- وعن سُمْرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ، رضي الله عنه ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبِيهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوتِهِ » رواه مسلم . « الْحُجْرَةُ » : مَعْقِدُ الْإِزَارِ تَحْتَ الشَّرَّةِ . و « التَّرْقُوتُ » بفتح التاء وضم القاف : هِيَ الْعِظْمُ الَّذِي عِنْدَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ ، وَلِلْإِنْسَانِ تَرْقُوتَانِ فِي جَانِبَيْ النَّحْرِ .

٤٠٠- وعن ابنِ عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ » متفقٌ عليه . و « الرَّشْحُ » الْعَرَقُ

٤٠١- وعن أَنَسٍ ، رضي الله عنه ، قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَصَحِحْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجُوهَهُمْ وَهُمْ خَائِفُونَ . متفقٌ عليه .

وفي رواية : بَلَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ ، فَقَالَ : « عُرِضَتْ عَلَيَّ

الجنة والنار، فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً « فما أتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤسهم وهم خنين .

« الخنين » بالخاء المعجمة : هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف

٤٠٢ - وعن المقداد ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تُذني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل » قال سليم بن عامر الراوي عن المقداد : فوالله ما أدري ما يعني بالميل ، أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين « فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبته ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إجماماً » وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى فيه . رواه مسلم .

٤٠٣ - وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم » متفق عليه . ومعنى « يذهب في الأرض » : ينزل ويغوص .

٤٠٤ - وعنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع وجبة فقال : « هل تدرون ما هذا؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم قال : هذا حجر رومي به في النار منذ سبعين خريفاً فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها ، فسمعتم وجبتها » رواه مسلم

٤٠٥ - وعن عدي بن حاتم ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشام منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرّة » متفق عليه .

٤٠٦ - وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إني أرى ملا ترؤن ، أطت السماء وحق لها أن تبتط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى ، والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على

الْفُرْشِ وَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ مَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى» رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن .
 وَ « أَطَّتْ » بفتح الهمزة وتشديد الطاء، وَتَبَّطُّ « بفتح التاء وبعدها همزة مكسورة ، وَالْأَطِيطُ :
 صَوْتُ الرَّحْلِ وَالْقَتَبِ وَشِبْهَيْهَا ، وَمَعْنَاهُ : أَنَّ كَثْرَةَ مَنْ فِي السَّمَاءِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْعَابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا
 حَتَّى أَطَّتْ . وَ « الصُّعَدَاتِ » بضم الصاد والعين : الطَّرْقَاتُ ، وَمَعْنَى « مَجَارُونَ » : تَسْتَعِينُونَ .
 ٤٠٧- وعن أبي بَرزَةَ بَرَاءِ ثُمَّ زَايٍ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدِ الْأَسْلَمِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ
 وَعَنْ مَالِهِ مَنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن
 صحيح

٤٠٨- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
 { يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا } ثم قال : « أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا ؟ » قالوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ :
 « فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا ، تَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمٍ
 كَذَا وَكَذَا ، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

٤٠٩- وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «
 كَيْفَ أَنْعَمَ وَصَاحِبُ الْقُرْنِ قَدْ انْتَمَ الْقُرْنُ ، وَاسْتَمَعَ الْإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْحِ فَيَنْفُخُ » فَكَأَنَّ ذَلِكَ
 نُقِلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هُمْ : « قُولُوا : حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ »
 رواه الترمذي وقال حديثٌ حسنٌ . « الْقُرْنُ » : هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ }
 كَذَا فَسَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

٤١٠- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ خَافَ
 أَذْلَجَ ، وَمَنْ أَذْلَجَ ، بَلَغَ الْمَنْزَلَ أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ » رواه الترمذي وقال
 : حديثٌ حسنٌ . وَ « أَذْلَجَ » بِإِسْكَانِ الدَّالِ ، وَمَعْنَاهُ : سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ ، وَالْمُرَادُ : التَّشْمِيرُ فِي
 الطَّاعَةِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤١١- وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يقول :

«يُخَشِّرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا» قُلْتُ : يا رسول الله الرَّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ،؟ قال : « يا عَائِشَةُ الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهَمَّهُمْ ذَلِكَ » .
وفي رواية : « الأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ » متفقٌ عليه . « غُرْلًا » بَضَمٌ الغَيْنِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

وقال ابن عباس في قوله تعالى : وإياي فارهبون أي أنزل بكم ما أنزل بمن كان قبلكم من آبائكم من النقمات التي قد عرفتم من المسخ وغيره . وقوله : وإياي فارهبون أي : فاحشون ؛ قاله قتادة .
(تفسير بن كثير ١/ ٢٤٢)

(إن بطش ربك لشديد) قال ابن عباس: إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد كقوله : إن أخذه أليم شديد . (هود ١٠٢) . (تفسير البغوي ٨/ ٣٨٩)

قال ابن زيد : إن الله حذر هذه الأمة سطوته بقوله: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد . (تفسير الطبري ١٥/ ٤٧٦)

قال ابن زيد في قوله : إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، إنا سوف نفي لهم بما وعدناهم في الآخرة ، كما وفينا للأنبياء : أنا ننصرهم . عن مجاهد في قوله : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قال : يوم القيامة . عن ابن عباس قال ، "الشاهد" ، محمد ، و"المشهود" ، يوم القيامة . ثم قرأ : ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود . (تفسير الطبري ١٥/ ٤٧٧)

قوله عز وجل : يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه . لا تشفع إلا بإذنه . فمنهم شقي وسعيد فيه وجهان : أحدهما : محروم ومرزوق ، قاله ابن بحر الثاني : معذب ومكرم . (تفسير الماوردي ٢/ ٥٠٤)
قال ابن عباس رضي الله عنهما : الزفير : الصوت الشديد ، والشهيق الصوت الضعيف . وقال الضحاك ومقاتل : الزفير أول شهيق الحمار ، والشهيق آخره إذا رده في جوفه . وقال أبو العالية : الزفير في الحلق والشهيق في الصدر . (تفسير البغوي ٤/ ٢٠٠)

عن الحسن في قوله : ويحذرکم الله نفسه والله رؤوف بالعباد، قال : من رأفته بهم أن حذرهم نفسه .
(تفسير الدر المنثور ٣/ ٥٠٨)

قاله ابن عباس . يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفي فراره منهم ثلاثة أوجه أحدها :
 حذرا من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم . الثاني : حتى لا يروا عذابه . الثالث : لاشتغاله بنفسه
 ، كما قال تعالى بعده : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أي يشغله عن غيره . (الماوردي ٦ / ٢١٠)
 عن قتادة قوله : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أفضي إلى كل إنسان ما يشغله عن الناس .
 (تفسير الطبري ٢٤ / ٢٣٢)

عن عطاء عن عامر : يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم قال : هذا في الدنيا قبل يوم
 القيامة . (تفسير الطبري ١٨ / ٥٥٧)

قال ابن زيد في قوله : يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال : تترك ولدها للكرب الذي نزل
 بها . (تفسير الطبري ١٨ / ٥٦٤)

عن الحسن : تذهل كل مرضعة عما أرضعت قال : ذهلت عن أولادها بغير فطاموتضع كل ذات حمل
 حملها . قال : ألفت الحوامل ما في بطونها لغير تمام وتضع كل ذات حمل حملها يقول : وتسقط كل حامل
 من شدة كرب ذلك حملها . قال ابن زيد في قوله : وترى الناس سكارى وما هم بسكارى قال : ما
 شربوا خمرا يقول تعالى ذكره : ولكن عذاب الله شديد يقول تعالى ذكره : ولكنهم صاروا سكارى من
 خوف عذاب الله عند معاينتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله ، مع علمهم بشدة عذاب الله .
 (تفسير الطبري ١٨ / ٥٦٥)

عن ابن شوذب في قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : نزلت في أبي بكر الصديق . عن عطاء ، أن أبا
 بكر الصديق ذكر ذات يوم ، وفكر في القيامة والموازين ، والجنة والنار ، وصفوف الملائكة ، وطبي
 السموات ، ونسف الجبال ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب ، فقال : وددت أني كنت خضراء من هذه
 الخضراء ، تأتي علي بهيمة فتأكلني ، وأني لم أخلق ، فنزلت هذه الآية ولمن خاف مقام ربه جنتان . عن ابن
 عباس : ولمن خاف مقام ربه جنتان . قال : وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه فأدوا فرائضه الجنة . عن
 ابن مسعود : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : لمن خافه في الدنيا . (الدر المنثور ١٤ / ١٣٤)

عن أبي الدرداء في قوله : ولمن خاف مقام ربه جنتان قال : قيل : يا أبا الدرداء وإن زنى وإن سرق؟ قال :
 من خاف مقام ربه لم يزن ولم يسرق . (تفسير الدر المنثور ١٤ / ١٣٧)

عن الحسن قال : كان شاب على عهد عمر بن الخطاب ملازم المسجد والعبادة، فعشقتة جارية، فأثته في خلوة، فكلمته، فحدث نفسه بذلك، فشهو شهقة فغشي عليه، فجاء عم له فحمله إلى بيته، فلما أفاق قال : يا عم، انطلق إلى عمر فأقرئه مني السلام وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه؟ فانطلق عمه فأخبر عمر، وقد شهق الفتى شهقة أخرى فمات منها، فوقف عليه عمر فقال : لك جنتان، لك جنتان. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ١٣٩)

قوله تعالى : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ابن عباس : إذا بعثوا من قبورهم سأل بعضهم بعضا . وقيل : في الجنة يتساءلون أي يتذكرون ما كانوا فيه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة ، ويمجدون الله تعالى على زوال الخوف عنهم . وقيل : يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة ؟ قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين أي قال كل مسئول منهم لسائله : إنا كنا قبل أي في الدنيا خائفين وجلين من عذاب الله . فمن الله علينا بالجنة والمغفرة . وقيل : بالتوفيق والهداية. ووقانا عذاب السموم قال الحسن : السموم اسم من أسماء النار وطبقة من طباق جهنم . وقيل : هو النار كما تقول جهنم . وقيل : نار عذاب السموم . والسموم الريح الحارة. (تفسير القرطبي ١٧ / ٦٦)

عن ابن عباس في قوله : إنه هو البر قال : اللطيف. (تفسير الدر المنثور ١٣ / ٧٠٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر رضي الله عنه : ياليتني كنت كبش أهلي سموني ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم بعض من يحبون فذبحوني لهم فجعلوا بعضي شواء وبعضه قديدا ثم أكلوني ولم أكن بشرا . (حلية الأولياء ١ / ٥٢)

قال أنس رضي الله تعالى عنه: دخلتُ حائطاً أي بستاناً فسمعت عمر يقول وبينني وبينه جدار عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخ لتتقين الله يا ابن الخطاب أو ليعذبك. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٩)

وقال عبد الله بن عيسى : كان في وجه عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطان أسودان من البكاء . (الحلية (تهذيبه) ١ / ٧١)

وهذا عثمان بن عفان رضي الله عنه : كان إذا وقف على القبر يبكي حتى تبل لحيته وقال : لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وكان عبد الله بن عباس أسفل عينيه مثل الشراك البالي من الدموع. (الجواب الكافي ٩٧)

على بن أبي طالب وبكاؤه وخوفه: وكان يشتد خوفه من اثنتين طول الأمل واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة مقبلة ولكل واحدة بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل. (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ٩٧)

وقالت عائشة رضي الله عنها: ياليتني كنت نسيا منسيا. (التعليقات الحسان ٧٠٦٤)

قال عبد الله بن مسعود: لو تعلمون ذنوبي ما وطئ عقبي اثنان، ولحثيم التراب على رأسي ولوددت أن الله غفر لي ذنبا من ذنوبي وأني دعيت عبد الله بن روثة. (سير أعلام النبلاء ١/ ٤٩٥)

قال زيد بن وهب: رأيت بعيني عبد الله بن مسعود وعليه أثرين أسودين من البكاء. (السير ١/ ٤٩٥)

وقال رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين أحب إليّ أن أكون من المقربين! فقال ابن مسعود: لكن ها هنا رجل ودّ له أنه إذا مات لم يبعث (يعني نفسه).

(صفة الصفوة ١/ ١٨٥)

قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيراً ولضحكتم قليلاً ولو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم ولا تقاررتم على فرشكم ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون وتبكون والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تُعَصَّدُ ويؤكل ثمرها!. (حليه الأولياء ١/ ١٦٤)

قال أبو الدرداء: إن أشد ما أخاف على نفسي يوم القيامة أن يقال لي يا أبا الدرداء قد علمت فكيف عملت فيما علمت؟ وكان يقول: لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت لما أكلتم طعاما على شهوة ولا شربتم شرابا على شهوة ولا دخلتم بيتا تستظلون فيه ولخرجتم إلى الصعدات تضربون صدوركم وتبكون على أنفسكم ولوددت أني شجرة تعضد ثم تؤكل. وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح: وددت أني كبش فذبحني أهلي وأكلوا لحمي وحسوا مرقي. (الجواب الكافي ٩٧)

بكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ما أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري، وقلة زادي، فإني أمسيت في صعود مهبطة على جنة ونار، ولا أدري أيتهما يؤخذ بي. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٥/ ٣٤٤)

عن قيس قال: بكى ابن رواحة وبكت امرأته فقال: ما لك؟ قالت: بكيت لبكائك. فقال: إني قد

علمت أني وارد النار وما أدري أناج منها أم لا . (سير أعلام النبلاء ١ / ٢٣٦)
 عن شداد بن أوس الأنصاري: أنه كان إذا دخل الفراش يتقلب على فراشه، لا يأتيه النوم فيقول: اللهم
 إن النار أذهبت مني النوم، فيقوم فيصلي حتى يصبح. (الحلية (تهذيبه) ١ / ٢٠٢)
 عن الحسن البصري قال: المؤمن من يعلم أن ما قال الله عز وجل كما قال: والمؤمن أحسن الناس عملاً،
 وأشد الناس خوفاً، لو أنفق جبلاً من مال، ما أمن دون أن يعاين؛ لا يزداد صلاحاً وبراً وعبادة، إلا
 إزداد فرحاً؛ يقول: لا أنجو. والمنافق، يقول: سواد الناس كثير، وسيُغفر لي، ولا بأس عليّ؛ فينسى
 العمل، ويتمنى على الله تعالى. (حلية الأولياء ٢ / ١٥٣)

وقال ايضاً: والله ما تعاضم في أنفسهم ما طلبوا به الجنهحين أبكاهم الخوف من الله تعالى. (الحلية ٢ / ١٥٣)
 وقال ايضاً: الرجاء والخوف مطيتا المؤمن. (حلية الأولياء ٢ / ١٥٦)

قال علقمة بن مرشد: قام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن البصري فقال: كيف نصنع بأقوام
 يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن
 خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف. (الحلية (تهذيبه) ١ / ٣٣٦)

روى أن رجلاً سأل ذا النون فقال: رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال: ذكر المقام، وقلة
 الزاد وخوف الحساب ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه: ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم
 والعرض على الله أمامهم وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار يتتظرون أمره في
 الأختيار والأشرا ثم قال: مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم. (حلية الأولياء ٩ / ٣١٦)

عن ذي النون وقيل له: متى يأنس العبد بربه؟ فقال: إذا خافه أنس به؛ إنما علمتم: أنه من واصل
 الذنوب، نحى عن باب المحبوب. (حلية الأولياء ٩ / ٣٨٦)

عن ذي النون قال: ثلاثة علامة الخوف: الورع عن الشبهات بملاحظة الوعيد، وحفظ اللسان مراقبة
 للتعظيم ودواء الكمد إشفاقاً من غضب الحليم. (حلية الأولياء ٩ / ٣٦١)

وقال ذو النون: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق.

(مدارج السالكين ١ / ٥١٣)

قال أسامة: كان من يرى سفیان الثوري يراه كأنه في سفينة يخاف الغرق، أكثر ما تسمعه، يقول: يارب

سلم سلم . (حليه الأولياء ٢٠ / ٧)

ويقول عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكيًا، فقلت: ما شأنك؟ قال: أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقيًا، قال قبيصة: كان سفيان إذا نظرت إليه كأنه راهب، فإذا أخذ في الحديث أنكرته.

(سير أعلام النبلاء ٧ / ٢٧٠)

عن سفيان الثوري قال: إني لأسأل الله أن يذهب عني من خوفه. (حليه الأولياء ٢٠ / ٧)

قال حاتم الأصم: لا تغتر بمكان صالح فلا مكان أصلح من الجنة ولقي فيها آدم ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فإن إبليس بعد طول العبادة لقي ما لقي ولا تغتر بكثرة العلم فإن بلعام بن باعوراء لقي ما لقي وكان يعرف الاسم الأعظم، ولا تغتر بلقاء الصالحين ورؤيتهم فلا شخص أصلح من النبي صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلقائه أعداؤه المنافقون . (مدارج السالكين ١ / ٥١٠)

قال حاتم الأصم: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحسب. (الحليه ٧٨-٧٩ / ٨)

قال جعفر بن سليمان: سمعتُ مالك بن دينار يقول: لو استطعت أن لا أنام لم أنام مخافة أن ينزل بي العذاب وأنا نائم ولو وجدتُ أعواناً لفرقتهم ينادون في سائر الدنيا كلها يا أيها الناس النار النار. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٧)

وعنه، قال: سمعت مالك بن دينار يقول: وددت أن الله إذا جمع الخلائق يوم القيامة، فيقول لي: يا مالك، وأقول: لبيك: فيأذن لي أن أسجد بين يديه سجدة فأعرف أنه قد رضي عني، فيقول: يا مالك كن اليوم تراباً. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٧)

وعنه، قال: سمعت مالك بن دينار قال: لو كان لأحد أن يتمنى لتمنيت أنا أن يكون لي في الآخرة حُص من قصب وأروى من الماء وأنجو من النار. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٧)

وقال: ليتني لم أخلق فإذا خلقت مت صغيراً ويا ليتني إذا مت صغيراً عمرت حتى أعمل في خلاص نفسي. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٧)

قال إبراهيم النخعي: ينبغي لمن لم يحزن في الدنيا ان يخاف ان يكون من أهل النار لأن أهل الجنة قالوا (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة لأنهم قالوا (إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين). (حليه الأولياء ٤ / ٢١٥)

قال محمد بن سوجه : زعموا أن إبراهيم النخعي كان يقول: كنا إذا حضرنا الجنائز، أو سمعنا بميت، عرف فينا أياما، لأننا قد عرفنا أنه قد نزل به أمر صيره إلى الجنة أو إلى النار . قال: وإنكم في جنائزكم تتحدثون بأحاديث دنياكم.(حليه الأولياء ٤/ ٢٢٧)

عن المغيرة بن حكيم قال: قالت لي فاطمة بنت عبد الملك: يا مغيرة، قد يكون من الرجال من هو أكثر صلاة وصياماً من عمر ولكني لم أر من الناس أحداً قط، كان أشد خوفاً من ربه من عمر؛ كان إذا دخل البيت، ألقى نفسه في مسجده؛ فلا يزال يبكي، ويدعو، حتى تغلبه عيناه، ثم يستيقظ؛ فيفعل مثل ذلك ليلته أجمع.(حليه الأولياء ٥/ ٢٦٠)

قال أبو حفص: الخوف سوط الله يُقوم به الشاردين عن بابه وقال: الخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله فإنك إذا خفته هربت إليه فالخائف هارب من ربه إلى ربه وقال أبو سليمان ما فارق الخوف قلباً إلا خرب.(مدارج السالكين ١٣/ ١)

قال يوسف بن أسباط: قلت لأبي وكيع: ربما عرض لي في البيت شيء يداخلني الرعب؛ فقال لي: يا يوسف، من خاف الله، خاف منه كل شيء؛ قال يوسف: فما خفت شيئاً بعد قوله.(الحليه ٨/ ٢٤٠)

قال يزيد بن وهب : خرجنا في سرية، فإذا رجل في أجمة مغطى الرأس، فأنبهناه فقلنا: أنتفي موضع خيف فما تخاف فيه؛ فكشف رأسه ثم قال: إني لأستحي منه أن يراني أخاف شيئاً سواه.(حليه الأولياء ٤/ ١٧١-١٧٢)

قال أروطة بن المنذر: قيل لعمر بن عبد العزيز: لو اتخذت حرساً واحترزت في طعامك وشرابك فإن من كان قبلك يفعل؛ فقال: اللهم إن كنت تعلم: أني أخاف شيئاً دون يوم القيامة فلا تؤمن خوفي.(حليه الأولياء ٥/ ٢٩٢)

وعن عمران بن مخلد قال قال الحسن : إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً لا يسعه غير ذلك لأنه بين مخافتين بين ذنب قد مضى لا يدري ما لله يصنع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما يصيب فيه من المهالك.(حليه الأولياء ٢/ ١٣٢)

عن عبد الواحد بن زيد قال: قلت لزيد النميري: ما منتهى الخوف؟ قال: إجلال الله عند مقام السوءات؛ قلت: فما منتهى الرجاء؟ قال: تأمل الله على كل الحالات.(حليه الأولياء ٦/ ١٦٠)

عن الحسن بن أبي الحسن قال: قال عبد الله: لو وقفت بين الجنة والنار، فخيرت أن أعلم مكاني منهما، أو أكون تراباً؛ لاخترت أن أكون تراباً. (حليه الأولياء ٦ / ٢٧١)

عن يحيى بن زكريا قال: كنا عند علي بن بكار، فمرت سحابة، فسألته عن شيء؛ فقال: اسكت، أما تخشى أن يكون فيها حجارة. (حليه الأولياء ٧ / ١٠)

كان عطاء يمس جسده بالليل، خوفاً من ذنوبه؛ مخافة أن يكون قد مُسَخ؛ وكان إذا انتبه، يقول: ويحك يا عطاء، ويحك. (حليه الأولياء ٦ / ٢٢٢)

عن مريج بن مسروق أنه كان يقول: يا بني، المخافة قبل الرجاء، فإن الله عز وجل خلق جنة وناراً، فلن تخوضوا إلى الجنة، حتى تمروا على النار. (حليه الأولياء ٥ / ١٥٥)

قال إبراهيم بن أدهم: الهوى يردي وخوف الله يشفي واعلم أن ما يزيل عن قلبك هواك إذا خفت من تعلم أنه يراك. (حليه الأولياء ٨ / ١٨)

قال أبي حازم سلمة بن دينار: أفضل خصلة ترجي للمؤمن: أن يكون أشد الناس خوفاً على نفسه وأرجاه لكل مسلم. (حليه الأولياء ٣ / ٢٣٣)

قال علي بن المديني: ذكرنا التيمي عند يحيى بن سعيد فقال: ما جلسنا عند رجل أخوف من الله تعالى منه. (حليه الأولياء ٣ / ٢٨)

قال إبراهيم التيمي: شيان قطعاً عني لذة الدنيا: ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى. (التذكرة للقرطبي ١٢٥)

قال إبراهيم بن شيان: الخوف إذا سكن القلب أحرق مواضع الشهوات فيه وطرده عنه رغبة الدنيا وأسكت اللسان عن ذكر الدنيا. (المنتظم ١٤ / ١١٩ - شعب الإيمان للبيهقي رقم ٨٥١)

قال عقبة بن فضالة: سمعت أبا عبيدة الخواص بعدما كبر وهو أخذ بلحيته يبكي ويقول: قد كبرت فأعتقني. (المنتظم ٨ / ٢٥٩).

قال كعب رحمه الله: لوددت أني كبش أهلي فأخذوني فذبوني فأكلوا وأطعموا أضيافهم. (حليه الأولياء ٥ / ٣٦٦)

قال بشر بن منصور: إني لأذكر الشيء من أمر الدنيا أهلي به نفسي عن ذكر الآخرة؛ أخاف على

عقلي. (حليه الأولياء ٦ / ٢٤١)

كان عطاء: قد اشتد خوفه وكان لا يسأل الله الجنة أبداً فإذا ذكرت عنده الجنة قال: نسأل الله العفو.

(حليه الأولياء ٩ / ٢٦٦)

قال الفضيل بن عياض: من خاف الله تعالى لم يضره شيء؛ ومن خاف غير الله، لم ينفعه أحد.

(حليه الأولياء ٨ / ٨٨)

قال أبي سليمان الداراني: أصل كل خير في الدنيا والآخرة: الخوف من الله تعالى. (الحليه ٩ / ٢٥٩)

قال مطرف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه، لوجدنا سواءً لا يزيد أحدهما على صاحبه. (الحليه ٢ / ٢٠٨)

قال مضاء بن عيسى: خف، الله يلهمك، واعمل له، لا يلجئك إلى ذليل. (الحليه ٩ / ٣٢٤)

قال ميمون بن مهران: أدركت من لم يكن يملأ عينيه من السماء، خوفاً من ربه عز وجل. (الحليه ٤ / ٨٨)

قال عبد الله بن المبارك: أكثركم علماً، ينبغي أن يكون: أشدكم خوفاً. (الحليه ٨ / ١٦٨)

قال أبو عثمان: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهراً وباطناً. (مدارج السالكين ١ / ٥١١)

قال ابن تيمية: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله. (مدارج السالكين ١ / ٥١١)

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي: علامة خوف الله تتبين في سبعة أشياء:

أولهما: تتبين في لسانه، فيمتنع لسانه من الكذب والغيبه، وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولاً

بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم. والثاني: أن يخاف في أمر بطنه، فلا يدخل بطنه إلا طيباً

حلالاً ويأكل من الحلال مقدار حاجته. والثالث: أن يخاف في أمر بصره، فلا ينظر إلى الحرام ولا إلى

الدنيا بعين الرغبة، وإنما يكون نظره على وجه العبره.

والرابع: أن يخاف في أمر يده فلا يمد يده إلى الحرام، وإنما يمد يده إلى ما فيه طاعة الله عز وجل.

والخامس: أن يخاف في أمر قدميه، فلا يمشي في معصية. والسادس: أن يخاف في أمر قلبه فيخرج منه

العداوة والبغضاء وحسد الإخوان ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين.

السابع: أن يكون خائفاً في أمر طاعته فيجعل طاعته خالصه لوجه الله ويخاف الرياء والنفاق فإذا فعل

ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: (وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) وقال: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ).

(تنبيه الغافلين ٣٩٠ - ٣٩١)

قال علي بن ابي طالب :

أيا من ليس لي منه مجير بعفوك من عذابك استجير
أنا العبد المقربكلّ ذنب وأنت السيّد المولى الغفور
فإن عذبتني فبسوء فعلي وأن تغفر فأنت به جدير
أفر إليكم منك وأين إلاّ إليك يفرّ منك المستجير

الآثار العملية في حياة السلف :

وعن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل يألّم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راضٍ. ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راضٍ. ثم صحبت صحبت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقتهم وهم عنك راضون. قال: أمّا ما ذكرت من صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه فإنّما ذاك من الله تعالى منّ به تعالى عليّ، وأمّا ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنّما ذلك من الله عز وجل ذكره منّ به عليّ. وأمّا ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أنّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه .
(رواة البخارى ٣٦٩٢)

وقرأ تميم الداري ليلة سورة الجاثية ، فلما أتى على هذه الآية (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) (سورة الجاثية ٢١) جعل يرددّها ويبكي حتى أصبح .
(الجواب الكافي ٤١)

قال يحيى بن جعدة: عاد ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباباً قالوا: أبشر يا عبد الله ترد على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كيف بهذا، وهذا أسفل البيت وأعلاه وقد قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها يكفي أحدكم من الدنيا كقدر زاد الراكب. (حليه الأولياء ١ / ٣٦٠)
قال جعفر بن سليمان: خرجت مع مالك بن دينار إلى مكة، فلما أحرم أراد أن يلبي فسقط؛ ثم أفاق فأراد أن يلبي فسقط، ثم أفاق فأراد أن يلبي فسقط. فقلت: مالك يا أبا يحيى؟ قال: أخشى القول: لبيك، فيقول: لا لبيك ولا سعديك. (مختصر تاريخ دمشق ٧ / ١٩٧)

عن يحيى بن الفضل الأنيسي قال: سمعت بعض من يذكر عن محمد بن المنكدر: أنه، بينا هو ذات ليلة

قائم يصلي، إذ استبكي، وكثر بكائه، حتى فزع أهله، وسألوه ما الذي أبكاه؟ فاستعجم عليهم، وتمادى في البكاء؛ فأرسلوا إلى أبي حازم، فأخبروه بأمره، فجاء أبو حازم إليه، فإذا هو يبكي؛ قال: يا أخي، ما الذي أبكاك، قد رعت أهلك، أفمن علة؟ أم ما بك؟ قال: فقال: إنه مرت بي آية في كتاب الله عز وجل، قال: وما هي؟ قال: قول الله تعالى: (وَبَدَأَ هُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (الزمر ٤٧).

قال: فبكى أبو حازم أيضاً معه، واشتد بكاءهما؛ قال: فقال بعض أهله لأبي حازم: جئنا بك لتفرج عنه، فزدته؛ قال: فأخبرهم ما الذي أبكاهما. (حليه الأولياء ٣/١٤٦)

قال عبد المؤمن الصائغ: دعوت رياحاً بن عمرو القيسي ذات ليلة إلى منزلي ونحن بعبادان - فجاء في السحر، فقربت إليه طعاماً، فأصاب منه شيئاً فقلت: ازدد، فما أراك شبعت؛ قال: فصاح صيحة أفرعني وقال: كيف أشبع في أيام الدنيا، وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي؟ قال: فرفعت الطعام من بين يديه؛ فقلت: أنت في شيء، ونحن في شيء. (حليه الأولياء ٦/١٩٤)

عن مولى لعمر بن عتبة قال: استيقظنا يوماً حاراً في ساعة حارة؛ فطلبنا عمرو بن عتبة فوجدناه في جبل وهو ساجد وغمامة تظله وكنا نخرج إلى العدو فلا نتحارس لكثرة صلاته ورأيته ليلة يصلي فسمعنا زئير الأسد فهربنا وهو قائم يصلي لم ينصرف فقلنا له: أما خفت الأسد؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه. (حليه الأولياء ٤/١٥٧)

أبو بكر بن عياش قال: صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه عليّ إلى جانبي، فقراً: أهاكم التكاثر فلما قال: لترون الجحيم سقط علي وعلى وجهه مغشياً عليه، وبقي فضيل عند الآية. فقلت في نفسي: ويحك أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعليّ، فلم أزل أنتظر علياً، فما أفاق إلى ثلث من الليل بقي. رواها ابن أبي الدنيا عن عبد الرحمن بن عفان، وزاد: وبقي فضيل لا يجاوز الآية، ثم صلى بنا صلاة خائف، وقال: فما أفاق إلى نصف من الليل. قال ابن أبي الدنيا: حدثني عبد الصمد بن يزيد عن فضيل بن عياض قال: بكى عليّ ابني. فقلت: يا بني ما يبكيك؟ قال: أخاف ألا تجمعنا القيامة. (سير أعلام النبلاء ٧/٤٤٤)

قال عبد الصمد بن يزيد، سمعت الفضيل يقول: أشرفت ليلة على عليّ (ابنه) وهو في صحن الدار وهو يقول: النار، ومتى الخلاص من النار؟ وقال لي: يا أبة سل الذي وهبني لك في الدنيا أن يهبني

لك في الآخرة . ثم قال : لم يزل منكسر القلب حزينا . ثم بكى الفضيل ، ثم قال : كان يساعدني على الحزن والبكاء ، يا ثمرة قلبي ، شكر الله لك ما قد علمه فيك . (سير أعلام النبلاء ٧ / ٤٤٥)

عن علي بن عثمان قال: مرض سفيان الثوري بالكوفة، فبعث بهائةً إلى متطبب بالكوفة؛ فلما نظر إليه، قال: ويلك، بول من هذا؟ فقال: ما تسأل، انظر ما ترى فيه؟ قال: أرى بول رجل، قد أحرق الخوف كبده والحزن جوفه. (حليه الأولياء ٧ / ١٤)

قال عبد الله الشامي: أتيت طاووساً فخرج إلي ابنه شيخ كبير؛ فقلت: أنت طاووس؟ فقال: أنا ابنه قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف، فقال: إن العالم لا يخرف؛ فدخلت عليه، فقال لي طاووس: سل، وأجز؛ قلت: إن أوجزت، أوجزت لك؛ قال: تريد أن أجمع لك في مجلسي هذا: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؟ قلت: نعم؛ قال: خف الله تعالى مخافة، لا يكون عندك شيء أخوف منه؛ وأرجه رجاء، هو أشد من خوفك إياه؛ وأحب للناس ما تحب لنفسك. (حليه الأولياء ٤ / ١١)

٥١ - باب الرجاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى : قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ [الزمر : ٥٣] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَافِرَ [سبأ : ١٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى [طه : ٤٨] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : ١٥٦] .

٤١٢- وعن عبادة بن الصامت ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ » متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : « مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ »

٤١٣- وعن أبي ذرٍّ ، رضي الله عنه ، قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ ، فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ ، فَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ . وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا ، وَمَنْ أَتَانِي

يمشي ، أتيته هزولةً ، ومن لقيني بقرب الأَرْضِ خَطِيئَةٌ لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لَقِيْتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً »
رواه مسلم .

معنى الحديث : « مَنْ تَقَرَّبَ » إِلَيَّ بِطَاعَتِي « تَقَرَّبْتُ » إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي ، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ ، « فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي » وَأَسْرَعَ فِي طَاعَتِي « أَتَيْتُهُ هَزُولَةً » أَي : صَبَبْتُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ ، وَسَبَقْتُهُ بِهَا ، وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَى الْمَشْيِ الْكَثِيرِ فِي الْوُصُولِ إِلَى الْمَقْصُودِ ، « وَقَرَابُ الْأَرْضِ » بِضَمِّ الْقَافِ وَيُقَالُ بِكسرها ، وَالضَّمُّ أَصَحُّ ، وَأَشْهَرُ ، وَمَعْنَاهُ : مَا يُقَارِبُ مِلًّا هَا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤١٤ - وعن جابر ، رضي الله عنه ، قال : جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الْمُوجِبَاتَانِ ؟ فَقَالَ : « مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، دَخَلَ النَّارَ » رواه مسلم

٤١٥ - وعن أنس ، رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمُعَاذُ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبِيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبِيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « يَا مُعَاذُ » قَالَ : لَبِيَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلَاثًا ، قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا أَخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : « إِذَا يَتَّكَلَّمُوا » فَأَخْبِرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَائِبًا . مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ : « تَائِبًا » أَي : خَوْفًا مِنَ الْإِثْمِ فِي كَتْمِ هَذَا الْعِلْمِ .

٤١٦ - وعن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما : شَكَ الرَّاوي ، وَلَا يَضُرُّ الشُّكَّ فِي عَيْنِ الصَّحَابِيِّ ، لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ غَزْوَةِ تَبُوكَ ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَذْنَتَ لَنَا فَنَحْرَنَا نَوَاضِحَنَا ، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « افْعَلُوا » فَجَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهُرُ ، وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهُ هُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَاتِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذَلِكَ الْبَرَكَاتِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ » فَدَعَا بِنَطْعِ فَبَسَطَهُ ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَّةٍ وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكِسْرَةٍ حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ

يسير ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ، ثم قال « خذوا في أوعيتكم ، فأخذوا في أوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملاءوه ، وأكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله لا يلقي الله بهما عبد غير شاك ، فيحجب عن الجنة » رواه مسلم .

٤١٧- وعن عتبان بن مالك ، رضي الله عنه ، وهو ممن شهد بدرًا ، قال : كنت أصلي لقومي بني سالم ، وكان يحول بيني وبينهم واد إذا جاءت الأمطار ، فيشق علي اجتيازها قبل مسجدهم ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت له : إني أنكزت بصري ، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار ، فيشق علي اجتيازها ، فوددت أنك تأتي ، فتصلي في بيتي مكانا أخذته مصلي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سأفعل » فعدا علي رسول الله ، وأبو بكر ، رضي الله عنه ، بعد ما اشتد النهار ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأذنت له ، فلم يجلس حتى قال : « أين تحب أن أصلي من بيتك ؟ » فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يصلي فيه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر وصفنا وراءه ، فصلى ركعتين ، ثم سلم وسلمنا حين سلم ، فحبسته على خزيرة توضع له ، فسمع أهل الدار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي ، فتاب رجال منهم حتى كثر الرجال في البيت ، فقال رجل : ما فعل مالك لا أراه ، فقال رجل : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تقل ذلك ألا تراه قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى ؟ » . فقال : الله ورسوله أعلم ، أما نحن فوالله ما نرى وده ، ولا حديثه إلا إلى المنافقين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فإن الله قد حرم على النار من قال : لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله » متفق عليه . و « عتبان » بكسر العين المهملة ، وإسكان التاء المثناة فوق وبعدها باء موحدة . و « الخزيرة » بالخاء المعجمة ، والزاي : هي دقيق يطبخ بشحم وقوله : « تاب رجال » بالثاء المثناة ، أي : جاءوا واجتمعوا .

٤١٨- وعن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسني فإذا امرأة من السبي تسعى ، إذ وجدت صبيًا في السبي أخذته فالزقته بيطنها ، فأزعمته ، فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ ؟ قُلْنَا : لَا وَاللَّهِ . فَقَالَ : « اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدِهَا » متفقٌ عليه .

٤١٩- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما خلق الله الخلق ، كتب في كتاب ، فهو عنده فوق العرش : إن رحمتي تغلب غضبي » .
وفي رواية : « غلبت غضبي » وفي رواية « سبقت غضبي » متفقٌ عليه .

٤٢٠- وعنه قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك عنده تسعة وتسعين ، وأنزل في الأرض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرهما عن ولدها خشية أن تصيبه » . وفي رواية : « إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فبها يتعاطفون ، وبها يترحمون ، وبها تعطف الوحش على ولدها ، وأخر الله تعالى تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » متفقٌ عليه .

ورواه مسلم أيضاً من رواية سلمان الفارسي ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تعالى مائة رحمة فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسع وتسعون ليوم القيامة » . وفي رواية « إن الله تعالى خلق يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء إلى الأرض ، فجعل منها في الأرض رحمة فيها تعطف الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة »

٤٢١- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم . فيما يحكى عن ربه ، تبارك وتعالى ، قال : « أذنب عبد ذنباً ، فقال : اللهم اغفر لي ذنبي ، فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً ، فعلم أن له رباً يغير الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً ، فعلم أن له رباً يغير الذنب ، ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب ، فقال : أي رب اغفر لي ذنبي ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً ، فعلم أن له رباً يغير الذنب ، ويأخذ بالذنب ، قد عفرت لِعبدي .. فليفعل ما شاء » متفقٌ عليه .

وقوله تعالى : « فليَعمل ما شاء » أي : ما دام يفعل هكذا ، يُذنبُ ويَتوبُ أَغْفِرُ لَهُ ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِي مَا قَبَلَهَا .

٤٢٢- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَدَهَبَ اللهُ بِكُمْ ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهُ تَعَالَى ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ رواه مسلم .

٤٢٣- وعن أبي أيوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ ، رضي اللهُ عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « لَوْ لَا أَنْتُمْ تُذْنِبُونَ ، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ ، فَيَسْتَغْفِرُونَ ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ » رواه مسلم .

٤٢٤- وعن أبي هريرة ، رضي اللهُ عنه ، قال : كُنَّا قُعودًا مَعَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، رضي اللهُ عنهما في نَفَرٍ ، فَقَامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا ، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَزَعْنَا ، فَقُمْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزَعَ ، فَخَرَجْتُ أَبْتِغِي رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ : فَقَالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » رواه مسلم .

٤٢٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي اللهُ عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { رَبِّ إِنِّي نَجَّيْتُكَ مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي } [إبراهيم : ٣٦] وَقَوْلَ عِيسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : { إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } [المائدة : ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ « اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي » وَبَكَى ، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَا جَبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ وَرَبِّكَ أَعْلَمُ ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ ؟ » فَأَتَاهُ جَبْرِيْلُ فَأَخْبَرَهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ : وَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى : { يَا جَبْرِيْلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ } رواه مسلم .

٤٢٦- وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، رضي اللهُ عنه ، قَالَ كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ : « يَا مُعَاذُ هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهُ عَلَى عِبَادِهِ ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ ؟ قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ أَنْ لَا

يُعَدَّب مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، فقلت : يا رسول الله أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ ؟ قال : « لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا » متفقٌ عليه .

٤٢٧- وعن البراء بن عازب ، رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [إبراهيم : ٢٧] متفقٌ عليه .

٤٢٨- وعن أنس ، رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً ، أُطْعِمَ بِهَا طَعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ ، فَإِنَّ اللهُ تَعَالَى يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ » وفي رواية : « إِنَّ اللهُ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا ، وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ ، وَأَمَّا الْكَافِرُ ، فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ اللهُ تَعَالَى ، فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا » رواه مسلم .

٤٢٩- وعن جابر ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الْحَمْسِ كَمَثَلِ تَهْرِ جَارِ غَمْرِ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ » رواه مسلم .
« الْغَمْرُ » الْكَثِيرُ .

٤٣٠- وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللهُ فِيهِ » رواه مسلم .

٤٣١- وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قُبَّةٍ نَحْوًا مِنْ أَرْبَعِينَ ، فَقَالَ : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : « وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشَّرِكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ » متفقٌ عليه .

٤٣٢- وعن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فِكَأُكَكَ مِنَ النَّارِ » .
 وفي رواية عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ
 أَمْثَالِ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَهُمْ » رواه مسلم .

قوله : « دَفَعَ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا فَيَقُولُ : هَذَا فِكَأُكَكَ مِنَ النَّارِ » معناه مَا جَاءَ فِي
 حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه : « لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ ، فَاَلْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ
 الْجَنَّةَ خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ ، لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِدَلِّكَ بِكُفْرِهِ » وَمَعْنَى « فِكَأُكَكَ » : أَتَىكَ كُنْتَ مُعْرَضًا
 لِدُخُولِ النَّارِ ، وَهَذَا فِكَأُكَكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَ لِلنَّارِ عَدَدًا يَمَلُؤُهَا ، فَإِذَا دَخَلَهَا الْكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ
 وَكُفْرِهِمْ ، صَارُوا فِي مَعْنَى الْفِكَأُكَكَ لِلْمُسْلِمِينَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤٣٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «
 يُدْنِي الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ ، فَيَقْرَرُهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟
 أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ : رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ : فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُمَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَا أَعْفِرُهَا لَكَ
 الْيَوْمَ ، فَيُعْطَى صَحِيفَةً حَسَنَاتِهِ » متفق عليه . كَنَفُهُ : سِتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ .

٤٣٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنْ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : { وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ
 السَّيِّئَاتِ } [هود : ١١٤] فقال الرجل : ألي هذا يا رسول الله ؟ قال : « لَجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ » متفق
 عليه .

٤٣٥- وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ
 اللَّهِ أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْنِي عَلَيَّ ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا
 قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْنِي فِي كِتَابِ اللَّهِ ، قَالَ : « هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا
 الصَّلَاةَ ؟ » قَالَ : نَعَمْ . قَالَ « قَدْ غُفِرَ لَكَ » متفق عليه .

وقوله : « أَصَبْتُ حَدًّا » معناه : مَعْصِيَةٌ تُوجِبُ التَّعْزِيرَ ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ الْحَقِيقِيَّ كَحَدِّ
 الزُّنَا وَالْخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا ، فَإِنَّ هَذِهِ الْحُدُودَ لَا تَسْقُطُ بِالصَّلَاةِ ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ تَرْكُهَا .

٤٣٦- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا ، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا » رواه مسلم .

« الْأَكْلَةُ » بفتح الهمزة وهي المرة الواحدة مِنَ الْأَكْلِ كَالْغَدْوَةِ وَالْعَشْوَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤٣٧- وعن أبي موسى ، رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، بَسِطُ يَدِهِ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَسِطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » رواه مسلم

٤٣٨- وعن أبي نجيح عمرو بن عبسة بفتح العين والباء السلمي ، رضي الله عنه قال : كنت وأنا في الجاهلية أظنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ ، وَأَمَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا ، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي ، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ ؟ قَالَ :

« أَنَا نَبِيٌّ » قُلْتُ : وَمَا نَبِيٌّ ؟ قَالَ : « أُرْسَلَنِي اللَّهُ » قُلْتُ : وَبِأَيِّ شَيْءٍ أُرْسَلْتَ ؟ قَالَ : « أُرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ ، وَكسِرِ الْأَوْثَانِ ، وَأَنْ يُوحِّدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ » قُلْتُ : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟

قَالَ : « حُرٌّ وَعَبْدٌ » وَمَعَهُ يَوْمئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . قُلْتُ : إِنِّي مُتَّبِعُكَ ، قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا . أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ ؟ وَلَكِنْ أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ

ظَهَرْتُ فَأْتِنِي » قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي ، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ . وَكُنْتُ فِي أَهْلِي . فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي الْمَدِينَةَ ،

فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا : النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ أَنْتَ

الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ » قَالَ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ ؟ قَالَ : « صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ ، ثُمَّ أَفْضِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ ، فَإِنَّمَا

تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ ، ثُمَّ صَلِّ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ . حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ ، ثُمَّ أَفْضِرْ عَنِ الصَّلَاةِ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ ، فَإِذَا أَقْبَلَ

الفِيءَ فَصَلَّ ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مُحْضَرَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ العَصْرَ ثُمَّ أَقْضِرَ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، فَإِنهَا تُغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ » . قَالَ : فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، فَالْوَضُوءُ حَدَّثَنِي عَنْهُ ؟ فَقَالَ : « مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ ، فَيَتَمَضَّمُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَشِرُ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وَخِيَاشِيمِهِ . ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لَحْيَيْهِ مَعَ المَاءِ . ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ المَاءِ ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الكَعْبَيْنِ ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى ، فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَجَدَّهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ تَعَالَى . إِلَّا انصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » .

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَبَا أَمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ أَبُو أَمَامَةَ : يَا عَمْرُو بْنُ عَبْسَةَ ، انظُرْ مَا تَقُولُ . فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هَذَا الرَّجُلُ ؟ فَقَالَ عَمْرُو : يَا أَبَا أَمَامَةَ . فَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي ، وَرَقَّ عَظْمِي ، وَاقْتَرَبَ أَجْلِي ، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَلَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَمْ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَاتٍ ، مَا حَدَّثْتُ أَبَدًا بِهِ ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ رَوَاهُ مُسَلِّمٌ . قَوْلُهُ : « جُرَاءٌ عَلَيْهِ قَوْمُهُ » : هُوَ بِجِيمٍ مضمومة وبالمدة على وزنِ علماء ، أَي : جاسِرُونَ مُسْتَطِيلُونَ غَيْرُ هَائِيْنَ . هَذِهِ الرِّوَايَةُ المَشْهُورَةُ ، وَرَوَاهُ الحُمَيْدِيُّ وَغَيْرُهُ : « جِرَاءٌ بِكسرِ الحاءِ المَهْمَلَةِ . وَقَالَ : مَعْنَاهُ غِضَابُ دُؤُوعٍ وَهَمٌّ ، قَدْ عِيلَ صَبْرُهُمْ بِهِ ، حَتَّى أَثَّرَ فِي أَجْسَامِهِمْ ، مِنْ قَوْلِهِمْ : حَرَى جِسْمُهُ يَحْرَى ، إِذَا نَقَصَ مِنْ أَلْمٍ أَوْ غَمٍّ وَنَحْوِهِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ بِالجِيمِ . وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ » أَي : نَاحِيَتَيْ رَأْسِهِ . وَالمَرَادُ التَّمَثِيلُ مَعْنَاهُ : أَنَّهُ حِينَئِذٍ يَتَحَرَّكُ الشَّيْطَانُ وَشِيعَتُهُ . وَيَتَسَلَّطُونَ .

وَقَوْلُهُ : « يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ » مَعْنَاهُ : يُخَضِّرُ المَاءَ الَّذِي يَتَوَضَّأُ بِهِ . وَقَوْلُهُ : « إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ » هُوَ بِالْحَاءِ المَعْجَمَةِ : أَي سَقَطَتْ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ . « جَرَتْ » بِالجِيمِ . وَالصَّحِيحُ بِالْحَاءِ ، وَهُوَ رِوَايَةُ الجُمُهورِ . وَقَوْلُهُ : « فَيَنْتَشِرُ » أَي : يَسْتَخْرِجُ مَا فِي أَنْفِهِ مِنْ أَدْيٍ ، وَالنَّثْرَةُ : طَرْفُ الأنْفِ .

٤٣٩- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى ، رَحْمَةً أُمَّةٍ ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا ، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا ، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ ، عَذَّبَهَا وَنَبِيَّهَا حَيًّا ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ حَيٌّ يَنْظُرُ ، فَأَقْرَعَ عَيْنَهُ بِهَلَاكِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أَمْرَهُ » رواه مسلم

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وحشي بن حرب قاتل حمزة يدعو إلى الإسلام فأرسل إليه : يا محمد، كيف تدعوني وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، وأنا صنعت ذلك فهل تجد لي من رخصة؟ فأنزل الله: إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما.

(الفرقان ٧٠) فقال وحشي : هذا شرط شديد؛ إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلعلي لا أقدر على هذا، فأنزل الله : إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (النساء ٤٨) فقال وحشي : هذا أرى بعد مشيئة، فلا أدري يغفر لي أم لا، فهل غير هذا؟ فأنزل الله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية . قال وحشي : هذا نعم، فأسلم، فقال الناس : يا رسول الله : إنا أصبنا ما أصاب وحشي . قال : هي للمسلمين عامة. (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٦٧٢)

عن ابن عباس في قوله : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية، قال : قد دعا الله إلى مغفرته؛ من زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أن المسيح ابن الله، ومن زعم أن عزيزا ابن الله ومن زعم أن الله فقير، ومن زعم أن يد الله مغلولة، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، يقول الله لهؤلاء : أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم (المائدة ٧٤) ثم دعا إلى توبته من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال : أنا ربكم الأعلى (النازعات ٢٤) وقال : ما علمت لكم من إله غيري (القصص ٣٨) قال ابن عباس : ومن آيس العباد من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله، ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب الله عليه. (تفسير الدر المنثور ١٢ / ٦٧٧)

قال علي رضي الله عنه : أي آية في القرآن أوسع ؟ فجعلوا يذكرون آيات من القرآن : (ومن يعمل سوءا

أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيمًا) . ونحوها ، فقال علي : ما في القرآن آية أوسع من :

يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم . . . إلى آخر الآية (تفسير الطبري ٣٠٩ / ٢١)

عن علي بن أبي طالب قال : إن الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم عذاب الله ، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ،

ولا علم لا فهم فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها . (تفسير الدر المنثور ٦٧٩ / ١٢)

عن القرظي أنه قال في هذه الآية : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال : هي

للناس أجمعين . (تفسير الطبري ٣٠٩ / ٢١)

عن طاوس وهل نجازي إلا الكفور . قال : هو المناقشة في الحساب ، ومن نوقش الحساب عذب ، وهو

الكافر لا يغفر له . عن مجاهد : وهل يجازي قال : هل يعاقب إلا الكفور . (الدر المنثور ١٢ / ١٩٨)

عن قتادة قوله : أن العذاب على من كذب وتولى . كذب بكتاب الله ، وتولى عن طاعة الله .

(تفسير الطبري ٣١٦ / ١٨)

(ورحمتي وسعت كل شيء) عمت كل شيء قال الحسن وقتادة : وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر

وهي يوم القيامة للمتقين خاصة . وقال عطية العوفي : وسعت كل شيء ولكن لا تجب إلا للذين يتقون

، وذلك أن الكافر يرزق ، ويدفع عنه بالمؤمنين لسعة رحمة الله للمؤمنين ، فيعيش فيها ، فإذا صار إلى

الآخرة وجبت للمؤمنين خاصة كالمستضيء بنار غيره إذا ذهب صاحب السراج بسراجه . قال ابن عباس

رضي الله عنهما وقتادة ، وابن جريج : لما نزلت : ورحمتي وسعت كل شيء . قال إبليس : أنا من ذلك

الشيء ، فقال الله سبحانه وتعالى : فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون

. فتمناها اليهود والنصارى وقالوا : نحن نتقي ونؤمن ونؤتي الزكاة فجعلها الله لهذه الأمة فقال . الذين

يتبعون الرسول النبي الأمي . (تفسير البغوي ٢٨٨ / ٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال معاذ بن معاذ : ما رأيت أحداً أعظم رجاء لأهل الإسلام من ابن عون ؛ لقد ذكر له الحجاج وأنا

شاهد فقيل : إنهم يزعمون أنك تستغفر للحجاج ، فقال : ما لي لا أستغفر للحجاج من بين الناس ؟ وما

بيني وبينه ؟ وما كنت أبالي أن أستغفر له الساعة ؛ قال معاذ : وكان إذا ذكر عنده الرجل بعيب ، قال : إن

الله تعالى رحيم . (حليه الأولياء ٤١ / ٣)

قال مسلم بن يسار أنه: من رجا شيئاً طلبه ومن خاف من شئهرب منه وما أدري ما حسب رجاء امرئ عرض له بلاء، لم يصبر عليه لما يرجو؟ وما أدري، ما حسب خوف امرئ عرضت له شهوة لم يدعها، لما يخشى؟. (حليه الأولياء ٢/ ٢٩٢)

عن مالك بن مغول قال: قال الربيع بن أبي راشد: لولا ما يأمل المؤمنون من كرامة الله تعالى لهم بعد الموت، لانشقت في الدنيا مرائرهم، ولتقطعت في الدنيا أجوافهم. (حليه الأولياء ٥/ ٧٦)

عن الحسن قال: إن هذا الحق: جهد الناس، وحال بينهم وبين شهواتهم؛ فو الله ما صبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته. (حلية الأولياء ٦/ ١٩٧ - ١٩٨)

عن داود الطائي قال: اليأس سبيل أعمالنا هذه، ولكن القلوب تحن إلى الرجاء. (الحليه ٧/ ٣٥٩)

قال محمد بن المبارك: ما آمن بالله من رجا مخلوقاً فيما ضمن الله له. (حليه الأولياء ٩/ ٢٩٩)

قال أبو عمران السلميّ منشداً: (حسن الظن، لابن أبي الدنيا ص ١٠٦)

وإني لآتي الذنب أعرف قدره وأعلم أن الله يعفو ويغفر

لئن عظم الناس الذنوب فإثمها وإن عظمت في رحمة الله تصغر

الآثار العملية في حياة السليل:

قال مكحول: بينا سليمان بن داود على بساط من شعر وأصحابه حوله، إذ أمر الريح فاستقلته وسارت الجن والإنس أمامه، والطير تظله، إذا حراث يحرث على جانب الطريق، قال: فقال الحراث: لو أن سليمان بن داود عندي كلمته بثلاث كلمات، فأوحى الله تعالى إلى سليمان بن داود أن ات الحراث، قال: فركب على فرس له حتى أتاه قال: يا حراث أنا سليمان، فقل ما أردت أن تقول، قال: وما علمك أني أردت أن أقول؟ قال: الله أعلمني، قال: أشهد له بذلك، قال: والله إلا أني رأيتك فيما أنت فيه فقلت: والله ما سليمان في لذة لدها أمس، ولا في نعيم نعمه، وأنا في تعب تعبته أمس، وفي نصب نصبته إلا سواء، لا سليمان يجد لذة ما مضى، ولا أنا أجد تعب ما مضى، قال: وأخرى قلتها، قال: وما هي؟ قلت: سليمان يموت وأنا أموت قال: صدقت قال: قلت: يا سليمان لكني قلت كلمة طيبت بها نفسي قلت: سليمان يسأل غدا عما أعطي وأنا لا أسأل قال: فخر سليمان ساجدا على فرسه يبكي وهو يقول: يا رب لولا أنك جواد لا تبخل لسألتك أن تنزع مني ما أعطيتني قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا سليمان ارفع رأسك فإني لم أنعم على عبد لي نعمة فتكون تلك النعمة رضا فأحاسبه عليها. (حليه الأولياء ٥/ ١٨٢ رقم ٧٠٦٠)

قال مكحول: بينا امرأة من الحي. يقال لها: الفارعة بنت المستورد قائمة تتعبد إذا هي بإبليس ساجداً على صفاة، تسيل دموعه على خديه كسريح الجنين فقالت له: يا إبليس ما يغني عنك طول السجود؟ فقال: أيتها المرأة الصالحة بنت الشيخ الصالح: أرجو إذا أبر بي قسمه: أن يخرجني من النار قال أبو عمر الدروي: هذا إبليس يرجو رحمة الله، فكيف نحن عبيد الله. (حليه الأولياء ١٨٢/٥)

قال عطاء بن السائب: ذهبنا نرجي أبا عبد الرحمن السلمي عند موته فقال: إني لأرجو ربي وقد صمت له ثمانين رمضاناً. (حليه الأولياء ٤/١٩٢)

٥٢- باب فضل الرجاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى إِخْبَاراً عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ : وَأَفْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ فَوَقَّاهُ اللهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَّرُوا [غافر : ٤٤-٤٥] .

٤٤٠- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « قَالَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي ، وَاللهُ اللهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالْفَلَاةِ ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شَبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي ، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أَهْرُولُ » متفقٌ عليه ، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم .

٤٤١- وعن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ : « لَا يَمُوتُنْ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » رواه مسلم

٤٤٢- وعن أنس ، رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي ، يَا ابْنَ آدَمَ ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ ، يَا ابْنَ آدَمَ ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ، ثُمَّ لَفَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ، لِأَتَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » رواه الترمذي . وقال : حديث حسن . « عَنَانَ السَّمَاءِ » بفتح العين ، قيل : هو مَا عَنْ لَكَ مِنْهَا ، أَي : ظَهَرَ إِذَا رَفَعْتَ رَأْسَكَ ، وَقِيلَ : هُوَ السَّحَابُ . وَ « قُرَابُ الْأَرْضِ » بضم القاف ، وَقِيلَ بِكسْرِهَا ، وَالضَّمُّ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ ، وَهُوَ : مَا يَقَارِبُ مِلَاحًا ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن السدي: وأفوض أمري إلى الله. قال: أجعل أمري إلى الله. (تفسير الطبري ٢١/٣٩٤)
 وأفوض أمري إلى الله أي: أتوكل عليه وأسلم أمري إليه. قيل: إنه قال هذا لما أرادوا الإيقاع به قال
 مقاتل: هرب هذا المؤمن إلى الجبل فلم يقدروا عليه. وقيل: القائل هو موسى والأول أولى. فوقاه الله
 سيئات ما مكروا. أي: وقاه الله ما أرادوا به من المكر السيء وما أرادوا به من الشر. قال قتادة: نجاه الله
 مع بني إسرائيل. (تفسير فتح القدير للشوكاني ١/١٣٠٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

عن عبد الله بن عمرو: أن أباه قال عند موته: اللهم إنك أمرتنا فأضعنا ونهيتنا فركبنا فلا برئ فأعتذر ولا
 عزيز فأنتصر؛ ولكن لا إله إلا أنت. وما زال يقولها حتى مات. (طبقات ابن سعد ٤/٢٦٠)
 قال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً فإذا نزل به الموت فالرجاء
 أفضل من الخوف يقول: إذا كان في صحته محسناً عظم رجاءه عند الموت وحسن ظنه إذا كان في صحته
 مسيئاً ساء ظنه عند الموت ولم يعظم رجاءه. (حليه الأولياء ٨/٨٩)

قال الفضيل بن عياض: وعزته لو أدخلني النار ما أيست. (سير أعلام النبلاء ٤٣٢/٨)
 قال حماد بن سلمة: والله لو خيرت بين محاسبة الله لي، وبين محاسبة أبوي؛ لاخترت محاسبة الله، وذلك
 لأن الله أرحم بي من أبوي. (سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٧)

عن ابن أبي الحواري قال: كنت أسمع وكيعاً يبتدئ قبل أن يحدث، فيقول: ما هنالك إلا عفوه، ولا
 نعيش إلا في ستره، ولو كُشف الغطاء لكُشف عن أمر عظيم. (سير أعلام النبلاء ١٢/٩٢)
 قال شعيب بن حرب لرجل: إن دخلت القبر ومعك الإسلام فأبشر. (سير أعلام النبلاء ١٢/٩٢)

الآثار العملية في حياة السلف:

وجاء أيضاً أنه: لما احتضر معاوية قيل له: ألا توصي؟، فقال: اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلة،
 وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك. (سير أعلام النبلاء ٣/١٦٠)

يقول المزني: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه، فقلت: يا أبا عبد الله، كيف أصبحت؟ فرجع
 رأسه، وقال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً وعلى الله واردة، ما أدري
 روحي تصير إلى الجنة فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشأ يقول:

إليك إله الخلق أرفع رغبتني
وإن كنت يا ذا المن والجود مجرماً
ولما قسا قلبي، وضافت مذاهبي
جعلت الرجاء مني لعفوك سلماً
تعاظمتني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فما زلت ذا عفوك عن الذنب
لم تزل مجوداً وتعفو منةً وتكرماً
فلولاك لم يصمد لإبليس عابداً
فيا ليت شعري هل أصير لجنة
فإن تعف عني تعف عن متمرّد
وإن تتقم مني فلست بأيسر
ظلم غشوم لا يزال مأثماً
فلله در العارف الذنب إنه
ولو أدخلوا نفسي بجرم جهنماً
يقيم إذا ما الليل مدّ ظلامه على
تفيض لفرط الوجد أجفانه دماً
فصيحاً إذا ما كان في ذكر ربه وفي
نفسه من شدة الخوف مأثماً
ويذكر أياماً مضت من شبابه وما
ما سواه في الوري كان أعجباً
فصار قرين لهم طول نهاره أحياناً
كان فيها بالجهالة أجرباً
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي
الشهد والنجوى إذا الليل أظلماً
ألست الذي غذيتني وهديتني
كفى بك للراجين سؤلاً ومغناً
عسى من له الإحسان يغفور زلتني
ولا زلت منانا عليّ ومنعماً

ويستر أوزاري وما قد تقدماً. (تاريخ دمشق ٥١ / ٤٣١)

٥٢- باب الجمع بين الفؤاد والرجاء

اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يمحص الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتاب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك قال الله تعالى: فلا يأمّن مكر الله إلا القوم الخاسرون [الأعراف: ٩٩]، وقال تعالى: إنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون [يوسف: ٨٧]، وقال تعالى: يوم تبيض وجوه وتسود وجوه [آل عمران: ١٠٦]، وقال تعالى: إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم [الأعراف: ١٦٦]، وقال تعالى: إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم

[الانفطار : ١٣-١٤] ، وقال تعالى : فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأَمُّهُ هَاوِيَةٌ [القارعة : ٦-٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة . فَيَجْتَمِعُ الْخَوْفُ وَالرَّجَاءُ فِي آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أَوْ آيَاتٍ أَوْ آيَةٍ .

٤٤٣- وعن أبي هريرة . رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ . مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ » رواه مسلم .

٤٤٤- وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوْ الرَّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ : قَدُّمُونِي قَدُّمُونِي ، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ ، قَالَتْ : يَا وَيْلَهَا ، أَيَنْ تَذْهَبُونَ بِهَا ؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ ، وَلَوْ سَمِعَهُ لَصَعِقَ » رواه البخاري .

٤٤٥- وعن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن هشام بن عروة قال : كتب رجل إلى صاحب له : إذا أصبت من الله شيئاً يسرك فلا تأمن أن يكون فيه من الله مكر فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون . عن زيد بن أسلم ، أن الله تبارك وتعالى قال للملائكة : ما هذا الخوف الذي قد بلغكم ، وقد أنزلتكم المنزلة التي لم أنزلها غيركم ؟ قالوا : ربنا لا نأمن مكر ، لا يأمن مكر إلا القوم الخاسرون . عن إسماعيل بن رافع قال : من الأمان لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . (تفسير الدر المنثور ٦/٤٨٧)

ولا تياسوا من روح الله أي لا تقنطوا من فرج الله ؛ قاله ابن زيد ، يريد : أن المؤمن يرجو فرج الله والكافر يقنط في الشدة . وقال قتادة والضحاك : من رحمة الله . (تفسير الطبري ٩/٢٢٠)

عن قتادة قوله : يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، الآية ، لقد كفر أقوام بعد إيمانهم كما تسمعون ، ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : والذي نفس محمد بيده ، ليردن على الحوض ممن

صحبني أقوام ، حتى إذا رفعوا إلي ورأيتهم ، اختلجوا دوني ، فلا أقولن : رب! أصحابي! أصحابي! فليقالن : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك !وقوله : وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل : ففي رحمة الله هم فيها خالدون.(الطبرى ٧ / ٩٤)
(إن ربك سريع العقاب) لأن ما هو آت فهو سريع قريب ، قيل : هو الهلاك في الدنيا ، وإنه لغفور رحيم. قال عطاء : سريع العقاب لأعدائه غفور لأوليائه رحيم بهم. (تفسير البغوى ٣ / ٢١٢)
(إن الأبرار لفي نعيم) عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنما ساهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء. (تفسير بن كثير)

عن مجاهد :فهو في عيشة راضية يقول : في عيشة قد رضيها في الجنة . عن قتادة :وأما من خفت موازينه فأمه هاوية .وهي النار هي ماوهم .(تفسير الطبرى ٢٤ / ٥٢٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال لقمان لابنه : يا بني أرج الله رجاء لا يجرك على معصيته و خف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته.
(شعب الإيوان للبيهقى ٢ / ١٨)

كان يحيى بن معاذ يقول في مناجاته : إلهي ! إن كان قد صغر في جنب عطائك عملي فقد كبر في جنب رجائك أُملي.(شعب الإيوان للبيهقى ٢ / ١١)

قال يحيى بن معاذ الرازي: الإيوان ثلاثة الخوف والرجاء والمحبة وفي جوف الخوف ترك الذنوب وفيه النجاة من النار وفي جوف الرجاء الطاعة وفيه وجوب الجنة وفي جوف المحبة احتمال المكروهات وبه جد رضا الله عز وجل.(شعب الإيوان للبيهقى ٢ / ١٣)

قال يحيى بن معاذ: كيف أخافك وأنت كريم ؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز ؟ فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني فلارجائي يدعني فأموت خوفا ولا خوفا يتركني فأحيى فرحا . (شعب الإيوان ٢ / ١٣)
قال يحيى بن معاذ: يستقى الخوف من بحر عدله ويستقى الرجاء من بحر فضله وقد سبق القضاء أن رحمته سبقت غضبه.(شعب الإيوان للبيهقى ٢ / ١٣)

عن مطرف أنه تلا هذه الآية:(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ)
(الرعد ٦) فقال لو يعلم الناس قدر مغفرة الله وعفو الله وتجاوز الله لقرت أعينهم ولو يعلم الناس نكال الله ونقم الله وبأس الله وعذاب الله ما رقأ لهم دمع ولا انتفعوا بطعام ولا شراب.(شعب الإيوان ٢ / ١١)

قال مطرف: كنا نأتي زيد بن صوحان فكان يقول: يا عباد الله أكرموا و أجملوا فإننا وسيلة العباد إلى الله عز و جل خصلتان: الخوف و الطمع (اى الطمع فى رحمه الله). (شعب الإيمان ١١ / ٢)
قال شعبة: لو وزن خوف المؤمن و رجاءه ما زاد خوفه على رجائه و لا رجاءه على خوفه.

(شعب الإيمان للبيهقى ١٢ / ٢)

عن معاوية بن قرة : أنه جلس و رجل من التابعين يتذاكران فقال أحدهما : إني لأرجو و أخاف و قال الآخر : إنه من رجا شيئاً طلبه و إنه من خاف من شيء هرب منه و ما حسب امرئ يرجو شيئاً يطلبه و ما حسب امرئ يرجو شيئاً لا يهرب منه ؟. (شعب الإيمان للبيهقى ١٣ / ٢)

قال ذا النون يقول : وجدت حجراً فإذا عليه مكتوب : كل مطيع مستأنس و كل عاص مستوحش

وكل راج طالب و كل خائف هارب و كل محب ذليل. (شعب الإيمان للبيهقى ١٣ / ٢)

قال ذو النون : الخوف رقيب العمل و الرجاء شفيح المحن. (شعب الإيمان للبيهقى ٢٥ / ٢)

قال أبو عثمان المغربي : من حمل نفسه على الرجاء تعطلّ و من حمل نفسه على الخوف قنط ولكن من هذه مرة و من هذه مرة. (شعب الإيمان للبيهقى ٢١ / ٢)

عن الحسن قال: إن هذا الحق: جهد الناس و حال بينهم و بين شهواتهم؛ فو الله، ما صبر عليه، إلا من عرف فضله، و رجاء عاقبته. (حليه الأولياء ١٩٦ / ٦ - ١٩٧)

قال ابو يعقوب السوسى: العابد يعبد الله تحذيراً و العارف يعبد الله تشريفاً و العالم يعبد الله خائفاً و راجياً
(شعب الإيمان للبيهقى ١١ / ٢)

قال ابو سليمان الدراني يقول : إذا غلب الرجاء على الخوف فسد القلب . (شعب الإيمان ١٠ / ٢)

قال الواسطى : الخوف و الرجاء زمامان على النفوس لئلا تخرج إلى رعونتها . (الرساله القشيريّه ٦٠ / ١)

قال ابو علي الروذباري: الخوف و الرجاء هما كجناحي الطائر إذا استويا استوي الطير و تم طيرانه وإذا نقص واحد منهما وقع فيه النقص وإذا ذهب جميعا صار الطائر في حد الموت لذلك قيل : لو وزن خوف

المؤمن و رجاءه لا اعتدلا. (شعب الإيمان للبيهقى ١٢ / ٢)

قال ابن القيم : القلب فى سيره إلى الله عز و جل بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه و الخوف و الرجاء جناحاه؛

فمتى سلم الرأس و الجناحان فالطائر جيد الطيران، و متى قطع الرأس مات الطائر، و متى فقد الجناحان

فهو عرضة لكل صائد وكاسر. (مدارج السالكين ١/٥١٧)

وقال ايضا: الخوف علامة صحة الإيمان و ترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه. (مدارج السالكين ١/٥١٥)
وقال ايضا: الخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله عز وجل ، فإن تجاوز هذا خيف منه اليأس والقنوط. (مدارج السالكين ١/٥١٤)

قال ابن رجب: والقدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فان زاد على ذلك بحيث صار باعثا للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات والإنكفاف عن دقائق المكروهات والتبسط في فضول المباحات كان ذلك فضلا محمودا فان تزايد على ذلك بأن أورث مرضا أو موتا أو هما لازما بحيث يقطع عن السعي في اكتساب الفضائل المطلوبة المحبوبة لله عز وجل لم يكن محمودا.

(التخويف من النار ص ١٩)

الآثار العملية من حياة السالك :

نقل الحافظ ابن كثير: أن خادماً لعبد الله بن عمر أذنب فأراد ابن عمر أن يعاقبه على ذنبه فقال: يا سيدي أما لك ذنب تخاف الله تعالى منه؟ قال: بلى قال: فبالذي أمهلك لما أمهلتني ثم أذنب العبد ثانياً فأراد عقوبته، فقال له مثل ذلك فعفا عنه ثم أذنب الثالثة. فعاقبه وهو لا يتكلم. فقال له ابن عمر: مالكم تقل ما قلت في الأولتين؟ فقال: يا سيدي حياءً من حلمك مع تكرار جرمي. فبكى ابن عمر وقال: أنا أحمق بالحياء من ربي أنت حر لوجه الله تعالى. (البداية والنهاية ٣٠٠/١٧)

٥٤- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقاً إليه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَيَجْرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء : ١٠٩] ، وقال تَعَالَى : أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ [النجم : ٥٩] .

٤٤٦- وعن أبي مسعود ، رضي الله عنه . قال : قال لي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قلتُ : يا رسولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ ، قال : «إِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي» فقرأتُ عليه سورةَ النساءِ حتى جئتُ إلى هذه الآية : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } [الآية : ٤١] قال : « حَسْبُكَ الْآنَ » فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ . فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذَرِفَانِ . متفقٌ عليه .

٤٤٧- وعن أنس ، رضي الله عنه ، قال : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ ، فَقَالَ : « لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا » قَالَ : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَجُوهَهُمْ . وَلَهُمْ خَنِينٌ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . وَسَبَقَ بَيَانُهُ فِي بَابِ الْخَوْفِ .

٤٤٨- وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَذُخَانُ جَهَنَّمَ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤٤٩- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا لِلَّهِ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ . وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ . اجْتَمَعَا عَلَيْهِ . وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ . فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ . وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِئْنَهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينَهُ . وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفقٌ عليه .

٤٥٠- وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ . رضي الله عنه . قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُصَلِّيُ وَجُوفِهِ أَرِيزٌ كَأَرِيزِ الْمَرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ .

حديث صحيح رواه أبو داود . والتَّرمِذِيُّ فِي السَّمَائِلِ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

٤٥١- وعن أنسٍ رضي الله عنه . قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لِأَبِي بِنِ كَعْبٍ . رضي الله عنه : « إِنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : لَمْ يَكُنْ الَّذِينَ كَفَرُوا » قَالَ : وَسَمَّانِي ؟ قَالَ : « نَعَمْ » فَبَكَى أَبِي . متفقٌ عليه . وفي رواية : فَجَعَلَ أَبِي يَبْكِي .

٤٥٢- وعنه قال : قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعَمْرٍ ، رضي الله عنهما . بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ . رضي الله عنها . نَزُرُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَزُورُهَا . فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا بَكَتْ . فَقَالَا لَهَا : مَا يُبْكِيكَ ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : إِنِّي لَا أَبْكِي ، أَنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنِّي أَبْكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى الْبُكَاءِ ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا

رواه مسلم. وقد سبق في باب زيارة أهل الخير .

٤٥٣- وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : « لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ فَقَالَ : « مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ » فقالت عائشة ، رضي الله عنها : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ غَلَبَهُ الْبُكَاءُ » فقال : « مُرُّهُ فَلْيُصَلِّ » .

وفي رواية عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : قلت : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ . متفق عليه .

٤٥٤- وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوفٍ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُتِيَ بِطَعَامٍ وَكَانَ صَائِمًا ، فَقَالَ : قَتَلَ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، فَلَمْ يُوَجَدْ لَهُ مَا يُكْفِنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ إِنْ غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ ، ثُمَّ بَسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بَسِطَ أَوْ قَالَ : أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا قَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عَجَلَتْ لَنَا . ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَامَ . رواه البخاري .

٤٥٥- وعن أبي أمامة صُدِّيِّ بْنِ عَجْلَانَ الْبَاهِلِيِّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ . وَأَثَرَيْنِ : قَطْرَةٌ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَقَطْرَةٌ دَمٍ تُهْرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَمَّا الْأَثْرَانِ فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ تَعَالَى » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ . وفي البابِ أحاديثٌ كثيرةٌ منها :

٤٥٦- حديثُ العرْباضِ بْنِ سَارِيَةَ . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ . وقد سبق في باب النهي عن البدع .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية :

قوله تعالى : ويخرون للأذقان هذه مبالغة في صفتهم ومدح لهم . وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئاً أن يجري إلى هذه المرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويدل . وفي مسند الدارمي أبي محمد عن التيمي قال : من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علماً ؛ لأن الله تعالى نعت

العلماء ، ثم تلا هذه الآية . ذكره الطبري أيضا . والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحين . وقال الحسن : الأذقان عبارة عن اللحي . أي يضعونها على الأرض في حال السجود وهو غاية التواضع . واللام بمعنى على تقول سقط لفيه أي على فيه وقال ابن عباس : أي للوجه وإنما خص الأذقان بالذكر لأن الذقن أقرب شيء من وجه الإنسان قال ابن خويز منداد: ويجوز السجود على الذقن لأن الذقن هاهنا عبارة عن الوجه وقد يعبر بالشيء عما جاوره وبيعضه عن جميعه فيقال خر لوجهه ساجدا وإن كان لم يسجد على خده وعينه. (تفسير الطبري ٣٠٧/١٠)

عن عبد الأعلى التيمي قال : إن من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن قد أوتي من العلم ما لا ينفعه؛ لأن الله نعت أهل العلم فقال : ويخرون للأذقان يبكون . عن أبي حازم، أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل وعنده رجل يبكي، فقال : من هذا؟ قال : "فلان" . قال جبريل : إنا نزن أعمال بني آدم كلها إلا البكاء، فإن الله يطفىء بالدمعة نهورا من نيران جهنم. عن الجعد أبي عثمان قال : بلغنا أن داود قال : إلهي، ما جزاء من فاضت عيناه من خشيتك؟ قال : جزاؤه أن أوّمنه يوم الفزع الأكبر. (تفسير الدر المنثور ٤٦٠/٩)

عن مجاهد في قوله : أفمن هذا الحديث قال : القرآن. قال ابن عباس : لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم. أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون فما رأي النبي صلى الله عليه وسلم بعدها ضاحكا حتى ذهب من الدنيا. عن أبي هريرة قال : لما نزلت : أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون بكى أصحاب الصفة حتى جرت دموعهم على خدودهم فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ بكى معهم، فبكينا ببكائه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يلج النار من بكى من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية الله ولو لم تذبوا لجاؤا الله بقوم يذنبون فيغفر لهم. (تفسير الدر المنثور ٥٩/١٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان أبو بكر الصديق أسيفاً كثير البكاء وكان يقول : ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وكان إذا قام الى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل. (حليه الأولياء ٣٣/١)

بعث أبو موسى الأشعري إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال : أنتم خيار أهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان

قبلكم. (صحيح مسلم ١٠٥٠)

قال ابن مسعود: ما كان بين اسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الاية: (أَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ

لِذِكْرِ اللَّهِ) (الحديد-١٦) الا أربع سنين. (صحيح مسلم ٣٠٢٧)

قال جعفر بن برقان: بلغنا: أن سلمان الفارسي كان يقول: أضحكني ثلاث، وأبكاني ثلاث: ضحكت

من مؤمل الدنيا، والموت يطلبه؛ وغافل لا يغفل عنه؛ وضاحك ملء فيه، لا يدري أمسخط ربه، أم

مرضيه؛ وأبكاني ثلاث: فراق الأحبة، محمد وحزبه؛ وهول المطلع عند غمرات الموت؛ والوقوف بين

يدي رب العالمين، حين لا أدري: إلى النار انصرافي أم إلى الجنة. (حليه الأولياء ١/٢٠٧)

قال محمد ابن واسع: لقد أدركت رجلاً كان الرجل يكون رأسه مع رأس امرأته على وسادة واحدة قد

بل ما تحت خده من دموعه لا تشعر به امرأته ولقد أدركت رجلاً يقوم أحدهم في الصف فتسيل دموعه

على خده ولا يشعر به الذي إلى جانبه. (حليه الأولياء ٢/٣٤٧)

عن كعب الأحبار قال: وجدت في التوراة: من خرج من عينه مثل الذباب من الدمع، من خشية الله،

أمنه الله من عذاب جهنم. (حليه الأولياء ٥/٣٧٠)

وعنه قال: ما من رجل بكى من خشية الله، فتسيل دموعه على الأرض، فتقطر، فتصبيه النار، أبداً، حتى

يرجع قطر السماء، إذا وقع على الأرض من السماء. (حليه الأولياء ٥/٣٦٦)

وعنه قال: لأن أبكي من خشية الله، فتسيل دموعي على وجعتي؛ أحب إلي من أن أتصدق بوزني ذهباً.

(حليه الأولياء ٥/٣٦٦)

عن عبد الواحد بن يزيد قال: يا إخوتاه، ألا تبكون خوفاً من النيران؟ ألا، وإنه من بكى خوفاً من النار:

أعاده الله تعالى منها؛ يا إخوتاه: ألا تبكون خوفاً من شدة العطش يوم القيامة؟ يا إخوتاه: ألا تبكون؟

بلى، فابكوا على الماء البارد أيام الدنيا، لعله أن يسقيكموه في حظائر القدس، مع خير القدماء

والأصحاب: من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. قال: ثم جعل

يبكي، حتى غشى عليه. (حليه الأولياء ٦/١٦١)

عن الحارث بن عبيد قال: كان عبد الواحد بن زيد يجلس إلى جنبي عند مالك بن دينار، فكنت لا أفهم

كثيراً من موعظة مالك، لكثرة بكاء عبد الواحد. (حليه الأولياء ٦/١٥٩)

قال يزيد بن ميسرة: البكاء من سبعة أشياء: من الفرح، والحزن، والفرع، والوجع، والرياء، والشكر، وبكاء من خشية الله؛ فذلك الذي تطفئ الدمعة منه أمثال الجبال من النار. (الحليه ٥ / ٢٣٥)

قال حفص بن حميد: قال لي زياد بن جرير: اقرأ علي فقرأت عليه (ألم نُشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ. وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزَرَكَ. الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ) (الشرح: ١-٣) فقال: يا ابن أم زياد: أنقض ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فجل يبكي كما يبكي الصبي. (حليه الأولياء ٤ / ١٩٧)

قال الحسن البصري: ان اقواما بكت اعينهم ولم تبك قلوبهم فمن بكت عيناه فليبك قلبه. (مصنف ابن ابي شيبة ٧ / ١٨٩)

قال ثور: قرأت في بعض الكتب: بكاء المؤمن في قلبه وبكاء المنافق في عينه. (حليه الأولياء ٦ / ٩٥)
عن أبي سليمان - الداراني - قال: عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير. (حليه الأولياء ٩ / ٢٧٤)
قال ابن القيم: ومتى أفحطت العين من البكاء من خشية الله تعالى فاعلم أن قحطها من قسوة القلب وأبعد القلوب من الله: القلب القاسي. وكان كثير من السلف يجب أن يكون من البكائين، ويفضلونه على بعض من الطاعات. وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيز من القلب الذي لا يخشع فيقول: اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها. (بدائع الفوائد ٣ / ٧٤٣)

قال أبو جعفر الضريير قال لي صالح بن عبد الكريم: (الركة والبكاء لا بن أبي الدنيا ١ / ٢٤)

بَكَى الْبَاكُونَ لِلرَّحْمَنِ لَيْلًا وَبَاتُوا دَمْعُهُمْ مَا يَسْأَمُونَا

بِقَاعِ الْأَرْضِ مِنْ شَوْقِي إِلَيْهِمْ تَحْنُ مَتَى عَلَيْهَا يَسْجُدُونَا

الآثار العملية من حياة السلف:

قالت عائشة رضي الله عنها: وكان أبو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن. (البخارى ٤٧٦)
عن أبي صالح قال: لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر، وسمعوا القرآن، جعلوا يبكون؛ فقال أبو بكر: هكذا كنا، ثم قست القلوب. (حليه الأولياء ١ / ٣٤)

كانت عائشة رضي الله عنها تقرأ: (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ) (الأحزاب ٣٣) فتبكي حتى تبل خمارها. (حليه الأولياء ٢ / ٤٩).

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسقط مغشياً عليه إذا سمع الآية من القرآن فيعوده الناس أياماً

لا يدرون ما به وما هو إلا الخوف وكان في وجهه رضى الله عنه خطان أسودان من البكاء.

(الداء ولدواء لابن القيم ٦١)

قال هشام بن الحسن: كان عمر يمر بالآية في ورده فتخنقه فيبكي حتى يسقط ثم يلزم بيته حتى يعاد يحسبونه مريضاً. (حليه الأولياء ١/ ٥١)

قال ابن عمر: صليت خلف عمر فسمعت خنيه من وراء ثلاثة صفوف. (حليه الأولياء ١/ ٥٢)

وعثمان بن عفان رضى الله عنه إذ وقف على القبر يبكي حتى تبتل لحيته ويقول: لو أنني بين الجنة والنار لا أدري إلى أيتهما يؤمر بي لاخترت أن أكون رمادا قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير.

(حليه الاولياء حديث رقم ١٧٩ - الداء والدواء ٦١)

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: لما أتت عبد الله بن مسعود وفاة عتبة يعني أخاه بكى فقبل له أتبكي؟ قال كان أخي في النسب وصاحبي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحب مع ذلك أني كنت قبله إن يموت فاحتسبه أحب إلي من أن أموت فيحتسبني. (حليه الأولياء ٤/ ٢٥٣)

قرأ ابن عمر: (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ) (المطففين ١) حتى بلغ (يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ) (المطففين ٦) فبكى حتى خر وامتنع من قراءة ما بعده. (حليه الأولياء ١/ ٣٠٥)

قال نافع: ما قرأ ابن عمر هاتين الآيتين قط من سورة البقرة إلا بكى (وَإِنْ تَبُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ) (البقرة ٢٨٤) ثم يقول: ان هذا الإحصاء لشديد. (حليه الأولياء ١/ ٣٠٥)

قال عروة بن الزبير: دخلت على أسماء وهي تصلي فسمعتها وهي تقرأ هذه الآية (فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ) (الطور ٢٧) فاستعادت فقمتم وهي تستعيز فلما طال علي أتيت السوق ثم رجعت وهي في بكائها تستعيز. (حليه الأولياء ٢/ ٥٥)

قال عروة بن الزبير: لما أراد ابن رواحة الخروج إلى أرض مؤتة من الشام أتاه المسلمون يودعونهم فبكى، فقالوا له: ما يبكيك؟ قال: أما والله، ما بي حب الدنيا ولا صباة لكم ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقرأ هذه الآية: (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا) (مريم ٧١) فقد علمت أني وارد النار، ولا أدري كيف الصدر بعد الورود. (حليه الأولياء ١/ ١١٨)

عن سعد عن أبيه قال: أتى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يوما بطعامه فقال: قتل مصعب بن عمير

وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة لقد خشيت أن يكون قد عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي .

(رواه البخاري رقم ١٢١٥)

بات هرم بن حيان العبدى عند حممة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فبات حممة ليلته يبكي كلها حتى أصبح، فلما أصبح، قال له هرم بن حيان: يا حممة ما أبكاك؟ قال: ذكرت ليلة صبيحتها تبعثر القبور فتخرج من فيها، وتناثر نجوم السماء، فأبكاني ذلك. قال: وكانا يصطحبان أحياناً بالنهار فيأتيان سوق الريحان فيسألان الله تعالى الجنة ويدعوان ثم يأتیان الحدادين فيتعوذان من النار ثم يفترقان إلى منازلهما. (حليه الأولياء ٢/٣٤٧)

عن حماد بن زيد قال: دخلنا على محمد بن واسع في مرضه نعوذ قال فجاء يحيى البكاء يستأذن عليه فقالوا يا أبا عبد الله هذا أخوك أبو سلمة على الباب قال من سلمة؟ قالوا يحيى قال من يحيى؟ قالوا يحيى البكاء قال حماد: وقد علم أنه يحيى البكاء فقال إن شر أيامكم يوم نسبتم فيه إلى البكاء.

(حليه الأولياء ٢/٣٤٧)

وقال مقاتل بن حيان : صليت وراء عمر بن عبد العزيز فقراً (وقفوهم إنهم مسئولون) فجعل يكررها وما يستطيع أن يجاوزها . وقالت امرأته فاطمة : ما رأيت أحداً أكثر صلاة وصياماً منه ، ولا أحداً أشد فرقا من ربه منه ، كان يصلي العشاء ثم يجلس يبكي حتى تغلبه عينه ، ثم ينتبه فلا يزال يبكي حتى تغلبه عينه . قالت : ولقد كان يكون معي في الفراش فيذكر الشيء من أمر الآخرة ؛ فيتنفض كما يتنفض العصفور في الماء ، ويجلس يبكي فأطرح عليه اللحف رحمة له وأنا أقول : يا ليت كان بيننا وبين الخلافة بعد المشرقين فوالله ما رأينا سرورا منذ دخلنا فيها . (البدايه والنهايه ١٢ / ٧٠٥)

حضر محمد بن واسع محضراً فيه بكاء، فلما فرغوا أتوا بالطعام، فتنحى محمد بن واسع ناحية، فجلس؛ فقالوا له: يا أبا بكر، ألا تدنوا إلى الطعام فتأكل؟ قال: إنما يأكل من بكى. كأنه يعيب عليهم الطعام بعد

البكاء، أو مع البكاء. (حليه الأولياء ٢/٣٤٧)

قال ميمون بن مهران: قال لي عمر بن عبد العزيز: حدثني يا ميمون قال: فحدثته حديثاً بكى منه بكاء شديداً فقلت: يا أمير المؤمنين، لو علمت أنك تبكي هذا البكاء لحدثتك حديثاً ألين من هذا فقال: يا

ميمون، إنا نأكل هذه الشجرة العدس وهي ما علمت مرقة للقلب مغزرة للدمعة مذلة للجسد.

(حليه الأولياء ٥ / ٢٧١-٢٧٢)

مرض عامر بن عبد قيس فبكى فقبل لهما يبكيك وقد كنت وقد كنت؟ فيقول مالي لا أبكي ومن أحق بالبكاء مني والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت ولكن لبعد سفري وقلة زادي وإني أمسيت في صعود وهبوط جنة أو نار فلا أدري إلى أيها أصير. (حليه الأولياء ٢ / ٨٨)

سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه فقال: لا تلو موني فإن يعقوب فقد سبطاً من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه ولم يعلم أنه مات وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي في غزاة واحدة أفترزون حزنهم يذهب من قلبي؟. (حليه الأولياء ٣ / ١٣٦)

قال عبد الرحمن بن عجلان: بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة فقام يصلي فمر بهذه الآية :

(أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ) (الجاثية ٢١) فمكث ليلته حتى أصبح ما جاوز هذه الآية إلى غيرها يبكاء شديداً. (حليه الأولياء ٢ / ١١٢)

عن أشعث بن سوار قال: دخلت على يزيد الرقاشي في يوم شديد الحر فقال: يا أشعث تعال حتى نبكي على الماء البارد في يوم الظمأ ثم قال: والهفاه سبقني العابدون وقطع بي وكان قد صام اثنتين وأربعين سنة. (حليه الأولياء ٣ / ٥٠)

قال ربيع بن عتاب: كنت أمشي مع زياد ابن جرير، فسمع رجلاً يحلف بالأمانة؛ قال: فنظرت إليه وهو يبكي، قلت: ما يبكيك؟ فقال: أما سمعت هذا يحلف بالأمانة؟ فلئن تحك أحشائي حتى تدمي، أحب إلي من أحلف بالأمانة. (حليه الأولياء ٤ / ١٩٦)

مر الربيع بن أبي راشد برجل به زماعة، فجلس يحمد الله ويبكي، فمر به رجل؛ فقال: ما يبكيك رحمك الله؟ قال: ذكرت أهل الجنة وأهل النار، فشبته أهل الجنة بأهل العافية، وأهل النار بأهل البلاء؛ فذلك الذي أبكاني. (حليه الأولياء ٥ / ٧٨)

قال عاصم: سمعت شقيق بن سلمة يقول وهو ساجد: رب اغفر لي رب اعف عني إن تعف عني فطولا من فضلك وإن تعذبني غير ظالم لي ولا مسبوق قال: ثم يبكي حتى أسمع نحيبه من وراء المسجد. (حليه الأولياء ٤ / ١٠٢)

عن سفيان الثوري قال: جلست ذات يوم، ومعنا سعيد بن السائب الطائفي؛ فجعل سعيد يبكي، حتى رحمته؛ فقلت له: يا سعيد، ما يبكيك، وأنت سمعتني أذكر أهل الجنة؟ قال سعيد: يا سفيان، ما يمنعي أن أبكي، وإذا ذكرت مناقب الخير، رأيتني عنها بمعزل؟ قال سفيان: وحق له أن يبكي.
(حليه الأولياء ٣٧/٧ - ٣٨)

عن سفيان قال: كان ربيعة بن أبي عبد الرحمن يوماً جالساً، فغطى رأسه، ثم اضطجع فبكى فقبل لها بيكيك؟ قال: رياء ظاهر وشهوة خفيه. (حليه الأولياء ٢٥٩/٣)
قال عطاء الخفاف: ما لقيت سفيان الثوري إلا باكياً فقلت ما شأنك؟ قال أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً. (حليه الأولياء ٥١/٧)

عن إبراهيم النخعي: أنه بكى في مرضه، فقالوا له: يا أبا عمران، ما يبكيك؟ قال: وكيف لا أبكي، وأنا انظر رسولاً من ربي يبشرني، إما بهذه، وإما بهذه؟. (حليه الأولياء ٢٢٤/٤)
عن حماد بن زيد قال: غلب أيوب السخيتاني البكاء يوماً، فقال: الشيخ إذا كبر مج، وغلبه فوه، فوضع يده على فيه؛ وقال: الزكمة ربا عرضت. (حليه الأولياء ٣٢٣/٣)

عن ثابت البناني أنه قرأ: (تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) (الهمزة ٧) قال: تأكله إلى فؤاده وهو حي لقد تبلغ فيهم العذاب؛ ثم بكى، وأبكى من حوله. (حليه الأولياء ٣٢٣/٢)
عن الشافعي قال: قرأ رجل وإنسان حاضر: (فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ) (محمد ٤) فجعل الرجل يبكي فقبل له يا بغيض هذا موضع بكاء. (حليه الأولياء ١٣٨/٩)

قال عبد الله بن رباح: كان صفوان بن محرز المازني إذا قرأ هذه الآية: (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) (الشعراء ٢٢٧) بكى حتى أقول: اندق قصيص زورة. (حليه الأولياء ٦١/١)
كان مالك بن دينار إذا قام في محرابه قال: يارب قد عرفت ساكن الجنة وساكن النار ففي أي الدارين مالك ثم بكى. (حليه الأولياء ٣٨٣/٢)

عن نسير بن ذعلوق قال: كان الربيع بن خثيم يبكي، حتى تبل لحيته دموعه؛ فيقول: أدركنا أقواماً، كنا في جنبهم لصوصاً. (حليه الأولياء ١٠٨-١٠٩/٢)

قال أبي هارون: كان عون بن عبد الله بن عتبة يحدثنا، ولحيته ترتش بالدموع. (حليه الأولياء ٢٩٤/٤)

قال الحسن بن علي بن مسلم السكوني: كان لأبي بكر بن أبي مريم في خديه مسلكتاً من الدموع .
(حليه الأولياء ٨٩ / ٦)

قال حماد بن زيد: رأيت ثابتاً البناي يبكي، حتى أرى أضلاعه تختلف. (حليه الاولياء ٣٢٢ / ٢)
قال مكحول: رأيت رجلاً يصلي وكلما ركع وسجد بكى؛ فاتهمته أنه يرائي، فحُرمت البكاء سنة.
(حليه الاولياء ١٨٤ / ٥)

قال القاسم بن أبي أيوب الأعرج: كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عمش. (الحليه ٢٧٢ / ٤)

٥٥- باب فضل الرهد في الدنيا

والعش على النخل منها ونخل الفخر

قَالَ اللهُ تَعَالَى : إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ
النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَيَّنَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا
أَمْرٌ نَاقِلٌ أَوْ يَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
[يونس : ٢٤] ، وقال تَعَالَى : وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا [الكهف : ٤٥-٤٦] ، وقال تَعَالَى :
اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ
أَعْجَبَ الْكُفَّارَ بِنَاتِهِ ثُمَّ يَسِيحُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ
اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ [الحديد : ٢٠] ، وقال تَعَالَى : زِينٌ لِلنَّاسِ حُبُّ
الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ
وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاَبِ [آل عمران : ١٤] ، وقال تَعَالَى : يَا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهُ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ اللهُ الْعُرُورُ [فاطر : ٥] ، وقال
تَعَالَى : أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ
تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ [التكاثر : ١-٥] ، وقال تَعَالَى : وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا هُوَ وَلَعِبٌ وَإِنَّ

الدَّارَ الْآخِرَةَ هِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ [العنكبوت : ٦٤] والآيات في الباب كثيرة مشهورة .

وأما الأحاديث فأكثر من أن تحصر فننبه بطرف منها على ما سواه :

٤٥٧- عن عمرو بن عوف الأنصاري . رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ ، رضي الله عنه ، إلى الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجَزْيَتِهَا فَقَدِمَ بِهَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتْ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، فَوَافُوا صَلَاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، انصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَأَاهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ » فَقَالُوا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : « أَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ، فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ . وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا . فَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ » متفقٌ عليه .

٤٥٨- وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه . قَالَ : جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ . فَقَالَ : « إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزَيَّتِهَا » متفقٌ عليه .

٤٥٩- عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا ، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النَّسَاءَ » رواه مسلم .

٤٦٠- وعن أنس رضي الله عنه . أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ » متفقٌ عليه .

٤٦١- وعنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ : أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ : فَيَرْجِعُ اثْنَانِ . وَيَبْقَى وَاحِدٌ : يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ » متفقٌ عليه .

٤٦٢- وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً ثُمَّ يُقَالُ : يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ »

فيقول : لا والله يارب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً في الدنيا من أهل الجنة فيصعب صبغة في الجنة ، فيقال له : يا ابن آدم هل رأيت بؤساً قط ؟ هل مر بك شدة قط ؟ فيقول : لا ، والله ، ما مر بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » رواه مسلم .

٤٦٣- وعن المستورد بن شداد رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أضعه في اليم . فلينظر بيم يرجع ؟ » رواه مسلم .

٤٦٤- وعن جابر ، رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالسوق والناس كتفيه ، فمر بجذبي أسك ميث ، فتناوله ، فأخذ بأذنيه ، ثم قال : « أيكم يحب أن يكون هذا له بدرهم ؟ » فقالوا : ما نحب أنه لنا بشيء ، وما نصنع به ؟ ثم قال : « أحببون أنه لكم ؟ » قالوا : والله لو كان حياً كان عيباً ، إنه أسك . فكيف وهو ميث ، فقال : « فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم » رواه مسلم . قوله « كتفيه » أي : عن جانبه . و « الأسك » الصغير الأذن .

٤٦٥- وعن أبي ذر رضي الله عنه ، قال : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، في حرة بالمدينة ، فاستقبلنا أحد فقال : « يا أبا ذر » . قلت : لبيك يا رسول الله . فقال : « ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهباً تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه دينار ، إلا شيء أُرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا » عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ، ثم سار فقال : « إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا » عن يمينه ، وعن شماله ، ومن خلفه « وقليل ما هم » . ثم قال لي : « مكانك لا تبرح حتى آتيك » . ثم انطلق في سواد الليل حتى توارى ، فسمعت صوتاً قد ارتفع ، فتحوفت أن يكون أحد عرّض للنبي صلى الله عليه وسلم فأردت أن آتية فدكرت قوله : « لا تبرح حتى آتيك » فلم أبرح حتى آتاني ، فقلت : لقد سمعت صوتاً تحوفت منه ، فدكرت له . فقال : « وهل سمعته ؟ » قلت : نعم ، قال : « ذاك جبريل آتاني فقال : من مات من أمتك لا يشرِك بالله شيئاً دخل الجنة ، قلت : وإن زني وإن سرق ؟ قال : وإن زني وإن سرق » متفق عليه . وهذا لفظ البخاري .

٤٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لو كان لي مثل

أَحَدٌ ذَهَبًا ، لَسَرَنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثَ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِذَيْنِ « متفقٌ عليه .
 ٤٦٧- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ فَوْقَكُمْ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ » متفقٌ عليه وهذا لفظ مسلم .
 وفي رواية البخاري : إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فَضَّلَ عَلَيْهِ فِي الْمَالِ وَالخَلْقِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْهُ .

٤٦٨- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدَّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْحَمِيصَةِ ، إِنْ أُعْطِيَ رُضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ » رواه البخاري .

٤٦٩- وعنه ، رضي الله عنه ، قال : لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِداءٌ ، إِمَّا إِزَارٌ ، وَإِمَّا كِسَاءٌ ، قَدْ رِبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ . وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ . فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كِرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ » رواه البخاري .

٤٧٠- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ » رواه مسلم .

٤٧١- وعن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، قال : أَخَذَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : « كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ ، رضي اللهُ عنهما ، يقول : إِذَا أَمْسَيْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ . رواه البخاري .

قالوا في شرح هذا الحديث معناه لا تَرَكَنَّ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا ، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ الْبَقَاءِ فِيهَا ، وَلَا بِالْأَعْتَاءِ بِهَا ، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ ، وَلَا تَشْتَغَلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغَلُ بِهِ الْغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الدَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ . وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ .

٤٧٢- وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي ، رضي الله عنه ، قال : جاء رجلٌ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَقَالَ : يَا رسولَ اللهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ ، وَأَحَبَّنِي النَّاسُ ، فَقَالَ : « ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ » حديثٌ حسنٌ رواه ابن ماجه

وغيره بأسانيد حسنة .

٤٧٣- وعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ، رضي الله عنهما ، قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، رضي الله عنه ، ما أصاب النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا ، فقال : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَظُلُّ الْيَوْمَ يَتَوَي ما يَجِدُ مِنَ الدَّقْلِ ما يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ . رواه مسلم . « الدَّقْلُ » بفتح الدال المهملة والقاف : رَدِيُّ التَّمْرِ .

٤٧٤- وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : تُوِّفِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفِّي لِي ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلِيٌّ ، فَكَلَّمْتُهُ فَفَنِي . متفق عليه . « شَطْرُ شَعِيرٍ » أَي شَيْءٍ مِنْ شَعِيرٍ . كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمِذِيُّ .

٤٧٥- وعن عمر بن الحارث أخي جُوَيْرِيَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، رضي الله عنهما ، قال : مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا ، وَلَا عَبْدًا ، وَلَا أَمَةً ، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغَلْتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا ، وَسِلَاحَهُ ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً « رواه البخاري »

٤٧٦- وعن خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ ، رضي الله عنه ، قال هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَلْتَمِسُ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ ، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا . مِنْهُمْ مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ ، رضي الله عنه ، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَتَرَكَ نَمْرَةً ، فَكُنَّا إِذَا غَطَيْنَا بِهَا رَأْسَهُ ، بَدَتْ رِجْلَاهُ ، وَإِذَا غَطَيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ ، بَدَا رَأْسُهُ ، فَأَمَرْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الْإِذْخِرِ ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ نَمْرَتُهُ . فَهُوَ يَهْدِيهَا ، متفق عليه .

« النَّمْرَةُ » : كَسَاءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ . وَقَوْلُهُ : « أَيْنَعَتْ » أَي : نَضَجَتْ وَأَذْرَكَتْ وَقَوْلُهُ : « يَهْدِيهَا » هُوَ بَفَتْحِ الْبَاءِ وَضَمِّ الدَّالِ وَكَسْرِهَا . لُغْتَانِ . أَي : يَقْطِفُهَا وَيَجْتَنِيهَا وَهَذِهِ اسْتِعَارَةٌ لِمَا فَتَحَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ مِنَ الدُّنْيَا وَتَمَكَّنُوا فِيهَا .

٤٧٧- وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ ، رضي الله عنه ، قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ » رواه الترمذي . وقال حديث حسن صحيح .

٤٧٨- وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « أَلَا

إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمَا وَالَاهُ وَعَالَمًا وَمُتَعَلِّمًا .
رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

٤٧٩- وعن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْتَغِبُوا فِي الدُّنْيَا » . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

٤٨٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : مرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » فَقُلْنَا : قَدْ وَهِيَ فَنَحْنُ نُصَلِّحُهَا فَقَالَ : « مَا أَرَى الْأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ » . رواه أبو داود ، والترمذي بإسناد البخاري ومسلم ، وقال الترمذي : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤٨١- وعن كعب بن عياض ، رضي الله عنه ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ ، فِتْنَةُ أُمَّتِي الْمَالُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ صحيحٌ .

٤٨٢- وعن أبي عمرو ، ويقال : أبو عبد الله ، ويقال : أبو ليلى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هَذِهِ الْخِصَالِ : بَيْتٌ يَسْكُنُهُ ، وَتَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ وَجِلْفُ الْخُبْزِ ، وَالْمَاءُ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ صحيحٌ .

قال الترمذي : سمعتُ أبا داودَ سليمانَ بنَ سالمِ البلخيِّ يقول : سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ شَمِيلٍ يَقُولُ : الْجِلْفُ : الْخُبْزُ لَيْسَ مَعَهُ إِدَامٌ . وَقَالَ : غَيْرُهُ : هُوَ غَلِيظُ الْخُبْزِ . وَقَالَ الرَّاوِي : الْمُرَادُ بِهِ هُنَا وَعَاءُ الْخُبْزِ ، كَالجَوَالِقِ وَالْحُرْجِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

٤٨٣- وعن عبد الله بن الشَّخِيرِ « بكسر الشين والخاء المشددة المعجمتين » رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ : { أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ } قَالَ : « يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي ، مَالِي ، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟ » رواه مسلم .

٤٨٤- وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ، رضي الله عنه ، قال : قال رجلٌ للنبيِّ ص : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، فَقَالَ : « أَنْظِرْ مَاذَا تَقُولُ ؟ » قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّكَ ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، فَقَالَ : « إِنْ كُنْتَ

مُحِبِّي فَأَعَدَّ لِفَقْرٍ مُجْهَفًا، فَإِنَّ الْفَقْرَ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّهُ مِنَ السَّيْلِ إِلَى مُتْتَهَاهُ» رواه الترمذي وقال حديث حسن. «التَّجْفَافُ» بكسر التاء المثناة فوق وإسكان الجيم وبالفاء المكررة ، وَهُوَ شَيْءٌ يَلْبَسُهُ الْفَرَسُ ، لِيَتَّقَى بِهِ الْأَذَى ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الْإِنْسَانُ .

٤٨٥- وعن كعب بن مالك ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا ذُنْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بَأْفَسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٤٨٦- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وَطَاءً فَقَالَ : « مَا لِي وَلِلدُّنْيَا ؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَكَبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح

٤٨٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ » رواه الترمذي وقال : حديث صحيح .

٤٨٨- وعن ابن عباس ، وعمران بن الحصين ، رضي الله عنهم ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَطْلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ . وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ » متفق عليه . من رواية ابن عباس . ورواه البخاري أيضاً من رواية عمران بن الحصين

٤٨٩- وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قُمْتُ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ ، فَكَانَ عَامَّةً مَنْ دَخَلَهَا الْمَسَاكِينُ . وَأَصْحَابُ الْجِدِّ مُحْبُوسُونَ ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ » متفق عليه . و « الْجِدُّ » الحِطُّ وَالْغِنَى . وقد سبق بيان هذا الحديث في باب فضل الضعفة .

٤٩٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةٌ لَبِيدٍ : أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ » متفق عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : فاختلط به نبات الأرض قال : اختلط فنبت بالماء كل لون مما يأكل الناس كالحنطة والشعير وسائر حبوب الأرض والبقول والثمار وما يأكله الأنعام والبهائم من الحشيش والمراعي . عن قتادة في قوله : وازينت قال : أنبتت وحسنت . وفي قوله : كأن لم تغن بالأمس قال : كأن لم تعش، كأن لم تنعم . (تفسير الدر المنثور ٦٤٨ / ٧)

قوله تعالى : (واضرب لهم) يا محمد أي : لقومك . (مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء . يعني المطر) فاختلط به نبات الأرض) خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) عن قريب (هشيما) يابسا . قال ابن عباس وقال الضحاك : كسيرا والهشيم : ما يبس وتفتت من النباتات (فأصبح هشيما تذرؤه الرياح) قال ابن عباس : تثيره الرياح وقال أبو عبيدة : تفرقه . وقال القتيبي : تنسفه (وكان الله على كل شيء مقتدرا) قادرا . المال والبنون التي يفتخر بها عتبه وأصحابه الأغنياء (زينة الحياة الدنيا) ليست من زاد الآخرة . قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة حرث الآخرة وقد يجمعها الله لأقوام . والباقيات الصالحات . اختلفوا فيها فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد : هي قول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . وقد روينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أفضل الكلام أربع كلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر . (تفسير البغوى ١٧٥ / ٥)

قوله عز وجل : اعلموا أنها الحياة الدنيا أي : أن الحياة الدنيا ، و " ما " صلة ، أي : أن الحياة في هذه الدار (لعب) باطل لا حاصل له (وهو) فرح ثم ينقضي (وزينة) منظر تتزينون به (وتفاخر بينكم) يفخر به بعضكم على بعض (وتكاثر في الأموال والأولاد) أي : مباحة بكثرة الأموال والأولاد ، ثم ضرب لها مثلا فقال : (كمثل غيث أعجب الكفار) أي : الزراع (نباته) ما نبت من ذلك الغيث (ثم يبيح) يبيس (فتراه مصفرا) بعد خضرته ونضرتة (ثم يكون حطاما) يتحطم ويتكسر بعد يبسه ويفنى (وفي الآخرة عذاب شديد) قال مقاتل : لأعداء الله (ومغفرة من الله ورضوان) لأوليائه وأهل طاعته . وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور . قال سعيد بن جبير : متاع الغرور لمن يشتغل فيها بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فله متاع بلاغ إلى ما هو خير منه . (تفسير البغوى)

قوله تعالى : زين للناس حب الشهوات . جمع شهوة وهي ما تدعو النفس إليهم النساء بدأ بهن لأنهن حباتل الشيطان . والبنين والقناطر . جمع قنطار . واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس : القنطار المال الكثير

بعضه على بعض وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه : القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس رضي الله عنهما والضحاك . ألف ومائتا مثقال وعنهما رواية أخرى اثنا عشر ألف درهم وألف (دينار) دية أحدكم ، وعن الحسن القنطار دية أحدكم . قوله تعالى : (المقنطرة) قال الضحاك : المحصنة المحكمة ، وقال قتادة : هي الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض . من الذهب والفضة : وقيل سمي الذهب ذهباً لأنه يذهب ولا يبقى ، والفضة لأنها تنفض أي تفرق والخيل المسومة . الخيل جمع لا واحد له من لفظه واحداً فرس ، كالقوم والنساء ونحوهما ، المسومة قال مجاهد : هي المطهمة الحسان ، وقال عكرمة : تسويمها حسنهما ، وقال سعيد بن جبير : هي الراعية ، يقال : أسام الخيل وسومها قال الحسن وأبو عبيدة : هي المعلمة من السيئ والسيئ العلامة . (والأنعام) جمع النعم ، وهي الإبل والبقر والغنم جمع لا واحد له من لفظه (والحرث) يعني الزرع (ذلك) الذي ذكرنا (متاع الحياة الدنيا) يشير إلى أنها متاع يفنى . والله عنده حسن المآب . أي المرجع ، فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة .

(تفسير البغوى ١٥ / ٢)

عن ابن عباس في قوله : ولا يغرنكم بالله الغرور . يقول : الشيطان . (تفسير الطبرى ٤٣٩ / ٢٠)

عن ابن بريده في قوله أهلكم التكاثر قال نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار ، في بني حارثة وبني الحارث ، تفاخروا وتكاثروا فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان وفلان؟ وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور ، فجعلت إحدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان؟ يشيرون إلى المقابر ، ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك ، فأنزل الله : أهلكم التكاثر حتى زرم المقابر ، لقد كان لكم فيها عبرة وشغل . عن علي بن أبي طالب قال : نزلت أهلكم التكاثر في عذاب القبر . عن الحسن في قوله : أهلكم التكاثر . قال : في الأموال والأولاد كلا سوف تعلمون . قال : وعيد بعد وعيد . عن ابن عباس في قوله : أهلكم التكاثر قال : في الأموال والأولاد . عن قتادة كلا لو تعلمون علم اليقين قال : كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعته بعد الموت . عن ابن عباس في قوله : ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال : صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيم استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله : إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً . قال ابن مسعود في الآية : النعيم الأمن والصحة . عن علي بن أبي طالب أنه سئل عن قوله : ثم لتسألن يومئذ قال النعيم :

من أكل خبز البر وشرب ماء الفرات مبردا وكان له منزل يسكنه فذاك من النعيم الذي يسأل عنه.

(تفسير الدر المنثور ١٥ / ٦٢٢)

عن ابن عباس في قوله : وإن الدار الآخرة هي الحيوان قال : باقية. عن مجاهد في قوله : هي الحيوان قال :

لا موت فيها. عن الضحاك في قوله : هي الحيوان قال : الحياة الدائمة. (تفسير الدر المنثور ١١ / ٥٧١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب: من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب ومن ارتقب الموت سارع في

الخيرات. (الزهد لابن أبي الدنيا ١ / ٥٨)

قال عمرو بن قيس: قيل لعلي: يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن.

(حلية الأولياء ١ / ٨٣)

عن أبي ذر رضى الله عنه قال: ذو الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم. (حلية الأولياء ١ / ١٦٤)

عن ابن عمر أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي صلى

الله عليه وسلم وأبي بكر، وعمر؛ فقال: عن هؤلاء تسأل؟. (حلية الأولياء ١ / ٣٠٧)

عن الأعمش قال: بلغني، أن حذيفة رضى الله عنه يقول: ليس خيركم الذين يتركون الدنيا للآخرة، ولا

الذين يتركون الآخرة للدنيا؛ ولكن: الذين يتناولون من كل. (حلية الأولياء ١ / ٢٧٨)

وقال أبو الدرداء: لئن حلفتكم لي على رجل أنه أزهكم لأحلفن لكم أنه خيركم. (جامع العلوم الحكم ٢٠٤)

قال أبو الدرداء: ثلاث أحبهن، ويكرههن الناس: الفقر، والمرض، والموت. (حلية الأولياء ١ / ٢١٧)

قال عمرو بن العاص: لأن أكون عاشر عشرة مساكين يوم القيامة أحب إلي من عشرة أغنياء فإن

الأكثرين: هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا يقول: يتصدق يميناً وشمالاً. (الحليه ١ / ٢٨٨)

قال ابن مسعود: ركعتين من زاهد قلبه خير له وأحب إلى الله من عبادة المتعبدين المجتهدين إلى آخر

الدهر أبداً سرمداً: ويقول لأصحابه: أنتم أكثر صلاة وصوماً وجهاداً من أصحاب محمد صلى الله عليه

وسلم وهم كانوا خيراً منكم قالوا كيف ذلك؟ قال كانوا أزهدهم في الدنيا، وأرغب منكم في

الآخرة. (إحياء علوم الدين ٤ / ٢٢٥)

قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه: ما منا أحد أدرك الدنيا إلا قد مالت به إلا ابن عمر.

(المستدرك على الصحيحين للحاكم ٦٣٦٩)

قال أبو هريرة: جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد. (الرساله القشيريّه ٢٣٦ / ١)

عن وائلة بن الأسقع قال: كنت من أصحاب الصفة وما منا أحد عليه ثوب تام قد اتخذ العرق في جلودنا طوقاً من الوسخ والغبار. (حليه الأولياء ٣٤١ / ١)

قال عبد الله بن عمرو: تُجمعون فيقال: أين فقراء هذه الأمة ومساكينها؟ قال: فتبرزون، فيقولون ما عندكم؟ فتقولون: يا رب ابتلينا فصبرنا وأنت أعلم ووليت الأموال والسلطان غيرنا قال: فيقال: صدقتم قال فيدخلون الجنة قبل سائر الناس بزمان، وتبقى شدة الحساب على ذوي الأموال. (الحليه ٢٨٩ / ١)

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة، أنه نزل به رجل من العرب، فأكرم عامر مثواه، وكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه الرجل، فقال: إني استقطعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وادياً، ما في العرب واد أفضل منه، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة، تكون لك، ولعقبك من بعدك؛ قال عامر: لا حاجة لي في قطيعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا:

(اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ) (الأنبياء ١). (حلية الأولياء ١٧٩ / ١)

قال نعيم بن سلامة: دخلت على عمر بن عبد العزيز فوجدته يأكل ثوماً مسلوقاً بزيت وملح.

(حلية الأولياء ٣١٥ / ٥)

قال الحسن البصري: والله، لقد أدركت أقواماً، ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط؛ وإن كان أحدهم ليقول: لوددت أني أكلت أكلة في جوفي مثل الآجرة؛ قال: ويقول: بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلاثمائة سنة، ولقد أدركت أقواماً: إن كان أحدهم ليرث المال العظيم، قال: وإنه والله لمجهود شديد الجهد؛ قال: فيقول لأخيه: يا أخي، إني قد علمت أن ذا ميراث، وهو حلال؛ ولكنني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي، فهو لك لا حاجة لي فيه؛ قال: فلا يرزأ منه شيء أبداً، وإنه مجهود، شديد الجهد. (حلية الأولياء ١٤٦ / ٢)

قال الحسن بن أبي الحسن: والله، لقد أدركنا أقواماً وصحبنا طوائف: إن كان الرجل منهم ليمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله في بطني حتى أجعل بعضه لله، فيتصدق ببعضه والله لقد أدركنا أقواماً وصحبنا طوائف: ما كانوا يبالون: أشرقت الدنيا أم غربت والله الذي لا إله غيره لهي أهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه. (حلية الأولياء ٢٧١ / ٦)

ويقول عمران القصير: سألت الحسن البصري فقلت: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا قال: وهل رأيت فقيهاً بعينك؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة ربه. (مصنف ابن أبي شيبة ٣٥١٨٨)

وكان يقول الحسن البصري: أهينوا الدنيا فوالله لأهناً ما تكون إذا هنتها. (مصنف ابن أبي شيبة ٣٥٣٠٦)

قال حماد بن عيسى الجهني: رأيت سفيان الثوري بمكة، قد أكل شيئاً، فأدخل يده في الرمل، فدلكهما؛ قلت: يا أبا عبد الله، لو غسلتهم؛ قال: إنما هي أيام قلائل. (حلية الأولياء ٧ / ٣٦)

قال ايضاً: إذا زهد العبد في الدنيا: أنبت الله الحكمة في قلبه وأطلق بها لسانه وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها. (حلية الأولياء ٦ / ٣٨٩)

قال سفيان الثوري: عليك بالزهد يبصرك الله عورات الدنيا وعليك بالورع يخفف الله عنك حسابك ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك. (حلية الأولياء ٧ / ٢٠)

قيل له ايضاً: أيكون الرجل زاهداً ويكون له المال؟ قال: نعم إن كان: إذا ابتلي صبر وإن أعطي شكر. (حلية الأولياء ٦ / ٣٨٧ - ٣٨٨)

عن إبراهيم بن سعد قال: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام، فكوم كومة من الحصى، فاتكأ عليه؛ ثم قال: يا إبراهيم، هذا خير من أسرتهم. (حلية الأولياء ٧ / ٢١ - ٢٢)

قال علي بن ثابت: رأيت سفيان الثوري في طريق مكة فقومت كل شيء عليه حتى نعليه: درهماً وأربع دوانق. (حلية الأولياء ٦ / ٣٧٨)

قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا: هو الزهد في الناس؛ وأول الزهد في الناس: زهدك في نفسك. (حلية الأولياء ٧ / ٦٩)

قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل الغليظ، ولبس العبا. (الحلية ٦ / ٣٨٦)

عن سفيان الثوري قال: ما أنفقت درهماً في بناء. (حلية الأولياء ٦ / ٣٩٢)

سئل سفيان الثوري: ما الزهد في الدنيا؟ قال: سقوط المنزلة. (حلية الأولياء ٧ / ١٦)

عن المسيب بن واضح قال: سألت يوسف بن أسباط عن الزهد، ما هو؟ قال: إن تزهد فيما أحل الله، فأما ما حرم الله، فإن ارتكبته، عذبك الله. (حلية الأولياء ٨ / ٢٣٧)

قال تميم بن سلمة: قلت ليوسف بن أسباط ما غاية الزهد؟ قال: لا تفرح بما أقبل ولا تأسف على ما

أدبر؛ قلت: فما غاية التواضع؟ قال: أن تخرج من بيتك، فلا تلقى أحداً، إلا رأيت أنه خير منك.

(حلية الأولياء ٨ / ٢٣٨)

عن يوسف بن أسباط قال: الزهد في الرياسة، أشد من الزهد في الدنيا. (حلية الأولياء ٨ / ٢٣٨)
قال يوسف بن أسباط: لو أن رجلاً في ترك الدنيا مثل أبي ذر وسلمان وأبي الدرداء ما قلنا له: زاهد لأن
الزهد: لا يكون إلا في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم. (حلية الأولياء ٨ / ٢٣٨)

قال إبراهيم بن أدهم: الزاهد: يكتفي من الأحاديث، والقال والقييل، وما كان وما يكون، بقول الله
تعالى: {لَا يَوْمَ أُجِّلَتْ. لِيَوْمِ الْفَضْلِ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَضْلِ. وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}
(المرسلات ١٢-١٥). يوم يقال: (اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا) (الإسراء ١٤).

(حلية الأولياء ٨ / ٧٠)

قال إبراهيم بن أدهم: أقرب الزهاد من الله عز وجل: أشدهم خوفاً؛ وأحب الزهاد إلى الله: أحسنهم له
عملاً، وأفضل الزهاد عند الله: أعظمهم فيما عنده رغبة، وأكرم الزهاد عليه: أتقاهم له، وأتم الزهاد
زهداً: أسخاهم نفساً، وأسلمهم صدراً، وأكمل الزهاد زهداً: أكثرهم يقيناً. (حلية الأولياء ٨ / ٧٠)

قال إبراهيم بن أدهم: الزهد ثلاثة أصناف: فزهد فرض وزهد فضل، وزهد سلامة؛ فالفرض: الزهد
في الحرام، والفضل: الزهد في الحلال، والسلامة: الزهد في الشبهات. (حلية الأولياء ٨ / ٢٦)

عن إبراهيم بن أدهم: أنه مر بأخ له كان يعرفه بالزهد، وقد اتخذ أرضاً، وغرس شجراً؛ فقال: ما هذا؟
قال: أصبناه رخيصاً؛ قال: فما كان يمنعك من الدنيا فيما مضى، إلا غلاؤها؟. (الحلية ٨ / ٣١)

وقال ايضاً: الفقر مخزون عند الله في السماء بعدل الشهادة لا يعطيه إلا من أحب. (الحلية ٨ / ١٥)

وقال ايضاً: إنما زهد الزاهدون في الدنيا اتقاء أن يُشركوا الحمقى والجهال في جهلهم. (الحلية ٨ / ٢١)
عن أبي سليمان الداراني قال: يلبس أحدهم عبادة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف، وشهوته في قلبه خمسة
دراهم؛ أفما يستحي أن تتجاوز شهوته لباسه. قال أبو سليمان: وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء، جاز
له أن يتدرع عبادة، ويلزم الطريق؛ لأن العبادة علم من أعلام الزهد، ولو أنه ستر زهده بثوبين أبيضين
بخلطة الناس، كان أسلم له. (حلية الأولياء ٩ / ٢٦٠)

قال أبو سليمان الداراني: ليس الزاهد من ألقى غم الدنيا واستراح فيها إنما الزاهد من ألقى غمها وتعب

لآخرته. (حلية الأولياء ٩ / ٢٧٣)

قال أبي سليمان الداراني: اختلفوا علينا في الزهد بالعراق فمنهم من قال: الزهد في ترك لقاء الناس ومنهم من قال: في ترك الشهوات، ومنهم من قال: في ترك الشبع وكلامهم قريب بعضه من بعض وأنا أذهب إلى أن الزهد في ترك ما يشغلك عن الله. (حلية الأولياء ٩ / ٢٥٨)

عن أبي سليمان الداراني قال: أهل الزهد في الدنيا على طبقتين: منهم من يزهد في الدنيا، فلا يفتح له فيها روح الآخرة؛ ومنهم من إذا زهد في الدنيا، فتح له فيها روح الآخرة؛ فليس شيء أحب إليه من البقاء ليطيح. (حلية الأولياء ٩ / ٢٤٧)

وقال ايضاً: من عرف الدنيا عرف الآخرة ومن لم يعرف الدنيا لم يعرف الآخرة؛ قال أحمد: يعني الزهد. (حلية الأولياء ٩ / ٢٦٢)

عن أبي سليمان الداراني قال: الزاهد حقاً لا يذم الدنيا، ولا يمدحها؛ أو: لا ينظر إليها، ولا يفرح بها إذا أقبلت، ولا يحزن عليها إذا أدبرت. (حلية الأولياء ٩ / ٢٦٦)

عن أبي سليمان الداراني قال: استجلب الزهد بقصر الأمل وادفع أسباب الطمع بالإياس والقنوع وتخلص إلى راحة القلب بصحة التفويض. (حلية الأولياء ٩ / ٢٦٦)

وقال أبو سليمان الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله. وهو قول الشبلي. (مدارج السالكين ٢ / ١٣)

عن أيوب السخيتاني قال: الزهد في الدنيا ثلاثة أشياء: أحبها إلى الله، وأعلاها عند الله، وأعظمها ثواباً عند الله تعالى: الزهد في عبادة من عبد دون الله، من كل ملك، وصنم، وحجر، ووثن؛ ثم الزهد فيما حرم الله تعالى: من الأخذ، والعطاء؛ ثم يقبل علينا، فيقول: زهدكم هذا - يا معشر القراء - فهو والله، أخسه عند الله: الزهد في حلال الله عز وجل. (حلية الأولياء ٣ / ٧)

قال حماد بن زيد: كان أيوب السخيتاني يقول: ليتق الله عز وجل رجل، وإن زهد، فلا يجعلن زهده عذاباً على الناس؛ فلأن يخفي الرجل زهده، خير من أن يعلنه. وكان أيوب ممن يخفي زهده فدخلنا عليه مرة، فإذا على فراشه محبس أحمر، فرفعته، أو رفعه بعض أصحابنا؛ فإذا خصفة محشوة بليف. (الحلية ٣ / ٦)

سئل سفيان بن عيينة عن الزهد، ما هو؟ قال: الزهد فيما حرم الله، فأما ما أحل الله: فقد أباحه الله، فإن النبيين قد نكحوا، وركبوا، وأكلوا؛ ولكن الله نهاهم عن شيء، فأنتهوا عنه، وكانوا به زهاداً.

(حلية الأولياء / ٧ / ٢٩٧)

قال سفيان بن عيينة: كان هارون بن رباب يخفي الزهد وكان يلبس الصوف تحت ثيابه. (الحلية ٣ / ٥٥)
 سئل سفيان بن عيينة عن الزهد؛ فقال: أن لا يغلب الحل شكرك، ولا الحرام صبرك. (الحلية ٩ / ٣١٦)
 قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لسفيان بن عيينة: يا أبا محمد، أي شئ الزهد في الدنيا؟ قال: من إذا أنعم الله عليه نعمة، فشكرها؛ وابتلي ببليّة، فصبر؛ فذلك الزاهد. (حلية الأولياء / ٧ / ٢٧٣)

قال شقيق البلخي: والزاهد والراغب: كرجلين، يريد أحدهما المشرق، والآخر يريد المغرب، هل يتفقان على أمر واحد، وبغيتها مخالفة، هاهما شتى؟ دعاء الرغب: اللهم، ارزقني مالا، وولدا، وخيرا وانصرني على أعدائي وادفع عني شرورهم، وحسدكم وبغيتهم، وبلاءهم، وفتنتهم؛ آمين. ودعاء الزاهد: اللهم، ارزقني علم الخائفين، وخوف العاملين ويقين المتوكلين وتوكل الموقنين وشكر الصابرين وصبر الشاكرين وإخبات المغلبيين وإنابة المخبتين وزهد الصادقين، وألحقني بالشهداء والأحياء المرزوقين آمين يارب العالمين. هذا دعاؤه هل من شيء من دعاء الراغب يحيط به؟ لا والله هذا طريق وذاك طريق. (حلية الأولياء / ٨ / ٧٠)

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: سبعة أبواب يسلك بها طريق الزهاد: الصبر على الجوع: بالسرور لا بالفتور بالرضا لا بالجزع والصبر على العرى: بالفرح لا بالحزن والصبر على طول الصيام: بالتفضل لا بالتعسف كأنه طاعم ناعم والصبر على الذل: بطيب نفسه لا بالتكبر والصبر على البؤس: بالرضا لا بالسخط وطول الفكرة فيما يودع بطنه من المطعم والمشرب ويكسو به ظهره: من أين، وكيف، ولعل، وعسى؛ فإذا كان في هذه الأبواب السبعة: فقد سلك صدراً من طريق الزهاد، وذلك الفضل العظيم.

(حلية الأولياء / ٨ / ٦٠)

قال شقيق بن إبراهيم: ثلاث خصال هي تاج الزاهد الأولى: أن يميل على الهوى ولا يميل مع الهوى والثانية: ينقطع الزاهد إلى الزهد بقلبه والثالثة: أن يذكر كلما خلا بنفسه كيف مدخله في قبره؟ وكيف مخرجه؟ ويذكر الجوع والعطش والعرى وطول القيامة والحساب والصراط وطول الحساب والفضيحة البادية فإذا ذكر ذلك شغله عن ذكر دار الغرور فإذا كان ذلك كان من محبي الزهاد ومن أحبهم كان معهم. (حلية الأولياء / ٨ / ٦٢)

ويقول سفيان: جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك، فجلس إلى جنب طاوس ابن كيسان فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم يلتفت إليه، قال: أردت أن يعلم أن الله عبداً يزهدون فيما بين يديه. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٤٢)

يقول سفيان: قيل للزهري: لو أنك سكنت المدينة، ورحت إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلم الناس منك، قال: إنه ليس ينبغي أن أفعل حتى أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة ثم قال سفيان: ومن كان مثل الزهري؟. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٧)

وقال الجنيد: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد. (مدارج السالكين ٢/ ١٣)

وقال الجنيد: سمعت سرياً يقول: إن الله عز وجل سلب الدنيا عن أوليائه وحماها عن أصفياؤه وأخرجها من قلوب أهل وداده لأنه لم يرضها لهم. (مدارج السالكين ٢/ ١٢)

وقال أيضاً: الزهد في قوله تعالى: (لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور) فالزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود. ولا يأسف منها على مفقود. (مدارج السالكين ٢/ ١٢)

قال الفضيل بن عياض: أصل الزهد الرضا عن الله عز وجل. وقال: القنوع هو الزاهد وهو الغني. (جامع العلوم والحكم ١٨١)

قيل للفضيل بن عياض: ما الزهد في الدنيا؟ قال: القنع، وهو الغنى؛ وقيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم؛ وسئل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض؛ وسئل عن التواضع؟ قال: أن تخضع للحق؛ وقال: أشد الورع: في اللسان، وقال: التعبير كله باللسان، لا بالعمل؛ وقال: جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه: الزهد في الدنيا؛ وقال: قال الله عز وجل: إذا عصاني من يعرفني، سلطت عليه من لا يعرفني. (حلية الأولياء ٨/ ٩١)

وقال ابن خفيف: الزهد وجود الراحة في الخروج من الملك. (مدارج السالكين ٢/ ١٣)

وقال أيضاً: الزهد سلو القلب عن الأسباب، ونفض الأيدي من الأملاك. (مدارج السالكين ٢/ ١٣)

وقيل: هو عزوف القلب عن الدنيا بلا تكلف. (مدارج السالكين ٢/ ١٣)

وقال رجل ليحيى بن معاذ: متى أدخل حانوت التوكل، وألبس رداء الزاهدين وأقعد معهم؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك إلى حد لو قطع الله الرزق عنك ثلاثة أيام لم تضعف نفسك. فأما ما لم

تبلغ إلى هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل ، ثم لا آمن عليك أن تفتضح .

(مدارج السالكين ١٤ / ٢)

وقال يحيى بن معاذ : الزهد يورث السخاء بالملك والحب يورث السخاء بالروح . (مدارج السالكين ١٢ / ٢)
وقد قال أحمد بن حنبل : الزهد على ثلاثة أوجه . الأول ترك الحرام . وهو زهد العوام . والثاني ترك الفضول من الحلال . وهو زهد الخواص . والثالث ترك ما يشغل عن الله . وهو زهد العارفين .

(مدارج السالكين ١٤ / ٢)

وقال الإمام أحمد : الزهد في الدنيا قصر الأمل . (مدارج السالكين ١٣ / ٢)

وقال وهب بن منبه : إن للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة . (إحياء علوم الدين ١٩٥ / ٦)

قال وهب بن منبه : أعون الأخلاق على الدين : الزهادة في الدنيا ؛ وأسرعها رداء : اتباع الهوى ؛ ومن اتباع الهوى : حب المال والشرف ؛ ومن حب المال والشرف : تنتهك المحارم ؛ ومن انتهاك المحارم : يغضب الله عز وجل ؛ وغضب الله ليس له دواء . (حلية الأولياء ٤ / ٤١)

عن عبد الله بن المبارك ، قال : جاء رجل إلى وهيب ، فجعل كأنه يذكر الزهد ؛ قال : فأقبل عليه وهيب ، فقال : لا تحمل سمة الإسلام على ضيقة صدرك . (حلية الأولياء ٨ / ١٥٤)

وقال عبد الله بن المبارك : الزهد هو الثقة بالله مع حب الفقر . وهذا قول شقيق ويوسف بن أسباط . (مدارج السالكين ١٣ / ٢)

قال وهيب ابن الورد : الزهد في الدنيا أن لا تأسى على ما فات منها ، ولا تفرح بما آتاك منها .

(جامع العلوم والحكم ١٨٣)

قال سلام بن أبي مطيع : الزاهد على ثلاثة وجوه : واحد : أن تخلص العمل لله ، والقول ، ولا يراد بشيء منه الدنيا ؛ والثاني : ترك ما لا يصلح ، والعمل بما يصلح ؛ والثالث : الحلال ، وهو أن يزهد فيه وهو تطوع ، وهو أدناها . (حلية الأولياء ٦ / ١٨٨)

قال سلام بن أبي مطيع : كن لنعمة الله عليك في دينك ، أشكر منك لنعمة الله عليك في دنياك .

(حلية الأولياء ٦ / ١٨٨)

دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف، فقال له قتيبة: ما دعاك إلى مدرعة الصوف؟ فسكت، فقال: أكلمك ولا تحييني!! فقال: أكره أن أقول زهداً فأزكي نفسي، أو فقراً فأشكو ربي. (إحياء علوم الدين ١٣/٢٤٤٩)

قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني؛ قال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة؛ قال: كيف لي بذلك؟ قال: ازهد في الدنيا. (حلية الأولياء ٢/٣٥١)

قال عبد الواحد بن زيد: ما يسرني، أن لي جميع ما حوت عليه البصرة من الأموال والثمار بفلسين. (حلية الأولياء ٦/١٥٧)

وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد: الزهد في الدنيا والدرهم. (مدارج السالكين ١٣/٢)

عن كعب الأحبار قال: المؤمن الزاهد، والمملوك الصالح: أمان من الحساب، وطوبى لهم، كيف يحفظهم الله في ديارهم؛ إن الله إذا أحب عبده المؤمن: زوى عنه الدنيا، ليرفعه درجات في الجنة؛ وإذا أبغض عبده الكافر: بسط له في الدنيا، حتى يسفله دركات في النار؛ قال كعب: ويقول الله لعباده الصابرين الراضين بالفقر: أبشروا، ولا تحزنوا، فإن الدنيا لو وزنت عند الله جناح بعوضة مما لكم عندي، ما أعطيتهم منها شيئاً. وقال كعب إذا اشتكى إلى الله عباده الفقراء الحاجة، قيل لهم: أبشروا، ولا تحزنوا، فإنكم سادة الأغنياء، والسابقون إلى الجنة يوم القيامة. (حلية الأولياء ٥/٣٦٤ - ٣٦٥)

قال يوسف بن الحسن: أتى رجل من أهل البصرة ذا النون، فسأله: متى تصح لي عزلة الخلق؟ قال: إذا قويت على عزلة نفسك؛ قال: فمتى يصح طلبي للزهد؟ قال: إذا كنت زاهداً في نفسك، هارباً من جميع ما يشغلك عن الله، لأن جميع ما يشغلك عن الله: هي دنيا. قال يوسف: فذكرت ذلك لطاهر القدسي؛ فقال: هذا نزل أخبار المرسلين. (حلية الأولياء ٩/٣٥٢)

قال حاتم الأصم: من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض وموتاً أسود وموتاً أحمر وموتاً أخضر فالموت الأبيض: الجوع والموت الأسود: احتمال أذى الناس والموت الأحمر: مخالفة النفس والموت الأخضر: طرح الرقاق بعضها على بعض. (حلية الأولياء ٨/٧٨)

قال زمعة بن صالح: كتب بعض بني أمية إلى أبي حازم، يعزم عليه إلا رفع حوائجه إليه؛ فكتب إليه: أما بعد: جاءني كتابك تعزم علي إلا رفعت إليك حوائجي؛ وهيهات رفعت حوائجي إلى من لا يختزم

الحوائج، وهو ربي عز وجل وما أعطاني منها قبلت، وما أمسك عني قنعت. (الحلية ٣ / ٢٣٧)
 عن أحمد بن أبي الخوارى قال: سمعت أبا سليمان يقول: لا للرضى حد، ولا للورع حد، ولا للزهد حد؛
 وما أعرف إلا طرفاً من كل شيء قال أسد: حدثت به سليمان فقال: من رضى بكل شيء فقد بلغ حد
 الرضى ومن تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد.
 (حلية الأولياء ٩ / ٢٥٨)

قال الحجاج بن أبي عيينة: كان جابر بن زيد يأتينا في مصلاتنا؛ فأتانا ذات يوم عليه نعلان خلقان فقال:
 مضى من عمري ستون سنة نعلاني هاتان أحب إلي مما مضى إلا يك خيراً قدمته. (حلية الأولياء ٣ / ٨٨)
 قال معاوية بن عبد الكريم: ذكروا عند الحسن الزهد فقال بعضهم: اللباس وقال بعضهم: المطعم،
 وقال بعضهم: كذا؛ وقال الحسن: لستم في شيء، الزاهد: إذا رأى أحداً، قال: هو أفضل مني.
 (حلية الأولياء ٦ / ٣١٤)

عن سعيد بن عبد العزيز: أن أبا عبد رب خرج من عشرة آلاف ديناراً أو من مائة ألف فكان يقول: لو
 سألت برداً أمثال الذهب، ما كنت بأول الناس يقوم إليها ولو قيل: إن الموت في هذا العود ما سبقني
 إليه أحد إلا بفضل قوة. (حلية الأولياء ٥ / ١٦٠)

قال عبد الله بن عبد العزيز العمري عند موته: نعمة ربي أحدث: أني لم أصبح أملك على الناس إلا سبعة
 دراهم ملكتها يدي، ونعمة ربي أحدث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا يمنعني من أخذها إلا أن
 أزيل قدمي ما أزلتها. (حلية الأولياء ٨ / ٢٨٣)

سئل الزهري عن الزهد فقال: من لم يمنعه الحلال شكره ولم يغلب الحرام صبره. (الحلية ٧ / ٢٨٧)
 قال أبو مسلم الخولاني: ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال ولا إضاعة المال إنما الزهادة في الدنيا أن
 تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يديك وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من
 إياها لو بقيت لك. (جامع العلوم والحكم ١٧٩)

عن طاووس: أنه رأى رجلاً مسكيناً في عينيه عمشاً وفي ثوبه وسخ فقال له عد إن الفقر من الله فأين
 أنت عن الماء؟. (حلية الأولياء ٤ / ١٤)

قال الخواص: الفقر يعمل على الإخلاص وجلء القلب وحضوره للعمل والغني يعمل على كثرة

الوسواس وتفرقة القلب في مواضع الأعمال. (حلية الأولياء ١٠ / ٣٢٧ - ٣٢٨)

قال عون بن عبد الله: يدخل فقراء المهاجرين الجنة قبل أغنيائهم بسبعين خريفاً، مثله كمثل سفيتين في هذا البحر مرت واحدة، وليس فيها شيء فقال صاحب البحر خلوا سبيلها ومرت الأخرى موقرة فحبست لينظر ما فيها. (حلية الأولياء ٤ / ٢٥٤)

قال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أنص للحديث من الزهري وما رأيت أحداً أهون عليه الدينار والدرهم من ابن شهاب، وما كانت عنده إلا مثل البعرة. (سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٣٤)

عن عمارة بن غزية قال: سمعت رجل سأل ربيعة، فقال: يا أبا عثمان: ما رأس الزهادة؟ قال: جمع الأشياء من حلها، ووضعها في حقها. (حلية الأولياء ٣ / ٢٥٩)

عن أبي وائل شقيق بن سلمة: وكان له خص من قصب: فكان يكون فيه هو وفرسه؛ فإذا غزا: نقضه، وتصدق به؛ فإذا رجع: أنشأ بناه. (حلية الأولياء ٤ / ١٠٣)

ويقول إبراهيم بن يزيد التيمي: كم بينكم وبين القوم؟ يعني: بينكم وبين السلف رضي الله تعالى عنهم أقبلت عليهم الدنيا فهربوا، وأدبرت عنكم فاتبعتموها. (الزهد لنعيم بن حماد ٥٥١)

وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا من الطعام والثياب والخطب فقال لها أبو حازم: من هذا كله بد ولكن لا بد لنا من الموت ثم البعث ثم الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار. (إحياء علوم الدين ٤ / ٢٧٤)

عن أحمد بن أبي الخواريزي قال: سمعت المضاء سأل سباعاً الموصلية، فقال: يا أبا محمد، إلى أي شيء أفضى بهم الزهد؟ فقال: إلى الأنس به. (حلية الأولياء ٨ / ٢٩٢)

قال الحسن بن عبد الله النخعي: لم يترك علقمه إلا داره وبرذوناً ومصحفاً وأوصى به لمولى له كان يقوم عليه في مرضه. (حلية الأولياء ٢ / ١٠٠)

عن أرطاة قال: كان ضمرة بن حبيب إذا قام إلى الصلاة؛ قلت: هذا أزهد الناس في الدنيا؛ فإذا عمل للدنيا، قلت: هذا أرغب الناس في الدنيا. (حلية الأولياء ٦ / ١٠٣)

قال عمر بن ذر: ما رأيت مثل عطاء وما رأيت على عطاء قميصاً قط وما رأيت عليه ثوباً يسوى خمسة دراهم. (حلية الأولياء ٣ / ٣١١)

قال عمران القصير: ألا صابر كريم لأيام قلائل؛ حرام على قلوبكم أن تجدوا طعم الإيمان، حتى تزهدوا في الدنيا. (حلية الأولياء ٦ / ١٧٧)

قال داود الطائي: من علامة المريدين الزاهدين في الدنيا ترك كل جليس لا يريد ما يريدون. (حلية الأولياء ٧ / ٣٤٤)

قال أبي أسامة: قال لي مسعر: يا أبا أسامة، من رضي بالخل والبقل، لم يستعبده الناس. (الحلية ٧ / ٢١٩)

قال شعبة: إذا كان عندي دقيق وقصب، فما أبالي ما فاتني من الدنيا. (حلية الأولياء ٧ / ١٤٥)

قال الشافعي: عليك بالزهد؛ فالزهد على الزاهد أحسن من الحلي على الشاهد. (الحلية ٩ / ١٣٠)

قال عمران بن مسلم: كان سويد بن غفلة إذا قيل له: أعطي فلان وولي فلان قال: حسبي كسرتي وملحي. (حلية الأولياء ٤ / ١٧٦)

قال ميمون بن مهران: ما أحب أن لي ما بين باب الرها إلى حران بخمسة دراهم. (الحلية ٤ / ٨٧)

وعن كرز الحارثي قال: لا يكون العبد قارئاً - يعني طالب علم - حتى يزهد في الدرهم. (السير ٨٦ / ٦)

قال محمد ابن الحنفية: من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر. (حلية الأولياء ٣ / ١٧٦)

قال ابن الجلاء: الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال فتصغر في عينيك فيسهل عليك الإعراض عنها. (مدارج السالكين ٢ / ١٣)

وقال رجل لسفيان: أشتهى أن أرى عالماً زاهداً؟ فقال: ويحك تلك ضالة لا توجد. (الاحياء ٦ / ١٩٥)

وقال بلال بن سعد: كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها. (الاحياء ٦ / ١٩٥)

قال أبو العتاهية: (جامع بيان العلم وفضله للقرطبي ٢-٤٦)

إِذَا كُنْتَ بِالذُّنْيَا بَصِيرًا فَإِنَّمَا بَلَغَكَ مِنْهَا مِثْلُ زَادِ الْمَسَافِرِ

قال مسلم بن عمرو: (تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١ - ٢٥٠)

مَا أَقْبَحَ التَّزْهِيدَ مِنْ وَاعِظٍ يُزْهَدُ النَّاسَ وَلَا يَزْهَدُ

لَوْ كَانَ فِي تَزْهِيدِهِ صَادِقًا أَضْحَى وَأَمْسَى بَيْتَهُ الْمَسْجِدُ

الآثار العملية من حياة السلف:

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: دخل عمر بن الخطاب على أبي عبيدة بن الجراح، فإذا هو مضطجع على

طنفسة رحله، متوسداً الحقيبة؛ فقال له عمر: ألا تتخذ ما اتخذ أصحابك؟ فقال: يا أمير المؤمنين: هذا

يبلغني المقييل. وقال معمر في حديثه لما قدم عمر الشام، تلقاه الناس وعظاء أهل الأرض؛ فقال عمر: أين أخي؟ قالوا: من؟ قال: أبو عبيدة؛ قالوا: الآن يأتيك؛ فلما أتاه نزل، فأعنتقه، ثم دخل عليه بيته، فلم ير في بيته، إلا سيفه، وترسه، ورحله. (حليه الأولياء / ١ - ١٠١ - ١٠٢)

قدم عمير بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له: ما معك من الدنيا؟ فقال: معي عصاي أتوكأ بها وأقتل بها حية إن لقيتها ومعني جراي أحمل فيه طعامي ومعني قصعتي أكل فيها وأغسل رأسي وثوبي ومعني مطهرتي أحمل فيها شرابي وطهوري للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي. فقال عمر: صدقت رحمك الله. (إحياء علوم الدين ١٣ / ٢٤٧١)

قالت حفصة بنت عمر لعمر رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك؛ فقد وسع الله عز وجل من الرزق، وأكثر من الخير، فقال: إني سأخصمك إلى نفسك، فقال أما تذكرين ما كان يلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة العيش؛ فما زال يذكرها، حتى أبكاهما، فقال لها: والله إن قلت ذلك، أما والله لئن استطعت، لأشارككنها بمثل عيشهما الشديد، لعلي أدرك معهما عيشهما الرخي. (حليه الأولياء / ١ - ٤٨ - ٤٩)

عن الحسن: أن عمر رضي الله عنه قال: والله، إني لو شئت لكنت من أليكنم لباساً، وأطيبكم طعاماً، وأرقكم عيشاً؛ إني والله ما أجهل عن كراكر (جماعات الفرسان) وأسمنة (كُتل من الشحم على ظهر البعير) وعن صلاء (الشواء) وصناب (طعام من الخردل والزبيب)، وصلاتي؛ ولكني سمعت الله عز وجل غير قوماً بأمر فعلوه، فقال: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا) (الاحقاف ٢٠). (حلية الأولياء / ١ - ٤٩)

قال الحسن: خطب ابن الخطاب وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتي عشر رقعة. (حليه الأولياء / ١ - ٥٣) بلغ عمر بن الخطاب: أن رجلاً بنى بالآجر فقال: ما كنت أحسب أن في هذه الأمة مثل فرعون. قال: يريد قوله: (ابن لي صرحاً) (غافر ٣٦) و(فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ) (القصص ٣٨). (الحلية ٧ / ٣٠٤) عن عبد الملك بن شداد بن الهاد قال: رأيت عثمان بن عفان يوم الجمعة على المنبر، عليه إزار عدني غليظ، ثمنه أربعة دراهم، أو خمسة دراهم؛ وريطة كوفية ممشقة. (حلية الأولياء / ١ - ٦٠)

عن عثمان بن عفان أنه: كان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت. (الحلية / ١ - ٦٠)

عن محمد بن كعب قال: سمعت علياً رضي الله عنه يقول: رأيتني أربط الحجر على بطني من شدة الجوع، على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن صدقتي اليوم لأربعون ألف دينار.
(حلية الأولياء / ١ - ٨٥ - ٨٦)

عن نوف البكالي قال: رأيت علي بن أبي طالب خرج، فنظر إلى النجوم؛ فقال: يا نوف، أراقد أنت أم رامق؟ قلت: بل رامق يا أمير المؤمنين؛ فقال: يا نوف، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة؛ أولئك قوم اتخذوا الأرض بساطاً، وتراها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن والدعاء دثاراً وشعاراً؛ قرضوا الدنيا على منهاج المسيح عليه السلام؛ يا نوف، إن الله تعالى أوحى إلى عيسى: أن مُر بني إسرائيل، أن لا يدخلوا بيتاً من بيوتي، إلا بقلوب طاهرة، وأبصار خاشعة، وأيد نقية؛ فإني لا أستجيب لأحد منهم، ولأحد من خلقي عنده مظلمة؛ يا نوف، لا تكن شاعراً، ولا عريفاً، ولا شرطياً، ولا جابياً، ولا عشاراً؛ فإن داود عليه السلام، قام في ساعة من الليل؛ فقال: إنها ساعة، لا يدعو عبد إلا أستجيب له فيها، إلا أن يكون: عريفاً، أو شرطياً، أو جابياً، أو عشاراً، أو صاحب عرطبة: وهو الطنبور، أو صاحب كوبة: وهو الطبل. (حلية الأولياء / ١ - ٧٩)

عن أبي سعيد الأزدي وكان إماماً من أئمة الأزدي قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي فجاء به فأعجبه قال: لعله خير من ذلك؟ قال: لا ذلك ثمته؛ قال: فرأيت علياً يقرض رباط الدراهم من ثوبه، فأعطاه، فلبسه فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه. (حلية الأولياء / ١ - ٨٣)

عن هارون بن عنتره عن أبيه قال: دخلت على علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالخورنق، وهو يرعد تحت سمل قطيفة (خَلَّقُ بِالِ) فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؛ فقال: والله، ما أرزأكم من مالكم شيئاً، وإنما لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي أو قال: من المدينة. (حلية الأولياء / ١ - ٨٢)

عن علي بن الأرقم عن أبيه قال: رأيت علياً وهو يبيع سيفاً له في السوق ويقول: من يشتري مني هذا السيف؟ فوالذي فلق الحبة لطالما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته. (حلية الأولياء / ١ - ٨٣)

كان علي بن ابي طالب: يغدي ويعشي ويأكل هو من شيء يجيئه من المدينة. (حلية الأولياء / ١ / ٨٢)
 عن علي بن أبي طالب: أنه أتى بفالودج (حلواء تُعمل من الدقيق والماء والعسل، أو من النشا والماء
 والشُّكَّر) فوضع قدامه بين يديه؛ فقال: إنك طيب الريح حسن اللون طيب الطعم؛ لكن أكره أن أعود
 نفسي ما لم تعتده. (حلية الأولياء / ١ / ٨١)

عن ثابت: أن أبا ذر مر بأبي الدرداء، وهو بيني بيتا له؛ فقال: لقد حملت الصخر على عواتق الرجال؛
 فقال: إنما هو بيت أبنيه؛ فقال له أبو ذر رضي الله تعالى عنه: مثل ذلك؛ فقال: يا أخي، لعلك وجدت
 علي في نفسك من ذلك؛ قال: لو مررت بك وأنت في عذرة أهلك، كان أحب إلي مما رأيتك فيه.
 (حلية الأولياء / ١ / ١٦٣)

عن عبد الله بن خراش قال: رأيت أبا ذر رضي الله تعالى عنه بالربذة، في ظلة له سوداء، وتحت امرأة له
 سحباء، وهو جالس على قطعة جوالق؛ فقيل له: إنك امرؤ ما يبقى لك ولد؛ فقال: الحمد لله، الذي
 يأخذهم في دار الفناء، ويدخرهم في دار البقاء؛ قالوا: يا أبا ذر، لو اتخذت امرأة غير هذه؛ قال: لأن
 أتزوج امرأة تضعني، أحب إلي من امرأة ترفعني؛ فقالوا له: لو اتخذت بساطاً ألين من هذا؛ قال: اللهم
 غفرأ، خذ مما خولت ما بدا لك. وعن أبي أسماء الرحبي أنه دخل على أبي ذر رضي الله تعالى عنه، وهو
 بالربذة، وعنده امرأة له سوداء شعثة، ليس عليها أثر المجاسد والخلوق؛ قال: ألا تنظرون إلى ما
 تأمرني به هذه السوداء؟ تأمرني أن آتي العراق، فإذا أتيت العراق، مالوا علي بدنياهم؛ وإن خليلي عهد
 إلي: أن دون جسر جهنم طريقاً ذا دحض ومزلة، وإنا إن نأتي عليه وفي أحمالنا اقتدار؛ أخرى أن ننجوا،
 من أن نأتي عليه ونحن مواقير. (حلية الأولياء / ١ / ١٦١)

عن خالد بن حدير الأسلمي أنه دخل على أبي الدرداء، وتحت فراش من جلد أو صوف، وعليه كساء
 صوف، وسبتيه صوف، وهو وجع، وقد عرق؛ فقال: لو شئت، كسيت فراشك بورق، وكساء مرعزي،
 مما يبعث به أمير المؤمنين؛ قال: إن لنا داراً، وإنا لنظعن إليها ولها نعمل. (حلية الأولياء / ١ / ٢٢٢)
 دخل رجل على أبي ذر فجعل يقلب بصره في بيته فقال: يا أبا ذر ما أرى في بيتك متاعاً ولا غير ذلك من
 الأثاث فقال: إن لنا بيتاً نوجه إليه مصالح متاعنا فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت ههنا فقال: إن
 صاحب المنزل لا يدعنا فيه. (إحياء علوم الدين ٢٤٧١ / ٢ / ١٣)

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل له: ألا تتخذ ضيعة، كما اتخذ فلان وفلان؛ قال: وما أصنع بأن أكون أميراً؟ وإنما يكفيني كل يوم: شربة ماء أولبن، وفي الجمعة قفيز من قمح. (الحلية ١ / ١٦٢)

قال ميمون بن مهران: دخلت منزل ابن عمر فما كان فيه ما يسوى طيلسانى هذا (شال يوضع على الكتف). (حلية الأولياء ١ / ٣٠١)

عن الأعمش قال: سمعتهم يذكرون: أن حذيفة قال لسلمان رضي الله تعالى عنها: يا أبا عبد الله، ألا أبني لك بيتاً؟ قال: - فكره ذلك -؛ قال: رويدك، حتى أخبرك: أني أبني لك بيتاً: إذا اضطجعت فيه رأسك من هذا الجانب، ورجلاك من الجانب الآخر؛ وإذا قمت: أصاب رأسك؛ قال سلمان: كأنك في نفسي. (حلية الأولياء ١ / ٢٠٢)

عن ابن سيرين قال: إن حذيفة رضي الله تعالى عنه: لما قدم المدائن، قدم على حمار، على إكاف، ويده رغيف، وعرق؛ وهو يأكل على الحمار. (حلية الأولياء ١ / ٢٧٧)

عن أبي سعيد وكان رضيعاً لعائشة قال: دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها، وهي تخط نقبة لها؛ قلت: يا أم المؤمنين، أليس قد أوسع الله عز وجل؟ قالت: لا جديد لمن لا خلق له. (الحلية ٢ / ٤٨)

عن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه أنه قال عند موته - عند الاحتضار -: كيلوا مالي، فكالوه فوجدوه اثنين وخمسين مُدًّا فقال: من يأخذه بما فيه؟، يا ليته كان بعراً. (سير أعلام النبلاء ٣ / ٧٤)

اشتكى سلمان الفارسي فعاده سعد بن أبي وقاص فرآه يبكي فقال له سعد: ما يبكيك يا أخي أليس قد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أليس؟ أليس؟ قال سلمان: ما أبكي واحدة من اثنتين ما أبكي ضناً للدنيا ولا كراهية للآخرة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ عهداً فما أراني إلا قد تعديت! قال: وما عهد إليك؟ قال: عهد إليّ أنه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب ولا أراني إلا قد تعديت وأما أنت يا سعد فاتق الله عند حكمك إذا حكمت وعند قسمك إذا قسمت وعند همك إذا هممت. قال ثابت: فبلغني أنه ما ترك إلا بضعة وعشرين درهما من نفقة كانت عنده.

(رواه ابن ماجه ٤١٠٤)

قال الحسن: كان عطاء سلمان رضي الله عنه: خمسة آلاف درهم وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها وإذا خرج عطاؤه أمضاه ويأكل من

سفيف يده. (الزهد لاحد رقم ٨١٥)

قال شوذب: كان سلمان يخلق رأسه زقية (أي محذوف شعر الرأس كُله) فيقال له: ما هذا يا أبا عبد الله؟ فقال: إنما العيش عيش الآخرة. (حليه الأولياء / ١ / ١٩٩)

قال علي بن بزيمة: بيع متاع سلمان رضي الله تعالى عنه فبلغ أربعة عشر درهماً. (الحلية / ١ / ١٩٧)
 عن محمد بن معبد: أن عمر بن عبد العزيز أرسل بأسارى من أسارى الروم، ففادى بهم أسارى من أسارى المسلمين؛ قال: فكنت إذا دخلت على ملك الروم، فدخلت عليه عطاء الروم، خرجت؛ قال: فدخلت يوماً، فإذا هو جالس في الأرض، مكتئباً، حزيناً؛ فقلت: ما شأن الملك؟ قال: وما تدري ما حدث؟ قلت: وما حدث؟ قال: مات الرجل الصالح؛ قلت: من؟ قال: عمر بن عبد العزيز؛ قال: ثم قال ملك الروم: لأحسب أنه، لو كان أحد يحيي الموتى بعد عيسى بن مريم عليه السلام، لأحياهم عمر بن عبد العزيز؛ ثم قال: لست أعجب من الراهب: أغلق بابه، ورفض الدنيا، وترهب، وتعبد؛ ولكن أتعجب: ممن كانت الدنيا تحت قدميه، فرفضها، ثم ذهب. (حليه الأولياء / ٥ / ٢٩٠ - ٢٩١)

عن عمر بن عبد العزيز: أنه آخر الجمعة يوماً عن وقته الذي كان يصلي فيه؛ فقلنا له: أخرت الجمعة اليوم عن وقتك قال: إن الغلام ذهب بالثياب يغسلها، فحُبس بها؛ فعرفنا أنه ليس له غيرها؛ ثم قال: أما إني قد رأيتني وأنا بالمدينة، وإني لأخاف أن يعجز ما رزقني الله عن كسوتي فقط؛ ثم قال يتمثل: قضى ما قضى فيما مضى ثم لم تكن له عودة أخرى الليالي الغوابر. (حليه الأولياء / ٥ / ٣٢٢)
 عن رجاء بن حيوة قال: قومت ثياب عمر بن عبد العزيز وهو خليفة باثني عشر درهماً؛ فذكر: قميصه، ورداءه، وخباءه، وسراويله، وعمامته، وقلنسوته، وخفيه. (حلية الأولياء / ٥ / ٣٢٣)

وكان عمر بن عبد العزيز يقول: (سير أعلام النبلاء ١٣٨ / ٥)

ولا خيرَ في عيشِ امرئٍ لم يكنْ لهُ
 من الله في دارِ القرارِ نصيبُ
 فإنْ تُعجب الدنيا أناساً فإنها
 متاعٌ قليل والزوالُ قريبُ

عن مسلمة قال: دخلت على عمر بن عبد العزيز في اليوم الذي مات فيه، وفاطمة بنت عبد الملك جالسة عند رأسه، فلما رأته تحولت وجلست عند رجله، وجلست أنا عند رأسه، فإذا عليه قميص وسخ مخرق الجيب، فقلت لها: لو أبدلتم هذا القميص، فسكتت، ثم أعدت القول عليها مراراً، حتى غلظت،

فقالت: والله ما له قميص غيره. (حلية الأولياء / ٥ / ٢٥٨)

قال أحمد بن بكار: غزا معنا إبراهيم بن أدهم غزاتين، كل واحدة أشد من الأخرى: غزاة عباس الأنطاكي، وغزاة محكاف، فلم يأخذ سهماً، ولا نفلًا؛ وكان لا يأكل من متاع الروم، نجىء بالطرائف، والعسل، والدجاج، فلا يأكل منه؛ ويقول: هو حلال، ولكنني أزهد فيه كان يأكل مما حمل معه وكان يصوم. قال: وغزا على بردون ثمنه دينار وكان له حمار فعارض به ذلك البردون وكان لو أعطيته فرساً من ذهب أو من فضة، ما كان قبله، ولا يقبل شربة من ماء؛ وغزا في البحر غزاتين لم يأخذ سهمه ولا يفترض. (حلية الأولياء / ٧ / ٣٨٨)

عن الربيع بن خيثم أنه لبس قميصاً سنبلانياً أراه ثمن ثلاثة دراهم أو أربعة فإذا به كُمه بلغ أظفاره وإذا أرسله بلغ ساعده وإذا رأى بياض القميص قال: أي عبيد تواضع لربك ثم يقول: أي لحيمة أي دمية كيف تصنعان إذا سيرت الجبال ودكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجرى يومئذ بجهنم؟. (حلية الأولياء / ٢ / ١١٣)

عن أبي بكر بن المنكدر قال: بعث حبيب بن مسلمة - وهو أمير الشام - إلى أبي ذر بثلاثمائة دينار، وقال: استعن بها على حاجتك؛ فقال أبو ذر: ارجع بها إليه، أما وجد أحداً أغر بالله منا؛ مالنا إلا ظل نتواري به، وثلة من غنم تروح علينا، ومولاة لنا تصدقت علينا بخدمتها؛ ثم إنني لأتخوف الفضل. (حلية الأولياء / ١ / ١٦١)

عن سلام بن مسكين قال: دخلت على مالك بن دينار في مرضه الذي مات فيه، فإذا البيت فيه سرير أثل (هلك) مرمول (مربوط) بالشريط وعليه قطعة بوري؛ وإذا تحت رأسه قطعة كساء، وإذا ركوة وصاغرة؛ فرفع رأسه، فأخرج من تحت رأسه رغيفين يابسين، فقعد يكسر ذلك الرغيفين في الماء، حتى إذا ظن أن الخبز قد ابتل، قال: ناولني الدوخلة، فإذا دوخلة معلقة يابسة، فوضعتها، فأخرج منها صرة فيها ملح؛ وقال لي: أدن؛ فقلت: يا أبا يحيى، لا أشتهي؛ قال: فقال: هيهات هيهات، أنت ممن غدى في الماء العذب، فلا تصير في الماء المالح. (حلية الأولياء / ٢ / ٣٦٩ - ٣٧٠)

عن مالك بن دينار قال: من دخل بيتي، فأخذ شيئاً، فهو له حالان؛ أما أنا، فلا أحتاج إلى قفل، ولا إلى مفتاح؛ وكان يأخذ الحصاة من حلال المسجد، فيقول: لوددت أن هذه أجزأتني في الدنيا ما عشت - لا

أزيد على مصها - من الطعام والشراب؛ وكان يقول: لو صلح لي، أن أعمد إلى برذلي، فأقطعه باثنين، فأتزر بقطعة، وارزد بقطعة، لفعلت. (حلية الأولياء ٢ / ٣٦٧)

عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: والله، لقد أصبحت ما أملك ديناراً، ولا درهماً، ولا دانقاً؛ ولئن لم يكن لي عند الله خير، ما كانت لي دنيا، ولا آخرة. (حلية الأولياء ٢ / ٣٦٧)

قال مالك بن دينار: الناس يقولون مالك بن دينار زاهد إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز الذي أتته الدنيا فتركها. (حلية الأولياء ٥ / ٢٥٧)

عن حفص بن عمر الجعفي قال: كان داود الطائي قد ورث عن أمه أربعمئة درهم؛ فمكث يتقوتها ثلاثين عاماً، فلما نفدت، جعل ينقض سقوف الدويرة فيبيعها، حتى باع الخشب، والبواري، واللبن حتى بقي في نصف سقف وكان حائط داره من هذا اللبن العرزمي الذي يجعل منه الكناسات وباب خلاف مربع قصير لو أن غلاماً وثب، سقط إلى الدار وجاء صديق له، فقال: يا أبا سُلَيْمان لو أعطيتني هذه، فبعتها لك، لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً تنتفع به؛ فما زال به، حتى دفعها إليه؛ ثم فكر فيها، فلقبه بعد العشاء الآخرة؛ فقال: ارددها علي، قال: ولم يا أخي؟ قال: أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب؛ فأخذها. (حلية الأولياء ٧ / ٣٤٦)

قال جعفر: كنا نأتي فرقداً السبخي ونحن شبية، فيعلمنا فيقول: إن من ورائكم زماناً شديداً شدوا الازار على أنصاف البطون وصغروا اللقم وشدوا المضغ، ومصوا الماء فإذا أكل أحدكم فلا يجلن من إزاره فتتسع أمعاؤه وإذا جلس ليأكل فليقعد على إلبيه ويلزق فخذه بيطنه وإذا فرغ فلا يقعد وليجيء وليذهب واحتفوا فإن من ورائكم زماناً شديداً. قال: ودخلت على فرقد وهو شيخ كبير وبين يديه خل حامض وهو يقول باللحمة في جوفه ثم يأكل فقلت: لم تفعل هذا يا أبا يعقوب؟ قال: ليقطع عني النكاح. (حلية الأولياء ٦ / ٢٨٩)

٥٦ - باب فضل الجور وخشونة العيش

والانقصار على القليل من المأكول والمشروب والمبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا [مريم : ٥٩-٦٠]

وقال تعالى : فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا [القصص: ٧٩-٨٠] ، وقال تعالى : مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا [الإسراء: ١٨] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

٤٩١- وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض . متفق عليه .
وفي رواية : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض .

٤٩٢- وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها ، أمها كانت تقول : والله يا ابن أخي إن كنا لنتنظر إلى الهلال ثم الهلال . ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين . وما أوقد في آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ناز . قلت : يا خالة فما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار . وكانت هم منايح وكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقينها . متفق عليه .

٤٩٣- وعن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه . أنه مر بقوم بين أيديهم شاة مصلية . فدعوه فأبى أن يأكل ، وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير . رواه البخاري . « مصلية » بفتح الميم : أي : مشوية .

٤٩٤- وعن أنس رضي الله عنه ، قال : لم يأكل النبي صلى الله عليه وسلم على خوان حتى مات ، وما أكل خبزاً مرققاً حتى مات . رواه البخاري . وفي رواية له : ولا رأى شاة سميطاً بعينه قط .

٤٩٥- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : لقد رأيت نبيكم صلى الله عليه وسلم وما يجذ من الدقل ما يملأ به بطنه ، رواه مسلم . الدقل : تمر رديء .

٤٩٦- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي من

حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنَاخِلٌ ؟ قَالَ : مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنْخَلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ ؟ قَالَ : كُنَّا نَطْحُهُ وَنَنْفُخُهُ ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ ، وَمَا بَقِيَ ثَرِينَاهُ . رواه البخاري .

قوله : « النَّقِيَّ » : هو بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياء . وهو الخبز الحواري ، وهو الذرْمُكُ قوله : « ثَرِينَاهُ » هو بئاء مَثَلثة ، ثُمَّ رَاءٍ مُشَدَّدة ، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاةٍ مِنْ تَحْتِ ثَمَّ نون ، أَي : بَلَلْنَاهُ وَعَجَّنَاهُ .

٤٩٧ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، فَقَالَ : « مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ ؟ » قَالَ : الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « وَأَنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لِأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا . قُومًا » فَقَامَا مَعَهُ ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ : مَرْحَبًا وَأَهْلًا . فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيْنَ فُلَانٌ » قَالَتْ : ذَهَبَ يَسْتَعْدِبُ لَنَا الْمَاءَ ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ ، فَظَنَرْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِدْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطْبٌ ، فَقَالَ : كُلُوا ، وَأَخَذَ الْمُدِّيَةَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِيَّاكَ وَالْحُلُوبَ » فَذَبَحَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِدْقِ وَشَرَبُوا . فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتُسْأَلَنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَخْرَجَكُمُ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمُ هَذَا النَّعِيمُ » رواه مسلم .

قَوْلُهَا : « يَسْتَعْدِبُ » أَي : يَطْلُبُ الْمَاءَ الْعَذْبَ ، وَهُوَ الطَّيْبُ . وَ « الْعِدْقُ » بِكسر العين وإسكان الذال المعجمة : وَهُوَ الْكِيَاسَةُ ، وَهِيَ الْغُضْنُ . وَ « الْمُدِّيَةُ » بضم الميم وكسر ها : هِيَ السَّكِينُ . وَ « الْحُلُوبُ » ذَاتُ اللَّبَنِ . وَالسُّؤَالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤَالٌ تَعْدِيدِ النَّعْمِ لَا سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وَتَعْدِيْبٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَهَذَا الْأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنِ التَّيْهَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَذَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي

رواية الترمذي وغيره .

٤٩٨- وعن خالد بن عمر العدوي قال : خَطَبَنَا عُثْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا آذَنْتَ بِضُرْمٍ ، وَوَلَّتْ حَدَاءً ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُهَا صَاحِبُهَا ، وَإِنَّكُمْ مُتَّقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا ، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرٍ مَا بِحَضْرَتِكُمْ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوَى فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا ، وَاللَّهُ لَتَمْلَأَنَّ .. أَفَعَجِبْتُمْ ، ؟ وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مِصَارِيحِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةٌ أَرْبَعِينَ عَامًا ، وَلَيَأْتِينَ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٍ مِنَ الزَّحَامِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ فَاتَزَرْتُ بِبِضْفِهَا ، وَاتَزَرَ سَعْدٌ بِبِضْفِهَا ، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ . وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا . وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا . رواه مسلم . وله : « آذَنْتَ » هُوَ بِمَدِّ الْأَلْفِ ، أَي : أَعْلَمْتَ . وَقَوْلُهُ : « بِضُرْمٍ » : هُوَ بضم الصاد . أَي : بَانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِهَا . وَقَوْلُهُ « وَوَلَّتْ حَدَاءً » هُوَ بِحَاءٍ مَهْمَلَةٍ مَفْتُوحَةٍ ، ثُمَّ ذَالٌ مَعْجَمَةٌ مُشَدَّدَةٌ ، ثُمَّ أَلْفٌ مَمْدُودَةٌ . أَي : سَرِيعَةٌ وَ « الصُّبَابَةُ » بضم الصاد المَهْمَلَةِ : وَهِيَ الْبَقِيَّةُ الْيَسِيرَةُ . وَقَوْلُهُ : « يَتَصَابُهَا » هُوَ بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ . أَي : يَجْمَعُهَا . وَ الْكَظِيظُ : الْكَثِيرُ الْمُتَمَلِّعُ . وَقَوْلُهُ : « قَرِحَتْ » هُوَ بِفَتْحِ الْقَافِ وَكسْرِ الرَّاءِ أَي : صَارَتْ فِيهَا قُرُوحٌ .

٤٩٩- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا قَالَتْ : قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَيْنِ . متفقٌ عليه .

٥٠٠- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : إِنِّي لِأَوَّلِ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ . وَهَذَا السَّمْرُ . حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَصْعُقُ كَمَا تَصْعُقُ الشَّاةُ مَا لَهُ خَلْطٌ . متفقٌ عليه .

« الْحُبْلَةُ » بضم الحاء المَهْمَلَةِ وَإِسْكَانِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ : وَهِيَ وَالسَّمْرُ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ .

٥٠١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا» متفق عليه . قال أهل اللغة والغريب : معنى « قُوتًا » أي ما يسد الرمق .

٥٠٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : والله الذي لا إله إلا هو ، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحرج على بطني من الجوع . ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتبسم حين رأي ، وعرف ما في وجهي وما في نفسي ، ثم قال : «أبا هر ،» قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «الحق» ومضى ، فاتبعته ، فدخل فاستأذن ، فأذن لي فدخلت ، فوجد لبناً في قدح فقال : « من أين هذا اللبن ؟ » قالوا : أهده لك فلان أو فلانة قال : «أبا هر ،» قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي» . قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام ، لا يأوون على أهل ، ولا مال ، ولا على أحد ، وكان إذا أتته صدقة بعث بها إليهم . ولم يتناول منها شيئاً ، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها ، فسأني ذلك فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة ؟ كنت أحمق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها ، فإذا جاءوا أمرني ، فكنت أنا أعطيهم ، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بد . فأتيتهم فدعوتهم ، فأقبلوا واستأذنوا ، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال : «يا أبا هر ،» قلت : لبيك يا رسول الله ، قال : «خذ فأعطيهم» قال : فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، فأعطيه الآخر فيشرب حتى يروى ، ثم يرد علي القدح ، حتى انتهيت إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقد روي القوم كلهم ، فأخذ القدح فوضعه على يده ، فنظر إلي فتبسم ، فقال : «أبا هر» قلت : لبيك يا رسول الله قال : «بقيت أنا وأنت» قلت صدقت يا رسول الله ، قال : «أفعد فأشرب» فقعدت فشربت : فقال : «اشرب» فشربت ، فما زال يقول : «اشرب» حتى قلت : لا والذي بعثك بالحق ما أجده مسلماً ، قال : «فأرني» فأعطينه القدح ، فحمد الله تعالى ، وسمى وشرب «الفضلة» رواه البخاري .

٥٠٣- وعن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : لقد رأيتني وإنِّي لأخرف فيما بين

مَنْبِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَغْشِيًّا عَلَيَّ ، فَيَجِيءُ الْجَائِي ، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي ، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ ، وَمَا بِي إِلَّا الْجُوعُ . رواه البخاري .
 ٥٠٤ - وعن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ . متفقٌ عليه .

٥٠٥ - وعن أنس رضي الله عنه قال : رَهَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ ، وَمَشِيَتْ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخُبْزِ شَعِيرٍ ، وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « مَا أَصْبَحَ لَالٍ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أَمْسَى وَإِيَّاهُمْ لَتِسْعَةُ آيَاتٍ » رواه البخاري .

« الإِهَالَةُ » بكسر الهمزة : الشَّحْمُ الدَّائِبُ . وَالسَّنِخَةُ « بالنون والخاء المعجمة ، وَهِيَ : الْمُتَغَيَّرَةُ »
 ٥٠٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ ، إِلَّا إِزَارٌ وَإِمَامًا كِسَاءً ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِمْ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الْكَعْبَيْنِ ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةً أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ . رواه البخاري .

٥٠٧ - وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَدَمٍ حَشْوُهُ لَيْفٌ . رواه البخاري

٥٠٨ - وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَدْبَرَ الْأَنْصَارِيَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا أَخَا الْأَنْصَارِ ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ؟ » فَقَالَ : صَالِحٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ ؟ » فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ ، وَنَحْنُ بِضِعَةِ عَشْرٍ مَا عَلَيْنَا نِعَالَ وَلَا خِفَافٌ ، وَلَا قَلَانِسٌ ، وَلَا قُمُصٌ نَمشي فِي تِلْكَ السَّبَاحِ ، حَتَّى جِئْنَا ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ . رواه مسلم .

٥٠٩ - وعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُكُمْ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ » قَالَ عِمْرَانُ : فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا « ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ ، وَيَحْتُونُونَ وَلَا يُؤْتَمُّونَ ،

وَيَنْدُرُونَ وَلَا يُوفُونَ ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السَّمْنُ » متفقٌ عليه .

٥١٠- وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ إِذَا تَبَدَّلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَأَنْ تُمَسِّكَهُ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٥١١- وعن عبيد الله بن محصن الأنصاري الحطيمي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مَعَانِي فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحِذَائِهَا . رواه الترمذي وقال : حديث حسن . « سِرْبِهِ » بكسر السين المهملة ، أي : نفسه ، وقيل : قومه .

٥١٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا ، وَقَنَعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ » رواه مسلم .

٥١٣- وعن أبي محمد فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا ، وَقَنِعَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٥١٤- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبِيتُ اللَّيَالِيَّ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا ، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً ، وَكَانَ أَكْثَرَ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٥١٥- وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ يَحْرِثُ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخِصَاصَةِ وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ حَتَّى يَقُولَ الْأَعْرَابُ : هُوَ لَأَجَانِينُ ، فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ : « لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى لِأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً » رواه الترمذي ، وقال حديث صحيح . « الْخِصَاصَةُ » : الْفَاقَةُ وَالْجُوعُ الشَّدِيدُ .

٥١٦- وعن أبي كريمة المقدم بن معد يكرب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَا مَلَأَ آدَمِيَّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلْتُ لَطْعَامِهِ وَتُلْتُ لِشَرَابِهِ ، وَتُلْتُ لِنَفْسِهِ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن . « أَكْلَاتُ » أَي : لُقْمٌ .

٥١٧- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رضي الله عنه قال : ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ ؟ إِنَّ الْبَدَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ إِنَّ الْبَدَاذَةَ مِنَ الْإِيمَانِ » يَعْنِي : التَّقَحُّلُ . رواه أبو داود .

« الْبَدَاذَةُ » : بِالْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ وَالذَّالَيْنِ الْمُعْجَمَتَيْنِ ، وَهِيَ رَثَائَةُ الْهَيْئَةِ ، وَتَرَكَ فَاخِرَ اللَّبَاسِ وَأَمَّا « التَّقَحُّلُ » فَبِالْقَافِ وَالْحَاءِ ، قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ : الْمُتَقَحَّلُ : هُوَ الرَّجُلُ الْيَابِسُ الْجِلْدِ مِنْ خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، وَتَرَكَ التَّرَفِّهِ .

٥١٨- وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، نَتَلَّقِي عِيرًا لِقُرَيْشٍ ، وَزَوَدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً ، فَقِيلَ : كَيْفَ كُتِّمْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا ؟ قَالَ : نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ الْمَاءِ ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعَصِينَا الْحَبْطَ ، ثُمَّ نَبْلُهُ بِالْمَاءِ فَنَأْكُلُهُ . قَالَ : وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ، فَرَفَعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرُ ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قَالَ : لَا ، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَدْ اضْطَرَّرْتُمْ فَكُلُوا ، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا ، وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ ، حَتَّى سَمِنَّا ، وَلَقَدْ رَأَيْنَا نَعْتَرِفُ مِنْ وَفِّ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنِ وَنَقَطْعُ مِنْهُ الْفَدْرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ . وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَفِّ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَاتِقٍ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ ، فَقَالَ : « هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَتَطْعَمُونَا ؟ » فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ . رواه مسلم .

« الْجِرَابُ » : وعاء من جلد معروف ، وهو بكسر الجيم وفتحها ، والكسر أفصح . قوله : « نَمَصَّهَا » بفتح الميم « والخبط » ورق شجر معروف تأكله الإبل . « والكثيب » التل من الرمل ، « والوقب » : بفتح الواو وإسكان القاف وبعدها باء موحدة ، وهو نقرة العين « والقلال » الجراز . « والفدر » بكسر الفاء وفتح الدال : القطع . « رحل البعير » بتخفيف الحاء أي جعل عليه الرحل . و « ألوشائق » بالشين المعجمة والقاف : اللحم الذي اقتطع ليقدد منه ، والله أعلم .

٥١٩- وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : كان كم قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرضع رواه أبو داود ، والترمذي ، وقال : حديث حسن .

« الرضع » بالصاد والرغ بالسين أيضاً : هو المفصل بين الكف والساعد .

٥٢٠- وعن جابر رضي الله عنه قال : إنا كنا يوم الحندق نحفر ، فعرضت كذبة شديدة فجاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : هذه كذبة عرضت في الحندق . فقال : « أنا نازل » ثم قام وبطنه مغصوب بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقاً ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول ، فضرب فعاد كئيباً أهيل ، أو أهيم . فقلت : يا رسول الله أئذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ما في ذلك صبر فإعندك شيء ؟ فقلت : عندي شعير وعناق ، فذبخت العناق ، وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم في البرمة ، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي قد كادت تنضج . فقلت : طعيم لي فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو ؟ » فذكرت له فقال : « كثير طيب ، قل لها لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى آتي » فقال : « قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فدخلت عليها فقلت : ويحك جاء النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرون ، والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، قال : « ادخلوا ولا تضاعطوا » فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويمم البرمة والتنور إذا أخذ منه ، ويقرّب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر ويعرف حتى شبعوا ، وبقي منه ، فقال : « كئي هذا وأهدي ، فإن الناس أصابتهم مجاعة » متفق عليه .

وفي رواية : قال جابر : لما حفر الحندق رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم حصاً ، فانكفأت إلى

امرأتي فقلت : هل عندك شيء ، فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَمَصًا شَدِيدًا . فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ ، دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنْتِ الشَّعِيرَ فَفَرَعْتُ إِلَى فَرَاعِي ، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا ، ثُمَّ وَكَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ : لَا تَفْضُخْنِي بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ مَعَهُ ، فَجِئْتُهُ فَسَارَزْتُهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا ، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرَّ مَعَكَ ، فَصَاحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « يَا أَهْلَ الْخُنْدَقِ : إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُورًا فَحَيَّهَلًا بِكُمْ » فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تُخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ » . فَجِئْتُ ، وَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْدُمُ النَّاسَ ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي فَقَالَتْ : بِكَ وَبِكَ ، فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ . فَأَخْرَجَتْ عَجِينًا فَبَسَقَ فِيهِ وَبَارَكَ ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ ، ثُمَّ قَالَ : « ادْعُ خَابِزَةَ فَلْتُخْبِزْ مَعَكَ ، وَافْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ وَلَا تُنْزِلُوها » وَهُمْ أَلْفٌ ، فَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لَا أَكُلُوا حَتَّى تَرْكُوهُ وَانْحَرْفُوا ، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغَطُّ كَمَا هِيَ ، وَأَنَّ عَجِينَنَا لِيُخْبِزَ كَمَا هُوَ . قَوْلُهُ : « عَرَضْتُ كُدْيَةً » : بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناة تحت ، وَهِيَ قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الْأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيهَا الْفَأْسُ . « وَالْكَيْبُ » أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ ، وَالْمُرَادُ هُنَا : صَارَتْ تُرَابًا نَاعِمًا ، وَهُوَ مَعْنَى « أَهْيَلٌ » . وَ « الْأَثَافِي » : الْأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ . وَ « نَصَاعَطُوا » : تَزَاحَمُوا . وَ « الْمَجَاعَةُ » : الْجُوعُ ، وَهُوَ بفتح الميم . وَ « الْخَمَصُ » بفتح الخاء المعجمة والميم : الْجُوعُ . وَ « انْكَفَأْتُ » : انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ . وَ « الْبُهَيْمَةُ » بضم الباء : تَصْغِيرُ بَهْمَةٍ ، وَهِيَ الْعِنَاقُ بفتح العين وَ « الدَّاجِنُ » : هِيَ الَّتِي أَلْفَتِ الْبَيْتَ . وَ « السُّورُ » : الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ وَهُوَ بِالْفَارِسِيَّةِ ، وَ « حَيَّهَلًا » أَي : تَعَالَوْا . وَقَوْلُهَا « بِكَ وَبِكَ » أَي : خَاصَمْتُهُ وَسَبَّتُهُ ، لِأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهَا لَا يَكْفِيهِمْ ، فَاسْتَحْيَتْ وَخَفِي عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ وَالآيَةِ الْبَاهِرَةِ . « بَسَقَ » أَي : بَصَقَ ، وَيُقَالُ أَيْضًا : بَزَقَ ثَلَاثُ لُغَاتٍ . وَ « عَمَدَ » بفتح الميم : قَصَدَ . وَ « افْدَحِي » أَي : اغْرِفِي ، وَالْمُقْدَحَةُ : الْمِغْرَفَةُ . وَ « تَغَطُّ » أَي لِيغْلِيَانَهَا صَوْتٌ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ

٥٢١ - وعن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو طلحة لأُمِّ سُلَيْمٍ : قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ ، فَهَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَاراً لَهَا فَلَقَّتْ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ ، ثُمَّ أَرْسَلْتَنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَهَبْتُ بِهِ ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِساً فِي الْمَسْجِدِ ، وَمَعَهُ النَّاسُ ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : « الْإِطْعَامَ » فَقُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « قُومُوا » فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ : قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ ؟ فَقَالَتْ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « هَلْمِي مَا عِنْدَكَ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ » فَأَتَتْ بِذَلِكَ الْخُبْزِ ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ فَفُتَّ ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمَّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَأَدَمَتْهُ ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةِ » فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةِ » فَأَذِنَ لَهُمْ ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا ، ثُمَّ خَرَجُوا ، ثُمَّ قَالَ : « ائْذَنْ لِعَشْرَةِ » فَأَذِنَ لَهُمْ حَتَّى أَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا ، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ . متفق عليه .

وفي رواية : فما زال يدخُلُ عَشْرَةً وَيَخْرُجُ عَشْرَةً ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلَهَا حِينَ أَكَلُوا مِنْهَا . وفي رواية : فَأَكَلُوا عَشْرَةَ عَشْرَةً ، حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ بَثْمَانِينَ رَجُلًا ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَهْلُ الْبَيْتِ ، وَتَرَكُوا سُورًا . وفي رواية : ثُمَّ أَفْضَلُوا مَا بَلَّغُوا جِيرَانَهُمْ .

وفي رواية عن أنسٍ قال : جِئْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنُهُ بِعِصَابِيَّةٍ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : لِمَ عَصَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَطْنَهُ ؟ فَقَالُوا : مِنَ الْجُوعِ . فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ ، وَهُوَ زَوْجُ أُمَّ سُلَيْمِ بْنِ مِلْحَانَ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَتَاهُ ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابِيَّةٍ ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ ، فَقَالُوا :

مِنَ الْجُوعِ . فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي فَقَالَ : هَلْ مِنْ شَيْءٍ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ عِنْدِي كِسْرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمْرَاتٌ ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَدُّهُ أَشْبَعَنَا ، وَإِنْ جَاءَ آخِرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ ، وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن مسعود في قوله : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة قال : ليس إضاعتها تركها قد يضيع الإنسان الشيء ولا يتركه، ولكن إضاعتها إذا لم يصلها لوقتها. عن كعب قال : والله إني لأجد صفة المنافقين في التوراة : شرايين للقهوات : تباعين للشهوات لعابيين للكعبات قادين عن العتبات مفرطين في الغدوات تراكين للصلوات تراكين للجمعات . ثم تلا هذه الآية : فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . (تفسير الدر المنثور ١٠ / ٩٨)

عن القاسم بن مخيمرة في قوله: فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة. قال : إنما أضاعوا المواقيت ، ولو كان تركا كان كفرا . قال : قال مسروق : لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين وفي إفراطهن الهلكة وإفراطهن : إضاعتهن عن وقتهن . (تفسير الطبري ١٨ / ٢١٦)

عن مجاهد في قوله : فخرج على قومه في زينته قال : خرج على براذين بيض، عليها سروج من أرجوان، وعليها ثياب معصفرة. عن زيد بن أسلم في قوله : فخرج على قومه في زينته قال : خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات، وكان ذلك أول يوم في الأرض رثيت المعصفرات فيها. عن قتادة في قوله : قال الذين يريدون الحياة الدنيا قال : أناس من أهل التوحيد قالوا : يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون وفي قوله : ولا يلقاها إلا الصابرون يقول : لا يلقى ثواب الله والصواب من القول. عن السدي في قوله : إنه لذو حظ عظيم قال : ذو جد. (تفسير الدر المنثور ١١ / ٥١٤)

قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ويلكم وهم أحبار بني إسرائيل قالوا للذين تمنوا مكانه ويلكم ثواب الله خير يعني الجنة . لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يؤتى الأعمال الصالحة أو لا يؤتى الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله وجزا ضميرها لأنها المعنية بقوله : ثواب الله. (تفسير القرطبي ١٣ / ٢٩١)

عن قتادة قوله: من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد. يقول: من كانت الدنيا همه وسدمه وطلبته ونيته عجل الله له فيها ما يشاء ثم اضطره إلى جهنم قال: ثم جعلنا له جهنم يصلها مذموما مدحورا. مذموما في نعمة الله مدحورا في نقمة الله. (تفسير الطبري ١٧/٤٠٩)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال لقمان لابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وقعدت الأعضاء عن العبادة. (الإحياء ٣/٩٠)
قال عمر بن الخطاب: إياكم والبطنة فإنها ثقل في الحياة وتتن في الممات. (الجوع رقم ٨١)
عن إبراهيم بن أدهم: أن عمر بن الخطاب قال: لؤم بالرجل: أن يرفع يده من الطعام قبل أصحابه. (حليه الأولياء ٧/٣٩١)

قال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما إن أردت اللحوق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع وارقع القميص وانكس الإزار وأخصف النعل تلحق بهما. (الجوع لابن أبي الدنيا رقم ٢٤)
عن ابن عمر وكان يحضر طعام عمر قال: كانت له كل يوم إحدى عشرة لقمة إلى مثلها من الغد. (الجوع لابن أبي الدنيا رقم ٣١)

عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: ما شبع بعد النبي صلى الله عليه وسلم من طعام، إلا وشئت أن أبكي لبكيت؛ ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم حتى قبض. (حليه الأولياء ٢/٤٦)
قالت عائشة رضي الله عنها: إن أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد قضاء نبيها صلى الله عليه وسلم: الشبع فإن القوم لما شبعوا بطونهم سمنت أبدانهم، فتصعبت قلوبهم وجمحت شهواتهم. (الجوع لابن أبي الدنيا رقم ٢٢)

عن أبي هريرة قال: كنت في الصفة، فبعث إلينا النبي صلى الله عليه وسلم عجوة، فكنا نقرن الثنتين من الجوع؛ ويقول لأصحابه: إني قد قرنت فاقرنوا. (حليه الأولياء ١/٣٣٩-٣٤٠)
قال عطية بن عامر: رأيت سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: أكره على طعام يأكله فقال: حسبي، حسبي؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أكثر الناس شبعاً في الدنيا، أطولهم جوعاً في الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر. (حليه الأولياء ١/١٩٨-١٩٩)

وعن أبي سعد قال: كان سالم بن عبد الله بن عمر غليظاً، كأنه حمال، وقيل: كان على سمت أبيه في عدم الرفاهية؛ لأن ابن عمر كان يلبس ثياباً غليظة حتى إنه جاءه رجل بثياب من خرسان فأعطاها إياه فنظر

إليها، وقال: أحرير هو؟ قال لا من القطن، فنظر إليه وقال: لا حاجة لي فيه. (السير ٤/٤٦٦)

عن أبي جعفر قال: إذا امتلأ البطن طغى الجسد. (الجوع لابن ابي الدنيا رقم ٢٣)

عن عبد الواحد بن زياد قال: سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب: لا تبيتن وأنت شبعان، ودع الطعام وأنت تشتيه؛ فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا - قال: ومحمد بن واسع يستمع كلامها فقال محمد: نعم ووصف أطباء طريق الآخرة فقال مالك: بخ بخ للدنيا والدنيا. (الحليه ٢/٣٥١)

عن عبد الواحد بن زيد قال: من قوي على بطنه: قوي على دينه، ومن قوي على بطنه: قوي على الأخلاق الصالحة؛ ومن لم يعرف مضرته في دينه من قبل بطنه: فذاك رجل في العابدين أعمى. (حليه الأولياء ٢/١٥٧)

قال ابو سليمان الداراني: أصل كل خير الخوف من الدنيا مفتاح الدنيا الشبع ومفتاح الآخرة الجوع. (سير أعلام النبلاء ١٠/١٨٤)

قال أبي سليمان الداراني: لو لم يكن في ترك الأكل شيء، إلا علة دخول الخلاء. (الحليه ٩/٢٧٤)

وعنه قال: لأن أترك لقمة واحدة من عشائي أحب إلي من أن أحلها وأقوم من أول الليل إلى آخره. (حليه الأولياء ٩/٢٧٤)

قال أبي سليمان: إذا جاع القلب وعطش، صفا ورق، وإذا شبع وروي، عمي وبار. (الحليه ٩/٢٦٦)

وقال الحسن البصري: كانت بلية أبيكم آدم وهي بليتكم إلى يوم القيامة. (جامع العلوم والحكم ٢/٤٧١)

قال الحسن: من أراد: أن يغزر دمه ويرق قلبه فليأكل، وليشرب في نصف بطنه. (الحليه ٨/٣١٨)

قال الحسن بن أبي الحسن: قيل ليوست عليه السلام تجوع وخزائن الدنيا بيدك! قال: أخاف أن أشبع فأنس الجوع. (حليه الأولياء ٦/٢٧١)

وعن إبراهيم بن أدهم قال: أخاف ألا أؤجر في تركي أطيب الطعام؛ لأنني لا أشتهي، وكان إذا جلس على طعام طيب قَدَّم إلى أصحابه وقنع بالخبز والزيتون. يعني: يقدم الطعام لأصحابه وهو يأكل الخبز والزيتون. (سير أعلام النبلاء ٧/٣٩١)

وقال ابراهيم بن أدهم: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع، قريبة من الشبعان، والشبع يميت القلب، ومنه يكون الفرح والمرح

والضحك. (جامع العلوم والحكم ٢/٤٧٣)

يقول الربيع تلميذ الشافعي: سمعت الشافعي يقول: ما شبت منذ ست عشرة سنة إلا مرة فأدخلت يدي فتقيأتها، وزاد أيضًا في رواية يقول: لأن الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف العبادة. (تاريخ دمشق ٥١/٣٩٤)

وجاء عن الإمام أحمد: أنه صلى حينما ذهب إلى اليمن بالإمام عبدالرزاق الصنعاني صاحب المصنف فسها الإمام أحمد، فسأل عنه عبدالرزاق فأخبر أنه لم يأكل منذ ثلاثة أيام شيئًا. (السير ١١/١٩٣)

وذكر المروزي عن أحمد أنه بقي بسامراء ثمانية أيام لم يشرب إلا أقل من ربع سوق. (السير ١١/٣٠١) ويقول أحمد بن حنبل لابنه صالح: كانت والدتك في الظلام تغزل غزلًا دقيقًا فتبيع الأستار بدرهمين أقل أو أكثر فكان ذلك قوتنا، وكنا إذا اشترينا الشيء نستره عنه كي لا يراه فيوبخنا، وكان ربا خُبز له فيجعل في فخارة عدسًا وشحمًا وتمرًا شهريز فيجيء الصبيان فيصوت ببعضهم يقول: تعالوا كلوا فيدفعه إليهم فيضحكون ولا يأكلون، ما يعجبهم هذا الطعام، وكان يأتدم بالخل كثيرًا.

(الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/٣٠٤)

قال صالح بن أحمد بن حنبل: ربا رأيت أبي يأخذ الكِسْر - يعني من الخبز - ينفض الغبار عنها ويصيرها في قصعة ويصب عليها ماء ثم يأكلها بالملح، وما رأيتته اشترى رمانًا ولا سفرجلًا ولا شيئًا من الفاكهة إلا أن تكون بطيخة - فيأكلها بخبز - وعنبًا وتمرًا. (الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ١/٣٠٤)

عن كعب الأحبار قال: إني لأجد نعت قوم: يكونون في هذه الأمة بمنزلة الرهبانية، قلوبهم على نور، تنطق ألسنتهم بنور الحكمة، تعجب الملائكة من اجتهادهم واتصالهم بمحبة الله؛ قيل: يا أبا إسحاق، من هم؟ قال: قوم جوعوا أنفسهم لله، وظمؤها، ينادى يوم القيامة: ألا ليقم أهل الجوع والظمأ، فيلتقطون من بين الصفوف، فيؤتى بهم إلى مائدة منصوبة، لم تر العيون، ولم تسمع الأذان بمثلها؛ فيجلسون عليها، والناس في الحساب. (حليه الأولياء ٥/٣٨١-٣٨٢)

عن حرمله بن يحيى قال: أخذ سفيان بن عيينة بيدي، فأقامني في ناحية، وأخرج من كمة رغيف شعير؛ وقال لي: دع يا حرمله ما يقول الناس، هذا طعامي منذ ستين سنة. (حليه الأولياء ٧/٢٧٢)

قال شهر بن حوشب: كان يقال: إذا جمع الطعام أربعاً كمل كل شئ من شأنه: إذا كان أصله حلالاً،

وذكر اسم الله عليه، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله حين يفرغ منه؛ فقد كمل كل شئ من شأنه .

(حليه الأولياء ٦/٦١)

يقول الأعمش : كنت إذا رأيت مجاهدًا يعني: مجاهد بن جبر إمام التابعين، يقول: إذا رأيتك ازدريته متبذلاً كأنه خربندج ضل حماره وهو مغتم يقول: كأنه إنسان صاحب حمار وضل حماره فاغتم لذلك، وهو إمام عالم. (سير أعلام النبلاء ٤/٤٥٢)

قال مكحول: أفضل العبادة بعد الفرائض: الجوع والظما؛ قال بكر: وكان يقال: الجائع الظمان أفهم للموعظة، وقلبه إلى الرقة أسرع؛ وكان يقال: كثرة الطعام، تدفع كثيراً من الخير. (الحليه ٥/١٨١)

عن رياح القيسي: لا أجعل لبطني على عقلي سبيلاً أيام الدنيا فكان لا يشبع إنما كان يأكل بُلغة بقدر ما يمسك الرمق. (حليه الأولياء ٦/١٩٤)

قال أبو عبد الله الواهبي: ما أخلص عبد قط، إلا أحب أن يكون في جُب لا يُعرف، ومن أدخل فضولاً من الطعام، أخرج فضولاً من الكلام. (حليه الأولياء ١٠/١٨)

قال بشر بن الحارث: الجوع يصفي الفؤاد ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق. (السير ١٠/٤٧١)

قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً ولا أملاً جوفياً من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاه .

(حليه الأولياء ٥/١٥٦)

الإمام البخاري ذكر بعض أصحابه أنهم كانوا معه بالبصرة يكتب: ففقدناه أياماً ثم وجدناه في بيت وهو عريان وقد نفذ ما عنده فجمعنا له الدراهم وكسوناه. (سير أعلام النبلاء ٧٠/١٤)

قال يزيد الرقاشي: إن المتجوعين لله تعالى في الرعيل الأول يوم القيامة. (حليه الأولياء ٣/٥١)

وقال محمد بن واسع : من قل طعمه فهم وأفهم ، وصفا ورق. (حليه الأولياء ٢/٣٥١)

قال وهيب بن الورد: ليس من بني آدم أحد أحب إلى شيطانه: من النؤوم الأكل. (الحليه ٤/٥٨)

قال فرقد السبخي: ويل لذي البطن من بطنه: إن أضاعه ضعف وإن أشبعه ثقل. (الحليه ٣/٤٥)

قال أبي الزاهرية: ما من أحد يأكل طعاماً لا يحمد الله تعالى عليه إلا كأنها سرقة. (الحليه ٦/١٠٠)

قال سفيان الثوري : إذا أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل. (جامع العلوم والحكم ٤٧٢/٢)

قال أبي حمزة السكري: ما شبت منذ ثلاثين سنة إلا أن يكون لضيف. (سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٧)

قال محمود الوراق: (العقد الفريد لابن عبدبريه ٣/ ١٥٨)

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعا وليس بمغنيك الكثير مع الحرص

وإن إعتقاد الهمة للخير جامع وقلته هم المرء يدعو إلى النقص

آثار العمليّة في حياة السلف :

قال ابن سيرين رحمه الله: إن رجلاً قال لابن عمر: أعمل لك جوارش؟ قال وما هو؟ قال: شيء إذا كظك الطعام فأصبت منه سهّل، يعني: كما نقول نحن اليوم: مهضم، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: ما شبت منذ أربعة أشهر، وما ذلك ألا أكون له واجداً، يقول: ليس لأنني لا أجد ما أكل، ولكنني عهدت قومًا يشبعون مرة ويجوعون مرة. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣١٣)

قال ابن رجب: قال القاضي ابو بكر الانصارى البزاز: كنت مجاورا مكة حرسها الله فأصابني يوم من الأيام جوع شديد ولم أجد شيء ادفع به عني ذلك الجوع وخرجت أبحث عن طعام فلم أجد، فوجدت كيسا من حرير مشدودا برباط من حرير، قال: فأخذه وجئت به إلى بيتي وحلته فوجت فيه عقدا من لؤلؤ لم أر مثله قط، قال: فربطته وأعدته كما كان ثم خرجت أبحث عن طعام فإذا بشيخ ينادي ويقول: ومن وجد كيسا صفته كذا وكذا وله (٥٠٠) دينار من الذهب، فقلت في نفسي: أي محتاج وجائع أفأخذ هذه الدنانير لأتفجع بها وأرد له كيسه، فقلت: له تعالى إليّ، قال: فأخذه إلى بيتي وسألته عن علامة الكيس وعلامة اللؤلؤ وعدد اللؤلؤ المشدود به، فإذا هو كما كان، قال: فأخرجته ودفعته إليه، فسلم إليّ (٥٠٠) دينار الجائزة، التي ذكرها فقلت له: يجب علي أن أعيده إليك ولا آخذ له جزاء، فقال لا بد أن تأخذ وألح علي كثيرا وأنا أحوج ما أكون، قال: فقلت: والذي لا إله إلا هو ما آخذ عليه جزاء من أحد سوى الله، فلم أقبل الدنانير، فتركتي ومضى ورجع الشيخ بعد موسم الحج إلى بلده. وأما ما كان مني (الكلام للإمام البزاز) فإنني خرجت من مكة وركبت البحر وسط أمواجه المتلاطمه وأهواله، وتكسر المركب وغرق الناس وهلكت الأموال، قال: وسلمني الله، إذ بقيت على قطعة من المركب تذهب بي يمنا ويسره ولا أدري إلى أين تذهب بي، وبقيت مدة في البحر يتقاذفني الأمواج من مكان إلى مكان حتى قذفني إلى جزيرة فيها أميون لا يقرؤون ولا يكتبون قال: فجلس في مسجدهم وقمت أقرأ، قال: فما أن رأيت أهل المسجد حتى اجتمعوا علي فلم يبق في الجزيرة أحدا إلا قال علمني القرآن قال: فعلمتهم القرآن وحصل إليّ خير كثير من جراء ذلك، قال: ثم رأيت في المسجد مصحفا

مزقا فأخذته وأوراقه لأقرأ بها : فقالوا : أحسن الكتابه ، فقلت نعم ، قالوا : علمنا الخط ، فقلت : لا بأس ، فجاؤوا بصبيانهم وشبابهم فكنت أعلمهم ، وحصل لي خير كثير ورغبوا فيه فقالوا له بعد ذلك وهم يريدون أن يبقى معهم ، عندنا جارية يتيمة ومعاشي من الدنيا ونريد أن نزوجها لك وتبقى معنا في هذه الجزيرة ، قال : فتمنعت ، فألحوا عليّ وألزموني فلم أجد أمامي إلا ألحاحهم وإصرارهم ، فأجبت طلبهم . فجهزوها لي وزفها محارمها ، وجلست معهم وإذا بي أنظر إليها وإذا العقد الذي رأيته بمكة بعينه ، معلقة بعنقها ، دهشت وما كان لي بشغل إلا النظر إلى العقد فقال محارمها : يا شيخ كسرت قلب اليتيمة لم تنظر إليها وإنما تنظر إلى العقد ، قلت : إن في هذا العقد قصة ، قالوا ما هي قصته ، فقصصتها عليهم ، فصاحوا وضجوا بالتهليل والتكبير وصرخوا بالتسبيح حتى بلغ صوتهم أنحاء الجزيرة ، فقلت سبحان الله ما بكم ، قالوا إن هذا الشيخ الذي رأيته وأخذ العقد في مكة هو أبو هذه الصبية ، وكان يقول عند عودته من الحج ويردد دائما : والله ما رأيت على وجه الأرض مسلما كهذا الذي رد علي العقد بمكة ، اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه ابنتي ، وتوفي ذلك الرجل وحقق الله دعوته يقول : فبقيت معها مدة من الزمن فكان خير امرأة ورزقت منها بولدين ثم توفيت فعليها رحمة الله فورثت العقد المعهود أنا وولداي قال : ثم توفي الولدان واحدا واحدا قال : فورثت العقد منهم قال : فبعته مئة ألف دينار ويحدث بعد مدة ويقول هذا من بقايا ثمن العقد. (ذيل طبقات الحنابلة)

٥٧- باب الغنامة والعناب والاقتصاد

في المعيشة والإنفاق ودم السؤال من غير ضرورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا [هود : ٦] ، وقال تَعَالَى : لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ لَا يُسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا [البقرة : ٢٧٣] ، وقال تَعَالَى : وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا [الفرقان : ٦٧] ، وقال تَعَالَى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ [الذاريات : ٥٦-٥٧] .

وأما الأحاديث فتقدم معظمها في البابين السابقين. ومما لم يتقدم :

٥٢٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ليس الغني عن كثرة

العرض ، وَلَكِنَّ الْغَنِيَّ غَنِيَ النَّفْسِ « متفقٌ عليه . « العَرَضُ » بفتح العين والراءِ : هُوَ الْمَالُ .
٥٢٣- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ ، وَرَزَقَ كَفَافًا ، وَقَنَعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ » رواه مسلم .

٥٢٤- وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي ، ثُمَّ قَالَ : « يَا حَكِيمُ ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » قال حكيمٌ فقلتُ : يا رسول الله وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا أُرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أَفَارِقَ الدُّنْيَا ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ الْعَطَاءَ ، فَيَأْتِي أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا . ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ ، فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ . فقال : يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرَضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ فِي هَذَا الْفِيءِ ، فَيَأْتِي أَنْ يَأْخُذَهُ . فَلَمْ يَزْرَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى تُوفِّي . متفقٌ عليه . « يَزْرَأُ » براءٌ ثم زاي ثم همزة ، أي لم يأخذ من أحدٍ شَيْئًا ، وَأَصْلُ الرُّزْءِ : التَّقْصَانُ ، أَي لَمْ يَنْقُصْ أَحَدًا شَيْئًا بِالْأَخْذِ مِنْهُ . و « إِشْرَافُ النَّفْسِ » : تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بِالشَّيْءِ . و « سَخَاوَةُ النَّفْسِ » : هِيَ عَدَمُ الإِشْرَافِ إِلَى الشَّيْءِ ، وَالطَّمَعِ فِيهِ ، وَالْمُبَالَغَةِ بِهِ وَالشَّرِّهِ .

٥٢٥- وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا ، وَتَقَبَّتْ قَدَمِي ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي ، فَكُنَّا نَلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ ، فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرْقَ ، قَالَ أَبُو بُرْدَةَ : فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ ، وَقَالَ : مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَدْكُرُهُ ، قَالَ : كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ . متفقٌ عليه .

٥٢٦- وعن عمرو بن تغلب بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِبِالٍ أَوْ سَبِيٍّ فَقَسَّمَهُ ، فَأَعْطَى رِجَالًا ، وَتَرَكَ رِجَالًا ، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا ، فَحَمِدَ اللهُ ، ثُمَّ أَتَنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَمَا بَعْدُ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي

الرَّجُلُ وَادْعُ الرَّجُلَ ، وَالَّذِي اَدْعُ اَحَبُّ اِلَيَّ مِنَ الَّذِي اُعْطِي ، وَلَكِنِّي اِنَّمَا اُعْطِي اَقْوَامًا لِمَا اَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ ، وَاَكُلُ اَقْوَامًا اِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْغِنِيِّ وَالْحَيْرِ ، مِنْهُمْ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ « قال عمرو بن تغلب : فوالله ما احبُّ ان لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم . رواه البخاري . « الهلع » : هو اشدُّ الجزع ، وقيل : الضجر .

٥٢٧- وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، وخير الصدقة ما كان عن ظهر غني ، ومن يستغنى يغنه الله ، ومن يستغن يغنه الله » متفق عليه . وهذا لفظ البخاري ، ولفظ مسلم اخصر .

٥٢٨- وعن سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلحفوا في المسألة ، فوالله لا يسألني احدٌ منكم شيئاً ، فتخرج له مسألته مني شيئاً وأنا له كاره ، فيبارك له فيما أعطيته » رواه مسلم .

٥٢٩ وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا حديثي عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : « ألا تبايعون رسول الله ؟ » فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام تبايعك ؟ قال : « على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، والصلوات الخمس وتطيعوا » وأسر كلمة خفية : « ولا تسألوا الناس شيئاً » فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه رواه مسلم .

٥٣٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقي الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم » متفق عليه .

« المزعة » بضم الميم وإسكان الزاي وبالعين المهملة : القطعة .

٥٣١- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ، وذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : « اليد العليا خير من اليد السفلى » واليد العليا هي المنفقة ، والسفلى هي السائلة . متفق عليه .

٥٣٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّراً فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَبْرًا ، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ » رواه مسلم .

٥٣٣- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ الْمَسْأَلَةَ كَدُّ يَكْدُهَا الرَّجُلُ وَجَهَهُ إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح « الكدُّ » : الخدش ونحوه .

٥٣٤- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدِّ فَاقَتَهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللَّهِ ، فَيُوشِكُ اللَّهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن . « يوشك » بكسر الشين : أي يسرع .

٥٣٥- وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَكْفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا ، وَأَتَكْفَّلَ لَهُ بِالْجَنَّةِ ؟ » فقلت : أنا ، فكان لا يسأل أحدًا شيئًا ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٥٣٦- وعن أبي بشر قبيصة بن المخارق رضي الله عنه قال : تَحَمَّلْتُ حِمَالَةَ فَاتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْأَلُهُ فِيهَا ، فَقَالَ : « أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا » ثُمَّ قَالَ : « يَا قَبِيصَةُ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدٍ ثَلَاثَةَ رَجُلٍ تَحْمَلُ حِمَالَةَ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا ، ثُمَّ يُمْسِكُ . وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاخَتْ مَالَهُ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ ، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةَ مِنْ ذَوِي الْحِجَى مِنْ قَوْمِهِ : لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ ، فَحَلَّتْ لَهُ الْمَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ ، أَوْ قَالَ : سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ . فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ الْمَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُخْتٌ ، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُخْتًا » رواه مسلم .

« الحِمَالَةُ » بفتح الحاء : أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَا لِيَتَحَمَّلَهُ وَيُلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ . وَ « الْجَائِحَةُ » : الْآفَةُ تُصِيبُ مَالَ الْإِنْسَانِ . وَ « الْقَوَامُ » بكسر القاف وفتحها : هُوَ مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الْإِنْسَانِ مِنْ مَالٍ وَنَحْوِهِ وَ « السِّدَادُ » بكسر السين : مَا يَسُدُّ حَاجَةَ الْمُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ ، وَ « الْفَاقَةُ » : الْفَقْرُ . وَ « الْحِجَى » : الْعَقْلُ .

٥٣٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرْدُهُ اللَّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ ، وَكَانَ الْمِسْكِينُ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنَى يُغْنِيهِ ، وَلَا يُفْظَنُ لَهُ ، فَيَتَّصِدَّقَ عَلَيْهِ ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس قوله: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . قال : كل دابة. (الطبرى ١٥ / ٢٤١)
 عن ابن عباس في قوله : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : هم أصحاب الصفة. عن مجاهد في قوله : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : هم مهاجرو قريش بالمدينة مع النبي صلى الله عليه وسلم أمروا بالصدقة عليهم. عن السدي : للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله قال : حصرهم المشركون في المدينة: لا يستطيعون ضرباً في الأرض يعني : التجارة يحسبهم الجاهل بأمرهم . عن مجاهد : تعرفهم بسيماهم قال : التخشع. عن الربيع: تعرفهم بسيماهم يقول: تعرف في وجوههم الجهد من الحاجة عن ابن زيد في قوله : إلخافاً قال: هو الذي يلح في المسألة. (الدر المنثور ٣ / ٣٣٤ - ٣٣٩)
 عن ابن عباس في قوله : والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قال : هم المؤمنون، لا يسرفون فينفقوا في معصية الله، ولا يقترون فيمنعوا حقوق الله . عن الأعمش في قوله : وكان بين ذلك قواماً قال : عدلاً. (تفسير الدر المنثور ١ / ٢١٠-٢١١)

عن ابن عباس في قوله : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون قال : ليقروا بالعبودية طوعاً أو كرها. عن أبي الجوزاء في الآية قال: أنا أرزقهم وأنا أطعمهم ما خلقتهم إلا ليعبدون. (الدر المنثور ١٣ / ٦٨٩)
 وقال علي بن أبي طالب :إلا ليعبدون " أي إلا لأمرهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي يؤيده قوله عز وجل: وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً. (التوبة ٣١). وقال مجاهد :إلا ليعرفوني . وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده ، دليله : قوله تعالى: ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله .

(الزخرف ٨٧) . (تفسير البغوى ٧ / ٣٨١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن ابى طالب: الرزق رزقان فرزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأتته أتاك. (العقد الفريد ٣ / ١٦٩)

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: القناعة مال لا نفاذ له. (العقد الفريد ٣/ ١٦٩)
 وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني: إذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنها مال لا ينفد وإياك
 والطمع فإنه فقر حاضر؛ وعليك باليأس، فإنك لم تيأس من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه.
 (تاريخ دمشق ٢٠/ ٣٦٣)

قال عمر بن عبدالعزيز: الفقه الأكبر القناعة، وكفُّ اللسان. (اداب المجالسه وحمد اللسان ٨٧)
 وقال أبو حاتم: من أكثر مواهب الله لعباده وأعظمها خطرًا القناعة، وليس شيء أروح للبدن من الرضا
 بالقضاء، والثقة بالقسم، ولو لم يكن في القناعة خصلة تُحمد إلا الراحة، وعدم الدخول في مواضع
 السوء لطلب الفضل، لكان الواجب على العاقل ألا يفارق القناعة على حالة من الأحوال.
 (روضه العقلاء ١٤٩)

وقال أيضًا: القناعة تكون بالقلب فمن غني قلبه غنيت يده، ومن افتقر قلبه لم ينفعه غناه، ومن قنع لم
 يتسخط وعاش آمنًا مطمئنًا، ومن لم يقنع لم يكن له في الفوائد نهاية لرغبته، والجُدُّ والحرمان كأنهما
 يصطرعان بين العباد. (روضه العقلاء ١٤٩)
 قال أكثم بن صيفي لابنه: يا بني من لم ييأس على ما فاته ودَّع بدنه ومن قنع بما هو فيه قرت عينه.
 (روضه العقلاء ١٤٩)

وقال الراغب الاصفهاني: الفقر أربعة: فقر الحسنات في الآخرة، وفقر القناعة في الدنيا وفقر المقتني،
 وفقرها جميعًا، والغني بحسبه، فمن حصل له في الدنيا فقد القناعة والمقتني فهو الفقير المطلق على سبيل
 الذم، ولا يقال له غني بوجه. (تفسير الراغب ١/ ٥٦٤)

قال أبو سليمان الداراني: إن قومًا طلبوا الغنى فحسبوا أنه فيجمع المال ألا وإنما الغنى في القناعة وطلبوا
 الراحة في الكثرة وإنما الراحة في القلة، وطلبوا الكرامة من الخلق ألا وهي في التقوى وطلبوا النعمة في
 اللباس الرقيق واللين وفي طعامٍ طيبٍ والنعمة في الإسلام الستر والعافية. (الزهد الكبير للبيهقي ٨٠)
 قال أبو محمد الأنصاري، قال: قرأت على حجر بيت المقدس: رأس الغنى القنوع ورأس الفقر
 الخضوع. وقال أيضا: قرأت على حجر بدمشق: كلم من شئت فأنت نظيره واستغن عن شئت فأنت
 أميره واخضع لمن شئت فأنت أسيره قال: وقرأت على حجر عند جُب كل من أحوجك الدهر إليه

فتعرضت له هُنت عليه. (المنتخب من الزهد والرقائق للخطيب رقم ١٤)
 وقال بكر بن عبد الله المزني: يكفيك من الدنيا ما قنعت به ولو كفَّ تمر، وشربة ماءٍ وظلَّ خباءٍ، وكلما
 انفتح عليك من الدنيا شيءٌ ازدادت نفسك به تعبا. (القناعة والتعفف لابن ابي الدنيا ٦٢)
 وعن الحسن قال: لا تزال كريماً على الناس أو: لا يزال الناس يُكرِّمونك ما لم تعاط ما في أيديهم، فإذا
 فعلت ذلك استخفُّوا بك، وكرهوا حديثك وأبغضوك. (صفه الصفوة ٢ / ٤٣١)
 قال أبو محرز الطفاوي: شكوت إلى جارية لنا ضيق المكسب عليّ وأنا شاب، فقالت لي: يا بني استعن
 بعزِّ القناعة عن ذلِّ المطالب، فكثيراً والله ما رأيت القليل عاد سليماً. قال أبو محرز: ما زلت بعد أعرف
 بركة كلامها في قنوعي. (صفه الصفوة ٢ / ٢٥٨)

وقال أبو الحسن البوشنجي وسئل عن القناعة؟ فقال: المعرفة بالقسمة. (الزهد الكبير للبيهقي ٨٤)
 قال أبي سليمان: سمعت أختي تقول: الفقراء كلهم أموات إلا من أحياه الله تعالى بعزِّ القناعة والرضا
 بفقره. (صفه الصفوة ٢ / ٤٣١)

وقال طاوس لعطاء: إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق بابه دونك ويجعل دونها حجاباً وعليك
 بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة أمرك أن تسأله ووعده أن يجيبك. (جامع العلوم والحكم ٤٨١)
 وكان محمد بن واسع يبيل الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.
 (احياء علوم الدين ٣ / ٢٣٩)

قال وهب بن منبه لرجل يأتي الملوك: ويحك، تأتي من يغلق عنك بابه وتدع من يفتح لك بابه.
 (جامع العلوم والحكم ٤٨١)

قال مالك بن دينار: أزهّد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته. (أدب الدنيا والدين ٢٢٧)
 قال الشافعي رحمه الله: (ديوان الشافعي ٢٥)

صُنِ النَّفْسَ وَأَحْمِلْهَا عَلَى مَا يَزِينُهَا	تَعَشَّ سَالِمًا وَالْقَوْلُ فِيكَ جَمِيلٌ
وَلَا تُرَيِّنَنَّ النَّاسَ إِلَّا تَجَمُّلاً	نَبَا بِكَ دَهْرٌ أَوْ جَفَاكَ خَلِيلٌ
وَإِنْ صَاقَ رِزْقُ الْيَوْمِ فَاصْبِرْ إِلَى	غَدٍ عَسَى نَكَبَاتُ الدَّهْرِ عَنْكَ تَزُولُ
وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِئٍ مُتَمَلِّئٍ إِذَا	الرَّيْحُ مَالَتْ مَالَ حَيْثُ مُمِيلٌ

وَمَا أَكْثَرَ الْإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ

وقال ابن تيمية: (غذاء الالباب للسفاريني ٥٣٨/٢)

وجدتُ القناعة ثوبَ الغنى فصرتُ بأذيالها أمتسكُ

فألبسني جاهها حلةً يمرُّ الزمانُ ولم تُنتهكُ

فصرتُ غنياً بلا درهمٍ أمرُّ عزيزاً كأني ملكُ

الانار العمليه في حياة المسلم :

وعن الحسن قال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب في عبادة يفترش نصفها، ويلبس نصفها، فإذا خرج عطاؤه تصدَّق به، وأكل من سفيف يده.

(تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٣٤/٢١)

ورث داود الطائي من أبيه داراً ودنانير، فكان كلما خرب في الدار بيت انتقل إلى غيره ولم يعمره، ولم يزل يتقوت بالدنانير حتى كفن في آخرها. (ربيع الأبرار للزخشي ٣٣٨/٥)

وعن يحيى بن عروة بن أذينة قال: لما أتى أبي وجماعة من الشعراء هشام ابن عبد الملك فأنشدوه، فلما عرف أبي قال: ألسنت القائل:

وقد عَلِمْتُ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ بَانَ رِزْقِي وَإِنْ لَمْ يَأْتِ يَأْتِينِي

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينِي تَطْلِبُهُ وَلَوْ قَعَدْتُ أَنَا لَمْ يَأْتِيَنِي

فهلاً جلست في بيتك حتى يأتيك؟ فسكت أبي ولم يُجبه، فلما خرجوا من عنده جلس أبي على راحلته حتى أتى المدينة، وأمر هشامٌ بجوائزهم، فقعد أبي فسأل عنه فلما خبر بانصرافه، قال: لا جرم، والله ليعلمنَّ أن ذلك سيأتيه. ثم أضعف له ما أعطى واحداً من أصحابه، وكتب له فريضتين.

(التبصرة لابن الجوزي ١٥٦)

وقال زمعة بن صالح: كتب إلى أبي حازمٍ بعض بني أمية يعزم عليه إلا رفع إليه حوائجه، فكتب إليه: أما بعد، فقد جاءني كتابك تعزم علي أن أرفع إليك حوائجي، وهيئات، قد رفعت حوائجي إلى ربي، ما أعطاني منها قبلت، وما أمسك علي منها قنعت. (القناعة لابن السني ٤٠)

وعن حفص الجعفي، قال: ورث داود الطائي من أمه أربع مائة درهم، فمكث يتقوت بها ثلاثين عاماً، فلما نفدت، جعل ينقض سقوف الدويرة، فيبيعها. وقال عطاء بن مسلم: عاش داود عشرين سنة بثلاث

مائة درهم. (سير أعلام النبلاء للذهبي ٧/ ٤٢٤)

ويقول هشيم بن حسان: كان قوت العلاء بن زياد رغيفاً في كل يوم، وكان للعلاء بن زياد مال ورقيق، فأعتق بعضهم، وباع بعضهم، وتعبد وبالغ، فكلم في ذلك، قال: إنما أتذلل الله لعله يرحمني. (حليه الأولياء ٢/ ٢٤٣)

وذكر إبراهيم بن السري الزجاج: "أنه كان يجري على أبي جعفر في الشهر أربعة دراهم، يتقوت بها. قال: وكان لا يسأل أحداً شيئاً. (سير أعلام النبلاء للذهبي ١٣/ ٥٤٦)

٥٨- باب جواز أخذ من غير مسألة ولا تطع إليه

٥٣٨- عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ فَإِنْ شِئْتَ كُلُّهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ» قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ. متفق عليه. «مشرف» بالشين المعجمة: أي: متطلع إليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

عن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعْطِينِي الْعَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي. (البخارى كتاب الزكاة رقم ١٤٧٣)

عن علي بن ابى طالب: أشد الأعمال ثلاثة: إعطاء الحق من نفسك، وذكر الله على كل حال، ومواساة الأخ في المال. (حليه الأولياء ١/ ٨٥)

عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا أعطى شيئاً في سبيل الله يقول لصاحبه إذا بلغت وادي القرى فشأنك به. (المنتقى شرح الموطأ ٣/ ٣٢)

كان ابن عمر لا يسأل أحداً شيئاً ولا يرد شيئاً أعطيه. عن أبي هريرة قال: ما أحد يهدي إلي هدية إلا قبلتها، فأما أن أسأل، فلم أكن لأسأل. أن أبا الدرداء قال: من آتاه الله عز وجل من هذا المال شيئاً من غير مسألة ولا إشراف فليأكله وليتموله. عن حبيب بن أبي ثابت قال: رأيت هدايا المختار تأتي

ابن عباس وابن عمر فيقبلانها عن إبراهيم النخعي قال : خذ من السلطان ما أعطاك . أبي ذر أنه قال للأحنف بن قيس وقد سأله الأحنف عن العطاء ؟ فقال له أبو ذر : خذه ، فإن فيه اليوم معونة ، فإذا كان ثمننا لدينك فلا تأخذه . عن عبد الله بن مسعود أن رجلا سأله فقال : لي جار يأكل الربا ، وأنه لا يزال يدعوني . فقال له ابن مسعود : مهناه لك ، وإثمه عليك ، قال سفيان : إن عرفته بعينه فلا تأكله . قال أبو محمد : صدق سفيان الأكل غير الأخذ ، لما عرف أن عينه حرام لأنه يقدر في أخذه على أن يؤدي فيه ما افترضه الله تعالى عليه من إيصاله إلى أهله وإزالته عن المظالم ولا يقدر على ذلك في الأكل ، ففرض عليه اجتناب أكله . عن سلمان الفارسي قال : إذا كان لك صديق عامل أو جار عامل أو ذو قرابة عامل فدعك إلى طعام فاقبله فإنه مهناه لك وإثمه عليه . عن معمر قال : كان عدي بن أرطاة هو عامل البصرة يبعث إلى الحسن كل يوم بجفان ثريد فيأكل الحسن منها ويطعم أصحابه قال : وبعث عدي إلى الحسن والشعبي وابن سيرين فقبل الحسن والشعبي ورد ابن سيرين .
(المحل بالآثار ٨ / ١١٢ - ١١٨)

عن سعيد بن المسيب قال : لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يكف به وجهه عن الناس ، ويصل به رحمه ، ويعطي منه حقه . (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٣٥)
قال ميمون بن مهران : عاد ناس عبد الله بن عامر بن كريز ، فتوجع عبد الله وخاف ما بين يديه ، فقال له من عنده : ما رأينا رجلاً أكثر عطاءً ولا صدقةً منك وابن عمر ساكت فقال عبد الله : ما تقول يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : إذا طاب الكسب زكت النفقة وسترد فترى . (إصلاح المال ١٧)
قال النووي في شرح مسلم : اتفق العلماء على النهي عن السؤال من غير ضرورة قال : واختلف أصحابنا في سؤال القادر على الكسب على وجهين : أصحهما التحريم لظاهر الأحاديث ، والثاني يجوز مع الكراهة ، بشروط ثلاثة : أن لا يلح ولا يذل نفسه زيادة على ذل نفس السؤال ، ولا يؤذي المسئول فإن فقد شرط من ذلك حرم . (فتح الباري ١٠ / ٤٠٨)

٥٤ - باب المنأ على الأكل من عمل يده

والتعفف به من السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى : فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ [الجمعة : ١٠] .

٥٣٩- وعن أبي عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحَبَّهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الْجَبَلَ ، فَيَأْتِي بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا ، فَيَكْفَى اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ » رواه البخاري .

٥٤٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَأَنْ يَحْتَطَبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا ، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ » متفق عليه .

٥٤١- وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

٥٤٢- وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ نَجَّارًا » رواه مسلم

٥٤٣- وعن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله . قال : ليس لطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة أخ في الله . عن ابن عباس في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله قال : لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا، إنما هو عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله . عن عبد الله بن بسر الخبراني قال : رأيت عبد الله بن بسر المازني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الجمعة خرج فدار في السوق ساعة، ثم رجع إلى المسجد فصلى ما شاء الله أن يصلي، فقيل له : لأي شيء تصنع هذا؟ قال : لأنني رأيت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم هكذا يصنع، وتلا هذه الآية : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله . عن سعيد بن جبیر قال : إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد، فساوم بالشيء، وإن لم تشتريه . عن الوليد بن رباح، أن أبا هريرة كان يصلي بالناس الجمعة،

فإذا سلم صاح : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله فيبتدر الناس الأبواب عن الضحاك في قوله : فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض قال : هو إذن من الله، فإذا فرغ فإن شاء خرج، وإن شاء قعد في المسجد. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٤٨١-٤٨٢)

قال تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) (الأنبياء) يقول الإمام القرطبي رحمه الله: هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنما شرع للضعفاء، فالسبب سنه الله في خلقه، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة. (تفسير القرطبي ١١ / ٣٢١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن مجاهد في قوله تعالى: (كلوا من طيبات ما رزقناكم) (البقرة ٥٧) قال: التجارة. (الحث على التجارة والصناعة ٤٢)
عن ابن عطاء عن أبيه قال: كان سليمان بن داود يعمل الخوص بيديه ويأكل خبز الشعير.
(الحث على التجارة والصناعة ٦٩)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني أنزلت نفسي من مال الله منزلة مال اليتيم، إن استغنيت استعفت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ / ٦٢٤)

قال عمارة بن خزيمة بن ثابت: سمعت عمر بن الخطاب يقول لأبي : ما يمنعك أن تغرس أرضك ؟ فقال له أبي أنا شيخ كبير أموت غدا فقال له عمر أعزم عليك لتغرسنها فلقد رأيت عمر ابن الخطاب يغرسها بيده مع أبي. (الجامع الكبير للسيوطي ٢ / ٣٣٧)

وقال عمر بن الخطاب: يا معشر القراء ارفعوا رؤوسكم فقد وضح الطريق، فاستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٧٤)

وقال عمر بن الخطاب: أيها الناس أصلحوا أموالكم التي رزقكم الله عز وجل فإن إقلالاً في رفق خير من إكثار في خرق. (إصلاح المال ٥٤)

عن عمر بن الخطاب: إني لأكره أن أرى أحدكم سهيلاً. لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة.
(المقاصد الحسنة للسخاوي ٧٠ / ١)

وعن عمر بن الخطاب: مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسألة الناس. (إصلاح المال ٩٧)

عن علي بن ابي طالب : إن الله يحب أن يرى عبده تعباً في طلب الحلال. (المقاصد الحسنة ٧٠ / ١)

سأل معاوية الأحنف فقال له: ما تعدون المروءة فيكم؟ قال: التفقه في الدين وبرّ الوالدين وإصلاح المال. فأرسل معاوية إلى يزيد فقال: اسمع من عمك. (إصلاح المال ٥٣)

وقال معاوية: إصلاح مال في يديك، أفضل من طلب الفضل من أيدي الناس، وحسن التدبير مع الكفاف أحب إليّ من الكثير. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٤٥)

قال ابن عمر: ما خلق الله مودة أموتها بعد الموت في سبيل الله أحب إلي من الموت بين شعبي رحلي أبتغي من فضل الله ضاربا في الأرض. (الجامع لأحكام القرآن ١٩ / ٥٥، ٥٦)

قال ابن عمر: إذا لم يرزق أحدكم في البلد فليتجر إلى بلد غيره. (إصلاح المال ٧٧)

قال ابن مسعود: إني لأكره الرجل فارغاً لا في عمل الدنيا ولا في الآخرة. (المقاصد الحسنة ٧٠ / ١)

عروة بن الزبير. قال: يقال ما شر شيء. قال: البطالة في العالم. (المقاصد الحسنة ٧٠ / ١)

قالت عائشة: كان أبو بكر من أتجر قريش حتى دخل في الإمارة. (إصلاح المال ٧٥)

عن سالم بن أبي الجعد أن رجلاً صعد إلى أبي الدرداء وهو يلتقط حنطة فقال إن من فقهلك رفلك بمعيشتك. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٦٤)

لقي رجل الحسن بن يحيى بأرض الحبشة معه تجارة، فقال له: ما الذي بلغ بك هاهنا؟ فأخبره، فعذله الرجل. فقال: أكل هذا طلب للدنيا، وحرص عليها؟ فقال له الحسن: يا هذا إن الذي حملني على هذا،

كراهة الحاجة إلى مثلك. (إصلاح المال ٧٨)

أتى قوم قيس بن سعد بن عبادة فسألوه حمالة فأروه في حائط له يلتقط التمر والحشف ويميز كل واحد على حدة فقالوا: ما عند هذا خير ثم كلموه ففضى حاجتهم فقالوا: ما أبعد هذا من فعلك الأول؟ فقال:

إنما أعطيتكم من هذا الذي أجمع. (إصلاح المال ٥٦)

قال الحسن: مطعمان طيبان حمل الرجل على ظهره وعمله بيده. (الحث على التجارة للخلال ٣٩)

وقال الحسن: ليس من حبك الدنيا طلبك ما يصلحك فيها.. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٤٢)

قال سفيان: من كان معه شيء فقد أن يجعله في قرن ثور فليفعل، فإن هذا زمان إذا احتاج الرجل فيه إلى الناس، كان أول ما يبذل دينه. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٤١).

كان سفيان الثوري رحمه الله يمر بنا ونحن جلوس في المسجد الحرام فيقول: ما يجلسكم؟ فنقول: فما

نصنع؟ قال: اطلبوا من فضل الله ولا تكونوا عيالا على المسلمين. (الحث على التجارة ص ٢٣)
قال سفيان لما روي في يده دنانير وقيل له في ذلك قال: لولا هذه تمندل بنا هؤلاء. يعني الملوكة.
(إصلاح المال ٤١)

وقال أيضًا: المال في هذا الزمان سلاح المؤمن. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٤٢)

وقال أيضًا: كنا نكره المال للمؤمن وأما اليوم فنعم الترس: المال للمؤمن. (إصلاح المال ٤٣)

قال سفيان: يجب على الرجل طلب العلم إذا كان عنده ملء كفه طعاما. (الحث على التجارة والصناعة ٢٤)

وقال سعيد بن المسيب: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجرون في بحر الروم، منهم طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وقال سعيد بن المسيب: من لزم المسجد وترك الحرفة وقبل ما يأتيه فقد ألحف في السؤال. (إصلاح المال لابن أبي الدنيا ٧٦)

عن سعيد بن المسيب أن لقمان كان خياطا. (الحث على التجارة والصناعة ٧٢)

قال قتادة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: كان القوم يتبايعون ويتجرون، ولكنهم إذا نابهم حق

من حقوق الله لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤديه إلى الله. (صحيح البخاري ٤ / ٢٩٧)

قال قتادة في هذه الآية: (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن

تراض منكم) (النساء ٢٩) قال: والتجارة رزق من رزق الله حلال من حلال الله لمن طلبها بصدقها

وبرها. (الحث على التجارة والصناعة ص ٦٤)

وقال أيضا: كنا نحدث أن التاجر الصدوق الأمين مع السبعة في ظل العرش يوم القيامة.

(الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر بن الخلال ٦٦)

قال بشر بن الحارث: ينبغي للإنسان أن ينظر في مكسبه ومطعمه ومسكنه ينبغي للإنسان أن يتحرى

تجارته. ثم قال: ولولا أني ليس علي عيال لعملت واكتسبت. (الحث على التجارة والصناعة ٣٢)

عن أبي حمزة قال: سألت إبراهيم عن رجل يترك التجارة، يعني ويقبل على الصلاة، يعني: ورجل

يشتغل بالتجارة أيها أفضل؟ قال: التاجر الأمين. (الحث على التجارة والصناعة ٤٧)

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: كان داود يخطب الناس على منبره وإنه ليعمل الخوص بيده، فيعمل

منه القفة أو الشيء ثم يبعث به مع من يبيعه ويأكل من ثمنه. (الحث على التجارة والصناعة ٦٨)

قال ميمون بن مهران : لو أن كل إنسان منا تعاهد كسبه، ولم يكسب إلا طيباً، ثم أخرج ما عليه، ما احتاج الأغنياء، ولا احتاج الفقراء. (حليه الأولياء ٤ / ٨٧)

قال كعب أما إدريس فإنه كان رجلاً صالحاً يتعبد الله ويصوم ويصلي ، وكان خياطاً يتصدق بكسبه ما فضل من قوته . (الحث على التجارة والصناعة لأبي بكر بن الخلال ٧٠)

قال أحيحة بن الجلاح: اتقوا الله في أموالكم فإنكم لن تزالوا كرماء على عشيرتكم ما داموا يعلمون أنكم مستغنون. (إصلاح المال ٥٦)

قال هشام بن عبد الملك: ثلاث لا تصغر الشريف: تعاهد الضيعة وإصلاح المعيشة وطلب الحق وإن قل. (إصلاح المال ٥٧)

وقال أيوب: كان أبو قلابة يأمرني بلزوم السوق والصنعة ويقول: إن الغنى من العافية. (إصلاح المال ٧٦)
عن الهيثم بن جميل قال: قلت لابن المبارك: أتجر في البحر؟ قال: اتجر في البر والبحر واستغن عن الناس. (إصلاح المال ٧٧)

عن الضحاك بن مزاحم قال: شرف المؤمن: صلاة في جوف الليل، وعزه: استغناؤه عن الناس. (إصلاح المال ٩٦)

كان محمد بن سيرين إذا أتاه رجل من العرب قال لهما لك لا تتجر؟ كان أبو بكر تاجر قريش. (إصلاح المال ٧٣)

قال أبي وائل: درهم من تجارة أحب إلي من عشرة من عطاء. (الحث على التجارة والصناعة ٣٨)

الآثار العملية من حياة النبي :

روى أن أبا بكر لما استخلف أصبح غادياً إلى السوق، وعلى رأسه أثوابٌ يتاجر بها كالعادة، حمل الأثواب والبضائع وغدا إلى السوق، يبيع ويشترى، فلقيه في الطريق عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما فقالا له: كيف تصنع هذا؟ وقد وليت أمر المسلمين؟! قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: فمن أين أطمعُ عيالي؟! قالوا له: نفرض لك، ونجعل لك مرتباً يومياً، أو أسبوعياً، أو شهرياً، تستغني به عن التجارة. (طبقات ابن سعد ٣ / ١٨٤)

ولما وُلِّي عمر بن الخطاب أمر المسلمين بعد أبي بكر مكث زماناً لا يأكل من المال حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة، وأرسل إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشارهم في ذلك فقال: قد

شغلت نفسي في هذا الأمر فما يصلح لي فيه؟ فقال عثمان بن عفان: كل وأطعم، قال: وقال ذلك سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل. وقال عمر لعلي: ما تقول أنت في ذلك؟ قال: غداء وعشاء، فأخذ عمر بذلك. (الطبقات الكبرى ٣/ ٣٠٧)

عن عبيد بن عمير أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يؤذن له وكأنه كان مشغولاً فرجع أبو موسى ففرغ عمر فقال ألم أسمع صوت عبد الله بن قيس ائذنوا له قيل قد رجع فدعاه فقال كنا نؤمر بذلك فقال تأتيني على ذلك بالبينة فانطلق إلى مجلس الأنصار فسألهم فقالوا لا يشهد لك على هذا إلا أصغرنا أبو سعيد الخدري فذهب بأبي سعيد الخدري فقال عمر أخفي هذا علي من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهاني الصفق بالأسواق يعني الخروج إلى تجارة. (فتح الباري ٤/ ٢٩٨)

عن معاوية بن قرة أن عمر بن الخطاب، لقي ناساً من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتكلمون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض، ويتوكل على الله.

(التوكل لابن أبي الدنيا رقم ١٠)

قال عمر بن عبد الرحمن بن عوف: لما قسم سهل بن حنيف بيننا أموالنا، قال: ابن أختي إني موصيك بوصية، إن أخذت بها فهي خير لك من مال أبيك لو خلوت به، اعلم أنه لا مال لأخرق، ولا عيلة على مصلح، واعلم أن خير المال ما أطعمك ولم تطعمه وإن قل، واعلم أن الرقيق جمال وليس مالاً، فإن الماشية مال أهلها، وإن النضج تعول الأرض ليس بمال، إنما كان أحدنا في الجاهلية يقوم فيه بنفسه وزوجته وبنيه، ثم يرد بمزيه وحببته عليهم، فلما ركبت فيه الدواب، وأشربت فيه الأدهان، ولبست فيه الثياب قصر أهله، فإن كنت لا بد متخذاً شيئاً، فانخذ مزرعة، إن نشطت إليها زرعته، وإن تركتها لم تغرمك شيئاً. (إصلاح المال ٩٣)

أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه خدّم النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، يقول أبو العالية: وكان له (أي لأنس) بستان يحمل في السنة الفاكهة مرتين، وكان فيه ريحان كان يجيء منه ريح المسك.

(رواه الترمذي)

قال الفيض بن إسحاق: سألت الفضيل بن عياض قلت: لو أن رجلاً قعد في بيته زعم أنه يثق بالله فيأتيه برزقه؟ قال: يعني إذا وثق به حتى يعلم أنه قد وثق به لم يمنعه شيء أراده، ولكن لم يفعل هذا

الأنبياء ولا غيرهم وقد كانت الأنبياء يؤاجرون أنفسهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم آجر نفسه وأبو بكر وعمر ولم يقولوا : نقعد حتى يرزق الله عز وجل وقد قال الله تعالى في كتابه : (وابتغوا من فضل الله). فلا بد من طلب المعيشة . (الحث على التجارة والصناعة ٣٠)

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه وكان سليمان الخواص يلقط وكان حذيفة يضرب اللبن (اللبن ما يعمل من الطين يعني الطوب والآجر) . (الحث على التجارة والصناعة ص ٢٧)

٦٠- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير

ثقة بالله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ [سبأ : ٣٩] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ [البقرة : ٢٧٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهُ بِهِ عَلِيمٌ [البقرة : ٢٧٣] .

٥٤٤- وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا ، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » متفقٌ عليه . معناه : يَنْبَغِي أَنْ لَا يُغْبَطَ أَحَدٌ إِلَّا عَلَى إِحْدَى هَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ .

٥٤٥- وَعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ . مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ . قَالَ : « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا آخَرَ » رواه البخاري .

٥٤٦- وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ » متفقٌ عليه

٥٤٧- وَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : مَا سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَقَالَ : لَا . متفقٌ عليه

٥٤٨- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا : اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَيَقُولُ الْآخَرُ :

اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمَسَكًا تَلْفَاءً « متفق عليه

٥٤٩- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « قال الله تعالى : أنفق يا ابن آدم يُنْفِقْ

عَلَيْكَ « متفق عليه

٥٥٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ ؟ قال : « تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » متفق

عليه

٥٥١- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْبَعُونَ خَصْلَةً أَعْلَاهَا مَيْبِحَةُ الْعَنْزِ مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا رَجَاءً ثَوَابِهَا وَتَصَدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا الْجَنَّةَ » رواه البخاري . وقد سبق بيان هذا الحديث في باب بيان كثرة طرق الخير .

٥٥٢- عن أبي أمامة صدي بن عجلان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يا ابن آدم إِنَّكَ إِنْ تَبَذَّلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تُمْسِكَ شَرٌّ لَكَ ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كِفَافٍ ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » رواه مسلم .

٥٥٣- وعن أنس رضي الله عنه قال : ما سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الإِسْلَامِ شَيْئاً إِلَّا أَعْطَاهُ ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ عَنَاءً بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ : يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءً مَنْ لَا يَخْشَى الْفَقْرَ ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا ، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا . رواه مسلم .

٥٥٤- وعن عمر رضي الله عنه قال : قَسَمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ لَعَيْرٌ هَؤُلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ ؟ قال : « إِنَّهُمْ خَيْرٌ لِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالْفُحْشِ فَأَعْطِيَهُمْ أَوْ يُبْخَلُونِي ، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ » رواه مسلم .

٥٥٥- وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه قال : بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقْفَلَةً مِنْ حُنَيْنٍ ، فَعَلِقَهُ الْأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمْرَةَ فَخَطَفَتْ رِدَاءَهُ ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : أَعْطُونِي رِدَائِي ، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاءِ نَعْمًا ، لَقَسَمْتُه

بَيْنَكُمْ ، ثم لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا» رواه البخاري . « مَقْفَلَةٌ » أَي حَال رُجُوعِهِ .
و « السَّمْرَةُ » : شَجَرَةٌ . و « العِضَاءُ » : شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ .

٥٥٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا ، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ » رواه مسلم .
٥٥٧- وعن أبي كبشة عمرو بن سعيد الأنباري رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ : مَا نَقَصَ مَالٌ عَبْدًا مِنْ صَدَقَةٍ ، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا ، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا . وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ . قَالَ إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ : عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا ، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحْمَهُ ، وَيَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا فَهَذَا بِأَفْضَلِ الْمَنَازِلِ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا ، وَلَمْ يَرِزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النَّيِّ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُوَ نِيَّتُهُ ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ . وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا ، وَلَمْ يَرِزُقْهُ عِلْمًا ، فَهُوَ يَجْطِئُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ وَلَا يَصِلُ رَحْمَهُ ، وَلَا يَعْلَمُ اللَّهُ فِيهِ حَقًّا ، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ . وَعَبْدٍ لَمْ يَرِزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا ، فَهُوَ يَقُولُ : لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ ، فَهُوَ نِيَّتُهُ ، فَوَرُزُّهُمَا سَوَاءٌ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٥٥٨- وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَا بَقِيَ مِنْهَا؟ » قَالَتْ : مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا ، قَالَ : « بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا » رواه الترمذي وقال حديث صحيح . ومعناه : تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَهَا فَقَالَ : بَقِيَتْ لَنَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَهَا .

٥٥٩- وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تُؤْكِي فَيُؤْكِي اللَّهَ عَلَيْكَ » .

وفي رواية « أَنْفَقِي أَوْ أَنْفَجِي أَوْ أَنْضَجِي وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِي اللَّهَ عَلَيْكَ وَلَا تُوعِي فَيُوعِي اللَّهَ عَلَيْكَ » متفقٌ عليه . و « أَنْفَجِي » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : هُوَ بِمَعْنَى « أَنْفَقِي » وَكَذَلِكَ : « أَنْضَجِي »

٥٦٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَثَلُ

البَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ تُدْيِهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا ، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ ، فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ ، أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ ، وَتَعْفُو أَثَرَهُ ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئاً إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلَقَةٍ مَكَائِنَهَا ، فَهُوَ يُوسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ « متفق عليه .
و « الْجُبَّةُ » الدَّرْعُ ، وَمَعْنَاهُ : أَنْ الْمُنْفِقَ كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبَغَتْ ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجْرَّ وَرَاءَهُ ، وَتُخْفِيَ رِجْلِيهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخُطْوَاتِهِ .

٥٦١- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ » . متفق عليه . « الْفَلُو » بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو ويقال أيضاً : بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو : وهو المَهْرُ

٥٦٢- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ ، فَسَمِعَ صَوْتاً فِي سَحَابَةٍ : اسقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ ، فَإِذَا شَرَجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشَّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَبَّعَ الْمَاءَ ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمَسْحَاتِهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللهِ مَا اسْمُكَ قَالَ : فُلَانٌ ، لِلْأَسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا عَبْدَ اللهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي ؟ فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتاً فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَأْوُهُ يَقُولُ : اسقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا ؟ فَقَالَ : أَمَا إِذْ قُلْتِ هَذَا ، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يُخْرَجُ مِنْهَا ، فَاتَّصَدَّقُ بِثُلُثِهِ ، وَأَكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثاً ، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ . رواه مسلم . « الْحَرَّةُ » الْأَرْضُ الْمُلْبَسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءً : « وَالشَّرَجَةُ » بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء وبالجميم : هِيَ مَسِيلُ الْمَاءِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال : في غير إسراف ولا تقتير. (الدر المنثور ١٢/ ٢٢٤)
عن سعيد بن جبير قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يتصدق على المشركين، فنزلت: وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله . فتصدق عليهم . عن ابن عباس قال : كان أناس من الأنصار لهم أنساب وقرابة من قريظة والنضير، وكانوا يتقون أن يتصدقوا عليهم، ويريدونهم أن يسلموا، فنزلت : ليس عليك هداهم

الآية. عن عطاء الخراساني في قوله : وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله قال : إذا أعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله. عن ابن زيد في قوله : يوف إليكم وأنتم لا تظلمون قال: هو مردود عليك فمالك ولهذا تؤذيه وتمن عليه إنما نفقتك لنفسك وابتغاء وجه الله والله يجزيك. (الدر المنثور ٣/ ٣٣١-٣٣٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: صنائع المعروف تقي مصارع السوء. (ربيع الأبرار ٤/ ٣٥٧)
وعنه رضي الله عنه: الجود حارس الأعراض. (ربيع الأبرار ونصوص الاخيار ٤/ ٣٥٧)
قال علي رضي الله عنه: السخاء ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة فحياء وتذمّم. (ربيع الأبرار ٤/ ٤٨٠)
وقال ايضاً: الكرم أعطف من الرحم. (ربيع الأبرار ونصوص الاخيار للزخشرى ٤/ ٣٥٧)
قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : البخل جلباب المسكنة وربّما دخل السخيّ بسخائه الجنة. (الآداب الشرعية ٣/ ٣١٢)

وقال رضي الله عنه: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنّها لا تبنى، وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنّها لا تبقى وأنشد يقول: لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة. فليس ينقصها التبذير والسرف. وإن تولّت فأحرى أن تجود بها. فالحمد منها إذا ما أدبرت خلف. (إحياء علوم الدين ٣/ ٢٤٦)
قال سلمان الفارسي رضي الله عنه: إذا مات السخيّ، قالت الأرض والحفظة: ربّ تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا مات البخيل قالت: اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عبادك عمّا جعلت في يديه من الدنيا. (مختصر منهاج القاصدين ٢٠٤ - ٢٠٥)

قال ابن عباس: سادات الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء. (أدب الدنيا والدين ٢٢٦)
قال المدائني: أول من سن القرى إبراهيم الخليل عليه السلام وأول من هشم الثريد هاشم. وأول من فطر جيرانه على طعامه في الإسلام عبيد الله بن عباس رضي الله عنهما وهو أول من وضع موائده على الطريق، وكان إذا خرج من بيته طعاماً لا يعاود منه شيء، فإن لم يجد من يأكله تركه على الطريق. (غذاء الالباب للسفاريني ١٥٠ / ٢)

يقول علي بن الحسين: إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني فأسأل له الجنة وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان غداً قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بيدك بها أبخل وأبخل. (السير ٤/ ٣٩٤)
قال حكيم بن حزام: ما أصبحت صباحاً قطّ فرأيت بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعاً فقضيتها إلا

كانت من النعم التي أحمد الله عليها، ولا أصبحت صباحا لم أر بفنائني طالب حاجة إلا كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عز وجل الأجر عليها. (مكارم الاخلاق لابن ابي الدنيا ١٠٧)

وقال جعفر بن محمد الصادق: إن لله وجوها من خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجود مجداً، والإفضال مغتماً، والله يحب مكارم الأخلاق. (ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ٣٥٧/٤)

قال حماد بن أبي حنيفة: لم يكن بالكوفة أسخى على طعامٍ ومالٍ من حماد بن أبي سليمان ومن بعده خلف بن حوشب. (الكرم والجود وسخاء النفوس للبرجلاني ٥٥)

وقال يحيى البرمكي: أعط من الدنيا وهي مقبلة؛ فإن ذلك لا ينقصك منها شيئاً. فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول: لله ذرّه! ما أطبعه على الكرم وأعلمه بالدنيا. (ربيع الأبرار ٣٦٨/٤)

قال الماوردي: اعلم أن الكريم يجتزي بالكرامة واللطف واللئيم يجتزي بالمهانة والعنف فلا يجود إلا خوفاً ولا يجيب إلا عنفاً كما قال الشاعر: رأيتك مثل الجوز يمنع لبه صحيحاً ويعطي خيره حين يكسر. (أدب الدنيا والدين للماوردي ٢٠٠)

قال عبد الله بن الحارث: من لم يكرم ضيفه فليس من محمد صلى الله عليه وسلم ولا من إبراهيم عليه السلام. (جامع العلوم والحكم ١٣٢)

قال عبد الله بن جعفر: أمطر المعروف مطراً فإن أصاب الكرام كانوا له أهلاً وإن أصاب اللئام كنت له أهلاً. (إحياء علوم الدين ٢٤٧/٣)

قال محمد بن المنكدر: كان يقال: إذا أراد الله بقوم خيراً أمر عليهم خيارهم، وجعل أرزاقهم بأيدي سمحائهم. (المنتقى من مكارم الأخلاق للخرائطي ١٢٥)

قال أبو سليمان الداراني: جلساء الرحمن يوم القيامة من جعل في قلبه خصالاً الكرم والسخاء والحلم والرأفة والشكر والبر والصبر. (عدة الصابرين لابن قيم الجوزية ١٤٣)

قال الحسن البصري: السخاء: أن تجود بمالك في الله عز وجل أي في سبيل الله. (الإحياء ٢٤٦/٣)

وقال بكر بن محمد العابد: ينبغي أن يكون المؤمن من السخاء هكذا، وحثا بيديه. (مكارم الأخلاق ١٧٩)

قال ابن المبارك: سخاء النفس عمّا في أيدي الناس أعظم من سخاء النفس بالبذل. (ربيع الأبرار ٣٥٧/٤)

كان هشام بن حسان إذا ذكر يزيد بن المهلب يقول: إن كادت السفن لتجري في جودة.

(ربيع الأبرار ٣٦٤/٤)

قال حسن بن صالح،: سُئِلَ الحسن عن حُسْنِ الخلق فقال الكرم، والبذله والإحتمال.
(الكرم والجود وسخاء النفوس ٥٥)

قال ابن القيم : إذا كان السخاء محموداً فمن وقف على حدّه سمّي كريماً وكان للحمد مستوجباً، ومن قصر عنه كان بخيلاً وكان للذمّ مستوجباً. (الوابل الصيب ٥٣)

قال المتصر بن بلال الأنصاري: (روضه العقلاء ص ٢٣٥)

الجودُ مكرمةٌ والبخلُ مبغضةٌ لا يستوي البخلُ عندَ الله والجودُ
والفقرُ فيه شخوصٌ والغنى دعةٌ والنَّاسُ في المالِ مرزوقٌ ومحدودٌ

آثار العمليّة في حياة السلف:

وذكر أنّ عبيد الله بن العباس أتاه سائل وهو لا يعرفه، فقال له: تصدق على بشيء، فإنني نبئت أنّ عبيد الله بن العباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه، فقال: وأين أنا من عبيد الله فقال: أين أنت منه في الحسب أم في الكرم؟ قال: فيهما جميعاً، قال: أمّا الحسب في الرجل فمروءته وفعله، وإذا شئت فعلت، وإذا فعلت كنت حسيباً. فأعطاه ألفي درهم واعتذر إليه من ضيق نفقته. فقال له السائل: إن لم تكن عبيد الله بن العباس فأنت خير منه، وإن كنت إياه فأنت اليوم خير منك أمس، فأعطاه ألفاً أخرى، فقال له السائل: هذه هزة كريم حسيب. (المستجد من فعلات الاجواد ١٠٤٩)

قال الأصمعيّ: حدّثنا ابن عمران قاضي المدينة أنّ طلحة كان يقال له: طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات، وأنه فدى عشرة من أسارى بدر وجاء يمشي بينهم، وأنه سئل برحم، فقال: ما سئلت بهذه الرحم قبل اليوم، وقد بعت حائطاً لي بتسعمائة ألف درهم وأنا فيه بالخيار، فإن شئت ارتجعت وأعطيتك وإن شئت أعطيتك ثمنه. (عيون الأخبار ٤٥٤ / ١)

قال المدائني: إننا سمى طلحة بن عبيد الله الخزاعي طلحة الطلحات، لأنه اشترى مائة غلام وأعتقهم وزوجهم، فكل مولود له سمة طلحة. (عيون الأخبار لابن قتيبة ٤٦٦ / ١)

وقيل: مريض قيس بن سعد بن عبادة، فاستبطأ إخوانه، فقيل له: إنهم يستحيون ممّا لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر منادياً فنادى: من كان عليه لقيس بن سعد حق فهو منه بريء، قال فانكسرت درجته بالعشي لكثرة من زاره وعادة. (الإحياء ٢٤٧ / ٣)

روى مالك عن مولاة لعائشة رضي الله عنها: أنّ مسكينا سأل عائشة وهي صائمة، وليس في بيتها إلا

رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إِيَّاه، فقالت: ليس لك ما تفتقرين عليه. فقالت أعطيه إِيَّاه. ففعلت، فلَمَّا أمسينا، أهدى لها أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لها شاة وكفنها فدعتني عائشة، فقالت: كلي من هذا. هذا خير من قرصك. (جامع الأصول لابن الأثير ٦ / ٤٥٢)

قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما: رأيت عائشة رضي الله عنها تقسم سبعين ألفا وهي ترقع ثوبها، وروى أنها قسّمت في يوم ثمانين ومائة ألف بين الناس، فلَمَّا أمست قالت: يا جارية عليّ فطوري، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها أمّ ذرّة: أما استطعت فيما قسّمت اليوم أن تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه؟ فقالت: لو ذكّرني لفعلت. (إحياء علوم الدين ٣ / ٢٤٧)

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يثلّم (يشق) حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون يأكلون ويحملون. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢٦)

وكان عبد الله بن الزبير قد باع ماله بالغابة -الذي يعرف بالسقاية- من معاوية بمائة ألف دينار، ثم قسمها في بني أسد وتيم. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢٩)

عزل الحجاج يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه فسأله أن يخفف عنه الضرب على أن يعطيه كل يوم مائة ألف درهم فجاء إليه الأخطل (شاعر نصراني) ومدح يزيد فأعطاه مائة ألفاً فعجب الحجاج من جوده في تلك الحال وعفا عنه واعتقله ثم هرب من حبسه ولما هرب قصد عبد الملك بن مروان بالشام فمر بغريب في البرية فقال لغلامه: استسقنا منهم لبناً اذهب إلى هؤلاء الناس واطلب منهم لبناً، فسقوه فقال: أعطهم ألفاً قال: إن هؤلاء لا يعرفونك؟ قال: لكنني أعرف نفسي. (تاريخ دمشق ٧٤ / ١١٩)

قال ابن سيرين: اشتكى رجلٌ فوصف له لبن الجواميس، فبعث إلى عبد الرحمن بن أبي بكر أن ابعث إلينا بجاموسة فبعث إليه بتسعمائة جاموسة، فقال: إنما أردت واحدة فبعث إليه أن اقبضها كلها. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٤٢٦)

قال عبد الله بن الوسيم الجمال: أتينا عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله نسأله في دين رجلٍ من أصحابنا فأمر بالموائد فنصبت ثم قال: لا حتى تصيبوا من طعامنا فيجب علينا حقكم وذمامكم قال: فأصبنا من طعامه فأمر لنا بعشرة آلاف درهم في قضاء دينه وخمسة آلاف درهم نفقة لعياله.

(الكرم والجود للبرجلاني ٥٥)

قال محمد بن عباد بن عباد بن عباد ابن حبيب بن المهلب رحمه الله تعالى: بعث مروان وهو على المدينة ابنه عبد الملك إلى معاوية فدخل عليه فقال: إن لنا مالا إلى جنب مالك بموضع كذا وكذا من الحجاز، لا يصلح مالنا إلا بهالك، ومالك إلا بالنا، فإما تركت لنا مالك فأصلحنا به مالنا، وإما تركنا لك مالنا فأصلحت به مالك، فقال له: يا ابن مروان: إني لا أخدع عن القليل ولا يتعاضمني ترك الكثير، وقد تركنا لكم مالنا فأصلحوا به مالكم. (مكارم الأخلاق ١١٨)

قال محمد بن صبيح: لما قدم أبو الزناد الكوفة على الصدقات، كلم رجل حماد بن أبي سليمان في رجل يكلم له أبا الزناد يستعين في بعض أعماله، فقال حماد: كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد أن يصيب معه؟ قال: ألف درهم، قال: فقد أمرت له بخمسة آلاف درهم، ولا يبذل وجهي إليه قال: جزاك الله خيراً فهذا أكثر مما أمل ورجا. قال عثمان: وقال ابن السماك: فكلمه آخر في ابنه أن يحوله من كتاب إلى كتاب، فقال للذي يكلمه: إننا نعطي المعلم ثلاثين كل شهر وقد أجريناها لصاحبك مائة دع الغلام مكانه. (الكرم والجود وسخاء النفوس ٥٧)

كان مورك يتجرفيصيب المال فلا يأتي عليه جمعة وعنده منه شيء وكان يأتي الأخ فيعطيه الأربع مائة والخمس مائة ويقول: ضعها لنا عندك. ثم يلقاه بعد فيقول: شأنك بها لا حاجة لي فيها. (السير ٤ / ٣٥١) وروي أن الشافعي رحمه الله لما مرض مرض موته بمصر قال: مروا فلانا يغسلني، فلما توفي بلغه خبر وفاته فحضر وقال: اتوني بتذكرته فأتي بها فنظر فيها فإذا فيها (على الشافعي سبعون ألف درهم دينا)، فكتبها على نفسه وقضاها عنه، وقال: هذا غسلي إياه أي أراد به هذا. وقال أبو سعيد الواعظ الحرکوشي: لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه، فرأيت جماعة من أحفاده وزرتهم، فرأيت فيهم سيم الخير وآثار الفضل؛ فقلت: بلغ أثره في الخير إليهم، وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى: (وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا) (الكهف ٨٢) وقال الشافعي رحمه الله: لا أزال أحب حماد بن سليمان لشيء بلغني عنه، أنه كان ذات يوم راكبا حماره، فحرّكه فانقطع زرّه، فمرّ على خياط، فأراد أن ينزل إليه ليسوي زرّه، فقال الخياط: والله لا نزلت، فقام الخياط إليه فسوى زرّه، فأخرج إليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها إلى الخياط واعتذر إليه من قتلها، وأنشد الشافعي لنفسه:

يا لهف قلبي على مال أجود به على المقلين من أهل المروءات

إنَّ اعتذاري إلى من جاء يسألني ليس عندي لمن إحدى المصيبات. (الإحياء ٣/ ٢٥١)
 وقال محمد بن يزيد الواسطي: حدّثني صديق لي: أنّ أعرابياً انتهى إلى قوم فقال: يا قوم أرى وجوهاً
 وضيئةً وأخلاقاً رضيّةً فإن تكن الأسماء على إثر ذلك فقد سعدت بكم أمّكم قال أحدهم: أنا عطيةٌ
 وقال الآخر أنا كرامة وقال الآخر أنا عبدالواسع وقال الآخر: أنا فضيله: فأنشأ يقول:

كرمٌ وبذلٌ واسعٌ وعطيّةٌ لا
 أين أذهب أنتم أعين الكرم

من كان بين فضيلة وكرامة لا ريب يفقر أعين العدم

قال: فكسوه وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا. (مكارم الأخلاق للخرائطي ٢٠٠)

قال أبو السوار العدوي: كان رجالٌ من بني عدي يصلُّون في هذا المسجد ما أفطر أحدٌ منهم على طعامٍ
 قطُّ وحده إن وجد من يأكل معه أكل وإلا أخرج طعامه إلى المسجد فأكله مع الناس وأكل الناس
 معه. (الكرم والجود وسخاء النفوس ٥٣)

وكان لمحمد بن كعب القرظي أملاك بالمدينة، وحصل ما لا مرة فقيل له: ادخره لولدك، قال: لا ولكن

ادخره لنفسي عند ربي وأدخر ربي لولدي. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٦٨)

قال مالك: كان ابن شهاب الزهري من أسخى الناس فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو
 يعظه: قد رأيت ما مر عليك من الضيق فانظر كيف تكون، أمسك عليك مالك، قال: إن الكريم لا
 تحنكه التجارب. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٣٨)

روى أن ابن شهاب الزهري كان يخرج إلى الأعراب يفقههم فجاء أعرابي وقد نفذ ما بيد الزهري فمد
 الزهري يده إلى عمامة عقيل بن خالد فأخذها وأعطاه وقال: يا عقيل أعطيك خيرًا منها.

(تاريخ دمشق ٥٥/ ٣٧٩)

معاوية بن عبيد الله الأشعري كان ينفق في كل يوم كُرَّ دقيق ويتصدق به، فلما وقع الغلاء تصدق بكُرَّين،
 وكتب مالك إلى الليث، مالك بن أنس كتب إلى الليث بن سعد: إني أريد أن أدخل ابنتي على زوجها
 فأحب أن تبعث لي بشيء من عصفرو، وكانوا يصبغون به الثياب، فبعث إليه بثلاثين جملًا عصفراً فباع
 منه بخمسة دنانير، وبقي عنده فضلة. (تاريخ دمشق ٥٠/ ٣٧٢)

وعن الحسين بن الحسن أنه قال: كنا عند ابن المبارك رحمه الله جلوسًا، فجاء سائل فسأله شيئًا، فقال: يا

غلام ناوله درهماً، فلما ولى السائل قال له بعض أصحابه، يا أبا عبد الرحمن، هؤلاء السؤال يتغدون بالشواء والفالودج! كان يكفيه قطعة، فلم أمرت له بدرهم؟ قال ابن المبارك: يا غلام، رده، إنما ظننت أنهم يميزون بالبقل والخل عند غدائهم، فأما إذا كان غداؤهم بالشواء والفالودج فلا بد من عشرة دراهم، يا غلام ناوله عشرة دراهم. (المنتظم ٩ / ٦٣)

وعن أبي بكر بن أبي شيبة قال: قال جدي: أنفق ابن عائشة رحمه الله على إخوانه أربعمائة ألف دينار في الله حتى التجأ إلى أن باع سقف بيته. (المنتظم ١١ / ١٣٩)

وجاءت امرأة إلى الليث فقالت: يا أبا الحارث، إن ابناً لي عليل واشتهي عسلاً، فأمر لها بعسل كثير يبلغ عشرين ومائة رطل. (تاريخ دمشق ٥٠ / ٣٧٣)

ويقول ابنه شعيب: خرجت معه حاجاً فقدم المدينة، فبعث إليه مالك بن أنس بطبق رطب، قال: فجعل على الطبق ألف دينار ورده إليه. (تاريخ دمشق ٥٠ / ٣٧١)

قال عبد الله بن أبي أيوب: وصل عمارة بن جعفر أبي بثلاثمائة ألف درهم وذكروا أن جماعة أتوا عمارة بن جعفر ليشفعوا في بر قوم فأمر لهم بمائة ألف درهم وكان كثير الأموال والنعمة. (السير ٧ / ٢٩٣)

وبلغت عطايا سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس في بعض المواسم خمسة آلاف ألف درهم. يعني كم؟ خمسة ملايين. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٠١)

وورد أن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس كان في سطح القصر فسمع نسوة يقلن: ليت الأمير اطلع علينا فأغنانا، يعني: يتمنين، فسمع، فرمى إليهم جوهراً وذهباً. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٠١)

وأما سليمان التميمي رحمه الله الإمام الكبير العابد فلم تمر عليه ساعة قط إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء صلى ركعتين. (حلية الأولياء ٣ / ٢٨)

كان رزق يزيد بن عمر بن هبيرة في السنة ستمائة ألف وكان يفرقها في العلماء والوجوه. (السير ٦ / ٣٣١)

٦١ - باب النهي عن البخل والشح

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى [الليل : ٨-١١] وَقَالَ تَعَالَى : وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [التغابن : ١٦]

وأما الأحاديث فتقدمت جملة منها في الباب السابق.

٥٦٣- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» رواه مسلم.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

(وأما من بخل) أي: بما عنده، واستغنى. قال عكرمة عن ابن عباس: أي بخل بهاله، واستغنى عن ربه عز وجل. بالحسنى قال: بالخلف من الله فسنيسره للعسرى قال: للشهر من الله. عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله عز وجل: إذا تردى قال: إذا مات و تردى في النار نزلت في أبي جهل. (تفسير الدر المنثور ١٥ / ٤٧٠)

عن الأسود بن هلال قال: جاء رجل إلى عبد الله بن مسعود، فقال يا أبا عبد الرحمن، إني أخشى أن تكون أصابتي هذه الآية: ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والله ما أعطي شيئاً أستطيع منعه قال: ليس ذلك بالشح، إنما الشح أن تأكل مال أخيك بغير حقه، ولكن ذلك البخل عن أبي الهياج الأسدي قال: كنت أطوف بالبيت، فرأيت رجلاً يقول: اللهم قني شح نفسي، لا يزيد على ذلك، فقلت له، فقال: إني إذا وقيت شح نفسي لم أسرق، ولم أزن، ولم أفعل شيئاً، وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف. (تفسير الطبري ٢٣ / ٢٨٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه: أتيت أبا بكر رضي الله تعالى عنه أسأله فمنعني في أيام خلافته، ثم أتيت أسأله فمنعني، فقلت: إما أن تُبخل وإما أن تعطيني، يعني إما أن تُرمى بالبخل وتوصف بالبخل أو تعطيني، فقال: أتُبخلني وأي داء أدوا من البخل؟، ما أتيتني من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ألفاً قال: فأعطاني ألفاً، وألفاً، وألفاً. (سير أعلام النبلاء ١٦ / ٩٧)

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه: البخل جلباب المسكنة، وربما دخل السخي بسخائه الجنة. (الأدب الشرعي ٣ / ٣١٠)

وقال طلحة بن عبيد الله: إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء؛ لكننا نتصبر. (إحياء علوم الدين ٢ / ٢٥٥)

وسئل الحسن بن علي عن البخل فقال: هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلقاً، وما يمسكه شرفاً .
(الأداب الشرعية ٣ / ٢٩٩)

وقال بشر بن الحارث: البخل لا غيبة له؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم ((إنك إذا لبخيل)).
(شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ٤٤٢)

ومدحت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: (صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ إِلَّا أَنْ فِيهَا بَخْلًا، قَالَ: فَمَا خَيْرُهَا إِذْنُ؟). (شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ٤٤٢)

وقال: النظر إلى البخل يقسي القلب ولقاء البخلاء كرب على قلوب المؤمنين . (الإحياء ٣ / ٢٥٦)

وقال: لا تزوج البخل ولا تعامله، ما أقبح القارئ أن يكون بخيلاً . (الأداب الشرعية ٣ / ٣١١)
قال أبو الدرداء: ويل لكل جماع فاغر فاه كأنه مجنون يرى ما عند الناس ولا يرى ما عند الله عز وجل . لو يستطيع لوصل الليل بالنهار . ويله من حساب غليظ وعذاب شديد . (حلية الأولياء ١ / ٢١٧)
عن عروة بن الزبير قال: قال عمر رضي الله عنه في خطبة: تعلمون أن الطمع فقر، وأن اليأس غنى، وأن الرجل إذا يتس من شيء استغنى عنه . (الحلية (تهذيبه) ١ / ٧١)

قال الحسن البصري عليه يلف بالله: ما أعز أحد الدراهم إلا أذله الله . (السير ٤ / ٥٧٦)

قال الحسن البصري: بتس الرفيقان الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقاك . (تهذيب الكمال ٦ / ١٢١)

وقال ابن المعتز: أبخل الناس بهاله أجودهم بعرضه . (إحياء علوم الدين ٣ / ٢٥٦)

وقال أيضاً: بشّر مال البخل بحادث، أو وارث . (الأداب الشرعية لابن مفلح ٣ / ٣١٧)

وقال أبو حنيفة: لا أرى أن أعدل بخيلاً؛ لأن البخل يحمل على الاستقصاء؛ فيأخذ فوق حقه خيفة من أن يغبن، فمن كان هكذا لا يكون مأمون الأمانة . (إحياء علوم الدين ٢ / ٢٥٦)

قال حبيش بن مبشر الثقفي الفقيه: قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، والناس متوافرون فأجمعوا أنهم لا يعرفون رجلاً صالحاً بخيلاً . (الأداب الشرعية لابن مفلح ٣ / ٣١١)

قالت أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز: أف للبخل لو كان البخل قميصاً ما لبسته ولو كان طريقاً ما سلكته . (إحياء علوم الدين ٣ / ٢٥٥)

عن طاووس قال: البخل: أن يبخل الإنسان بما في يديه؛ والشح: أن يجب الإنسان أن يكون له ما في

أيدي الناس بالحرام لا يقنع. (حليه الأولياء ٦/٤)

وقال أبو بكر الوراق: لو قيل للطمع: من أبوك؟ قال: الشك في المقدور. ولو قيل: ما حرفتك؟ قال:

اكتساب الذل. ولو قيل: ما غايتك قال: الحرمان. (الحلية (تهذيبه) ٣/٣٥٨)

قال محمد بن المنكدر: كان يقال: إذا أراد الله بقوم شرًّا أمر الله عليهم شرارهم وجعل أرزاقهم بأيدي

بخلاتهم. (إحياء علوم الدين ٢/٢٥٥)

وقال الشعبي: لا أدري أيهما أبعد غورًا في نار جهنم البخل، أو الكذب. (الإحياء ٣/٢٥٥)

قال يحيى بن معاذ: ما في القلب للأسخياء إلا حبٌّ ولو كانوا فجارًا وللبخلاء إلا بغض ولو كانوا

أبرارًا. (إحياء علوم الدين ٣/٢٥٦)

وقال الذهبي: ما أقبح بالعالم الداعي إلى الله الحرص وجمع المال!. (السير (تهذيبه) ٣/١٣٥١)

قال أبي الجورجاني: البخل: هو على ثلاثة أحرف الباء وهو البلاء والخاء وهو الخسران واللام وهو

اللوم فالبخيل: بلاء على نفسه وخاسر في سعيه وملوم في بخله. (حليه الأولياء ١٠/٣٥٠)

قال ابن مفلح: عجبًا للبخيل المتعجل للفقر الذي منه هرب، والمؤخر للسعة التي إياها طلب، ولعله

يموت بين هربه وطلبه، فيكون عيشه في الدنيا عيش الفقراء وحسابه في الآخرة حساب الأغنياء، مع

أنك لم تر بخيلًا إلا غيره أسعد بهاله منه لأنه في الدنيا مهتم بجمعه، وفي الآخرة آثم بمنعه، وغيره آمن في

الدنيا من هم، وناج في الآخرة من إثمه. (الأدب الشرعي ٣/٣١٨)

قال الماوردي: الحرص والشح أصل لكل ذم، وسبب لكل لؤم؛ لأن الشح يمنع من أداء الحقوق،

ويبعث على القطيعة والعقوق. (ادب الدنيا والدين ٢٢٤)

قال ابن القيم: والجبن والبخل قرينان فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن وإن كان بهاله فهو

البخل. (الجواب الكافي ٧٣)

قال إسحاق الموصلي: (أمالى القائل ١/٣١)

وأمره بالبخل قلت لها اقصري فليس إلى ما تأمرين سبيل

أرى الناسَ خلانَ الجوادِ ولا أرى بخيلًا له في العالمين خليل

ومن خير حالاتِ الفتى لو علمته إذا قال شيئًا أن يكون ينيل

فإني رأيتُ البخلَ يُزري بأهله
فأكرمتُ نفسي أن يقالَ بخيلُ
عطائي عطاءُ المكثرينَ تجملاً
ومالي كما قد تعلمين قليلُ

الآثار العملية من حياة السلف :

عن حماد بن ثابت: أن رجلاً كان عاملاً، فجعل ماله في سارية، فلما احتضر قال: حرّقوا هذه السارية، فحرقت وانتثر المال فقال: يا ليتها كانت بعراً، يا ليتها كانت بعراً. (موسوعة ابن أبي الدنيا / ٥ / ٣٣٢) يروي الجاحظ أن جماعة من أهل خراسان اجتمعوا في منزل ليلاً فأحجموا عن إنارة المصباح وصبروا على الظلمة ما أمكنهم الصبر، ولما اضطروا إلى الإنارة جمعوا النفقة اللازمة لذلك وأبى واحد منهم أن يشاركهم في النفقة، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح فيفرجون عن عينيه وذلك حتى لا يستفيد من نوره. (كتاب البخلاء للجاحظ)

قال شيخ: لم أر في وضع الأمور مواضعها وفي توفيتها غاية حقوقها، كمعادة العنبرية. قالوا: وما معادة هذه؟ قال: أهدي إليها العام، ابن عم لها أضحية، فرأيتها كتبة حزينة مفكرة مطرقة، فقلت لها: مالك يا معادة؟ قالت: أنا امرأة أرملة، وليس لي قيم (أي: من يقوم بأمرها)، ولا عهد لي بتدبير لحم الأضاحي، وقد ذهب الذين كانوا يدبرونه ويقومون بحقه، وقد خفت أن يضيع بعض هذه الشاة، ولست أعرف وضع جميع أجزائها في أماكنها، وقد علمت أن الله لم يخلق فيها ولا في غيرها شيئاً لا منفعة فيه. ولكن المرء يعجز لا محالة. ولست أخاف من تضييع القليل إلا أنه يجر إلى تضييع الكثير. - أما القرن فالوجه فيه معروف وهو: أن يجعل منه كالخطاف ويسمر في جذع من أجذاع السقف فيعلق عليه الزبل (السلة) والكيران وكل ما خيف عليه من الفأر والنمل والسنانير وبنات وردان (الصراصير) والحيات وغير ذلك وأما المصران فإنه لأوتار المندفة وبنا إلى ذلك أعظم الحاجة. وأما قحف (العظم فوق الدماغ) الرأس والليحان وسائر العظام فسييله أن يكسر بعد أن يعرق، ثم يطبخ فما ارتفع من الدسم كان للمصباح وللإدام وللعصيدة ولغير ذلك، ثم تؤخذ تلك العظام فيوقد بها، فلم ير الناس وقوداً قط أصفى ولا أحسن لهباً منه وإذا كانت كذلك فهي أسرع للقدر لقلّة ما يخالطها من الدخان وأما الإهاب فالجلد نفسه جراب وللصوف وجوه لا تعد. وأما الفرث (أي: الزبل) والبحر فحطب إذا جفف عجيب. ثم قالت: بقي الآن علينا الانتفاع بالدم، وقد علمت: أن الله عز وجل لم يحرم من الدم المسفوح إلا أكله وشربه. وأن له مواضع يجوز فيها ولا يمنع منها وإن لم أقع على علم ذلك حتى يوضع موضع

الانتفاع به، صار كية في قلبي وقذى في عيني وهما لا يزالان يعوداني. قال: فلم ألبث أن رأيتها قد تطلقت وتبسمت فقلت: ينبغي أن يكون قد انفتح لك باب الرأي في الدم. قالت: أجل ذكرت أن عندي قدوراً شامية جديداً. وقد زعموا: أنه ليس شيء أزيغ ولا أزيد في قوتها، من التلطيح بالدم الحار الدميم، وقد استرحت الآن، إذ وقع كل شيء في موقعه قال: ثم لقيتها بعد ستة أشهر، فقلت لها: كيف كان قديد تلك؟ قالت: بأبي أنت! لم يجيء وقت القديد بعد لنا في الشحم والإلية والجنوب والعظم المعرق وفي غير ذلك معاش ولكل شيء إبان. (كتاب البخلاء للجاحظ)

كان شيخ خراساني يأكل في بعض المواضع إذ مر به رجل فسلم عليه فرد الشيخ السلام ثم قال: هلم عافاك الله. فتوجه الرجل نحوه فلما رآه الشيخ مقبلاً قال له: مكانك... فإن العجلة من عمل الشيطان. فوقف الرجل، فقال له الخراساني: ماذا تريد؟ قال الرجل: أريد أن أتغذى. قال الشيخ: ولم ذاك؟ وكيف طمعت في هذا؟ ومن أباح لك مالي؟ قال الرجل: أوليس قد دعوتني؟ قال الشيخ: ويحك، لو ظننت أنك هكذا أحق ما رددت عليك السلام الأمر هو أن أقول أنا: هلم فتجيب أنت: هنيئاً فيكون كلام بكلام. فأما كلام بفعال وقول بأكل فهذا ليس من الإنصاف!!! (البخلاء للجاحظ)

٦٢ - باب الإيثار للمواساة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ [الحشر : ٩] وقال تَعَالَى : وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا [الانسان : ٨] . إلى آخر الآيات.

٥٦٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلْ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ ، فَقَالَتْ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيَّ أُخْرَى . فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ ، حَتَّى قُلْنَا كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ : لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ .

فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « من يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ ؟ » فقال رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ : أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : أَكْرَمِي : ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وفي رواية قال لامرأته : هل عندك شيء؟ فقالت : لا إلا قوت صبياني قال : عللهم بشيء وإذا أرادوا العشاء فنومهم وإذا دخل ضيفنا ، فأطفئي السراج وأريه أننا نأكل ، فقعدوا وأكل الضيف وباتا طاوئين فلما أصبح غدا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فقال : « لقد عجب الله من

صَنِيعِكُمْ بِضَيْفِكُمْ اللَّيْلَةَ « متفقٌ عليه .

٥٦٥- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « طَعَامُ الاثْنَيْنِ كافي الثَّلَاثَةِ ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كافي الأَرْبَعَةِ « متفقٌ عليه . وفي رواية لمسلمٍ رضي اللهُ عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « طَعَامُ الواحدِ يَكفي الاثْنَيْنِ ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكفي الأَرْبَعَةَ وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكفي الثَّمَانِيَةَ »

٥٦٦- وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي اللهُ عنه قال : بينمَا نَحْنُ في سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ على رَاحِلَةٍ لَهُ ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا ، فَقَالَ رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعُدْ بِهِ على مَنْ لا ظَهَرَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ ، فَلْيَعُدْ بِهِ على مَنْ لا زَادَ لَهُ » فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لا حَقَّ لِأحدٍ مِنَّا في فَضْلٍ « رواه مسلم .

٥٦٧- وعن سهلِ بنِ سَعْدٍ رضي اللهُ عنه أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إلى رسولِ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ ، فَقَالَتْ : نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لِأَكْسُو كَهَا ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتِاجًا إِلَيْهَا ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا لِأَزَارُهُ ، فَقَالَ فَلَانُ اكْسِينِيهَا مَا أَحْسَنَهَا ، فَقَالَ : « نَعَمْ » فَجَلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المَجْلِسِ ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَّأَهَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ : فَقَالَ لَهُ القَوْمُ : ما أَحْسَنَتْ ، لَبِسَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحْتِاجًا إِلَيْهَا ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلًا ، فَقَالَ : إني وَاللَّهِ ما سَأَلْتُهُ لِأَلْبَسَهَا ، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي . قال سهلٌ : فكانت كَفَنَهُ . رواه البخاري .

٥٦٨- وعن أبي موسى رضي اللهُ عنه قال : قال رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الأَشْعَرِيينَ إِذَا أَرْمَلُوا في الغَزْوِ ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بِالْمَدِينَةِ ، جَمَعُوا ما كَانَ عِنْدَهُم في ثَوْبٍ واحدٍ ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُم في إِنْاءٍ واحدٍ بالسَّوِيَّةِ فَهُم مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ » متفقٌ عليه . « أَرْمَلُوا » : فَرَّغَ زَادُهُم ، أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ .

الإيثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للأَنْصار : إن شئتم قسمتم

للمهاجرين من أموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الأنصار: بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فأنزل الله عز وجل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. (تفسير البغوي ٧٧ / ٨)

عن مجاهد في قوله: ويطعمون الطعام على حبه. قال: وهم يشتهونه. عن سعيد بن جبير في قول الله: مسكينا ویتيما وأسيرا. من أهل القبلة وغيرهم فسألت عطاء فقال مثل ذلك. عن مجاهد وأسيرا. قال: الأسير: هو المحبوس. (تفسير الدر المنثور ٩٨ / ٢٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عمر بن الخطاب (عام الرمادة): لو لم أجد للناس من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بحيا (أي بالخير)، فعلت؛ فإنهم لن يهلكوا عن أنصاف بطونهم. (الطبقات لابن سعد ٢٤٠ / ٣)

قال أنس بن مالك: تفرقر بطن عمر بن الخطاب وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن، فنقر بطنه بإصبعه، قال: تفرقر تفرقر، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٣٨ / ٣)

ورفع رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما رقعة فقال حاجتك مقضية فليل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسألني الله عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى أقرأ رقعته. (إحياء علوم الدين ٢٤٦ / ٣)

قال شقيق بن إبراهيم البلخي قال لي إبراهيم بن أدهم: أخبرني عما أنت عليه؟ قلت: إن رزقت أكلت، وإن منعت صبرت، قال: هكذا تعمل كلاب بلخ، فقلت: كيف تعمل أنت؟ قال: إن رزقت آثرت، وإن منعت شكرت. (المستطرف للابشيهي ١ / ١٦٠)

قال يوسف بن الحسين: من رأى لنفسه ملكا لا يصح منها الإيثار، لأنه يرى نفسه أحق بالشيء بروية ملكه، إننا الإيثار ممن يرى الأشياء كلها للحق؛ فمن وصل إليه فهو أحق به، فإذا وصل شيء من ذلك إليه يرى نفسه وبده فيه يد أمانة، يوصلها إلى صاحبها أو يؤدبها إليه. (عوارف المعارف ٢ / ٧٦)

وعندما توفيت ابنة المهدي جزع عليها جزعاً لم يسمع بمثله فجلس الناس يعزونه فجاءه ابن شيبه يوماً

فقال له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده. (سير أعلام النبلاء ١١ / ٤٩٧ - ٤٦٨)

قال عبدالله بن عثمان (شيخ البخاري): ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بيالي، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان. (الأداب الشرعية ٢ / ١٨٠)

قال أبو عبدالله الجهني: المواساة تجديد للمؤاخاة. (الفتوة - أبو عبدالرحمن السلمى ٩٣)

المنيعي حسان بن سعيد المخزومي عندما أراد أن يبني جامعاً أتته امرأة بثوب لتبيعه وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار فطيب خاطرها واشتراه منها بألف دينار وخبأ الثوب كفننا له. (السير للذهبي ١٨ / ٢٦٦)

سئل ذوالنون المصري: ما حد الزاهد المنشرح صدره؟ قال ثلاث: تفريق المجموع، وترك طلب المفقود، والإيثار عند القوت. (تفسير القرطبي ١٨ / ٢٧)

قال محمد بن واسع: ما رددت أحداً عن حاجةٍ أقدر على قضائها ولو كان فيها ذهاب مالي. (قضاء الحوائج ٦٤)

قال ابن السماك : عجبت لمن يشتري الممالك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه. (الإحياء ٣ / ٢٤٦)

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: المواساة من أخلاق المؤمنين. (حليه الاولياء ٧ / ٣٧٠)

قال ابن قتيبة رحمه الله: لا حُصِّنت النعم بمثل المواساة . (عيون الأخبار لابن قتيبة ١ / ٣٨٨)

قال الغزالي : وَالإيثار أعلى درجات السخاء. (احياء علوم الدين ٣ / ٢٥٨)

قال ابن تيمية: و أما الإيثار مع الخصاصة فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة فإنه ليس كل متصدق محبا مؤثرا ولا كل متصدق يكون به خصاصة بل قد يتصدق بما يجب مع اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخصاصة. (منهاج السنه النبويه ٧ / ١٢٩)

قال أبو العتاهية : (الأداب الشرعية ٢ / ١٧٨)

اقضِ الحوائجِ ما استطعت وكن لهم أخيك فارح

فلخير أيام الفتى يومٌ قضى فيه الحوائج

قال حماد عجرد: (الشعر والشعراء لابن قتيبة ٧٦٧/٢)

إِنَّ الْكَرِيمَ لِيُخْفِي عَنْكَ عُسْرَتَهُ حَتَّى يُجَالَ غَنِيًّا وَهُوَ مَجْهُودٌ
وللبخيلِ على أمواله عللٌ زرقُ العيونِ عليها أوجهٌ سودٌ

الآثار العملية من حياة السلف:

لما طعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قال لابنه عبد الله: اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقل: يقرأ عمر ابن الخطاب عليك السلام ثم سلها أن أذفن مع صاحبي. قالت: كنت أريده لنفسي فلا وثرته اليوم على نفسي. فلما أقبل، قاله: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع فإذا قبضت فاحملوني ثم سلّموا ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فادفوني وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين. (٣٧٤ البخارى ١٣٩٢)

قال ابن الأعرابي: استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام وجماعة من بني المغيرة فأتوا بباء وهم صرعى فتدافعوه حتى ماتوا ولم يذوقوه. قال: أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه فقال: ابدؤوا بذا فنظر سهيل إلى الحارث بن هشام ينظر إليه فقال: ابدؤوا بهذا فماتوا كلهم قبل أن يشربوا فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

(مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ١/١٤٢٨)

مرض ابن عمر فاشتبهى عنبا - أول ما جاء العنب - فأرسلت صفيّة - يعني امرأته - فاشتريت عنقودًا بدرهم، فاتّبع الرسول السائل، فلما دخل به، قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر، فاشتريت عنقودًا، فاتّبع الرسول السائل، فلما دخل، قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفيّة إلى السائل، فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشتريت به. واشتهى يومًا سمكة، وكان قد نَقِهَ من مرضٍ فالتُمِسَتْ بالمدينة، فلم توجد حتى وُجِدَتْ بعد مدة، واشترت بدرهم ونصف، فشويّت وجيء بها على رغيف، فقام سائلٌ بالباب، فقال ابن عمر للغلام لَفَّهَا برغيفها، وادفعها إليه. فأبى الغلام، فردّه وأمره بدفعها إليه، ثم جاء به فوضعها بين يديه، وقال: كُلْ هنيئًا - يا أبا عبد الرحمن -، فقد أعطيتك درهمًا وأخذتها. فقال: لَفَّهَا وادفعها إليه، ولا تأخذ منه الدرهم. (تاريخ دمشق ٣١/١٤٢)

قال ابن عمر: أهدي لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس شاة، فقال: إن أخي فلا تأ

وعياله أحوج إلى هذا منّا. فبعث به إليهم، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر حتى تداولها أهل سبعة أبيات حتى رجعت إلى الأوّل، فنزلت: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) (الحشر ٩).
(شعب الإيمان للبيهقي ٣٧٨)

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم وفيه غلام أسود يعمل فيه إذ أتى الغلام بقوته فدخل الحائط كلبٌ ودنا من الغلام فرمى إليه الغلام بقرصٍ فأكله ثم رمى إليه الثاني والثالث فأكله وعبد الله ينظر إليه فقال: يا غلام كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت. قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟! قال: ما هي بأرض كلاب إنّه جاء من مسافة بعيدة جائعاً فكرهت أن أشبع وهو جائع. قال: فما أنت صانع اليوم؟! قال: أطوي يومي هذا. فقال عبد الله بن جعفر: ألام على السخاء! إن هذا الغلام لأسخى مني. فاشتري الحائط والغلام وما فيه من الآلات فأعتق الغلام ووهبه منه. (الإحياء ٣/ ٢٥٨)

وروي أنّ مسروقاً أذّن ديناً ثقيلاً، وكان على أخيه خيثة دين، قال: فذهب مسروق ففضى دين خيثة، وهو لا يعلم، وذهب خيثة ففضى دين مسروق وهو لا يعلم. (إحياء علوم الدين ٢/ ١٧٤)
وقال عبّاس بن دهقان: ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلاّ بشر ابن الحارث؛ فإنّه أتاه رجل في مرضه، فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إيّاه، واستعار ثوباً فمات فيه. (الإحياء ٣/ ٢٥٨)

قال الخلال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، قال: قال أبو سيعد بن أبي حنيفة المؤدب: كنت آتي أباك فيدفع إليّ الثلاثة دراهم وأقل وأكثر ويقعد معي، فيتحدث، وربما أعطاني الشيء، ويقول: أعطيتك نصف ما عندنا. فجئت يوماً، فأطلت القعود أنا وهو. قال: ثم خرج ومعه تحت كسائه أربعة أرغفة. فقال: هذا نصف ما عندنا. فقلت: هي أحب إليّ من أربعة آلاف من غيرك. (السير ٢٦٠/ ٢١)

عن أبي الحسن الأنطاكي: أنّه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلاً بقرية من قرى الرّي، ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فكسروا الرّغفان، وأطفئوا السّراج، وجلسوا للطّعام، فلما رفع فإذا الطّعام بحاله لم يأكل منه أحد شيئاً إيثاراً لصاحبه على نفسه. (تفسير السراج المنير للخطيب الشرييني ٤/ ٢٦٤)
قال قبيصة: حدثني صاحب لنا أن امرأة من أهل داود الطائي صنعت ثريدة بسمن، ثم بعثت بها إلى داود حين إفطاره مع جارية لها، وكان بينها وبينهم رضاع، قالت الجارية: فأثيته بالقصعة فوضعتها بين يديه في الحجر، قال: فسعى ليأكل منها، فجاء سائل فوقف على الباب، فقام فقدمها إليه، وجلس معه

على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القصعة، ثم عمد إلى تمر كان بين يديه - قالت الجارية: ظننت أنه كان أعدّه لعشائه - فوضعه في القصعة ودفعها إليّ، وقال: أقرئها السلام، قالت الجارية: ودفع إليّ السائل ما جئتاه به، ودفع إلينا ما أراد أن يفطر عليه، قالت: وأظنه ما بات إلا طاوياً، قال قبيصة: كنت أراه قد نحل جداً. (الحلية (تهذيبه) ٢ / ٤٦٣)

وعن سليمان قال: جاء رجل من أهل الشام، فقال: دلوني على صفوان بن سليم رحمه الله، فإني رأيتُه دخل الجنة. قيل له: بأي شيء؟ قال: بقميص كساه إنساناً، فسأل بعض إخوان صفوان صفواناً عن قصة القميص. فقال: خرجت من المسجد في ليلة باردة وإذا برجل عار فنزعت قميصي فكسوته. (الحلية (تهذيبه) ١ / ٤٩٩)

وعن فائقة بنت عبد الله أنها قالت: بينا أنا يوماً عند المهدي وكان قد خرج متنزهاً إلى الأنبار إذ دخل عليه الربيع ومعه قطعة من جراب فيه كتاب برماد وختم من طين قد عجن بالرماد، وهو مطبوع بخاتم الخلافة، فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت أعجب من هذه الرقعة، جاءني بها رجل أعرابي وهو ينادي: هذا كتاب أمير المؤمنين المهدي، دلوني على هذا الرجل الذي يسمى الربيع فقد أمرني أن أدفعها إليه - أعني هذه الرقعة - فأخذها المهدي وضحك وقال: صدق هذا خطي وهذا خاتمي، أفلا أخبركم بالقصة؟ قلنا: يا أمير المؤمنين، رأيت أعلى عيناً في ذلك. قال: خرجت أمس إلى الصيد في غب سماء، فلما أصبحت هاج علينا ضباب شديد وفقدت أصحابي حتى ما رأيت منهم أحداً، وأصابني من البرد والجوع والعطش ما الله به أعلم، وتحيرت عند ذلك فذكرت دعاء سمعته من أبي، عن أبيه، عن جده، عن ابن عباس، قال: من قال إذا أصبح وإذا أمسى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ولا حول ولا قوة إلا بالله " اعتصمت بالله وتوكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم " وَقِيَّ وَكْفِي وَشَفِي من الحرق والغرق والهدم وميتة السوء. فلما قلتها دفع لي ضوء نار فقصدتها، فإذا بهذا الأعرابي في خيمة له، وإذا هو يوقد ناراً بين يديه، فقلت: أيها الأعرابي هل من ضيافة؟ قال: انزل، فنزلت، فقال لزوجته: هاتي ذاك الشعير، فأتته به، فقال: اطحنيه، فابتدأت بطحنه، فقلت له: اسقني ماء، فجاء بسقاء فيه مذقة من لبن أكثره ماء، فشربت منها شربة ما شربت قط شيئاً إلا وهو أطيب منه، قال: فأعطاني حلساً له فوضعت رأسي عليه، فنمت نومة ما نمت نومة أطيب منها وألذ، ثم انتبعت فإذا هو قد وثب إلى شوية فذبحها،

وإذا امرأته تقول له: ويحك قتلت نفسك وصبيتك إنما كان معاشكم من هذه الشاة فذبحتها فبأي شيء نعيش؟ قال: فقلت: لا عليك هات الشاة، فشقت جوفها واستخرجت كبدها بسكين في خفي فشرحتها ثم طرحتها على النار فأكلتها، ثم قلت: هل عندك شيء أكتب لك فيه؟ فجاءني بهذه القطعة وأخذت عودًا من الرماد الذي كان بين يديه، فكتبت له هذا الكتاب وختمته بهذا الخاتم وأمرته أن يجيء ويسأل عن الربيع فيدفعها إليه فإذا في الرقعة خمسمائة ألف درهم، فقال: لا والله ما أردت إلا خمسين ألف درهم، ولكن جرت بخمسمائة ألف درهم، لا أنقص والله منها درهمًا واحدًا ولو لم يكن في بيت المال غيرها حملوها معه. فما كان إلا قليلًا حتى تكثرت إبله وشاؤه، وصار منزلًا من المنازل تنزله الناس من أراد الحج من الأنبار إلى مكة، وسمي مضيف أمير المؤمنين المهدي. (المنتظم ٨ / ٢١١ - ٢١٢)

٦٤- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يشترك فيه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ [المطففين: ٢٦].

٥٦٩- وعن سهل بن سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الْأَشْيَاحُ، فَقَالَ لِلْغُلامِ: «أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هُؤُلَاءِ؟ فَقَالَ الْغُلامُ: لا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ لا أُؤِثِّرُ بِنَصِيبي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ. متفقٌ عليه. «تَلَّهُ» بالتاء المثناة فوق، أي: وَضَعَهُ، وَهَذَا الْغُلامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

٥٧٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «بَيْنَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَمِي فِي ثَوْبِهِ، فَناداهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟، قال: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ» رواه البخاري.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

(وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عز وجل. وقال مجاهد

:فليعمل العاملون ، نظيره قوله تعالى : لمثل هذا فليعمل العاملون .(الصفات ٦١)

وقال مقاتل بن سليمان : فليتنازع المتنازعون وقال عطاء : فليستبق المستبقون ، وأصله من الشيء النفيس

الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي يضمن .(تفسير البغوى ٨ / ٣٦٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قول محارب بن دثار: صحبنا القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود إلى بيت المقدس، فكان

يفضلنا بكثرة الصلاة وطول الصمت والسخاء. (سير أعلام النبلاء ٥ / ١٩٦)

عن ابن عمر : أنه سمع رجلاً يقول: أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟ فأراه قبر النبي صلى

الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر؛ وقال: عن هؤلاء تسأل؟ (حليه الأولياء ١ / ٣٦٠)

عن مجاهد قال: كنت أمشي مع ابن عمر، فمر على خربة؛ فقال: قل يا خربة: ما فعل أهلك؟ فقلت: يا

خربة، ما فعل أهلك؟ فقال ابن عمر: ذهبوا، وبقيت أعمالهم. (حليه الأولياء ١ / ٣١٢)

قال ابن عمر: لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص درجاته عند الله عز وجل وإن كان عليه

كريباً. (حليه الأولياء ١ / ٣٦٠)

كان عامر بن عبد الله، يقول: في الدنيا: الغموم والأحزان، وفي الآخرة: النار والحساب؛ فأين الراحة

والفرح؟ إلهي، خلقتني، ولم تؤامرني في خلقي، وأسكتني بلايا الدنيا، ثم قلت لي: إستمسك؛ فكيف

أستمسك إن لم تمسكني؟ إلهي، إنك لتعلم: أن لو كانت لي الدنيا بحذافيرها، ثم سألتنيها، لجعلتها لك؛

فهب لي نفسي. (حليه الأولياء ٢ / ٨٨)

قال موهب بن عبد الله: لما استخلف عمر بن عبد العزيز كتب إليه الحسن البصري كتاباً بدأ فيه بنفسه:

أما بعد، فإن الدنيا دار مخيفة، إنما أهبط آدم من الجنة إليها عقوبة واعلم، أن صرعتها ليست كالصرعة،

من أكرمها يهن، ولها في كل حين قتيل؛ فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوى جرحه، يصبر على شدة

الدواء، خيفة طول البلاء؛ والسلام. (حليه الأولياء ٢ / ١٤٨)

عن سعيد بن المسيب قال: إن الدنيا نذلة، وهي إلى كل نذل أميل وأنذل منها: من أخذها بغير حقها،

وطلبها بغير وجهها، ووضعها في غير سبيلها. (حليه الأولياء ٢ / ١٧٠)

قال سفيان بن عيينة : إني لأشتهي من عمري كله أن أكون سنة مثل ابن المبارك فما أقدر أن أكون ولا

ثلاثة أيام. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٨٩)

ويقول ابن عيينة: نظرت في أمر الصحابة وأمر عبد الله بن المبارك فما رأيت لهم عليه فضلاً إلا بصحبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وغزاهم معه. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٩٠)

قال مالك بن دينار: إنما طلب العابدون بطول النصب دوام الراحة، وطلب الزاهدون بطول الزهد طول الغنى. (المجالسه وجواهر العلم ٢ / ٧٠)

وقال حوشب لمالك بن دينار: رأيت كأن منادياً ينادي الرحيل، الرحيل، فما ارتحل إلا محمد بن واسع، فبكى مالك بن دينار رحمه الله. (سير أعلام النبلاء ٦ / ١٢١)

يقول ابن القيم: المصالح والخيرات واللذات والكمالات كلها لا تُنال إلا بحظ من المشقة، ولا يُعبر إليها إلا على جسر من التعب، وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يُدرك بالنعيم، وأن من أثر الراحة فاتته الراحة، وأنه بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة، فلا فرحة لمن لا هم له، ولا لذة لمن لا صبر له، ولا نعيم لمن لا شقاء له، ولا راحة لمن لا تعب له، بل إذا تعب العبد قليلاً استراح طويلاً، وإذا تحمّل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد، وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى كان تعب البدن أوفر وحظه من الراحة أقل. (مفتاح دار السعادة ٣٧٢)

قال ابو الفتح البستي: (بهجة المجالس لأبي عبد الله الأثري ٥٢)

زِيَادَةُ الْمَرْءِ فِي دُنْيَاهُ نُقْصَانُ	وَرِبْحُهُ غَيْرَ مَحْضٍ الْخَيْرِ خُسْرَانُ
وَكُلُّ وَجْدَانٍ حَظٌّ لَا ثَبَاتَ لَهُ	فَإِنَّ مَعْنَاهُ فِي التَّحْقِيقِ فَقْدَانُ
يَا عَامِرًا لِحِرَابِ الدَّارِ مُجْتَهِدًا	بِاللَّهِ هَلْ لِحِرَابِ الْعُمْرِ عُمْرَانُ
وَيَا حَرِيصًا عَلَى الْأَمْوَالِ تَجْمَعُهَا	أُنْسِيَتْ أَنْ سُرُورَ الْمَالِ أَحْزَانُ
زَعِ الْفُؤَادَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا	فَصَفْوُهَا كَدْرٌ وَالْوَصْلُ هِجْرَانُ
وَأَزِعْ سَمْعَكَ أَمْثَالًا أَفْصَلُهَا	كَمَا يُفْصَلُ يَأْفُوتُ وَمَرْجَانُ
يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَشْقَى بِخِدْمَتِهِ	أَتَطْلُبُ الرِّيحَ فِيمَا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا	فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ
وَإِنْ أَسَاءَ مُسِيءٌ فَلْيَكُنْ لَكَ فِي	عُرُوضِ زَلَّتِيهِ صَفْحٌ وَعُفْرَانُ

وَكُنْ عَلَى الدَّهْرِ مِعْوَانًا لِذِي أَمَلٍ
وَأَشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا
يَرْجُو نَدَاكَ فَإِنَّ الْحَزْرَ مِعْوَانُ
فَإِنَّهُ الرُّكْنُ إِنْ خَانَتْكَ أَرْكَانُ
وَيَكْفِيهِ شَرٌّ مَنْ عَزُّوا وَمَنْ هَانُوا
فَإِنَّ نَاصِرَهُ عَجْزٌ وَخِذْلَانُ
عَلَى الْحَقِيقَةِ إِخْوَانٌ وَأَخْدَانُ
إِلَيْهِ وَالْمَالُ لِلْإِنْسَانِ فَتَّانُ
مَنْ جَادَ بِالْمَالِ مَالِ النَّاسِ قَاطِبَةً

الآثار العملية من حياة السلف :

كان عبدُ الله بنُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في جملة من أصحابه وقد وضعوا سفرةً للطعام ليأكلوه، فمر بهم راعٍ يرعى الغنم بذلك المكان، فدعوه ليأكل معهم ويشاركهم على ما تدمت لهم فقال لهم الراعي لما دعوه معتذراً: إني صائم فعجب ابنُ عمر وقال: في مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت وحدك بين هذه الشعاب في آثار هذه الغنم؟! فقال الراعي: أبادر أيامي هذه الخالية فعجب منه ابن عمر.
(لطائف المعارف ١/ ٣٢٣)

عن صالح بن موسى الطلحي عن أبيه قال اجتهد الأشعري قبل موته اجتهاداً شديداً فقبل له : لو أمسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق ، فقال : إن الخيل إذا أرسلت فقاربت رأس مجراها ، أخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من أجلي أقل من ذلك . قال : فلم يزل على ذلك حتى مات رضي الله عنه .
(تبيين كذب المفتري رقم حديث ٩٣)

عن سعيد بن أبي عروبة قال: حج الحجاج فنزل بعض المياه بين مكة والمدينة ودعا بالغداء فقال لحاجبه، أبصر من يتغذى معي وأسأله عن بعض الأمر، فنظر نحو الجبل فإذا هو بأعرابي بين شملتين من شعر نائم، فضره برجله وقال: ائت الأمير فأتاه فقال له الحجاج: اغسل يدك وتغدا معي فقال إنه دعاني من هو خير منك فأجبتة، قال ومن هو؟ قال الله تبارك وتعالى دعاني إلى الصوم فصمت قال: في هذا الحر الشديد! قال: نعم صمت ليوم هو أشد حراً من هذا اليوم، قال: فأفطر وتصوم غدا، قال: إن ضمننت لي البقاء إلى غد، قال: ليس ذاك إلي، وقال رشاء بن نظيف: ذلك إلي؟ قال: فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدر عليه، قال: إنه طعام طيب، قال: لم تطيبه أنت لولا الطباخ ولكن طيبته العافية. (المجالسه وجواهر العلم ١/ ٤٤٨)

قال أبو أحمد القلابسي: فرّق رجل أربعين ألفاً على الفقراء فقال أحد الزهاد للقلابسي: أما ترى ما أنفق

هذا وما قد عمله ونحن لا نرجع إلى شيء ننفقه ما عندنا شيء، فامض بنا إلى موضع يقول: فذهبنا إلى المدائن فصلينا أربعين ألف ركعة. (سیر اعلام النبلاء ١٣ / ١٧١)

نزل روح بن زباع منزلاً بين مكة والمدينة في حرٍّ شديدٍ خرج عليه راعٍ من وراء جبلٍ، فقال له: يا راعٍ: هلمَّ إلى الغداءِ قال: إني صائمٌ قال: أفتصومُ في هذا الحرِّ؟! قال: أفأدعُ أيامي تذهب باطلاً؟! فقال روحٌ: لقد ضننتُ بأيامك يا راعٍ إذ جادَ بها روحُ بن زباعٍ. (لطائف المعارف ١ / ٣٢٣ - موسوعه بن ابى الدنيا ٣ / ٣٤٦)

٦٤ - باب فضل النفس الشاكر

وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجهه الأمور بها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى [الليل: ٥-٧]، وقال تَعَالَى: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى وَلَسَوْفَ يَرْضَى [الليل: ١٧-٢١]، وقال تَعَالَى: إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ [البقرة: ٢٧١]، وقال تَعَالَى: لَنْ نُنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ [آل عمران: ٩٢] والآيات في فضل الإنفاق في الطاعات كثيرة معلومة.

٥٧١- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكْتِهِ فِي الْحَقِّ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا » متفقٌ عليه وتقدم شرحه قريباً.

٥٧٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ. وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً. فَهُوَ يُنْفِقُهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَآتَاءَ النَّهَارِ » متفقٌ عليه. « الآتاءُ » الساعاتُ.

٥٧٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرجاتِ العُلَى. وَالنَّعِيمِ الْمُتَمِيمِ. فَقَالَ: « وَمَا ذَاكَ؟ » فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيُصُومُونَ كَمَا نَصُومُ. وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ فَقَالَ

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَلَا أَعَلَّمْتُمْ شَيْئاً تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قَالَ : « تُسَبِّحُونَ ، وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ ، ذُبُرُ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً » فَرَجَعَ فَقَرَأَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا ، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ » متفقٌ عليه ، وهذا لفظ رواية مسلم . « الدُّثُورُ » : الْأَمْوَالُ الْكَثِيرَةُ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى قال ابن مسعود : يعني أبا بكر رضي الله عنه وقاله عامة المفسرين . فروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتقد على الإسلام عجائز ونساء ، قال : فقال له أبو قحافة : أي بني لو أنك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون معك ؟ فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد . وعن ابن عباس في قوله تعالى : فأما من أعطى أي بذل . واتقى أي محارم الله التي نهى عنها . وصدق بالحسنى أي بالخلف من الله تعالى على عطائه . فسنيسه ليسرى . وصدق بالحسنى أي بلا إله إلا الله قاله الضحاك والسلمي وابن عباس أيضا . وقال مجاهد : بالجنة دليله قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . الآية . وقال قتادة : بموعد الله الذي وعده أن يشيبه . زيد بن أسلم : بالصلاة والزكاة والصوم قوله تعالى : فسنيسه ليسرى أي نرشده لأسباب الخير والصلاح ، حتى يسهل عليه فعلها . وقال زيد بن أسلم : ليسرى للجنة . (تفسير القرطبي ٢٠ / ٧٤)

عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب في الله بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عبيس وأمة بني المؤمل وفيه نزلت وسيجنبها الأتقى إلى آخر السورة . عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال أبو قحافة لأبي بكر : أراك تعتق رقابا ضعافا فلو أنك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال : يا أبت إنما أريد ما أريد فنزلت هذه الآية فيه : فأما من أعطى واتقى إلى قوله : وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى . (تفسير الدر المنثور ١٥ / ٤٧٧)

عن ابن عباس قوله : إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . فجعل الله صدقة السر في التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفاً ، وجعل صدقة الفريضة : علانيتها أفضل من سرها ، يقال بخمسة وعشرين ضعفاً ، وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها . عن قتادة قوله : إن تبدوا الصدقات فنعماً هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم . كل مقبول إذا كانت النية صادقة وصدقة السر أفضل . وذكر لنا أن الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار . (تفسير الطبري ٥/٥٨٣)

عن أنس قال : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون أو هذه الآية : من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً . قال أبو طلحة : يا رسول الله ، حائطي الذي بكذا وكذا صدقة ، ولو استطعت أن أسره لم أعلنه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعله في فقراء أهل كعب بن عمرو قال : حضرني هذه الآية : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . فذكرت ما أعطاني الله فلم أجد شيئاً أحب إلي من مرجانة جارية لي رومية ، فقلت : هي حرة لوجه الله ، فلو أني أعودني شيء جعلته الله لنكحتها فأنكحها نافعاً . عن محمد بن المنكدر قال : لما نزلت هذه الآية : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس له يقال لها : سبل - لم يكن له مال أحب إليه منها - فقال : هي صدقة . فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل عليها ابنه أسامة ، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك في وجه زيد فقال : إن الله قد قبلها منك . كان ابن عمر يشتري السكر فيتصدق به ، فنقول له : لو اشتريت لهم بثمانه طعاماً كان أنفع لهم من هذا . فيقول : إني أعرف الذي تقولون ، ولكن سمعت الله يقول : لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون . وإن ابن عمر يحب السكر . (تفسير الدر المنثور ٣/٦٦١-٦٦٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب : إن النعمة موصولة بالشكر ، والشكر يتعلق بالمزيد ، وهما مقرونان في قرن ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد . (عدة الصابرين لابن القيم ١٢٣)

عن علي بن أبي طالب قال ليهوديين سألاه عن الدرهم لم سمي درهماً ، وعن الدينار لم سمي ديناراً قال : أما الدرهم فسمي درهم ، وأما الدينار ، فضربته المجوس فسمته دي ناراً . (تاريخ بغداد ٩/٣٣٣)

قال أبو الدرداء رضي الله عنه : من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه ومشربه فقد قل علمه ، وحضر عذابه . ومن لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له . (الحلية (تهذيبه) ١/١٦٧)

وعن ابن عمر رضي الله عنه ، قال : لعلنا نلتقي في اليوم مراراً ، ليسكن بعضنا ببعض ، وأن نتقرب بذلك ،

إلا لنحمد الله عز جل. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٩٣)

وقال الحسن البصري رحمه الله لفرقد السبخي: يا أبا يعقوب، بلغني أنك لا تأكل الفالوذج. فقال: يا أبا سعيد، أخاف ألا أودّي شكره. فقال: يا لكع! وهل تُؤدّي شكر الماء البارد في الصيف والحار في الشتاء! أما سمعت قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) (البقرة ١٧٢).

(عيون الأخبار ٣ / ٢٠٤)

وكان الحسن يقول إذا ابتدأ حديثه: الحمد لله اللهم ربنا لك الحمد كما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وعلمتنا وأنقذتنا وفرجت عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والمعافة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وجمعت فرقنا وأحسنت معافاتنا، ومن كل - والله - ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمد على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمد بكل نعمة أنعمت بها علينا في قديم أو حديث، أو سر أو علانية، أو خاصة أو عامة، أو حي أو ميت، أو شاهد أو غائب، لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٦٧، ٤٦٨)

وعن الحسن رحمه الله، قال: إن الله عز وجل ليمتع بالنعمة بما شاء، فإذا لم يشكر قلبها عليها عذاباً. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٠)

وعن الحسن رحمه الله: (إن الإنسان ليربّه لكتود) (العاديات ٦) قال للكفور؛ يعدد المصائب وينسى النعم. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٣)

قال أبو سليمان الواسطي: ذكر النعمة يورث الحب لله عز وجل. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٧١)

وعن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، قال: ما قلب عمر بن عبد العزيز رحمه الله بصره إلى نعمة أنعم الله - عز وجل - بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرًا، أو أكفرها بعد معرفتها، أو أنساها فلا أثني بها. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٤٨٦)

وقال سفيان بن عيينة رحمه الله: إن من شكر الله على النعمة أن تحمده عليها، وتستعين بها على طاعته، فما شكر الله من استعان بنعمته على معصيته. (الحلية (تهذيبه) ٢ / ٤٣٠)

قال أبي العالية رحمه الله: ما أدري أي النعمتين أفضل، أن هداني الله للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء؟. (الحلية (تهذيبه) ١ / ٣٦٧)

وعن سفيان رحمه الله في قول: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ) (القلم ٤٤)، قال: نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر. وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنباً أحدثت لهم نعمة. قال ابن داود: ونسوا. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٥٠٤)

عن سفيان الثوري رحمه الله قال: كان يقال سُمِّيَ المال؛ لأنه يميل. (تاريخ بغداد ٤ / ٤٤)

عن أبي محمد الجريري قال: أنه سئل عن الفقر والغنى أيهما أفضل؟ فقال: لو لم يكن من فضل الفقر إلا ثلاث: اسقاط المطالبة، وقطع عن المعصية، وتقديم الدخول إلى الجنة لكفى. فنقل هذا الكلام إلى أبي العباس بن عطاء فقال: يا سبحان الله، وأي فضل يكون أفضل مما أضافه الله إلى نفسه؟ وأي شيء يكون أعجز من شيء تنافى الله عنه لأن الله أضاف الغنى إلى نفسه، وتنافى عن الفقر، واعتد على نبيه فقال: (وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) (الضحى ٨) ولم يقل فأفقر، فكان اعتداد الله بالعطاء لا بالفقر، ثم ذكر عند موضع تشریف أسماء العطاء إن ترك خيراً، ولم يقل إن ترك فقراً، ثم قال بعد ذلك: فإن احتج محتج بأنه عرض عليه مفاتيح الدنيا فلم يقبلها ولم يردها وتركها اختياراً فهذا صفة التاركين، والتارك لا يكون إلا غنياً. (تاريخ بغداد ٥ / ٢٨)

وعن كعب رحمه الله، قال: ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها الله، إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الآخرة؛ وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله، إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار، يعذبه إن شاء، أو يتجاوز عنه. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٥٢٦)

وعن محمد بن سعيد قال: سمعت الجنيد بن محمد رحمه الله يقول - وسئل عن حقيقة الشكر - فقال: ألا يستعان بشيء من نعمه على معاصيه. (الحلية (تهذيبه) ٣ / ٣٨٠)

قال المنكدر: كان محمد بن المنكدر يقوم من الليل، فيتوضأ، ثم يدعو، فيحمد الله عز وجل ويشني عليه، ويشكره، ثم يرفع صوته بالذكر؛ فقليل له: لم ترفع صوتك؟ قال: إن لي جاراً يشتكي، يرفع صوته بالوجع وأنا أرفع صوتي بالنعمة. (حلية الأولياء ٣ / ١٤٦)

كان علي بن عاصم التميمي من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا ولم يزل ينفق في طلب العلم، ويوسع على أهله. (سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٥١)

قال مُطَرِّفٌ: لَأَنْ أُعَافِيَ فَأَشْكُرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْتَلَى فَأَصْبِرَ. (مختصر منهاج الصابرين ٢٩٥)
 قال الفيروز آبادي: الشُّكْرُ أعلى منازل السالكين، وفوق منزلة الرضا فإنه يتضمن الرضا وزيادة الرضا مندرج في الشُّكْر، إذ يستحيل وجود الشُّكْر بدونهُ، وهو نصف الايمان ومبناة على خمس قواعد. حبه له - اعترافه بنعمته - الثناء عليه - - خضوع الشَّاكر للمشكور. ألا يستعملها فيما يكره، فمتى فُقد منها واحدة اختلت قاعدة من قواعد الشُّكْر. (بصائر ذوي التمييز ٣ / ٣٣٤)

قال المناوي: الشُّكْرُ سُكْرَان: سُكْرٌ باللسان وهو الثناء على المنعم، والآخِرُ سُكْرٌ بجميع الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر الاستحقاق والشُّكْرُ الباذل وسعه في أداء الشُّكْر بقلبه ولسانه وجوارحه اعتقادًا واعترافًا. (التوقيف على مهمات التعريف ٢٠٦-٢٠٧)

قال ابن القيم: الشُّكْرُ ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة. (مدارج السالكين ٢ / ٢٢٤)

قال الشاعر: (جواهر الأدب للهاشمي ٢ / ٤٨٩)

مَنْ كَانَ يَمْلِكُ دِرْهَمِينَ تَعَلَّمَتْ شَفَتَاهُ أَنْوَاعَ الْكَلَامِ فَقَالَ
 وَتَقَدَّمَ الْإِخْوَانُ فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَرَأَيْتُهُ بَيْنَ الْوَرَى مُحْتَمِلًا
 لَوْلَا دَرَاهِمُهُ النَّبِيُّ يَزُوهَا لَوَجَدْتُهُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا
 إِنَّ الْغَنِيَّ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْحَطَا قَالُوا صَدَقْتَ وَمَا نَطَقْتَ مُحَالًا
 أَمَّا الْفَقِيرُ إِذَا تَكَلَّمَ صَادِقًا قَالُوا كَذَبْتَ وَأَبْطَلُوا مَا قَالَا
 إِنَّ الدَّرَاهِمَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا تَكْسُو الرِّجَالَ مَهَابَةً وَجَمَالَ
 فَهِيَ اللِّسَانُ لِمَنْ أَرَادَ فَصَاحَةً وَهِيَ السَّلَاحُ لِمَنْ أَرَادَ قِتَالَ

الآثار العملية في حياة السلف:

قال مضارب بن حزن: بينا أنا أسير من الليل، إذا رجل يكبر، فألحقته بعيري، قلت: من هذا المكبر؟ فقال: أبو هريرة فقلت: ما هذا التكبير؟ قال: شكر، قلت على مه؟ قال: على أن كنت أجيراً لبرة بنت غزوان بعقبه رجلي وطعام بطني، وكان القوم إذا ركبوا، سقت بهم؛ وإذا نزلوا، خدمتهم؛ فزوجنيها الله، فهي امرأتي؛ وأنا: إذا ركب القوم ركبت، وإذا نزلوا خُدِمت. (حليه الأولياء ١ / ٣٨٠)

في بعض المرات اعتذر ابن المبارك: بأنه يتفقد طلاب الحديث وأهل الحديث فيعطيهم ويكفيهم، فكان

غنيًا شاكرًا، وكان رأس ماله نحو أربعمئة ألف دينار، وحدث بعض من رأى سُفرتَه أنها حُمِلت على عجلة يعني تُجر وذكر بعضهم أنه رأى بعيرين محملين دجاجًا مشويًا لسفرة ابن المبارك يحضر بها أهل العلم طلاب الحديث. فكان يكرمهم غاية الإكرام، وكان يوضع الشواء على سفرتَه، ويوضع فيها الفالودج وهو أكل يعرفه أهل المشرق إلى اليوم، ولربما جيء بشيء يسمى بالفالودج الآن يأتي به الحجاج معهم، وعلى كل حال هو من أنفَس الطعام. فقيل له في ذلك فقال: إني دفعت إلى وكيلي ألف دينار، وأمرته أن يوسع علينا. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٠٩)

قال الفضيل بن عياض لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد، والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع كيف ذا؟ يقول: هذه البضائع تأتي من المشرق إلى مكة، قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي، قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا. (السير ٨ / ٣٨٧)

قيل لعيسى بن يونس: كيف فضلك ابن المبارك ولم يكن بأسنّ منكم؟ يعني: كيف صار أفضل منكم؟ قال: كان يُقدّم معه الغلمان من خراسان، والبزة الحسنة، فيصل العلماء، ويعطيهم، وكنا لا نقدر على ذلك. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٤١٠)

وهكذا كان أحمد بن عمار، وزير المعتصم، يتصدق في كل يوم بمائة دينار، فكُلّم في كثرة ذلك قيل له: هذا كثير، فقال: هو من فضل غلتي، ومن رزقي. (سير أعلام النبلاء ١١ / ١٦٥)

وعن عبد الله بن أبي نوح قال: قال لي رجل، على بعض السواحل: كم عاملته تبارك اسمه بما يكره فعاملتك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة. قال: فهل قصرت إليه في أمر كريك فخذلك؟ قالت: لا والله، ولكنه أحسن إلي فأعانني. قال: فهل سألته شيئًا قط فأعطاك؟ قلت: وهل منعتني شيئًا سألته؟ ما سألته شيئًا قط إلا أعطاني، ولا استغثت به إلا أغثنني. قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك هذه الخلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له على مكافأة ولا جزاء. قال: فريك أحق وأحرى أن تدب نفسك له في أداء شكر نعمته عليك، وهو المحسن قديمًا وحديثًا إليك؛ والله لشكره أيسر من مكافأة عباده، إنه تبارك وتعالى رضي بالحمد من العباد شكرًا. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٥١١)

وقال وهب بن منبه رحمه الله: عبد الله عابد خمسين عامًا، فأوحى إليه أي قد غفرت لك. قال: أي رب، وما تغفر لي ولم أذنب؟! فأذن الله لعرق في عنقه فضرب عليه؛ فلم ينم ولم يصل، ثم سكن فنام، فأثاه

ملك فشكا إليه، فقال له: ما لقيت من ضربان العرق، فقال الملك: إن ربك يقول: عبادتك خمسين سنة تعدل سكون ذا العرق. (موسوعة ابن أبي الدنيا / ١ / ٥١٣)

وكان عروة رحمه الله إذا أتي بطعامه لم يزل خمراً حتى يقول هؤلاء الكلمات: الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا، وسقانا ونعمنا، الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمتك ونحن بكل شرٍّ، فأصبحنا وأمسينا منها بكل خير، أسألك تمامها وشكرها، لا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، إله الصالحين ورب العالمين، الحمد لله، لا إله إلا الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار. (موسوعة ابن أبي الدنيا / ١ / ٥٢٠)

٦٥- باب ذكر الموت ونصر الأجل

قَالَ اللهُ تَعَالَى : كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورِ [آل عمران : ١٨٥] ، وقال تَعَالَى : وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ [لقمان : ٣٤] ، وقال تَعَالَى : فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ [النحل : ٦١] ، وقال تَعَالَى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [المنافقون : ٩-١١] ، وقال تَعَالَى : حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وَجوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْئَلِ الْعَادِينَ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ [المؤمنون : ٩٩-١١٥] ، وقال تَعَالَى : أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ

قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد: ١٦] وَالآيَاتِ فِي الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ

٥٧٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ ، فَلَا تَتَنَطَّرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ ، فَلَا تَتَنَطَّرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ » رواه البخاري .

٥٧٥- وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ . يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ » متفقٌ عليه . هذا لفظ البخاري .

وفي رواية لمسلم : « يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ » قَالَ ابْنُ عُمَرَ : مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي .

٥٧٦- وعن أنس رضي الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطُوطًا فَقَالَ : « هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الْحَطُّ الْأَقْرَبُ » رواه البخاري .

٥٧٧- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا ، وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطَّ خُطُوطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ ، فَقَالَ : « هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمْلُهُ وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا ، تَهَشَّهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا تَهَشَّهُ هَذَا » رواه البخاري . وَهَذِهِ صُورَتُهُ : الْأَجَلُ - الْأَعْرَاضُ - الْأَمَلُ

٥٧٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا ، هَلْ تَتَنَطَّرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا ، أَوْ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةَ أَذْهَى وَأَمْرٌ ؟ » رواه الترمذي وقال : حَدِيثٌ حَسَنٌ

٥٧٩- وعنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ » يَعْنِي الْمَوْتَ

رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

٥٨٠- وعن أبي بن كعب رضي الله عنه : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثَلُثُ اللَّيْلِ، قَامَ فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّهَ جَاءَتِ الرَّاحِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ » قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ » قُلْتُ الرَّبِيعَ ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : فَالْنِّصْفَ ؟ قَالَ « مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : فَالثَّلَاثِينَ ؟ قَالَ : « مَا شِئْتَ ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » قُلْتُ : أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا ؟ قَالَ : إِذَا تُكْفِي هَمَّكَ ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن علي بن علي بن أبي طالب قال : لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال : السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل هالك، ودركاً من كل ما فات، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا؛ فإن المصاب من حرم الثواب، فقال علي : هذا الخضر . عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله : فقد فاز قال : سعد ونجا . عن قتادة : وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قال : هي متاع متروك أو شكت والله أن تضمحل عن أهلها؛ فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله . عن عبد الرحمن بن سابط في قوله : وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور قال : كزاد الراعي، يزوده الكف من التمر، أو الشيء من الدقيق يشرب عليه اللبن .

(تفسير الدر المنثور ٤/ ١٦٣- ١٦٥)

عن ابن مسعود قال : كل شيء أوتيه نبيكم صلى الله عليه وسلم إلا علم الغيب الخمس: إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت . عائشة ، قالت : من حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت: وما تدري نفس ماذا تكسب غدا. (تفسير الطبري ٢٠/ ١٦١- ١٦٢)

كان الحسن يقول : ما أحق هؤلاء القوم ! يقولون : اللهم أطل عمره ، والله يقول : فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون . (تفسير الدر المنثور ٦/٣٧٩)

فإذا جاء أجلهم فيه قولان: أحدهما: أجل موتهم الثاني: أجل عذابهم ، قاله جويبر . لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يحتمل وجهين: أحدهما: لا يزيد أجل حياتهم ولا ينقص . والثاني: لا يتقدم عذابهم ولا يتأخر . (تفسير الماوردي ٢/٢٢١)

عن الضحاك وعطاء : يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . قال : الصلوات الخمس . قال الكلبي : أنه طاعة الله في الجهاد . (تفسير الماوردي ٦/١٩)

عن الضحاك عن ابن عباس قال : ما يمنع أحدكم إذا كان له مال يجب عليه فيه الزكاة أن يزكي ، وإذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت ، فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها ، فقال رجل : أما تتقي الله ، يسأل المؤمن الكرة؟ قال : نعم ، أقرأ عليكم قرآنا ، فقرأ (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) . فقال الرجل : فما الذي يوجب علي الحج ، قال : راحلة تحمله ، ونفقة تبلغه . عن الضحاك بن مزاحم في قوله : لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق . قال : فأصدق بزكاة مالي . وأكن من الصالحين قال : الحج . (تفسير الطبري ٢٣/٤١١)

عن أبي هريرة قال : إذا وضع الكافر في قبره فيرى مقعده من النار قال : رب ارجعون . أتوب؛ أعمل صالحا، فيقال : قد عمرت ما كنت معمرا . فيضيق عليه قبره، فهو ك المنهوش، ينام ويفزع، تهوي إليه هوام الأرض؛ حياتها وعقاربها. عن عائشة قالت : ويل لأهل المعاصي من أهل القبور؛ يدخل عليهم في قبورهم حيات سود؛ حية عند رأسه وحية عند رجله، يقرضانه حتى يلتقيان في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله : ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . عن ابن زيد في قوله : قال رب ارجعون قال : هذا حين يعاين قبل أن يذوق الموت . عن ابن عباس في قوله : لعلي أعمل صالحا قال : أقول لا إله إلا الله . (تفسير الدر المنثور ١٠/٦١٦-٦١٧)

عن ابن عباس ، أنه سئل عن قوله : فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وقوله : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (الصافات ٢٧) فقال : إنها مواقف؛ الذي لا أنساب بينهم ولا يتساءلون عند الصعقة الأولى لا أنساب بينهم فيها إذا صعقوا، فإذا كانت النفخة الآخرة فإذا هم قيام يتساءلون.

عن ابن مسعود قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين - وفي لفظ : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رءوس الأولين والآخرين - ثم ينادي مناد : ألا إن هذا فلان بن فلان، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه - وفي لفظ : من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه - فيفرح - والله - المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته، وإن كان صغيرا ، ومصداق ذلك في كتاب الله : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون. (تفسير الدر المنثور ١٠ / ٦٢٠)

قال ابن عباس : تلفح وجوههم النار (قال : تنفح) وهم فيها كالخون والكلوح : أن تتقلص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان. (تفسير الطبري ١٩ / ٢٤)

قال ابن جريج : بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم : أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا : فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال . قال : ثم نادوا مالكا (يا مالكا ليقض علينا ربك) . فسكت عنهم مالك خازن جهنم ، أربعين سنة ثم أجابهم فقال : إنكم ماكثون . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا : ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون . فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون . (تفسير الطبري ١٩ / ٧٥)

عن أيمن بن عبد الكلاعي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار قال : يا أهل الجنة : كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم قال : لنعم ما تجرتم في يوم أو بعض يوم؛ رحمتي ورضواني وجنتي، امكثوا فيها خالدين مخلدين . ثم يقول : يا أهل النار : كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم فيقول : بئس ما تجرتم في يوم أو بعض يوم؛ ناري وسخطي، امكثوا فيها خالدين مخلدين . عن قتادة في قوله : فاسأل العادين قال : الحساب . عن مجاهد : فاسأل العادين قال : الملائكة عن ابن مسعود أنه قرأ في أذن مصاب : أفحسبتم أنها خلقناكم عبثا حتى ختم السورة فبرأ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال. (تفسير الدر المنثور ١٠ / ٦٢٩-٦٣٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن يحيى بن كثير قال: خطب أبو بكر الصديق، فقال: أين الوضأة الحسنة وجوهمهم،

المعجبون بشبابهم؟ أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجاء النجاء.

(حليه الأولياء ١٠ / ٣٢٥)

قال سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب كوم كومة من بطحاء ثم ألقى عليها طرف ثوبه ثم استلقى عليها فرفع يديه إلى السماء؛ ثم قال: اللهم، كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط. (حليه الأولياء ١ / ٥٤)

عن العلاء بن الفضل عن أبيه قال لما قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه فتشوا خزائنه، فوجدوا فيها صندوقا مقفلا، ففتحوه فوجدوا فيه حُقة فيها ورقة، مكتوب فيها هذه وصية عثمان بن عفان: بسم الله الرحمن الرحيم عثمان بن عفان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه، إن الله لا يُخلف الميعاد، عليها يحيا، وعليها يموت، وعليها يُبعث إن شاء الله عز وجل. (وصايا العلماء عند الموت حديث ٢٣)

عن الشعبي قال: لما ضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه تلك الضربة، قال: مَا فَعَلَ ضَارِبِي، قَالُوا: قَدْ أَخَذْنَا، قَالَ: أَطْعَمُوهُ مِنْ طَعَامِي، وَاسْقُوهُ مِنْ شَرَابِي، فَإِنَا عِشْتُ رَأَيْتَ فِيهِ رَأْيِي، وَإِنَا مِتُّ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً لَا تَزِيدُوهُ عَلَيْهَا. ثم أوصى الحسن رضي الله عنه أن يُغسله، وَلَا يُغَالِي فِي الْكَفْنِ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا تَغْلُوا فِي الْكَفْنِ، فَإِنَّهُ يُسَلَبُ سَلْبًا سَرِيعًا. وَامشُوا بِي بَيْنَ الْمَشِيَّتَيْنِ، لَا تُسْرِعُوا بِي، وَلَا تُبْطِئُوا، فَإِن كَانَ خَيْرًا عَجَلْتُمُونِي إِلَيْهِ، وَإِن كَانَ شَرًّا أَلْقَيْتُمُونِي عَنَّا أَكْتَفِكُمْ. (وصايا العلماء عند الموت لابن زبير الربيعي حديث ٢٤)

عن الشعبي، عن سلمان قال: لما حضرته الوفاة، قال لصاحبة منزله: هَلْمِي خَبِيَّتِي (قال فجاءته بصرّة من مسك، فقال لها) ابيني بقدر فيه ماء قال: فجاءت بقدر فيه ماء، قال: فطرح المسك فيه ثم أمائه، ثم قال لها: انصحيه حولي فإنه يحضرنى خلق من خلق الله عز وجل، يجدون الرياح ولا يأكلون الطعام قال: ففعلت، ثم قال لها: أحيفي عليّ الباب ثم انزلي قال: ففعلت ثم مكثت هنيهة، ثم صعدت فإذا هو قد مات رحمة الله عليه ورضوانه. (وصايا العلماء عند الموت لابن زبير الربيعي حديث ٢٧)

وكان سلمان الفارسي يقول: أصبح على وجل (خوف) وأمسى على وجل. (قصر الأمل ١١٢)

قال ابوالدرداء: يا أهل دمشق، أنتم الإخوان في الدين، والجيران في الدار، والأنصار على الأعداء، ما يمنعكم من مودّتي، وإنما مؤنتي على غيركم؟ ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلّمون؟ وأراكم قد أقبلتم على ما تكفل لكم به، وتركتهم ما أمرتم به؟ ألا إن قومًا بنوا مشيدًا، وجمعوا كثيرًا، وأمّلوا بعيدًا، فأصبح بُنيانهم قبورًا، وأمّلمهم غرورًا، وجمعهم بورًا، ألا فتعلّموا وعلمّوا؛ فإن العالم والمتعلّم في الأجر سواء، ولا خير في الناس بعدهما. (حليه الأولياء ١/ ٢١٣)

عن شرحبيل: أن أبا الدرداء كان إذا رأى جنازة قال: اغدوا فإننا رائحون - أو روحوا فإننا غادون - موعظة بليغة وغفلة سريعة كفى بالموت واعظًا: يذهب الأول فالأول ويبقى الآخر لا حلم له. (حليه الأولياء ١/ ٢١٧)

قال أبي الدرداء: أحب الموت: اشتياقًا إلى ربي وأحب الفقر: تواضعًا لربي وأحب المرض تكفيرًا لخطيئتي. (حليه الأولياء ١/ ٢١٧)

وقال أبو الدرداء: ابن آدم طأ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك ابن آدم إنما أنت أيام فكلما ذهب يومٌ ذهب بعضك ابن آدم إنك لم تنزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك. (الزهد الكبير للبيهقي ٢٣٣)

قال أبو الدرداء: من أكثر ذكر الموت: قل فرحه، وقل حسده. (حليه الأولياء ١/ ٢٢٠)

عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول إذا قعد: إنكم في ممر الليل والنهار: في آجال منقوصه وأعمال محفوظه، والموت يأتي بغتة؛ فمن يزرع خيرًا: يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شرًا: يوشك أن يحصد ندامة؛ ولكل زارع مثل ما زرع. لا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له؛ فمن أعطى خيرًا: فالله تعالى أعطاه، ومن وقى شرًا: فالله تعالى وقاه المتقون سادة، والفقهاء قادة ومجالستهم زيادة. (حليه الأولياء ١/ ١٣٣ - ١٣٤)

وعن عبدالله بن مسعود قال: هذا المرء، وهذه الختوف حوله شوارع إليه، والهرم وراء الختوف، والأمل وراء الهرم، فهو يأمل، وهذه الختوف شوارع إليه، فأيا أمر به أخذه فإن أخطأته الختوف قتله الهرم وهو ينظر إلى الأمل. (قصر الأمل ٣٣)

قال أبو هريرة: تعودوا الخير فإن الخير عادة، وإياكم وعادة السُّوف من سَوْف أو من سَوْف.

(قصر الأمل لابن أبي الدنيا ١٤٣)

قال انس: التسويفُ جند من جنود إبليس عظيم، طالما خَدَع به قصر الأمل. (قصر الامل ١٤١)

عن يزيد بن شريك التيمي قال: خرجنا حُجَّاجًا، فوجدنا أبا ذر بالربذة قائمًا يُصَلِّي، فانتظرناه حتى فرغ من صلاته، ثم أقبل علينا، فقال: هلمَّ إلى الأخ الناصح الشفيق ثم بكى، فاشتدَّ بكاءه، وقال: قتلني حبُّ يوم لا أدركه! قيل: وما يوم لا تُدركه؟ قال: طول الأمل. (قصر الامل ٦٧)

ذكر القداح أن عمر بن عبد العزيز كان إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير وبكى حتى تجري دموعه على لحيته. (حليه الأولياء ٣١٦/٥)

قال عمر بن عبد العزيز: ما أحب أن تهون علي سكرات الموت، لأنها: آخر ما يكفر به عن المسلم. (حليه الأولياء ٣١٧/٥)

قال أبو حازم: نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت؛ واعلم، أنك إذا مت: لم ترفع الأسواق بموتك، إن شأنك صغير، فاعرف نفسك. (حليه الأولياء ٢٣٢/٣)

قال أبي حازم: كل عمل تكره الموت من أجله: فاتركه، ثم لا يضر ك متى مت. (حليه الأولياء ٢٣٩/٣)

كان الربيع يقول: أكثروا ذكر هذا الموت: الذي لم تذوقوا قبله مثله. (حليه الأولياء ١١٤/٢)

عن الربيع بن خيثم قال: ما غائب ينتظره المؤمن خير من الموت. (حليه الأولياء ١١٤/٢)

قال سفيان الثوري: قال لي أبو حبيب البدوي: يا سفيان، هل رأيت خيراً قط إلا من الله؟ قلت: لا؛ قال: فلم تكره لقاء من لم تر خيراً قط إلا منه؟. (حليه الأولياء ٨٧/٨)

قال عون بن عبد الله بن عتبة: ما أنزل الموت كُنته منزلته من عد غداً من أجله فكم من مستقبل يومًا لا يستكملُه وكم من مؤمِّل لغد لا يُدركه! إنكم لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره قالوا لعون بن عبد الله: ما أنفع أيام المؤمن له؟ قال: يوم يلقي ربّه فيعلمه أنه راضٍ قالوا: إنما أردنا من أيام الدنيا قال: إن من أنفع أيامه له في الدنيا ما ظن أنه لا يدرك آخره. (قصر الامل ٥٩)

قال عون بن عبد الله: ويحي! كيف أغفل عن نفسي وملك الموت ليس بغافل عني؟! ويحي! كيف أتكل على طول الأمل والأجل يطلبني؟. (قصر الامل لابن ابى الدنيا ٧٥)

قال الحسن البصرى: الدنيا ثلاثة أيام، أما أمس فقد ذهب بما فيه، وأما غداً فلعلك لا تُدركه، فاليوم لك فاعمل فيه. (الزهد الكبير للبيهقي ٤٨٩/١)

وقال أيضًا: يا ابن آدم، إياك والتسوية، فإنك بيومك ولست بغد. (قصر الأمل ١٤٤)

قال الحسن البصري: فضح الموت الدنيا، فلم يترك فيها لذي لب (عقل) فرحاً. (حليه الأولياء ١٤٩/٢)

وقال بكر بن عبدالله المزني لرجل يُدعى أبا جميلة ميسرة بن يعقوب الكوفي. يا أبا جميلة كيف أنت؟ قال: أنا والله هكذا كرجل ما ذُ عنقه والسيف عليها ينتظر متى تضرب عنقه. (قصر الأمل ٤٦)

وقال بكر بن عبدالله المزني: إذا أردت أن تنفك صلاتك فقل: لعلي لا أصلي غيرها. (قصر الأمل ٩٢)

عن عبيدالله بن شميظ بن عجلان قال: سمعت أبي يقول: إن المؤمن يقول لنفسه: إنما هي أيام ثلاثة، فقد مضى أمس بما فيه، وغداً أملٌ لعلك لا تُدرِكه، إنك إن كنتَ من أهل غدٍ، فإن غداً يجيء برزق غدٍ، إن دون غدٍ يوماً وليلةٌ تُحترَم فيه أنفسٌ كثيرة، لعلك المُخترَم فيها، كفى كل يوم هُمًّا، ثم قد حَمَلتَ على قلبك الضعيف همَّ السنين والأزمنة، وهمَّ الغلاء والرخص، وهمَّ الشتاء قبل أن يجيء الشتاء، وهمَّ الصيف قبل أن يجيء الصيف، فماذا أبقيتَ من قلبك الضعيف لآخرته؟! كل يوم ينقص من أجلك وأنت لا تحزن، وكل يوم تستوفي رزقك وأنت لا تحزن، أعطيت ما يكفيك، فأنت تطلب ما يُطغيك! لا بقليلٍ تقنع، ولا من كثيرٍ تشبع. وكيف لا يستين بعالم جهلُهُ، وقد عجز عن شكر ما هو فيه، وهو مغترُّ في طلب الزيادة؟. (قصر الأمل ٥٨)

ويقول شميظ بن عجلان أيضًا: طالت آمالكُم، فجددتم منازلكم من الدنيا، وطببتم منها معاشكم، وتلدذتم فيها بطيب الطعام، ولين اللباس، كأنكم للدنيا خلقتُم! أولا تعلمون أن الموت أمامكم؟ أولا تعلمون أن ملك الموت موكلٌ بأجالكم، لا يذهب عنه من المدة شيء؟ ثم يقول: لا تكونوا رحمكم الله أقل شيء بالموت أكثرًا، وأعظم شيء عن الموت غفلة، فما ينتظر الحي إلا الموت! وما ينتظر المسافر إلا الظعن. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ٥٨)

وكان شميظ بن عجلان يقول أيضًا: أيها المغترُّ بصحته أما رأيت ميتاً قط من غير سقم؟ أيها المغترُّ بطول المهلة، أما رأيت مأخوذاً قط من غير عُدَّة؟ إنك لو فكَّرت في طول عمرك، لنسيتَ ما قد تقدَّم من لذاتك، أبالصحة تغترُّون؟! أم بطول العافية تمرحون؟ أم للموت تأمنون؟ أم على ملك الموت تجترئون؟ إن ملك الموت إذا جاء لم يمنعه منك ثروة مالك، ولا كثرة احتشادك، أما علمتَ أن ساعة الموت ذات كُربٍ وغُصصٍ وندامة على التفريط، ثم يقول: رَحِمَ اللهُ عبداً عمل لساعة الموت، وراحِمَ اللهُ عبداً عَمِلَ

لما بعد الموت، ورَجِمَ الله عبدًا نظر لنفسه قبل نزول الموت. (قصر الامل ٦١-٦٢)

قال شميظ بن عجلان: من جعل الموت نصب عينيه: لم يبال بضيق الدنيا، ولا بسعتها. (الحليه ٣/١٢٩)
قال عمر بن ذر: ما دخل الموت دار قوم: إلا شئت جمعهم وقنعهم بعيشهم بعد أن كانوا يفرحون
ويمرحون. (حليه الاولياء ٥/١١١)

قال عمر بن ذر: ابن آدم إنما يتعجل أفرآحه بكاذب آماله ولا يتعجل أحزانه بأعظم أخطاره.
(قصر الامل ٧٢)

قال الفضيل بن عياض: تفكروا واعملوا من قبل أن تندموا ولا تغتروا بالدنيا فإن صحيحها يسقم
وجديدها يبلى ونعيمها يفنى وشبابها يهرم. (الزهد الكبير للبيهقي ١/٤٩٦)
قال إبراهيم بن أدهم: إن للموت كأساً لا يقوى على تجرعه إلا: خائف وجل طائع كان يتوقعه فمن
كان مطيعاً: فله الحياة والكرامة، والنجاة من عذاب القبر؛ ومن كان عاصياً: نزل بين الحسرة والندامة،
يوم الصاخة والطامة. (حليه الاولياء ٨/١٣)

قال إبراهيم بن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أوله: يغلق باب الرحمة
ويفتح باب الشدة والثاني يغلق باب العز ويفتح باب الذل والثالث: يغلق باب الراحة ويفتح باب
الجهد والرابع: يغلق باب النوم ويفتح باب السهر والخامس يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر
والسادس يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. (الزهد الكبير للبيهقي ٢/٩)

قال أبي الزاهرية: سمعت أبا ثعلبة الخشني يقول: إني لأرجو أن لا يخنقني الله عز وجل كما أراكم
تخنقون عند الموت؛ قال: فبينما هو يصلي في جوف الليل: قبض وهو ساجد؛ فرأت ابنته أن أباه قد
مات، فاستيقظت فزعة، فنادت أمها: أين أبي؟ قالت: في مصلاه؛ فنادته، فلم يجبه؛ فأيقظته، فوجدته
ساجداً؛ فحركته، فوقع لجنبه ميتاً. (حليه الأولياء ٢/٣١)

قال أبي المتوكل الناجي: قال لي سليمان بن عبد قيس: يا أبا المتوكل قلت: ليك، قال: عليك بما يُرغَّبُك
في الآخرة ويزهدك في الدنيا ويقربك إلى الله، قلت: وما هو يا عبد الله؟ قال: تقصّر عن الدنيا همّتك
وتسمو إلى الآخرة بنيتك وتصدّق ذلك بفعلك قلت: فكيف لي ما أستعين به على ذلك؟ قال: تقصر
أملك في الدنيا وتكثير رغبتك في الآخرة حتى تكون بالدنيا برّماً وبالآخرة كَرِثاً فإذا كنت كذلك لم يكن

شيء أحب إليك ورودًا من الموت ولا شيء أبغض إليك من الحياة. (قصر الامل ٥٣-٥٤)
 ماجدة القرشيه تقول: سكان دارٍ أودنوا بالنقلة وهم حيارى يركضون في المهلة، كأنَّ المرَّاد غيرهم، أو
 التأذين ليس لهم، والمعني بالأمر سواهم، آه من عقولٍ ما أنقصها، ومن جهالةٍ ما أتمها، بُؤسًا لأهل
 المعاصي، ماذا غُرِّوا به من الإمهال والاستدراج؟ وتقول: بسطوا آمالهم فأضاعوا أعمالهم، ولو نصبوا
 الآجال وطَّووا الآمال، خفَّت عليهم الأعمال. (صفه الصفوة ٧٤ / ٤)

قال داود الطائي: لو أمّلت أن أعيش شهرًا، لرأيتني قد أتيت عظيمًا، وكيف أوّمل ذلك وأرى الفجائع
 تغشى الخلق في ساعات الليل والنهار. (صفه الصفوة ٣ / ٣٢٠)

قال داود الطائي: سألت عطوان بن عمرو التميمي، قلت ما قصر الأمل؟ قال: ما بين تردد النفس
 قال رستم: فحدثت به الفضيل بن عياض فبكى وقال: يقول: يتنفس فيخاف أن يموت قبل أن
 ينقطع نفسه لقد كان عطوان من الموت على حذر. (قصر الامل حديث ٣٤)

قال بكر بن محمد: قلت لداود الطائي: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك. (الحليه ٧ / ٣٥٦)
 قال الشعبي: مر رجل من مراد على أويس القرني فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله قال:
 كيف الزمان عليك؟ قال: كيف الزمان على رجل إن أصبح: ظن أن لا يمسي وإن أمسى: ظن أن لا
 يصبح؛ فمبشر بالجنة أو مبشر بالنار يا أخا مراد إن الموت وذكره: لم يدع لمؤمن فرحاً وإن علمه بحقوق
 الله: لم يترك له في ماله فضة ولا ذهباً وإن قيامه بالحق: لم يترك له صديقاً. (الحليه ٢ / ٨٣)

عن يزيد الرقاشي قال: إلى متى نقول: غداً أفعل كذا، وبعد غدٍ أفعل كذا، وإذا أفطرتُ فعلت كذا، وإذا
 قدمتُ من سفري فعلتُ كذا! أغفلت سفرك البعيد، ونسيت ملك الموت؟ أما علمت أن دون غدٍ ليلة
 تُحترم فيها أنفس كثيرة؟ أما علمت أن ملك الموت غير مُتتظرٍ بك أملك الطويل؟ أما علمت أن الموت
 غاية كل حي؟ ثم يبكي حتى يبُلَّ عمامته، ثم يقول: لو رأيته صريعاً بين أحبابه لا يقدر على ردِّ جوابهم،
 بعد أن كان جديلاً خصماً سمحاً كريماً عليهم؟ أيها المغتر بشبابه، أيها المغتر بطول عمره، ثم يبكي حتى
 يبُلَّ عمامته!. (قصر الامل ٧٠-٧١-٧٨)

قال مالك بن مغول: رأى الربيع بن أبي راشد ذات يوم على صندوق من صناديق الحدادين فقال له
 قائل: يا أبا عبد الله، لو دخلت المسجد، فجالست إخوانك فقال: لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة

واحدة: خشيت أن يفسد على قلبي. (حليه الأولياء ٥ / ٧٥-٧٦)

قال محمد بن أبي توبة: أقام معروف الكرخي الصلاة ثم قال لي: تقدّم فقلت: إني إن صلّيتُ بكم هذه الصلاة لم أصلُّ بكم غيرها فقال معروف: وأنت تُحدّث نفسك أن تصلي صلاةً أخرى؟! نعوذ بالله من طول الأمل فإنه يمنع خير العمل. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ٨١)

قال زياد النميري وكان من الزهاد العباد: لو كان لي من الموت أجلٌ أعرفُ مدّتهُ لكنّ حريّاً بطول الحزن والكمد حتي يأتيني وقته، فكيف وأنا لا أعلم متى يأتيني الموت صباحاً أو مساءً؟! ثم خنقته العبرة، فقام. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ٦١)

قال مسكين بن دينار: كان شيخ متعبّد تجتمع إليه فتیان الحي ونساکهم قال: فيذكّرهم فإذا أرادوا أن يتفرّقوا قال: يا إخوتاه، قوموا قيام قومٍ قد يسّوا من المعاودة لمجلسهم، خوفاً من خطفات الموكل بالنفوس قال: فيبكي والله ويُبكي. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ٦٨)

عن سُحيم مولى ابن تميم قال: جلستُ إلى عامر بن عبدالله وهو يُصليّ فجوّز في صلاته، ثم أقبل عليّ فقال: أرحني بحاجتك فإني أبادر! قلت: وما تُبادر؟ قال: ملك الموت رحّمك الله! قال: فقمّتُ عنه وقام إلى صلاته. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ١٠٣)

وقيل لإبراهيم بن عيسى الشكري: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ في أجلٍ منقوص، وعملٍ محفوظ، والموت في رقابنا، والقيامة من ورائنا، ولا ندري ما يفعل الله بنا. (الزهد الكبير للبيهقي ٢٤٩)

وكان محمد بن واسع إذا أراد ان ينام قال لاهله قبل ان ياخذ مضجعه أستودعكم الله فلعلها أن تكون منيّتي التي لا أقوم فيها! فكان هذا دأبه إذا أراد النوم. (قصر الأمل لابن أبي الدنيا ١٤٧)

قال الربيع بن بزة: يا ابن آدم إنما أنت جيفة متنتة طيبت نسمنتك بما قد ركب فيك من روح الحياة لو قد نزع منك روحك لبقيت جيفة متنتة وجسداً خاوياً قد جيف بعد طيب ريحه واستوحش منه بعد الأنس بقربه فأبي الخليفة يا ابن آدم أجهل منك؟ فالعجب منك إذ كنت تعلم أن هذا مصيرك وإلى التراب مقيلك ثم أنت بعد هذا القول تقر بالدنيا عيناً. (الزهد للبيهقي ١٧ / ٢)

قال عباس بن حمزة: دخلت على ذي النون المصري، وعنده نفر من المريدين وهو يقول لهم: توسدوا الموت إذا نمتم واجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من

الآخرة. (الزهد الكبير للبيهقي ٢٦١)

قال ذا النون سمعت: بعض المتعبدين بساحل بحر الشام يقول إن الله تعالى عبادة عرفوه بيقين من معرفته فشمروا وقصدوا إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الاحزان فما نظروا إليها بعين راغب ولا تزودوا منها إلا كزاد الراكب خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة فآزمعوا بذلوا مهج أنفسهم في رضا سيدهم نصبوا الآخرة نصب أعينهم واصغوا إليها بأذان قلوبهم فلو رأيتهم رأيت قوما ذبلا شفاهم خمصا بطونهم حزينه قلوبهم ناحلة أجسامهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويق وقنعوا من الدنيا بقوات طفيف لبسوا من اللباس أطارا باليه وسكنوا من البلاد قفرا خاليه وهربوا من الاوطان واستبدلوا الوحده من الأخدان فلو رأيتهم لرأيت قوما قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب خمصا لطول السرى شعنا لفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهبوا للنقلة والارتحال. (صفه الصفوة ٤ / ٣٧٢)

قال الحارث النخعي: إن كان الرجل تنتج فرسه من الليل فينحرها غدوة يقول: أنا أعيش حتى أركب هذا؟ فجاءنا كتاب عمر أن أصلحوا ما رزقكم الله فإن في الأمر متنفسا. (قصر الامل حديث ٩٠)

عن محمد بن النضر الحارثي قال: شغل الموت قلوب المتقين عن الدنيا؛ فوالله، ما رجعوا منها إلى سرور، بعد معرفتهم بكرهه وغصصه. (حليه الاولياء ٨ / ٢١٨)

عن سلمة بن كهيل قال: لقي خيشمة محارب بن دثار، فقال له: كيف حبك للموت؟ قال: ما أحبه؛ قال خيشمة: إن هذا بك لنقص كبير. (حليه الاولياء ٤ / ١١٥)

عن سعيد بن عامر عن إبراهيم - أو رفعه إلى أبيه - قال: إني لأقعد من امرأتي مقعد الرجل من أهله، فإذا ذكر الموت: فما أنا بأقدر عليه مني من أن أمس السماء. (حليه الاولياء ٤ / ٢١٠)

كان صفوان بن سليم لا يكاد يخرج من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فإذا أراد أن يخرج بكى، وقال: أخاف ألا أعود إليه. (صفه الصفوة ٢ / ١٥٣)

عن إبراهيم بن نشيط قال: قال لي أبو زُرعة الشامي: لأقولنَّ لك قولاً ما قلته لأحد سواك، ما خرجت من المسجد منذ عشرين سنة، فحدثت نفسي أن أرجع إليه. (قصر الامل ٦٠)

عن عمرو بن ميمون: أنه كان يتمنى الموت ويقول: اللهم لا تخلفني مع الأشرار وألحقني بالأخيار.

(حليه الاولياء ٤ / ١٤٨)

قَالَ رَجُلٌ لِبَشْرِ الْحَافِي: أَرَأَيْكَ تَخَافُ الْمَوْتَ فَقَالَ: الْقُدُومُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَدِيدٌ. (الرسالة القشيرية ١٦٤)

قال مالكُ بنِ مِغْوَلٍ: يقالُ من قصرَ أمله هان عليه عيشه قال سفيان: يعني في المطاعم والملابس .

(قصر الامل ٤٤ - ٤٥)

قال عبد الله بن ثعلبة الحنفي: تضحك ولعل أكفانك قد خرجت من عند القصار (قصر الامل ٧٤)

قال مسروق: ما من شيء خير للمؤمنين: من لحد قد استراح من هموم الدنيا وأمن من عذاب الله.

(حليه الأولياء ٢ / ٩٧)

قال قتادة عن مطرف: إن هذا الموت: قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيماً لا موت فيه.

(حليه الاولياء ٢ / ٢٠٤)

عن أبي عمران الجوني عن غيره قال: من قرب الموت من قلبه: استكثر ما في يديه. (الحليه ٢ / ٣١٢)

قال ثابت البناني: ما أكثر أحد ذكر الموت، إلا روي ذلك في عمله. (حليه الأولياء ٢ / ٣٢٥)

قال سعيد بن جبير: لو فارق ذكر الموت قلبي: خشيت أن يفسد علي قلبي. (حليه الأولياء ٤ / ٣٧٩)

قال الأعمش: يوشك إن احتبس علي الموت: إن وجدته بالثمن، اشتريته. (حليه الأولياء ٥ / ٥٠)

قال عبد الأعلى التيمي: شيطان قطعاً عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل.

(حليه الأولياء ٥ / ٨٨-٨٩)

قال رجاء بن حيوة: ما أكثر عبد ذكر الموت: إلا ترك الحسد والفرح. (حليه الاولياء ٥ / ١٧٣)

قال خالد بن معدان: والله لو كان الموت في مكان موضوعاً: لكنت أول من يسبق إليه. (الحليه ٥ / ٢١١)

قال الأوزاعي: من أكثر ذكر الموت: كفاه اليسير، ومن علم أن منطقته من عمله: قل كلامه.

(حليه الأولياء ٦ / ١٤٣)

قال بشر بن الحارث: إذا اهتممت لغلاء السعر: فاذا ذكر الموت فإنه يذهب عنك هم الغلاء.

(حليه الأولياء ٨ / ٣٤٧)

وقال ايضاً: إذا ذكرت الموت ذهب عنك صفوة الدنيا وشهواتها، وذهبت عنك شهوة الجماع: عند ذكر

الموت. (حلية الأولياء ٨ / ٣٤٧)

قال أبي الجلد: وجدتُ التسويف جنداً من جنود إبليس، وقد أهلك خلقاً من خلق الله كثيراً.

(حليه الأولياء ٦/٥٥)

عن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه قال: ما نمتُ يوماً قط فحدثت نفسي أنني أستيقظ منه. وقال محمد بن

النضر الحارثي: إلى الله أشكو طول أجلي وعند الله أحسبُ عظيم غفلي. (قصر الأمل ٤٧)

عن إسحاق قال: قيل لرجل من عبدالقيس: أوصي قال: احذروا سوف. (قصر الأمل ١٤٠)

قال حاتم الأصم: لكل شيء زينة وزينة العبادة الخوف علامة خوف قصر الأمل. (الرساله القشيرية)

قال الأصمعي: سمعتُ أعرابياً يقول: مضى أمسك، وعسى غداً لغيرك. (الزهد الكبير للبيهقي ٤٨٨/١)

قال مجمع التيمي: ذكر الموت غنى. (حليه الأولياء ٩٠/٥)

عن صالح بن بشير أنه كان يتمثل هذا البيت في قصصه:

وغائبُ الموت لا تَرَجُونَ رَجْعَتَهُ إِذَا ذُوو سَفَرٍ مِنْ غَيْبَةٍ رَجَعُوا

ثم يبكي ويقول: هو والله السفر البعيد، فتزوّدوا المراحل؛ فإن خير الزاد التقوى، واعلموا أنكم في مثل

أمنيّتهم، فبادروا الموت، فاعملوا له قبل حلوله؛ ثم بكى.

قال الشافعي: (حليه الأولياء ١٦٨/٦)

تزوّد من التقوى فإنك لا تدري إذا جنّ ليل هل تعيش إلى الفجر؟

فكم من فتى يُمسي ويُصبح لاهياً وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

وكم من عروسٍ زينوها لزوجها وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر

وكم من صغارٍ يُرتجى طول عمرهم وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر

وكم من صحيحٍ مات من غير علّة وكم من سقيمٍ عاش حيناً من الدهر

وكم من ساكنٍ عند الصباح بقصره وعند المساء قد كان من ساكن القبر

فكن مخلصاً واعمل الخير دائماً لعلك تحظى بالثوبة والأجر

وداوم على تقوى الإله فإنها أمانٌ من الأهوالِ في موقف الحشر

الآثار العملية من حياة السلف:

عن أبي سفيان عن أشياخه: أن سعد بن أبي وقاص دخل على سلمان يعوده فبكى سلمان فقال له سعد:

ما يبكيك؟ تلقى أصحابك، وترد على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحوض وتوفي رسول الله صلى

الله عليه وسلم وهو عنك راض فقال: ما أبكي جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلينا فقال: ليكن بلغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب وهذه الأسود حولي - وإنما حوله مطهرة أو انجاة ونحوها - فقال له سعد: أعهد إلينا عهداً نأخذ به بعدك فقال له: أذكر ربك عند همك إذا هممت وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت. (الحليه ١/ ١٩٥-١٩٦)

قال الحسن البصرى : اجتمع ثلاثة من العلماء فقالوا لأحدهم: ما أملك؟ قال: ما أتى عليّ شهر إلا ظننتُ أني سأموت فيه، فقال صاحبه: إن هذا هو الأمل فقالوا للآخر: ما أملك؟ قال: ما أتت عليّ جمعة إلا ظننتُ أني سأموت فيها فقال صاحبه: إن هذا هو الأمل فقالوا للآخر: ما أملك؟ قال: ما أمل من نفسه في يد غيره؟. (قصر الامل لابن ابى الدنيا ٢٣)

قال عبد الرزاق: كان سفيان الثوري إذا اغتم: رمى بنفسه عند وهيب بن الورد؛ فقال له أبا أمية: أترى أحداً يتمنى الموت؟ فقال وهيب: أما أنا فلا؛ فقال سفيان: أما أنا فوددت أني ميت. (الحليه ٧/ ١٨)

قال منازل بن سعيد: صلينا خلف جنازة فيها داود الطائي وهو لا يراني خلفه فتلا قول الله عز وجل: (ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون) (المؤمنون) ثم قال لنفسه: يا داود من خاف الوعيد قُصر عليه البعيد ومن طال أمله قُصر عمله وكل ما هو آت قريب واعلم يا داود أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو مشؤوم واعلم يا داود أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون، ويفرحون بما يقدمون، فما عليه أهل القبور يندمون، عليه أهل الدنيا يقتتلون، وفيه يتنافسون، وعليه عند القضاء يختصمون، ثم نظر إليّ فقال: لو علمتُ أنك خلفي لم أنطق بحرف. (قصر الامل ٧٨)

عن زهير الباني قال: مات ابن لمطرف بن عبد الله بن الشخير، فخرج على الحي: قد رجل جته، ولبس حلته؛ فقيل له: ما نرضى منك بهذا، وقد مات ابنك؛ فقال: أتأمروني أن أستكين للمصيبة؟ فوالله، لو أن الدنيا وما فيها لي، فأخذها الله مني، ووعدني عليها شربة ماء غداً: ما رأيته لتلك الشربة أهلاً؛ فكيف بالصلوات، والهدى، والرحمة؟. (حليه الأولياء ٢/ ١٩٩)

عن إسماعيل بن زكريا وكان جار الحبيب أبي محمد قال: كنتُ إذا أمسيتُ سمعتُ بكاءه، وإذا أصبحتُ سمعتُ بكاءه، فأتيتُ أهله فقلت: ما شأنه يبكي إذا أمسى، ويبكي إذا أصبح؟ قال: فقالت لي: يخاف والله إذا أمسى ألا يصبح، وإذا أصبح ألا يمسي وكان حبيب يقول لزوجته: إن متُّ في اليوم، فأرسلني إلى

فلان يُغسلني، وافعلي كذا، واصنعي كذا، فقيل لامرأته: أراى رؤيا ؟ قالت: هذا يقوله في كل يوم. (قصر الامل لابن ابى الدنيا ٥٩)

وكانت أم الصهباء معاذة العدوية زوجة صيلة بن أشيم إذا جاء النهار قالت: هذا يومي الذي أموت فيه فما تنام حتى تُمسي، وإذا جنَّ الليل قالت: هذه ليلتي التي أموت فيها فلا تنام حتى تُصبح. (صفه الصفوة ٢٢/٤)

وكانت عُفيرة العابدة لا تضعُ جنبها إلى الأرض في ليل وتقول: أخاف أن أؤخذ على غرّة وأنا نائمة. (صفه الصفوة ٣٤/٤)

٦٦- باب استهباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

٥٨١- عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كُنْتُ مَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا » رواه مسلم وفي رواية « فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة » .

٥٨٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتَهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى الْبَيْعِ ، فَيَقُولُ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوَعِدُونَ ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَيْعِ الْغَرْقَدِ » رواه مسلم .

٥٨٣- وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه ، قال : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْمَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ، أَسْأَلُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ » رواه مسلم .

٥٨٤- وعن ابن عباسٍ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قال : مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبُورٍ بِالْمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بَوَجْهِهِ فَقَالَ : « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ ، أَنْتُمْ سَلَفْنَا وَنَحْنُ بِالْآثِرِ » رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسن .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن مجاهد في قوله تعالى: (فَلَا تَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ) (الروم ٤٤) قال: في القبر. (حليه الأولياء ٣/ ٢٩٧)

قال هانئ مولى عثمان: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكي حتى يبيل لحيته فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكي: وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. (الترمذى ح ٢٣٠٨)

عن نافع قال: شهدت مع ابن عمر جنازة فلما فرغ من دفنها، قال قائل: ارفعوا على اسم الله، فقال ابن عمر: إن اسم الله علا كل شيء، ولكن: ارفعوا باسم الله. (حليه الأولياء ١/ ٣١٢)

عن موسى بن عقبة: أنه رأى سالم بن عبد الله بن عمر لا يمر بقبر، بليل ولا نهار إلا يسلم عليه يقول: السلام عليكم فقلت له في ذلك؛ فأخبرني عن أبيه: أنه كان يقول ذلك. (حليه الأولياء ٢/ ١٩٥)

نظر عمرو بن العاص إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين؛ فقيل له: هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه، فأحببت أن أتقرب إلى الله بهما. (إحياء علوم الدين ٤/ ٤٨٦)

قال حذيفة رضي الله عنه: إن في القبر حساباً ويوم القيامة حساباً؛ فمن حوسب يوم القيامة عذب. (حليه الأولياء ١/ ٢٨٣)

عن ميمون بن مهران قال: كنت جالساً عند عمر بن عبد العزيز، فقراً: (أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ) (التكاثر ١-٢). فقال لي: يا ميمون ما أرى القبر إلا زيارة ولا بد للزائر أن يرجع إلى منزله. يعني: إلى الجنة، أو النار. (حليه الأولياء ٥/ ٣١٧)

قال عمارة بن مهران المعولي: قال لي محمد بن واسع: ما أعجب إلى منزلك؛ قال: قلت: وما يعجبك من منزلي، وهو عند القبور؟ قال: وما عليك، يقلون الأذى ويذكرونك الآخرة. (حليه الأولياء ٢/ ٣٤٨)

عن أحمد بن ضرار العجلي قال: أتيت داود الطائي - وهو في دار واسعة خربة، ليس فيها إلا بيت، وليس على بيته باب فقال له بعض القوم: أنت في دار وحشة، فلو اتخذت لبيتك هذا باباً، أما تستوحش؟ فقال: حالت وحشة القبر بيني وبين وحشة الدنيا. (حليه الأولياء ٧/ ٣٤٣)

عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال: يجعل للقبر لساناً ينطق به فيقول: يا ابن آدم كيف نسيتني؟ أما علمت أني بيت الأكلة وبيت الدود وبيت الوحشة وبيت الوحدة؟. (حليه الأولياء ٣/ ٢٧١)

قال عتبة بن هارون: مر فضل الرقاشي وأنا معه بمقبرة فقال: يا أيها الديار الموحشة: التي نطق

بالخراب فناؤها وشيد في التراب بناؤها فمحلها مقرب وساكنها مغرب في محلة المتشاغلين لا يتواصلون تواصل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران. (حليه الأولياء ٦/٢٠٧)

قال الأوزاعي: جئت إلى بيروت أربط فيها فلقيت سوداء - يعني جارية سوداء - عند المقابر فقلت لها: يا سوداء أين العمارة؟ - يعني أين البلد وأين العمران؟ -، قالت: أنت في العمارة، وإن أردت الخراب فبين يديك. (سير اعلام النبلاء ٧/١٢١)

قال محمد بن خلف سمعت أبي قال: رجعنا من ميت مع ابن السماك يقول تمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لا يعرفوني: وذووا الأموال يقتسمون مالي ولا يألون أن جحدوا ديوني قد أخذوا سهامهم و عاشوا فبالله ما أسرع ما نسوني. (اهوال القبور ٥٥٤)

قال القاسم بن مخيمرة: لأن أظأ على سنان محمي حتى ينفذ من قدمي أحب إلي من أن أظأ على قبر رجل مؤمن متعمداً. (حليه الاولياء ٦/٨٠)

قال طاووس: لا يحرز دين المؤمن إلا حفرته (أي: إنه طوال حياته في الدنيا معرض للفتن، فإذا ختم له بخير وصار إلى قبره فإنه يأمن بذلك من الوقوع في الفتن أو من أن يُفتن). (حليه الأولياء ٤/٦)
عن الفضيل بن عياض قال: رأيت رجلا يبكي قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكاني كلامه قلت: ما هو؟ كنا وقوفاً في المقابر فأنشدوا:

أتيت القبور فسائلتها	أين المعظم والمحتقر
وأين المذل بسلطانه	وأين القوي إذا ما قدر
تفاتوا جميعاً فما نخب	وماتوا جميعاً ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا	أمالك فيما ترى معتبر؟
تروح وتغدوا وأبلاك الثرى	فتمحوا محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا	أمالك فيمن مضى معتبر؟؟!. (اهوال القيامة لابن رجب ١٤٦)

الآثار العملية من حياة السلف:

عن عمر بن عبد العزيز: أنه كتب إلى عدي بن أرطاة وهو من التابعين ولربما خطب وبكى الناس وقد ولاه عمر بن العزيز رحمه الله على البصرة، ولكنه بعد ذلك بعد وفاة عمر عنه دعا إلى نفسه وأظهر أنه القحطاني الذي أخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال: إنه يسير بالناس سيرة عمر بن الخطاب عنه

فالشر قديم، والتحول والتقلب والفتنة ليست جديدة، هذا رجل روى عن بعض الصحابة، ومن ولاة عمر بن عبد العزيز. فكتب له عمر بن عبد العزيز يقول: إنك غررتني بعمامتك السوداء، ومجالستك القراء، وقد أظهرنا الله على كثير مما تكتمون، أما تمشون بين القبور؟. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٥٣)

عن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة، فلما نظر إلى القبور: بكى؛ ثم أقبل علي، فقال: يا أبا أيوب، هذه قبور آبائي بنى أمية، كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذتهم وعيشهم، أما تراهم صرعى قد حلت بهم المثالات، واستحكمت فيهم البلاء، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلاً؟ ثم بكى، حتى غشي عليه؛ ثم أفاق، فقال: انطلق بنا، فوالله، ما أعلم أحداً أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن عذاب الله. (حليه الأولياء ٥/ ٢٦٩)

قال سلام بن صالح: فقد الحسن ذات يوم فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت؟ قال: كنت اليوم عند إخوان لي إن نسيت ذكروني وإن غبت عنهم لم يغتابوني فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال: هؤلاء أهل القبور. (اهوال القبور واحوال اهلها الى النشور ١٣٨)

قال عاصم الحيطي: كنت أمشي مع محمد بن واسع فأتينا المقابر فدمعت عيناه ثم قال: يا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم فكأنهم وقد وثبوا من هذه الأجداث فمن بين مسرور ومهموم.

(اهوال القبور واحوال اهلها الى النشور لابن ابى الدنيا ١٣٩)

ويقول محمد بن صالح التمار: كان صفوان بن سليم يأتي البقيع فيمر بي، فاتبعته ذات يوم وقلت: لأنظرن ما يصنع، ففتح رأسه - كأنه رفع عمامته أو نحو ذلك - وجلس إلى قبر منها، فلما يزل يبكي حتى رحمته وظننت أنه قبر بعض أهله، ومر بي مرة أخرى فاتبعته فقعد إلى جنب قبر غيره ففعل مثل ذلك، فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر، وقلت له: إنما ظننت أنه قبر بعض أهله، فقال محمد: كلهم أهله وإخوته، إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة، ثم جعل محمد يمر بي فيأتي البقيع، فسلمت عليه ذات يوم، فقال: أما نفعتك موعظة صفوان؟. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٦٧)

قال الحارث بن سعيد: أخذ بيدي رياح القيسي يوماً، فقال: هلم يا أبا محمد حتى نبكي على عمر الساعات ونحن على هذه الحال؛ قال: وخرجت معه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور صرخ، ثم خر مغشياً عليه؛ قال: فجلست والله عند رأسه أبكي؛ قال: فأفاق، فقال: ما يبكيك؟ قلت: لما أرى بك قال:

لنفسك فابك؛ ثم قال: وانفساه، وانفساه، ثم غشى عليه؛ قال: فرحمته والله، مما نزل به، فلم أزل عند رأسه حتى أفاق قال: فوثب وهو يقول: (تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) (النازعات ١٢) ومضى على وجهه وأنا أتبعه لا يكلمني حتى انتهى إلى منزله، فدخل، وصفق بابه؛ ورجعت إلى أهلي، ولم يلبث بعد ذلك إلا يسيراً، حتى مات رحمة الله تعالى عليه. (حليه الأولياء ٦/١٩٣)

عن مالك بن دينار قال: خرجت أنا وحسان بن أبي سنان نزور المقابر فلما أشرف عليها سبقته عبرته ثم أقبل علي فقال: يا يحيى! هذه عساكر الموتى ينتظر بها من بقي من الأحياء ثم يصاح بهم صيحة فإذا هم قيام ينظرون فوضع مالك يده على رأسه وجعل يبكي. (اهوال القبور ١٣٩)

ويقول محمد الأشهلي: مررت بمقابر فسمعت همهمةً فإذا يحيى بن أيوب في حفرة من تلك الحفر، وإذا هو يدعو ويبكي ويقول: يا قرّة عين المنقطعين يعني يدعو الله ويا قرّة عين العاصين أنت سترت عليهم ولم لا تكون قرّة عين المطيعين وأنت سنتت عليهم بالطاعة ويُعاود البكاء يقول محمد الأشهلي: فغلبني البكاء ففتظن بي سمع بكاءه فقال: تعال، لعل الله إنما بعث بك لخير. (سير أعلام النبلاء ١١/٣٨٧)

٦٧- باب كراهية تعني الموت

بسبب ضرر نزل به ولا بأس به لغوب الفتنه في الدين

٥٨٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يَتَمَنَّأ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ إِذَا مُحْسِنًا ، فَلَعَلَّهُ يَزِدَادُ ، وَإِذَا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتَبُ » متفق عليه، وهذا لفظ البخاري .
وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا يَتَمَنَّأ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرَهُ إِلَّا خَيْرًا » .

٥٨٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لِضُرِّ أَصَابِهِ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا ، فليقل: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي ، وتوفني إذا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي « متفق عليه

٥٨٧- وعن قيس بن أبي حازم قال: دَخَلْنَا عَلَى خَبَابِ بْنِ الْأَرْتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا ، وَلَمْ تَنْقُضْهُمْ الدُّنْيَا ، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا

نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا الترابَ وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ ، فَقَالَ : إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤَجَّرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا الترابِ . متفقٌ عليه ، وهذا لفظ رواية البخاري .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الصديق في وصيته لعمر: إن أنت حفظت وصيتي لم يكن غائب أحب إليك من الموت، ولا بد لك منه وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (سورة البقرة ٩٤) وقوله: (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (الجمعة ٦) ومن أراد الله به خيرا عَسَلَهُ، فاستعمله بعمل صالح قبل موته فيقبضه عليه، إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ. (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب ٧٦٢/٠٢)

كان عمر بن الخطاب: يتمنى أن يموت بالمدينة و كان يدعو فيقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك. (صحيح البخارى رقم ١٨٩٠)

قال علي بن أبي طالب في يوم الجمل: ليتني متُّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة!. (التمنين لابى الدنيا ٦٢) كان ابن مسعود يتمنى الموت فقيل له، فقَالَ: لو أَنِي أَعْلَمُ أَنِي أَبْقَى عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ لَتَمَنَيْتُ الْبَقَاءَ عَشْرِينَ سَنَةً. (مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ٧٦٢/٠٢)

قال ابن مسعود: سيأتي عليكم زمانٌ لو وجد أحدكم الموتَ يباع لا شتره. (مستدرک الحاكم ٤/٤٨٦) قال قيس رضي الله عنه: أتيت خبابا رضي الله عنه وقد اكتوى سبعا في بطنه فسمعته يقول: لولا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به. (البخاري ٥ / ٢٣٣٧-٥٩٨٩)

يقول ابو هريرة: سيأتي على الناس زمان، يكون الموت أحب إلى العلماء من الذهب الأحمر، حتى يأتي الرجل قبر أخيه، فيقول: يا ليتني مكانك وصدق أبو هريرة فيها هو سفيان الثوري يقول: كان من دعائي ألا أموت فجأة، فأما اليوم فوددتُ أنه قد كان. (كتاب التمنيين لابي الدنيا ٨٤)

وقال أبو هريرة: من رأى الموت يباع فليشتره لي. (الثبات عند الممات لابن الجوزي ٥٤)

كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحالة الصالحة قال: هنيئًا لك يا ليتني مكانك فقالت له أم الدرداء

في ذلك فقال: هل تعلمين يا حمقاء، أن الرجل يصبح مؤمناً ويمسي منافقاً، يسلب إيمانه وهو لا يشعر فأنا لهذا الميت أغبط مني لهذا بالبقاء والصلاة والصوم. (مجموع رسائل ابن رجب ٧٦٢ / ٠٢)
 كان العرابض بن سارية يقول وقد كبرت سنه: اللهم كبرت سني، ووهن عظمي، فاقبضني إليك.
 (حليه الأولياء ٢ / ١٤)

وعن ربيعة بن زهير قال: قيل لسفيان: كيف تتمنى الموت، وقد نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟! فقال: لو سألتني ربي، لقلت: يا رب لثقتي بك، وخوفي من الناس؛ لأني لو خالفت واحداً في رمانة، فقلت: حلو، وقال: مرة، لخفت أن يُشاط بدمي. (كتاب العزله للخطابي ٩١)
 عن أبي ذر: يوشك أن تمر الجنازة في السوق على الجماعة فيراها الرجل، فيهز رأسه، فيقول: يا ليتني مكان هذا؟ قلت: يا أبا ذر إن ذلك لمن أمر عظيم؟ قال: أجل. (التذكرة ٧١١)
 وقال عمر بن عبد العزيز لعنيسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك. (إحياء علوم الدين ٤ / ٤٥١)

وقال أبو سليمان الداراني قلت لأم هرون أتحين الموت قالت لا قلت لم قالت لو عصيت آدميا ما اشتفيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته. (إحياء علوم الدين ٤ / ٤٥١)
 قال يونس أنه: ما رأيت أحداً سرَّ بالموت من أبي الفضل يوسف بن مسرور مولى نجم الصيرفي كان يقول: والله لو أعلم أن أحداً تُجاب دعوته لسألته أن يسأل الله تعالى لي الموت فقلت له: أصلحك الله أوتحب أن تموت؟ فقال: وكيف لا أحب الخروج من دار الفتن وإبليس وكذا وكذا إلى دار أرجو فيها الاجتماع مع محمد صلى الله عليه وسلم؟. (رياض النفوس ٢ / ٢٣٦)

وقال عمرو بن مرة الهمداني: تمنى عبدالله لأهله ولنفسه الموت، فقيل له: تمنيت لأهلك، فلم تمنيت لنفسك؟ فقال: لو أني أعلم أنكم تبقون على حالكم هذه لتمنيت أن أعيش، فذكر عشرين سنة.
 (كتاب المتمنين ٨٣)

قال الحسن: ما رأيت عاقلاً قط إلا أصبته من الموت حذراً وعليه حزينا. (الإحياء ٤ / ٤٥١)
 وتمنى عطاء السلمى الموت وقال: إنما يريد الحياة من يزداد خيراً، فأما من يزداد شراً فما يصنع بالحياة!
 (كتاب المتمنين ٦٩)

وكان أبو رجاء العطاردي يقول: لأننا إلى مَنْ في بطنها أشوق مني إلى مَنْ في ظهرها. (كتاب المتمنين ٨٤)
 عن حبان بن الأسود قال: الموت خير، يُوصل الحبيب إلى حبيبه. (حليه الأولياء ١٠ / ٩)
 قال أبو حازم: من اعتدل يومه فهو مغبون ومن كان غده شر يوميه فهو محروم ومن لم ير الزيادة في نفسه
 كان في نقصان ومن كان في نقصان فالموت خير له. (المجالسة وجواهر العلم ٥٨ / ٥)
 قال ابن حجر في حكم كراهية تمنى الموت: فمن كرهه إيثارًا للحياة الدنيا على الآخرة كان مذمومًا.
 ومن كره الموت خشية أن يفضي إلى المؤاخذه، كأن يكون مقصرًا في العمل، لم يستعد له بالأهبة، بأن
 يتخلص من التعبات، ويقوم لله بالواجبات، فهذا معذور. (فتح الباري ١١ / ٣٦٠ - ٣٦١)

قال الشاعر: (لطائف المعارف لابن رجب ١ / ٢٩٦)

أشتاقُ إليك يا قريبًا نائي شوقَ ظامٍ إلى زلالِ الماء

الآثار العملية في حياة المسلم:

قال عبيدة بن عبد الله بن مسعود: مرَّ سليمان بن صرد بأمي فطلب ماءً ليتوضأ به فأتته الجارية بياء فمرُّوا
 برجل مجلود يقول: أنا والله مظلوم، فقال: يا هذه لمثل هذا كان زوجك (يعني عبد الله بن مسعود) يتمنى
 الموت. (كتاب المتمنين لابي الدنيا ٨٣)

لما جاء زينب رضي الله عنها عطاء عمر استكثرت، وقالت: اللهم لا يدركني عطاء لعمر بعدها، فماتت
 قبل أن يدركها عطاء عمر الثاني. (حليه الأولياء ٢ / ٥٤)

قال الزبير بن بكار: حدثني محمد بن الحسن أنه لما نزل القوم بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه، قام في أصحابه
 خطيبًا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت، وأدبر
 معروفها، وانشمرت حتى لم يبقَ منها إلا كصباية الإناء، إلا خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون
 الحق لا يُعمل به، والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا
 الحياة مع الظالمين إلا جرمًا. (حليه الأولياء ٣٩ / ٢)

وعن أبي مهلهل سعيد بن صدقة قال: أخذ بيدي سفيان الثوري يومًا، فأخرجني إلى الجبان، فاعتزلنا
 ناحية من طريق الناس، فبكى ثم قال: يا أبا مهلهل، وددتُ أني لم أكن كتبت من هذا العلم حرفًا واحدًا،
 إلا ما لا بد للرجل منه، قال: ثم بكى، ثم قال: يا أبا مهلهل، قد كنت قبل اليوم أكره الموت، فقلبي اليوم
 يتمنى الموت، وإن لم ينطق به لساني، قلت: ولم ذاك؟ قال: لتغير الناس وفسادهم. (المتمنين لابي الدنيا ٦٤)

اجتمع أهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط، من كبار العباد، فقال الثوري: قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم فأما اليوم فوددت أني ميت؟ طبعاً لأن سفيان ابتلي في الله سفيان طاردوه، وتخفى وأوذى، ويخشى على دينه من إخلاصه قال: قد كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم وأما اليوم فوددت أني ميت، فقال له يوسف بن أسباط: ولم؟ قال: لما أتخوف من الفتنة، أخاف أخذ وأفتن ولا أصبر، قال يوسف: لكني لا أكره طول البقاء، قال الثوري: ولم؟ قال: لعلي أصادف يوماً أتوب فيه، وأعمل صالحاً، فليل لأهيب: أي شيء تقول أنت؟ قال: أنا لا أختار شيئاً، أحب ذلك إليّ أحبه إلى الله، فقبل الثوري بين عينيه، وقال: روحانية ورب الكعبة . (إحياء علوم الدين ٤ / ٣٥٥)

قال ابن المبارك : قدمت مكة فإذا الناس قد قحطوا من المطر، وهم يستسقون في المسجد الجرام وكنت عند باب بني شيبه، إذا أقبل غلام أسود عليه قطعنا خيش قد اتزر بإحداهما، وألقى الأخرى على عاتقه فصار في موضع خفي إلى جانبي فسمعتة يقول في دعاء الاستسقاء: اللهم أخلقت الوجوه كثرة الذنوب، ومساوئ الأعمال، وقد منعنا غيث السماء لتؤدب الخليقة بذلك فأسألك يا حليماً ذا أناة يا من لا يعرف عباده منه إلا الجميل، اسقهم الساعة الساعة قال ابن المبارك: فلم يزل يقول: الساعة الساعة حتى استوت بالغمام وأقبل المطر من كل مكان وجلس مكانه يسبح وأخذت أبكي إذا قام فاتبعته حتى عرفت موضعه. في آخر القصة جاءه ابن المبارك وكشف له الأمر، أنه عرفه أنه قال: كذا وكذا فقال: اللهم إذ شهرتني، فاقبضني إليك الساعة الساعة فدنوت منه فإذا هو قد مات رحمه الله. (صفة الصفوة ٢ / ٢٦٩-٢٧٢)

٦٨- باب النور وتوك الشبهات

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ [النور : ١٥] ، وقال تَعَالَى : إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ [الفجر : ١٤] .

٥٨٨- وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : «إِنَّ الْحَلَائِلَ بَيْنَ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مُحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ

مُضَغَّةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ : أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ « متفقٌ عليه .
وَرَوَاهُ مِنْ طَرِيقٍ بِالْفَاظِ مُتَقَارِبَةٍ .

٥٨٩- وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ : « لَوْلَا
أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا » . متفقٌ عليه .

٥٩٠- وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ
الْخُلُقِ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواه مسلم . « حَاكَ » بالحاء
المهمله والكاف ، أَي تَرَدَّدَ فِيهِ

٥٩١- وعن ابِصَةَ بْنِ مَعْبُدٍ رضي الله عنه قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :
« جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْبِرِّ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ، فَقَالَ : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، الْبِرُّ : مَا اطْمَأَنَّتَ إِلَيْهِ النَّفْسُ ،
وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ »
حديثٌ حسنٌ ، رواه أحمدٌ ، والدارميُّ في « مُسْتَدْرَيْهَا » .

٥٩٢- وعن أَبِي سِرْوَةَ بِكْسِرِ السِّينِ المَهْمَلَةِ وَفَتْحِهَا عُقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ رضي الله عنه أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةَ
لأبي إهاب بن عزيز ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالتِّي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا ، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ
: مَا أَعْلَمُ أَنَّكَ أَرْضَعْتَنِي وَلَا أَخْبَرْتَنِي ، فَرَكَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ ، فَسَأَلَهُ
، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَيْفَ ، وَقَدْ قِيلَ ؟ » ، فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ
 . رواه البخاري . « إِهَابٌ » بِكْسِرِ الهمزة ، وَ « عَزِيزٌ » بفتح العين وبزاي مكررة .

٥٩٣- وعن الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنها ، قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .
ومعناه : اْتْرِكْ مَا تَشْكُ فِيهِ ، وَخُذْ مَا لَا تَشْكُ فِيهِ .

٥٩٤- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كَانَ لِأبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، رضي الله عنه غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ
الْحَرَاجَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ حَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ :
تَدْرِي مَا هَذَا ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : كُنْتُ تَكْهَنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَمَا أَحْسَنَ

الكَهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقَيْتَنِي ، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ هَذَا الَّذِي أَكَلْتِ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ ، رواه البخاري .

« الخراج » : شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إِلَى السَّيِّدِ كُلِّ يَوْمٍ ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ .
٥٩٥- وعن نافعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَفَرَضَ لِابْنِهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ فَقِيلَ لَهُ : هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فقال : إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ يَقُولُ : لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ . رواه البخاري .

٥٩٦- وعن عطية بن عروة السَّعْدِيِّ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدعَ ما لا بأسَ به حذرًا بما به بأسٌ » .
رواهُ الترمذي وقال : حديثٌ حسن .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس ، قوله : إن ربك لبالمرصاد . يقول : يرى ويسمع . عن الضحاك في هذه الآية ، قال : إذا كان يوم القيامة ، يأمر الرب بكرسيه ، فيوضع على النار ، فيستوي عليه ، ثم يقول : وعزتي وجلالي ، لا يتجاوزني اليوم ذو مظلمة ، فذلك قوله : لبالمرصاد .

عمرو بن قيس ، قال : بلغني أن على جهنم ثلاث قناطر : قنطرة عليها الأمانة ، إذا مروا بها تقول : يا رب هذا أمين يا رب هذا خائن وقنطرة عليها الرحم إذا مروا بها تقول : يا رب هذا واصل يا رب هذا قاطع ؛ وقنطرة عليها الرب . إن ربك لبالمرصاد . (تفسير الطبري ٤١٢ / ٢٤)

عن الحسن إن ربك لبالمرصاد قال : بمرصاد أعمال بني آدم . (تفسير الدر المنثور ٤١٦ / ١٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر رضي الله عنه: كنا ندع سبعين باباً من الحلال مخافة أن تقع في باب من الحرام .

(الرسالة القشيرية ص ٥٣)

وقال عمر رضي الله عنه: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام . (الإحياء ٩٥ / ٢)

قال أنس رضي الله عنه: كان بين كنتفي عمر رضي الله عنه أربع رقاع وإزاره مرقوع بأدم وخطب عمر

على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة!. (البداية والنهاية ٧/ ١٤٨)

كانت تحت معاذ بن جبل امرأتان: فإذا كان عند إحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء! (الحلية ١/ ٢٣٤)

قال أبو الدرداء: تمام التقوى أن يتقي الله العبد، حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حرامًا، حجابًا بينه وبين الحرام. (حليه الأولياء ١/ ٢١٢)

وقال أبو هريرة: جلساء الله تعالى غداً أهل الورع والزهد. (الرساله القشيريّه ١/ ٢٣٦)

عن عبادة بن الصامت: أنه مر بقرية دُمّر، فأمر غلامه أن يقطع له سواكاً من صفصاف على نهر هناك، فمضى ليفعل، ثم قال: ارجع، فإنه إلا يكن بثمان فإنه يببس، فيعود حطباً بثمان. (السير ٢/ ١٠)

قال عون بن المعتمر رحمه الله: دخل عمر بن عبد العزيز على امرأته فقال: يا فاطمة عندك درهم أشترى به عنبا؟ قالت: لا، قال: فعندك نمية - يعني الفلوس - أشترى بها عنبا؟ قالت: لا، فأقبلت عليه فقالت: أنت أمير المؤمنين لا تقدر على درهم ولا نمية تشتري بها عنبا؟ قال: هذا أهون علينا من معالجة الأغلال غدا في نار جهنم. (حلية الأولياء ٥/ ٢٥٩)

وجاء عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى أبي بكر بن حزم يعني: يأمره بأن يدقق القلم ويقارب بين الأسطر يقول: فإني أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٢)

قال ميمون بن مهران: ما زلت ألطف في أمر الأمة أنا وعمر بن عبد العزيز حتى قلت له: ما شأن هذه الطوامير التي تكتب فيها بالقلم الجليل، وهي من بيت المال؟، فكتب في الآفاق بتركه، فكانت كتبه نحو شبر. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٣)

قال إبراهيم بن أدهم: الورع: ترك كل شبهة وترك ما لا يعينك هو ترك الفضلات. (مدارج السالكين ٢/ ٢١)

قال إبراهيم بن بشار: سئل إبراهيم بن أدهم: بم يتم الورع؟ قال: بتسوية كل الخلق من قلبك واشتغالك عن عيوبهم بذنبك؛ وعليك باللفظ الجميل، من قلب ذليل، لرب جليل؛ فكر في ذنبك، وتب إلى ربك: يثبت الورع في قلبك، واحسم الطمع، إلا من ربك. (حليه الأولياء ٨/ ١٦)

قال أبي سليمان الداراني: الورع من الزهد بمنزلة القناعة من الرضا هذا أوله وهذا أوله. (الحليه ٩/ ٧٤)

عبد الرحمن بن عمر بن رسته قال: أخبرني من سمع ابن عيينة وسئل عن الورع فقال: الورع: طلب العلم الذي يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو كذلك إن المتكلم العالم:

أفضل عندي وأورع من الجاهل، الصامت. (حليه الأولياء ٧/ ٢٩٩)

وقال سفيان بن عيينة: لا يصيب عبد حقيقة الإيمان؛ حتى يجعل بينه وبين الحرام حاجزاً من الحلال، وحتى يدع الإثم وما تشابهه منه. (فتح الباري ١/ ٢٠٥)

قال سفيان: عليك بالورع يخفف الله حسابك ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك. (الورع لابن ابي الدنيا ١١٢)

قال الشافعي: أصل العلم الثبوت وثمرته السلامة وأصل الورع القناعة وثمرته الراحة وأصل الصبر الحزم وثمرته الظفر وأصل العمل التوفيق وثمرته النجاح وغاية كل أمر الصدق. (مواظف الشافعي ١/ ١١)

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: زينة العلم الورع والحلم. (الأداب الشرعية ٢/ ٤٥)

قال يحيى بن أبي كثير: أفضل الأعمال: الورع، وأفضل العبادة: التواضع. (حليه الأولياء ٣/ ٦٣)

وقال يحيى بن أبي كثير: يقول الناس: فلان الناسك؛ وإنما الناسك: الورع. (حليه الأولياء ٦٨/ ٦٨)

قال الحسن البصري رحمه الله: أفضل العلم الورع والتوكل. (الزهد لابن حنبل ٢٦٥)

وقال ايضاً: مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة. (مدارج السالكين ٢/ ٢٢)

قال الضحاك: لقد أدركت أصحابي وما يتعلمون إلا الورع. (الزهد لابن المبارك ١١)

قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أورع من فلان قال: هل رأيت علي بن الحسين؟ قال: لا قال: ما رأيت أورع منه. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٩١)

قال عمران بن عبد الله: كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئاً، لا ديناراً، ولا درهماً، ولا شيئاً؛ قال: وربما عرض عليه الأشرطة، فيعرض؛ فليس يشرب من شراب أحد منهم. (الحليه ٢/ ١٦٧)

قال طوق بن وهب: دخلت على محمد بن سيرين وقد اشتكيت. فقال: كأني أراك شاكياً. قلت: أجل. قال: اذهب إلى فلان الطيب فاستوصفه، ثم قال: اذهب إلى فلان فإنه أطب منهم قال: أستغفر الله أراني قد اغتبتته!. (شعب الإيمان للبيهقي ٥/ ٣١٤)

عن أحمد بن أبي الخوارى قال: قال رجل لأبي عبد الرحمن العمري: عظني؛ فأخذ حصاة من الأرض، فقال: مثل هذا ورع يدخل في قلبك، خير لك من صلاة أهل الأرض؛ قال: زدني؛ قال: كما تحب أن يكون الله غداً، فكن أنت اليوم. (حليه الأولياء ٨/ ٢٨٦)

قال عبد الله بن المبارك: لو أن رجلاً اتقى مائة شيء ولم يتورع عن شيء واحد: لم يكن ورعاً؛ ومن كان فيه خلة من الجهل: كان من الجاهلين أما سمعت الله تعالى قال لنوح عليه السلام؟ قال: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) (هود ٤٥) فقال الله: (إِنِّي أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) (هود ٤٦). (حليه الأولياء ٨/ ١٦٧)

قال يحيى بن معاذ: الورع على وجهين: ورع في الظاهر وورع في الباطن فورع الظاهر: ألا يتحرك إلا لله وورع الباطن هو ألا تدخل قلبك سواه. المرء إن كان عاقلاً ورعاً ... أشغله عن عيوب غيره ورعه كما العليل السقيم أشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه. (ديوان الشافعي ٩٠)

قال الفضيل: ما أجد لذة ولا راحة ولا قرة عين إلا حين أخلو في بيتي بربي، فإذا سمعت النداء قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون! كراهية أن ألقى الناس فيشغلوني عن ربي تبارك وتعالى. (الزهد للبيهقي ص ١٠٠)

دخل أبو إسحاق الشيرازي: يوماً المسجد ليأكل فيه شيئاً على عادته فنسي ديناراً فذكر في الطريق أفرجع فوجده. فتركه ولم يمسه وقال: ربما وقع من غيري ولا يكون ديناري. (تزكية النفوس ص ٢٠)

قال حماد بن زيد: كنت مع أبي فأخذت من حائط تبته فقال لي: لم أخذت؟ قلت: إنها هي تبنة!! قال: لو أن الناس أخذوا منه تبنة هل كان يبقى في الحائط تبنة؟!. (الورع لاحمد ص ١١)

عن عتبة بن ضمرة بن حبيب بن صهيب: حدثني أبي، قال: كان يقال: لا يعجبكم صيام امرئ، ولا قيامه؛ ولكن: انظروا إلى ورعه، فإن كان ورعاً مع ما رزقه الله من العبادة، فهو عبد الله حقاً. (حليه الأولياء ٦/ ١٠٤)

قال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشد من الورع في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في الذهب والفضة لأنك تبذلها في طلب الرياسة. (مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٥٧)

قال عبد الله بن أبي زكريا: من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل ورعه ومن قل ورعه أمات الله قلبه. (حليه الأولياء ٥/ ١٤٩)

قال عثمان بن عمار: الورع يبلغ بالعبد إلى الزهد في الدنيا والزهد يبلغ به إلى حب الله عز وجل. (الزهد الكبير للبيهقي ١/ ٣١٣)

وهذا رجل يقال له شعيب يقول: حابيت أبا العالية في ثوب فأبى أن يشتري مني الثوب. (السير ٤/ ٢٠٩)

قال يوسف بن أسباط: يجزئ قليل الورع عن كثير العمل، ويجزئ قليل التواضع عن كثير

الاجتهاد. (حليه الأولياء ٨ / ٢٤٣)

قال سفيان الثوري: عليك بالورع يخفف الله حسابك ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك. (حليه الأولياء ٧ / ٢٠)

قال يونس بن عبيد: الورع: الخروج من كل شبهة ومحاسبة النفس في كل طرفة. (مدارج السالكين ٢ / ٢٢)
قال أبو حامد الغزالي: لن يعدم المتورّع عن الحرام فتوحاً من الحلال. (الإحياء ١ / ٢٢٣)

قال الهروي: الورع توقُّ مستقضى على حذر، وتخرُّجٌ على تعظيم. (مدارج السالكين ٢٥ / ٢)

قال ابن مسكويه: وأما الورع فهو لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس. (تهذيب الاخلاق ٢٩)
وقال محمد بن واسع رحمه الله: يكفي من الدعاء مع الورع اليسير منه. (حليه الأولياء ٢ / ٣٥٣)

وجاء أيضاً عن مطرف بن عبد الله العامري قال: خير دينكم الورع. (حلية الأولياء ٢ / ٢١٢)

قال مؤرّق العجلي: ما رأيت أحداً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين. (الحلية ٢ / ٢٦٦)

قال ابن القيم: ترك ما يُحشى ضرره في الآخرة. (الفوائد لابن القيم ١ / ١١٨)

وقال أبو عبد الله الواسطي: (الموشى للوشاء ٥٤)

ليس الظريفُ بكاملٍ في ظرفه حتى يكونَ عن الحرامِ عفيفاً

فإذا تورّع عن محارمِ ربِّه فهناك يُدعى في الأنامِ ظريفاً

وقال علي بن محمد العلوي الجمال: (شعب الايمان للبيهقي ٩ / ٢٩)

وذي حسد يغتابني حيث لا يرى مكاني ويشني صالحاً حيث أسمعُ

تورّعتُ أن أغتابه من ورائه وها هو ذا يغتابني متورّعُ

الآثار العملية من حياة السلف:

وعن نافع: أنّ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، كان فرض للمهاجرين الأولين أربعة آلاف في أربعة،

وفرض لابن عمر ثلاثة آلاف وخمس مائة، فقليل له هو من المهاجرين، فلمَ نقصته من أربعة آلاف؟

فقال: إنما هاجر به أبواه، يقول: ليس هو كمن هاجر بنفسه. (البخارى رقم ٣٩١٢)

عن ثعلبة بن أبي مالك رضي الله عنه قال: إنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قسم مروطا بين نساء من

نساء أهل المدينة فبقي منها مرط جيّد، فقال له بعض من عنده: يا أمير المؤمنين! أعط هذا بنت رسول

الله صلّى الله عليه وسلّم التي عندك - يريدون أمّ كلثوم بنت عليّ - فقال عمر: أمّ سليط أحقّ به (وأمّ

سليط من نساء الأنصار ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم). قال عمر: فإنها كانت تزفر - تحمل - لنا القرب يوم أحد. (البخاري الفتح ٧ / ٤٠٧١)

روي أن عمر رضي الله عنه وصله مسك من البحرين، فقال: وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت امرأته (عاتكة) أنا أجيد الوزن، فسكت عنها، ثم أعاد القول، فأعادت الجواب، فقال: لا، أحببت أن تضعيه بكفك، ثم تقولين: فيها أثر الغبار، فتمسحين بها، عنقك، فأصيب بذلك فضلا على المسلمين. (إحياء علوم الدين ٢ / ٩٦)

ولما شرب عمر من لبن إبل الصدقة غلطا، أدخل إصبعه في فيه وتقيأ. (الإحياء ٢ / ٩١) روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه أتى بزيت من الشام وكان الزيت في الجفان - يعني في القصاع - وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح وعنده ابن له شعرات فكلما أفرغت جفنه مسح بقيتها برأسه فقال له عمر رضي الله عنه: أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين ثم أخذ بيده، فانطلق إلى الحجّام فحلق شعره وقال: هذا أهون عليك. (تنبية الغافلين ص ٢٤٥)

قال قتادة: كان معقيب على بيت مال عمر فكنس بيت المال يوماً فوجد فيه درهماً فدفعه إلى ابن لعمر أقال معقيب: ثم انصرفت إلى بيتي فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معقيب! أوجدت عليّ في نفسك شيئاً؟! قال: قلت: ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال:

أردت أن تحاصمني أمة محمد في هذا الدرهم. (الورع لابن أبي الدنيا ١٢٦)

عن نافع مولى ابن عمر: أن ابن عمر سمع صوت زمّارة راع، فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته عن الطريق وهو يقول: يا نافع، أسمع؟ فأقول: نعم، فيمضي، حتى قلت: لا، فوضع يديه وأعاد راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع صوت زمّارة راع فصنع مثل هذا.

(مسند الإمام أحمد ٢ / ٨)

ويقول المدائني: كان سبب حبس محمد بن سيرين أنه أخذ زيتاً بأربعين ألف درهم فوجد في زق منه فأرة، فظن أنها وقعت في المعصرة وصب الزيت كله، وكان يقول: إني ابتليت بذنب أذنبته منذ ثلاثين سنة. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٦٠٩)

وجاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل، وقالت: إنا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية،

ويقع الشعاع علينا، أفيجوز لنا الغزل في شعاعها؟ (يعني: هل يجوز لنا أن نغزل في ضوء شعاع غيرنا؟) فقال أحمد: من أنت عافاك الله؟ قالت: أخت (بشر الحافي) فبكى أحمد!! وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق، لا تغزلي في شعاعه. (إحياء علوم الدين ٢/٩٦)

قال ابن محمد بن يعقوب: جاءه يوماً رسول من داره يعني: أحمد بن حنبل يذكر له أن أبا عبد الرحمن عليل واشتهى الزبد؛ فناول رجلاً من أصحابه قطعة، وقال: اشتر له بها زبداً؛ فجاء به على ورق سلق، فلما أن نظر إليه، قال: من أين هذا الورق؟ قال: أخذته من عند البقال فقال: استأذنته في ذلك؟ قال: لا قال: رده. (حليه الأولياء ٩/١٨١)

روى أن عمر بن عبد العزيز: اشتهى تفاحاً فأهدى إليه رجل من أهل بيته تفاحاً فقال: ما أطيب ريحه وأحسنه، وقال: يا غلام ارفعه للذي أتى به، وأقر مولاك السلام، وقل له: إن هديتك وقعت عندنا بحيث تحب، فقلت: يا أمير المؤمنين هذا الذي يقول عمرو بن مهاجر ابن عمك ورجل من أهل بيتك، وقد بلغك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الهدية، قال: ويحك! إن الهدية كانت له هدية، وهي اليوم لنا رشوة. (سير أعلام النبلاء ٥/١٤٠)

عن الحسن بن عرفة قال: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أردّه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام؛ حتى رددته على صاحبه. (السير ١٥/٤١١)

قال ميمون بن مهران: قدمت الكوفة وأنا أريد أن أشتري البزّ فأتيت ابن سيرين بالكوفة فساومته فجعل إذا باعني صنفاً من أصناف البز قال: هل رضيت؟ فأقول: نعم فيعيد عليّ ثلاث مرات ثم يدعو رجلين فيشهدهما وكان لا يشتري ولا يبيع بهذه الدراهم الحجاجية فلما رأيت ورعه ما تركت شيئاً من حاجتي أجدها عنده إلا اشتريته حتى لفائف البز. (سير أعلام النبلاء ٤/٦٢٠)

قال الوضين بن عطاء: أراد الوليد بن عبد الملك أن يولي يزيد بن مرثد، فبلغ ذلك يزيد بن مرثد؛ فلبس فروة قد قلبه: فجعل الجلد على ظهره، والصوف خارجاً؛ وأخذ بيده رغيفاً وعرقاً، وخرج بلا رداء، ولا قلنسوة، ولا نعل، ولا خف؛ وجعل يمشي في الأسواق، ويأكل الخبز واللحم؛ فقيل للوليد: إن يزيد بن مرثد قد اختلط؛ وأخبر بما فعله، فتركه. (حليه الأولياء ٥/١٦٥)

عن علي بن معبد أنه قال كنت ساكناً في بيت بكراء فكتبت كتاباً وأردت أن آخذ من تراب الحائط لأتر به

وأجففه ثم قلت الحائط ليس لي فقالت لي نفسي وما قدر تراب من حائط فأخذت من التراب حاجتي فلما نمت فإذا أنا بشخص واقف يقول يا علي بن معبد سيعلم غداً الذي يقول وما قدر تراب من حائط ولعل معنى ذلك انه يرى كيف يحط من منزلته فإن للتقوى درجة نفوت بفوات ورع المتقين وليس المراد به أن يستحق عقوبة على فعله. (إحياء علوم الدين ٢/٩٦)

كتب غلامٌ حسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أن قصب السكر أصابته آفة، فاشترى السكر فيما قبلك قال: فاشتره من رجل، فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفاً قال: فأتى صاحب السكر فقال: يا هذا إن غلامي كتب إلي ولم أعلمك، فأقطني فيما اشترته منك قال الآخر: قد أعلمتني الآن وطيبته لك قال: فرجع ولم يحتمل قلبه. فأتاه وقال: يا هذا إني لم آت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب أن تسترد هذا البيع، قال: فما زال به حتى رده عليه. (حلية الأولياء ٣/١١٨)

وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة، مع رجل وامرأة، أن يبيعه يوم يدخل بسعر يومه فأتاه كتابه: إني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصاً فحبسته فزاد الطعام فزددت فيه كذا وكذا فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا وعملت بخلاف ما أمرناك به فإذا أتاك كتابي هذا فتصدق منه بجميع ذلك الثمن - ثمن الطعام - على فقراء البصرة فليتني أسلم إذا فعلت ذلك. (جامع العلوم والحكم ٩٤)

٦٩- باب استهباب العزلة عند فساد الناس والزمان

أو الخوف من فتنة في الدين أو وقوع في هرام وشبهات وهونها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: فَفَرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ [الذاريات: ٥٠].

٥٩٧- وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الْغَنِيَّ » رواه مسلم .

والمُرَادُ بـ « الْغَنِيَّ » : غَنِيُّ النَّفْسِ . كما سَبَقَ في الحديث الصحيح .

٥٩٨- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رَجُلٌ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يارسولَ اللهُ؟ قال : « مُؤْمِنٌ مَجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ » قال : ثم من ؟ قال : « ثم رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ » . وفي رواية « يَتَّقِي اللهُ . وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ » متفقٌ عليه .

٥٩٩- وعنه قَالَ : قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ عَنَمٌ

يَتَّبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ . وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْرُ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ « رواه البخاري . و«شَعَفَ الْجِبَالِ» :
أَعْلَاهَا

٦٠٠- وعن أبي هريرة رضي الله عنه . عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ » فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيضَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » رواه البخاري

٦٠١- وعنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمَسِّكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً ، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ ، أَوْ الْمَوْتَ مِظَانَهُ ، أَوْ رَجُلٌ فِي غَنِيمَةٍ فِي رَأْسِ شَعْفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ ، أَوْ بَطْنٍ وَاوٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ » رواه مسلم .
« يَطِيرُ » أي يُسْرِعُ . « وَمَتْنُهُ » : ظَهْرُهُ . « وَالْهَيْعَةُ » : الصوتُ للحربِ . « وَالْفَرْعَةُ » : نحوه . وَ « مِظَانُ الشَّيْءِ » : المواضع التي يُظَنُّ وجوده فيها . « وَالْغَنِيمَةُ » بضم الغين تصغير الغنم . « الشَّعْفَةُ » بفتح الشين والعين : هي أعلى الجبل .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال ابن عباس : فروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم . وعنه فروا منه إليه واعملوا بطاعته .
وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان : ففروا إلى الله اخرجوا إلى مكة . وقال الحسين بن الفضل : احترزوا من كل شيء دون الله فمن فر إلى غيره لم يمتنع منه . وقال أبو بكر الوراق : فروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن . وقال الجنيد : الشيطان داع إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه . وقال ذو النون المصري : ففروا من الجهل إلى العلم ، ومن الكفر إلى الشكر . وقال عمرو بن عثمان : فروا من أنفسكم إلى ربكم . وقال أيضا : فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم . وقال سهل بن عبد الله : ففروا مما سوى الله إلى الله . إني لكم منه نذير مبين أي أذكركم عقابه على الكفر والمعصية . (تفسير القرطبي ٥١ / ١٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : خذوا حظكم من العزلة . وقال العزلة راحة من خليط السوء .

(فتح الباري ١١ / ٣٣١)

قال ابى الطفيل : سمعت علي بن أبي طالب يقول : أظلتكم فتنة عمياء متسكّنة ، لا ينجو منها إلا النومة ،

قيل : يا أبا الحسن ، وما النومة ؟ قال : الذي لا يعرف الناس ما في نفسه . (التواضع والخمول ١١٥ رقم ٢٧)

قال ابن عباس : لولا مخافة الوسواس لدخلت إلى بلاد لا أنيس بها وهل يُفسد الناس إلا الناس .

(غذاء الالباب ٢ / ٤٦٣)

قال أبي هريرة : خرج الرّجال بن عنفوة مع مسيلمة وشهد له بالنّبوة فكانت فتنة الرّجال أعظم من فتنة

مسيلمة . (البداية والنهاية لابن كثير ٦ / ٣٦٥)

قال حذيفة بن اليمان : أوّل الفتن قتل عثمان وآخر الفتن الدّجال . (البداية والنهاية ٧ / ٢١١)

قال ابوالدرداء : نعم صومعة الرجل بيته يكف بصره ولسانه . (مكارم الأخلاق ٣١٧)

وعن بشير بن عتبة قال : قلت ليزيد بن عبد الله بن الشخير : ما كان مُطرّف يصنع إذا هاج في الناس

هيج ؟ قال : يلزم قعر بيته ، ولا يقرب لهم جمعة ولا جماعة حتى تنجلي لهم عما انجلت . (السير ٥ / ١٠٧)

قال أيوب السّخيتاني : اجتمع سعد بن أبي وقاص ، وابن مسعود ، وابن عمر ، وعمار بن ياسر فذكروا

الفتنة ، فقال سعد : أما أنا فأجلس في بيتي ولا أدخل فيها . (حليه الأولياء ١ / ٩٤)

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : والله لوددت أن بيني وبين الناس بابا من حديد لا يكلمني أحد

ولا أكلمه حتى ألحق بالله عز وجل . (غذاء الالباب للسفاريني ٢ / ٤٦٣)

قال محمد بن سيرين : قيل لسعد بن أبي وقاص : ألا تقاتل فإنك من أهل الشورى وأنت أحقُّ بهذا الأمر

من غيرك ؟ فقال : لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له عينان ولسان وشفتان يعرف المؤمن من الكافر فقد

جاهدتُ وأنا أعرف الجهاد . (حليه الأولياء ١ / ٩٤)

كان سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد لزموا بيوتها بالعقيق فلم يكونا يأتيان المدينة لجمعة ولا غيرها

حتى ماتا بالعقيق . (إحياء علوم الدين ٢ / ٢٢٢)

عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنةُ وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف فلم

يُحْضَرُهَا مِنْهُمْ مِائَةٌ بَلْ لَمْ يَبْلُغُوا ثَلَاثِينَ. (البدايه والنهايه ٧ / ٢٦٤)

وعن ابن سيرين قال: العزلة عبادة. (صفة الصفوة ٣ / ١٧٤)

قال عبد الله بن عامر يقول: قام عامر بن ربيعة يصلي من الليل، ثم نام، فأرى في منامه فقيل له: قم فاسأل الله أن يعيدك من الفتنة التي أعاد منها صالح عباده، فقام فصلى، ثم اشتكى فما خرج قط إلا جنازةً. (طبقات بن سعد ٣ / ٣٨٧)

قال أبي موسى الأشعري: إن بعدكم فتن كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا قالوا: فما تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: كونوا أحلاس البيوت. (العزله والانفراد ١٤٤-١٤٥ رقم ١٦٢)

قال يحيى بن سعيد: كان أبو جهيم الأنصاري بدرياً وكان لا يجالس الناس وكان يعتزل في بيته فقالوا له: لو جالست الناس وجالسوك فقال: جدت مقارفة الناس شرا وكان عبد الله بن عمرو أكثر الناس مجالسة له وكان يحدثه عن الفتنة فلما كان من أمر عبد الله بن عمرو ما كان بالشام قال: تحدثني ما تحدثني. وكان هذا من أمره. لله على ألا أكلمه أبدا. (العزله والانفراد ٥٤ رقم ١٠)

عن سيّار بن عبد الرحمن قال: قال لي بكير بن الأشج: ما فعل عمك؟ قال: قلت: لزم البيت منذ كذا وكذا، فقال: إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان نصر الله وجهه، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم. (العزله والانفراد ٥٣ رقم ٩)

عمر بن عبد العزيز لما سئل عما وقع بين الصحابة رضي الله عنهم؟ فقال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا، فلنطهر ألسنتنا. (التدوين في أخبار قزوين ٣ / ٣٣٥)

قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت ويهرب من الناس فاقربوا منه فإنه يلقي الحكمة. (غذاء الالباب ٢ / ٤٦٣)

قال السري: من أراد أن يسلم دينه ويستريح قلبه وبدنه ويقبل غمه فليعتزل الناس لأن هذا زمان عزلة ووحدة. (طبقات الأولياء ١٦٢)

قال أيضاً: لولا الجمعة والجماعة لسددت على نفسي الباب ولم أخرج. (مختصر تاريخ دمشق ٩ / ٢٢٠)

عن سعيد قال: كان داود الطائي شديد الانقباض، يعالج نفسه بالصمت، وكان قبل ذلك كثير الكلام،

وكانت معالجته نفسه في ترك الكلام؛ فأخرجته تلك المعالجة إلى التفكير، فبالتفكير ملك نفسه؛ ولقد جئته يوماً في وقت الصلاة، فانتظرته حتى خرج، فمشيت معه، والمسجد منه قريب، فسلك به غير طريقه فقلت: أين تريد؟ فسلك بي سلكاً خالية، حتى خرج على المسجد؛ فقلت: الطريق ثمة أقرب عليك؛ فقال: يا سعيد، فر من الناس فرارك من السبع، إنه ما خالط الناس أحد: إلا نسي العهد.

(حليه الأولياء ٧/ ٣٤٢)

قال يوسف بن أسباط: كنت مع سفيان الثوري في المسجد الحرام؛ فقال: والله الذي لا إله إلا هو ورب هذه الكعبة: لقد حلت العزلة. (حليه الأولياء ٦/ ٣٨٨)

وأوصى سفيان الثوري بعض أصحابه فقال: إن استطعت أن لا تخالط في زمانك هذا أحداً فافعل وليكن همك مرمة جهازك، وكان يقول هذا زمان السكوت ولزوم البيت. (غذاء الالباب ٢/ ٤٦٤)

قال سفيان: كان طاووس يجلس في البيت فقيل له: لم تجلس في البيت؟ قال: كيف الأئمة وفساد الناس. (حليه الأولياء ٤/ ٤)

عن سفيان الثوري قال: ما رأينا للإنسان خيراً له، من أن يدخل جحرأ. (حليه الأولياء ٧/ ٢٦)

قال وهب بن منبه: المؤمن يخالط ليعلم، ويسكت ليسلم ويتكلم ليفهم، ويخلو لينعم. (الحليه ٤/ ٦٨)

قال وهيب بن الورد: قال حكيم من الحكماء: العبادة أو قال: الحكمة - عشرة أجزاء: تسعة منها في الصمت وواحدة في العزلة؛ فأردت نفسي من الصمت على شيء فلم أقدر عليه؛ فصرت إلى العزلة فحصلت لي التسعة. (حليه الأولياء ٨/ ١٤٢)

وقال ايضاً: خالطت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلاً غفر لي ذنباً فيما بيني وبينه ولا وصلني إذا قطعتة ولا ستر علي عورة ولا أمتته إذا غضب فلاشتغال بهؤلاء حمق كبير. (صفة الصفوة ٢/ ٥٣٢)

قال الفضيل بن عياض: ما أجد لذة، ولا راحة، ولا قرّة عين إلا حين أخلو في بيتي فإذا سمعت النداء قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون كراهية أن ألقى الناس فيشغلوني عن ربي تبارك وتعالى .

(الزهد الكبير للبيهقي حديث ١٦١)

قال الفضيل بن عياض: طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله أنيسه، وبكى على خطيئته.

(حليه الأولياء ٨/ ١٠٨)

قال محمد بن أسلم: مالي ولهذا الخلق؟ كنت في صلب أبي وحدي، ثم صرت في بطن أمي وحدي، ثم دخلت الدنيا وحدي، ثم تقبض روعي وحدي، وأدخل في قبري وحدي، ويأتيني منكر ونكير، فيسألاني في قبري وحدي؛ فإن صرت إلى خير صرت وحدي، وإن صرت إلى شر كنت وحدي، ثم أوقف بين يدي الله وحدي، ثم يوضع عملي وذنوبي في الميزان وحدي، وإن بعثت إلى الجنة بعثت وحدي، وإن بعثت إلى النار بعثت وحدي؛ فمالي وللناس. (حليه الأولياء ٩/ ٢٤١-٢٤٢)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبي أصبر الناس على الوحدة، لم يره أحد: إلا في مسجد، أو حضور جنازة، أو عيادة مريض؛ وكان يكره المشي في الأسواق. (حليه الأولياء ٩/ ١٨٤)

قال ذي النون: لم أر شيئاً أبعث للإخلاص من الوحدة، لأنه إذا خلا: لم ير غير الله، فإذا لم ير غير الله: لم تجد له إلا خشية الله؛ ومن أحب الخلوة: فقد تعلق بعمود الإخلاص، واستمسك بركن كبير من أركان الصدق. (حليه الأولياء ٩/ ٣٧٦-٣٧٧)

كان الحسن يقول: كلمات أحفظهن من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوات فصار حراً، ترك الحسد فظهرت مروءته، صبر قليلاً فتمتع طويلاً. (إلحياء ٢/ ٢٢٢)

قال أبو سليمان الداراني بينما الربيع ابن خثيم جالس على باب داره إذ جاءه حجر فصك جبهته فشججه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وُعطت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس بعد ذلك على باب داره حتى أُخرجت جنازته. (إلحياء علوم الدين ٢/ ٢٢٢)

وقال عبد الواحد بن زيد لراهب: يا راهب، لقد تعجلت الوحدة؛ فقال الراهب: يا فتى، لو ذقت حلاوة الوحدة، لاستوحشت إليها من نفسك؛ الوحدة رأس العبادة، ما أنستها الفكرة. (حليه ١٠/ ١٠٨)

قال أبو سليمان الخطابي البستي: لا يستوحش مع الله من عمر قلبه بحبه، وأنس بذكره، وألف مناجاته بسره، وشغل به عن غيره، فهو مستأنس بالوحدة، مغتبط بالخلوة. (العزلة ص ٢٨-٢٩)

قال علي بن بكار: صحبت إبراهيم بن أدهم وكثيراً ما كنت أسمعته يقول: يا أخي اتخذ الله صاحباً وذراً الناس جانباً. (حليه الأولياء ٨/ ١٠-١١)

قال ابن المبارك: قال لي بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فأمسك. (الصمت لابن أبي الدنيا ٢٤١)

قال قتادة: كان المؤمن لا يُرى إلا في ثلاثة مواطن: في مسجد يعمره، أو بيت يستره، أو حاجة لا بأس بها. (موسوعة ابن أبي الدنيا ١ / ٢٢٠)

قال مالك بن دينار: احفظ عني: كل أخ وجليس وصاحب لا تستفيد منه خيراً في أمر دينك، ففرّ منه. (غذاء الألباب ٢ / ٣٧٩)

قال مسروق: إن المرء لحقيق أن يكون له مجالس يخلو فيها، فيذكر فيها ذنوبه فيستغفر منها. (صفه الصفوة ٢ / ٢٦)

وقال سعيد بن المسيب وابن سيرين: العزلة عبادة. (غذاء الألباب للسفاري ٢ / ٤٦٣)

عن مكحول قال: إن كان الفضل في الجماعة، فإن السلامة في العزلة. (حليه الأولياء ٥ / ١٨١)

قال ابن إبراهيم: لو لم يكن في العزلة أكثر من أنك لا تجد أعواناً على الغيبة لكفى. (العزلة للبتى رقم ٥٦)

قال ابن تيمية: إن الفتن لا يعرف ما فيها إلا إذا أدبرت. (منهاج السنة النبوية ٤ / ٤٠٩)

قال ابن القيم: الفتنة نوعان فتنة الشبهات وهي أعظم الفتنتين وفتنة الشهوات وقد يجتمعان للعبد وقد ينفرد بأحدهما. (إغائه اللهفان ٢ / ١٦٠)

قال ابو الدنيا: (في كتابه العزلة والانفراد)

لَيْتَ السَّبَاعَ لَنَا كَانَتْ مُجَاوِرَةً وَأَنْتَا لَا تَرَى مِمَّنْ تَرَى أَحَدًا!

إِنَّ السَّبَاعَ لَتَهْدَا فِي مَوَاطِنِهَا وَالنَّاسُ لَيْسَ بِهَادٍ شَرُّهُمْ أَبَدًا!

فَاهْرُبْ بِنَفْسِكَ وَاسْتَأْنِسْ بِوَحْدَتِهَا تَبْقَى سَعِيدًا إِذَا مَا كُنْتَ مُنْفَرِدًا!!

الآثار العملية في حياة المسلم:

عن نافع عن ابن عمر أنه رجلا في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس صنعوا وأنت ابن عمر وصاحب

النبي صلى الله عليه وسلم فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرّم دم أخي، فقالا: ألم يقل الله:

(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً)؟ فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله وأنتم تريدون أن تقاتلوا

حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله. (البخاري حديث ٤٥١٤)

عن ابن عمر قال: دخلت على حفصة ونسواتها تنطف قلت قد كان من أمر الناس ما ترين فلم يجعل لي

من الأمر شيء فقالت الحق فإنهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى

ذهب فلما تفرق الناس خطب معاوية قال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن

أحق به منه ومن أبيه قال حبيب بن مسلمة فهلا أجبته قال عبد الله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرق بين الجمع وتسفك الدم ويحمل عني غير ذلك فذكرت ما أعد الله في الجنان قال حبيب حفظت وعصمت .

(البخاري حديث ٤١٠٨)

جاء هاشم بن عتبة بن أبي وقاص إلى عمه سعد فقال: ههنا مائة ألف سيف يرونك أحق بهذا الأمر بالخلافة فقال سعد: أريد منها سيفاً واحداً إذا ضربت به المؤمن لم يصنع شيئاً وإذا ضربت به الكافر قطع. (الإصابة لابن حجر ٣١ / ٢)

ويقول أبو العالية: لما كان زمان عليٍّ ومعاوية وإني لشابُّ القتال أحبُّ إليّ من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم، فإذا صفان ما يرى طرفاهما، إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء، وإذا هلك هؤلاء، هلك هؤلاء، فراجعت نفسي فقلت: أي الفريقين أنزله كافرًا؟ ومن أكرهني على هذا؟ قال: فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم. (سير أعلام النبلاء ٥ / ١١٩)

قال كثير بن هشام: كان سفيان الثوري قاعدا بالبصرة فقيل له: هذا مساور بن سوار يمر وكان على شرطة محمد بن سليمان فوثب فدخل داره وقال: أكره أن أرى من يعصي الله ولا أستطيع أن أغير عليه. (الورع ٦٧ رقم ٧٤)

قال الرياشي: قيل للرشيد: إن حاتمًا الأصم قد اعتزل الناس في قبة له منذ ثلاثين سنة لا يحتاج إلى الناس في شيء من أمور الدنيا ولا يكلمهم إلا عند مسألة لا بد له من الجواب لعله لبس به قد ورثته إياه الوحدة وقيل: إنه عاقل فقال: سأمتحنه فندب له أربعة: محمد بن الحسن والكسائي وعمرو بن بحر ورجلاً آخر - أحسبه الأصمعي. فجاءوا، حتى وقفوا تحت قبته ونادى أحدهم: يا حاتم يا حاتم فلم يجيبهم؛ حتى قيل: بحق معبودك إلا أجبتنا؛ فأخرج رأسه وقال: يا أهل الحيرة هذه يمين مؤمن لكافر وكافر لمؤمن لم خصصتموني بالمعبود دونكم؟ ولكن الحق جرى على ألسنتكم لأنكم اشتغلتم بعبادة الرشيد عن طاعة الله؛ فقال: أحدهم ما علمك بأنا خدام الرشيد؟ قال: من لم يرض من الدنيا إلا بمثل حالكم لا يزل عن مطلبه إلى قصد من لا ينجره ولا يد عليّ من الرشيد وأشباهه؛ فقال له عمرو بن بحر: لم اعتزلت الناس وفيهم من تعلم وفيهم من يقدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ قال: صدقت

ولكن بينهم سلاطين الجور يفتنوننا عن ديننا، فالتخلي منهم أولى؛ قال: فعلام وطنت نفسك في العزلة، وثبت عليه أدرك؟ قال: علمت أن القليل من الرزق يكفيني فأقللت الحركة في طلبه وأن فرضي لا يقبل إلا مني فأنا مشغول بأدائه وأن أجلي لا بد يأتيني فأنا منتظر له وأنا لا أغيب عن عين من خلقتني فأستحي منه أن يراني وأنا مشغول بغير ما وجب له محمد؛ ثم رد باب القبة، وحلف أن لا يكلمهم فرجعوا إلى الرشيد وقد حكموا أنه أعقل أهل زمانه. (حليه الأولياء ٨ / ٧٤)

قال المزني: دخلت على الشافعي - وقد لزم الوحدة - فقلت: يا أبا عبد الله، لو خرجت إلى الناس، فتبث فيهم علمك، لانتفعوا؛ فأطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: تأمرني بأنس لبقاء عزك بوحدتك ولا تأنس إلى من تخلق عنده بكثرة مجالستك؛ فإن مؤونة الصبر علي أحسن من مؤونة البذل على الطاعة؛ ولا تسع في حظ لك في حاجة لا تحب ستر يقيك من الشنعة. (حليه الأولياء ٩ / ١٢٤)

قال محمد بن الحسن: أتيت داود الطائي لأسلم عليه فأذن لي، فقعدت على باب الحجرة فقلت: أنت وحدك ههنا رحمك الله؟ قال: رحمك الله وهل الأنس اليوم إلا في الوحدة والانفراد ما يتجمل لك أو متجمل له، ففي أي ذلك خير؟. (حليه الأولياء ٧ / ٣٤٢ - ٣٤٣)

عن داود الطائي: أنه أراد أن يجرب نفسه، هل تقوى على العزلة؟ فقعد في مجلس أبي حنيفة سنة، فلم يتكلم؛ فاعتزل الناس. (حليه الأولياء ٧ / ٣٤٢)

٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس

وحضور جمعهم وجماعاتهم ومشاهد الخير ومجالس الذكر معهم وعبادة مريضهم وحضور جنازتهم ومواساة محتاجهم وإرشاد جاهلهم وغير ذلك من مصالحهم إن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفتح نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى. اعلم أن الاختلاط بالناس على الوجه الذي ذكرته هو المختار الذي كان عليه رسول الله وسائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وكذلك الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من علماء المسلمين وأخبارهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومن بعدهم، وبه قال الشافعي وأحمد وأكثر الفقهاء رضي الله عنهم أجمعين.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى [المائدة : ٢٠]

والآيات في معنى ما ذكرته كثيرة معلومة .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة ٢) قال الأخفش : هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البرِّ والتقوى أي: لِيُعْنِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَتَحَاتُّوا عَلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَاعْمَلُوا بِهِ، وَانْتَهَوْا عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَامْتَنَعُوا مِنْهُ وَهَذَا مُوَافِقٌ لِمَا رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: (الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كِفَاعِلُهُ) وَقَدْ قِيلَ: الدَّالُّ عَلَى الشَّرِّ كَصَانِعُهُ. وَقَالَ ابْنُ خُوَيْزِمَةَ مَنْدَادٌ فِي أَحْكَامِهِ. وَالتَّعَاوَنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى يَكُونُ بِوَجْهِهِ؛ فَوَاجِبٌ عَلَى الْعَالِمِ أَنْ يَعِينِ النَّاسَ بِعِلْمِهِ فَيَعْلَمُهُمْ، وَيُعِينَهُمُ الْغَنِيِّ بِمَالِهِ، وَالشَّجَاعُ بِشَجَاعَتِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَنْ يَكُونَ الْمُسْلِمُونَ مَتَظَاهِرِينَ كَالْيَدِ الْوَاحِدَةِ؛ الْمُؤْمِنُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذَمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، وَيَجِبُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْمُتَعَدِّي وَتَرْكُ النَّصْرَةِ لَهُ وَرُدُّهُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ. وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ: نَدَبَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ إِلَى التَّعَاوَنِ بِالْبِرِّ وَقَرْنَهُ بِالتَّقْوَى لَهُ لِأَنَّ فِي التَّقْوَى رِضَا اللَّهِ تَعَالَى، وَفِي الْبِرِّ رِضَا النَّاسِ، وَمَنْ جَمَعَ بَيْنَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَا النَّاسِ فَقَدْ تَمَّتْ سَعَادَتُهُ وَعَمَّتْ نِعْمَتُهُ.

(الجامع لأحكام القرآن ٦/٤٦ - ٤٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

روي أن داود عليه السلام جلس كثييا خاليا فأوحى الله إليه يا داود ما لي أراك خاليا قال : هجرت الناس فيك قال : أفلا أدلك على شيء تبلغ به رضائي ؟ خالق الناس بأخلاقهم واحتجر الإيمان فيما بيني وبينك. (الأداب الشرعية ٣/٤٧٠)

قال عمر رضي الله عنه : خالطوا الناس بما يحبون، وزايلوهم بأعمالكم، وجِدُّوا مع العامة.

(مصنف عبدالرزاق رقم ٢٠١٥٢)

وقال ايضا : الطمع فقر واليأس غنى والعزلة راحة من جليس السوء وقرين الصدق خير من الوحدة. (الأداب الشرعية ٣/٧١)

قال علي بن أبي طالب : خالطوا الناس بألستكم وأجسادكم، وزايلوهم بقلوبكم وأعمالكم؛ فإن لكل امرئ ما اكتسب، وهو يوم القيامة مع من أحب. (تاريخ دمشق ٤٢/٥٠٩)

قال علي بن أبي طالب : شرط الصحبة إقالة العثرة ومساحة العشرة والمواساة في العسرة.

(الأداب الشرعية ٣/٤٧٠)

قال عبد الله بن مسعود: خالطوا الناس وزايلوهم وصافحوهم بما يشتهون ودينكم لا تكلمونه.

(المعرفة والتاريخ للفسوى ١١٩/٢)

عن محمد ابن الحنفية قال: ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا، حتى يجعل الله له فرجا أو مخرجا. (الأداب الشرعية لابن مفلح ٣/٤٦٩)

قال بشر بن الحارث: من عرف الناس استراح. (قوت القلوب لابي طالب المكي ٢/٢٣٩)

قال أكثم بن صيفي: من شدد نفر ومن تراخى تألف والسرور في التغافل. (الأداب الشرعية ٣/٤٧٠)
 قيل للعتابي: إنك تلقى الناس كلهم بالبشر قال دفع ضغينة بأيسر مؤنة واكتساب إخوان بأيسر مبدول. (الأداب الشرعية ٣/٤٧٠)

قال الشافعي: الانقباض عن الناس مكسبة العداوة والانبساط لهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين القبض واليسط ومن ذكر سوى هذا فهو قاصر وإنما هو إخبار عن حاله فلا يجوز أن يحكم بها على غيره المخالف له في الحال. (الأداب الشرعية ٣/٤٦٨)

قال الإمام أحمد: إذا كانت الفتنة فلا بأس أن يعتزل الرجل حيث شاء، فأما إذا لم يكن فتنة فالأمصار خير. (فتح الباري شرح صحيح البخارى ١/١٠٩)

قال وهب بن منبه: استكثر من الإخوان فإن استغنيت عنهم لم يضر وك وإن احتجت إليهم نفعوك. (سير أعلام النبلاء ٤/٥٥٠)

ويقول سفيان الثوري: اصحب من شئت ثم أغضبه، ثم دس إليه من يسأله عنك، فإذا كان الذي يجره الهوى، وتغيره الكلمة فسترى منذ البداية أن هذا لا يصلح للمصاحبة. (سير أعلام النبلاء ٦/٦٤٩)
 قال ابن الجوزي: ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإن الطبع يسرق؛ فإن لم يتشبه بهم ولم يسرق منهم فتر عن عمله. (صيد الخاطر ٤٢٥)

ويقول إسحاق الأزرق: ما أدركت أفضل من خالد الطحان؟، قيل: قد رأيت سفيان؟ - يعني سفيان الثوري-، قال: كان سفيان رجل نفسه، وكان خالد رجل عامه. (سير أعلام النبلاء ٧/٢٩٦)

قال ابن تيمية: أن المخالطة إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان منهي عنها. (مجموع الفتاوى ج ١٠)

يقول ابن القيم عن هذه الآية الكريمة: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة ٢) اشتملت هذه الآية

على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضاً، وفيما بينهم وبين ربهم؛ فإن كلَّ عبد لا ينفكُّ عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعهم وصحبته لهم تعاوناً على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها، وهي البر والتقوى اللذان هما جِماعُ الدِّين كله. (زاد المهاجر ١/٦ - ٧)

قال ابن القيم: إن فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكل شر، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، فضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنما ينبغي للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها دخل عليه الشر.

١- من مخالطته كالغذاء لا يُستغنى عنه وهذا أعزمن الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأوامره الناصحون لله ولكتابه ورسوله وخلقته

٢- من مخالطته كالدواء يُحتاج إليه عند المرض فقط وهم من لا يُستغنى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش. ٣ - من مخالطته كالداء، وهم من في مخالطته ضرر ديني أو دنيوي.

٤- من في مخالطته الهلاك كله، وما أكثر هذا الضرب في الناس، وهم أهل البدع والضلالة. (بدائع الفوائد ٢/٤٩٨)

قال الملا على القارى : والمختار هو التوسط بين الغزلة عن أكثر الناس وعوامهم والخلطة بالصالحين والإجتماع مع عامتهم في نحو جمعهم وجماعاتهم. (مرقاة المفاتيح ٤/٧٤٣)

قال الغزالي: إن وجدت جليسا يذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه واغتممه ولا تستحقره فإنها غنيمة المؤمن وضالة المؤمن وتحقق أن الجليس الصالح خير من الوحدة وأن الوحدة خير من الجليس السوء. (إحياء علوم الدين ٢/٢٣٢)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين وأنشدوا في ذلك:

وما المرء إلا بإخوانه كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة ولا خير في الساعد الأجزم. (المستطرف للابشيهي ١/ ٢٦٤)

قال لبيد بن ربيعة: (المستطرف للابشيهي ١/ ٢٦٥)

ما عاتب المرء اللييب كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

الآثار العملية من حياة السلف:

وقد كان في زمن ابن مسعود من المتعبدين خرجوا إلى ظاهر الكوفة وبنوا مسجدا يتعبدون فيه منهم: عمرو بن هتبة ومفضل العجلي، فخرج إليهم ابن مسعود وردهم على الكوفة وهدم مسجدهم وقال: إما أن تكونوا أهدي من أصحاب محمد أو تكونوا متمسكين بذنوب الضلالة. (فتح الباري ١/ ١٠٢)

جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: قد حدثت نفسي ألا أخالط الناس قال: لا تفعل إنه لا بد لك من الناس ولا بد لهم منك، ولهم إليك حوائج، ولك نحوها، ولكن كُن فيهم أصمَّ، سميعاً، أعمى، بصيراً، سَكوتاً، نَطوقاً. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٥٠)

٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: **وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** [الشعراء: ٢١٥]، وقال تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ [المائدة: ٥٤]، وقال تَعَالَى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى [النجم: ٣٢]، وقال تَعَالَى: وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ [الأعراف: ٤٨-٤٩].

٦٠٢- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهُ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ» رواه مسلم.

٦٠٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ» رواه مسلم.

٦٠٤- وعن أنس رضي الله عنه أنه مرَّ عَلَى صِيبَانَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

٦٠٥- وعنه قال : إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذَ بِيَدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ . رواه البخاري .

٦٠٦- وعن الأسود بن يزيد قال : سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : مَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ ؟ قَالَتْ : كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ يَعْنِي : خِدْمَةَ أَهْلِهِ فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ ، رواه البخاري .

٦٠٧- وعن أبي رِفَاعَةَ تَمِيمِ بْنِ أُسَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحْطَبُ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَن دِينِهِ لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتَهَى إِلَيَّ ، فَأَتَى بِكُرْسِيِّ ، فَتَعَدَّ عَلَيْهِ ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ ، فَأَتَمَّ آخِرَهَا . رواه مسلم .

٦٠٨- وعن أنسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ قَالَ : وَقَالَ : « إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ ، فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى ، وَلْيَأْكُلْهَا ، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ » وَأَمَرَ أَنْ تُسَلَّتِ الْقِضْعَةُ قَالَ : « فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ » رواه مسلم .

٦٠٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ » قَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : « نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ » رواه البخاري

٦١٠- وعنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَقَبِلْتُ . وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ » رواه البخاري .

٦١١- وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ : كَانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَضْبَاءُ لَا تُسَبُّ ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسَبُّ ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ ، فَسَبَقَهَا ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ » رواه

البخاري.

٦١٢- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسناً قال : « إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم . بطر الحق : دفعه وردة على قائله . وغمط الناس : احتقارهم .

٦١٣- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشماله فقال : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » ما منعه إلا الكبر . قال : فما رفعها إلى فيه . رواه مسلم .

٦١٤- وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر » متفق عليه . وتقدم شرحه في باب ضعف المسلمين

٦١٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « احتجبت الجنة والنار ، فقالت النار : في الجبارون والمتكبرون ، وقالت الجنة : في ضعفاء الناس ومساكينهم . فقضى الله بينهما : إنك الجنة رحمتي ، أرحم بك من أشاء وإنك النار عذابي ، أعدب بك من أشاء ، ولكليهما علي ملؤها » رواه مسلم .

٦١٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطراً » متفق عليه .

٦١٧- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكهم ، ولا ينظر إليهم ، وهم عذاب أليم : شيخ زان ، ومملك كذاب ، وعائل مستكبر » رواه مسلم « العائل » : الفقير .

٦١٨- وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : العز إزاري ، والكبرياء ردائي ، فمن ينازعني في واحد منها فقد عذبته » رواه مسلم .

٦١٩- وعنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مَرَجَّلُ رَأْسِهِ ، يَحْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » متفقٌ عليه . « مُرَجَّلُ رَأْسِهِ » أَي : مُمَشِّطُهُ . « يَتَجَلَجَلُ » بِالْجِيمِ : أَي : يَغُوصُ وَيَنْزَلُ .

٦٢٠- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الْجَبَّارِينَ ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن . « يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ » أَي : يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن جريج قال لما نزلت : وأنذر عشيرتك الأقربين بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله : وخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . (تفسير الدر المنثور ١١ / ٣١٤)

عن ابن أبي مليكة قال : لما كان يوم الفتح رقي بلال فأذن على الكعبة، فقال بعض الناس : هذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة . وقال بعضهم : إن يسخط الله هذا يغيره . فنزلت : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى . عن الزهري قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا : يا رسول الله، أتزوج بناتنا موالينا؟ فأنزل الله : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الآية . قال الزهري : نزلت في أبي هند خاصة، قال : وكان أبو هند حجام النبي صلى الله عليه وسلم . عن ابن عباس : وجعلناكم شعوبا وقبائل قال : الشعوب القبائل العظام والقبائل البطون . عن ابن عباس قال : لا أرى أحدا يعمل بهذه الآية : يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى حتى يبلغ : إن أكرمكم عند الله أتقاكم فيقول الرجل للرجل : أنا أكرم منك . فليس أحد أكرم من أحد إلا بتقوى الله . (تفسير الدر المنثور ١٣ / ٥٩٢ - ٥٩٨)

قال ابن عباس : فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى . لا تمدحوها . قال الحسن : علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة ، فلا تزكوا أنفسكم ، لا تبرءوها عن الآثام ، ولا تمدحوها بحسن أعمالها . قال الكلبي ومقاتل : كان الناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون : صلاتنا وصيامنا وحننا ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . هو أعلم بمن اتقى أي : بر وأطاع وأخلص العمل لله تعالى .

عن ابن عباس : ونادى أصحاب الأعراف رجالا . قال : في النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم . تكثركم وما كنتم تستكبرون . قال الله لأهل التكبر : أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني أصحاب الأعراف ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون . عن مجاهد في قوله : يعرفونهم بسيماهم قال : بسواد الوجوه وزرقة العيون . (تفسير الدر المنثور ٦ / ٤١٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبي بكر الصديق : لوددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن . (الرياض النضرة في مناقب العشرة ١ / ٩١)
وقال أيضا : وجدنا الكرم في التقوى ، والغنى في اليقين ، والشرف في التواضع . (الإحياء ٣ / ٢٩)
عن قيس قال : بلغ بلالا أن ناسا يفضلونه على أبي بكر فقال كيف يفضلوني عليه وإنما أنا حسنة من حسناته . (سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩)

وقال أيضا : من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من مقتته . (محاسبة النفس ص ٧٢)
قال عمر بن الخطاب : إنَّ العبد إذا تواضع لله رفع الله حكمته وقال له : انتعش نعشك الله فهو في نفسه حقير وفي أعين الناس كبير وإذا تكبر وعتا وهصه الله إلى الأرض وقال له : اخسأ خسأك الله ، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى يكون عندهم أحقر من الخنزير . (شعب الإيمان ١٠ / ٤٥٤)
قال عروة بن الزبير رضي الله عنهما : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على عاتقه قربة ماء فقلت : يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال : لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرها . (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

وقال زيد بن وهب رحمه الله : رأيت عمر بن الخطاب خرج إلى السوق ويده الدرة وعليه إزار فيه أربع عشرة رقعة بعضها آدم . (الطبقات الكبرى ٣ / ٣٣٠)

وأمّ أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : قوماً مرة ، فلما انصرف ، قال : ما زال الشيطان بي أنفا حتى رأيت أن لي فضلا على من خلفي ، لا أؤم أبدا . (مصنف ابن أبي شيبة ١ / ٣٥٨)
وعن الحسن قال : رأيت عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه ، فيجيء الرجل فيجلس إليه ، ثم يجيء الرجل فيجلس إليه ، فيجلس كأنه أحدهم . (الرياض النضرة في مناقب العشرة ١ / ٢١٦)
عن عمرو بن قيس الملائي عن رجل منهم قال : رُئي علي بن أبي طالب إزاراً مرقوعاً ، فقيل له : تلبس المرقوع؟! فقال : يقتدي به المؤمن ويخشع به القلب . (الزهد لهناد السرى ٢ / ٣٦٨)

وعوتب في لبوسه فقال: إن لبوسي هذا أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم.

(فضائل الصحابة لاحمد ١ / ٥٤٢)

وقال علي: لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء إلى عياله. (قوت القلوب ٢ / ٣٨٨)

عن عائشة قالت: إنكم لتغفلون أفضل العبادة: التواضع. (الزهد لابن المبارك ١ / ١٣٢)

كان عبد الله بن عمر لا يجبس عن طعامه مجذومًا، ولا أبرص، ولا مبتلى، إلا أقعدهم على مائدته.

(الزهد لابن المبارك ١ / ٦١١)

محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أبو بكر

قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر، وخشيت أن يقول: عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من

المسلمين. (البخارى ٧٩١ برقم ٣٦٧١)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من يتناول تعظمًا يضعه الله ومن يتواضع تخشعًا يرفعه الله.

(الحلية تهذيبه ١ / ١٢٤)

وقال عبد الله بن مسعود: رأس التواضع أن تبدأ من لقيت بالسّلام وأن ترضى بالدُّون من المجلس.

(عيون الأخبار ١ / ٣٠٩)

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لو تعلمون بعيوبي ما تبغني منكم رجالان؛ ولوددت أني دعيت

عبد الله بن روثة وأن الله غفر لي ذنباً من ذنوبي. (شعب الإيمان ١ / ٥٠٤)

وقال ايضاً: لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيم على رأسي التراب. (صفة الصفوة ١ / ١٨٦)

أن رجلاً قال لابن عمر رضي الله عنه: يا خير الناس وابن خير الناس. فقال: ما أنا بخير الناس، ولا

ابن خير الناس، ولكني عبد من عباد الله، أرجو الله، وأخافه، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوا.

(السير تهذيبه ١ / ٣٧٣)

وقال سعد بن أبي وقاص لابنه: يا بني: إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه: علمك بالذي منه

كنت، والذي إليه تصير، وكيف الكبر مع النطفة التي منها خلقت، والرحم التي منها قذفت، والغذاء

الذي به غذيت. (العقد الفريد ١٧٢ / ٢)

قال معاذ بن جبل: لا يبلغ عبد ذرى الإيمان حتى يكون التواضع أحب إليه من الشرف وما قل من

الدنيا أحب إليه مما كثر ويكون من أحب وأبغض في الحق سواء يحكم للناس كما يحكم لنفسه وأهل بيته. (الزهد لابن المبارك ٢/٥٢)

العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضي الله عنه فقلت: طوبى لك؛ صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وبايعته تحت الشجرة، فقال: يا ابن أخي، إنك لا تدري ما أحدثنا بعده. (البخارى ٧٩٢- برقم ٤١٧٠)

وولي أبو هريرة رضي الله عنه إمارة مرة فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره يقول طرقتوا (وسعوا) للأمر. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

ويذكر أن أبا ذر رضي الله عنه عير بلالا رضي الله عنه بسواده ثم ندم فألقى بنفسه فحلف: لا رفعت رأسي حتى يطأ بلال خدي بقدمه فلم يرفع رأسه حتى فعل بلال. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)
قال كعب رضي الله عنه: ما أنعم الله على عبد من نعمته في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله؛ إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفع بها درجة في الآخرة، وما أنعم الله على عبد من نعمته في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه. (إحياء علوم الدين ٣/٢٦)

قال أبو الدرداء: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً، ما مشي خلفه. (الزهد لابن المبارك ١/١٣٢)
وقال ابن شهاب الزهري رحمه الله: كان أهل المدينة عيالاً على عبد الرحمن بن عوف: ثلث يقرضهم ماله، وثلث يقضى دينهم، ويصل ثلثا. وكان لا يعرف من بين عبيده !. أي من تواضعه في اللباس. (طبقات ابن سعد ٢/١٢٤ - البداية والنهاية لابن كثير ٧/١٧٩)

عن هزيم أو هذيم قال: رأيت سلمان الفارسي على حمار عري وعليه قميص سنبلاني ضيق الاسفل، وكان طويل الساقين، يتبعه الصبيان فقلت لهم: تنحوا عن الأمير. فقال: دعهم فإن الخير والشرف فيما بعد اليوم. (سير أعلام النبلاء ١/٥٤٦)

بلغ عمر بن عبد العزيز أن ابنا له اشترى خاتماً بألف درهم فكتب إليه عمر بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم فإذا أتاك كتابي فبيع الخاتم وأشبع به ألف بطن واتخذ خاتماً بدرهمين واجعل فصه حديداً صينياً واكتب عليه رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

قال أبو أمية الأسود: سمعت ابن المبارك يقول أحب الصالحين ولست منهم وأبغض الطالحين وأنا شر منهم. (سير أعلام النبلاء ٤١٧/٨ - ٤١٨)

قال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من هو دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أن ليس لك بدياك عليه فضل وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في نعمة الدنيا حتى تعلمه أنه ليس له بدياه عليك فضل. (التواضع والخمول ١٤٢)

قال ابن المبارك: إن الصالحين كانت أنفسهم تواتيهم على الخير عفواً وإن أنفسنا لا تواتينا إلا كرهاً. (مختصر منهاج القاصدين ٤٧٣)

وقال الشافعي رحمه الله: (ديوان الشافعي ص ٩٠)

أحب الصالحين ولست منهم لعلي أن أنال بهم شفاعه

وأكره من تجارته المعاصي ولو كنا سواء في البضاعه

فقال له من يعرف الفضل لأهله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله

تحب الصالحين وأنت منهم رفيق القوم يلحق بالجماعة

وتكره من بضاعته المعاصي حماك الله من تلك البضاعه

والشافعي كان يقول: وددت لو أن الناس تعلموا هذا العلم يعني كتبه على ألا يُنسب إليّ منه شيء.

(سير أعلام النبلاء ٢٩/١٠)

وكان يقول: ينبغي للفقير أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله وشكراً لله. (سير أعلام النبلاء ٥٣/١٠)

وقال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام التواضع يورث المحبة والقناعة

تورث الراحة. (سير أعلام النبلاء ٩٩/١٠)

وعن المروزي قال: لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلس أحمد، كان مائلاً إليهم مقصراً عن أهل الدنيا،

وكان فيه حلم ولم يكن بالعجول، وكان كثير التواضع تعلقه السكينة والوقار، وإذا جلس في مجلسه بعد

العصر للفتيا لا يتكلم حتى يسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر. (سير أعلام النبلاء ٢١٨/١١)

ورأى محمد بن واسع ابناً له يمشي مشية منكراً فقال: تدري بكم شريت أمك بثلاثمائة درهم وأبوك لا

كثر الله في المسلمين مثله أنا وأنت تمشي هذه المشية. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩/٢)

قال محمد بن واسع: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني من نتن ريحي. (صفة الصفوة ٣/١٩٢)
وقال هارون بن سوار رحمه الله: سمعت شعيب بن حرب، يقول: بينا أنا أطوف، إذ لكزني رجل بمرفقه، فالتفت فإذا أنا بالفضيل بن عياض، فقال: يا أبا صالح، فقلت: لبيك يا أبا علي، قال: إن كنت تظن أنه قد شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت. (شعب الإيمان ١٠/٥١٣)
سئل الفضيل بن عياض عن التواضع فقال: يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله.

(مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩/٢)

وقال إبراهيم بن أدهم: قال بعضهم: رأيت في الطواف رجلا بين يديه شاكزية يمنعون الناس لأجله عن الطواف ثم رأيت بعد ذلك بمدة على جسر بغداد يسأل شيئا فتعجبت منه فقال لي: إني تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فابتلاني الله بالذل في موضع يترفع الناس فيه. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩/٢)
روي أن سفيان الثوري قدم الرملة فبعث إليه إبراهيم بن أدهم أن تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا أبا إسحاق تبعث إليه بمثل هذا فقال أردت أن أنظر كيف تواضعه. (الإحياء ٣/٣٥٤)

قال صالح المري: خرج الحسن ويونس وأيوب يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن وهل تدرون ما التواضع: التواضع أن تخرج من منزلك فلا تلق مسلما إلا رأيت له عليك فضلا. (التواضع والخمول ١٥٤)
قال يحيى ابن أبي كثير: رأس التواضع ثلاث أن ترضى بالدون من شرف المجلس وأن تبدأ من لقيته بالسلام وأن تكره من المدحة والسمعة والرياء بالبر. (التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ١٥٤)
قال بكر بن عبد الله المزني: إذا رأيت من هو أكبر منك، فقل: هذا سبقني بالإيمان، والعمل الصالح، فهو خير مني وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني وإذا رأيت إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيرا، فقل: هذا ذنب أحدثته. (صفة الصفوة ٣/١٧٥)

قال ابن وهب: جلست إلى عبد العزيز بن أبي رواد فمس فخذي فخذته فنحيت نفسي عنه فأخذ ثيابي فجرني إلى نفسه وقال لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبارة وإني لا أعرف رجلا منكم شرا مني.

(إحياء علوم الدين ٣/٣٥٤-٣٥٥)

قال السري السقطي: ما أحب أن أموت حيثُ أعرف فقيل له: ولم ذاك يا أبا الحسن؟؟ فقال: أخاف أن

لا يقبلني قبري فأفتضح . (شعب الإيمان ١ / ٥٢٣)

وقال مالك بن دينار رحمه الله: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد: ليخرج شركم رجلاً، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعي! قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله ، قال: بهذا صار مالك مالكا. وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبداً. (إحياء علوم الدين ٣ / ٣٦١)

قال مالك بن دينار رحمه الله: إذا ذكر الصالحون فأف لي وتف. (صفة الصفوة ٣ / ١٩٨)

وكتب الوليد بن عتبة الدمشقي إلى ذي النون المصري رحمهما الله- بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه: كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بين خلال موجعات أبكاني منهم أربع: حب عيني للنظر، ولساني للفضول، وقلبي للرياسة، وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله، وأقلقني منها: عين لا تبكي من الذنوب المتتنة، وقلب لا يخشع عند نزول العظة، وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا، ومعرفة كلما قلبتها وجدتني بالله أجهل، وأضناني منها أني عدت خير خصال الإيمان: الحياء، وعدمت خير زاد الآخرة: التقوى، وفنيت أيامي بمحبتتي للدنيا، وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبداً. (حلية الأولياء ٩ / ٣٧٦)

وقيل لأحمد بن حنبل رحمه الله: جزاك الله عن الإسلام خيراً. فقال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، من أنا؟ وما أنا؟؟ . (سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٢٥)

وقال يونس بن عبيد رحمه الله: كنت أذاكر يوماً عن الحسن التواضع، قال: فالتفت إلينا الشيخ، فقال: أتدرون ما التواضع؟ أن تخرج من بيتك حين تخرج فلا تلقى مسلماً إلا رأيت أن له عليك الفضل . (شعب الإيمان ١٠ / ٥١١)

وقال وهب بن منبه رحمه الله: لا يستكمل الرجل العقل حتى يستكمل عشر خصال : حتى يكون الخير منه مأمولاً ، والشر منه مأموناً ، وحتى لا يتبرم بكثرة حوائج الناس من قبله ، وحتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى ، والذل أعجب إليه من العز ، والتواضع أحب إليه من الشرف ، وحتى يستقل كثير المعروف من نفسه ، ويستكثر قليل المعروف من غيره ، والعاشرة _ وأما العاشرة _ بها شاد مجده ، وعلا جده ، إذا خرج من بيته لم يلتق أحداً إلا رأى أنه خير منه !. (المداراة ص ٤٧)

قال محمد بن أسلم الطوسي: قد سرت في الأرض ودرت فيها، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً تصلى

إلى القبلة شرأ عندي من نفسي. (حليه الأولياء ٩ / ٢٤٤)

قال أبو يزيد البسطامي : المتواضع هو أن لا يرى لنفسه مقاما ولا حالا ولا يرى في الخلق شرا منه. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

قال ابن عطاء : هو قبول الحق ممن كان والعز في التواضع . فمن طلبه في الكبر فهو كطلب الماء من النار. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

أيوب السخيتاني كان يقول: إذا ذُكر الصالحون كنت بمعزلٍ عنهم وكان يقول: ذُكرت ولا أحب أن أذكر. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٢)

يونس بن عبيد من كبار أئمة السلف يقول: إني لأعد مائة خصلة من خصال البر ما في منها خصلة واحدة. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٩١)

قال يحيى بن الحكم بن أبي العاص لعبد الملك :أي الرجال أفضل قال من تواضع عن رفعة وزهد على قدرة وترك النصره على قومه . (التواضع والخمول لابن ابى الدنيا ١٤٤)

قال ثابت البناني: قال لي محمد بن سيرين: يا أبا محمد لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧١)

وسئل يوسف بن أسباط: ما غاية التواضع؟ قال: ألا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك. (سير أعلام النبلاء ٩ / ١٧٠)

قال الجنيد بن محمد :هو خفض الجناح ولين الجانب. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

قال إبراهيم بن أبي عبلة: رأيت أم الدرداء مع نساء المساكين جالسة ببيت المقدس. وقال قتادة : من أعطي مالا أو جمالا وثيابا وعلما ثم لم يتواضع كان عليه وبالاً يوم القيامة. (التواضع والخمول ١٤٩)

قال إبراهيم بن شيبان: الشرف في التواضع والعز في التقوى والحرية في القناعة. (مدارج السالكين ٢ / ٣٣٠)

وقال حمدون القصار :التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا .

(مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

وقال ابن القيم رحمه الله: فإن العبد الصادق لا يرى نفسه إلا مقصراً والموجب له لهذه الرؤية : استعظام مطلوبه واستصغار نفسه ومعرفته بعيوبها ، وقلة زاده في عينه ، فمن عرف الله وعرف نفسه ، لم يرَ نفسه

إلا بعين النقصان. (مدارج السالكين ٢/ ٢٩٣)

قال القحطاني رحمه الله (المتوفى: ٣٧٨هـ) (نونية القحطاني ص ١٨)

والله لو عَلموا قبيح سريرتي لأبى السلام عليّ من يلقاني
ولأعرضوا عني وملّوا صحبتي ولبؤتُ بعد كرامة بهوان
لكن سترت معايبي ومثالي وحلّمت عن سقطي وعن طغياني

وقال موسى بن علي بن موسى: (اعيان العصر واعوان النصر للصفدي ٥/ ٤٧٩)

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو ضيعُ

الآثار العملية في حياة السالك:

لما استخلف أبو بكر الصديق أصبح غادياً إلى السوق وكان يجلب للحي أغنامهم قبل الخلافة، فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن لا يجلب لنا. فقال: بلى لأحلبنها لكم وإني لأرجو ألاّ يغيّرني ما دخلت فيه. (التبصرة لابن الجوزي ٤٠٨)

عن طارق بن شهاب، قال: خرج عمر بن الخطاب إلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح، فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيّه فوضعها على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين! أنت تفعل هذا، تخلع خفيك وتضعها على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟! ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوّه، لم يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم إننا كنا أذلّ قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله. (مستدرک الحاكم ١/ ١٣٠)

وقدم على عمر بن الخطاب وفد من العراق فيهم الأحنف بن قيس في يوم صائف شديد الحر، وعمر معتجر (معمم بعباءة)، يهنا بعيراً من إبل الصدقة (أي يطليه بالقطران) فقال: يا أحنف ضع ثيابك، وهلم، فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه إبل الصدقة، فيه حق اليتيم، والأرملة، والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين، فهلا تأمر عبداً من عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأي عبد هو أعبد مني، ومن الأحنف؟ إنه من ولي أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيدته في النصيحة وأداء الأمانة. (مناقب عمر لابن الجوزي ٧٣)

وعن جبير بن نفير: أن نفرًا قالوا لعمر بن الخطاب: ما رأينا رجلاً أفضى بالقسط، ولا أقول للحق ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله. فقال عوف بن مالك: كذبتم والله، لقد رأينا بعد رسول الله فقال: من هو؟ فقال: أبو بكر. فقال عمر: صدق عوف وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بغير أهلي. يعني قبل أن يسلم؛ لأن أبا بكر أسلم قبله بست سنين. (تاريخ بغداد ٥ / ١٣٤)

قسم عمر بن الخطاب بين الصحابة رضي الله عنهم حللاً فبعث إلى معاذ حلة مثمثة فباعها واشترى بثمانها ستة أعبد وأعتقهم فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بعد ذلك حلة دونها فعاتبه معاذ فقال عمر: لأنك بعت الأولى فقال معاذ وما عليك ادفع لي نصيبي وقد حلفت لأضربن بها رأسك فقال عمر رضي الله عنه: رأسي بين يديك وقد يرفق الشاب بالشيخ. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

وقال عمر المخزومي رحمه الله: نادى عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالصلاة جامعة، فلما اجتمع الناس وكثروا؛ صعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أيها الناس! لقد رأيتني أرى على خالات لي من بني مخزوم. فيقبضن لي القبضة من التمر أو الزبيب، فأظل يومي وأي يوم. ثم نزل، فقال له عبد الرحمن بن عوف: يا أمير المؤمنين! ما زدت على أن قئمت نفسك - يعني: عبت - . قال: فقال: ويحك يا ابن عوف! إني خلوت؛ فحدثني نفسي؛ قال: أنت أمير المؤمنين؛ فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها نفسها. (تاريخ دمشق ٤٤ / ٣١٥)

قال مجاهد: كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنهما في السفر فإن أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي قال مجاهد: فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك. فقال يا مجاهد إنك ضيق الخلق. (الحلية تهذيبه ٢ / ١١)

وركب زيد بن ثابت مرة فدنا ابن عباس ليأخذ بركابه فقال: مه يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بكبرائنا فقال: أرني يدك فأخرجها إليه فقبلها فقال: هكذا أمرنا نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. (مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

قال الحسن: رأيت عثمان بن عفان يقيل في المسجد وهو يومئذ خليفة، ويقوم وأثر الحصى بجنبه، فنقول: هذا أمير المؤمنين، هذا أمير المؤمنين. (التبصرة ٤٣٧)

وكان أبو عبيدة ابن الجراح وهو أمير يحمل سطلا له من خشب إلى الحمام. (الاحياء ٣/ ٣٥٥)
ومر الحسن بن علي صبيان معهم كسر خبز فاستضافوه فنزل فأكل معهم ثم حملهم إلى منزله فأطعمهم
وكساهم وقال: اليد لهم لأنهم لا يجدون شيئا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه.
(مدارج السالكين ٣٣٨-٣٣٩ / ٢)

روي أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف: أقوم إلى
المصباح فأصلحه فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال: أفأنبه الغلام فقال: هي أول نومة
نامها فقام وأخذ البطة وملاً المصباح زيتاً فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين فقال: ذهبت
وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء! وخير الناس من كان عند الله متواضعاً. (الإحياء ٣/ ٣٥٥)
ويقول أحمد بن الحسن الترمذي: رأيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يشتري الخبز من السوق، ويحمله في
الزنبيل، ورأيت يشتري الباقلاء غير مرة، ويجعله في خرقة، فيحمله آخذاً بيد عبد الله ابنه.
(سير أعلام النبلاء ١١ / ٣١٠)

وقال محمد بن بكار رحمه الله : بعث هارون الرشيد إلى ابن السماك فدخل عليه وعنده يحيى بن خالد
البرمكي فقال يحيى لابن السماك : إن أمير المؤمنين أرسل إليك لما بلغه من صلاح حالك في نفسك
وكثرة ذكرك لربك عز وجل ودعائك للعامة فقال ابن السماك: أمّا ما بلغ أمير المؤمنين من صلاحنا في
أنفسنا فذلك بستر الله علينا فلو اطلع الناس على ذنب من ذنوبنا لما أقدم قلب لنا على مودة. ولا جرى
لسان لنا بمدحة، وإني لأخاف أن أكون بالستر مغرورا ويمدح الناس مفتونا وإني لأخاف أن أهلك بهما
وبقلة الشكر عليهما فدعا بدواة وقرطاس فكتبه إلى الرشيد. (حلية الأولياء ٨ / ٢٠٩)

وكان هارون الرشيد يُجَلُّ أبا معاوية الضرير ويحترمه قيل أنه استدعا لسمع منه الحديث فأكل عنده
فغسل يديه فكان الرشيد هو الذي صب على يده وقال تدري يا أبا معاوية من يصب عليك ثم وصله
بذهب كثير. (سير أعلام النبلاء ٩ / ٧٧)

وقال السري السقطي رحمه الله: قال غالب: خرج الحسن مرة من المسجد وقد ذهب بحماره فأتى حماري
فركبه وكان حماري يتناول ساق صاحبه - بعض ساق من يركبه- فخفته على الحسن فأخذت بلجامه
فقال: أحمارك هذا؟ فقلت: نعم، قال: وخلفه رجال يمشون، فقال: لا أبا لك ما يبقي خفق نعال هؤلاء

من قلب آدمي ضعيف؟! والله لو لا أن يرجع المسلم أو المؤمن إلى نفسه فيعلم أن لا شيء عنده لكان هذا في فساد قلبه سريعاً. (الطبقات الكبرى ١٦٨ / ٧)

وقال عمرو بن شيبه رحمه الله : كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنّفون الناس. قال: ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل جاف حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟. فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس. (إحياء علوم الدين ٣ / ٣٤٣)

قال أبي خالد رحمه الله أنه: ذكر الأعمش حديث (ذاك بال الشيطان في أذنه) فقال: ما أرى عيني عمشت إلا من كثرة ما يبول الشيطان في أذني. قال أبو خالد: وما أظنه فعل هذا قط. قلت - القائل الذهبي - يريد أن الأعمش كان صاحب ليل وتعبد. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٣٢)

أرسل ابن تيمية رحمه الله في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطه إلى تلميذه ابن القيم رحمه الله وعلى ظهرها أبيات بخطه من نظمه يقول فيها:

أنا الفقيرُ إلى ربِّ البرياتِ	أنا المسكينُ في مجموعِ حالاتي
أنا الظلُّومُ لنفسي وهي ظالمتي	والخيرُ إن يأتنا من عنده ياتي
لا أستطيعُ لنفسي جلبَ منفعةٍ	ولا عن النفسِ لي دفعَ المضراتِ
وليس لي دونه مؤلٌّ يدبّرني	ولا شفيعٌ إذا حاطت خطيئاتي
والفقرُ لي وصفٌ ذاتٍ لازمٌ أبداً	كما الغنى أبداً وصفٌ له ذاتي. (مدارج السالكين ١ / ٥٢٤)

٧٢- باب تهريم الكبر والإجاب

قال الله تعالى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿القصص: ٨٣﴾ وقال تعالى: وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا [الإسراء: ٣٧] وقال تعالى: وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ [لقمان: ١٨]

٦١٢- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخُلُ

الجنة مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ !)) فَقَالَ رَجُلٌ : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ : بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ . رواه مسلم .)) .

٦١٣- وعن سلمة بن الأكوع : أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ بِشَاهِلِهِ ، فَقَالَ : كُلْ بِيَمِينِكَ قَالَ :

لَا اسْتَطِيعُ ! قَالَ : لَا اسْتَطَعْتَ مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ . قَالَ : فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ فِيهِ . رواه مسلم

٦١٤- وعن حارثة بن وهب ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، يَقُولُ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ : كُلُّ

عُتْلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ . متفقٌ عَلَيْهِ ، وتقدم شرحه في بابِ ضعفة المسلمين

٦١٥- وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ، قَالَ : احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : فِيَّ

الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ ، فَقَضَى اللَّهُ بَيْنَهُمَا : إِنَّكَ الْجَنَّةُ

رَحِمْتِي أَرْحَمُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ ، وَإِنَّكَ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكَ مِنْ أَشَاءِ ، وَلِكَلِيكُمَا عَلَيَّ مَلُؤُهَا .

رواه مسلم .

٦١٦- وعن أبي هريرة : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا

. متفقٌ عَلَيْهِ .

٦١٧- وعنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَلَا يَنْظُرُهُمْ

إِلَيْهِمْ ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ : شَيْخٌ زَانٍ ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ . رواه مسلم .

((الْعَائِلُ)) : الْفَقِيرُ .

٦١٨- وعنه ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : قَالَ اللَّهُ : الْعِزُّ إِزَارِي ، وَالْكَبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي فِي

وَاحِدٍ مِنْهُمَا فَقَدْ عَذَّبْتُهُ)) رواه مسلم .

٦١٩- وعنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ ، يَحْتَالُ

فِي مَشِيَّتِهِ ، إِذْ حَسَفَ اللَّهُ بِهِ ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . متفقٌ عَلَيْهِ .

((مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ)) : أَيُّ مُمَشِّطُهُ ، ((يَتَجَلَّجَلُ)) بِالْجِيمِ : أَيُّ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ .

٦٢٠- وعن سلمة بن الأكوع ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ

فِي الْجَبَّارِينَ ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ)) رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن .

((يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ)) أَي : يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن جريج قوله : للذين لا يريدون علوا في الأرض . قال : تعظما وتجبرا (ولا فسادا) : عملا بالمعاصي . عن علي رضي الله عنه قال : إن الرجل ليعجبه من شرك نعله أن يكون أجود من شرك صاحبه ، فيدخل في قوله : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا والعاقة للمتقين . عن قتادة : والعاقة للمتقين . أي الجنة للمتقين . (تفسير الطبري ١٩/٦٣٨)

عن ابن عباس : ولا تصعر خدك للناس . يقول : ولا تتكبر ؛ فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك . قال الضحاك يقول في قوله : ولا تمش في الأرض مرحا . يقول : بالخيلة . عن مجاهد قوله : (كل مختال فخور) . قال : متكبر . وقوله : (فخور) قال : يعدد ما أعطى الله وهو لا يشكر الله .

(تفسير الطبري ٢٠/١٤٥)

عن ابن عباس قال : إن قارون كان من قوم موسى قال : كان ابن عمه ، وكان يتبع العلم حتى جمع علما ، فلم يزل في أمره ذلك حتى بغى على موسى وحسده ، فقال له موسى عليه السلام : إن الله أمرني أن آخذ الزكاة . فأبى ، فقال : إن موسى عليه السلام يريد أن يأكل أموالكم ، جاءكم بالصلاة ، وجاءكم بأشياء فاحتملتموها ، فاحتملوه أن تعطوه أموالكم؟ قالوا : لا نحتمل ، فما ترى؟ فقال لهم : أرى أن أرسل إلى بغى من بغايا بني إسرائيل ، فترسلها إليه ، فترميه بأنه أرادها على نفسها . فأرسلوا إليها ، فقالوا لها : نعطيك حكمك على أن تشهدي على موسى أنه فجر بك . قالت : نعم . فجاء قارون إلى موسى قال : اجمع بني إسرائيل ، فأخبرهم بما أمرك ربك . قال : نعم . فجمعهم فقالوا له : ما أمرك ربك؟ قال : أمرني أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصلوا الرحم ، وكذا وكذا ، وأمرني في الزاني إذا زنى وقد أحصن أن يرجم . قالوا : وإن كنت أنت؟ قال : نعم . قالوا : فإنك قد زنت . قال : أنا! فأرسلوا إلى المرأة فجاءت ، فقالوا : ما تشهدين على موسى؟ فقال لها موسى : أنشدك بالله إلا ما صدقت . قالت : أما إذ نشدني بالله ، فإنهم دعوني وجعلوا لي جعلاً على أن أقذفك بنفسي ، وأنا أشهد أنك بريء ، وأنتك رسول الله . فخر موسى ساجداً يبيكي ، فأوحى الله إليه : ما يبكيك؟ قد سلطناك على الأرض ، فمرها فتطيعك . فرفع رأسه فقال : خذيم . فأخذتهم إلى أعقابهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى ، يا موسى . فقال : خذيم . فأخذتهم إلى ركبهم ، فجعلوا يقولون : يا موسى ، يا موسى . فقال : خذيم فأخذتهم إلى

أعناقهم، فجعلوا يقولون : يا موسى، يا موسى . فقال : خذهم . فأخذتهم فغيبتهم، فأوحى الله : يا موسى، سألك عبادي وتضرعوا إليك فلم تجبهم، وعزتي لو أنهم دعوني لأجبتهم . قال ابن عباس : وذلك قوله تعالى : فحسفنا به وبداره الأرض خسف به إلى الأرض السفلى . عن قتادة في قوله : فبغى عليهم قال : فعلا عليهم . عن عطاء في قوله : وآتيناه من الكنوز قال : أصاب كنزا من كنوز يوسف . عن الوليد بن زوران في قوله : وآتيناه من الكنوز . قال : كان قارون يعلم الكيمياء . عن خيشمة قال : كانت مفاتيح كنوز قارون من جلود، كل مفتاح مثل الإصبع، كل مفتاح على خزانة على حدة، فإذا ركب حملت المفاتيح على سبعين بغلا أغر محجلا . عن ابن عباس في قوله : لتنوء بالعصبة يقول : لا يرفعها العصبة من الرجال أولي القوة . عن السدي في قوله : إذ قال له قومه لا تفرح قال : هؤلاء المؤمنون منهم، قالوا : يا قارون، لا تفرح بما أوتيت فتبطر . عن مجاهد في قوله : إن الله لا يحب الفرحين قال : المتبذخين، الأشرين، البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم . عن ابن عباس في قوله : ولا تنس نصيبك من الدنيا قال : أن تعمل فيها لآخرتك . عن قتادة في قوله : قال إنما أوتيته على علم عندي يقول : على خير عندي، وعلم عندي . عن قتادة في قوله : ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قال : المشركون، لا يسألون عن ذنوبهم، ولا يحاسبون لدخول النار بغير حساب عن ابن عباس في قوله : فحسفنا به وبداره الأرض قال : خسف به إلى الأرض السفلى . عن سمرة بن جندب قال : يخسف بقارون وقومه في كل يوم قدر قامة، فلا يبلغ الأرض السفلى إلى يوم القيامة . (الدر المنثور ١١/٥٠٣-٥١٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق : لا يحقرن أحد أحدا من المسلمين فإن صغير المسلمين عند الله كبير .

(إحياء علوم الدين ٥/١٢٣)

قال علي بن ابي طالب : من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلي نظر إلى رجل قاعد وبين يديه قوم

قيام . (إحياء علوم الدين ٣/٣٥٤)

عن حبيب بن أبي ثابت قال : خرج عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ذات يوم فاتبعه ناس فقال لهم : ألكم حاجة؟ قالوا : لا ولكن أردنا أن نمشي معك . قال : ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع .

(صفه الصفوة ١/١٨٦)

قال سعد بن أبي وقاص لابنه : يا بني : إياك والكبر وليكن فيما تستعين به على تركه : علمك بالذي منه

كنت والذي إليه تصير وكيف الكبر مع النُّطفة التي منها خلقت والرحم التي منها قذفت والغذاء الذي به غذيت. (العقد الفريد ٢/ ١٩٧)

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً، أحب إلي من أن أبيت قائماً، وأصبح معجباً. (حليه الأولياء ٢/ ٢٠٠)

يقول عمر بن عبد العزيز: إنه ليمنعني من كثير من الكلام مخافة المباهاة. (سير اعلام النبلاء ٩/ ٤٦٣)
قال عبيد الله بن أبي جعفر: إذا كان المرء يحدث في مجلس فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكناً - يعني ساكناً - فأعجبه السكوت فليتحدث. (سير اعلام النبلاء ٩/ ١٦١)

قال أبو سليمان الداراني: رد سبيل العجب بمعرفة النفس وتخلص إلى إجماع القلب بقلة الخطأ وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الخوف واستجلب نور القلب بدوام الحزن والتمس باب الحزن بدوام الفكرة والتمس وجوه الفكرة في الخلوات. (حليه الأولياء ٩/ ٢٦٦)

قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغشية: الفرح والحزن والسرور فإذا فرحت بالموجود: فأنت حريص، والحريص محروم؛ وإذا حزنت على المفقود: فأنت ساخط، والساخط معذب؛ وإذا سررت بالمدح: فأنت معجب، والعجب يحبط العمل؛ ودليل ذلك كله قوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ) (الحديد ٢٣). (حليه الأولياء ٨/ ٣٤)

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: من رأى أنه خير من غيره فقد استكبر، وذلك أن إبليس إنما منعه من السجود لأدم عليه السلام استكباره. (صفة الصفوة ٢/ ٥٤٠)

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: من كانت معصيته في الشهوة، فارج له التوبة، فإن آدم عصي مشتتاً فغفر له، فإذا كانت معصيته في كبر، فاخش على صاحبه اللعنة، فإن إبليس عصي مستكبراً فلعن. (صفة الصفوة ٢/ ٥٤٠)

قال سفيان بن عيينة: وقال عبد الله: اثنتان منجيتان واثنتان مهلكتان فالمنجيتان: النية، والنهي؛ فالنية: أن تنوي: أن تطيع الله فيما يستقبل؛ والنهي: أن تنهى نفسك عما حرم الله عز وجل؛ والمهلكتان: العجب، والقنوط. (حليه الأولياء ٧/ ٢٩٨)

قال مسروق: كفى بالمرء علماً: أن يخشى الله؛ وكفى بالمرء جهلاً: أن يعجب بعمله. (حليه ٢/ ٩٥)

قال وهب بن منبه: من وافى خمساً فقد وقى شر الدنيا والآخرة: العجب والرياء والكبر والإزراء والشهوة. (حليه الأولياء ٨ / ٩٥)

وقال وهب: لما خلق الله جنة عدن نظر إليها، فقال: أنت حرام على كل متكبر. (الإحياء ٣ / ٣٣٨)

عن وهب بن منبه قال: إني لأتفقد أخلاقي، ما فيها شيء يعجبني. (حليه الأولياء ٤ / ٦٦)

قال أيوب السخيتاني: إن قومًا يريدون أن يرتفعوا، فيأبى الله إلا أن يضعهم، وآخرين يريدون أن يتواضعوا، ويأبى الله إلا أن يرفعهم. (صفة الصفوة ٣ / ٢٠٩)

وكان في قميص أيوب السخيتاني بعض التذليل، أنه يقارب الكعبين - لا يزيد على الكعبين -، فقيل له، فقال: الشهرة اليوم في التشمير. (حليه الأولياء ٣ / ٧)

قال أيوب السخيتاني: إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل. (صفة الصفوة ٣ / ٢١٠)

قال الشافعي: ينبغي للفقير أن يضع التراب على رأسه، تواضعا لله وشكرا لله. (السير ١٠ / ٥٣)

قال الشافعي: التواضع من أخلاق الكرام والتكبر من شيم اللئام التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة. (سير أعلام النبلاء ١٠ / ٩٩)

قال الشافعي لرجل: أظنك أحق قال الرجل: إن أحق ما يكون الشيخ: إذا أعجب بعمله.

(حليه الأولياء ٩ / ١٢٩)

وسئل يوسف بن أسباط رحمه الله ما غاية التواضع؟ قال: أن لا تلقى أحدا إلا رأيت له الفضل عليك.

(سير أعلام النبلاء ٩ / ١٧٠)

وقال محمد بن أسلم الطوسي: قد سرت في الأرض ودرت فيها، فبالذي لا إله إلا هو ما رأيت نفساً

تصل إلى القبلة شراً عندي من نفسي. (حليه الأولياء ٩ / ٢٤٤)

وعن يونس بن عبيد قال: إني لأعد مائة خصلة من خصال البر، ما في منها خصلة واحدة.

(تهذيب الحلية ١ / ٤٣٧)

قال الفيض بن اسحاق: قال لي الفضيل: تريد الجنة مع النبيين والصديقين، وتريد أن تقف الموقف مع

نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام؟؟ بأي عمل وأي شهوة تركتها لله عز وجل، وأي قريب

باعده في الله، وأي بعيد قربته في الله. (تهذيب الحلية ٣ / ١٠)

قال كعب الأحبار وأتاه رجل ممن يتبع الأحاديث: اتق الله، وارض بدون الشرف من المجلس، ولا تؤذين أحداً، فإنه: لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب، ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاً؛ فقال الرجل: رحمك الله يا أبا إسحاق، إنهم يكذبوني ويؤذوني؛ فقال: قد كانت الأنبياء يكذبون ويؤذون، فيصبرون؛ فاصبر، وإلا فهو الهلاك. (حليه الأولياء ٥/٣٦٧)

قال حاتم الأصم: لا أدري أيهما أشد على الناس: إتقاء العجب، أو الرياء؛ العجب داخل فيك، والرياء يدخل عليك؛ العجب أشد عليك من الرياء، ومثلها: أن يكون معك في البيت كلب عقور، وكلب آخر خارج البيت، فأيهما أشد عليك؟ معك، أو الخارج الداخل؟ فالداخل: العجب، والخارج: الرياء. (حليه الأولياء ٨/٧٦-٧٧)

قال أبي سليمان الداراني: كيف يعجب عاقل بعمله؟ وإنما يعد العمل نعمة من الله وإنما ينبغي له: أن يشكر ويتواضع وإنما يعجب بعمله: القدرية الذين يزعمون أنهم يعملون فأما من زعم أنه مستعمل: فبأي شيء يعجب؟. (حليه الأولياء ٩/٢٦٣)

قال ابو عثمان النيسابوري: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه، ثم هذا مظنة لغيره، فينسلخ القلب عن حقيقة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكادوهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. (اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ٢/١٢٠)

قال النعمان بن بشير على المنبر: إن للشيطان مصالي وفخوخاً وإن من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بأنعم الله، والفخر بإعطاء الله والكبر على عباد الله واتباع الهوى في غير ذات الله. (الإحياء ٣/٣٣٩)

قال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن تزدرى الناس. فسألته عن العجب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئاً شراً من العجب. (السير (تهذيبه) ٢/٧٦٩)

قال الحسن: إن أقواماً جعلوا الكبر في قلوبهم، والتواضع في ثيابهم، فصاحب الكساء بكسائه أعجب من صاحب المطرف بمطرفه ما لم تفارقوا. (التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ٩٠)

وقال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط، إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك أو كثر. (إحياء علوم الدين ٣/٣٣٩)

قال الأحنف بن قيس: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرتين كيف يتكبر. (سير أعلام النبلاء ٥/٤٣)

قال جبير بن نفير: قيل له: أي الكبرين أشرف؟ قال: كبر العبادة. (الحلية (تهذيبه) ٢ / ١٦٥)

وسئل سليمان عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال: الكبر. (إحياء علوم الدين ٣ / ٣٣٩)

وكان الجنيد يقول: الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن تخطر ببالك - يعني نفسك -. (السير ١١ / ٤٤)

ويقول سفيان الثوري رحمه الله: السلامة في ألا تحب أن تُعرف. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٦٣٩)

قال يحيى بن جعدة: من وضع وجهه لله عزَّ وجلَّ ساجدًا فقد برئ من الكبر. (التواضع والحمول ٢٦٢)

قال الغزالي: من حق العبد أن لا يتكبر على أحد. إن نظر إلى جاهل قال: هذا عصي الله بجهل وأنا عصيته بعلم فهو أعذر مني. وإن نظر إلى عالم قال: هذا قد علم ما لم أعلم فكيف أكون مثله وإن نظر إلى كبير هو أكبر منه سناً قال: هذا قد أطاع الله قبلي فكيف أكون مثله وإن نظر إلى صغير قال: إني عصيت الله قبله فكيف أكون مثله وإن نظر إلى مبتدع أو كافر قال: ما يدريني لعله يختم له بالإسلام ويختم لي بما هو عليه الآن فليس دوام الهداية إلي كما لم يكن ابتداؤها إلي. (الإحياء ص ٤٧٦ كتاب ذم الكبر والعجب)

قال ابن تيمية: الكبر ينافي حقيقة العبودية، كما ثبت في الصحيح: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يقول الله: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني واحداً منها عدبته. فالعظمة والكبرياء من خصائص الربوبية، والكبرياء أعلى من العظمة؛ ولهذا جعلها بمنزلة الرداء، كما جعل العظمة بمنزلة الإزار. (العبودية ٩٩)

ورحم الله الكريزي القائل: (روضه العقلاء ٦١)

ولا تمش فوق الأرض إلا تواضعا
فكم تحتها قوم هم منك أرفع
فإن كنت في عز وخير ومنعة
فكم مات من قوم هم منك أمتع

الآثار العملية من حياة السلف:

لما استخلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه أصبح غادياً إلى السوق، وكان يجلب للحمي أغنامهم قبل الخلافة، فلما بُويع قالت جارية من الحمي: الآن لا يجلب لنا. فقال: بلى لأحلبنّها لكم، وإنّي لأرجو ألاّ يغيّرني ما دخلت فيه. (التبصرة لابن الجوزي ٤٠٨)

قال عبيد الله بن عمر: أن عمر بن الخطاب كان جالسا ذات يوم فمرت به جارية تحمل قرية فقام فأخذ منها القرية وحملها على عنقه حتى وداها ثم رجع فقال له أصحابه يرحمك الله يا أمير المؤمنين! ما حملك على هذا؟ قال إن نفسي أعجبتني؛ فأردت أن أذلها. (المجالسة وجواهر العلم ١ / ٥٢٠)

عن قيس قال بلغ بلالا أن ناسا يفضلونه على أبي بكر، فقال كيف يفضلوني عليه وإنما أنا حسنة من حسناته. (سير أعلام النبلاء ١/ ٣٥٩)

عن هزيم أو هذيم قال: رأيت سلمان الفارسي على حمار عري وعليه قميص سنبلاني ضيق الاسفل، وكان طويل الساقين، يتبعه الصبيان فقلت لهم: تنحوا عن الأمير. فقال: دعهم فإن الخير والشر فيما بعد اليوم. (سير أعلام النبلاء ١/ ٥٤٦)

عن يزيد بن زياد القرظي حدثني ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال: أقبل أبو هريرة في السوق، يحمل حزمة حطب، وهو يومئذ خليفة مروان. فقال: أوسع الطريق للأمير. (سير أعلام النبلاء ٢/ ٦١٤)

مرَّ عبد الله بن سلام رضي الله عنه في السُّوق وعليه حزمة من حطب، فقيل له: أليس الله قد أعفأك عن هذا؟! قال: بلى، ولكن أردتُ أن أدفع به الكِبْر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال حَبَّةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ. (الزهد للاحمد ٨٣٣)

وعن عبد الرحمن بن أردك (يقال هو) أخو علي ابن الحسين لأمه قال: كان علي بن الحسين يدخل المسجد، فيشوق الناس حتى يجلس في حلقة زيد ابن أسلم، وقال له نافع بن جبير: غفر الله لك أنت سيد الناس، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد. فقال: علي بن الحسين العلم يتغنى ويؤتى، ويطلب من حيث كان. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٨٨)

روى أن معاوية رضي الله تعالى عنه دخل على عمر رضي الله تعالى عنه وعليه حلة خضراء فنظر إليها الصحابة، فوثب إليه عمر رضي الله تعالى عنه بالدرة، وجعل يقول يعني معاوية: الله الله يا أمير المؤمنين، فيم فيم؟ يعني في أي شيء؟، فلم يكلمه حتى رجع، فقالوا: لم ضربته وما في قومك مثله؟ قال: ما رأيت وما بلغني إلا خيراً، ولكنه رأيتُه -وأشار بيده، يعني كأنه في هذه الحلة- فأحببت أن أضع منه. (سير أعلام النبلاء ٣/ ١٣٥)

وهذا جبلة بن الأيهم ارتد عن الإسلام والتحق بالروم، وكان رجلاً مختلاً معجباً بنفسه، وكان يطوف بالكعبة فوطئ رداءه أعرابيًّا - وكان يجر رداءه - فالتفت ولطم هذا الأعرابي، فاشتكى الأعرابي عند عمر رضي الله تعالى عنه فاقصص منه، وغضب وارتمل، ومات على الكفر. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٠٠)

وقيل لعمر بن عبدالعزیز: لو أتيت المدينة فإنَّ قضي الله موتاً دفنت في موضع القبر الرابع مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم يعني في الحجرة، حجرة عائشة رضي الله عنها فقال: والله لَأَنْ يَعَذِبَنِي اللهُ بغير النار أحب إليّ من أن يعلم من قلبي أني أراي لذلك أهلاً. (سير أعلام النبلاء ١٤١ / ٥)

عن الأصمعي عن أبيه، قال: مرَّ المهلب بن أبي صفرة على مالك بن دينار رحمه الله متبخترًا، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهاها الله إلا بين الصّفين؟ فقال المهلبُ: أما تعرفني؟ قال: بلى، أوَّلُكَ نُظْفَةَ مَدْرَةَ، وآخِرُكَ جِيفَةٌ قَدْرَةَ، وأنت فيما بين ذلك تحمل العَدْرَةَ. فانكسر، وقال: الآن عرفتني حقَّ المعرفة.

(السير (تهذيبه) ٧١٣ / ٢)

قال عمرو بن شيبه: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال: فجعلت أنظر إليه وأأمله فقال لي: مالك تنظر إلي فقلت له: شبهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة فقال له: أنا ذلك الرجل فقلت: ما فعل الله بك فقال إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس. (إحياء علوم الدين ١١ / ١٩٤٥)

كان إبراهيم الحربي رجلاً صالحاً من أهل العلم، بلغه أن قوماً من الذين كانوا يجالسونه يفضلونه على أحمد بن حنبل، فوقفهم على ذلك، فأقروا به، فقال: ظلمتموني بتفضيلكم لي على رجل لا أشبهه، ولا ألحق به في حال من أحواله، فأقسم بالله: لا أسمعكم شيئاً من العلم أبداً، فلا تأتوني بعد يومكم.

(سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٦٤)

وبكى ربيعة شيخ الإمام مالك يوماً فليل له: ما يبكيك؟ قال: رياءٌ حاضر وشهوة خفية والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم إن أمرهم ائتمروا وإن نهوهم انتهوا. (السير ٦ / ٢٤٩)

وكان بشر بن منصور يصلي فيطول ورجل وراءه ينظر ففطن له فلما انصرف أي لما سلم من الصلاة قال: لا يعجبك ما رأيت مني فإن إبليس قد عبد الله دهرًا مع الملائكة. (سير أعلام النبلاء ٧ / ٣٥٣)

كان أبو سنان يشتري الشيء من السوق فيحمله فيقال: هات نحمله فيأبى ويقول: إنه لا يجب المستكبرين. (الحلية تهذيبه ٢ / ١٥١)

٧٢- باب حسن الخلق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ [ن : ٤] ، وَقَالَ تَعَالَى: وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ [آل عمران : ١٣٤] الآية.

٦٢١- وعن أنسٍ رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٦٢٢- وعنه قال : مَا مَسَسْتُ دِيْبَا جَا وَلَا حَرِيرًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ : أَفٌّ ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ : لِمَ فَعَلْتُهُ؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ : أَلَا فَعَلْتَهُ كَذَا؟ مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٦٢٣- وعن الصَّعْبِ بْنِ جَثَّامَةَ رضي الله عنه قال : أَهْدَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِمَارًا وَخَشِيًّا ، فَرَدَّهُ عَلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِهِ قَالَ : « إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا لِأَنَّا حُرْمٌ » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٦٢٤- وعن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ فَقَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالْإِثْمُ : مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » رواه مسلم .

٦٢٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا . وَكَانَ يَقُولُ : « إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا » مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٦٢٦- وعن أبي الدرداء رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ . وَإِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبِدِيَّ » رواه الترمذي وقال :

حديث حسن صحيح . « الْبِدِيَّ » : هُوَ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِالْفُحْشِ . وَرِدِيءُ الْكَلَامِ

٦٢٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ قَالَ : « تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ فَقَالَ : « الْفَمُّ وَالْفَرْجُ » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٦٢٨- وعنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا ، وخيارُكُمْ خيارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٦٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُذْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ » رواه أبو داود .

٦٣٠- وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ . وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا ، وَبَيْتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ ، وَإِنْ كَانَ مَارِحًا ، وَبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ » حديث صحيح ، رواه أبو داود بإسناد صحيح . « الزَّعِيمُ » : الصَّامِنُ .

٦٣١- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنْ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلَسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا . وَإِنْ أَبْغَضْتُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدْتُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ وَالْمُتَفَيِّهُونَ » قالوا : يا رسول الله قَدْ عَلِمْنَا الثَّرَثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ ، فَمَا الْمُتَفَيِّهُونَ ؟ قال : « الْمُتَكَبِّرُونَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

« الثَّرَثَارُ » : هُوَ كَثِيرُ الْكَلَامِ تَكَلُّفًا . « وَالْمُتَشَدِّقُ » : الْمُتَطَاوِلُ عَلَى النَّاسِ بِكَلَامِهِ ، وَيَتَكَلَّمُ بِمَلءِ فِيهِ نَفَاصِحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلَامِهِ ، « وَالْمُتَفَيِّهُ » : أَصْلُهُ مِنَ الْفَهْقِ ، وَهُوَ الْامْتِلَاءُ ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلَأُ فَمَهُ بِالْكَلَامِ ، وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ ، وَيُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّرًا وَارْتِفَاعًا ، وَإِظْهَارًا لِلْفَضِيلَةِ عَلَى غَيْرِهِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن عطية العوفي في قوله : وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ قال : على أدب القرآن . عن ابن عباس : وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ قال : القرآن عن ابن عباس في قوله : وإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ قال : دين عظيم ، وهو الإسلام عن أبي الدرداء قال : سئلت عائشة عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه . (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٦٢٣)

عن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له : أخبرني عن قول الله : والكاظمين الغيظ ما الكاظمون؟ قال : الحابسون الغيظ . عن مقاتل بن حيان في قوله . والعافين عن الناس قال : يعيظون في الأمر فيغفرون

ويعفون عن الناس، ومن فعل ذلك فهو محسن والله يحب المحسنين بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عند ذلك : إن هؤلاء في أمتي قليل إلا من عصمه الله، وقد كانوا كثيراً في الأمم التي مضت. عن علي بن الحسين أن جارية جعلت تسكب عليه الماء يتهياً للصلاة فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه، فرفع رأسه إليها فقالت : إن الله يقول : والكاظمين الغيظ قال : كظمت غيظي . قالت : والعافين عن الناس قال : قد عفا الله عنك . قالت : والله يحب المحسنين قال : اذهبي فأنت حرة.

(تفسير الدر المنثور ٤/ ٨-١١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أنس بن مالك في قول الله تبارك وتعالى (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) (الفرقان ٣٤) قال: الرجل يشتم أخاه فيقول ان كنت صادقاً فغفر الله لي. وان كنت كاذباً غفر الله لك. (مدارة الناس لابن أبي الدنيا ١/ ٥٢)

عن مجاهد : (وإذا مروا باللغو مروا كراما) (الفرقان ٧٢) قال : إذا أودوا صفحوا. (مدارة الناس ١/ ٢٧) قال عمر بن الخطاب: خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم (فارقوهم) بالأعمال. (مدارة الناس ١/ ٢٣) عن ربيعة بن ناجد قال: خطبنا علي بن أبي طالب أو قال خطب علي أصحابه فقال: كونوا في الناس كالنحلة في الطب فإنه ليس شيء من الطير إلا يستضعفها ولو يعلم ما في أجوافها لم يفعل، خالقوا الناس بأخلاقكم وأستتكم وزايلوهم بأعمالكم وقلوبكم فإن لكل امرئ ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب. (مدارة الناس لابي الدنيا ١/ ٣٠)

قال ابو الدرداء : ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فأصبحوا شوكا لا ورقية إن نقدتهم نقدوك وإن تركتهم لا يتركوك قالوا : فكيف نصنع ؟ قال : تقرضهم من عرضك ليوم فقرك . (مدارة الناس ١/ ١٥) قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: ان المسلمين إذا التقيا، فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر. (التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٢٨)

يقول قبيصة بن جابر: قد صحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلاً أبين أو أنصح رأياً ولا أكرم جليساً منه، ولا أشبه سريرة بعلانية منه. (سير أعلام النبلاء ٣/ ٥٧)

وكان عمرو رضي الله تعالى عنه يقول: لا أمل ثوبي ما وسعني، ولا أمل زوجتي ما أحسنت عشرتي، ولا

أمل دابتي ما حملتني، إن الملال من سيئ الأخلاق. (سير أعلام النبلاء ٥٧ / ٣)

قال محمد بن الحنفية: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد بدأ من معاشرته حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا. (حليه الأولياء ١٧٥ / ٣)

كان سالم بن عبد الله بن عمر حسن الخلق وكان بعض أصحابه يقول: كان إذا خلا حدثنا حديث الفتيان. (سير أعلام النبلاء ٤٦٦ / ٤)

قال الحسن: يا ابن آدم اصحب الناس بأي خلق شئت يصحبوك عليه. (السير ٥٨٤ / ٤)

قال الحسن: ابن آدم اصحب الناس بمكارم أخلاقك فإن الثواء فيهم قليل. (مكارم الأخلاق ص ٢٨)

وكان لعمر بن عبد العزيز رحمه الله سُمار يستشيرهم، يعني يجلسون معه بعد العشاء يستشيرهم، فكان العلامة فيما بينهم إذا أحب أن يقوموا يقول في نهاية المجلس: إذا شئتم. (سير أعلام النبلاء ١٢٨ / ٥)

قال بشر بن المفضل: جلست إلى محمد بن المنكدر فلما أراد أن يقوم قال: أتأذن. (الحليه ١٥٣ / ٣)

عن ابن سيرين قال: كانوا يرون حسن الخلق عوناً على الدين. (حليه الاولياء ١٧٤ / ٢)

قال أحمد بن إسحاق بن منصور: سمعت أبي يقول لأحمد بن حنبل: ما حسن الخلق؟ قال هو أن تحتل ما يكون من الناس. (شعب الإيمان للبيهقي ٢٦١ / ٦)

وقيل لعبد الله بن المبارك أجمل لنا حسن الخلق في كلمة. فقال اترك الغضب. (الإحياء ١٦٦ / ٣)

قال سفيان الثوري: سمعت علي بن الحسن يقول: قد استرقتك بالود من سبقك إلى البشر. (شعب الإيمان للبيهقي ٢٥٥ / ٦)

عن سفيان الثوري قال: كان يقال: حسن الأدب يطفى غضب الرب. (حليه الأولياء ٧٩ / ٧)

قال أحمد بن شيبان الرمي: اجتمع سفيان الثوري وسفيان بن عيينة وفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك فقال بعضهم لبعض: أليس معنى حديث النبي صلى الله عليه وسلم: (إن حسن الخلق ليبلغ درجة الصائم القائم). فانفقوا على ثلاث بسط الوجه وكف الأذى وبذل المعروف. (شعب الإيمان ٢٥٧ / ٦)

عن الفضيل بن عياض قال: كان يقال: من أخلاق الأنبياء، والأصفياء الأخيار، الطاهرة قلوبهم: خلائق ثلاثة: الحلم، والأناة، وحظ من قيام الليل. (حليه الأولياء ٩٥ / ٨)

قال الفضيل بن عياض: لا تخالط سيئ الخلق؛ فإنه لا يدعو إلا إلى شر. (مساوي الأخلاق ٢٤)

قال أيضًا: لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابدٌ سيئ الخلق. (الإحياء ٥٧/٣)

قال الفضيل: من ساء خلقه ساء دينه وحسبه ومودته. (الأداب الشرعية لابن مفلح ٣٠٢/٢)

وقال الحسن البصري: معالي الأخلاق للمؤمن، قوة في لين وحزم في دين وإيمان في يقين وحرص على العلم واقتصاد في النفقة، وبذل في السعة وقناعة في الفاقة، ورحمة للمجهود وإعطاء في كرم وبر في استقامة. (بهجة المجالس وأنس المجالس ١/١٣١)

قال الحسن: من ساء خلقه عذب نفسه. (إحياء علوم الدين ٥٧/٣)

سئل الحسن عن حسن الخلق فقال: الكرم والبذلة والاحتمال. (الكرم والجود للبرجلاني ٥٥/١)

قال الجنيد: لأن يصحبني فاسق حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق. (الإحياء ١٧٢/٢)

وقال الجنيد: أربع ترفع العبد إلى أعلى الدرجات وإن قل عمله وعلمه، الحلم والتواضع والسخاء وحسن الخلق. (إحياء علوم الدين ٥٣/٣)

قال أبو حازم سلمة بن دينار رحمه الله: السيئ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى أنه ليدخل بيته، وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون منه فرقا منه وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة وإن كلبه ليراه فينزو على الجدار حتى إن قطة ليفر.

(سير أعلام النبلاء ٩٩/٦)

قال معاذ بن سعد الأعور: كنت جالسا عند عطاء بن أبي رباح فحدث بحديث، فعرض رجل من القوم في حديثه فغضب وقال ما هذه الأخلاق وما هذه الطبائع؟ إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم منه به فأريه أني لا أحسن شيئا منه. (حليه الأولياء ٣/٣١١)

قال أبي سليمان الداراني: لربما حدثني الرجل بالحديث، وأنا أعلم به منه، فأنصت له كأني ما سمعته؛ ولربما مشيت إلى الرجل، وهو أولى بالمشي مني إليه؛ ولقد كنت أنظر إلى الأخ من إخواني، فما يفارق كفي كفه أجد طعم ذلك في قلبي. (حليه الأولياء ٩/٢٦٩-٢٧٠)

ويقول الربيع صاحب الشافعي وتلميذه: كتب إلي أبو يعقوب البويطي: أن اصبر نفسك للغرباء، وحسن خلقك لأهل حلقك - يعني لطلابك -، فإني لم أزل أسمع الشافعي يقول كثيرا ويتمثل:

أهينُ لهم نفسي لكي يكرمونها ولن تُكرم النفس التي لا تهينها. (سير أعلام النبلاء ١٢/٦١)

ويقول أبو النضر الفقيه: سمعت البوشنجي يقول: من أراد العلم والفقه بغير أدب فقد اقتحم أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. (سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٨٦)

كان الموفق ابن قدامة رحمه الله : لا يناظر أحداً إلا وهو يتبسم. (سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٧٠)
 عن محمد بن علي بن الحسين قال: من أعطي الخلق والرفق: فقد أعطي الخير كله، والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته؛ ومن حرم الرفق والخلق: كان ذلك له سبيلاً إلى كل شر وبليّة؛ إلا من عصمه الله تعالى. (حليه الأولياء ٣ / ١٨٦-١٨٧)

عن ذي النون قال: ثلاثة من حسن الخلق: قلة الخلاف على المعاشرين، وتحسين ما يرد عليه من أخلاقهم، وإلزام النفس اللائمة فيما يختلفون فيه، كفاً عن معرفة عيوبهم. (حليه الأولياء ٩ / ٣٦٢)
 قال طاوس بن كيسان : إن هذه الأخلاق منائح يمنحها الله عز وجل من يشاء من عباده فمن أراد الله بعبادته خيراً منحه منها خلقاً صالحاً . (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ١ / ٢٦)

عن ابن حميد قال: عطس رجل عند ابن المبارك، فلم يحمد الله؛ فقال ابن المبارك: إيش يقول العاطس إذا عطس؟ قال يقول الحمد لله فقال يرحمك الله. (حليه الأولياء ٨ / ١٧٠)
 كان عبد الله بن أبي زكريا سيد أهل المسجد، فقيل: بما سادهم؟ فقال ابن مسهر الذي يروي هذا الخبر قال: بحسن الخلق. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٠ / ٣٩٤)

وقال أبو جعفر المنصور: إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من الناس بغير نائل، فالحقهم ببشر حسن. (عين الادب والسياسة لعلي بن هذيل ١٥٤)

قال الربيع بن خيثم: الناس رجلان مؤمن وجاهل فأما المؤمن فلا تؤذّه واما الجاهل فلا تجاهله. (مداراة الناس ١ / ٢٤)

قال يحيى بن معاذ: سوء الخلق سيئة لا تنفع معها كثرة الحسنات، وحسن الخلق حسنة لا تضر معها كثرة. (إحياء علوم الدين ٣ / ٥٧)

قال هشام بن عروة عن أبيه: مكتوب في الحكمة ليكن وجهك بسطاً وكلمتك طيبة، تكن أحبّ إلى الناس من الذي يعطيهم العطاء. (شعب الإيمان للبيهقي ٦ / ٢٥٤)

عن عبد الرحمن بن مهدي قال: ليتق الرجل دناءة الأخلاق، كما يتقي الحرام. (الحليه ٦ / ٢٤٠)

قال مكحول: المؤمنون هينون لينون مثل الجمل الأنف إن قدته انقاد وإن انخته على صخرة استناخ.
(حليه الأولياء ٥ / ١٨٠)

قال عون بن عبد الله: المؤمن موالف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف. (حليه الأولياء ٤ / ٢٥٤)
عن عكرمة قال: لكل شيء أساس، وأساس الإسلام: الخلق الحسن. (حليه الأولياء ٣ / ٣٤٠)
قال أيوب: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عنهم.
(روضه العقلاء ١٦٧)

قال الغزالي: إن حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق. (احياء علوم الدين ٣ / ٧٤)
قال الأحنف بن قيس: ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى، قال: الخلق الدني، واللسان البذي.
(ادب الدنيا والدين ١ / ٢٩٩)

قال أبي حازم المدني: السبي الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٩٩)
قال ابن وهب: ما نقلنا من أدب مالك أكثر مما تعلمنا من علمه. (سير أعلام النبلاء ٧ / ١٨٧)
وقال مقاتل: حسن الخلق بالتجاوز، والصفح. (فتح القدير للشوكاني ٤ / ٥٧٤)

سئل الشعبي عن حسن الخلق قال: البذلة والعطية والبشر الحسن. (مدارة الناس حديث ٨٩)
قال ابن منصور: سألت أبا عبد الله عن حسن الخلق قال: ألا تغضب ولا تحتد. (الأداب الشرعية ٢ / ٣١٠)
قال ابو حاتم رحمه الله: الواجب على العاقل أن يتحجب إلى الناس بلزوم حسن الخلق، وترك سوء الخلق،
لأن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل
العسل، وقد تكون في الرجل أخلاق كثيرة صالحة كلها، وخلق سيء، فيفسد الخلق السيء الأخلاق
الصالحة كله. (روضه العقلاء ونزهه الفضلاء ٦٤)

قال الحافظ بن رجب: حسن الخلق كظم الغيظ لله وإظهار الطلاقة والبشر إلا للمبتدع والفاجر والعفوة
عن الزالين إلا تأديباً أو إقامة حد وكف الأذى عن كل مسلم أو معاهد إلا تغييراً منكراً أو أخذاً بمظلمة
لمظلوم، من غير تعدد. (غذاء الألباب ١ / ٣٦٩)

ويقول السفاريني: حسن الخلق القيام بحقوق المسلمين، وهي كثيرة منها أن يحب لهم ما يحب لنفسه،
وأن يتواضع لهم ولا يفخر عليهم ولا يختال، فإن الله لا يحب كل مختال فخور، ولا يتكبر ولا يعجب

فإن ذلك من عظام الأمور وأن يوقر الشيخ الكبير ، ويرحم الطفل الصغير ، ويعرف لكل ذي حق حقه مع طلاقة الوجه وحسن التلقي ودوام البشر ولين الجانب وحسن المصاحبة وسهولة الكلمة ، مع إصلاح ذات بين إخوانه وتفقد أقرانه وإخوانه ، وأن لا يسمع كلام الناس بعضهم في بعض وأن يبذل معروفه لهم لوجه الله لا لأجل غرض مع ستر عوراتهم وإقالة عثراتهم وإجابة دعواتهم وأن يحلم عن من جهل عليه ويعفوا عن من ظلم. (غذاء الألباب للسفاريني ١ / ٣٧٠)

قال الحافظ ابن حجر : حسن الخلق اختيار الفضائل وترك الزدائل. (فتح الباري ٦ / ٥٧٥)

قال الماوردي رحمه الله : في تعريف حسن الخلق، ووصف حسن الخلق: أن يكون سهل العريكة، لين الجانب، طليق الوجه، قليل النفور، طيب الكلمة. (أدب الدنيا والدين ٢٤٣)

قال ابن تيمية: وجماع الخلق الحسن مع الناس أن تصل من قطعك بالسلام والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له. وتعطي من حرمك من التعليم، والمنفعة، والمال. وتعفو عمن ظلمك في دم، أو مال، أو عرض. وبعض هذا واجب، وبعضه مستحب. (مجموع الفتاوى ١٠ / ٦٥٨)

قال ابن القيم: حسن الخلق طلاقة الوجه والبشر المحمود وسط بين التعيس والتقطيب، وتصعير الخد، وطيب البشر عن البشر، وبين الاسترسال مع كل أحد بحيث يذهب الهيبة، ويزيل الوقار، ويطمع في الجانب، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة، والبغضة، والثفرة في قلوب الخلق، وصاحب الخلق الوسط: مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاؤه. وفي صفة نبينا: من رآه بديهته هابه، ومن خالطه عشرة أحبه. (مدارج السالكين ٢ / ٣١١)

قال ابن القيم: وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان، لا يتصور قيام ساقه إلا عليها: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل. (مدارج السالكين ٢ / ٢٩٤)

قال سابق البربري: (صيد الأفكار للقاضي المهدي ٢ / ٣٠٤)

إِنَّ التَّقَى خَيْرٌ زَادَ أَنْتَ حَامِلُهُ وَالْبِرُّ أَفْضَلُ شَيْءٍ نَالَهُ بَشَرٌ

وقال أبو العتاهية: (ديوان أبو العتاهية ٣٩٣)

وإن امرأ لم يرتجِ النَّاسُ نَفْعَهُ وَلَمْ يَأْمَنُوا مِنْهُ الْأَذَى لِلْكَئِيمِ

وإن امرأ لم يجعلِ البرَّ كَنْزَهُ وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ لَعَدِيمٌ

الآثار العملية في حياة المسلم :

روى أن عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فسلم وجلس ، ثم لم يلبث أن نهض فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى . فقال عمرو : يا أمير المؤمنين ، إنه أخذ بأخلاق أربعة وترك أخلاقا ثلاثة . إنه أخذ بأحسن البشر إذا لقي وبأحسن الحديث إذا حدث ، وبأحسن الاستماع إذا حدث ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وترك مزاح من لا يوثق بعقله ولا دينه ، وترك مجالسة لثام الناس ، وترك من الكلام كل ما يعتذر منه . (مداراة الناس لابن ابي الدنيا ١ / ٤٩)

كان شريح إذا مات لأهله سنور (حيوان أليف) أمر بها فألقيت في جوف داره ولم يكن لها مثعب شارع إلا في جوف داره اتقاء لأذى المسلم . (حليه الأولياء ٤ / ١٣٥)

كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، ونحو خمسمائة يكتبون -يعني يكتبون الحديث - والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت . (السير ١١ / ٣١٦)
ويقول أبو بكر بن المطوعي: اختلفت -يعني ترددت- إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ المسند على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه . (سير أعلام النبلاء ١١ / ٣١٦)

صحاب ابن المبارك رجلا سبىء الخلق في سفر فكان يحتمل منه، ويداريه، فلما فارقه بكى فقبل له في ذلك فقال: بكيته رحمة له، فارقته وخلقه معه لم يفارقه . (إحياء علوم الدين ٣ / ٥٧)

٧٤ - باب العلم والثناء والرفق

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران : ١٣٤] ،
وقال تَعَالَى : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف : ١٩٩] ،
وقال تَعَالَى : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت : ٣٤-٣٥] ،
وقال تَعَالَى : وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى : ٤٣] .

٦٣٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس : « إن فيك خصلتين يُحبهما الله : الحلم والآنأة » رواه مسلم .

٦٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله رفيق يُحب الرفق في الأمر كله » متفق عليه .

٦٣٤- وعن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله رفيق يُحب الرفق ، ويُعطي على الرفق ما لا يُعطي على العنف وما لا يُعطي على ما سواه » رواه مسلم .

٦٣٥- وعن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه » رواه مسلم .

٦٣٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال أعرابي في المسجد ، فقام الناس إليه ليَقَعُوا فِيهِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنْبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواه البخاري .

« السَّجَلُ » بفتح السين المهملة وإسكان الجيم : وَهِيَ الدُّلْوُ الْمُتَمَلِّئَةُ مَاءً ، كَذَلِكَ الذَّنْبُ .

٦٣٧- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا . وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا » متفق عليه .

٦٣٨- وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « مَنْ يُجْرِمِ الرَّفْقَ يُجْرِمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ » رواه مسلم .

٦٣٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أَوْصِنِي قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مَرَارًا ، قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » رواه البخاري .

٦٤٠- وعن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَةَ وَلِيُحَدِّدَ أَحَدَكُمْ شَفْرَتَهُ وَلِيُرِخَ ذَبِيحَتَهُ » رواه مسلم .

٦٤١- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : مَا خَيْرٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ

إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا ، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ . وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ ، إِلَّا أَنْ تُتْهَكَ حُرْمَةُ اللَّهِ ، فَيَنْتَقِمَ اللَّهُ تَعَالَى . مَتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٦٤٢- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَلَا أَخْبَرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ لِيِّنٍ سَهْلٍ » . رواه الترمذي وقال : حديثٌ حسنٌ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن . قال : أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولي حميم . عن مجاهد في قوله : ادفع بالتي هي أحسن قال : السلام أن تسلم عليه إذا لقيته عن عكرمة قال : الحميم ذو القرابة، والولي الصديق . عن قتادة في قوله : إلا ذو حظ عظيم قال : الجنة . عن أنس في قوله : وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم قال : الرجل يشتمه أخوه فيقول : إن كنت صادقاً يغفر الله لي وإن كنت كاذباً يغفر الله لك .

(تفسير الدر المنثور ١٣ / ١١٤ - ١١٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك وأن لا تباهي الناس بعبادة الله وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى . (حليه الأولياء ١ / ٧٥)

وقال ايضاً : تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم . (الزهد لاحمد ٩٩)

قال محمد بن علي رضوان الله عليهما : من حلم وقى عرضه ومن جادت كفه حسن ثناؤه ومن أصلح ماله استغنى ومن احتمل المكروه كثرة محاسنه ومن صبر حمد أمره ومنكظم غيظه فشا إحسانه ومن عفا عن الذنوب كثرت أياديه ومن أتقى الله كفاهما أهمه . (العقد الفريد ١ / ١٨١)

وسئل عرابة بن أوس : بم سدت قومك يا عرابة؟ قال : كنت أحلم عن جاهلهم وأعطي سائلهم وأسعى في حوائجهم، فمن فعل فعلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصر عني فأنا خير منه .

(الحلم لابن ابي الدنيا ٤٠)

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: نحن معشر قريش نعد الحلم والجود السؤدد ونعد العفاف وإصلاح المال المروءة. (الأداب الشرعية ٢/ ٢١٥)

وعن عروة بن الزبير قال: كان يقال: الرفق رأس الحكمة. (الزهد لاحمد ٤٤)

عن أبي الدرداء قال: لا تكلفوا الناس ما لم يكلفوا، ولا تحاسبوا الناس دون ربهم؛ ابن آدم، عليك نفسك، فإنه من تتبع ما يرى في الناس: يطل حزنه، ولا يشف غيظه. (حليه الأولياء ١/ ٢١١)

وعنه قال: من فقه الرجل: رفقه في معيشته. (حليه الأولياء ١/ ٢١١)

قال عثمان: بلغنا: أن رجلاً رأى أبا ذر رضي الله تعالى عنه، وهو يتبوء مكاناً؛ فقال له: ما تريد يا أبا ذر؟ فقال: أطلب موضعاً أنام فيه، نفسي هذه مطيتي، إن لم أرفق بها، لم تبلغني. (الحليه ١/ ١٦٥)

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: لا يبلغ العبد مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم. (الحلم لابن ابي الدنيا ٢٥-٢٦)

قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: خمس إذا أخطأ القاضي منهن خطة كانت فيه وصمة: أن يكون فهماً، حليماً، عفيفاً، صليماً عالماً سئولاً عن العلم. (صحيح البخاري ٦/ ٢٦١٩)

عن أبي عثمان الثقفي قال: كان لعمر بن عبد العزيز غلام يعمل على بغل له، يأتيه بدرهم كل يوم؛ فجاءه يوماً بدرهم ونصف، فقال: ما بدا لك؟ فقال: نفقت السوق؛ قال: لا، ولكنك أتعبت البغل، أرحه ثلاثة أيام. (حليه الأولياء ٥/ ٢٦٠)

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز أشهد أنك من الفاسقين فقال ليس تقبل شهادتك. (الإحياء ٣/ ١٧٨)

كان عمر بن عبد العزيز: إذا أراد أن يُعاقب رجلاً حبسه ثلاثاً، ثم عاقبه كراهية أن يعجل فيأول غضبه. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٣٣)

عن وهب بن منبه أنه قال لرجل من جلسائه: ألا أعلمك طباً لا يتعايا فيه الأطباء، وفقها لا يتعايا فيه الفقهاء، وحلماً لا يتعايا فيه الحلما؟ قال: بلى يا أبا عبد الله؛ قال: أما الطب الذي لا يتعايا فيه الأطباء: فلا تأكل طعاماً، إلا ما سميت الله على أوله، وحمدته على آخره؛ وأما الفقه الذي لا يتعايا فيه الفقهاء: فإن سئلت عن شيء عندك فيه علم، فأخبر بعلمك، وإلا فقل: لا أدري؛ وأما الحلم الذي لا يتعايا فيه

الحلماء: فأكثر الصمت، إلا أن تسأل عن شيء. (حليه الأولياء ٤/ ٣٥٩)

وقال وهب بن منبه: العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمته، والصبر أمير جنوده، والرفق أبوه، واللين اخوة. (الترغيب في فضائل الاعمال للحافظ بن شاهين ٢٥١)

قال وهب بن منبه: الرفق ثني الحلم. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٦)

قال الحسن البصري في تفسير قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان ٦٣) حلما إن جهل عليهم لم يجهلوا. (تفسير القرطبي ١٣/ ٦٩)

قال أيضًا: اطلبوا العلم وزينة بالوقار والحلم. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٨)

وعن الحسن قال: المؤمن حليم لا يجهل وإن جهل عليه حليم لا يظلم وإن ظلم غفر لا يقطع وإن قطع وصل لا يبخل وإن بخل عليه صبر. (الحلم لابن ابى الدنيا ٥٤-٥٥)

قال أبو عمرو بن العلاء: كان أهل الجاهلية لا يسودون إلا من كانت فيه ست خصال وتماها في الإسلام سابعة: السخاء والنجدة والصبر والحلم والبيان والحسب وفي الإسلام زيادة العفاف.

(الأداب الشرعية ٢/ ٢١٦)

قال سفيان لأصحابه: تدررون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور في مواضعها الشدة في موضعها واللين في موضعه والسيوف في موضعه والسوط في موضعه. (الإحياء ٣/ ١٨٦)

قال حبيب بن حجر القيسي: كان يقال: ما أحسن الإيثار يزينه العلم، وما أحسن العلم يزينه العمل، وما أحسن العمل يزينه الرفق. (عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ٣٩٦)

عن أحمد بن محمد بن غزوان الهراثي، قال: قال لي بشر بن الحارث سنة خمس وعشرين ومائتين: عليكم بالرفق، والاقتصاد في النفقة؛ فلأن تبيتوا جوعاً ولكم مال، أحب إلي من أن تبيتوا شباعاً وليس لكم مال. (حليه الأولياء ٨/ ٣٤٠)

وسأل أيضا عمرو بن الأهم: أي الرجال أشجع؟ قال من رد جهله بحلمه، قال فأبي الرجال أسخى؟ قال من بذل دنياه لصالح دينه. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٧٨)

قال يحيى بن أبي كثير: لا يعجبك حلم امرئ حتى يغضب ولا أمانته حتى يطمع فإنك لا تدري على أي شقيه يقع. (حليه الأولياء ٣/ ٦٩)

عن أبي سوار العدوي: أنه أقبل عليه رجل بالأذى، فسكت حتى إذا بلغ منزله، أو دخل قال: حسبك إن شئت. (حليه الأولياء ٢ / ٢٥٠)

قال معاوية بن قرة: مكتوبٌ في الحكمة: لا تجالس بحلمك السفهاء، ولا تجالس بسفهك الخُلماء. (الحلم لابن ابى الدنيا ٥٣)

قال عطاء بن أبي رباح: ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم. (سنن الدارمي ١ / ٤٧٠)

قال أكتثم بن صيفي: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر. (الحلم لابن ابى الدنيا ٢٧)

وعن قيس بن أبي حازم قال كان يقال: الرِّفقُ يُمن، والخرقُ شؤم. (الزهد لهناد السرى ٢ / ٦٥٤)

كان عبد الله بن عون لا يغضب، فإذا أغضبه رجل، قال: بارك الله فيك. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٣٦٦)

وقال الشعبي: زين العلم حلم أهله. (الأداب الشرعية لابن مفلح ٢ / ٤١)

عن رجاء بن حيوة قال: الحلم أرفع من العقل، لأن الله تسمى به. (حليه الأولياء ٥ / ١٧٢)

قال أبو رزين في قوله: (كُونُوا رَبَّانِيِّنَ) (آل عمران ٧٩) حلما علماء. (الحلم لابن ابى الدنيا ٢٣)

وعن رجاء بن أبي سلمة قال: الحِلْمُ خصلةٌ من خصال العقل. (الحلم لابن ابى الدنيا ٢١)

قال الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى: لست بحليم ولكنني أتحملم. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٩٢)

قال ابن حجر: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرِّفقَ إلا عجز وانقطع فيغلب. (فتح الباري ١ / ٩٤)

قال أبو حاتم: الواجب على العاقل لزوم الرِّفق في الأمور كلها، وترك العجلة والخفَّة فيها، إذ الله تعالى

يجب الرِّفق في الأمور كلها، ومن منع الرِّفق منع الخير، كما أنَّ من أعطي الرِّفق أعطي الخير، ولا يكاد

المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يجب، إلا بمقارنة الرِّفق

ومفارقة العجلة. (روضه العقلاء لابن حبان السبتى ٢١٥)

قال ابن القيم: من رفق بعباد الله رفق الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد

عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل

خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد

لخلقه. (الوابل الصيب ٣٥)

قال القاضي التنوخي: (ادب الدنيا والدين للهاوردى ١٨٢)

الْقَ العَدُوَّ بوجهِ لاقطوبَ به
يكاذُ يقطرُ من ماءِ البشاشاتِ
فأحزمُ النَّاسِ مَنْ يلقى أَعاديَه
في جسمٍ حَقيدٍ وثوبٍ مِنْ موداتِ
الرَّفْقُ يَمُنُّ وخيرُ القولِ أَصدقُه
وكثرةُ المَزحِ مَفْتاحُ العداواتِ
قال القِطامي عمرو بن شبيب: (تاريخ الاسلام للذهبي ١٣٧ / ٧)
قد يدركُ المتأنيُّ بعضَ حاجتِه
وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلُّ
وربَّما فات قومًا بعضُ أمرِهِم
مِن التَّأنيِّ وكان الحزْمُ لو عجلوا

الآثار العملية من حياة السلف :

بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من رعيته اشتكوا من عماله، فأمرهم أن يوافوه، فلما أتوه قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، آيتها الرعية إن لنا عليكم حقًا، النصيحة بالغيب، والمعاونة على الخير، آيتها الرعاة إن للرعية عليكم حقًا فاعلموا أنه لا شيء أحب إلى الله ولا أعز من حلم إمام ورفقه، ليس جهل أبغض إلى الله، ولا أغم من جهل إمام وخرقه، واعلموا أنه من يأخذ بالعافية فيمن بين ظهريه يرزق العافية ممن هو دونه. (تاريخ الطبري ٤ / ٢٢٤)

عن أبي قلابة: أن رجلاً دخل على سلمان وهو يعجن؛ فقال: ما هذا؟ فقال: بعثنا الخادم في عمل أو قال: في صنعة فكرهنا أن نجتمع عليه عملين أو قال: صنعتين ثم قال: فلان يقرئك السلام؛ قال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا؛ قال: فقال: أما إنك لو لم تؤدها، كانت أمانة لم تؤدها. (الحليه ١ / ٢٠١)

قال عبد الله بن عباس لرجل سبه: يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضها؟ فنكس الرجل رأسه واستحى مما رأى من حلمه عليه. (إحياء علوم الدين ١ / ٢٢٩)

شتم رجل أبا ذر رضي الله عنه فقال: يا هذا لا تُغرق في شتمنا ودع للصُّلح مَوْضعًا، فإنَّنا لا نكافئ مَنْ عصى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله فيه. (حلية الأولياء ٥ / ١١٣)

قال رجل لعمر بن العاص رضي الله عنه: والله لا تفرغن لك قال: هنالك وقعت في الشغل، قال: كأنك تهدني والله لئن قلت لي كلمة لا قولن لك عشرًا، فقال عمرو: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة. (العقد الفريد ٢ / ٢٧٥)

عن أبي المتوكل: أن أبا هريرة كانت له زنجية قد غمتمهم بعملها فرفع عليها السوط يوماً فقال: لولا القصاص لأغشيك به ولكني سأبيحك ممن يوفيني ثمنك إذهي، فأنت لله. (حلية الأولياء ١ / ٣٨٤)

عن معاوية بن أبي سفيان: أنه خطب الناس وقد حبس العطاء شهرين أو ثلاثة فقال له أبو مسلم: يا معاوية إن هذا المال ليس بك ولا مال أبيك ولا مال أمك فأشار معاوية إلى الناس أن امكثوا ونزل فاغتسل ثم رجع فقال: أيها الناس إن أبا مسلم ذكر أن هذا المال ليس بهالي ولا بهال أبي ولا أمي وصدق أبو مسلم إنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الغضب من الشيطان، والشيطان من النار والماء يطفىء النار فإذا غضب أحدكم فليغتسل أغدوا على عطاياكم على بركة الله عز وجل.

(حليه الأولياء ١٧٩/٥)

كان الرجل يقول لمعاوية رضي الله عنه: والله لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لنقومنك، فيقول: بماذا؟ فيقولون بالخشب، فيقول إذا أستقيم. (تاريخ دمشق ١٨٤/٥٩)

وأسمع رجل عمر بن عبد العزيز بعض ما يكرة، فقال: لا عليك، إنما أردت أن يستفزني الشيطان بعزة السلطان، فأنا منك اليوم ما تناله مني غداً، انصرف إذا شئت. (العقد الفريد ٢/٢٧٩)

قال إبراهيم بن سعيد الجوهري: وقف رجل بين يدي المأمون قد جنى جناية، فقال له والله لأقتلنك فقال الرجل يا أمير المؤمنين تأن على فإن الرفق نصف العفو قال: فكيف وقد حلفت لأقتلنك؟ قال: يا أمير المؤمنين لان تلقى الله حائنا خير لك من أن تلقاه قاتلا فحلى سبيلا. (تاريخ الخلفاء ٢٥١)

عن أزهر قال: جاء غلام لعبد الله بن عون؛ قال: فقأت عين الناقة؛ قال: بارك الله فيك؛ قال: قلت: فقأت عينها، فتقول بارك الله فيك؛ قال: أقول: أنت حر لوجه. (حليه الأولياء ٣/٣٩)

يقول نوح بن حبيب: كنت عند ابن المبارك فألحوا عليه، فقال: هاتوا كتبكم حتى أقرأ، فجعلوا يرمون إليه الكتب من قريب ومن بعيد، وكان رجلاً من أهل الري يسمع كتاب الاستئذان، فرمى بكتابه فأصاب صلعة ابن المبارك حرف كتابه، فانشق وسال الدم، فجعل ابن المبارك يعالج الدم حتى سكن، ثم قال: سبحان الله! كاد أن يكون قتال، ثم بدأ بكتاب الرجل فقرأه. (شعب الإيمان للبيهقي ٨٣٢٠)

ودخل نصر بن عليّ على المتوكل الخليفة العباسي، فإذا هو يمدح الرفق فأكثر، فقال له: يا أمير المؤمنين أنشدني الأصمعي :

لم أر مثل الرفق في لينه أخرج العذارء من خدرها

من يستعن بالرفق في أمره يستخرج الحية من جحرها

فقال: يا غلام، الدواة والقرطاس يعني: أعجبتة هذه الفائدة. (سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٣٤)

٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ [الأعراف: ١٩٩]، وقال تَعَالَى: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ [الحجر: ٨٥]، وقال تَعَالَى: وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ [النور: ٢٢]، وقال تَعَالَى: وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٣٤]، وقال تَعَالَى: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى: ٤٣] والآيات في الباب كثيرة معلومة .

٦٤٣- وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ؟ قال: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكَ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلِ ابْنِ عَبْدِ كَلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَأَنْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَتَنَزَّرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلِكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ: إِنَّ شِئْتَ: أَطَبَقْتُ عَلَيْهِمُ الْأَحْشَبِينَ» فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» متفقٌ عليه «الأحشبان»: الجبلان المحيطان بمكة.. والأحشَبُ: هو الجبل الغليظ .

٦٤٤- وعن عائشة قالت: ما ضَرَبَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَتَّقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُتَّهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَى: فَيَتَّقِمَ اللهُ تَعَالَى. رواه مسلم .

٦٤٥- وعن أنس رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبَذَةً شَدِيدَةً، فَتَنَزَّرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ

النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرَّدَائِ مِنْ شِدَّةِ جَبْدَتِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ مُرِّي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ . فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ . متفقٌ عليه .

٦٤٦- وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدَمَوْهُ ، وَهُوَ يَمَسُحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، ويقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » متفقٌ عليه .

٦٤٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن علي بن أبي طالب في قوله : فاصفح الصفح الجميل . قال : الرضا بغير عتاب . مجاهد في قوله : فاصفح الصفح الجميل قال : هذا قبل القتال . (تفسير الدر المنثور)

عن الضحاك في قوله : فاصفح الصفح الجميل . فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون . وأعرض عن المشركين . قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله . وهذا النحو كله في القرآن أمر الله به نبيه صلى الله عليه وسلم أن يكون ذلك منه ، حتى أمره بالقتال ، فنسخ ذلك كله . فقال . وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد . (تفسير الطبري ١٧/١٢٨)

عن أبي ماجد الحنفي قال : رأيت عبد الله أتاه رجل برجل نشوان ، فأقام عليه الحد ، ثم قال للرجل الذي جاء به : ما أنت منه؟ قال : عمه ، قال : ما أحسنت الأدب ولا سترت : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم الآية ثم قال عبد الله : إني لأذكر أول رجل قطعته النبي صلى الله عليه وسلم؛ أتى برجل فلما أمر به ليقطع يده كأنها سف وجهه رمادا ، فقيل : يا رسول الله ، كأن هذا شق عليك . قال : لا ينبغي أن تكونوا للشيطان عوناً على أخيكم ، فإنه لا ينبغي للحاكم إذا انتهى إليه حد إلا أن يقيمه وإن الله عفو يحب العفو . ثم قرأ : وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم . (تفسير الدر المنثور ١٠/٧٠٧)

(ولا يأتل) أي : ولا يحلف . أولو الفضل منكم والسعة (يعني أبا بكر الصديق) أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله . يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر ، حلف

أبو بكر أن لا ينفق عليه ، وليعفوا وليصفحوا . عنهم خوضهم في أمر عائشة . ألا تحبون . يخاطب أبا بكر . أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم . فلما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال : بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ، ورجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا . وقال ابن عباس والضحاك : أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينفعوه ، فأنزل الله هذه الآية . (تفسير البغوي ٢٧ / ٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي رضي الله عنه إن أول ما عوض الحليم من حلمه أن الناس كلهم أعوانه على الجاهل .
(إحياء علوم الدين ٣١٠ / ٤)

قال علي بن أبي طالب : إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدره عليه . (المستطرف ٤٠٦ / ١)
قال ابن عيينة : سئل علي رضي الله عنه عن قول الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل ٩٠)
فقال : العدل : الإنصاف والإحسان : التفضل . (حلية الأولياء ٧ / ٢٩١)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : خمساً لمن أحسن من الدهم الموقفة (العدد الكثير من الابل او الخيل) : لا تكلم فيما لا يعينك ، فإنه فضل ، ولا آمن عليك الوزر ، ولا تتكلم فيما يعينك حتى تجده له موضعاً ، فإنه رب متكلم في أمر يعنيه ، قد وضعه في غير موضعه فعنت ، ولا تمار حليماً ولا سفيهاً فإن الحليم يقلبك ، وإن السفيه يؤذيك ، واذكر أخاك إذا تغيب عنك مما تحب أن يذكرك به واعفه عما تحب أن يعفبك منه ، واعمل عمل رجل يرى أنه مجازى بالإحسان ، مأخوذ بالإجرام .

(الصمت وادب اللسان حديث رقم ١١٣)

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه : أنه قام يوم مات المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فحمد الله وأثنى عليه وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له ، والوقار والسكينة ، حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن ، ثم قال : استعفوا لأمركم ، فإنه كان يجب العفو . ثم قال : أما بعد ، فإني أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ، قلت : أبايعك على الإسلام ، فشرط علي (والنصح لكل مسلم) . فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم ، ثم استغفر ونزل . (البخاري ص ٥٨ - رقم ٢٧٠٤)

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال أبو ذر لغلومه : لم أرسلت الشاة على علف الفرس أي تأكل من طعام الفرس؟ قال : أردت أن أغيظك قال أبو ذر : لأجمعن مع الغيظ أجراً ، أنت حرٌّ لوجه الله

تعالى. (المستطرف للابشيهي ٢٠١)

قال معاوية رضي الله عنه: عليكم بالحلم والاحتمال حتى تتمكنكم الفرصة فإذا أمكتكم فعليكم بالصفح

والافضال. (إحياء علوم الدين ٣ / ١٨٤)

وقيل لأبي الدرداء رضي الله عنه: من اعز الناس؟ فقال: الذين يعفون إذا قدروا فاعفوا يعزكم الله

تعالى. (نهاية الارب للنويري ٥٨ / ٦)

عن علي بن الحسين قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ليقم أهل الفضل فيقوم ناس من الناس فيقال

انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين فيقولون الى الجنة قالوا قبل الحساب قالوا نعم قالوا

من أنتم قالوا أهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا

أسى علينا غفرنا قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين ثم يناد مناد ليقم أهل الصبر فيقوم ناس من

الناس فيقال لهم انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال له مثل ذلك فيقولون نحن أهل الصبر قالوا ما

كان صبركم قالوا صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معصية الله عز وجل قالوا ادخلوا الجنة

فنعم أجر العاملين ثم ينادي مناد ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل فيقال لهم

انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك قالوا وبما جاورتهم الله في داره قالوا كنا نتزاور في

الله عز وجل وتجالس في الله وتبازل في الله قالوا ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين. (الحليه ٣ / ١٣٩ رقم ٣٦٦٩)

عن الحسن قال: أفضل أخلاق المؤمن العفو. (الأداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٧١)

وقرأ الحسن البصري: هذه الآية (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل ٩٠) ثُمَّ وَقَفَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ

جَمَعَ لَكُمْ الْخَيْرَ كُلَّهُ وَالشَّرَّ كُلَّهُ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، فَوَاللَّهِ مَا تَرَكَ الْعَدْلَ وَالْإِحْسَانَ شَيْئًا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

إِلَّا جَمَعَهُ، وَلَا تَرَكَ الْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ وَالْبَغْيَ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْئًا إِلَّا جَمَعَهُ. (حليه الأولياء ٢ / ١٥٨)

قال الأحنف بن قيس: إياكم ورأي الأوغاد قالوا وما رأي الأوغاد؟ قال الذين يرون الصفح والعفو

عازًا. (المستطرف للابشيهي ١ / ٤١٩)

وعن عمر بن عبد العزيز قال: أحبُّ الأمور إلى الله ثلاثة: العفو في القدرة، والقصد في الجدة، والرفق في

العبادة، وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة. (روضه العقلاء ١٦٧)

قال الفضيل بن عياض: إذا أتاك رجل يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي اعف عنه فإن العفو أقرب

للتقوى فإن قال لا يحتمل قلبي العفو، ولكن أنتصر كما أمرني الله عز وجل قل فإن كنت تحسن تتنصر مثلاً بمثل وإلا فارجع إلى باب العفو فإنه باب أوسع فإنه من عفا وأصلح فأجره على الله، وصاحب

العفو: ينام الليل على فراشه وصاحب الانتصار: يقلب الأمور. (حليه الأولياء ٨ / ١١٢)

قال وهب بن كيسان سمعت عبد الله بن الزبير يقول على المنبر: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (الأعراف ١٩٩) قال: والله ما أمر بها أن تؤخذ إلا من أخلاق الناس، والله لا أخذنا منهم ما

صحبتهم. (الأدب المفرد للبخارى ٢٤٤)

عن خيثمة قال: كان قوم يؤذونه فقال: إن هؤلاء يؤذونني ولا والله ما طلبني أحد منهم بحاجة إلا قضيتها ولا أدخل على أحد منهم أذى فقابلته به ولأنا أبغض فيهم من الكلب الأسود؛ ولم يرون ذلك،

إلا أنه والله، لا يجب منافق مؤمناً أبداً. (حليه الأولياء ٤ / ١١٦)

قال ابن حبان: توطين نفسه على لزوم العفو عن الناس كافة، وترك الخروج لمجازاة الإساءة؛ إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان ولا سبب لنهاء الإساءة وتبييها أشد من الاستعمال

بمثلها. (روضه العقلاء، ١٣١)

قال هشام: كان أبو السوار يعرض له الرجل فيشتمه فيقول: إن كنت كما قلت إني إذا لرجل سوء.

(سير اعلام النبلاء ١١ / ٣٥١)

قال إبراهيم بن ادهم: كان قتادة يقول: أفضل الناس: أعظمهم عند الناس عفواً، وأسفهم له صدرأ. (حليه الأولياء ٨ / ٥٤)

قال سعيد بن المسيب: ما من شيء إلا والله يجب أن يعفى عنه ما لم يكن حدًا. (رواة مالك ٢ / ٨٤٣)

وقال إبراهيم النخعي: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا، وكانوا إذا قدروا عفوا. (ابن كثير ٧ / ٢١٠)

قال أيوب: لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس والتجاوز عنهم.

(روضه العقلاء ١٦٧)

قال جعفر الصادق: لأن أندم على العفو عشرين مرة أحب إلي من أندم على العقوبة مرة واحدة.

(أدب المجالسه ١١٦)

وقال المنصور لولده المهدي: لذة العفو أطيب من لذة التشفى. (نهايه الارب للنويرى ٦ / ٥٩)

وأسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال: إياك أعني فقال له: وعنك أعرض. (أدب الدنيا والدين ٢٥٣)
يقول ابن تيمية: ما جزيت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. (مجموع الفتاوى ٣/ ٢٤٥)
قال ابن القيم: مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبده. (حادي الارواح ٦٦)
وقال أيضاً: فإن الإحسان يفرح القلب ويشرح الصدر ويجلب النعم ويدفع النقم وتركه يوجب الضيم
والضيق ويمنع وصول النعم إليه فالجبن ترك الإحسان بالبدن والبخل ترك الإحسان بالمال.
(طريق الهجرتين ٤٦٠)

وقال ايضاً: ومن منازل إياك نعبد وإياك نستعين منزلة الإحسان وهي لب الإيثار وروحه وكماله وهذه
المنزلة تجمع جميع المنازل فجميعها منظوية فيها وكل ما قيل من أول الكتاب إلى هاهنا فهو من
الإحسان. (مدارج السالكين ٣/ ٣١٩)

قال الإمام الشافعي: (ديوان الشافعي ٩٠)

إذا سبني نذلٌ تزايدتُ رفعةً وما العيبُ إلا أن أكون مسابيه

ولو لم تكن نفسي عليّ عزيزةً لمكنتها من كل نذلٍ تحاربه

الآثار العملية في حياة السلف:

كان ابوبكر الصديق رضي الله عنه: ينفق على مسطح بن أثاثة لصلته قرابة منه وفقره وكان مسطح من
الذين خاضوا في حادث الإفك، وتكلم في عرض عائشة رضي الله عنها (الطاهرة المبرئة) فقال والله لا
أنفق على مسطح شيئاً بعد ما قال لعائشة فأنزل الله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا
أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ) (النور ٢٢) فقال أبو بكر بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان
يجري عليه وقال: والله لا انزعها منه أبداً. (البخارى رقم ٣٩١٠ ص ١٥٢١)

وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاماً فابتاع، ثم طلب الدراهم وكانت في عمامته فوجدتها قد
حلت، فقال: لقد جلست وإنما لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللهم اقطع يد السارق
الذي أخذها، اللهم افعل به كذا، فقال عبد الله: اللهم إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن
كان حملته جراءة على الذنب فاجعله آخر ذنوبه. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٨٤)

عن مصعب بن الزبير أنه لما ولي العراق، جلس يوماً لعطاء الجند، وأمر مناديه فنادى، أين عمرو بن

جرموز؟ وهو الذي قتل أباه الزبير، فقيل له: أيها الأمير، إنه قد تباعد في الأرض. فقال: أويظن الجاهل أني أقيده أبي عبد الله؟ فليظهر آمنًا ليأخذ عطاءه موفراً. (ادب الدنيا والدين ٣١١)

عن علي بن الحسين: أن رجلا سبه فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم وإسقاط الأذى وتخليص الرجل مما يبغده عن الله عز وجل وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى مدح بعدالذم، اشترى جميع ذلك بشيء من الدنيا يسير. (الإحياء ٤ / ٣١٠)

قال الحسن بن علي: لو أن رجلاً شتمني في أذني هذه واعتذر في أذني الأخرى لقبيلتُ عذرَه. (الأدب الشرعي ١ / ٣٠٢)

وشتم رجل الحسن وأرى عليه فقال له: أما أنت فما أبقيت شيئاً وما يعلم الله أكثر. (عيون الاخبار ١ / ٢٨٥)

وشتم رجل الأحنف وجعل يتبعه حتى بلغ حيةً فقال الأحنف: يا هذا إن كان بقي في نفسك شيء فهاته وانصرف؛ لا يسمعك بعض سفهائنا فتلقى ما تكره. (عيون الأخبار ١ / ٤٠٢)

واكثر رجل من سب الأحنف وهو لا يجيبه فقال الساب: والله ما منع الأحنف من جوابي إلا هواني عليه. (أدب الدنيا والدين ٢٥٣)

عن الأصمعي قال: أتى المنصور برجل يعاقبه، فقال: يا أمير المؤمنين، الانتقام عدلٌ، والتجاوز فضلٌ، ونحن نعيد أمير المؤمنين بالله أن يرضى لنفسه بأوكس النصيبين دون أن يبلغ أرفع الدرجتين. فعفا عنه. (المجالسه وجواهر العلم ٧ / ٢٠٧)

وأتي عبد الملك بن مروان بأسارى ابن الأشعث، فقال لرجاء بن حيوة: ماذا ترى؟ قال: إن الله تعالى قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو، فعفا عنهم. (ادب الدنيا والدين ٢٦٠)

الفضل بن الربيع زور رجل ورقة عن خط الفضل بن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل، فلما وقف الوكيل عليها لم يشك أنها خط الفضل، فشرع في أن يزن له الألف دينار، وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع وكيله في تلك الساعة في أمر مهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل، وأوقفه على الورقة؛ فنظر الفضل فيها ثم نظر في وجه الرجل فرآه كاد يموت من الوجع والحجل، فأطرق الفضل بوجهه، ثم قال للوكيل أتدري لم أتيتك في هذا الوقت؟ قال لا قال جئت أستنهضك حتى تعجل لهذا الرجل إعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة، فأسرع عند ذلك الوكيل في وزن

المال وناوله الرجل فقبضه وصار متحيراً في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طِبْ نفساً وامض إلى سبيلك آمناً على نفسك، فقَبَّلَ الرجل يده وقال له سترتني سترك الله في الدنيا والآخرة، ثم أخذ المال ومضى. (ثمرات الاوراق للحموى ١/ ١٨٢)

ويحكى عن عنان بن خريم أنه دخل على المنصور وقد قدَّم بين يديه جماعة كانوا قد خرجوا عليه ليقتلهم فقال أحدهم: يا أمير المؤمنين مَنْ انتقم فقد شَفَى غِيظَه وأخذ حَقَّه وَمَنْ شَفَى غِيظَه وأخذ حَقَّه لم يجب شُكْرُه ولم يُحْسَن في العالمين ذكْرُه وَإِنَّكَ إِنْ انتقمْتَ فقد انتصفت وإذا عفوت فقد تفضَّلت على أَنْ إقالتك عِثارُ عباد الله موجبة لإقالتة عثرتك وعفوك عنهم موصولٌ بعفوه عنك، فقَبَّلَ قوله، وعفا عنهم. (غرر الخصاص الواضحة ٥٠٣)

ميمون بن مهران، جاءت جارية ميمون بن مهران ذات يوم بصَفْحَة وعاء فيها مرقة حارة وعنده أضياف، فعثرت، فصبت المرقة عليه فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يا مولاي استعمل قول الله تعالى: (وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ) قال لها: قد فعلت فقالت: اعمل بما بعده (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ) فقال: قد عفوت عنك، فقالت الجارية: (وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) قال ميمون: قد أحسنت إليك، فأنت حرة لوجه الله تعالى. (تفسير القرطبي ٤/ ٢٠٧)

٧٦- باب اهتمام الأذى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ [آل عمران: ١٣٤] ، وقال تَعَالَى: وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ [الشورى: ٤٣] ، وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

٦٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابةً أصلهم وَيَقْطَعُونِي ، وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ ، فقال: « لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسَفِّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ » رواه مسلم . وقد سَبَقَ شَرْحُهُ في « باب صلة الأرحام » .

الأثار الواردة في الآيات القرآنية: سبق بيانها قبل ذلك :

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال رجل لأبي بكر الصديق رضى الله عنه : والله لأسبئك سباً يدخل معك قبرك فقال أبو بكر: بل يدخل معك لا معي. (أدب الحوار ص ٢٩)

وسب رجل أبا بكر رضى الله عنه فقال ما ستر الله عنك أكثر. (إحياء علوم الدين ٣ / ١٧١)

قال عمر بن الخطاب : من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يشاء ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون. (إحياء علوم الدين ٣ / ١٧٦)

قال عمر بن الخطاب: إذا سمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك. (العقد الفريد ١ / ١٨٠)

قال حذيفة بن اليمان : ربّ فاجر في دينه، أخرج في معيشته، يدخل الجنة بسماحته. (التذكرة الحمدونية ١ / ٢٢٥)

قال عمر بن عبد العزيز: قد أفلح من عصم من المرء، والغضب، والطمع. (الحليه ٥ / ٢٩٠)

قال مورك العجلي: إني لقليل الغضب، ولقلما غضبت، فأقول في غضبي شيئاً، ندمت عليه إذا رضيت؛

فقال رجل: إني أشكو إليك قسوة قلبي، لا أستطيع الصوم، ولا أصلي؛ فقال له مورك: إن ضعفت عن

الخير، فاضعف عن الشر؛ فإني أفرح بالنومة أنامها. (حليه الأولياء ٢ / ٢٣٥)

وقال ايضاً: تعلمت الصمت في عشر سنين وما قلت شيئاً قط إذا غضبت أندم عليه إذا ذهب عني

الغضب. (حليه الأولياء ٢ / ٢٣٥)

قال بشر بن الحارث : اذا اراد الله ان يُتحف (اى يعطيه هديه) العبد سلط عليه من يؤذيه .

(شعب الايمان للبيهقي ٣ / ٤٢٣)

وقال بشر بن الحارث : من لم يتحمل الفم والاذى لم يدخل فيما يُحِب. (شعب الايمان ٣ / ٤٢٣)

قال سفيان الثوري : لا يذوق العبد حلاوة الايمان حتى يأتيه البلاء من كل مكان. (تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٢٩٣)

وقال سفيان الثوري : لا خير فيمن لا يُؤذى . (تهذيب تاريخ دمشق ٣ / ٢٩٣)

عن عبد الله بن عون أنه كان لا يغضب فإذا أغضبه الرجل قال: بارك الله فيك. (الحليه ٣ / ٣٩)

قال الشافعي: من استغضب فلم يغضب: فهو حمار ومن غضب فاسترضي، فلم يرضى: فهو

حمار. (حليه الأولياء ٩ / ١٤٣)

قال بكر بن عبد الله: لا يكون الرجل تقياً، حتى يكون بطيء الطمع، بطيء الغضب. (الحليه ٢ / ٢٢٥)

قال سلمان لما سُتِم: إن خفت موازيني فأنا شر مما تقول وإن ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول.

(إحياء علوم الدين ٣/ ١٧١)

قال وهب: احتمال الذل خير من انتصار يزيد صاحبه قمأة (حقارة وذل). (سير أعلام النبلاء ٨/ ١٢٥)

قال هشام بن عروة: قال أبي: رُب كلمة ذُل احتملتها أورثتني عزًا طويلاً. (البداية والنهاية ٩/ ١٠٣)

قال الغزالي: حسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن، ترحماً عليهن، لقصور عقولهن قال الله تعالى:

(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ): وقال في تعظيم حقهن: (وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا) (النساء ٢١)

وقال تعالى: (وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ) (النساء ٣٦)، قيل: هي المرأة. ثم قال: واعلم أنه ليس حسن الخلق

معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها، اقتداء برسول الله صَلَّى اللهُ

عليه وسلّم، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل، وراجعت امرأة

عمرَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: أتراجعيني؟ فقالت: إن أزواج رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلّم يراجعنه،

وهو خير منك. (إحياء علوم الدين - كتاب اداب النكاح - الباب الثالث ص ٥٥)

قال الغزالي: واعلم أنه ليس حق الجوارح كف الأذى فقط بل احتمال الأذى فإن الجارح أيضاً قد كف أذاه

فليس في ذلك قضاء حق ولا يكفي احتمال الأذى بل لابد من الرفق وإسداء الخير والمعروف إذ يقال إن

الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة فيقول يا رب سل هذا لم منعني معرفه وسد بابه دوني .

(إحياء علوم الدين ٢/ ٢١٣)

قال ابن تيمية: المهجر الجميل هجر بلا أذى و الصفح الجميل صفح بلا عتاب و الصبر الجميل صبر بلا

شكوى. (الفتاوى جزء ١٠)

وقال ابن تيمية: وقد يُهجر الرَّجُل عقوبةً وتعزيراً، والمقصود بذلك ردعه وردع أمثاله، للرحمة

والإحسان، لا للشفى والانتقام. (منهاج السنه النبويه لابن تيميه ٥/ ٢٣٩)

قال ابن القيم: وفي الصفح والعفو والحلم من الحلاوة والطمأنينة والسكينة، وشرف النفس وعزها

ورفعتها عن تشفيها بالانتقام ما ليس شئ منه في المقابلة والانتقام. (مدارج السالكين ٢/ ٣١٩)

وقال أيضاً: فما انتقم أحدٌ لنفسه قطُّ إلا أعقبه ذلك ندامة. (مدارج السالكين ٢/ ٣٠٣)

قال العَرَجِيُّ: (الكشف والبيان للثعلبي ٣/ ١٦٦)

وإذا غَضِبْتَ فكن وقوراً كاظماً للغیظ تُبصر ما تقول وتسمعُ

فكفَى به شرفاً تصبّر ساعة يَرْضَى بها عنك الإله وتُرفعُ

الآثار العملية في حياة المسلم :

قال مالك بن أوس غضب عمر على رجل وأمر بضربه فقلت يا أمير المؤمنين (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فكان عمر يقول (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) فكان يتأمل في الآية وكان وقافاً عند كتاب الله مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلي الرجل. (الإحياء / ١٧١)

تضجر عمر بن عبد العزيز من كلام رجل، فقال شرطي على رأسه: قم فقد أذيت أمير المؤمنين؛ فقال عمر: أنت والله أشد أذى بكلامك هذا منه. (ربيع الأبرار للزمخشري ١/ ٩٦)

قام عمر بن عبد العزيز يصلي الليل في مسجد بني أمية، وكان السراج قد انطفأ، فاصطدمت قدماه برجل نائم فقام النائم وقال: أحمار الذي وطأني؟ قال عمر: لا أنا عمر بن عبد العزيز ولست حماراً. (سيرة عمر لابن الجوزي ٢٠٨)

وأمر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرأ قوله تعالى (والكاظمين الغيظ) فقال لغلامه خل عنه. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٧١)

قال سفيان الثوري: كان ابن عياش التتوف يقع في عمر بن ذر ويشتمه، فلقيه عمر فقال: يا هذا لا تفرط في شتمنا، وأبق للصالح موضعاً فإننا لا نكافئ من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه. (سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٨٩)

قالت امرأة عبد الله بن مطيع له: ما رأيت ألام من أصحابك إذا أيسرت لزموك وإن أعسرت تركوك فقال: هذا من كرمهم يغشوننا في حال القوة منا عليهم، ويفارقوننا في حال العجز منا عنهم. (الصدّاقه والصدّيق لابوحيان التوحيدى ١/ ٤٢)

شتم رجل الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ما تقول وإن لم أقطعها فأنا شر مما تقول. (إحياء علوم الدين ٣/ ١٧١)

زاحم رجل سالم بن عبد الله في الطواف وضيق عليه ثم قال له: أنت رجل سوء فقال سالم: ما عرفني إلا أنت!. (العقد الفريد لابن عبدربه ٢/ ٢٣٧)

عن أبي رزين قال: جاء رجل إلى الفضيل بن بزّوان، فقال: إن فلاناً يقع فيك. فقال: لأغيظنّ من أمره، يغفر الله لي وله. قيل: من أمره؟ قال: الشيطان. (الزهد لابن المبارك ١/ ٢٣٤)

**٧٧- باب الغضب إذا انتهكت حرمت الشرع
والانتصار لدين الله تعالى**

قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ [الحج : ٣٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : إِنْ تَنَصَّرُوا لِلَّهِ يُنْصِرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [محمد : ٧] .

٦٤٩- وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدرى رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا ، فَمَا رَأَيْتَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ ، فَقَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ مِنْكُمْ مُتَفَرِّقِينَ . فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ ، فَإِنَّ مِنْ ورائِهِ الْكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الْحَاجَّةِ « متفق عليه .

٦٥٠- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَفَرٍ ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَائِيلٌ ، فَلَمَّا رَأَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَتَكَهُ وَتَلَوْنَ وَجْهَهُ وَقَالَ : « يَا عَائِشَةُ : أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ » متفق عليه « السَّهْوَةُ » : كَالصَّفَةِ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْبَيْتِ وَ « الْقِرَامِ » بِكسر القاف : ستر رقيق ، وَ « هتكه » : أَفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتِي فِيهِ .

٦٥١- وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ قَرِيشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ فَقَالُوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالُوا : مَنْ يَجْتَرِيءُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ تَعَالَى ؟ » ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ ثُمَّ قَالَ : « إِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِكُمْ أَتَّهَمُ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِنَّمَا اللهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا » متفق عليه

٦٥٢- وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى نُخَامَةً فِي الْقِبْلَةِ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ فَحَكَهُ بِيَدِهِ فَقَالَ : « إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ » ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَقَالَ : « أَوْ يَفْعَلُ هَكَذَا » متفق عليه .

والأمر بالبصاق عن يساره أو تحت قدمه هو فيما إذا كان في غير المسجد ، فأما في المسجد فلا يبصق إلا في ثوبه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال مجاهد في قوله : ذلك ومن يعظم حرمات الله . قال : الحرمه : مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها. (تفسير الطبرى ١٨ / ٦١٨)

قال ابن مسعود: في تفسير قوله تعالى (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم) لو أن رجلا أراد بإلحاد فيه بظلم وهو بعدن أبين لأذاه الله من العذاب الأليم. (أضواء البيان ٥ / ٩٥)

عن قتادة : إن تنصروا الله ينصركم قال : حق على الله أن يعطي من سأله وأن ينصر من نصره. (تفسير الدر المنثور ١٣ / ٣٦١)

قال قطرب: إن تنصروا نبي الله ينصركم ويثبت أقدامكم أي : عند القتال وتثبيت الأقدام عبارة عن النصر والمعونة في مواطن الحرب وقيل: على الإسلام وقيل: على الصراط. (فتح القدير ١ / ١٣٧٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر رضي الله عنه لسلمان الفارسي وقد طلب منه الوصيّة: يا سلمان اتق الله واعلم أنه سيكون فتوح فلا عرفنّ ما كان حظك منها ما جعلته في بطنك أو القيته على ظهرك واعلم أنه من صلّى الخمس فإنه يصبح في ذمّة الله ويمسي في ذمّة الله فلا تقتلنّ أحدا من أهل ذمّة الله فتخفر الله في ذمته فيكبك الله في النار على وجهك. (تاريخ الخلفاء الراشدين ٩٦٩٥)

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه: يا أهل مكّة، اتقوا الله في حرمكم هذا. أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كان فيه بنو فلان فأحلّوا حرمة فهلكوا، وبنو فلان فأحلّوا حرمة فهلكوا حتّى عدّ ما شاء الله، ثمّ قال: والله لأنّ أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أن أعمل واحدة بمكّة.

(شعب الإيمان للبيهقي ٧ / ٥٦٧)

عن أبي بن كعب: ما من عبد ترك شيئا لله إلا أبدله الله به ما هو خير منه من حيث لا يحتسب، ولا تهاون به عبد فأخذ من حيث لا يصلح إلا أتاه الله بما هو أشد عليه. (الزهد لوكيع ٢ / ٦٣٥)

قال ابن الجوزي: بقدر إجلال العبد لله يجعله الله عز وجل وبقدر تعظيمه قدره واحترامه يعظم قدر العبد

وحرمته. وكم من رجل أنفق عمره في العلم حتى كبرت سنه، ثم تعدى الحدود فهان عند الخلق، ولم يلتفتوا إليه مع غزارة علمه وقوة مجاهدته، وأما من راقب الله عز وجل في صботه. فقد يكون قاصر الباع بالنسبة للصنف الأول، ومع ذلك عظم الله قدره في القلوب حتى علقتة النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير. (صيد الخاطر ١٩٤)

قال يحيى بن معاذ الرازي: عجبت من ذي عقل يقول في دعائه: اللهم لا تشمت بي الأعداء، ثم هو يشمت بنفسه كل عدو له قيل: وكيف ذلك؟ قال: يعصي الله ويشمت به في القيامة كل عدو. (الداء والدواء ٦٠)

قال القاضي أبو يعلى: إن بغى البغاة على أهل العدل قاتلهم على بغيهم إذا لم يمكن ردهم عن البغي إلا بالقتال لأن قتال أهل البغي من حقوق الله التي لا يجوز أن تضاع فكونها محفوظة في حرمة الله أولى من أن تكون مضاعة فيه. (الأحكام السلطانية ١٩٣ - ١٩٤)

ما جاء عن الإمام مالك قال: دخلت على المنصور - يعني على أبي جعفر المنصور - وكان يدخل عليه الهاشميون، فيقبلون يده ورجله، قال مالك: عصمني الله من ذلك. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٦٧)

يقول الشاعر الصوفي محمد بن عبد الله سعاد:

لَمَّا رَأَيْتُ إِلَى أَنْوَارٍ سَطَعَتْ وَضَعْتُ
خَوْفًا عَلَى بَصَرٍ مِنْ حَسَنِ صَوْرَتِهِ
رُوحٌ مِنْ التَّوْرَةِ فِي جَسْمٍ مِنَ الْقَمَرِ
فَقُلْتُ هَذَا الَّذِي قَدْ حَازَ أَفْضَلَ مَا
حَمَدْتُ مُوَلَايَ فِي رُؤْيَاكَ يَا أَمَلِي
هَذَا الْمَنَى غَايَتَهَا سَيِّدُ الْبَشَرِ

الآثار العملية في حياة السلف:

عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: كنت قائما في المسجد فحصبني رجل، فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين بهذين فجئت بهما قال: من أنتما أو من أين أنتما؟ قال: من أهل الطائف. قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما (أي ضربا) ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (الأدب الشرعي ٣ / ٣٨٢)

مرَّ ابن عمر براهب، فقيل: إنَّ هذا سبَّ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لو سمعته لضربت عنقه، إنَّا لم

نعطهم العهد على أن يسبوا نبينا صلى الله عليه وسلم. (مسند الحارث ٢ / ٥٦١)
قال حسان بن ثابت : وهو يهجو المشركين دفاعا عن النبي صلى الله عليه وسلم والذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم إنَّ روح القدس لا يزال يؤيِّدك، ما نافحت عن الله ورسوله.

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه	وعندَ الله في ذاك الجزاء
هجوتَ محمداً براً حنيفاً	رسول الله شيمته الوفاء
فإنَّ أبي ووالده وعرضي	لعرض محمد منكم وقاء
ثكلت بُنيتي إن لم تروها	تثير النقع من كنفِي كداء (ثكلت يعني فقدت)
يبارين الأعنة مصعدات	على أكتافها الأسل الظماء (يبارين أى يضاهين)
تظل جيانا متمطرات	تلطمهن بالخمر النساء (أى: تظلُّ خيولنا مُسرِّعات يسبق بعضها بعضاً)
فإن أعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لضراب يوم	يعز الله فيه من يشاء
وقال الله: قد أرسلتُ عبداً	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله: قد يسرت جنداً هم	الأنصار عرضتها اللقاء
لنا في كل يوم من معد	سباب أو قتال أو هجاء
فمن يهجو رسول الله	منكم ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا	وروح القدس ليس له كفاء. (رواة مسلم ٢٤٩٠)

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان منّا رجل من بني النّجّار قد قرأ البقرة وآل عمران وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق هاربا حتّى لحق بأهل الكتاب. قال: فرفعوه. قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمّد فأعجبوا به فما لبث أن قصم الله عنقه فيهم، فحفروا له فواروه. فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها. ثمّ عادوا فحفروا له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها، ثمّ عادوا فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا. (مسلم رقم ٢٧٨١)
قال جبير بن نفير رضي الله عنه: لما فُتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض، فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي. فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال:

ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله عز وجل إذا أضعوا أمره بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى. (الداء والدواء ٤٧ - ٤٨)

عن عثمان الشحام قال: كنت أقود رجلاً أعمى، فانتهيت إلى عكرمة فأنشأ يحدثنا قال: حدثني ابن عباس أن أعمى كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت له أمٌ ولد، وكان له منها ابنان، وكانت تكثر الوقعة برسول الله صلى الله عليه وسلم وتسبه، فيزجرها فلا تزجر، وينهاها فلا تنتهي، فلما كان ذات ليلة ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم فوقع في، فلم أصبر أن قمت إلى المغول، فوضعت في بطنها، فاتكأت عليه، فقتلتها فأصبحت قتيلًا، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فجمع الناس، وقال: أنشد الله رجلاً لي عليه حق فعل ما فعل إلا قام. فأقبل الأعمى يتدللدل فقال: يا رسول الله، أنا صاحبها كانت أمٌ ولدي وكانت بي لطيفة رفيقة ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ولكنها كانت تكثر الوقعة فيك وتشتمك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تزجر فلما كانت البارحة ذكرتك فوقع فيك فقمت إلى المغول فوضعت في بطنها فاتكأت عليه، فقتلتها. فقال النبي ألا اشهدوا ان دمها هدر. (النسائي ١٠٧/٧)

يقول أبو معمر القطيعي رحمه الله: لما أحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أحضر فلما رأى الناس يجيئون، وكان رجلاً ليناً، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين. فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت: أبشر، قال أبي سلمة: كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إذا أريد على شيء من أمر دينه، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون. يعني من شدة الغضب غيرة على حرمت الله تبارك وتعالى. (سير أعلام النبلاء ١١ / ٢٣٨)

هذا رجل شاعر يقال له العكوك قال قصيدة يمدح بها أحد الأمراء، يقول:

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيِهِ إِلَى حَضْرَةٍ
مُسْتَعِيرٌ مِنْكَ مَكْرُمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخِرَةٍ

ويقول:

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مِنْزَلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدَتْ مَدَى طَرْفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ

بالغ في مدحه جداً. فالمأمون أخذته الحمية والغيرة، فقال: اطلبوه، فطلبوه قلم يقدروا عليه؛ لأنه كان

مقيماً بالجبل ففر إلى الجزيرة ثم إلى الشامات، فظفروا به، فحمل مقيداً إلى المأمون فقال: يا ابن اللخناء، أنت القائل وذكر البيت، جعلتنا نستعير منه المكارم؟ قال: يا أمير المؤمنين، أنتم أهل بيت لا يقاس بكم يعني أنتم خارجون عن هذا الوصف لا أقصدكم قال: والله ما أبقيت أحداً، وإنما أستحل دمك بكفرك حيث تقول: أنت الذي تنزل الأيام منزلها. إلخ. وذاك هو الله أخرجوا لسانه من قفاه ففعلوا به فمات .
(سير اعلام النبلاء ٨ / ٣٣٢)

٢٨- باب أمر ولادة الامور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن هوانهم
قَالَ اللهُ تَعَالَى : **وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** [الشعراء : ٢١٥] وقال تَعَالَى : **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** [النحل : ٩٠] . ٦٥٣- وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « كُتُّكُمْ رَاعٍ ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ : الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا ، وَالْحَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ » متفقٌ عليه .
٦٥٤- وعن أبي يعلى مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرِعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً ، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ » متفقٌ عليه . وفي رواية : « فَلَمْ يَحْطِهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ » .

وفي رواية لمسلم : « مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ لَهُمْ ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ »

٦٥٥- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في بيتي هذا : « اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فرفق به » رواه مسلم

٦٥٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَانَتْ بَنُو

إِسْرَائِيلَ تَسْوِسُهُمُ الْآنبيَاءُ ، كُلَّمَا هَلَكَ نبي خَلَفَهُ نبي ، وَإِنَّهُ لَا نبي بَعْدِي ، وَسَيَكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ » قالوا : يَا رسولَ اللَّهِ فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قال : « أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فالأَوَّلِ ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الَّذي لَكُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلَهُمْ عَمَّا اسْتَرَعَاهُمْ » متفق عليه .

٦٥٧- وعن عائذ بن عمرو رضي الله عنه أَنَّهُ دَخَلَ على عُبيدِ اللَّهِ ابنِ زيادٍ ، فقال له : أَيُّ بُنْيٍّ ، إني سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « إِنَّ شَرَّ الرَّعَاءِ الحُطْمَةُ » فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ ، متفقٌ عليه .

٦٥٨- وعن أبي مريم الأزدي رضي الله عنه ، أَنَّهُ قَالَ لمعاوية رضي الله عنه : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « من ولاةِ اللَّهِ شَيْئاً من أُمُورِ المُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حاجَتِهِمْ وَخَلَّتْهُمْ وَفَقَرِهِمْ ، احْتَجَبَ اللَّهُ دُونَ حاجَتِهِ وَخَلَّتْهُ وَفَقَرِهِ يَوْمَ القِيامَةِ » فَجَعَلَ مُعاويةُ رجُلاً على حوائجِ الناسِ . رواه أبو داودَ ، والترمذي .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : إن الله يأمر بالعدل . قال : شهادة أن لا إله إلا الله، والإحسان . قال : أداء الفرائض، وإيتاء ذي القربى . قال : إعطاء ذوي الأرحام الحق الذي أوجهه الله عليك بسبب القرابة والرحم وينهى عن الفحشاء . قال : الزنى والمنكر . قال : الشرك والبغي . قال : الكبر والظلم يعظكم . قال : يوصيكم لعلكم تذكرون . عن ابن مسعود قال : أعظم آية في كتاب الله : الله لا إله إلا هو الحي القيوم (البقرة ٢٥٥) . وأجمع آية في كتاب الله للخير والشر الآية التي في النحل : إن الله يأمر بالعدل والإحسان . وأكثر آية في كتاب الله تفويضا : ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (الطلاق ٢-٣) . وأشد آية في كتاب الله رجاء : يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية (الزمر ٥٣) عن الكلبي عن أبيه قال : مر علي بن أبي طالب بقوم يتحدثون فقال : فيم أنتم؟ فقالوا : نتذاكر المروءة . فقال : أو ما كفاكم الله عز وجل ذاك في كتابه إذ يقول : إن الله يأمر بالعدل والإحسان ؟ فالعدل الإنصاف، والإحسان التفضل، فما بقي بعد هذا؟ . عن محمد بن كعب القرظي قال : دعاني عمر بن عبد العزيز فقال : صف لي العدل . فقلت : بخ، سألت عن أمر جسيم؛ كن لصغير الناس أبا، ولكبيرهم

ابنا، وللمثل منهم أخوا، وللنساء كذلك، وعاقب الناس على قدر ذنوبهم وعلى قدر أجسادهم ولا تضربن لغضبك سوطا واحدا فتعدى فتكون من العادين. عن الشعبي قال: قال عيسى ابن مريم: إنما الإحسان أن تحسن إلى من أساء إليك، ليس الإحسان أن تحسن إلى من أحسن إليك. (الدر المنثور ٩/١٠٣-١٠٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

عن أبي بكر رضي الله عنه في حديثه للأحمسية لما سألته: ما بقاء هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: ما استقامت بكم أئمتكم. (فتح الباري ٧/١٤٧)

وعن الأحنف بن قيس وكان أحد ولاية عمر رضي الله عنه قال: قدمت على عمر بن الخطاب رضوان الله عليه فاحتبسني عنده حولا، فقال: يا أحنف قد بلوتك وخبرتك، فرأيت أن علانيتك حسنة، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، وإنَّا كنا لَنُحَدِّثُ: إنَّا يهلك هذه الأمة كلُّ منافقٍ عليم. (الطبقات الكبرى ٧/٩٤)

وحمل مرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه مال عظيم من الخمس فقال: إن قوما أدوا الأمانة في هذه لأمناء فقال له بعض الحاضرين: إنك أديت الأمانة إلى الله تعالى فأدوا إليك الأمانة ولو رتعت لرتعت. (السياسة الشرعية لابن تيمية ١/٤٧)

كان عمر بن الخطاب يجلف على أيان ثلاث يقول: والله ما أحد أحق بهذا المال من أحد وما أنا بأحق به من أحد والله ما من المسلمين أحد إلا وله في هذا المال نصيب إلا عبدا مملوكا ولكننا على منازلنا من كتاب الله تعالى وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فالرجل وبلاؤه في الإسلام والرجل وقدمه في الإسلام والرجل وغناؤه في الإسلام والرجل وحاجته ووالله لئن بقيت لهم ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرعى مكانه. (مسند احمد حديث ٢٨٤)

قال عمر بن الخطاب: وإنه ليس شيء أحب إلى الله وأعم نفعاً أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً النصيحة بالغيب والمعاونة على الخير من حلم إمام ورفقه وليس شيء أبغض إلى الله من جهل إمام وخرقه. (السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ١٦)

قال رجل لعمربن الخطاب: يا أمير المؤمنين لو وسعت على نفسك في النفقة من مال الله تعالى فقال له عمر: أتدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ كمثل قوم كانوا في سفر فجمعوا منه مالا وسلموه إلى واحد ينفقه عليهم فهل يحل لذلك الرجل أن يستأثر عنهم من أموالهم؟. (السياسة الشرعية ٤٧)

عن سالم بن عبد الله عن أبيه قال : كان عمر إذا أراد أن ينهى الناس عن شيء تقدم لأهله فقال : لا أعلمن أحدًا وقع في شيء مما نهيت عنه إلا أضعفت له العقوبة. (الطبقات الكبرى ٣ / ٢٨٩)
وقال ايضاً: من ولي من أمر المسلمين شيئاً فولى رجلاً لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين. (السياسة الشرعية في اصلاح الراعى والرعية لابن تيميه ٧)
وقال ايضاً: لو ماتت شاة على شط الفرات ضائعة لظننت أن الله عز وجل سائلي عنها يوم القيامة. (حليه الأولياء ١ / ٥٣)

قال عمر بن الخطاب: من استعمل فاجرًا وهو يعلم أنه فاجر فهو مثله. (مناقب عمر لابن الجوزي ٧٨)
قال عمر بن الخطاب: إن الناس لم يزالوا مستقيمين ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم. (طبقات ابن سعد ٣ / ٢٩٢)

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا بلغه أن بعض نوابه ظلم يقول : اللهم إني لم أمرهم أن يظلموا خلقك أو يتركوا حقك. (السياسة الشرعية لابن تيميه ١ / ٤٧)
وينبغي أن يعرف أن أولي الأمر كالسوق ما نفق فيه جلب إليه هكذا قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فإن نفق فيه الصدق والبر والعدل والأمانة جلب إليه ذلك وإن نفق فيه الكذب والفجور والجور والخيانة جلب إليه ذلك والذي على ولي الأمر أن يأخذ المال من حله ويضعه في حقه ولا يمنعه من مستحقه. (السياسة الشرعية ١ / ٤٧)

قال ابن كثير: وقال الصياح بن سواده الكندي: سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب وهو يقول :
(الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) الآية (الحج ٤١) ثم قال ألا إنها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والموالي عليه ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلك؛ وبما للوالي عليكم منه؟ إن لكم على الوالي من ذلكم أن يؤخذكم بحقوق الله عليكم وأن يهديكم إلى التي هي أقوم ما استطاع وإن عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكرهة ولا المخالف سرها علانيتها. (تفسير ابن كثير ٥ / ٤٣٤)

قال عبد الله بن المبارك: صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس، قيل من هم؟ قال الملوك والعلماء. (اعلام الموقعين ١٠ / ١)

وقال ابن تيميه : الرعية مؤدية إلى الإمام ما أدى الإمام إلى الله، فإن رتع الإمام رتعوا. (طبقات ابن سعد ٣ / ٢٩٢)

آثار العلية في حياة السلف :

قال زيد بن وهب: خرج عمر رضي الله عنه ويدها في أذنيه وهو يقول: يا ليكاه يا ليكاه، قال الناس: ما له؟ قال: جاءه بريد من بعض أمرائه أن نهرًا حال بينهم وبين العبور ولم يجدوا سفنًا، فقال أميرهم: اطلبوا لنا رجلًا يعلم غور الماء. فأتي بشيخ فقال: إني أخاف البرد وذاك في البرد، فأكرهه فأدخله، فلم يلبثه البرد، فجعل ينادي: يا عمراه يا عمراه! فغرق، فكتب إليه فأقبل فمكث أيامًا معرضًا عنه وكان إذا وجد على أحد منهم فعل به ذلك ثم قال: ما فعل الرجل الذي قتلته؟ قال: يا أمير المؤمنين ما تعمدت قتله، لم نجد شيئًا يعبر فيه وأردنا أن نعلم غور الماء، ففتحنا كذا وكذا، وأصبنا كذا وكذا فقال عمر رضي الله عنه: لرجل مسلم أحب إلي من كل شيء جئت به، لولا أن تكون سنة لضربت عنقك، اذهب فأعط أهله ديته، واخرج فلا أراك. (السنن الكبرى للبيهقي ٨ / ٥٥٩)

قال الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من كبار الصالحين - أنشد نور الدين محمود زنكي أبياتًا يعظه فيها ومن جملة ما قال:

مَثَلٌ وَوُفَاكَ أَيُّهَا الْمَعْرُورُ	يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّاءُ تَمُورُ
إِنْ قِيلَ: نُورَ الدِّينِ رُحْتَ مُسَلِّمًا	فَاحْذَرِ بَأْنَ تَبْقَى وَمَا لَكَ نُورُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا نُقِلْتَ إِلَى الْبَلَى	فَرَدًا وَجَاءَكَ مُنْكَرٌ وَنَكِيرُ
مَاذَا تَقُولُ إِذَا وَقَفْتَ بِمَوْقِفٍ	فَرَدًا ذَلِيلًا وَالْحِسَابُ عَسِيرُ
وَتَعَلَّقْتَ فِيكَ الْخُصُومَ وَأَنْتَ	فِي يَوْمِ الْحِسَابِ مُسَلْسَلٌ مَجْرُورُ
وَوَدِدْتَ أَنَّكَ مَا وَلَيْتَ وَلايَةَ	يَوْمًا وَلا قَالَ الْآنَامُ: أَمِيرُ
أَرْضِيَّتَ أَنْ تَحْيَا وَقَلْبُكَ دَارِسُ	عَافِي الْخَرَابِ وَجِسْمُكَ الْمَعْمُورُ
مَهْدٌ لِنَفْسِكَ حُجَّةٌ تَنْجُو بِهَا	يَوْمَ الْمَعَادِ وَيَوْمَ تَبْدُو الْعُورُ

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاءً شديدًا. (البداية والنهاية لابن كثير ١٢ / ٢٨٢)

٧٩ - باب الوالي العادل

قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ [النحل: ٩٠] الآية، وقال تَعَالَى: وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ [الحجرات: ٩].

٦٥٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ : إِمَامٌ عَادِلٌ ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى ، وَرَجُلٌ مَعَلَّقَ قَلْبَهُ فِي الْمَسَاجِدِ ، وَرَجُلَانِ مَحَابَبًا فِي اللهِ ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ ، وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللهُ ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِبُصْدَقَةٍ ، فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهُ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ » متفق عليه .

٦٦٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا أُوتُوا » رواه مسلم

٦٦١- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ : « خِيَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ يُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ » قال : قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، أَفَلَا تُنَابِذُهُمْ ؟ قَالَ : « لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ لَا مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ » مسلم . قوله : « تُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ » : تَدْعُونَ لَهُمْ . ٦٦٢- وعن عياض بن حمار رضي الله عنه قال : سمعتُ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ : « أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ » رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن السدي : كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل وكان بينها وبين زوجها شيء فرقي بها إلى عليّة وحبسها فبلغ ذلك قومها فجاءوا وجاء قومها فاقتلوا بالأيدي والنعال فأنزل الله عز وجل : وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما . بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لها وعليهما . فإن بغت إحداهما . تعدت إحداهما . على الأخرى . وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله . فقاتلتا التي تبغي حتى تنفيء (ترجع) إلى أمر الله (في كتابه) فإن فاءت (رجعت إلى الحق) فأصلحوا بينهما بالعدل (بحملها على الإنصاف والرضا بحكم الله (وأقسطوا) اعدلوا . (إن الله يحب المقسطين) . إن الله

يجب المقسطين أي العادلين قال أبو مالك: في القول والفعل. (تفسير الماوردي ٥ / ٣٣١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن علي بن ابي طالب : أنه قسم ما في بيت المال على سبعة أسباع ثم وجد رغيماً فكسره سبع كسر ثم دعا أمراء الأجناد، فأقرع بينهم. (حليه الأولياء ٧ / ٣٠٠)

قال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا بالرجال ولا رجال إلا بهال ولا مال إلا بعمارة ولا عمارة إلا بعدل. (العقد الفريد لابن عبدربه ١ / ٣٣)

كتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة إلى الحسن البصري أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله: أعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفه كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق بها، الذي يرتاد لها أطيب المرعى، ويذودها عن مراتع الهلكة، ويحميها من السباع، ويكنها من أذى الحر والقر. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده، يسعى لهم صغاراً ويعلمهم كباراً، يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأم الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها، حملته كرهاً ووضعته كرهاً، وربته طفلاً، تسهر بسهره، وتسكن بسكونه، ترضعه تارة وتفطمه أخرى، وتفرح بعافيته وتغتم بشكايته. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، وصيّ اليتامى، وخازن المساكين، يربيّ صغيرهم، ويمون كبيرهم. والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه وتفسد بفساده. والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله ويسمعهم، وينظر إلى الله ويريهم، وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملكك الله عز وجل كعبد ائتمنه سيده واستحفظه ماله وعياله، فبدد المال وشرد العيال فأفقر أهله وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش، فكيف إذا أتاه من يليها؟ وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم. (العقد الفريد لابن عبدربه ١ / ٣٣)

قال جعونة: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل الموسم: أما بعد، فإني أشهد الله، وأبرأ إليه، في الشهر الحرام، والبلد الحرام، ويوم الحج الأكبر: إني بريء من ظلم من ظلمكم، وعدوان من اعتدى عليكم: أن أكون أمرت بذلك، أو رضيت، أو تعمدته؛ إلا أن يكون وهما مني، أو أمراً خفي علي، لم أتعمده؛

وأرجو أن يكون ذلك موضوعاً عني، مغفوراً لي، إذا علم مني الحرص والاجتهاد؛ ألا وإنه لا إذن على مظلوم دوني، وأنا معول كل مظلوم؛ ألا وأي عامل من عمالي رغب عن الحق، ولم يعمل بالكتاب والسنة، فلا طاعة له عليكم، وقد صيرت أمره إليكم، حتى يراجع الحق وهو ذميم؛ ألا وإنه لا دولة بين أغنيائكم، ولا أثره على فقرائكم في شيء من فيئكم؛ ألا وأيما وارد ورد في أمر يصلح الله به، خاصاً أو عاماً من هذا الدين: فله ما بين مائتي دينار، إلى ثلاث مائة دينار، على قدر ما نوى من الحسنة، وتجشم من المشقة؛ رحم الله امرأ لم يتعاضمه سفر، يحبي الله به حقاً لمن وراءه، ولولا أن أشغلكم عن مناسككم، لرسمت لكم أموراً من الحق أحيها الله لكم، وأموراً من الباطل أماتها الله عنكم؛ وكان الله هو المتوحد بذلك، فلا تحمدوا غيره، فإنه لو وكلني إلى نفسي: كنت كغيري؛ والسلام عليكم. (الحليه ٥/ ٢٩٢-٢٩٣)

قال ميمون بن مهران: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أقيمت فيكم خمسين عاماً ما استكملت فيكم العدل، إني لأريد الأمر وأخاف أن لا تحمله قلوبكم فأخرج معه طمعاً من الدنيا؛ فإن أنكرت قلوبكم هذا سكنت إلى هذا. (تاريخ دمشق ٤٥/ ١٨١)

قال عمر بن مهاجر: قال عمر بن عبد العزيز: إذا رأيتني قد ملتُ عن الحق، فضع يدك في تلبابي، ثم هزني، ثم قل: يا عمر، ما تصنع؟. (حليه الأولياء ٥/ ٢٩)

عن عمر بن عبد العزيز: أن رجلاً أتاه فقال: زرعت زرعاً فمر به جيش من أهل الشام فأفسده؛ فعوضه عشرة آلاف درهم. (حليه الأولياء ٥/ ٢٣٥)

وخطب سعيد بن سويد بحمص فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنَّ للإسلام حائطاً منيعاً، وباباً وثيقاً، فحائط الإسلام الحقُّ وبابه العدل ولا يزال الإسلام منيعاً ما اشتدَّ السلطان وليست شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط ولكن قضاء بالحق وأخذاً بالعدل. (العقد الفريد ١/ ٢٧)

قال إبراهيم بن أدهم: كل ملك لا يكون عادلاً فهو واللص سواء وكل عالم لا يكون تقياً فهو والذئب سواء وكل من ذل لغير الله فهو والكلب سواء. (سير أعلام النبلاء ٧/ ٣٩٤)

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من كان له سيف مسلول، ومال مبذول، وعدل تطمئن إليه القلوب. (العقد الفريد لابن عبد ربه ١/ ٢٣)

قال ابن عبد ربه: قالت الحكماء: مما يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي

باطن ضميره لإقامة أمر دينه؛ فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان. ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما ولا يدور إلا عليهما، مع ترتيب الأمور مراتبها وإنزالها منازلها. (العقد الفريد لابن عبدبره ١/ ٢٣)

قال ابن الوردي في لاميته :

جَانِبِ السُّلْطَانِ وَاحْذِرْ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ

الآثار العظيمة في حياة السلطنة :

عن الشعبي قال: اشترى عمر فرساً من رجل على أن ينظر إليه، فأخذ الفرس، فسار به، فعطب؛ فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك؛ فقال: لا؛ قال: فاجعل بيني وبينك حكماً؛ قال الرجل: شريح؛ قال: ومن شريح؟ قال: شريح العراقي؛ قال: فانطلقا إليه، فقصا عليه القصة فقال: يا أمير المؤمنين رد كما أخذته، أو خذ بما ابتعته؛ فقال عمر: وهل القضاء إلا هذا؟ سر إلى الكوفة فإنه لأول يوم عرفه يومئذ.

(حليه الأولياء ٤/ ١٣٥)

عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال: وجد علي بن أبي طالب درعاً له عند يهودي، التقطها، فعرفها؛ فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورك، فقال اليهودي: درعي، وفي يدي؛ ثم قال له اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فأتوا شريحاً؛ فلما رأى علياً قد أقبل: تحرف عن موضعه، وجلس على فيه؛ ثم قال علي: لو كان خصمي من المسلمين، لساويته في المجلس؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تساووهم في المجلس، والجؤوهم إلى أضييق الطرق، فإن سبوكم، فاضربوهم؛ وإن ضربوكم، فاقتلوهم ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت عن جمل لي أورك، والتقطها هذا اليهودي؛ فقال شريح: ما تقول يا يهودي؟ قال: درعي، وفي يدي؛ فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك، ولكن: لا بد من شاهدين؛ فدعى قنبراً مولاة، والحسن بن علي، وشهدا أنها لدرعه؛ فقال شريح: أما شهادة مولاك، فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك لك، فلا نجيزها؛ فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؛ قال: اللهم نعم؛ قال: أفلا تحيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله، لأوجهنك إلى بانقيا، تقضي بين أهلها أربعين يوماً؛ ثم قال لليهودي: خذ الدرع؛ فقال اليهودي: أمير المؤمنين، جاء معي إلى قاضي المسلمين، فقضى عليه، ورضي؛ صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك،

سقطت عن جمل لك، التقطتها؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؛ فوهبها له عليّ، وأجازه بتسعمائة؛ وقتل معه يوم صفين. (حليه الأولياء ٤/١٣٩ - ١٤٠)

قال وهيب بن الورد: اجتمع بنو مروان على باب عمر بن عبد العزيز وجاء عبد الملك بن عمر ليدخل على أبيه فقالوا له: إما أن تستأذن لنا وإما أن تبلغ أمير المؤمنين عنا الرسالة قال: قولوا، قالوا: إن من كان قبله من الخلفاء كان يعطينا ويعرف لنا موضعنا وإن أباك قد حرمتنا ما في يديه قال: فدخل على أبيه فأخبره عنهم فقال له عمر: قل لهم: إن أبي يقول لكم: (إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (الأنعام ١٥). (حليه الأولياء ٥/٢٦٧)

عن جسر القصاب قال: كنت أحلب الغنم في خلافة عمر بن عبد العزيز، فمررت براع، وفي غنمه نحو من ثلاثين ذئباً، فحسبتها كلاباً، ولم أكن رأيت الذئب قبل ذلك، فقلت: يا راع، ما ترجو بهذه الكلاب كلها، فقال: يا بني، إنما ليست كلاباً، إنما هي ذئب، فقلت: سبحان الله، ذئب في غنم لا تضرها فقال: يا بني إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس، وكان ذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز. (الحليه ٥/٢٥٥)

*- باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير محصية

وتحريم طاعتهم في المحصية

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء: ٥٩].
٦٦٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكِرَهُ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ » متفقٌ عليه .

٦٦٤- وعنه قال: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ يَقُولُ لَنَا: «فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ» متفقٌ عليه .

٦٦٥- وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: « مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقَى اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَكَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » رواه مسلم
وفي رواية له: « وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً ». « الميئة » بكسر الميم
٦٦٦- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا،

وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ ، كأنَّ رأسه زبيبةٌ » رواه البخاري .

٦٦٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ » رواه مسلم .

٦٦٨- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا ، فَمِنَّا مَنْ يُصَلِّحُ خِباءَهُ ، وَمِنَّا مَنْ يَتَّضِلُ ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَسْرِهِ ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ . فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوْلِهَا ، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بِلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَبِهَا ، وَتَجِيءُ فِتْنٌ يُرْفَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ مُهْلِكَتِي ، ثُمَّ تَنْكَشِفُ ، وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : هَذِهِ هَذِهِ ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَزْحَرَ عَنِ النَّارِ ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَلِيَأْتِيَ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ .

وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةً يَدِهِ ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ . فَلْيُطْعُهُ إِنْ اسْتَطَاعَ ، فَإِنْ جَاءَ آخِرُ يَنَازِعُهُ ، فَاضْرِبُوا عُنُقَ الْآخِرِ » رواه مسلم . قوله : « يَتَّضِلُ » أي : يُسَابِقُ بِالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ وَالنُّشَابِ . « وَالجَسْرُ » بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء : وهي الدَّوَابُّ التي تَرعى وتَبِيْتُ مَكَائِهَا . وقوله : « يُرْفَقُ بَعْضُهَا بَعْضًا » أي : يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا رَقِيقًا ، أي : خَفِيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ ، فَالثَّانِي يُرْفَقُ الْأَوَّلَ . وقيل : معناه : يُشَوِّقُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ بِتَحْسِينِهَا وَتَسْوِيلِهَا وَقِيلَ : يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا .

٦٦٩- وعن أبي هنيذة وإيل بن حُجْرٍ رضي الله عنه قال : سَأَلَ سَلَمَةَ بْنَ يُزَيْدِ الْجَعْفِيَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمْرَاءٌ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ ، وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا ، فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ، فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مَاحِلُّوا وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ » رواه مسلم .

٦٧٠- وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُ وَبِهَا ، » قالوا : يا رسول الله ، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنْكَ ذَلِكَ ؟ قَالَ

: « تُوذُونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ ، وَتَسْأَلُونَ اللَّهَ الَّذِي لَكُمْ » متفق عليه .

٦٧١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِي الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي » متفق عليه .

٦٧٢- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » متفق عليه .

٦٧٣- وعن أبي بكر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : « مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللَّهُ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح ، وقد سبق بعضها في أبواب .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن السدي : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية عليها خالد بن الوليد ، وفيها عمار بن ياسر ، فساروا قبل القوم الذين يريدون ، فلما بلغوا قريبا منهم عرسوا ، وأتاهم ذو العييتين فأخبرهم ، فأصبحوا قد هربوا غير رجل . فأمر أهله فجمعوا متاعهم ثم أقبل يمشي في ظلمة الليل ، حتى أتى عسكر خالد ، فسأل عن عمار بن ياسر ، فأتاه فقال : يا أبا اليقظان ، إني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وإن قومي لما سمعوا بكم هربوا ، وإني بقيت ، فهل إسلامي نافعي غدا ، وإلا هربت ؟ قال عمار: بل هو ينفعك ، فأقم . فأقام ، فلما أصبحوا أغار خالد فلم يجد أحدا غير الرجل ، فأخذه وأخذ ماله . فبلغ عمارا الخبر ، فأتى خالد فقال : خل عن الرجل ، فإنه قد أسلم ، وإنه في أمان مني . فقال خالد : وفيم أنت تجير ؟ فاستبا وارتفعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأجاز أمان عمار ، ونهاه أن يجير الثانية على أمير . فاستبا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال خالد : يا رسول الله ، أتترك هذا العبد الأجدع يسبني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا خالد ، لا تسب عمارا ، فإنه من يسب عمارا يسبه الله ، ومن يبغضه يبغضه الله ومن يلعن عمارا يلعنه الله " فغضب عمار فقام ، فتبعه خالد حتى أخذ بثوبه فاعتذر إليه ،

فرضي عنه ، فأنزل الله عز وجل قوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم . (بن كثير ٣٤٥ / ٢)
عن ابن عباس في قوله : وأولي الأمر منكم يعني : أهل الفقه والدين وأهل طاعة الله الذين يعلمون
الناس معاني دينهم، ويأمرونهم بالمعروف، وينهونهم عن المنكر فأوجب الله طاعتهم على العباد.
(تفسير الدر المنثور ٤ / ٥٠٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد أن بايعه الناس بالخلافة، مبيناً سنة هذه الأمة في تحقيق العدل
وترسيخه، وإزالة الظلم والطغيان: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم فإن
أحسنْتُ فأعينوني وإن أسأت فقوموني الصدق أمانة، والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى
أربح عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله لا يدع قوم
الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما
أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .
(السيرة النبوية لابن هشام ٤ / ٢٤٠)

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه تلا قوله تعالى: (يا أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل
إذا اهتديتم) فقال : أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية فتضعونها في غير موضعها وإني سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم قال : إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه أو شك أن يعمهم بعقابه. وقد ورد إن
الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو شك أن يعمهم الله بعقابه منه. (تفسير بن كثير ٣ / ٢١٣)
عن محمد بن سيرين قال: كان أبو بكر وعمر يُعلِّمان الرجل إذا دخل في الإسلام يقولان: تعبد الله، ولا
تشرِك به شيئاً، وتصلِّي الصلاة التي افترضها الله عز وجل عليك لميقاتها؛ فإن في تفريطها الهلكة، وتؤدي
الزكاة طيبة بها نفسك، وتصوم رمضان، وتسمع وتطيع لمن ولاه الله الأمر. قال وقد قال لرجل وتعمل
لله، ولا تعمل للناس. (الإيمان للعدنى ١ / ٨٠)

قال سويد بن غفلة: قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعلك تخلف بعدي فأطع الإمام وإن كان
عبداً حبشياً وإن ضربك فاصبر وإن حرمك فاصبر وإن دعاك إلى أمر منقصة من دنياك فقل سمعاً
وطاعة دمي دون ديني. (الشريعة للاجري ١ / ٣٨)

قال علي بن ابي طالب : لا يُصلِحُ النَّاسَ إِلَّا أَمِيرٌ بَرٌّ كَانَ أَوْ فَاجِرٌ قَالُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ: هذا البر فكيف

بالفاجر؟! قال: إن الفاجر يُؤمّنُ اللهُ عز وجل به السبل ويجاهد به العدو ويحيي به الفيء وتقام به الحدود ويُحج به البيت ويعبد الله فيه المسلمُ آمناً حتى يأتيه أجله. (شعب الايمان ١٥/١٠)

قال عمرو بن العاص لابنه : سلطان عادل خير من مطر وابل وأسد حطوم خير من إمام ظلوم وسلطان غشوم ظلوم خير من فتنة تدوم. (تاريخ دمشق ١٨٤/٤٦)

قال عبد الله بن مسعود: إذا كان الإمام عادلاً فله الأجر وعليك الشكر وإذا كان جائراً فعليه الوزر وعليك الصبر. (عيون الأخبار لابن قتيبه ١/٤٩)

قال أبو الدرداء: إن أول نفاق المرء طعنة على إمامه . (التمهيد لابن عبدالبر ٢١/٢٨٧)

وجاء عنه أنه قال : إياكم ولعن الولاة فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة . قيل : يا أبا الدرداء فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب ؟ قال : اصبروا ، فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت . (السنن لابن ابي عاصم حديث ٨٤٦ - ٤٨٨/٢)

قال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه : ما مشى قوم إلى سلطان الله في الأرض ليدلوه إلا أذلم الله قبل أن يموتوا. (شرح السنن للبخاري ١٠/٥٤)

قال أنس بن مالك: نهانا كبارؤنا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تسبوا أمراءكم ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم واتقوا الله واصبروا فإن الأمر قريب. (اخرجه بن ابي عاصم في السنن ٤٨٨/٢)

قال معاذ بن جبل: الامير من أمر الله عز وجل فمن طعن في الأمير فإنما يطعن في أمر الله عز وجل . (السنن الواردة في الفتن للداني ١/٤٠٤ رقم ١٤٧)

عن هلال بن أبي حميد قال : سمعت عبد الله بن عكيم يقول: لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان فيقال له : يا أبا معبد أو أعنت على دمه ؟ ! فيقول : أني أعد ذكر مساوية عوناً على دمه. (الطبقات الكبرى ٦/١١٥)

عن أبي إسحاق السبيعي أنه قال: ما سب قوم أميرهم، إلا حرموا خيره. (التمهيد ٢١/٢٨٧)

قال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله وقد قيل له: متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟ قال إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ولا يكذب بالقدر ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة خلف كل وال

جار أو عدل (شرح الإعتقاد للالكائي ١٨٣ / ١)

وقال سهل بن عبد الله التستري: لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فإن عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم. (تفسير القرطبي ٥ / ٢٦٠ - ٢٦١)
قال عبدالله بن المبارك: لولا الائمه لم يأمن لنا سبل وكان اضعفنا نهبا لا قوانا. (غذاء الألباب ١ / ٢٣١)
عن الزبرقان قال : كنت عند أبي وائل شقيق بن سلمة فجعلت أسب الحجاج، وأذكر مساويه قال : لا تسبه وما يدريك لعله يقول : اللهم اغفر لي فغفر له. (الزهد لهناد ١ / ٤٦٤)

وقيل أن الحسن البصري سمع رجلاً يدعو على الحجاج فقال: لا تفعل رحمك الله إنهم من أنفسكم أوتيتم إنما أخاف إن عَزَلَ الحجاج أو مات أن تليكم القردة والخنازير. (آداب الحسن البصري ١١٩)
الحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيُّ عَذَابُ اللَّهِ : قال عنه الحسن البصري : إن الحجاجَ عذابُ اللَّهِ ، فلا تدفعوا عذابَ اللَّهِ بأيديكم ، و لكن عليكم بالاستكانة والتضرع ، فإنه تعالى يقول : (وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) (المؤمنون ٧٦) (الطبقات الكبرى ٧ / ١٦٤) بإسناد صحيح.

قال الحسن في الأمراء: هم الذين يلون من أمورنا خمسا: الجمعة والجماعة والعيد والثغور والحدود والله لا يستقيم الدين الا بهم وإن جاروا وظلموا والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون من أن طاعتهم والله لغبطة وأن فرقتهم لكفر. (جامع العلوم والحكم ٢ / ١١٧)

جاء عن إدريس الخولاني في زمان عبد الملك يقول : إياكم والطعن على الأئمة فإن الطعن عليهم هي الحالقة حالقة الدين ليس حالقة الشعر ألا إن الطعانيين هم الخائبون وشرار الأشرار. (الأموال ١ / ٨٠)
قال ابي مجلز: سب الإمام الحالقة لا أقول: حالقة الشعر ولكن حالقة الدين. (الأموال ١ / ٧٨)

قال الثوري: يا شعيب لا ينفك ما كتبت حتى ترى الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد ماض إلى يوم القيامة والصبر تحت لواء السلطان جار أم عدل. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ١ / ١٧٢)

وقال الفضيل: لو كانت لى دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ١ / ١٧٢ - ١٧٦)

قال مالك بن دينار: جاء في بعض كتب الله انه قال :إنا الله مالك الملك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك، ولكن توبوا

أعطفهم عليكم. (شرح العقيدة الطحاوية ٣٦٨)

عن محمد بن المنكدر قال : لما بويع يزيد بن معاوية ذكر ذلك لابن عمرو فقال : إن كان خيراً أرضينا وإن كان شراً صبرنا. (اصول السنه لابن ابى زمنين ٢٤٠)

قال كعب الاحبار : السلطان ظل الله في الأرض، فإذا عمل بطاعة الله، كان له الأجر وعليكم الشكر، وإذا عمل بمعصية الله، كان عليه الوزر وعليكم الصبر، ولا يحملنك حبه على أن تدخل في معصية الله ولا بغضة على أن تخرج من طاعته. (النصيحه للراعى والرعيه للتبريزى ٢٤١)

عن عمر بن يزيد العبدي قال: سمعت الحسن أيام يزيد بن المهلب قال : وأتاه رهط فأمرهم أن يلزموا بيوتهم، ويغلقوا أبوابهم ثم قال: والله لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم صبروا ما لبثوا أن يرفع عنهم، وذلك أنهم يفزعون إلى السيف فيوكلون إليه، والله ما جاؤوا بيوم خير قط، ثم تلا قوله تعالى (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما يعرشون) (الأعراف ١٣٧). (الشريعة للاجرى ١/ ٣٧٣ - ٣٧٤ رقم: ٦٢)

قال أبو الحسن الأشعري وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين . من برّ وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل. (رسالة إلى أهل الثغر ٢٩٦)

قال أبو مالك : كان الحسن إذا قيل له: ألا تخرج فتغير، قال: يقول: إن الله إنما يُغير بالتوبة، ولا يغير بالسيف. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٩/ ١٧٢)

قال النووي : أجمع العلماء على وجوب طاعة الأمير في غير معصية، وعلى تحريمها في المعصية.

(شرح مسلم - ١٢/ ٢٢٢)

أقوال أصحاب المذاهب الأربعة في وجوب طاعة الحاكم المتغلب :

١- الحنفية:

قال الحصكفي الحنفي (ت ١٠٨٨هـ) في الدر المختار: وتصح سلطنة متغلب للضرورة. وقال ابن عابدين الحنفي (ت ١٢٥٢هـ) في حاشيته (٤/ ٤٥٠): الامام يصير إماما بالمبايعه أو بالاستخلاف ممن قبله. قوله: (يصير إماما بالمبايعه) وكذا باستخلاف إمام قبله، وكذا بالتغلب والقهر كما في شرح المقاصد.

٢- المالكية:

قال ابن زيد القيرواني المالكي (ت ٣٨٦هـ) ويُلقب بـ "مالك الصغير"، قال: في رسالته المعروفة "مقدمة ابن أبي زيد القيرواني": "فما أجمعت عليه الأمة من أمور الديانة، ومن السنن التي خلافها بدعة وضلالة ثم قال: والسمع والطاعة لأئمة المسلمين، وكل من ولي من أمر المسلمين عن رضا أو عن غلبة، فاشتدت وطأته من بر أو فاجر، فلا يخرج عليه جار أم عدل ثم قال: وكل ما قدمنا ذكره فهو قول أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث على ما بيناه، وكله قول الإمام مالك فمنه منصوص من قوله ومن معلوم من مذهبه .

وهذا كلام يحيى بن يحيى المالكي تلميذ مالك وراوي الموطأ في "الاعتصام" للشاطبي "أن يحيى بن يحيى قيل له: البيعة مكروهة؟ قال: لا. قيل له: فإن كانوا أئمة جور، فقال: قد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان وبالسيف أخذنا الملك، أخبرني بذلك مالك عنه، أنه كتب إليه: أقر له بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة نبيه . قال يحيى بن يحيى: والبيعة خير من الفرقة. وقال الدردير المالكي (ت ١٢٠١هـ) في شرح الكبير (٤ / ٢٩٨): اعلم أن الإمامة العظمى تثبت بأحد أمور ثلاثة إما بإبصار الخليفة الأول لتأهل لها وإما بالتغلب على الناس لأن من اشتدت وطأته بالتغلب وجبت طاعته ولا يراعى في هذا شروط الإمامة إذ المدار على درء المفسد وارتكاب أخف الضررين.

٣- الشافعية:

قال الامام الشافعي (ت ٢٠٤هـ): كل من غلب على الخلافة بالسيف حتى يسمى خليفة ويجمع الناس عليه فهو خليفة . (رواه البيهقي في مناقب الشافعي (١ / ٤٤٩) باب ما يؤثر عنه في قتال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أهل القبلة)

وقال ابن حجر الهيتمي الشافعي (ت ٩٧٣هـ) في "تحفة المحتاج في شرح المنهاج": المتغلب يصير كالحاكم لدفع المفسد المتولدة بالفتن لمخالفته.

٤- الحنابلة:

قال الإمام أحمد بن حنبل: من خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق. (طبقات الحنابلة ١/ ٢٤١-٢٤٦) الإمام أحمد قال عن الإمام: وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد، وأرى ذلك واجباً علي. وقال: لئن حدث به حدث؛ لتظنن ما يحلُّ بالإسلام. (السنة للخلال ١/)

قال الامام أحمد: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول وعصاة. (الأداب الشرعية ١/ ١٩٦)

قال احمد بن حنبل في ولاية الواثق: اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبد الله أبو بكر بن عبيد وإبراهيم بن علي المطبخي وفضل بن عاصم فجاءوا إلى أبي عبد الله فاستأذنت لهم فقالوا: يا أبا عبد الله هذا الأمر قد تفاقم وفشا يعنون إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك فقال لهم أبو عبد الله: فما تريدون؟ قالوا: أن نشاورك في أننا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه فناظرهم أبو عبد الله ساعة وقال لهم: عليكم بالنكرة بقلوبكم ولا تخلعوا يدا من طاعة ولا تشقوا عصا المسلمين ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح بر أو يستراح من فاجر ودار في ذلك كلام كثير لم أحفظه ومضوا ودخلت أنا وأبي على أبي عبد الله بعدما مضوا فقال أبي لأبي عبد الله: نسأل الله السلامة لنا ولأمة محمد وما أحب لأحد أن يفعل هذا وقال أبي: يا أبا عبد الله هذا عندك صواب قال: لا هذا خلاف الآثار التي أمرنا فيها بالصبر. (السنة للخلال حديث ١/ ١٣٣-١٣٤)

وقال أيضاً: ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً براً كان أو فاجراً. (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ٢٣ فصول في الإمامة)

وسئل رحمه الله: في الإمام يخرج عليه من يطلب الملك، فيفتتن الناس فيكون مع هذا قوم ومع هذا قوم، مع من تكون الجمعة؟ قال: مع من غلب. (الأحكام السلطانية لأبي يعلى ص ٢٣)

وقال ابن قدامة الحنبلي (ت ٦٢١هـ) في المغني (٥/٩): وجملة الأمر أن من اتفق المسلمون على إمامته، وبيعته، ثبتت إمامته ووجبت معونته لما ذكرنا من الحديث والإجماع، وفي معناه من ثبتت إمامته بعهد النبي أو بعده إمام قبله إليه فإن أبا بكر ثبتت إمامته بإجماع الصحابة على بيعته، وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر إليه، وأجمع الصحابة على قبوله، ولو خرج رجل على الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه صار إماماً يحرم قتاله والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرج

عَلَى ابْنِ الزَّبِيرِ، فَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى الْبِلَادِ وَأَهْلَهَا حَتَّى بَايَعُوهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، فَصَارَ إِمَامًا يَحْرَمُ. قَالَ الْحَسَنُ الْبَرْبَهَارِيُّ: مَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ خَارِجِي قَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَخَالَفَ الْآثَارَ وَمِيتَتَهُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَلَا يَجِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ اصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا وَقَوْلِهِ لِلْأَنْصَارِ اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ وَلَيْسَ مِنَ السَّنَةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ فَإِنَّ فِيهِ فُسَادَ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَيَجِلُّ قِتَالُ الْخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُ أَنْ يَطْلُبَهُمْ وَلَا يَجْهَزَ عَلَى جَرِيحِهِمْ وَلَا يَأْخُذُ فِيهِمْ وَلَا يَقْتُلُ أَسِيرَهُمْ وَلَا يَتَّبِعُ مَدْبِرَهُمْ وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (شرح السنة ٢٩)

قال البربهاري رحمه الله: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم انه صاحب سنة إن شاء الله. (شرح السنة ١١٣)

قال الطحاوي: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا وإن جاروا ولا ندعوا عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عزوجل فريضة ما لم يأمرنا بمعصية وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة. (متن العقيدة الطحاوية ٤٧)

وقال الآجري: من أمر عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض، أو أعجمي، فأطعه فيما ليس لله عز وجل فيه معصية، وإن ظلمك حقاً لك، وإن ضربك ظلماً، وانتهك عرضك وأخذ مالك، فلا يملك ذلك على أنه يخرج عليه سيفك حتى تقتله، ولا تخرج مع خارجي حتى تقتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه وقال الطحاوي في عقيدة أهل السنة: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاية أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرنا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة. (الشرية للآجري ٤٠)

قال الشوكاني رحمه الله: ثم إذا لم يثبت على ذلك كان عليهم أمره بما هو معروف ونهيه عما هو منكر ولا يجوز لهم أن يطيعوه في معصية الله ولا يجوز لهم أيضاً الخروج عليه ومحاكمته إلى السيف فإن الأحاديث المتواترة قد دلت على ذلك دلالة أوضح من شمس النهار. (السييل الجرار ٤/٥٠٩)

وقال الإمام المزني والطاعة لأولي الأمر فيما كان عند الله عز وجل مرضياً واجتنب ما كان عند الله

مسخطاً وترك الخروج عند تعدّيهم وجورهم والتوبة إلى الله عزوجل كيما يعطف بهم على رعيّتهم .
(شرح السنة للمزني ٨٦-٨٧)

قال ابن رجب : وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ففيها سعادة الدنيا وبها تنظيم مصالح العباد في معاشهم وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم . (جامع العلوم والحكم ١١٧/٢)
قال ابن تيمية رحمه الله : أمر النبي عليه السلام بالصبر على جور الأئمة ونهى عن قتالهم ما أقاموا الصلاة وقال : أدوا إليهم حقوقهم وسلوا الله حقوقكم ولهذا كان من أصول السنة والجماعة لزوم الجماعة وترك قتال الأئمة وترك القتال في الفتنة . (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٠)

وقال ايضاً: الصبر على جور الأئمة أصل من أصول أهل السنة والجماعة . (الفتاوى ١٧٩/٢٨)
قال ابن تيمية : ولهذا روي أن السلطان ظل الله في الأرض ويقال : ستون سنة من إمام جائر أصلح من ليلة واحدة بلا سلطان، والتجربة تبين ذلك . فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله ، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال . (مجموع الفتاوى ج ٢٨ / ٢٩٠-٢٩١)

ويقول ايضاً: إن المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم لان الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فيدفع أعظم الفسادين بالتزام الأدنى . (منهاج السنة ٨٧/٢)

قال النووي : قوله صلى الله عليه وسلم إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان هكذا هو لمعظم الرواة وفي معظم النسخ بواحاً بالواو وفي بعضها براحاً والباء مفتوحة فيهما ومعناها كفراً ظاهراً والمراد بالكفر هنا المعاصي ومعنى عندكم من الله فيه برهان أي تعلمونه من دين الله تعالى ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين وإن كانوا فسقة ظالمين وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته وأجمع أهل السنة أنه لا ينزل السلطان بالفسق . (شرح النووي على مسلم ١٢ / ٢٢٨) .

أدله القائلين بالجواز:

وقال العلائي رحمه الله في (المجموع المذهب في قواعد المذهب) : الإمام الأعظم إذا طرأ فسقُه ، فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه ينعزل ، وصححه في البيان . الثاني : لا ينعزل وصححه كثيرون ، لما في إبطال ولايته من اضطراب الأحوال . الثالث : إن أمكن استتابته أو تقويم أوديه ، لم يُجْلَع ، وإن لم يمكن ذلك ، خُلِعَ . (العواصم والقواصم للياني ٨ / ١٥)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من نبي بعثه الله قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بيده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل . (صحيح مسلم رقم ١٨٨)

قال ابن رجب معلق على هذا الحديث : وهذا يدل على جهاد الأمراء باليد . (جامع العلوم ٤ / ٣٠٤)

مذهب سيد الفقهاء أبي حنيفة رحمه الله : فالمشهور من مذهبه جواز قتال حكام الجور والظلمة ، والقول بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالسيف . (أحكام القرآن للجصاص ٦١)

ولقد أيد الإمام أبو حنيفة وساعد كل من خرج على أئمة الجور في عصره ، كزيد بن علي في خروجه على الخليفة الأموي فقد أمده أبو حنيفة بالمال ، وكان ينصح الناس ويأمرهم بالوقوف إلى جانبه ، وهذا ما ذكره الجصاص في هذه المسألة : وقضيته في أمر زيد بن علي مشهورة وفي حمله المال إليه وفتياه الناس سرّاً في وجوب نصرته والقتال معه . (أحكام القرآن للجصاص ٦١)

أما نجم العلماء ومفتي المدينة الإمام مالك فقد روى ابن جرير عنه أنه أفتى الناس بمبايعة محمد بن عبد الله بن الحسن الذي خرج سنة ١٤٥ هـ ، فقيل له : فإن في أعناقنا بيعة للمنصور ، فقال : إنما كنتم مكرهين وليس لمكره بيعة ، فبايعه الناس عند ذلك عن قول مالك ولزم مالك بيته .

(الدولة الإسلامية لبشير أحمد نقلاً عن البداية والنهاية لابن كثير)

وقد أفتى الإمام مالك للناس بمبايعة محمد بن عبدالله بن حسن عندما خلع الخليفة المنصور ، حتى قال الناس لمالك : في أعناقنا بيعة للمنصور ، قال : إنما كنتم مكرهين ، وليس لمكره بيعة ، فبايع الناس محمد بن عبدالله بن حسن عملاً بفتوى الإمام مالك . (البداية والنهاية ١٠ / ٤٨)

وقد ذكر ابن أبي يعلى في ذيل طبقات الحنابلة عن الإمام أحمد في رواية : من دعا منهم إلى بدعة فلا تجيبوه ولا كرامة وإن قدرتم على خلعه فافعلوا. (طبقات الحنابلة ٢ / ٣٠٥)

وقد ذكر ابن العربي أقوال علماء المالكية : إنما يقاتل مع الإمام العدل سواء كان الأول أو الخارج عليه فإن لم يكونا عدلين فأمسك عنهما إلا أن تراد بنفسك أو مالك أو ظلم المسلمين فادفع ذلك. (أحكام القرآن لابن العربي)

وكذلك قال ابن العربي : وقد روى ابن القاسم عن مالك : إذا خرج على الإمام العدل ، خارج وجب الدفع عنه ، مثل عمر بن عبد العزيز ، فأما غيره فدعه ينتقم الله من ظالم بمثله ثم ينتقم الله من كليهما قال الله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا) (الإسراء ٥) قال مالك : إذا بويح للإمام فقام عليه إخوانه قوتلوا إن كان الأول عدلاً فأما هؤلاء فلا بيعة لهم ، إذا كان بويح لهم على الخوف. (أحكام القرآن لابن العربي)

قال ابن حزم : والواجب أن وقع شيء من الجور وإن قل أن يكلم الإمام في ذلك ويمنع منه، فإن امتنع وراجع الحق، وأذعن للقوقد من البشرية، أو من الأعضاء، ولإقامة حد الزنا والقذف والخمر عليه فلا سبيل إلى خلعه وهو إمام كما كان لا يحل خلعه. فإن امتنع من إنفاذ شيء من هذه الواجبات عليه ولم يراجع وجب خلعه وإقامة غيره، ممن يقوم بالحق لقوله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (المائدة ٢) ولا يجوز تضييع شيء من واجبات الشرائع. وبالله التوفيق. (الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣ / ١٠٠ - ١٠٦)

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة الحسن بن صالح بن حي رحمه الله : وقولهم : كان يرى السيف يعني كان يرى الخروج بالسيف على أئمة الجور وهذا مذهب للسلف قديم لكن استقر الأمر على ترك ذلك لما رأوه قد أفضى إلى أشد منه. (التهذيب ٢ / ٢٨٨)

قال الشوكاني: نقل ابن التين عن الداودي قال الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب وإلا فالواجب الصبر وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداء فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه. (نيل الأوطار ٧ / ١٧٥)

وكذلك ذكر الجصاص أن كبار التابعين قد نابذوا الحجاج بالسيف، حيث قال: " وقد كان الحسن وسعيد بن جبير والشعبي وسائر التابعين يأخذون أرزاقهم من أيدي هؤلاء الظلمة ، لا على أنهم كانوا يتولونهم ولا يرون إمامتهم ، وإنما كانوا يأخذونها على أنها حقوق لهم في أيدي قوم فجرة . وكيف يكون ذلك على وجه موالاتهم وقد ضربوا وجه الحجاج بالسيف ، وخرج عليه من القراء أربعة آلاف رجل هم خيار التابعين وفقهاؤهم فقَاتلوه مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالأهواز ثم بالبصرة ثم بدير الجماجم من ناحية الفرات بقرب الكوفة وهم خالعون لعبد الملك بن مروان لاعتنون لهم متبرئون منهم (الخلافة والملك للمودودي نقلاً عن الطبري)

كذلك حين ثار عبد الرحمن بن الأشعث على الدولة الأموية في زمن ولاية الحجاج الظالمة وقف إلى جانبه آنذاك أكابر الفقهاء أمثال سعيد بن جبير والشعبي وابن أبي ليلى وأبي البختري، ويذكر ابن كثير أن فرقة عسكرية من القراء (يعني العلماء والفقهاء) وقفت معه ولم يقل واحد من العلماء الذين قعدوا عن القيام معه أن خروجه هذا غير جائز، والخطب التي ألقاها هؤلاء الفقهاء أمام جيش بن الأشعث تترجم نظريتهم ترجمة أمينة، قال بن أبي ليلى: أيها المؤمنون إنّه من رأى عدواناً يُعمل به ومُنكراً يُدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرئ، ومن أنكره بلسانه فقد أجر وهو أفضل من صاحبه، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وتور في قلبه اليقين، فقَاتلوا هؤلاء المحليين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفونه وعملوا بالعدوان فلا ينكرونه. وقال الشعبي: يا أهل الإسلام قاتلوهم ولا يأخذكم حرج في قتالهم، فوالله ما أعلم قوماً على بسيط الأرض أعمل بظلم ولا أجور منهم في الحكم، فليكن بهم البدار. وقال سعيد بن جبير: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيةً ويقين، وعلى آثامهم قاتلوهم على جورهم في الحكم وتجبرهم في الدين واستذلّاهم الضعفاء وإمامتهم الصلاة. (الخلافة والملك للمودودي نقلاً عن الطبري)

ثالثاً: وجوب الخروج على الحاكم الكافر أو الذي صدر منه كفر بواح بلا خلاف:

لاخلاف بين العلماء قديماً وحديثاً على الخروج على الحاكم الكافر او الحاكم الذي صدر منه كفر

حتى وإن لم يتعين تكفيره ونقل الإجماع كثير ومنهم :

ابن حجر: وإذا وقع من السلطان الكفر الصريح فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها

كما في الحديث . يعني حديث عبادة الأنف الذكر. (فتح الباري ١٣ / ٧)
وقال في موضع آخر: (إنه - أي الحاكم - ينزل بالكفر إجماعاً، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك،
فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعله الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك
الأرض). (فتح الباري ١٣ / ١٢٣).

رد بعض أهل العلم على من ادعى الإجماع على عدم الخروج على الحاكم الجائر : كثير من العلماء رد
عليهم ومنهم :

قال الإمام ابن حزم رحمه الله: ورأيت لبعض من نصب نفسه للإمامة والكلام في الدين ، فصولاً ذكر
فيها الإجماع ، فأتى فيها بكلام ، لو سكت عنه ، لكان أسلم له في أخراه ، بل الخرس كان أسلم له ، وهو
ابن مجاهد البصري المتكلم الطائي ، لا المقرئ ، فإنه ادعى فيه الإجماع أنهم أجمعوا على أنه لا يُخرج على
أئمة الجور ، فاستعظمت ذلك ولعمري إنه لعظيم أن يكون قد علم أن مخالف الإجماع كافر ، فيلقي
هذا إلى الناس ، وقد علم أن أفاضل الصحابة وبقية السلف يوم الحرة خرجوا على يزيد بن معاوية ، وأن
ابن الزبير ومن تابعه من خيار الناس خرجوا عليه ، وأن الحسين بن عليٍّ ومن تابعه من خيار المسلمين
خرجوا عليه أيضاً ، رضي الله عن الخارجين عليه ، ولعن قتلهم ، وأن الحسن البصري وأكابر التابعين
خرجوا على الحجاج بسيفهم ، أتري هؤلاء كفروا ؟ بل والله من كفرهم ، فهو أحق بالكفر منهم ،
ولعمري لو كان اختلافاً - يخفى - لعذرناه ، ولكنه مشهور يعرفه أكثر من في الأسواق والمخدرات في
خدورهن لاشتهاره ، ولكن يحق على المرء أن يحطم كلامه ويؤممه إلا بعد تحقيق وميز ويعلم أن الله تعالى
بالمرصاد ، وأن كلام المرء محسوب مكتوب مسؤول عنه يوم القيامة مقلداً أجر من اتبعه عليه أو وزره .

(مراتب الإجماع ص ١٦٦)

والقاضي عياض رحمه الله : وذكر دعوى ابن مجاهد للإجماع ، قال القاضي عياض : وردّ عليه هذا بعضهم
بقيام الحسين بن علي رضي الله عنه وابن الزبير ، وأهل المدينة على بني أمية وقيام جماعة عظيمة من
التابعين والصدر الأوّل على الحجاج مع ابن الأشعث وتأول هذا القائل قوله : ((أن لا ننازع الأمر
أهله)) على أئمة العدل قال عياض : وحجة الجمهور : أن قيامهم على الحجاج ليس لمجرد الفسق بل لما
غير من الشرع ، وأظهر من الكفر .

(إكمال المعلم للقاضي عياض ٦ / ١٢٨). (شرح النووي لصحيح مسلم ١٢ / ٢٢٩)

نقول بعض العلماء الإجماع على وجوب الخروج على الحاكم إن غير الشرع أو ترك قاعدة من قواعد

الدين أو دعا لبدعه : نقل الإجماع كثير من العلماء ومنهم :

وقال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر وعلى أنه لو طرأ عليه كفرٌ ، أو تغييرٌ

للشرع أو بدعةٌ خرج عن حكم الولاية ، وسقطت طاعته ، ووجب على المسلمين القيام عليه ونصب

إمام عادل إن أمكنهم ذلك ، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة ، وجب عليهم القيام بخلع الكافر ، ولا يجب

على المبتدع القيام إلا إذا ظنوا القدرة عليه ، فإن تحققوا العجز ، لم يجب القيام ، وليهاجر المسلم عن

أرضه إلى غيرها ويفر بدينه . وقال بعضهم : يجب خلعه إلا أن يترتب عليه فتنةٌ وحرب .

(صحيح مسلم شرح النووي ١٢ / ٢٢٩) . انتهى . (العواصم والقواصم الجزء ٨ ص ١٢)

وقال الإمام السفاقي رحمه الله : أجمعوا على أن الخليفة إذا دعا إلى كفر أو بدعة يثار عليه .

(إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري ١٠ / ٢١٧)

وقال الإمام القرطبي: قوله : (على المرء المسلم السمع والطاعة) ظاهر في وجوب السمع والطاعة

للأئمة والأمراء ، والقضاة . ولا خلاف فيه إذا لم يأمر بمعصية . فإن أمر بمعصية فلا تجوز طاعته في

تلك المعصية قولاً واحداً ، ثم إن كانت تلك المعصية كفراً : وَجَبَ خَلْعُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ . وكذلك :

لو ترك إقامة قاعدة من قواعد الدين ؛ كإقام الصلاة ، وصوم رمضان ، وإقامة الحدود ، ومنع من ذلك .

وكذلك لو أباح شرب الخمر ، والزنى ، ولم يمنع منهما ، لا يختلف في وجوب خَلْعِهِ .

(المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ١٢ / ٩٨)

العلامة بن عطية المالكي الأندلسي: حيث نقل عنه القرطبي في تفسيره قوله : (الشورى من قواعد

الشرعية وعزائم الأحكام من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب هذا ما لا خلاف فيه .

خلاصة القول :

مسألة الخروج على الحاكم الجائر خلافه والراجح فيها : الخروج فيه تفصيل فقال الإمام الداودي

البغدادي رحمه الله : الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب

وإلا فالواجب الصبر . (فتح الباري ١٣ / ٨) يعنى الضابط هو القدرة وان ينصب مكانه إمام عادل .

الآثار العملية من حياة السلف :

قال ابي جهمرة الضبعي: لما بلغني تحريق البيت خرجت على مكة واختلفت إلي ابن عباس حتى عرفني واستأنس بي فسببت الحجاج عند ابن العباس فقال: لا تكن عوناً للشيطان. (التاريخ الكبير ٨ / ١٠٤)
قال طاووس: ذكرت الأمراء عند ابن عباس، فأنبرك فيهم رجل (اي اجتهد في ذمهم) فتناول حتى ما رأي في البيت أطول منه فسمعت ابن عباس يقول: لا تجعل نفسك فتنه للقوم الظالمين فتقاصر حتى ما أري في البيت أقصر منه. (مصنف بن ابي شيبه ٧٥ / ١٥)

عن نافع قال جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان زمن يزيد بن معاوية فقال اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة فقال إني لم آتكم لأجلس أتيك لأحدثك حديثاً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية. (مسلم رقم ١٨٥١ - ٣ / ١٤٧٨)

قال زياد بن كسيب العدوي: كنت مع أبي بكره تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق. فقال أبو بكره: استكت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله. (سنن الترمذى ٧ / ١٤٩)

أراد المنصور خراب المدينة لإطباق أهلها على حربته مع محمد بن عبد الله بن حسن، فقال له جعفر بن محمد: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر، وإن أيوب عليه السلام ابتلي فصبر وإن يوسف عليه السلام قدر فغفر وقد جعلك الله عز وجل من نسل الذي يعفون ويصفحون فطفئ غضبه وسكت. (الآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٢٤٨)

٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات

إذا لم يتعين عليه أو ندب حاجة إليه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ [القصص : ٨٣].

٦٧٤- وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سمره رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمْرَةَ: لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعْنَتَ

عليها ، وإن أُعطيَتْها عن مسألةٍ وُكِّلتَ إليها ، وإذا حَلَفْتَ على يَمِينٍ ، فَرَأَيْتَ غيرها خيراً مِنْهَا ، فَأَتِ الذي هُوَ خَيْرٌ ، وكَفَّرْ عن يَمِينِكَ « متفقٌ عليه

٦٧٥- وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يا أبا ذرٍ أَرَأَيْتَ ضعيفاً ، وإني أحبُّ لك ما أحبُّ لنفسي ، لا تأمُرَنَّ على اثنين ولا تولِّينَّ مالَ يتيمٍ » رواه مسلم .

٦٧٦- وعنه قال : قلت : يا رسول الله ألا تستعملني ؟ فَضَرَبَ بيده على منكبي ثُمَّ قال : « يا أبا ذرٍ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وإِنَّهَا أمانةٌ ، وإِنَّهَا يومُ القيامةِ خِزْيٌ وَندامةٌ ، إلاَّ من أخذها بِحَقِّها ، وأدى الذي عليه فِيها » رواه مسلم

٦٧٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِنَّكُمْ ستَحْرِصُونَ على الإمارة ، وستَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن مسلم البطين : تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً . قال :
العلو : التكبر في الحق ، والفساد : الأخذ بغير الحق . (تفسير الطبري ١٩ / ٦٣٨)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب : (لا يصلح الناس إلا أمير بر أو فاجر) قالوا : يا أمير المؤمنين هذا البر فكيف بالفاجر؟ قال: إن الفاجر يؤمن الله عز وجل به السبل ويجاهد به العدو ويحبي به الفيء وتقام به الحدود ويحج به البيت ويعبد الله فيه المسلمُ آمنًا حتى يأتيه أجله. (شعب الإيمان للبيهقي رقم ٧٢٤٩)

قال ابوهريرة : من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار والجمع بينهما أنه لا يلزم من كونه لا يعان بسبب طلبه أن لا يحصل منه العدل إذا ولي. (فتح الباري ١٣ / ١٢٤)

وصف شداد بن أوس رضي الله عنه لها بالشهوة الخفية حين قال محذراً: يا بقايا العرب يا بقايا العرب إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية. (مجموع فتاوى ابن تيمية ١٦ / ٣٤٦)

عن أنس: من طلب القضاء واستعان عليه بالشفعاء وكل إلى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله له ملكا

يسدده. (فتح الباري ١٣/ ١٢٤)

قال عوف بن مالك : الامارة : أولها ملامة وثانيها ندامة ، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل.

(فتح الباري ١٣/ ١٢٥)

قال سفيان الثوري: إياك وحب الرياسة فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو

باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقد نفسك واعمل بنية. (تهذيب الحليه ٢/ ٣٦٧)

قال سفيان الثوري: من طلب الرياسة قبل مجيئها فرت منه. (العوائق لمحمد الراشد ٨٨)

قال سفيان الثوري: ما رأيت الزاهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب

والمال والثياب، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى . (حليه الأولياء ٧/ ٣٩)

قال الفضيل بن عياض: ما أحب أحد الرياسة إلا أحب ذكر الناس بالنقائص والعيوب ل يتميز هو

بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير، ومن عشق الرياسة فقد تودع من صلاحه.

(العوائق لمحمد الراشد ٨٨)

قال المهلب: الحرص على الولاية هو السبب في اقتتال الناس عليها حتى سفكت الدماء واستبيحت

الأموال والفروج وعظم الفساد في الأرض بذلك. (فتح الباري ١٣/ ١٢٦)

قال اسحاق بن خلف: الزهد في الرياسة أشد من الزهد في الذهب والفضة لانها يبذلان في طلب

الرياسة. (مدارج السالكين ٢/ ٢٤)

رأى عمر بن هبيرة أن يولي المسيب بن رافع الأسدي القضاء فقال: ما يسرنى وأن سوارى مسجدكم لي

ذهباً. (سير أعلام النبلاء ٥/ ١٠٣)

وكان أبو الشعثاء يقول: لو ابتليت بالقضاء لركبت راحلتي وهربت. (سير أعلام النبلاء ٤٨٣/ ٤)

قال ابن تيمية : أن أكثر الناس تفسد أحوالهم في الإمارة بسبب ابتغاء الرئاسة والمال بها. فقال: وإنما

يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة والمال بها. (مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٩٢-٣٩٣)

فقال ابن تيمية معقباً: فهي خفية تخفي عن الناس وكثيراً ما تخفي على صاحبها. (الفتاوى ١٦/ ٣٤٦)

قال الشوكاني بعد أن ذكر أحاديث الإمارة في السفر: فيها دليل على أنه يشرع لكل عدد بلغ ثلاثة

فصاعداً أن يؤمروا عليه أحدهم لأن في ذلك السلامة من الخلاف الذي يؤدي إلى التلاف، فمع عدم

التأمر يستبد كل واحد برأيه ويفعل ما يطابق هواه فيهلكون، ومع التأمر يقل الاختلاف وتجتمع الكلمة، وإذا شرع هذا لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض أو يسافرون فشرعيته لعدد أكثر يسكنون القرى والأمصار ويحتاجون لدفع التظالم وفصل الخصام أولى وأحرى . (نيل الأوطار ٨ / ٢٥٦)

الآثار العملية من حياة السلف :

روى أن علياً رضي الله تعالى عنه بعث إلى ابن عمر رضي الله عنهما فقال: يا أبا عبد الرحمن، إنك رجل مطاع في أهل الشام فسر فقد أمرتك، فقال ابن عمر: أذكرك الله وقرابتي من رسول الله، وصحبتني إياه إلا ما أعفيتني، فأبى عليٌّ، يقول ابن عمر رضي الله عنهما: فاستعنت عليه بحفصة، يعني أن تشفع له، فأبى، يقول: فخرجت ليلاً إلى مكة، فليل لعلي رضي الله عنه: إنه قد خرج إلى الشام، فبعث في أثري، فجعل الرجل يأتي المربرد فيخطم بعيره بعمامته ليدركني بمعنى أنه يأتي إلى المربرد وهو محبس الإبل، فمن العجلة ليدرك ابن عمر لا يتمكن من وضع الخطام للإسراع الشديد فيخطم بعيره بعمامته؛ ليدرك ابن عمر، يعني أن علياً خشي أن ابن عمر يلحق بأهل الشام، يلحق بمعاوية لما أراد أن يكرهه على الإمارة، يقول: فأرسلت حفصة أنه لم يخرج إلى الشام، وإنما خرج إلى مكة، فسكن على رضي الله عنه.

(سير أعلام النبلاء ٣ / ٢٢٤)

ولما ولي يزيد بن المهلب خرسان قال: دلوني على رجل كامل في خصال الخير، فدل علي أبي بردة الأشعري - أي أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، فلما جاءه رآه رجلاً فائقاً، يعني على الوصف الذي ذكر، فلما كلمه رأى من مخبرته أفضل من مرآته، يعني الآن رأى هيئة في غاية السمات والوقار، فلما تكلم معه رأى عقلاً وحسن نظر في الأمور أعظم مما رأى في صورته الظاهرة، فلما تكلم معه وجد أن خصاله وأخلاقه وعقله أفضل، فقال: إني وليتك كذا، وكذا من عمل، فاستعفاه، فأبى أن يعفيه، فقال: أيها الأمير، ألا أخبرك بشيء حدثني به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وذكر له حديثاً، إلى أن قال: وأنا أشهد أني لست بأهل لما دعوتني إليه، فقال: ما زدت على أن حرضتنا على نفسك، يعني: ما دام أنك بهذا الزهد في الولايات هذا الذي نريد ورغبنا فيك، فاخرج إلى عهدك فإني غير معفيك، فخرج ما شاء الله أن يقيم، فاستأذن في القدوم عليه، فأذن له، فقال أيها الأمير: ألا أحدثك بشيء حدثني به؟ وذكر له حديثاً، وقال في السؤال بوجه الله تبارك وتعالى وإني سألتك بوجه الله إلا ما أعفيتني أيها الأمير من عملك، فأعفاه. (سير أعلام النبلاء ٤ / ٣٤٥)

هذا الأوزاعي الإمام الكبير طلب منه يزيد بن الوليد أن يلي القضاء، فجلس مجلساً واحداً، ثم استعفى (طلب الإعفاء) فأعفى. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٦٨ / ٤٥)

بكر بن عبد الله المزني رحمه الله لما ذهبوا به إلى القضاء قال: إني والله لا علم لي بالقضاء، فإن كنت صادقاً فما ينبغي لكم أن تستعملوني، وإن كنت كاذباً فلا تولوا كاذباً. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠٢)

قال الزبير بن بكار كان فقيه أهل المدينة بعد مالك بن أنس وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع وأبى أمير المؤمنين إلا أن يلزمه ذلك فقال والله يا أمير المؤمنين لأن يخنني الشيطان أحب إلي من أن ألي القضاء فقال الرشيد ما بعد هذا غاية وأعفاه من القضاء وأجازته بألفي دينار. (تهذيب الكمال)

٨٢- باب هتّ السلطان والفاضي وغيرهما من ولاية الأمور

على إلقاء وزير صالح وتهديرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ [الزخرف: ٦٧].

٦٧٨- عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بَطَانَتَانِ : بَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتُحْضِرُهُ عَلَيْهِ ، وَبَطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتُحْضِرُهُ عَلَيْهِ وَالْمَعْصُومُ مِنْ عَصَمَ اللهُ » رواه البخاري .

٦٧٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا ، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدِيقٍ ، إِنْ نَسِيَ ذِكْرَهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يُدَكِّرْهُ ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنِّهِ ». رواه أبو داود بإسناد جيد على شرط مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس قوله: الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين. فكل خلة هي عداوة إلا خلة المتقين . عن أبي إسحاق ، أن عليا رضي الله عنه قال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، فمات أحد المؤمنين

فقال : يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أنني ملائكتك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا

مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول : ليشن أحدكما على صاحبه فيقول : يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ، ويأمرني بالخير ، وينهاني عن الشر ، ويخبرني أي ملائكتك ، فيقول : نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب؛ قال : ويموت أحد الكافرين فيقول : يا رب إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني أي غير ملائكتك فيقول : بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب . (تفسير الطبري ٢١ / ٦٣٨)

قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم . قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصدقة والحلف والجوار والرضاع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مبايعتهم خوف الفتنة عليهم . (تفسير البغوي ٢ / ٩٦)

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا) . (سورة آل عمران ١١٩)

يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة ، أي : يطلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم ، والمنافقون بجهدهم وطاقاتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي : يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن ، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة ، ويودون ما يعنت المؤمنين ويخرجهم ويشق عليهم . وبطانه الرجل هم : خاصة أهله الذين يطلعون على داخلته أمره . (بن كثير ٢ / ١٠٧)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إذا رأيتم القارئ يحب الأغنياء فهو صاحب دنيا وإذا رأيتموه يلزم السلطان فهو لص . (البدايه والنهايه ٩ / ٣١٠)

وقال أبو ذر لسلمة : يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فإنك لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك أفضل منه . (إحياء علوم الدين ٢ / ١٤٢)

قال ابن عباس رضي الله عنه : كان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباباً . (فتح الباري ٣٥٥)

قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن على أبواب السلطان فتناً كمبارك الإبل ، والذي نفسي بيده لا تصيبوا من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينكم مثليه . (حليه الأولياء ٤ / ٣٠)

قال حذيفه بن اليمان : إياكم ومواقف الفتن . قيل : وما مواقف الفتن يا ابا عبدالله؟ قال : أبواب الأمراء يدخلها أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول له ما ليس فيه . (مختصر منهاج القاصدين ٩٣)

كتب سفيان الثوري إلى عباد بن عباد: إياك والأمرء أن تدنو منهم أو تخالطهم في شيء من الأشياء وإياك أن تخدع ويقال لك لتشفع وتدرأ عن مظلوم أو ترد مظلمة فإن ذلك خديعة إبليس وإنما اتخذها فجار القراء سُلماً وما كفيت عن المسألة والفتيا فاغتنم ذلك ولا تنافسهم وإياك أن تكون ممن يجب أن يعمل بقوله أو ينشر قوله أو يسمع قوله فإذا ترك ذلك منه عرف فيه وإياك وحب الرياسة فإن الرجل يكون حب الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة وهو باب غامض لا يبصره إلا البصير من العلماء السامسة، فتفقد بقلب واعمل بنية واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت والسلام. (جامع بيان العلم / ١ / ١٧٩)

قال سفيان الثوري: كان خيار الناس وأشرفهم والمنظور إليهم في الدين الذين يقومون إلى هؤلاء فيأمرونهم وينهونهم - يعني: الأمرء - وكان آخرون يلزمون بيوتهم ليس عندهم ذلك فكانوا لا يتتفع بهم ولا يذكرون، ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم شرار الناس والذين لزموا بيوتهم ولم يأتوهم خيار الناس. (جامع بيان العلم وفضله / ١ / ٣٣٠)

وقال محمد بن سحنون: كان لبعض أهل العلم أخ يأتي القاضي والوالي بالليل يسلم عليهما، فكتب له أخوه كتاباً فقال: أما بعد: فإن الذي يراك بالنهار يراك بالليل، وهذا آخر كتاب أكتبه إليك. قال ابن سحنون: لما قرأ ذلك فأعجبه قال: ما أسمع العالم أن يؤتى إليه في حلقة فلا يوجد، فيسأل الناس: أين العالم؟ فيقولون: عند الأمير أو عند السلطان. والمعنى: ما أسمع هذا العالم، وما أغباه، وما أحقه أن يترك هذه المساجد ويذهب ويرتع هنا وهناك جمعاً للدنيا والمال والحطام والكراسي والمناصب والرئاسة وغيرها. قال سحنون: إذا أتى الرجل مجلس القاضي ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة ولا عذر؛ فينبغي ألا تقبل شهادته. (جامع بيان العلم وفضله / ١ / ٣٣٢)

قال ميمون بن مهران: ثلاث لا تبلون نفسك بهن لا تدخل على سلطان وإن قلت أمره بطاعة الله ولا تدخل على امرأة وإن قلت أعلمها كتاب الله، ولا تصغين بسمعك إلى ذي هوى فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك من هواه. (حليه الأولياء / ٤ / ٨٥)

قال وهب بن منبه: إن جمع المال وغشيان السلطان لا يبقيان من حسنات المرء إلا كما يبقى ذئبان جائعان ضاريان سقطا في حظيرة غنم فباتا يجوسان حتى أصبحا. (جامع بيان العلم حديث ٧٢٤)

قال ابن المبارك: من بخل بالعلم ابتلي بثلاث إما موت يذهب علمه وإما ينسى وإما يلزم السلطان فيذهب علمه. (سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٩٨)

وقال أبو حازم سلمة بن دينار: إن خير الأمراء من أحب العلماء وأن شر العلماء من أحب الأمراء. (سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠١)

قيل للإمام مالك: إنك تدخل على السلطان وهم يظلمون ويجورون؟ فقال يرحمك الله فأين المكلم بالحق. (الجرح والتعديل ١/ ٣٠)

قال الفضيل بن عياض: كنا نتعلم اجتناب السلطان كما نتعلم السورة من القرآن. (شعب الإيمان ٨٩٧٠)

وقال ابن حزم وهو ينصح العالم في رسالته (مراتب العلوم): وإن ابتلي بصحبة سلطان فقد ابتلي بعظيم البلايا وعرض للخطر الشنيع في ذهاب دينه وذهاب نفسه وشغل باله وترادف همومه. (مجموعه رسائل ابن حزم ٤/ ٧٦)

الآثار العملية من حياة السلف:

عن أبي موسى الأشعري قال: قلت لعمر رضي الله عنه: لي كاتب نصراني، قال: ما لك قاتلك الله؟! أما سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض) (المائدة ٥١)؟! ألا اتخذت حنيفاً؟! قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذهم الله، ولا أذنيهم وقد أقصاهم الله. (أخرجه البيهقي ٢٠١٩٦)

قال عبيد الله بن الحيار: أتيت أسامة بن زيد فقلت: ألا تنصح عثمان بن عفان ليقم الحد على الوليد؟ فقال أسامة: هل تظن أني لا أناصحه إلا أمامكم؟ والله لقد نصحته فيما بيني وبينه ولم أكن لأفتح باباً للشرك أن أكون أنا أول من فتحه. (رواه الشيخان)

قال عمر بن حبيب: حضرت مجلس هارون الرشيد، فجرت مسألة تنازعها الحضور، وعلت أصواتهم، فاحتج أحدهم بحديث رواه أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدفع بعضهم الحديث، وزادت المدافعة والخصومة، حين قال قائلون منهم: لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه، وصرحوا بتكذيبه، ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم، ونصر قولهم، فقلت أنا: هذا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو هريرة صحيح النقل، صدوق فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره، فنظر إلي الرشيد نظر مغضب، وقمت من المجلس

فانصرفت إلى منزلي، فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب، فدخل فقال لي: أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن، فقلت: اللهم إنك تعلم أي دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه، فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب، حاسر عن ذراعيه بيده والسيف، وبين يديه النطع، فلما بصر بي قال لي: يا عمر بن حبيب، ما تلقاني أحد من الرد والدفن لقولي بمثل ما تلقيتني به، فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازدراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى ما جاء به، إذا كان أصحابه كذابين، فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول، فرجع إلى نفسه ثم قال: أحسبني يا عمر بن حبيب أحياك الله، وأمر لي بعشرة آلاف درهم. (تهذيب الكمال ٢/١٠٠٤ - ١٠٠٥) فقد رُوِيَ أن رجلاً سأل عبد الملك أن يخلو به فأمر عبد الملك مَنْ عنده بالانصراف فلما خلا به، وأراد الرجل أن يتكلم قال له عبد الملك: احذر من كلامك ثلاثاً: إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسك منك أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب أو تسعى إليّ بأحدٍ من الرعية فإنهم إلى عدلي وعضوي أقرب منهم إلى جورِي وظلمي وإن شئت أقلتك. فقال الرجل: أقلني. فأقاله. (تاريخ دمشق ٣٧/١٤٢)

ولما ولي عمر بن هبيرة الفزاري العراق وأضيفت إليه خراسان، وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك، استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي وذلك في سنة ثلاث ومائة، فقال لهم: إن يزيد خليفة الله استخلفه على عبادته، وأخذ عليهم الميثاق بطاعته، وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة، وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الأمر، فما ترون فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه تقية فقال ابن هبيرة: ما تقول يا حسن فقال: يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف في الله، إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكاً فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا ابن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرًا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. (وفيات الأعيان ٢/٧١)

محمد بن شهاب الزهري فقد دخل على خلفاء بني أمية ومع دخوله لم يعط الدنية لدينه فيها هو يقف كالجبل أمام الخليفة هشام بن عبد الملك قال له: من الذي تولى كبره منهم؟ فقال: هو عبد الله بن أبي

قال : كذبت هو علي بن أبي طالب فقال الزهري : أنا اكذب (لا أبالك) فوالله لو نادى مناد من السماء إن الله أحل الكذب ما كذبت حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي. (سير أعلام النبلاء ٥ / ٣٤٠)

أحمد بن محمد الخراساني النوري صاحب الجنيد كان إذا رأى منكراً غيره ولو كان فيه تلفه نزل يوماً فرأى زورقاً فيه ثلاثون دنأ فقال للملاح : ما هذا ؟ قال : ما يلزمك ؟ فألح عليه ، فقال : أنت والله صوفي كثير الفضول هذا خمر للمعتضد الخليفة العباسي قال : أعطني ذلك المدري فاغتاظ وقال لأجيريه : ناوله حتى أبصر ما يصنع فأخذه ونزل فكسرها كلها فأدخل على المعتضد فقال : من أنت ويلك ؟ قال : محتسب قال : ومن ولاك الحسبة ؟ قال : الذي ولاك الإمامة يا أمير المؤمنين ! فأطرق وقال : ما حملك على فعلك ؟ قال : شفقة مني عليك ! فتركه وأخلا سبيل. (سير أعلام النبلاء ١٣ / ٧٦)

ابن العلقمي وزير المستعصم آخر خلفاء الدولة العباسية، كان له أثره البالغ في انهيار الخلافة، ومقتل أهل بغداد على بكرة أبيهم، وزوال الملايين من الكتب الشرعية والعلمية نتيجة إغراقها في النهر، وما ذلك إلا لتعاونه مع التتار الغزاة فضلاً عن مشوراته الفاسدة التي قللت عدد الجيش من مائة ألف مقاتل إلى عشرة آلاف، ونهيه الناس أن يقاتلوا التتار، وغيرها من قراراته الهادمة. (البداهة والنهاية ١٣ / ٢٣٤)

٨٢- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما

من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرض بها

٦٨٠- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : دخلتُ على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا : يَا رَسُولَ اللهِ أَمَرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَاكَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ الْآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ ، فَقَالَ : « إِنَّا وَاللَّهِ لَا نُؤَيِّي هَذَا الْعَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ » .

الأخبار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب: لو يعلم الناس ما في القضاء ما قضوا في ثمن بكرة ! ولكن لا بد للناس من القضاء ومن إمرة برة أو فاجرة. (أخبار القضاة لأبي بكر الضبي الملقب بـ وكيع ص ٢١)

قال ابن مسعود: لأن أجلس قاضياً بين اثنين أحب إليّ من عبادة سبعين سنة. (المغنى ١١ / ٣٧٦)

عن أبي الحسن علي بن القاسم القاضي قال: سمعت أبي يقول: كان موسى بن إسحاق لا يرى متبسماً قط. فقالت له امرأة: أيها القاضي لا يحل لك أن تحكم بين الناس فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يحل للقاضي أن يحكم بين اثنين وهو غضبان فتبسم. (تاريخ بغداد ١٣ / ٥٣)

عن إبراهيم بن مهدي قال: سمعت حفص بن غياث، وهو قاض بالشرقية يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضياً، لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه فيقتلعها فيرمي بها خير له من أن يكون قاضياً. (تاريخ بغداد ٨ / ١٩٠)

لما تقلد أحمد بن بديل القضاء قال: خذلت على كبر السن خذلت على كبر السن مع عفته وصيانتة. (تاريخ بغداد ٤ / ٤٩)

قال مكحول: لأن أقدّم فتضرب عنقي أحب إلى من أن ألي القضاء. (أخبار القضاة ص ٢٤)
قال الفضيل بن عياض: إذا ولي الرجل القضاء فليجعل للقضاء يوماً وللبكاء يوماً. (أخبار القضاة ص ٢٤)
عن ابن شبرمة قال: لا تجترئ على القضاء حتى تجرئ على السيف. (أخبار القضاة ص ٢٤)
قال ابن تيمية: الواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربةً يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال كثير من الناس لابتغاء الرياسة أو المال بها. (السياسة الشرعية ١٨٦ - ١٨٩)

وقال أيضاً: إذا كان المقصود بالسلطان والمال هو التقرب إلى الله وإقامة دينه، وإنفاق ذلك في سبيله كان ذلك صلاح الدين والدنيا. (السياسة الشرعية ص ١٨٦ - ١٨٩)

الآثار العملية من حياة السلف:

وأبو حنيفة رحمه الله: ضُرب على القضاء فأبى أن يكون قاضياً وكان ذلك أكثر من مرة وطلب منه أبو جعفر المنصور أن يلي القضاء وحلف عليه فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل فقال له الحاجب: ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف قال: أمير المؤمنين على كفارة يمينه أقدر مني فأمر به أبو جعفر المنصور فحُبس فمات فيه ببغداد. (سير أعلام النبلاء ٦ / ٤٠١)

عن عبيد الله بن عمرو الرقي قال: كلم بن هبيرة أبا حنيفة أن يلي له قضاء الكوفة، فأبى عليه فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط، وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله.

(تاريخ بغداد ١٣ / ٣٢٦)

بعث كان أمير المؤمنين الرشيد إلى عبيد الله بن عمر العمري، فقدم عليه بغداد فولاه قضاء المدينة، فاستعفاه فلم يعفه فعرض ليحيى بن خالد فقال: لا والله ما أحسن القضاء فإن كنت صادقاً فما يسعكم أن تولوا من لا يحسن وإن كنت كاذباً فلا يحل لكم أن تولوا من يكذب فاعفى من القضاء وكان امراً صالحاً. (تاريخ بغداد ٣١٠ / ١٠)

عن حميد بن الربيع قال: لما جيء بعبد الله بن إدريس وحفص بن غياث ووكيح بن الجراح إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد ليوليهم القضاء دخلوا عليه، فأما ابن إدريس فقال: السلام عليكم، وطرح نفسه كأنه مفلوج، فقال هارون: خذوا بيد الشيخ لا فضل في هذا، وأما وكيح فقال: والله يا أمير المؤمنين ما أبصرت بها منذ سنة، ووضع أصبعه على عينه وعنى أصبعه فأعفاه، وأما حفص بن غياث فقال: لولا غلبة الدين والعيال ما وليت. (تاريخ بغداد ١٨٩ / ٨)

عن الفضل بن الربيع قال: دعاه أمير المؤمنين المهدي إلى قضاء المدينة، فلم أرى رجلاً قط كان أصح استعفاء منه، قال لأمر المؤمنين: إني كنت وليت ولاية، فخشيت أن لا أكون سلمت منها، وأعطيت الله عهداً أن لا ألي ولاية أبداً، وأنا أعيد أمير المؤمنين بالله ونفسي أن لا يحملني على أن أخيس بعهد الله، قال له المهدي: فوالله لقد أعطيت هذا من نفسك قبل أن أدعوك، قال: والله لقد أعطيت هذا من نفسي قبل أن تدعوني، قال: فقد أعفيتك. (تاريخ بغداد ٢٤٤ / ١٣)

عن محمد بن عبد الله بن علاثة أنه كان يقال له قاضي الجن وذلك أن بئراً كانت بين حران وحصن مسلمة فكان من يشرب منها خبطته الجن قال: فوقف عليها فقال: أيها الجن إنا قد قضينا بينكم وبين الأنس فلهم النهار ولكم الليل قال: فكان الرجل إذا استسقى منها بالنهار لم يصبه شيء.

(تاريخ بغداد ٣٨٩ / ٥)

عبد الله بن محمد الخرقى قُلد القضاء فلم يقبله واختفى ولما صار صالح بن أحمد بن حنبل إلى أصبهان وُلي القضاء هناك، وقرئ عهده بالجامع يعني خطاب تولية القضاء فبكى كثيراً وبكى بعض الشيوخ فلما فرغ جعلوا يدعون له ويقولون ما ببلدنا إلا من يجب أباك يعني الإمام أحمد قال: أبكاني أي ذكرته ويراني في هذه الحال يعني يقول: لو رأي أبي لم يقبل ولم يرص يقول: كان أبي يبعث خلفي إذا جاءه رجل زاهد أو متشرف لأنظر إليه يجب أن أكون مثله يعني الإمام أحمد يربي ابنه صالحاً منذ الصغر إذا جاءه أحد من

الزهاد يستدعي ولده لينظر إليه لعله يتأثر به ويستفيد مما يشاهد. (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٥٣٠)
 عن المعلى بن روبة قال : قال لي رجاء بن حيوة : ولي الأمير اليوم عبدالله بن موهب القضاء ولو اخترت
 بين أن أحمل إلى حفرتي وبين ما ولي ابن موهب : لاخترت أن أحمل إلى حفرتي فقلت له : فإن الناس
 يتحدثون أنك أنت أشرت به قال : صدقوا لأنني نظرت للعامة ولم أنظر له . (أخبار القضاة ص ٢٣ - ٢٤)
 وكتب الخليفة إلى ابن وهب في قضاء مصر فجئن نفسه ولزم البيت، فاطلع عليه رشدين بن سعد - وهو
 أحد رواة الحديث أيضاً-، فقال: يا أبا محمد، ألا تخرج إلى الناس فتحكم بينهم كما أمر الله ورسوله؟ قد
 جئن نفسك ولزمت البيت، إلى هاهنا انتهى عقلك؟. (سير أعلام النبلاء ١٤ / ٤٢٤)

ووقع في ذهن المنصور أن أبا ميسرة أحمد بن نزار المالكي لا يرى الخروج عليه فأراده ليوليه القضاء
 فقال: كيف يلي القضاء رجل أعمى يبول تحته؟! هو يتحدث عن نفسه ثم قال: اللهم إنك تعلم أني
 انقطعت إليك وأنا شاب فلا تمكنهم مني فما جاءت العصر إلا وهو من أهل الآخرة. (السير ١٥ / ٣٩٦)
 وبعث المستعين بالله الخليفة إلى نصر بن علي يوليه القضاء فاستدعاه عبد الملك أمير البصرة وأمره بذلك،
 فقال: أرجع وأستخير الله تعالى فرجع إلى بيته نصف النهار فصلى ركعتين وقال: اللهم إن كان لي عندك
 خير فاقبضني فنام فأنبهوه فإذا هو ميت. (سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٣٦)

عن الخطيب قال: استقضى عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي على سمرقند فأبى فالح عليه السلطان حتى
 تقلده وقضى قضية واحدة ثم استعفى فأعفي. (تاريخ بغداد ١٠ / ٢٩)
 عن العباس بن مصعب قال: أكره - عبد الرحمن بن علقمة - على قضاء سرخس، أخرج مكرهاً، فلما
 خرج إلى سرخس أقام بها أياماً ثم هرب منها فلم يظهر إلى أن عزل الذي ولاه أو مات أو أعفي.
 (تاريخ بغداد ١٠ / ٢٥٥)

وذكروا أن ثابت بن حزم الأندلسي عرض عليه القضاء في بلده فأبى فأراد أبوه أن يلزمه بذلك فسأله
 إنظاره ثلاثاً، فتوفي فيها، فكانوا يرون أنه دعا على نفسه بالموت، وكان معروفاً بإجابة الدعوة.

(سير أعلام النبلاء ١٤ / ٥٦٣)

وعرض على ابن وهب القضاء فجئن نفسه، ولزم بيته يعني تظاهر بالجنون ولزم بيته. (السير ٩ / ٢٣٣)
 عن علي بن سراج قال: بعض شيوخنا قال: استأذن ابن علاثة على سفيان الثوري بعد أن ولي القضاء،

فدخل عمار بن محمد بن أحمد بن سفيان يستأذن له علي سفيان، فلم يأذن له وكان سفيان يعجن كسباً للشاة، فلم يزل به عمار حتى أذن له، فدخل ابن علاثة فلم يحول سفيان وجه إليه، ثم قال له: ابن علاثة أهذا كتبت العلم؟ لو اشتريت صيداً بدرهم - يعني سميكاً - ثم درت في سكك الكوفة لكان خيراً من هذا. (تاريخ بغداد ٥ / ٣٨٩)

وأكره أبو علي الحسين بن محمد على القضاء فتولاه في بعض بلاد الأندلس ثم اختفى حتى أعفي.
(سير أعلام النبلاء ١٩ / ٣٧٧)

كتاب الأدب

٨٤- باب الحياء ونضله والحث على التخلق به

٦٨١- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعه فإن الحياء من الإيمان» متفق عليه.

٦٨٢- وعن عمران بن حصين، رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحياء لا يأتي إلا بخير» متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «الحياء خير كله» أو قال: «الحياء كله خير».

٦٨٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الإيمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» متفق عليه.

«البضع»: بكسر الباء. ويجوز فتحها، وهو من الثلاثة إلى العشرة. «والشعبة»: القطعة والحضلة. «والإماطة»: الإزالة «والأذى»: ما يؤذي كحجر وشوك وطين ورماد وقذر ونحو ذلك.

٦٨٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه في وجهه. متفق عليه.

قال العلماء : حَقِيقَةُ الْحَيَاءِ خُلِقَ يُبْعَثُ عَلَى تَرْكِ الْقَبِيحِ ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّ ذِي الْحَقِّ .
وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْجُنَيْدِ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ : الْحَيَاءُ رُؤْيَةُ الْآلَاءِ أَي : النَّعْمِ وَرُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ .
فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّى حَيَاءً .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن سفيان ابن عيينة قال: قال لقمان: خير الناس: الحَيِّي، الغني؛ قيل: الغنى في المال؟ قال: لا، ولكن: الذي إذا احتيج إليه نفع، وإذا استغنى عنه نفع؛ قيل: فمن شر الناس؟ قال: من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً. (حليه الأولياء ٧/٣٠٧)

عن عروة بن الزبير عن أبيه: أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه خطب الناس فقال: يا معشر المسلمين استحيوا من الله عز وجل فوالذي نفسي بيده إني لأظن حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عز وجل. (حليه الأولياء ١/٣٤)

قال عمر رضي الله عنه: إن الحياء ليدل على هنات ذات ألوان من استحيا استخفى ومن استخفى اتقى ومن اتقى وقى. (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا رقم حديث ٩٠)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه. (شعب الإيمان للبيهقي ٧/٥٩)

قال ابن عباس: الحياء والإيمان في طلق؛ فإذا أنتزع أحدهما من العبد اتبعه الآخر .

(شعب الإيمان للبيهقي ١٠/١٦٥ - ٧٣٢٩)

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: رأس مكارم الأخلاق الحياء. (مكارم الأخلاق ص ١٦)

قال عبد الله بن مسعود: ألامُّ خُلِقَ الْمُؤْمِنُ، الْفُحْشُ. (الصمت لابن أبي الدنيا ص ٨٩)

ورأى أبو الدرداء امرأة سليطة اللسان، فقال: لو كانت هذه خرساء، كان خيراً لها. (الصمت ١٨٤)

عن زاذان عن سلمان رضي الله عنه قال: إن الله تعالى إذا أراد بعبد شراً، أو هلكة: نزع منه الحياء، فلم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً؛ فإذا كان مقيتاً ممقتاً، نزعت منه الرحمة؛ فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان كذلك،

نزعت منه الأمانة، فلم تلقه إلا خائناً مخوناً؛ فإذا كان كذلك، نزعت ربة الإسلام من عنقه، فكان لعيناً ملعناً. (حليه الأولياء ١/ ٢٠٤)

عن محمد بن حاتم قال: قال الفضيل: لو خيرت بين أن أبعث فأدخل الجنة، وبين أن لا أبعث؛ لاخترت ان لا ابعث قلت لمحمد بن حاتم: هذا من الحياء؟ قال: نعم هذا من طريق الحياء من الله عزوجل. (حليه الأولياء ٨/ ٨٤)

قال الفضيل بن عياض: خمس من علامات الشقوة: قسوة القلب جمود العين قله الحياء الرغبة في الدنيا طول الامل. (شعب الإيثار للبيهقي ١٠/ ١٨٢)

قال الفضيل بن عياض: أدركت أقواماً يستحيون من الله سواد الليل من طول الهجعة، إنها هو على الجنب، فإذا تحرك قال: ليس هذا لك، قومي خذي حظك من الآخرة. (حليه الأولياء ٨/ ١٠٨)
قال عبد الله بن أبي الهذيل: أدركنا أقواماً وإن أحدهم يستحي من الله تعالى في سواد الليل. قال سفيان: يعني التكشف. (حليه الأولياء ٤/ ٣٥٩)

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي: أحب أن لا أموت حتى أعرف مولاي، وليس معرفته الإقرار به، لكن المعرفة إذا عرفته استحيت منه. (حليه الأولياء ٩/ ٢٨٢)

قال أبو عبيدة الناجي: سمعت الحسن يقول: الحياء والتكريم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله عز وجل بهما. (مكارم الاخلاق لابن ابي الدنيا ١/ ٤٣)

قال ذو النون: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك والحب ينطق والحياء يسكت والخوف يقلق. (مدارج السالكين ٢/ ٢٤٩)

وعن عون بن عبد الله قال: ألا أن الفحش والبذاء من النفاق، وهن مما يزدن في الدنيا، وينقصن في الآخرة، وما ينقصن في الآخرة أكثر مما يزدن في الدنيا. (الصمت لابن ابي الدنيا ١٨٦)

قال إبراهيم بن ميسرة: يقال: الفاحش المتفحش يوم القيامة، في صورة كلب، أو في جوف كلب. (الصمت لابن ابي الدنيا ١٨٥)

قال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب. فإن وجدوا فيه الزهد والورع وإلا رحلا.

(مدارج السالكين ٢/ ٢٤٩)

وقال الأحنف بن قيس: أولاً أخبركم بأدواء الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء. (الصمت ١٨٦)
عن أبي سليمان الداراني قال: إذا استحي العبد من ربه عز وجل، فقد استكمل الإيمان. (الحليه ٩/٢٥٧)
قال مجاهد: إن المسلم، لو لم يصب من أخيه إلا حياء منه يمنعه من المعاصي، لكفاه. (الحليه ٣/٢٨٠)
عن عبيد بن عمير قال: آثروا الحياء من الله، على الحياء من الناس. (حليه الأولياء ٣/٢٦٨)
وقال ابن عطاء: العلم الأكبر: الهيبة والحياء؛ فإذا ذهبت الهيبة والحياء لم يبق فيه خير.

(الرساله القشيريّه ١/٩٨)

وقال أبو عثمان: مَنْ تكلّم في الحياء ولا يستحي من الله عزّ وجلّ فيما يتكلّم به، فهو مستدرج.

(الرساله القشيريّه ١/٩٨)

قال يحيى بن معاذ: من استحيا من الله مطيعاً استحيا الله منه وهو مذنب. (مدارج السالكين ٢/٢٤٩)
وقال ربيط بن إسرائيل: زين المرأة الحياء وزين الحكيم الصّمت. (الصمت ص ٢٦٣)
قال الأصمعي سمعت أعرابياً يقول: من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه. (الاداب الشرعيه ٢/٢٢٧)
قال المحاسبي: المراقبة علم القلب بقرب الرب، كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره. (التوحيد لابن رجب ٧٣)

قال أبو حاتم: إن المرء إذا اشتد حياؤه صان عرضه ودفن مساويه ونشر محاسنه ومن ذهب حياؤه ذهب سروره ومن ذهب سروره هان على الناس ومقت ومن مقت أوذى ومن أوذى حزن ومن حزن فقد عقله ومن أصيب في عقله كان أكثر قوله عليه لا له ولا دواء لمن لا حياء له ولا حياء لمن لا وفاء له ولا وفاء لمن لا إخاء له ومن قل حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب. (روضة العقلاء ١/٥٨)

قال ابن القيم في حقيقة الحياء: قال صاحب المنازل: الحياء: من أوّل مدارج أهل الخصوص، يتولّد من تعظيم منوطٍ بودّ. إنّما جعل الحياء من أول مدارج أهل الخصوص: لما فيه من ملاحظة حضور من يستحي منه، وأوّل سلوك أهل الخصوص: أن يروا الحقّ سبحانه حاضرًا معهم، وعليه بناء سلوكهم. وقوله: إنّهُ يتولّد من تعظيم منوطٍ بودّ. يعني: أنّ الحياء حالة حاصلة من امتزاج التّعظيم بالمودّة، فإذا اقترنا تولّد بينهما الحياء، والجنيّد يقول: إنّ تولّده من مشاهدة النعم ورؤية التقصير، ومنهم من يقول:

تولّده من شعور القلب بما يستحي منه، فيتولّد من هذا الشّعور والنّفرة، حالة تسمى: الحياء، ولا تنافي بين هذه الأقوال، فإنّ للحياء عدّة أسباب. (مدارج السالكين ٢/ ٢٥٣)

قال ابن القيم: ومن وافق الله في صفة من صفاته قادته تلك الصفة إليه بزمامه وأدخلته على ربه وأدنته منه وقربته من رحمته وصيرته محبوبا فإنه سبحانه رحيم يحب الرّحماء كريم يحب الكرماء عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي وهو أحب إليه من المؤمن الضعيف حتى يحب أهل الحياء، جميل يحب أهل الجمال وتر يحب أهل الوتر. (الجواب الكافي ٦٧)

قال الشّاعر: (ادب الدنيا والدين للمواردى ٢/ ١٠٣)

إذا لم تحش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللّحاء

الآثار العملية من حياة السلف:

عن الشّعبي، قال: سمع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه امرأة تقول:

دعتني النّفس بعد خروج عمرو إلى اللّدات تطّلع أطّلاعا
فقلت لها عجلت فلن تطاعي ولو طالّت إقامته ربّاعا
أحاذر أن أطيعك سبّ نفسي ومخزاة تحلّلني قناعا

فقال لها عمر: ما الذي منعك من ذلك؟ قالت: الحياء وإكرام زوجي. فقال عمر: إنّ في الحياء هُنات (أى أشياء). ذات ألوان من استحيى اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقى. (محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ١١٣)

قال مالك بن أنس: قُسم بيت عائشة باثنين: قسم كان فيه القبر، وقسم كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط، فكانت عائشة ربّما دخلت حيث القبر فضلا، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهي جامعة عليها ثيابها. (الطبقات الكبرى لابن سعد ٢/ ٢٩٤)

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه لم يكن يدخل الحمام إلا وحده، وعليه ثوب صفيق (أي غليظ) ويقول: إني لأستحي من الله أن يراني في الحمام متجردا. (سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٥٥)

عن الحسن قال: وذكر عثمان رضي الله عنه، وشدة حياءه: إن كان ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه. (حليه الأولياء ١/ ٥٦)

جاء عن أبي موسى الأشعري: أنه كان إذا نام لبس ثبانا (سراويل قصيرة إلى الركبة أو ما فوقها تستر العورة) مخافة أن تنكشف عورته. (سير أعلام النبلاء ٢/ ٣٩٩)

قال ابو موسى الأشعري: إني لأدخل البيت المظلم أغتسل فيه من الجنابة فأحني فيه ظهري إذا أخذت ثوبي حياء من ربي. (سير أعلام النبلاء ٢/ ٤٠١)

وخرج زيد بن ثابت: يريد المسجد فاستقبل الناس راجعين، وجد الناس قد خرجوا من الصلاة فدخل داراً، يعني توارى عنهم فقيل له: لماذا فعلت ذلك؟ قال: إنه لا يستحي من الناس من لا يستحي من الله. (تاريخ دمشق لابن عساكر ١٩/ ٣٣٢)

وكان الأسود بن يزيد النخعي يجتهد في العبادة ويصوم حتى يخضر ويصفّر، فلما احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: مالي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير فيعضو عنه، فلا يزال مستحياً منه. (سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٢)

ويقول أبو العباس الأزهري: سمعت خادمة محمد بن يحيى وهو على السرير يغسل - يعني مات - تقول: خدمته ثلاثين سنة، وكنت أضع له الماء - يعني ليغتسل - فما رأيت ساقه قط وأنا ملك له. (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٧٩)

وروي أن عمرو بن عتبة بن فرقد كان يصلّي ذات ليلة، فسمعوا صوت الأسد، فهرب من كان حوله، وهو قائم يصلّي فلم ينصرف، فقالوا له: أما خفت الأسد؟ فقال: "إني لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه. (حلية الأولياء ٢/ ٤٠)

وقال جعفر الصانع: كان في جيران أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، رجل ممن يمارس المعاصي والقاذورات، فجاء يوماً إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكان أحمد لم يردّ عليه ردّاً تامّاً وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله! لم تنقبض مني؟ فإني قد انتقلت عمّا كنت تعهدني برويا رأيتها. قال: وأي شيء رأيت؟ قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم كأنه على علو من الأرض، وناس كثير أسفل جلوس، قال: فيقوم رجلٌ رجلٌ منهم إليه، فيقول: ادع لي! فيدعو له حتى لم يبق من القوم غيري، قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه، قال لي: يا فلان! لم لا تقوم إلي فتسألني أدعو لك؟ قال: قلت: يا رسول الله! يقطعني الحياء لقبيح ما أنا عليه. فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم فسألني أدع لك

فإنك لا تسبُّ أحدًا من أصحابي. قال: فقامت، فدعا لي، فانتبهت وقد بغض الله إليَّ ما كنت عليه. قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر، يا فلان، حدِّثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع. (التوابع لابن قدامه ١٥٢)
 جاء عن الحسين بن محمد بن خسرو قال: جاء أبو بكر بن ميمون فدق الباب على الحميدي -صاحب المسند الإمام المعروف-، وظن أنه أذن له، فدخل، فوجدته مكشوف الفخذ، فبكى الحميدي وقال: والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت. (سير أعلام النبلاء ١٩ / ١٢٢)
 قال الجراح بن عبد الله الحكمي: تركت الذنوب حياءً أربعين سنة، ثم أدركني الورع. (السير ٥ / ١٩٠)

٨٥- باب حفظ السر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا» [الإسراء: ٣٤].

٦٨٥- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَسْرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَى الْمَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» رواه مسلم.

٦٨٦- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه حين تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ لَقِينِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمَتَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيْالِي، ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلِيًّا حِينَ عَرَضْتَ عَلِيًّا حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلِيًّا إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَبَلْتُهَا، رواه البخاري.

٦٨٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَمَشِي. مَا تَخْطِيءُ مَشِيئَتَهَا مِنْ مَشِيئَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا،

فَلَمَّا رَأَاهَا رَحَبَ بِهَا وَقَالَ : « مَرْحَبًا بِابْتِي » ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ . ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ لَهَا : خَصَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسَّرَارِ ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ ؟ فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلْتُهَا : مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَتْ : مَا كُنْتُ لِأَفْشِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِرَّهُ . فَلَمَّا تُوِّفِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ : عَزَمْتُ عَلَيْكَ بِمَا لِي عَلَيْكَ مِنْ الْحَقِّ ، لِمَا حَدَّثْتَنِي مَا قَالَ لِكَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقَالَتْ : أَمَّا الْآنَ فَنَعَمْ ، أَمَّا حِينَ سَارَّتَنِي فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى فَأَخْبَرَنِي « أَنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وَأَنَّهُ عَارِضُهُ الْآنَ مَرَّتَيْنِ ، وَإِنِّي لَا أَرَى الْأَجَلَ إِلَّا قَدْ اقْتَرَبَ ، فَاتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي ، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلْفُ أَنَا لِكَ » فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتُ فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّتَنِي الثَّانِيَةَ ، فَقَالَ : « يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؟ » فَضَحِكَتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتُ ، مَتَفَقُّ عَلَيْهِ . وَهَذَا لَفْظُ مُسْلِمٍ .

٦٨٨ - وَعَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَى عَلِيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا ، فَبَعَثَنِي فِي حَاجَةٍ ، فَأَبْطَأْتُ عَلَى أُمِّي ، فَلَمَّا جِئْتُ قَالَتْ : مَا حَبَسَكَ ؟ فَقُلْتُ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَةٍ ، قَالَتْ : مَا حَاجَتُهُ ؟ قُلْتُ : إِنَّهَا سِرٌّ . قَالَتْ : لَا تُخْبِرَنَّ بَسِيرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدًا . قَالَ أَنَسٌ : وَاللَّهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ . رَوَاهُ مُسْلِمٌ . وَرَوَى الْبُخَارِيُّ بَعْضَهُ مُخْتَصَرًا .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال أبو جعفر الطبري: (وأوفوا بالعهد) أنها العقود التي تنعقد بين متعاقدين يلزمهم الوفاء بها.

(تفسير الماوردي ٣/ ٢٤٢)

قال السدي: (إن العهد كان مستولا) كان مطلوباً وقيل: العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال: فيها

نقضت كالمؤودة تسأل فيم قتل؟. (تفسير البغوي ٥/ ٩٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال العباس لابنه عبدالله: إني أرى هذا الرجل (يعني عمر بن الخطاب) يقدمك على الأشياخ فاحفظ عني خمسًا: لا تُفشين له سرًا، ولا تغتابن عنده أحدًا ولا تجرين عليه كذبًا ولا تعصين له أمرًا ولا يطلعن منك على خيانة. قال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألفٍ فقال: (نعم ومن عشرة آلاف). (إحياء علوم الدين ٢ / ١٩٥)

قال علي بن أبي طالب: سرُّك أسيرك، فإن تكلمت به، صرت أسيره. (ادب الدنيا والدين ٣٠٦) قال عمرو بن العاص: عجبت من الرجل يفرُّ من القدر، وهو واقع! ويرى القذاة في عين أخيه، ويدع الجذع في عينه ويخرج الضغن من نفس أخيه، ويدع الضغن في نفسه وما وضعت سرِّي عند أحد فلمته على إفشاءه، وكيف ألومه وقد ضقت به ذراعًا؟. (الأدب المفرد للبخاري ٨٨٦)

قال معاوية: ما أفشيت سرِّي إلى أحدٍ إلا أعقبني طول الندم وشدة الأسف ولا أودعته جوانح صدري فحكمته بين أضلاعي، إلا أكسبني مجدًا وذكرا، وسناء ورفعة. فقيل: ولا ابن العاص. قال: ولا ابن العاص. وكان يقول: ما كنت كاتمًا من عدوِّك فلا تظهر عليه صديقك. (المحاسن والاضداد ٤٢) قال الحسن: إن من الخيانة أن تحدّث بسرِّ أخيك. (إحياء علوم الدين ٣ / ١٣٢)

وقال أكثم بن صيفي: إن سرِّك من دمك، فانظر أين تريقه. (الأدب الشرعي ٢ / ١٧٤) وقال الأعمش: يضيق صدر أحدهم بسرِّه حتى يحدّث به ثم يقول: اكتمه علي. (روضه العقلاء ١٩١) وقال عمر بن عبد العزيز: القلوب أوعية الأسرار، والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها، فليحفظ كلُّ امرئ مفتاح سرِّه. (ادب الدنيا والدين للماوردي ٣٠٨)

وقال سعيد بن المسيب: كتبت إلي بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظن بكلمة خرجت من امرئ مسلمٍ شرًّا وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرّض نفسه للثُّم فلا يلومن إلا نفسه، ومن كتم سره كانت الخيرة في يده وما كافت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله فيه. (شعب الإيمان ٦ / ٣٢٣ رقم ٨٣٤٥)

وقال ذو النون المصري: لا خير في صحبة من لا يجب أن يراك إلا معصومًا، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها. (الإحياء ٢ / ١٩٥)

قال الثوري: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأغضبه، ثم دُسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك؛ فإن قال خيراً وكتّم سرّك فاصحبه. (إحياء علوم الدين ٢/ ١٩٥)

قال أبو حاتم: الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجزٌ وما كتّمه المرء من عدوه، فلا يجب أن يظهره لصديقه، وكفى بذوي الألباب عبراً ما جربوا، ومن استودع حديثاً فليستره، ولا يكن مهتاكاً ولا مشياً لأن السرّ إنما سمي سرّاً؛ لأنه لا يفشى. (روضه العقلاء للبستي ٢٥٥)

قال أبو حاتم: من حصّن بالكتّمان سرّه تمّ له تدييره وكان له الظفر بما يريد والسلامة من العيب والضرر، وإن أخطأه التمكن والظفر والحازم يجعل سره في وعاء، ويكتّمه عن كل مستودع، فإن اضطره الأمر وغلبه، أودعه العاقل الناصح له؛ لأنّ السرّ أمانة، وإفشاؤه خيانة، والقلب له وعاءه، فمن الأوعية ما يضيق بما يودع، ومنها ما يتسع لما استودع. (روضه العقلاء للبستي ١٨٩)

وقال الأبشيهي: اعلم أن أمناء الأسرار أقلّ وجوداً من أمناء الأموال، وحفظ الأموال أيسرّ من كتّمان الأسرار لأنّ أحرّاز الأموال منيعةً بالأبواب والأقفال وأحرّاز الأسرار بارزةٌ يذيعها لسانٌ ناطقٌ، ويشيعها كلامٌ سابقٌ وحمل الأسرار أثقلٌ من حمل الأموال. (المستطرف للابشيهي ١/ ٢٩٦)

وقال الماوردي: وكم من إظهار سرّ أراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه، ولو كتّمه كان من سطوته أمناً، وفي عواقبه سالمًا، ولنجاح حوائجه راجياً. (ادب الدنيا والدين ٣٠٧)

وقال أيضاً: وإظهار الرجل سرّ غيره أقبح من إظهاره سرّ نفسه؛ لأنّه يبوء بإحدى وصمتين: الخيانة إن كان مؤتمناً، أو النّيمّة إن كان مستودعاً، فأما الضرر فربما استويا فيه وتفاضلا. وكلاهما مذموم، وهو فيها ملوم. (ادب الدنيا والدين ٣٠٧)

قال ابن الجوزي: رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرّهم، فإذا ظهر، عاتبوا من أخبروا به. فوا عجباً! كيف ضاقوا بحبسه ذرعاً، ثم لاموا من أفشاه؟. (صيد الخاطر ٢٧٣)

قال الغزالي: أفشى بعضهم سرّاً له إلى أخيه ثم قال له: هل حفظت؟ قال: بل نسيت. (الإحياء ٢/ ١٩٥)

قال الراغب الأصفهاني: إذاعة السرّ من قلة الصبر، وضيق الصدر، وتوصف به ضعفة الرجال والصبيان والنساء. (الذريعة إلى مكارم الشريعة ٢١٤)

قال السفاريني: يروى أن أصبر الناس من لا يفشي سره إلى صديقه؛ مخافة التقلب يوماً ما.

(غذاء الألباب / ١ / ١١٧)

وقيل لعدي بن حاتم: أي الأشياء أوضع للرجال؟ قال: كثرة الكلام، وإضاعة السر، والثقة بكل أحد.

(لباب الاداب ٢٤٣)

وقال الجاحظ: والسر - أبقاك الله - إذا تجاوز صدر صاحبه، وأفلت من لسانه إلى أذن واحدة، فليس حينئذ بسر، بل ذاك أولى بالإذاعة، ومفتاح النشر والشهرة. وإنما بينه وبين أن يشيع ويستطير أن يدفع إلى أذن ثانية. وهو مع قلة المأمونين عليه، وكرب الكتان، حري بالانتقال إليها في طرفة عين.

(الرسائل الادبيه للجاحظ ٩٢)

وكان المنصور يقول: الملك يحتمل كل شيء من أصحابه إلا ثلاثاً: إفشاء السر، والتعرض للحرم،

والقدح في الملك. (المحاسن والاضداد للجاحظ ٤٥)

وقال قيس بن الخطيم: (الحيوان للجاحظ ١٠٢ / ٥)

وإن ضييع الإخوان سراً فإنني
يكون له عندي إذا ما ائتمنته
كتومٌ لأسرار العشير أمينٌ
مكانٌ بسوداء الفؤاد مكينٌ

وقال المتصر بن بلال الأنصاري: (روضه العقلاء ١٨٩)

سأكتمه سرّي وأكتم سرّه
ولا غرني أني عليه كريمٌ
حليمٌ فيفشي أو جهولٌ يذيعه
وما الناس إلا جاهلٌ وحليمٌ

الآثار العظيمة في حياة السلف :

لما ولي عمر بن الخطاب قدامة بن مظنون بدل المغيرة أمره ألا يخبر أحدا فلم يكن له زاد فتوجهت امرأته إلى دار المغيرة وقالت لهم أقرضونا زاداً لراكب فإن أمير المؤمنين ولي زوجي الكوفة فأخبرت امرأة المغيرة زوجها فجاء عمر واستأذن عليه وقال له: ولّيت قدامة الكوفة وهو رجل قوي وأمين فقال: ومن أخبرك؟ قال: نساء المدينة يتحدثن به فقال: اذهب وخذ منه العهد. (محاضرات الادباء للأصفهاني)

كان حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن علقمة قال: قدمت الشام فصليت ركعتين، ثم قلت: اللهم يسر لي جليسا صالحا، فأتيت قوما فجلست إليهم، فإذا شيخ قد جاء حتى جلس إلى جنبي، قلت: من هذا؟ قالوا: أبو الدرداء فقلت: إني دعوت الله أن يسر لي جليسا صالحا، فيسرك لي قال: ممن أنت؟ قلت: من أهل الكوفة قال: أو ليس عندكم ابن أم عبد صاحب

النعلين والوساد والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان يعني على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم أو ليس فيكم صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه أحد غيره؟ يعني حذيفة ابن اليمان. (رواة البخارى ٣٧٤٢)

وأسرَّ معاوية إلى الوليد بن عتبة حديثاً، فقال لأبيه : يا أبت، إن أمير المؤمنين أسرَّ إليّ حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به فإن من كتم سرّه كان الخيار له، ومن أفشاه كان الخيار عليه قال : قلت : يا أبت وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه ؟ قال : لا والله يا بني ولكن أحبُّ أن لا تذلل لسانك بأحاديث السرِّ فأتيت معاوية رضي الله عنه فحدثته، فقال : يا وليد، أعتقت أخى من رقِّ الخطأ. (الصمت ٢١٤)

وشكا هشام بن عبد الملك ما يجد من فقد الأنيس المأمون على سرّه، فقال: أكلت الحامض والحلو حتى ما أجد لهما طعمًا، وأتيت النساء حتى ما أبلى امرأة لقيت أم حائطًا، فما بقيت لي لذة إلا وجود أخ؛ أضع بيني وبينه مؤونة التحفظ . (الرسائل الادبيه للجاحظ ٩٢)

٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقال تَعَالَى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ [النحل: ٩١]، وقال تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ [المائدة: ١]، وقال تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

٦٨٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ : إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ » متفقٌ عليه . زاد في رواية لمسلم : « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَرَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » .

٦٩٠- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « أَرْبَعٌ مِنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا . وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا : إِذَا أُؤْتِمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » متفقٌ عليه .

٦٩١- وعن جابر رضي الله عنه قال : قال لي النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لو قد جاء مألُ الْبَحْرَيْنِ أُعْطِيْتِكَ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا » فَلَمْ يَجِيءْ مألُ الْبَحْرَيْنِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا جَاءَ مألُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَنَادَى : مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَّةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا . فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِي كَذَا ، فَحَتَّى لِي حَثِيَّةٌ ، فَعَدَدْتُهَا ، فَإِذَا هِيَ خَمْسِيَّةٌ ، فَقَالَ لِي : خُذْ مِثْلَهَا . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن بريدة ، قوله : وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . قال : أنزلت هذه الآية في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، كان من أسلم بايع على الإسلام ، فقالوا . وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم . هذه البيعة التي بايعتم على الإسلام . ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها . البيعة ، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام وإن كان فيهم قلة والمشركون فيهم كثرة . (تفسير الطبري ١٧ / ٢٨٢)

عن ابن عباس قوله : أوفوا بالعقود ، يعني : بالعهود . عن ابن عباس قوله : أوفوا بالعقود . يعني : ما أحل وما حرم ، وما فرض ، وما حد في القرآن كله ، فلا تغدروا ولا تنكثوا . ثم شدد ذلك فقال :
(والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) إلى قوله (سوء الدار)
(سورة الرعد ٣٥) . (تفسير الطبري ٩ / ٤٥٠ - ٤٥٢)

عن قتادة في قوله . : أوفوا بالعقود . أي بعقد الجاهلية ، ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أوفوا بعقد الجاهلية ، ولا تحدثوا عقدا في الإسلام . عن عبد الله بن عبيدة قال : العقود خمس : عقدة الأيمان وعقدة النكاح وعقدة البيع وعقدة العهد وعقدة الحلف . (تفسير الدر المنثور ٥ / ١٦٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب . مات الوفاء فلا رفق ولا طمع في الناس لم يبق إلا اليأس والجزع فاصبر على ثقة بالله وارض به فالله أكرم من يُرجى ويتبع . (مجمع الحكم والامثال لاحمد نجيب ١٦٣)
عن ابن مسعود : كان يقول أصحابه أنه إذا وعد فقال إن شاء الله لم يخلف . (البخارى كتاب الشهادات ٧٤)

قال الأحنف: لا صديق للملوك ولا وفاء لكذوب ولا راحة لحسود ولا مروءة لبخيل ولا سؤدد لسبيء الخلق. (عيون الأخبار ١/١٤٦)

قال ابن حزم: إن من حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الأخلاق الوفاء وإنه لمن أقوى الدلائل وأوضح البراهين على طيب الأصل وشرف العنصر وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات وأول مراتب الوفاء أن يفى الإنسان لمن يفى له وهذا فرض لازم وحق واجب لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده. (طوق الحمامة ص ٢٠٥)

وقال أيضاً: الوفاء مركب من العدل، والجود، والنجدة؛ لأن الوفي رأى من الجور أن لا يقارض من وثق به أو من أحسن إليه؛ فعدل في ذلك ورأى أن يسمح بعاجل يقتضيه له عدم الوفاء من الحظ فجاد في ذلك ورأى أن يتجلد لما يتوقع من عاقبة الوفاء؛ فشجع في ذلك. (الأخلاق والسير ١٤٥)

قال الحريري: تعامل القرن الأول فيما بينهم بالدين زماناً طويلاً حتى رقى الدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبه. (اداب الصحبه للسلمى ٧٣)

قال أبو العالية: ست خصال في المنافقين، إذا كانت فيهم الظهرة على الناس أظهروا هذه الخصال: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، وأفسدوا في الأرض، وإذا كانت الظهرة عليهم أظهروا الخصال الثلاث: إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا ائتمنوا خانوا. (تفسير القرآن لابن كثير ١/٢١١)

قال شعبة بن الحجاج: ما وعدت أيوب السخيتاني موعداً قط إلا قال حين يفارقني ليس بيني وبينك موعد فإذا جئت وجدته قد سبقني. (سير أعلام النبلاء ٦/١٩)

وجاء عن بشر بن الحارث: كان المعافى يحفظ الحديث والمسائل، سألته عن الرجل يقول للرجل: اقعد هنا ولا تبرح، قال: يجلس حتى يأتي وقت صلاة ثم يقوم. (سير أعلام النبلاء ٩/٨٢)

عن الحسن بن عبيد الله النخعي قال قلت لإبراهيم النخعي يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء قال ليتنظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء. (التماس السعد في الوفاء بالعهد ٨/١)

قال الأصمعي: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده، فانظر إلى حنينه إلى أوطانه، وتشوقه إلى إخوانه، وبكائه على ما مضى من زمانه. (الأداب الشرعية لابن مفلح ٢٩٢)

قال ابن مفلح: كان يقال: كما يُتَوَخَّى للوديعة، أهل الأمانة والثقة، كذلك ينبغي أن يتوَخَّى بالمعروف، أهل الوفاء والشكر. (الأداب الشرعية لابن مفلح ٢٩٢)

وعن عوف بن النعمان الشيباني أنه قال في الجاهلية الجهلاء: لأن أموت عطشاً، أحب إليّ من أكون مخلاف الموعدة. (الأمثال لابي عبيد بن سلام ٧١)

قال أبو سعيد الخزاز: علامة العبودية ثلاث: الوفاء لله على الحقيقة، والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في الشريعة، والنصيحة لجميع الأمة. (الزهد للبيهقي ص ٢٨٧ رقم ٧٤٥)

قال الجريري: ما نجأ من نجأ إلا بمراعاة الوفاء؛ قال الله تعالى: (الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ) (الرعد). (الرساله القشيرية لعبد الكريم القشيري ١ / ٢٣٢)

قال الفضل بن سهل لرجلٍ سأله حاجة: أعدك اليوم، وأحبوك غداً بالإنجاز؛ لتذوق حلاوة الأمل، وأتزيّن بثبوت الوفاء. (أدب الدنيا والدين للماوردي ص - ١٩٦)

قال أبو طالب المكي: الاستقامة على التوبة: من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق. (قوت القلوب ١ / ٩١)

قال علي بن أحمد بن حزم: الوفاء مركب من العدل والجود والنجدة. (الاخلاق والسير في مداواة النفوس ٦٠)

قال عبدالواحد بن زيد: الصدق: الوفاء لله عز وجل بالعمل. (الرساله القشيرية ٢ / ٢٣٢)

قال الراغب الأصفهاني: الوفاء: صدق اللسان والفعل معاً. (الذريعة الى مكارم الشريعة ٢٠٩)

وعن عوف الكلبي أنه قال: آفة المروءة خلف الموعد. (الأمثال لابي عبيد بن سلام ٧١)

قال أبو حاتم الرازي: لا خير في الصدق إلا مع الوفاء كما لا خير في الفقه إلا مع الورع. (روضه العقلاء ٨٩)

وقال الحارث بن عمرو بن حجر الكندي: أنجز حرّاً ما وعد. (الأمثال لابي عبيد بن سلام ٧١)

وقال علي بن أبي طالب: (ديوان الامام على ٦٤)

مات الوفاء فلا رفق ولا طمع في الناس لم يبق إلا اليأس والجزع

فاصبر على ثقة بالله وارض به فالله أكرم من يرجى ويتبع

وقال الرياشي: (العقد الفريد ٢ / ١٩١)

إذا ذهب التكرم والوفاء وباد رجاله وبقي الغناء
وأسلمني الزمان إلى رجالٍ كأمثال الذئاب لها عواء
صديقٌ كلما استغنيت عنهم وأعداءٌ إذا جهد البلاءُ
إذا ما جئتهم يتدافعوني كأني أجربُ آذاه داءُ
أقولُ ولا ألامُ على مقالٍ على الإخوانِ كلُّهم العفاءُ

الآثار العملية من حياة السلف :

قال قيس ابن أبي حازم: دخلت على أبي بكر الصديق في مرضه وأسماء بنت عميس تُروِّحه وهي زوجته. فقال لأبي: يا أبا حازم، قد أجزت لك فرسك، وفي رواية قال: قد أجزت لك فرسيك، وكان وعدني ووعد أبي فرسًا. (تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٩ / ٤٥٨)

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص: لما حضرته الوفاة قال: انظروا فلانًا لرجل من قريش فإني قلت له في ابنتي قولاً كشيبة العدة (يعني كأنه وعده أن يزوجه) وما أحب أن ألقى الله تعالى بثلاث النفاق وأشهدكم أني قد زوجته. (سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٩٦)

قال ابن عبد ربه القصاب واعدت محمد بن سيرين أن اشترى له أصحابي فنسيت مواعده لشغل ثم ذكرت بعد فأتيته قريباً من نصف النهار وإذا محمد ينتظري فسلمت عليه فرفع رأسه فقال أما أنه قد يقبل أهون ذنب منك فقلت شغلت وعنفتي أصحابي في المجيء إليك وقالوا قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة فقال لو لم تجع حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو حاجة لا بد منها. (التماس السعد في الوفاء بالعهد ٨ / ١)

٨٧- باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وقال تَعَالَى: وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزَاهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا [النحل: ٩٢]. وَ(الْأَنْكَاثُ): جَمْعُ نَكَثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ. وقال تَعَالَى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]، وقال تَعَالَى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

٦٩٢- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يا عَبْدَ اللهِ ، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ ، « متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس : إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . لا يغير ما بهم من النعمة حتى يعملوا بالمعاصي فيرفع الله عنهم النعم . عن إبراهيم قال : أوحى الله إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل أن قل لقومك إنه ليس من أهل قرية ولا أهل بيت يكونون على طاعة الله فيتحولون إلى معصية الله إلا تحول الله مما يجوبون إلى ما يكرهون ثم قال : إن تصديق ذلك في كتاب الله تعالى . إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . (تفسير الدر المنثور ٨ / ٣٩٤)

عن ابن عباس قال : كانت ملوك بعد عيسى بدلت التوراة والإنجيل ، فكان منهم مؤمنون يقرءون التوراة والإنجيل ، فقيل لملوكهم : ما نجد شيئاً أشد من شتم يشتمنا هؤلاء ، أنهم يقرءون : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون (المائدة ٤٤ - ٤٧) مع ما يعيونا به من أعمالنا في قراءتهم ، فادعهم فليقرءوا كما نقرأ ، وليؤمنوا كما آمننا ، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم القتل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل ، إلا ما بدلوا منها ، فقالوا : ما تريدون إلى ذلك؟ دعونا ، فقالت طائفة منهم : ابنوا لنا أسطوانة ، ثم ارفعونا إليها ، ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا ، ولا نرد عليكم ، وقالت طائفة : دعونا نسيح في الأرض ونهيم ، ونأكل مما تأكل منه الوحوش ، ونشرب كما تشرب ، فإن قدرتم علينا في أرضكم فاقتلونا ، وقالت طائفة : ابنوا لنا دوراً في الفيافي ، ونحفر الآبار ، ونحرق البقول ، فلا نرد عليكم ، ولا نمر بكم ، وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم ، ففعلوا ذلك ، فأنزل الله : ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها قال : والآخرون ممن تعبد من أهل الشرك ، وفني من قد فني منهم ، قالوا : نتعبد كما تعبد فلان ، ونسيح كما ساح فلان ، ونتخذ دوراً كما اتخذ فلان ، وهم على شركهم لا علم لهم ببيان الذين اقتدوا بهم ، فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم إلا القليل انحط صاحب الصومعة من صومعته ، وجاء السائح من سياحته ، وصاحب الدير من ديره ، فأمنوا به

وصدقوه، فقال الله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته أجرين؛ بإيمانهم بعيسى، ونصب أنفسهم، والتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتصديقهم : ويجعل لكم نوراً تمشون به : القرآن واتباعهم النبي صلى الله عليه وسلم. (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٢٩١)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الحسن البصري : يا ابن آدم، عملك عملك، فإنما هو لحملك ودمك، فانظر على أي حال تلقى عملك؟ إن لأهل التقوى علامات، يعرفون بها صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل؛ يا ابن آدم، إنك ناظر إلى عملك، يوزن خيره وشره، فلا تحقرن من الخير شيئاً، وإن هو صغر، فإنك إذا رأيت: سرك مكانه؛ ولا تحقرن من الشر شيئاً، فإنك إذا رأيت: ساءك مكانه؛ فرحم الله رجلاً: كسب طيباً، وأنفق قصداً، وقدم فضلاً ليوم فقره وفاقتة؛ هيهات هيهات، ذهبت الدنيا بحالتي ما لها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناقكم، أنتم تسوقون الناس، والساعة تسوقكم، وقد أسرع بخياركم، فما تنتظرون المعاينة، فكأن قد. إنه لا كتاب بعد كتابكم، ولا نبي بعد نبيكم؛ يا ابن آدم، بع دنياك بأخرتك تربحها جميعاً ولا تبعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً. (حلية الأولياء ٢ / ١٤٣)

قال شقيق ابن إبراهيم: استتمام صلاح عمل العبد، بست خصال: تضرع دائم، وخوف من وعيده؛ والثاني: حسن ظنه بالمسلمين؛ والثالث: اشتغاله بعبه، لا يتفرغ لعيوب الناس؛ والرابع: يستر على أخيه عيبه، ولا يفشي في الناس عيبه، رجاء رجوعه عن المعصية، واستصلاح ما أفسده من قبل؛ والخامس: ما أطلع عليه من خسة عملها، استعظمها، رجاء أن يرغب في الاستزادة منها؛ والسادسة: أن يكون صاحبه عنده مصيب. (حلية الأولياء ٨ / ٦٦)

قال أبي سليمان الداراني: إذا فاتك شيء من التطوع، فاقض فهو أحرى أن لا تعود إلى تركه.

(حلية الأولياء ٩ / ٢٦١)

وعنه أيضاً قال: ليس العجب ممن لم يجد لذة الطاعة إنما العجب ممن وجد لذتها ثم تركها كيف صبر عنها؟. (حلية الأولياء ٩ / ٢٦٢)

سئل الإمام مالك: عن رجل يختم القرآن كل ليلة فقال: ما أحسن هذا، القرآن إمام كل خير.

(البرهان في علوم القرآن ٢ / ١٠٢)

عن مجاهد : قال سمعت رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبنة أدركت الصلاة معنا ؟ أدركت التكبير الأولى ؟ قال لا قال : لما فاتك منها خير من مائة ناقة كلها سود العين .
(مصنف عبدالرزاق ١/٥٢٨)

قال سعيد بن جبير : ان من ثواب الحسنه حسنه بعدها ومن جزاء السيئه سيئه بعدها . فمن رحمه الله بالعباد ان يوفقه للعمل الصالح ثم يوفقه للمدوامه عليها والمحافظة . وهذه علامه القبول .
(التحفة العراقية لابن تيمية ٦)

قال عمر بن عبد العزيز : عليك بالذي يبقى لك عند الله ؛ فإن ما بقي عند الله بقي عند الناس ، وما لم يبق عند الله لم يبق عند الناس . (الزهد لابن المبارك ١٩٠)

عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه كان يُحمل وهو مريض إلى المسجد . (المصنف ١/٣٥٠)

قال محمد بن المبارك : كان سعيد بن عبد العزيز اذا فاتته صلاة الجماعة بكى . (الحليه ٦/١٢٦)

قال الشوكاني وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يقضون ما فاتهم من أذكارهم التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة . (تحفه الذاكرين بعدة الحصن الحصين ٥١)

قال ابن كثير : لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه . (تفسير ابن كثير - آل عمران ١٠٢)

قال ابن القيم : سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : من واطب على ياحى ياقويم لا إله إلا أنت كل يوم بين سنة الفجر وصلاة الفجر أربعين مرة أحيى الله بها قلبه . (مدارج السالكين ١/٤٤٦)

وقال ابن القيم كذلك عن شيخه ابن تيمية : كان يُدنيني منه حتى يُجلسني إلى جانبه ، وكنت أسمع ما يتلو وما يذكر حينئذ ، فرأيتُه يقرأ الفاتحة ويكررها ، ويقطع ذلك الوقت كله أعني من الفجر إلى ارتفاع الشمس في تكرير تلاوتها ، ففكرت في ذلك ، لم قد لزم هذه السورة دون غيرها ؟ . (الأعلام العلية ٤/٥٩٤-٥٩٥)

الآثار العملية في حياة السلف :

كان عثمان أعلم الصحابة بالمناسك وبعده ابن عمر وكان يحبي الليل فيختم القرآن في ركعة قالت امرأة عثمان حين قتل : لقد قتلتموه وإنه ليحبي الليل كله بالقرآن في ركعة وعن عطاء ابن أبي رباح : إن عثمان بن عفان صلى بالناس ثم قام خلف المقام ، فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره فسميت بالبتراء . (تغليق التعليق لابن حجر ٩٣٧)

على ابن ابي طالب : علمه النبي اذكار النوم فيقول على والله ما تركته بعد . فقال له رجل كان في نفسه حاجة من على ولا ليله صفين قال على ولا ليله صفين . (البخارى ٦٣١٨)

سيدنا بلال بن ابي رباح : ارجى عمل عمله انه لم يتطهر في ساعه من ليل او نهار الاصلى بذلك الطهور ما كتب له ان يصلى . (البخارى ٣٢٢ / ٤)

قال عثمان النهدي: تضيفت أبا هريرة أي: نزلت عليه ضيفاً سبعة أيام، فكان هو وزوجته وخادمتها - أي: أمته يقتسمون الليل ثلاثاً تصلي الزوجة ثلاثاً وتصلي الأمة ثلاثاً، ويصلي أبو هريرة ثلاثاً. (كتاب الزهد لاحمد - البخارى)

قال القاسم بن محمد : وكانت عائشة إذا عملت العمل لزمته . (صحيح مسلم ٧٨٣)

عن سعيد بن المسيب قال: ما لقيت الناس منصرفين من الصلاة منذ أربعين سنة.

(التهجد للاشبيلى ص ٥٥ رقم ٢٠٤ - حليه الأولياء ١٦٢ / ٢)

قال الحافظ ابن عبد البر : إن عبد الله العمري العابد كتب إلى مالك يحضه على الإنفراد والعمل فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق ، فرب رجل فُتِح له في الصلاة ولم يُفْتَح له في الصوم ، وآخر فُتِح له في الصدقة ولم يُفْتَح له في الصوم ، وآخر فُتِح له في الجهاد ، فنشر العلم من أفضل أعمال البر وقد رضيت بما فُتِح لي فيه ، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر. (سير أعلام النبلاء ٨ / ١١٤)

عن عثمان بن أبي العاتكة قال: كان من أمر أبي مسلم الخولاني: أن علق سوطاً في مسجدة ويقول: أنا أولى بالسواط من الدواب، فإذا دخلته فترة مشق ساقه سوطاً أو سوطين وكان يقول: لو رأيت الجنة عياناً ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عياناً، ما كان عندي مستزاد. (حليه الأولياء ١٢٧ / ٢)

قال عبد الرحمن: سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله أيترك الجماعة؟ قال: لا ولا صلاة واحدة وحضرته صبيحة بني على ابنته فخرج ثم مشي إلى بابها فقال للجارية: قولي لها يخرجان إلى الصلاة فخرج النساء والجواري فقلن: سبحان الله أي شيء هذا؟ فقال: لا أبرح حتى يخرجنا إلى الصلاة.

(سير أعلام النبلاء ٩ / ٢٠٤)

عن عنة بن الأزهر قال : تزوج الحارث بن حسان وكانت له صحبة فقيل له : أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة ؟ فقال : والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء. (مجمع الزوائد للهيتمي ٤١ / ٦)
قال سلمة بن شبيب: كان خالد بن معدان يسبح في اليوم أربعين ألف تسبيحة سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات فوضع على سريره ليغسل جعل بأصبعه كذا يحركها : يعني بالتسبيح. (السير ٤ / ٥٤١)
عن مصعب قال : سمع عامر بن عبدالله المؤذن وهو يجود بنفسه فقال : خذوا بيدي فقيل إنك عليل قال : أسمع داعي الله فلا أجيبه ، فأخذوا بيده فدخل مع الامام في المغرب ، فركعة ركعة ثم مات. (سير أعلام النبلاء ٥ / ٢٢٠)

عن أبي حيان عن أبيه قال أصاب الربيع بن خثيم الفالج فكان يحمل إلى الصلاة فقيل له : إنه قد رخص لك، قال: قد علمت ولكني أسمع النداء بالفلاح. (الزهد لأحمد / ٤٠٨)
كان بشر بن الحسن يلقب (بالصفي) لأنه كان يلزم الصف الأول في مسجد البصرة خمسين سنة. (تهذيب التهذيب ١ / ٤٤٧)

٨٨- باب استصحاب طيب الكلام وطهارة الوجه عند الصلاة

قَالَ اللهُ تَعَالَى : « وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ » [الحجر : ٨٨] ، وقال تَعَالَى : « وَكُو كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ » [آل عمران : ١٥٩] .

٦٩٣- عَنْ عِدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اتَّقُوا النَّارَ وَكُو بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » متفق عليه .

٦٩٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ « متفق عليه . وهو بعض حديث تقدم بطوله .

٦٩٥- وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَكُو أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيْقٍ » رواه مسلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن قتادة: ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، أي والله لظهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيمًا بالمؤمنين رءوفا وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة : ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب في الأسواق ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح. (الطبري ٧/ ٣٤٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال لقمان لابنه: خصلتان يزيّنانك: اعلم أنه لا يظاً بساطك إلا راغب فيك، أو راهب منك. فأما الرَّاهب منك فأذن مجلسه، وتهلّل في وجهه، وإيّاك والغمز من ورائه. وأما الرَّاغب فيك، فابذل له البشاشة، وابدأه بالنوال قبل السؤال، فإنّك متى تلجئه إلى مسألتك تأخذ من حرّ وجهه ضعفي ما تعطيه. (الجليس الصالح والأنيس الناصح ١/ ٤٤٩)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا التقى المسلمان فتصافحا وسلم كل واحد منهما على صاحبه ، كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا بصاحبه ونزلت بينهما مائة رحمة ، للبادئ تسعون ، وللمصافح عشر. (مدارة الناس لابن ابي الدنيا ١/ ٦٩)

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً) (إبراهيم ٢٤) قال: كلمة طيبة شهادة أن لا إله إلا الله كشجرة طيبة وهو المؤمن. (تفسير الطبري ١٢/ ١٣٥)

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (الكلم الطيب) ذكر الله. (فتح الباري ١٣/ ٤٢٧)

قال ابن عمر : إن البر شئ هين وجه طليق ولسان لين. (مدارة الناس لابن ابي الدنيا ١/ ١١٦)

كان ابن عمر: من امزح الناس واضحكه. (مدارة الناس لابن ابي الدنيا ١/ ٧٠)

وعن عكرمة رضي الله عنه في قوله تعالى: (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) قال: هي النخلة لا يزال فيها شيء ينتفع به إماما ثمرة وإماما حطب قال: وكذلك الكلمة الطيبة تنفع صاحبها في الدنيا والآخرة. (الدر المنثور ٥/ ٢٣)

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) قال: الكلم الطيب ذكر الله. (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) قال: أداء الفرائض فمن ذكر الله في أداء فرائضه حمل عمله ذكر الله فصعد به إلى الله ومن ذكر الله ولم يؤدّ فرائضه حمل كلامه على عمله وكان عمله أولى به. (الدر المنثور ٧/ ٩)

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: إنَّ المسلمين إذا التقيا، فضحك كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تحاتت ذنوبهما كتحات ورق الشجر. (التذكرة الحمدونية ٢/ ٢٢٨)

تذكروا عند الأحنف بن قيس أيما أفضل الصمت أو النطق؟ فقال قوم الصمت أفضل فقال الأحنف النطق أفضل لأن فضل الصمت لا يعدو صاحبه والمنطق الحسن ينتفع به من سمعه. (غذاء الألباب ١/ ٧٤)

قال الأحنف: رأس المروءة: طلاقة الوجه، والتوؤد إلى النَّاس. (التذكرة الحمدونية ١/ ٢٠٤)

عن منصور قال: كان محمد بن سيرين يضحك حتى تدمع عيناه. (مدارة الناس ١/ ٧٤)

كان محمد بن سيرين ينشد الشعر ويضحك حتى يميل فاذا جاء الحديث من السنه كلح .

(مدارة الناس لابن ابى الدنيا ١/ ٧٦)

قال هشام بن عروة عن أبيه: مكتوب في الحكمة ليكن وجهك بسطاً وكلمتك طيبة تكن أحبَّ إلى النَّاس من الذي يعطيهم العطاء. (شعب الإيمان للبيهقي ٦/ ٢٥٤ - ٨٠٥٧)

قال سعيد بن عبد الرحمن الزبيدي: إنه ليعجبني من القراء كل سهل طلق مضحك، فأما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كأنه يمن عليك فلا أكثر الله في القراء مثله. (مدارة الناس ١/ ٧١)

قال أبو جعفر المنصور: إن أحببت أن يكثر الثناء الجميل عليك من النَّاس بغير نائل، فلقهم ببشر حسن. (عين الادب والسياسة لعلي بن هذيل ١٥٤)

قال بلال بن سعد: كانوا يشتدون بين الاغراض ويضحك بعضهم إلى بعض فإذا جاء الليل كانوا رهبانا. (مدارة الناس لابن ابى الدنيا ١/ ٧٨)

قيل للأوزاعي رحمه الله: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه، وطيب الحديث. (الإحياء ٢/ ١٨)

قال ميمون بن مهران: المروءة: طلاقة الوجه، والتوؤد إلى النَّاس، وقضاء الحوائج. (تاريخ دمشق ٦١/ ٣٦٣)

قال إبراهيم التيمي: أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب.

(صفه الصفوة ٢/ ٣٥)

قال ابن المنكدر: يمكنكم من دخول الجنة إطعام الطعام وطيب الكلام. (مدارة الناس ١/ ١١٠)

قال أبو حاتم: البشاشة إدام العلماء، وسجية الحكماء لأن البشر يطفئ نار المعاندة ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصيل من الباغي، ومنجاة من الساعي ومن بش للناس وجها لم يكن عندهم بدون الباذل لهم ما يملك. (روضة العقلاء ١ / ٧٥)

وقال أيضاً: لا يجب للسلطان أن يفرط البشاشه والهشاشه للناس، ولا أن يقلل منها؛ فإن الإكثار منها يؤدي إلى الخفة والسخف، والإقلال منها يؤدي إلى العجب والكبر. (روضة العقلاء ١ / ٢٦٩)

قال الحارث المحاسبي: ثلاثة أشياء عزيزة أو معدومة: حسن الوجه مع الصيانة، وحسن الخلق مع الديانة، وحسن الإخاء مع الأمانة. (غذاء الألباب شرح منظومة الآداب للسفاري ١ / ٢٨٤)

قال ابن القيم: وكذلك طلاقة الوجه، والبشر المحمود؛ فإنه وسط بين التعيس والتقطيب وتصعير الخد، وطيب البشر عن البشر، وبين الاسترسال بذلك مع كل أحد، بحيث يذهب الهيبة، ويزيل الوقار، ويطمع في الجانب، كما أن الانحراف الأول يوقع الوحشة والبغضة، والثفرة في قلوب الخلق. وصاحب الخلق الوسط: مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاءه. وفي صفة نبينا صلى الله عليه وسلم من رآه بديهه هابه. ومن خالطه عشرة أحبه والله أعلم. (مدارج السالكين ٢ / ٣١١)

قال النووي: بلغنا أن قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي اجتمعا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟ فقال: هي أكثر من أن تحصى والذي أحصيته ثمانية آلاف عيب فوجدت خصلة إن استعملتها سترت العيوب كلها قال: ما هي؟ قال: حفظ اللسان. (الاذكار للنووي ٢٨٧)

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو عبد الله محمد بن خلف التيمي، قال: (كان سعيد بن عبيد الطائي يتمثل: (الإشراف في منازل الأشراف ١ / ٢٢٥)

أتق بالبشر من لقيت من الناس جميعاً ولاقهم بالطلاقة
ودع التيه والعبوس عن الناس فإن العبوس رأس الحماقة
كلما شئت أن تعادي عاديته صديقاً وقد تعز الصداقة

الآثار العملية في حياة السالك:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يجبذ لسانه أي يجره بشدة فقال عمر: مه غفر الله لك فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن هذا أوردني الموارد.

(رواة مالك مرقاة المفاتيح رقم ٤٨٦٩ ص ٣٠٥٥)

قال رجل : رأيت ابن عباس أخذاً بثمرة لسانه وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم واسكت عن شرِّ تسلم.
قال : فقال له الرجل يا ابن عباس مالي أراك أخذاً بثمرة لسانك وتقول كذا وكذا ؟ قال ابن عباس:
بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيءٍ أحق منه على لسانه، يعني لا يغضب على شيءٍ من
جوارحه أشد من غضبه على لسانه. (فضائل الصحابة لاحمد حديث ١٦٢٧)

عن عبد الملك بن مروان استأذن على أمير المؤمنين معاوية في الدخول فأذن له ثم سلم عليه و جلس و
بعد أن فرغ من حديثه قام و انصرف فقال معاوية : (ما أكمل أدب هذا الفتى !) فقال بعض الحاضرين
نعم يا أمير المؤمنين لقد أخذ بأخلاق أربعة و ترك أخلاقاً أربعة : أخذ بأحسن البشر إذا لقي و بأحسن
الحديث إذا حدّث و بأحسن الاستماع إذا حدّث و بأحسن الوفاء إذا وعد و ترك مزاح من لا يثق بعقله
و ترك مجالسة من لا يرجع إلى الحق و ترك مخالطة من لا أدب عنده و ترك من القول و العمل كل ما
يعتذر منه. (عيون الأخبار ١ / ٣٠٧)

شهاب الدين يحيى بن إسماعيل بن محمد القيسراني: كان يتودّد للصّالحين، ويكثر الصّوم والعبادة،
ويصبر على الأذى، ولا يعامل صديقه وعدوّه إلا بالخير وطلاقة الوجه . (شذرات الذهب ٦ / ١٧٥)

٨٩- استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب

وتكريره ليعلمهم إذا لم يفهم إلا بذلك

٦٩٦- عن أنس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا
حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري .
٦٩٧- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان كلامُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كلاماً فَضِلاً
يُفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ . رواه أبو داود .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من كثر كلامه كثرت سقطه ومن كثرت سقطه كثرت ذنوبه، ومن كثرت
ذنوبه كانت النار أولى به. (جامع العلوم والحكم ١٦١)

كتب عمر بن الخطاب الى ابو موسى الاشعري رضى الله عنهما أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربى. (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٠٧)

قال عمر بن الخطاب: تعلّموا العربية؛ فإنها تنبت العقل، وتزيد المروءة. (شعب الإيمان ٢/ ٢٥٧)

وقال ايضاً: تعلموا العربية فانها من دينكم وتعلموا الفرائض فانها من دينكم. (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٢٠٧)

قالت عائشة: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه وكان كثيراً ما يعيد الكلام ثلاثاً ليعقل عنه وكان إذا سلم سلم ثلاثاً. وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة، يفتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه وإذا كره الشيء عرف في وجهه ولم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخاباً وكان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه أن تبدو نواجذه. (زاد المعاد ١/ ١٧٥)

وسئل معاوية عمرو بن العاص من أبلغ الناس؟ قال: أقلهم لفظاً وأسهلهم معنى وأحسنهم بديهة. (المستطرف للأبشيهي ١/ ٩٤)

قال عمرو بن العاص: دَع ما لستَ منه في شيء ولا تنطق فيما لا يعينك واخزن لسانك كما تخزن ورقك. (إحياء علوم الدين ٣/ ٢٢٣)

وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: أنذرتكم فضول الكلام، بحسب أحدكم ما بلغ حاجته. (الصمت لابن ابى الدنيا ٢٣٩)

قال عبدالعزيز بن أبي رواد: قال رجل لسلمان رضى الله عنه: أوصني قال: لا تكلم قال: وكيف يصبر رجل على ألا يتكلم؟ قال: فإن كنت لا تصبر على الكلام فلا تتكلم إلا بخير أو أصمت. (الصمت ٢١٥)

قال عبد الملك بن مروان: إن الكلام قاض يحكم بين الخصوم وضيء يجلو الظلم حاجة الناس إلى مواده كحاجتهم إلى مواد الأغذية. (غرر الخصاص الواضحة للوطواط ١/ ٧٣)

قال الحسن: لسان العاقل من وراء قلبه. فإذا أراد الكلام رجع إليه فإن كان له تكلم به وإلا تركه ولسان الجاهل أمام قلبه يتكلم بما عرض له. وقيل: من لم يخف الكلام تكلم، ومن خافه تبكم. (محاضرات الأدباء للأصفهاني ١/ ٢٧)

عن الحسن: من علامة إعراض الله تعالى عن العبد أن يجعل شعله فيما لا يعنيه. (جامع العلوم والحكم ٢٩٤)
قال ابن سيرين: ما رأيت على رجل أحسن من فصاحة ولا على امرأة أحسن من شحم.
(عيون الأخبار ٢ / ٥٥٤)

قال الأوزاعي: كتب إلينا عمر بن عبدالعزيز برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول، قال فيها: أما بعد:
فإنه من أكثر ذكر الموت، رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما يعنيه.
(إحياء علوم الدين ٣ / ١١٢)

قال يحيى بن معاذ الرازي: أحسن شيء كلام صحيح من لسان رجل فصيح، في وجه صبيح، كلام رقيق
يستخرج من بحر عميق، على لسان رجل رقيق. (تاريخ بغداد ١٤ / ٢٠٩)
وقال يحيى بن خالد: ما رأيت رجلاً قط إلا هبته حتى يتكلم فإن كان فصيحاً عظم في صدري وإن قصر
سقط من عيني. (المستطرف في كل فن مستظرف ١ / ٩٦)

قال عبدالرحمن بن مهدي: ما ندمت على شيء ندامتي أني لم أنظر في العربية. (روضة العقلاء ٢٢١)
قال محمد بن المنكدر: لأن أسمع أحب إلي من أن أنطق، لأن المستمع يتقى ويتوقى. (محاضرات الادباء ٢٧ / ١)
قول ابن المعتز: البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول. (غرر الخصاص الواضحة ١ / ٧٣)
وقال سهل بن هرون: البيان ترجمان اللسان وروض القلوب. (غرر الخصاص الواضحة ١ / ٧٣)
قال خالد ابن صفوان: ما الانسان لولا اللسان إلا صورة ممثلة أو بهيمة مرسله أو حالة مهملة.
(غرر الخصاص الواضحة للوطواط ١ / ٧٣)

قال الشافعي لصاحبه الربيع: يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعينك فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم
تملكها. (المستطرف للأبشيهي ١٨٦)

قال أبو حاتم البستي: ليست الفصاحة إلا إصابة المعنى والقصد ولا البلاغة إلا تصحيح الأقسام
واختيار الكلام ومن أحمد الفصاحة الاقتدار عند البداهة والغزارة عند الإطالة. وأحسن البلاغة
وضوح الدلالة وحسن الإشارة. ولقد سمعت محمد بن نصر بن نوفل المروزي يقول: سمعت أبا داود
السنجي يقول: سمعت الأصمعي يقول: ليست البلاغة بخفة اللسان ولا كثرة الهذيان ولكن بإصابة

المعنى والقصد إلى الحاجة وإن أبلغ الكلام ما لم يكن بالقروي المجدع ولا البدوي المعرب.
(روضة العقلاء ٢٢٢)

وقال أبو حاتم أيضاً: الكلام مثل اللؤلؤ الأزهر والزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر إلا أن بعضه أفضل من بعض ومنه ما يكون مثل الخزف والحجر والتراب والمدر. (الخطابة لمحمد أبي زهرة ٢٢٣)
وقال أيضاً: الفصاحة أحسن لباس يلبسه الرجل، وأحسن إزار يتزر به العاقل، والأدب صاحب في الغربية، ومؤنس في القلة، وزين في المحافل، وزيادة في العقل، ودليل على المروءة، ومن استفاد الأدب في حدائته انتفع به في كبره، لأن من غرس فسيلاً يوشك أن يأكل رطبها، وما يستوي عند أولي النهى، ولا يكون سيان عند ذوي الحجى: رجلان أحدهما يلحن والآخر لا يلحن. (روضة العقلاء ٢٢٠)
وقال أيضاً: أحوج الناس إلى لزوم الأدب وتعلم الفصاحة أهل العلم، لكثرة قراءتهم الأحاديث وخوضهم أنواع العلوم. (روضة العقلاء ٢٢٣)

قال ابن تيمية: اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. (اقتضاء الصراط المستقيم ٢/٢٠٧)
قال حسّان بن ثابت في ابن عباس: (الاوراق قسم اخبار الشعراء للصولي ٢/٧٨)

إذ قال لم يترك مقالاً لقائل
بمنتظمات لا ترى بينها فصلاً
كفى وشفى ما في النفوس فلم يدغ
لذي إزبة في القول جدّاً ولا هزلاً

الآثار العملية في حياة السلف:

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال: يا أمير المؤمنين افتتح فإن الحديث يفتح بعضه بعضاً وقال الهيثم ابن صالح لابنه: يا بني إذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب قال يا أبت فإن أنا أكثرت وأكثرت يعني كلاماً وصواباً قال: يا بني ما رأيت موعوظاً أحق بأن يكون واعظاً منك. (المستطرف ١/٩٦)
دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحبّ الحسن أن يتكلّم فزجره وقال: يا صبي تتكلّم في هذا المقام؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن كنت صبيّاً فلست بأصغر من هدهد سليمان، ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السّلام حين قال: أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ (النمل ٢٢) ثمّ قال: ألم تر أنّ الله فهمّ الحُكْمَ سليمان ولو كان الأمر بالكِبَرِ لكان داود أولى. (المستطرف للأبشيهي ٥٦)

كان أعرابي يجالس الشعبي فأطال الصمت فسأله عن ذلك فقال: أسمع فأعلم، وأسكت فأسلم. وقيل لأعرابي: لم لا تتكلم؟ فقال: حظ لسان الرجل لغيره وحظ سمعه له. (محاضرات الادباء ١/٢٧)

٤٠- إصفاء الجليس لهديته جليسه الذي ليس بهرام

واستنصت العالم والواظم حاضري مجلسه

٦٩٨- عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجة الوداع: « استنصت النَّاسَ » ثمَّ قال: « لا تزجُّوا بعدي كُفَّاراً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » متفقٌ عليه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن مجاهد قال لقمان لابنه : إياك إذا سئل غيرك أن تكون أنت المجيب كأنك أصبت غنيمة أو ظفرت بعطية فإنك إن فعلت ذلك أزريت بالمستول وعنت السائل ودلت السفهاء على سفاهة حلمك وسوء أدبك يا بني ليشدد حرصك على الثناء من الأكفاء والأدب النافع والإخوان الصالحين.

(الأداب الشرعية ١٧١ / ٢)

قال عمرُ بن الخطاب: إذا سَمعت الكلمة تؤذيك فطأطئ لها حتى تتخطاك.!(العقد الفريد ١/ ١٨٠)
قال ابن عباس: جليسي عليّ ثلاث : أن أرميه بطرفي إذا أقبل و أن أوسع له في المجلس إذا جلس و أن أصغي إليه إذا تحدث. (عيون الأخبار ١/ ٣٠٧)

وقال ايضاً : اكرم الناس عليّ جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إليّ. لو استطعت أن لا يقع الذباب على وجهه لفعلت!، وفي رواية: إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني!. (تاريخ دمشق ٧٣ / ٢١٤)
قال عمرو بن العاص: ثلاثة لا أملهم جليسي ما فهم عني و ثوبي ما سترني و دابتي ما حملت رحلي.
(عيون الأخبار ١/ ٣٠٦)

قال الحسن البصري : إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول و تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن القول ولا تقطع على أحد حديثه . (المنتقى من مكارم الأخلاق ٧٢)

قال معاذ بن سعد الأعور : كنت جالسا عند عطاء بن أبي رباح ، فحدث رجل بحديث فعرض رجل من القوم في حديثه وقال ما هذه الطباع؟! إني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به فأريه كأني لا أحسن شيئا. (روضة العقلاء ٧٢)

قال المدائني : أوصي خالد بن يحيى ابنه فقال : يا بُنيّ ، إذا حدثك جليسا حديثا فأقبل عليه ، وأصغ إليه ، ولا تقل : قد سمعته وإن كنت أحفظ منه ، فإن ذلك يكسبك المحبة والميل إليك. (بهجة المجالس ٤٣ / ١)

قال ابن المقفع : إذا رأيت رجلا يحدث حديثا قد علمته ، أو يخبر خبرا قد سمعته فلا تشارك فيه ولا تتعقبه عليه حرصا على أن يعلم الناس أنك قد علمته ، فإن ذلك خفة وسوء أدب وسخف. (الأدب الصغير والكبير ١٣٦)

قال ابن عبد البر رحمه الله : ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسا حديثه ، وأن تبتدره إلى تمام ما ابتدأ به منه خبرا كان أو شعرا تتم له البيت الذي بدأ به؛ تريه أنك أحفظ له منه ، فهذا غاية في سوء المجالسة ، بل يجب أن تصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه. (بهجة المجالس ١ / ١٦٢)

عن إبراهيم بن الجنيد: قال حكيم لابنه: تعلم حسن الاستماع، كما تتعلم حسن الكلام فإن حسن الاستماع إمهالك للمتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، والإقبال بالوجه والنظر وترك المشاركة له في حديث أنت تعرفه. (الفقيه والمتفقه ٢ / ٣٢)

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا أقبل وسعت له، وإذا جلس أقبلت إليه، وإذا حدث سمعت منه. (المنتقى من مكارم الأخلاق للخرايطي ٥٤)

وقال أبو عباد: للمحدث على جلسيه السامع لحديثه أن يجمع له باله، ويصغي إلى حديثه، ويكتم عليه سره، ويسيطر له عذره. (زهر الآداب وثمر الآداب ١ / ١٩٥)

عن خالد بن صفوان قال: إذا رأيت محدثا يحدث حديثا قد سمعته، أو يخبر بخبر قد علمته، فلا تشاركه فيه حرصا على أن يعلم من حضر أنك قد علمته، فإن ذلك خفة فيك وسوء أدب. (الأدب الشرعي ٢ / ٢٦٤)

قال ابن الجوزي: وإذا روى المحدث حديثا قد عرفه السامع فلا ينبغي أن يداخله فيه.

(الأدب الشرعي ٢ / ١٧٠)

عن الهيثم بن عديّ قال قالت الحكماء: من الأخلاق السيئة على كلّ حال مغالبة الرجل على كلامه والاعتراض فيه لقطع حديثه. (الأداب الشرعية لابن مفلح ١٧١ / ٢)

قال ابن بطه: كنت عند أبي عمر الزاهد فسئل عن مسألة فبادرت أنا فأجبت السائل فالتفت إلي فقال لي: تعرف الفضوليات المنتقبات يعني: أنت فضولي فأخجلني. (الأداب الشرعية ١٧١ / ٢)

قال ابو تمام: (المستطرف للأبشيهي ٢٦٦ / ١)

وتراه يصغي للحديث بطرفه وبقلمه ولعله أدري به

الآثار العملية من حياة السلف:

قال عطاء بن ابي رباح: إنّ الشاب ليحدثني بحديث فأستمع له كأني لم أسمعته ولقد سمعته قبل ان يولد. (سير أعلام النبلاء ٦٨ / ٥)

قال ابن وهب: إني لأسمع من الرجل الحديث قد سمعته قبل أن يجتمع أبواه، فأنصت له كأني لم أسمعته. (الأداب الشرعية ١٧٠ / ٢)

عن عطاء ثم قال: سمعت أبا عليّ الحسن بن عبد الله جليس أبي أحمد الفقيه البغدادي يقول: يُروى عن سفيان الثوري أنّه تراه يعجب من حديث، ولعله أدري به. (الأداب الشرعية ١٧٠ / ٢)

٤٤- الوفاء والالتزام فيه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

٦٩٩- عن أبي وإيل شقيق بن سلمة قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ حَمِيسٍ مَرَّةً ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوِ دِدْتُ أَنَّكَ ذَكَرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ ، فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَمْلِكُكُمْ وَإِنِّي أَتَحَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا . متفقٌ عليه . « يَتَحَوَّلُنَا » يَتَعَهَّدُنَا .

٧٠٠- عن أبي اليقظان عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ ، وَقَصْرَ خُطْبَتِهِ ، مِثْنَةٌ مِنْ فَهْمِهِ . فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ ، وَأَقْصِرُوا الخُطْبَةَ » رواه مسلم .

« مِثْنَةٌ » بميم مفتوحة ، ثم همزة مكسورة ، ثم نون مشددة ، أي: علامة دالة على فهمه.

٧٠١- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال : « بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ عطس رجل من القوم فقلت : يرحمك الله ، فرماني القوم بابصارهم ، فقلت : وا ثكل أميآه ما شأنكم تنظرون إليّ ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمّتونني لكنني سكت ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبأبي هو وأمّي ، ما رأيت مُعلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ولا ضربني ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هي التسبيح والتكبير ، وقراءة القرآن » أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . قلت : يا رسول الله ، إني حديث عهد بجاهلية ، وقد جاء الله بالإسلام ، وإن منّا رجالاً يأتون الكهّان ؟ قال : « فلا تأتهم » قلت : ومنا رجال يتطيرون ؟ قال : « ذاك شيء يجذونه في صدورهم ، فلا يصدّتهم » رواه مسلم .

« الثكل » بضم الثاء المثناة : المصيبة والفجعة . « ما كهرني » أي ما نهرني .

٧٠٢- وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجلت منها القلوب . ودرفت منها العيون وذكّر الحديث ، وقد سبق بكّماليه في باب الأمر بالمحافظة على السنّة ، وذكرنا أنّ الترمذي قال إنه حديث حسن صحيح .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن أبي ليلي الأشعري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تمسكوا بطاعة أئمتكم ولا تخالفوهم، فإن طاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله، فإن الله إنما بعثني أدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، فمن خالفني في ذلك فهو من الهالكين، وقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله، ومن ولي من أمركم شيئاً فعمل بغير ذلك، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. (تفسير الدر المنثور ٩ / ١٣٤)
(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة) بالقرآن (والموعظة الحسنة) يعني مواظب القرآن. (البغوى ٥ / ٥٣)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن عباس قال: حدث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم

حديثهم فتملهم ولكن أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه، فانظر السجع من الدعاء فاجتنبه
فإني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك
الاجتناب. (صحيح البخاري رقم ٦٣٣٧)

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم (أي وجهوها نحوك)
وأقبلت عليك قلوبهم؛ فإذا انصرفت عنك قلوبهم، فلا تحدثهم. قيل وما علامة ذلك؟ قال: إذا التفت
بعضهم إلى بعض، ورأيهم يتشاءبون فلا تحدثهم. (شرح السنة للبغوي ١/ ٣١٤)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: إن للقلوب لنشاطا وإقبالا، وإن لها لتولية وإدبارا؛ فحدثوا الناس ما
أقبلوا عليكم. (سنن الدارمي ٤٥٤ - الجامع للخطيب البغدادي ٧٤٢)

قال أبا العالية: حدث الناس ما حملوا. قال: قلت ما حملوا؟ قال: ما نشطوا. (الجامع للبغدادي ٧٤٣)
قال الإمام أحمد رحمه الله: يأمر بالرفق والخضوع فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد يتتصر
لنفسه. (جامع العلوم والحكم ٢/ ٤٥٦)

قال مكحول: أتاه رجل، فقال: يا أبا عبد الله، قوله عز وجل: (عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا
أَهْتَدَيْتُمْ) (المائدة ١٠٥) قال: يا ابن أخي، لم يأت تأويل هذه بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ،
فعليك حينئذ نفسك لا يضررك من ضل إذا هتديت يا أخي الآن نعظ ويسمع منا. (الحليه ٥/ ١٧٩)

عن زر أنه قال لأبيه عمر بن زر: ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد؛ فإذا تكلمت يا أبت: سمعت
البكاء من هاهنا وهاهنا فقال: يا بني ليست النائحة المستأجرة كالنايحة الثكلي. (حليه الأولياء ٥/ ١١٠-١١١)
قال أبي السليل: قال لي غنم بن قيس: كنا نتواعظ في أول الإسلام بأربع: اعمل في فراغك لشغلك،

واعمل في صحتك لسقمك، واعمل في شبابك لكبرك، واعمل في حياتك لموتك. (الحليه ٦/ ٢٠٠)
قال جرير: كنا نجلس إلى صالح المري؛ فكان أول ما يبتدئ، فيقول: الحمد لله، فإن أعين الناس قد
سالت. (حليه الأولياء ٦/ ١٦٨)

قال عبد الواحد بن زيد: طريق بين القلبين منخرقة لا يحجز المار فيها شيء خروج الموعظة من قلب
المتكلم تقع في قلب المستمع، كما خرجت من قلب الواعظ لا يغيرها شيء. (حليه الأولياء ٦/ ١٥٧)

قال الأوزاعي: بلغني أنه: ما وعظ رجل قوماً لا يريد به وجه الله إلا زالت عنه القلوب، كما زال الماء من الصفا. (حليه الأولياء ٦/١٤٢)

قال مغيرة بن مقسم: إني لأحتسب في منعي الحديث كما تحتسبون في بذله. (سير أعلام النبلاء ٦/١٢)
 قال رجل لابن المبارك: هل بقي من ينصح؟ قال: فهل تعرف من يقبل؟ (صفه الصفوة ٢/٣٢٩)
 قال عبد العزيز بن أبي الرواد: من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ: بالإسلام والقرآن والشيب. (الحليه ٨/١٩٤)
 قال محمد بن تمام: الموعظة جند من جنود الله تعالى، ومثلها مثل الطين يضرب به الحائط؛ إن استمسك نفع، وإن وقع أثر. (المستطرف للأبشيهي ص ٧٣)

قال مسروق: لا تنشر برك (أى حديثك) إلا عند من يبتغيه. (الجامع لأخلاق الراوى ٧٢٧)

قال ابن تيمية: فإن أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه. (الفتاوى ٢٨/٦١٥)

قال ابن القيم: ليس كل موعظة حسنة. (مدارج السالكين ٣/١٥٧)

قال ابو سهيل النيلي:

أَوْصِيكَ فِي نَظْمِ الْكَلَامِ بِخَمْسَةٍ إِنَّ كُنْتَ لِلْمَوْصِي الشَّفِيقِ مُطِيعًا
 لَا تُغْفَلَنَّ سَبَبَ الْكَلَامِ وَوَقْتَهُ وَالْكَيفَ وَالْكَمَّ وَالْمَكَانَ جَمِيعًا

الآثار العملية من حياة السلف:

عن عبيد بن أبي الجعد، عن رجل من أشجع، قال: سمع الناس بالمدائن: أن سلمان في المسجد؛ فأتوه، فجعلوا يثوبون إليه، حتى اجتمع إليه نحو من ألف؛ قال: فقام؛ فجعل يقول: اجلسوا، اجلسوا؛ فلما جلسوا: فتح سورة يوسف يقرؤها، فجعلوا يتصدعون ويذهبون، حتى بقي في نحو من مائة فغضب وقال: الزخرف من القول أردتم ثم قرأت عليكم كتاب الله فذهبتم. (حليه الأولياء ١/٢٠٣)

تصدى رجلٌ للرشيد فقال: إني أريد أن أغلظ عليك في المقال، فهل أنت محتمل؟ قال: لا لأن الله تعالى أرسل من هو خيرٌ منك إلى من كان شرا مني وأمره باللين فقال تعالى: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى) وقالوا: واجب من يعظ أن لا يعنف ومن يُوعظ أن لا يأنف. (الذخائر والعبقریات ٢/٩٦)

عن إبراهيم بن الأشعث قال: كنا إذا خرجنا مع الفضيل بن عياض في جنازة، لا يزال يعظ ويذكر ويبكي، حتى لكانه يودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر، فيجلس، فكانه بين الموتى جلس، من الحزن والبكاء، حتى يقوم، ولكانه رجع من الآخرة يخبر عنها. (حليه الاولياء ٨/٨٤)

قال هلال بن خباب: خرجنا مع سعيد بن جبير في جنازة قال: فكان يحدثنا في الطريق ويذكرنا حتى بلغ، فلما بلغ جلس فلم يزل يحدثنا حتى قمنا فرجعنا وكان كثير الذكر لله عز وجل. (الحليه ٤/ ٢٨٠)
قال إبراهيم: كان علقمة إذا رأى من القوم أشاشاً (نشاطاً) ذكرهم في الأيام. (الحليه ٢/ ١٠٠)

٤٢- باب الوقار والسكينة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

٧٠٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنْهُ هَوَاتُهُ، إِنَّهَا كَانَتْ يَتَبَسَّمُ. متفقٌ عليه.
«اللَّهُوَاتُ» جَمْعُ هَوَاتٍ: وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي فِي أَفْصَى سَقْفِ الْفَمِّ.

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله: (وعباد الرحمن) قال: هم المؤمنون (الذين يمشون على الأرض هونا) قال: بالطاعة والعفاف والتواضع. عن ابن عباس في قوله: يمشون على الأرض هونا قال: علماء حلما عن عمر بن الخطاب، أنه رأى غلاما يتبختر في مشيته فقال له: إن البخترية مشية تكره إلا في سبيل الله، وقد مدح الله أقواما فقال: وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا فاقصد في مشيتك. عن قتادة في قوله: يمشون على الأرض هونا قال: تواضعا لله، لعظمته، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال: كانوا لا يجاهلون أهل الجهل. عن الحسن: يمشون على الأرض هونا الآية. قال: يمشون حلما متواضعين، لا يجهلون على أحد، وإن جهل عليهم جاهل لم يجهلوا، هذا نهارهم إذا انتشروا في الناس، والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما قال: هذا ليلهم إذا خلوا بينهم وبين ربهم. (الدر المنثور ١١/ ٢٠٤-٢٠٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عمر بن الخطاب: تعلّموا العلم، وعلمّوه النَّاسَ، وتعلّموا له الوقار والسكينة، وتواضعوا لمن يعلمكم عند العلم، وتواضعوا لمن تعلّموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم. (شعب الإيمان للبيهقي ٢/ ٢٨٧)

قال عمر بن الخطاب: تعلّموا العلم، وتعلّموا للعلم السكينة والحلم. (شعب الإيمان ٢/ ٢٨٧)

قال علي بن أبي طالب: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عَمْرِ وَقَلْبِهِ. (تاريخ دمشق ٤٤ / ١٠٨)
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عَمْرِ وَقَلْبِهِ.
(تاريخ دمشق ٤٤ / ١٠٨)

قال ابن عباس: كل سكينه في القرآن هي الطمأنينة إلا التي في سورة البقرة. (مدارج السالكين ٢ / ٤٧٢)
قال ذو النون: ثلاثه من أعلام الوقار: تعظيم الكبير والترحم على الصَّغِيرِ والتحلُّم على الوضِيعِ .
(شعب الإيَّان للبيهقي ١٣ / ٣٦٠)

قال الحسن في قوله تعالى: (فاسعوا إلى ذكر الله) أما والله ما هو بالسعي على الأقدام وقد نهوا أن يأتوا
الصلاة إلا وعليكم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والثبات والخشوع. (تفسير ابن كثير ٨ / ١٢١)
قال حمزة النيسابوري: ان صاحب الدين تفكر فعلته السكينة وسكن فتواضع ورضي فلم يهتم وخلي
الدنيا فنجا من الشر وتفرد فكفي الاحزان وترك الشهوات فصار حرا وترك الحسد فظهرت له المحبة
وسخت نفسه عن كل فان فاستكمل العقل. (العظمة للاصبهاني ١ / ٢٢١)

قال البغدادي: يا أبا أيوب (أي سليمان بن حرب) كنت إذا نظرت في وجهه (أي إسماعيل بن عليّة)
رأيت ذاك الوقار وإذا نظرت إلى قفاه رأيت الخشوع. (تاريخ بغداد ٦ / ٢٣٩)
قال أبي إدريس الخولاني: ما تقلد امرؤ قلادة أفضل من سكينه وما زاد الله. (حليه الأولياء ٥ / ١٢٣)
قال قتادة: السكينه: الوقار والصبر. (تفسير الطبري ٥١٣)

قال ابن القيم: السكينه إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت
الوقار، وأنطق اللسان بالصَّواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكل
باطل. وفي صفة رسول الله في الكتب المتقدِّمة: إني باعث نبيًّا أميًّا، ليس بفظًّا ولا غليظًّا، ولا صخَّابٍ في
الأسواق، ولا متزيِّنٍ بالفحش، ولا قوَالٍ للخنا. أسدده لكلِّ جميلٍ، وأهَّب له كلَّ خلقٍ كريمٍ، ثمَّ أجعل
السَّكِينَةَ لِيَّاسِهِ، والبرَّ شعاره، والتَّقْوَى ضميره، والحِكْمَةَ معقوله، والصَّدق والوفاء طبيعته، والعفو
والمعروف خُلُقَه، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهدي إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه.
(مدارج السالكين ٢ / ٥٠٤)

قال النووي: الفرق بين السكينة والوقار: أن السكينة هي التأنى في الحركات واجتناب العبث والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات. (شرح النووي على مسلم ١٠٠ / ٥)

قال الشاعر: (موارد الظمان ٣ / ٤٠)

مَنْ أَكْثَرَ الْمَزَاحَ قَلَّتْ هَيْبَتُهُ وَمَنْ جَنَى الْوَقَارَ عَزَّتْ قِيَمَتُهُ
مَنْ سَأَلَ النَّاسَ جَنَى السَّلَامَةِ وَمَنْ تَعَدَّى أَحْرَزَ النَّدَامَةَ

٩٢- باب النَّدْبِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ الصَّلَاةِ وَالْعِلْمِ وَهُمَا مِنَ الْعِبَادَاتِ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: « وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ » [الحج: ٣٢].

٧٠٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « إذا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ ، وَأَتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْتَشُونَ ، وَعَلَيْكُمْ السَّكِينَةُ ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا ، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتُّوا » متفقٌ عليه . زاد مسلم في رواية له : « فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ » .

٧٠٥- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلإِبْلِ ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِضْيَاعِ » رواه البخاري ، وروى مسلم بعضه .
« الْبِرُّ » : الطَّاعَةُ . « وَالإِضْيَاعُ » بِضَادٍ مَعْجَمَةٍ قَلْبُهَا يَاءٌ وَهَمْزَةٌ مَكْسُورَةٌ ، وَهُوَ : الإِسْرَاعُ .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام وفي قوله : لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : إلى أن تسمى بدنا . عن محمد بن أبي موسى في قوله : ذلك ومن يعظم شعائر الله قال : الوقوف بعرفة من شعائر الله وجمع من شعائر الله والبدن من شعائر الله ورمي الجمار من شعائر الله والحلق من شعائر الله فمن يعظمها: فإنها من تقوى القلوب لكم فيها منافع إلى أجل مسمى قال : لكم في كل مشعر منها منافع إلى أن تخرجوا منه إلى غيره : ثم محلها إلى البيت العتيق قال : محل هذه الشعائر كلها الطواف بالبيت العتيق. (الدر المنثور ١٠ / ٤٩١-٤٩٢)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عثمان بن أبي سودة في قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ. أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ) (الواقعة ١٠-١١).
قال: أولهم رواحاً إلى المسجد، وأولهم خروجاً في سبيل الله. (حليه الأولياء ١٠٩/٦)
عن سفيان الثوري، في قوله: (لا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ) (النور ٣٧) الآية. قال: كانوا يشترون ويبيعون، ولا يدعون الصلوات المكتوبات في الجماعة. (حليه الأولياء ١٥/٧)
عن الأوزاعي قال: كتب عمر إلى عماله: اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة؛ فمن أضعها، فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً. (حليه الأولياء ٣١٦/٥)
قال أبي بحرية: دخلت مسجد حمص فسمعت معاذ بن جبل يقول: من سره أن يأتي الله عز وجل آمن فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإنهن من سنن الهدى ومما سنه لكم نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا يقل: إن لي مصلى في بيتي فأصلي فيه فإنكم إن فعلتم ذلك: تركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم لضللتهم. (حليه الأولياء ٢٣٥/١)
عن ابن شوذب قال: ربما مشينا مع ثابت فإذا عدنا مريضاً بدأ بالمسجد الذي في بيت المريض فركع فيه ثم يأتي المريض. (حليه الأولياء ٣٢١/٢)
وقد حث سفيان بن عيينة على السير إلى الصلاة حتى قبل النداء فقال: لا تكن مثل عبد السوء لا يأتي حتى يدعى ائت الصلاة قبل النداء. (التبصرة ١٣٧/١)
وهذا إبراهيم بن ميمون المروزي، وكانت مهنته الصياغة وطرق الذهب والفضة، قال ابن معين: كان إذا رفع المطرقة فسمع النداء لم يردّها. (تهذيب التهذيب ١٥١/١)
قال مالك بن أنس للمهدي وقد استدعاه لولديه يعلمهما: العلم أولى أن يوقر ويؤتى، وفي رواية: العلم يزار ولا يزور ويؤتى ولا يأتي. (اداب العلماء والمتعلمين ١/١)
قال الشافعي: ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع، وعليه بدوام السكينة والوقار والخشوع والورع والتواضع والخضوع. (اداب العلماء والمتعلمين - الحسين بن المنصور اليمنى ١/١)
عن وكيع بن الجراح قال: من لم يأخذ أهبة الصلاة قبل وقتها، لم يكن وقرها. وقال وكيع: من تهاون بالتكبيرة الأولى، فاغسل يديك منه. (حليه الأولياء ٣٧٠/٨)
قال أبي ادريس الخولاني: ليعقبن الله الذين يمشون إلى المساجد في الظلم: نوراً تاماً يوم القيامة.

(حليه الأولياء ٥ / ١٢٥)

٩٤- باب إكرام الضيف

قَالَ اللهُ تَعَالَى : هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعَجَلٍ سَمِينٍ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ [الذاريات : ٢٤-٢٧] وقال تَعَالَى : وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ [هود : ٧٨] .

٧٠٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقِلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصُمْتُ » متفق عليه .

٧٠٧- وعن أبي شريح خويلد بن عمرو الخزاعي رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتُهُ » قالوا : وما جَائِزَتُهُ يا رسول الله ؟ قال : « يَوْمُهُ وَكَيْلَتُهُ . وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ » متفق عليه . وفي رواية لمسلم : « لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ » قالوا : يا رسول الله . وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ ؟ قال : « يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَفْرِيهِ بِهِ » .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس : ساهم مكرمين لأنهم جاءوا غير مدعويين . وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون . أي : غرباء لا نعرفكم قال ابن عباس : قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم . وقيل : إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان . وقال أبو العالية : أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض . فراغ . فعدل ومال . إلى أهله فجاء بعجل سمين . مشوي . (تفسير البغوي ٧ / ٣٧٧)

عن مجاهد في قوله : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين. قال : خدمته إياهم بنفسه . وقال ايضا :
أكرمهم إبراهيم بالعجل . عن قتادة في قوله : فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين. قال : كان عامة مال
إبراهيم البقر. (تفسير الدر المنثور ١٣ / ٦٨١)

عن ابن عباس في قوله : وجاءه قومه يهرعون إليه . قال : يسرعون . ومن قبل كانوا يعملون السيئات
قال : يأتون الرجال . عن ابن عباس في قوله : قال يا قوم هؤلاء بناتي . قال : ما عرض لوط عليه السلام
بناته على قومه لا سفاحا ولا نكاحا إنما قال : هؤلاء بناتي نساؤكم لأن النبي إذا كان بين ظهري قوم فهو
أبوهم قال الله في القرآن (وأزواجه أمهاتهم) . عن حذيفة بن اليمان قال : عرض عليهم بناته تزويجا
وأراد أن يقي أضيافه بتزويج بناته. عن السدي : ولا تخزون في ضيفي . يقول : ولا تفضحوني . عن ابن
عباس : أليس منكم رجل رشيد . قال : رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . قال ابن عباس : لما
سمعت الفسقة بأضياف لوط جاءوا إلى باب لوط فأغلق لوط عليهم الباب دونهم ثم اطلع عليهم فقال
: هؤلاء بناتي . يعرض عليهم بناته بالنكاح والتزويج ولم يعرضها عليهم للفاحشة وكانوا كفارا وبناته
مسلمات فلما رأى البلاء وخاف الفضيحة عرض عليهم التزويج وكان اسم ابنتيه إحداهما رعوثا
والأخرى رميثا ويقال زبوثا إلى قوله) : أليس منكم رجل رشيد (أي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر
فلما لم يتناها ولم يردهم قوله ولم يقبلوا شيئا مما عرض عليهم من أمر بناته قال : لو أن لي بكم قوة أو
أوي إلى ركن شديد . يعني عشيرة أو شيعة تنصرني . لملت بينكم وبين هذا فكسروا الباب ودخلوا عليه
وتحول جبريل في صورته التي يكون فيها في السماء ثم قال : يا لوط لا تخف نحن الملائكة لن يصلوا
إليك وأمرنا بعذابهم ، فقال لوط : يا جبريل الآن تعذبهم - وهو شديد الأسف عليهم - قال جبريل :
موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب قال ابن عباس : إن الله يعبي العذاب في أول الليل إذا أراد أن
يعذب قوما ثم يعذبهم في وجه الصبح قال : فهيتت الحجارة لقوم لوط في أول الليل لترسل عليهم
غدوة وكذلك عذبت الأمم عاد وثمود بالغداة فلما كان عند وجه الصبح عمد جبريل إلى قرى لوط بما
فيها من رجالها ونسائها وثارها وطيرها فحوأها وطواها ثم قلعتها من نخوم الثرى ثم احتملها من تحت
جناحه ثم رفعها إلى السماء الدنيا فسمع سكان سماء الدنيا أصوات الكلاب والطير والرجال والنساء

من تحت جناح جبريل ثم أرسلها منكوسة ثم أتبعها بالحجارة وكانت الحجارة للرعاة والتجار ومن كان خارجا عن مدائنهم (تفسير الدر المنثور ٨/١٠٨-١١٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن علي قال : لأن أجمع إخوان على صالح طعام أحب إليّ من أن أعتق رقبة ، وكان الصحابة يقولون : الاجتماع على الطعام من مكارم الأخلاق. (إحياء علوم الدين ٢/٩)

روى أن عليا رضي الله عنه دعا رجل فقال : أجيبك على ثلاث شرائط لا تدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف عيالك. (إحياء علوم الدين ٢/١١)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من أفضل الحسنات إكرام الجلساء بالإفطار فالإفطار عبادة بهذه النية وحسن خلق فثوابه فوق ثواب الصوم. (إحياء علوم الدين ١٤/٢)

وقال ايضا: إن من السنة إذا دعوت أحدا إلى منزلك أن تخرج معه حتى يخرج. (الاداب الشرعية ٢/٢٣٨)
رجاء بن حيوة يحدث عبد العزيز عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز، يقول: ما أكمل مروءة أبيك! كامل المروءة، ليس من مروءة الرجل استخدام ضيفه، إذا جاء الضيف ليس من المروءة أن يخدمك في دارك. (سير أعلام النبلاء ٥/١٣٦)

ويقول يحيى بن زكريا بن حيويه: قدّم إلينا محمد بن طريف البجلي رطباً، فسألنا أن نأكل، فأبيت عليه، قال: سمعت حفص بن غياث يقول: من لم يأكل طعامنا لم نحدثه. (السير ٩/٢٧)

قال شقيق البلخي: ليس شيء أحب إليّ من الضيف؛ لأن رزقه على الله، وأجره لي. (السير ٩/٣١٥)
قال محمد بن عباد: إن المأمون قال لي: بلغني أنه لا يقدم أحد البصرة إلا أضفته، فقلت: منع الجود سوء ظن بالمعبود. (سير أعلام النبلاء ١٠/١٩٠)

وسئل مالك عن قول النبي صلى الله عليه وسلم جائزته يوم وليه؟ فقال: يكرمه ويتحفه ويخصه ويحفظه يوماً وليلة وثلاثة أيام ضيافة. (سنن ابى داود ٣/٣٤٢)

وقيل للأوزاعي رحمه الله: ما إكرام الضيف؟ قال: طلاقة الوجه، وطيب الكلام. (روضة العقلاء ٢٦١)
قال الثوري : إذا زارك أخوك فلا تقل له أأكل ؟ أو أقدم إليك ؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا

فارفع. (إحياء علوم الدين ١٢/٢)

وقال الأحنف: لو جلست إلى مائة لأحبيت أن ألتمس رضى كل واحدٍ منهم. (بهجة المجالس ٣/١)

وقال يزيد بن أبي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن أبي ليلى إلا حدثنا حديثا حسنا وأطعمنا طعاما حسنا. (حلية الأولياء ٢/١٨)

كان محمد بن سيرين يقول: لا تُكْرَم أخاك بما يُشْتَقُّ عليه؛ ورواه البيهقي في (الشعب) بلفظ: لا تكرم أخاك بما يكره. (أي تأتيه بحاضر ما عندك، ولا تجسسه فعسى أن يشق ذلك عليه فيكرهه).
(حلية الأولياء ٢ / ٢٦٤ - شعب الإيمان للبيهقي ٨٥٢٦)

عن ميمون بن مهران: إذا نزل بك ضيف فلا تكلف له ما لا تطيق وأطعمه من طعام أهلك والقه بوجه طلق فإنك إن تكلفت له ما لا تطيق أو شك أن تلقاه بوجه يكرهه. (شعب الإيمان للبيهقي ٩٦١٠)
وقال بكر بن عبد الله المزني: إذا أتاك ضيف فلا تنتظر به ما ليس عندك وتمنعه ما عندك، قدم إليه ما حضر وانتظر به ما بعد ذلك ما تريد من إكرامه. (شعب الإيمان للبيهقي ٩٦٠٥)

قال ابن حبان: إني لأستحب للعاقل المداومة على إطعام الطعام والمواظبة على قرى الضيف لأن إطعام الطعام من أشرف أركان الندى ومن أعظم مراتب ذوي الحجى ومن أحسن خصال أولى النهى ومن عرف بإطعام الطعام شرف عند الشاهد والغائب وقصده الراضي والعاتب وقرى الضيف يرفع المرء وإن رقَّ نسبه إلى منتهى بغيته ونهاية محبته ويشرفه برفيع الذكر وكمال الذخر. (روضة العقلاء ٢٥٨)
يقول الإمام ابن حبان: كل من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسؤدد وانقاد له قومه ورحل إليه القريب والقاصي لم يكن كمال سؤدده إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف، والعرب لم تكن تعد الجود إلا قرى الضيف وإطعام الطعام ولا تعد السخي من لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف الميل والميلين. (روضة العقلاء ٢٥٩)

وقال ابن حبان: ومن إكرام الضيف طيبُ الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمةُ بالنفس فإنه لا يذل من خدَم أضيافه، كما لا يعزُّ من استخدمهم، أو طلب لقراءة أجراً. (روضة العقلاء ٢٦١)

يقول الإمام الخطابي: يريد أنه يتكلف له في اليوم الأول بما اتسع له من بر وإطعام ويقدم له في اليوم الثاني والثالث ما كان بحضرته ولا يزيد على عادته وما كان بعد الثلاث فهو صدقة ومعروف إن شاء فعل وإن شاء ترك. (معالم السنن ٢٣٨/٤)

يقول الإمام ابن الجوزي: وكرامته - أي الضيف - أن يكرمه لوجه الله وتكون ضيافته من حلال وأما من أنفق على ضيفه من حرام فإنه لا ثواب له. (بستان الواعظين ورياض السامعين ٦٠)

يقول ابن بطال: ومن إكرام الضيف أن تأكل معه ولا توحشه بأن يأكل وحده. (شرح البخارى ٤/١١٨)

لقد تحدث الامام الغزالي فى آداب المائدة وحسن تنظيمها فقال: إن من الأوفق تقديم الفاكهة لأنها أسرع اشتمالاً وهى أوفق فى الطب إذا واقعت فى أسفل المعدة ثم بعدها اللحم لأن الله قال:

(وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون). (إحياء علوم الدين ٢/١١)

قال على بن ابى طالب:

إِذَا جَادَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَجُدْ بِهَا عَلَى النَّاسِ طُرًّا إِتْمًا تَتَقَلَّبُ
فَلَا الْجُودُ يَفْنِيهَا إِذَا هِيَ أَقْبَلَتْ وَلَا الْبُخْلُ يُبْقِيهَا إِذَا هِيَ تَذَهَبُ

الآثار العملية فى حياة السلف:

لما قدم أبو أيوب الأنصاري على ابن عباس حينما كان أميراً على البصرة لعلي رضي الله عنه بالغ ابن عباس فى إكرام أبي أيوب الأنصاري رضي الله عن الجميع وقال: لأجزينك على إنزالك النبى عندك عليه الصلاة والسلام. فوصله ابن عباس بكل ما فى المنزل، فبلغ ذلك أربعين ألفاً، يعنى: من الدنانير، وهذا مبلغ يعتبر كبيراً جداً، وقال له: كم عليك؟ يعنى من الدين، قال: عشرون ألفاً، فأعطاه أربعين ألفاً، وعشرين مملوكاً، ومتاع البيت. (شعب الإيوان للبيهقى ١٣/٣١١)

ويقول أبو جمره: كنت أقعد مع ابن عباس، وكان يجلسني معه على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهماً من مالي، فأقمت معه شهرين. وجاء عن الحسن رحمه الله كما يقول عبد الله بن عون: والله لقد أتيت منزله فى يوم حار، وليس هو فى منزله، فنمت على سريره، فلقد انتبهت وإنه ليروحني.

(سير أعلام النبلاء ٦/٣٦٦)

ما جاء عن أحدهم قال: نزلت على أبي هريرة رضي الله عنه بالمدينة ستة أشهر، فلم أر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً أشد تشميراً، ولا أقوم على ضيف من أبي هريرة. (السير ٢/٥٩٣)

عن أبي البخترى قال: جاء رجل إلى سلمان رضي الله تعالى عنه؛ فقال: ما أحسن صنيع الناس اليوم، إني سافرت، فوالله ما أنزل بأحد منهم، إلا كما أنزل على ابن أبي؛ قال: ثم قال: من حسن صنيعهم ولطفهم؛

قال: يا ابن أخي، ذاك طرفة الإيوان، ألم تر الدابة إذا حمل عليها حملها، انطلقت به مسرعة؛ وإذا تطاول بها السير، تتلكأ. (حليه الأولياء ١/ ٢٠٣)

عن بديح مولى عبد الله بن جعفر قال: خرجت مع عبد الله بن جعفر في بعض أسفاره، فنزلنا إلى جانب خباء من شعر وإذا صاحب الخباء رجل من بني عذرة، قال: فيينا نحن كذلك، إذا نحن بأعرابي قد أقبل يسوق ناقة حتى وقف علينا ثم قال: أي قوم، ابغوني شفرة (أي: سكيناً) فناولناه الشفرة، فوجأ في لبتها (موضع الذبح فوق الصدر) وقال: شأنكم بها قال: وأقمنا اليوم الثاني، وإذا نحن بالشيخ العذري يسوق ناقة أخرى فقال: أي قوم، ابغوني شفرة، قال: فقلنا: إن عندنا من اللحم ما ترى، قال: فقال: أبحضرتي تأكلون الغاب؟، ناولوني شفرة، فناولناه الشفرة فوجأ في لبتها، ثم قال: شأنكم بها، وبقينا اليوم الثالث، فإذا نحن بالعذري يسوق ناقة أخرى حتى وقف علينا، فقال: أي قوم، ابغوني شفرة، قال: قلنا: إن معنا من اللحم ما ترى، فقال: أبحضرتي تأكلون الغاب؟ إني لأحسبكم قوماً لثاماً ناولوني الشفرة، فناولناه الشفرة فوجأ في لبتها، ثم قال: شأنكم بها. قال: وأخذنا في الرحيل، فقال ابن جعفر لخازنه: ما معك؟ قال: رزمة ثياب، وأربع مائة دينار، قال: اذهب بها إلى الشيخ العذري، قال: فذهب بها فإذا جارية في الخباء، فقال: يا هذه خذي هدية ابن جعفر، قالت: إنا قوم لا نقبل على قرى أجراً، قال: فجاء إلى ابن جعفر فأخبره فقال: عد إليها، فإن هي قبلت، وإلا فارم بها على باب الخيمة فعاودها فقالت: اذهب عنا بارك الله فيك، فإننا قوم لا نقبل على قرانا أجراً فوالله لئن جاء شيخي فرآك هاهنا لتلقين منه أذى قال: فرمى بالرزمة والصرّة على باب الخباء ثم ارتحلنا فما سرنا إلا قليلاً إذا نحن بشيء يرفعه السراب مرة ويضعه أخرى، فلما دنا منا إذا نحن بالشيخ العذري ومعه الصرة والرزمة فرمى بذلك إلينا ثم ولى مدبراً فجعلنا ننظر في قفاه هل يلتفت؟ فبهيات قال: فكان ابن جعفر يقول: ما غلبنا بالسخاء إلا الشيخ العذري. (قرى الضيف لابن أبي الدنيا ١٥)

عن هشام قال: كان آل ابن سيرين يدخل عليهم داخل، إلا قربوا له طعاماً؛ حتى إذا كان آخراً، وخفت حالهم، كانوا يشترون من ذلك البسر المطبوخ، أو المغلي؛ فإذا دخل داخل، قدموا إليه من ذلك البسر. (حليه الأولياء ٢/ ٢٧٠)

عن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد عن أبيه قال: دخلت على بن سيرين في يوم حار، فرأى في وجهي اللغب؛ فقال: جارية، هات لحبيب غداء، هات هات، حتى قال ذلك مراراً؛ قلت: لا أريده؛ قال: هات، فلما جاءت به، قلت: لا أريده؛ قال: كل لقمة، وأنت بالخيار؛ فلما أكلت لقمة، نشطت، فأكلت حتى شبعت. (حليه الأولياء ٢/٢٦٩)

قال أبو عبيد القاسم بن سلام زرت أحمد بن حنبل فلما دخلت عليه بيته قام فاعتقني وأجلسني في صدر مجلسه فقلت يا أبا عبد الله أليس يقال صاحب البيت والمجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه قال نعم يقعد ، ويقعد من يريد قال قلت في نفسي خذ يا أبا عبيد إليك فائدة . ثم قلت يا أبا عبد الله لو كنت أتيتك على حق ما تستحق لأتيتك كل يوم فقال لا تقل ذلك فإن لي إخوانا ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أو ثقتي في مودتهم ممن ألقى كل يوم قلت هذه أخرى يا أبا عبيد فلما أردت القيام قام معي قلت: لا تفعل يا أبا عبد الله قال: فقال قال الشعبي من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه قال قلت يا أبا عبد الله من عن الشعبي ؟ قال ابن زائدة عن مجالد عن الشعبي قال قلت يا أبا عبيد هذه ثالثة . (الأدب الشرعيه ٣/٢٣٨)

ويقول ابن عون: قلت عند الحسن يعني: نام في القيلولة ومحمد يعني: ابن سيرين فكلاهما لم يزاالا قائمين على أرجلهما حتى فرش لي. (سير أعلام النبلاء ٦/٣٧٥)

ويقول غسان بن سليمان: كنا نختلف إلى إبراهيم بن طهمان إلى القرية فكان لا يرضى منا حتى يطعمنا وكان شيخاً واسع القلب. (سير أعلام النبلاء ٧/٣٨٢)

عن محمد بن عباد قال : نزل ضيف بأعرابية فقدمت إليه خبزاً يابساً ولبناً حامضاً ولم تكن تملك غيرهما فلامها ، فقالت :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ ضَيْقِ عَيْشِهِ يَلَامُ عَلَى مَعْرُوفِهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
وما كان من بُخْلِ ولا من ضِراعةٍ ولكن كما يَزُمُّ له الدَّهْرُ يَزْفِنُ

(يَزْفِنُ هو الرقص واللعب والمراد إن وسع عليه عمل بذلك). (شعب الإيمان للبيهقي ٩٦١٢)

كان القعقاع بن شور إذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً من ماله وأعانه على عدوة وشفع له في حاجته، وغدا إليه بعد المجالسة شاكرًا. (عيون الأخبار لابن قتيبة ١/١٢٩)

٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالبشر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧-١٨] ، وقال
تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١] ، وقال
تَعَالَى: ﴿وَأَبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] ، وقال تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾
[الصافات: ١٠١] ، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [هود: ٦٩] ، وقال
تَعَالَى: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١] ،
وقال تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩]
[، وقال تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [آل عمران:
٤٥] الآية ، والآيات في الباب كثيرة معلومة .

وأما الأحاديث فكثيرة جداً وهي مشهورة في الصحيح . منها:

٧٠٨- عن أبي إبراهيم وَيُقَالُ أَبُو مُحَمَّدٍ وَيُقَالُ أَبُو مُعَاوِيَةَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ خَدِيجَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، بِنَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ ، لاصْخَبَ
فِيهِ وَلَا نَصَبَ . متفقٌ عليه . « الْقَصَبُ » هُنَا : اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ . « وَالصَّخْبُ » الصِّيَاحُ وَاللَّغَطُ .
« وَالنَّصَبُ » : التَّعَبُ .

٧٠٩- وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ : لِأَلْزَمَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا كُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هَذَا ، فَجَاءَ الْمَسْجِدَ ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا : وَجَّهَ هُنَا ، قَالَ : فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ ، حَتَّى دَخَلَ بَيْتَ أَرِيْسَ
فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ حَتَّى قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ ، فَإِذَا
هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بَيْتِ أَرِيْسَ ، وَتَوَسَّطَ قَفَّهَا ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَاهِمَا فِي الْبَيْتِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ
ثُمَّ انْصَرَفْتُ . فَجَلَسْتُ عِنْدَ الْبَابِ فَقُلْتُ : لِأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ .
فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدَفَعَ الْبَابَ فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالَ : أَبُو بَكْرٍ ، فَقُلْتُ : عَلَى رِسْلِكَ ،
ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ ، فَقَالَ : « ائْذِنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » فَأَقْبَلْتُ حَتَّى

قُلت لأبي بكرٍ : ادْخُلْ ورسولُ اللهِ يُبَشِّرُكَ بِالْجَنَّةِ ، فدخل أبو بكرٍ حتى جلس عن يمين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معه في القُفِّ ، ودلَّ رجلَيْه في البئر كما صنع رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكشَفَ عن ساقيه ، ثم رجعتُ وجلستُ ، وقد تركتُ أخي يتوضأ ويلحطني ، فقُلتُ : إن يُردِ اللهُ بِفُلانٍ يُريدُ أخاهُ خيراً يأتِ به . فإذا إنسانٌ يحرِّكُ البابَ ، فقُلتُ : من هذا ؟ فقال : عمرُ بنُ الخطَّابِ : فقُلتُ : على رسلك ، ثم جئتُ إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فسَلَّمْتُ عليه وقُلتُ : هذا عمرُ يستأذنُ ؟ فقال : « ائذنْ له وبشِّره بِالْجَنَّةِ » فجيئتُ عمرَ ، فقُلتُ : أذنْ ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، فدخلَ فجلسَ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القُفِّ عن يساره ودلَّ رجلَيْه في البئر ، ثم رجعتُ فجلستُ فقُلتُ : إن يُردِ اللهُ بِفُلانٍ خيراً يعني أخاهُ يأتِ به . فجاء إنسانٌ فحركَ البابَ فقُلتُ : من هذا ؟ فقال : عثمانُ بنُ عفانَ . فقُلتُ : على رسلك ، وجئتُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأخبرتهُ فقال : « ائذنْ له وبشِّره بِالْجَنَّةِ مع بلوى تُصيبُهُ » فجيئتُ فقُلتُ : ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ مع بلوى تُصيبُكَ ، فدخلَ فوجدَ القُفَّ قد ملئَ ، فجلسَ وجاهَهُم من الشَّقِّ الآخرِ . قالَ سعيدُ بنُ المسيَّبِ : فأولَّتُها قُبورَهُم . متفقٌ عليه .

وزاد في رواية : « وأمرني رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظِ البابِ وفيها : أنَّ عثمانَ حينَ بشِّره حميدُ اللهِ تعالى ، ثم قال : اللهُ المُستعانُ .

قوله : « وَجَّهَ » بفتح الواو وتشديد الجيم ، أي : توجه . وقوله : « بِئْرٍ أَرِيْسٍ » : هو بفتح الهمزة وكسر الراء ، وبعدها ياء مثناةٌ من تحت ساكنةٌ ، ثم سينٌ مهملةٌ ، وهو مصروفٌ ، ومنهم من منع صرفه . « والقُفُّ » بضم القاف وتشديد الفاء : هو المبنى حَوْلَ البئرِ . قوله : « على رسلك » بكسر الراء على المشهور ، وقيل بفتحها ، أي : ارفق .

٧١٠- وعن أبي هريرة رضي اللهُ عنه قال : كُنَّا فُعوداً حَوْلَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومَعَنَا أَبُو بكرٍ وعمرُ رضي اللهُ عنهما في نَفَرٍ ، فقامَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بين أظهرنا فأبْطأَ عَلَيْنَا وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَرَعْنَا فقمنا ، فكُنْتُ أَوَّلَ من فَرَعَ . فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَحَدٌ لَهُ أَبَا ؟ فَلَمْ أَحَدْ ، فَإِذَا رِبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بَيْتٍ خَارِجِهِ وَالرَّبِيعُ: الْجَدْوَلُ الصَّغِيرُ فَاحْتَفَزْتُ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ : « أَبُو هُرَيْرَةَ ؟ » فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ : « مَا سَأَلْتُكَ » قُلْتُ : كُنْتُ بَيْنَ ظَهْرَيْنَا فَكُفَّمَتِ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْنَا ، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا ، فَفَزَعْنَا ، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَرَعَ فَأَتَيْتُ هَذَا الْحَائِطَ ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الشَّلْبُ ، وَهَوْلَاءِ النَّاسِ وَرَائِي . فَقَالَ : « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ » وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ فَقَالَ : « اذْهَبْ بِنَعْلِي هَاتَيْنِ ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ ، فَبَسِّرْهُ بِالْجَنَّةِ » وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوِيلِهِ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ

« الرَّبِيعُ » النَّهْرُ الصَّغِيرُ ، وَهُوَ الْجَدْوَلُ بفتح الجيم كما فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ . وَقَوْلُهُ : « احْتَفَزْتُ » رَوَى بِالرَّاءِ وَبِالزَّايِ ، وَمَعْنَاهُ بِالزَّايِ : تَضَاعَمْتُ وَتَصَاعَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَنِي الدُّخُولُ .

٧١١- وعن ابنِ شُهَّاسَةَ قَالَ : حَضَرْنَا عَمْرَوَ بْنَ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ فَبَكَى طَوِيلًا ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الْجِدَارِ ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ : يَا أَبَتَاهُ ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا ؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكَذَا ؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ إِنَّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقِ ثَلَاثٍ : لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنِّي ، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمَكَنْتَ مِنْهُ فَقَتَلْتَهُ ، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلَأُبَايِعَكَ ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي ، فَقَالَ : « مَالِكُ يَا عَمْرُو ؟ » قُلْتُ : « تَشْتَرُطُ مَاذَا ؟ » قُلْتُ أَنْ يُغْفَرَ لِي قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، وَأَنَّ الْهَجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا ، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ؟ » وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنِي مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنِي مِنْهُ وَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . ثُمَّ وُلِّينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا

حَالِي فِيهَا ؟ فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةً وَلَا نَارًا ، فَإِذَا دَفَعْتُمُونِي ، فَسُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا ، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنَحَّرُ جَزْوَرًا ، وَيَقْسَمُ لِحْمُهَا ، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ ، وَأَنْظُرَ مَا أَرَا جُعُّ بِهِ رَسُلَ رَبِّي . رواه مسلم .

قوله : « سُنُّوا » رُوِيَ بالشين المعجمة وبالمهملة ، أي : صبَّوه قليلاً قليلاً . والله سبحانه أعلم .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

وقال عطاء عن ابن عباس : آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وطلحة ، والزبير ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، فسأله فأخبرهم بإيانه فأمنوا ، فنزلت فيهم : فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (تفسير البغوي ١١٣/٧)

عن جابر بن عبد الله قال : لما نزلت : لها سبعة أبواب الآية ، أتى رجل من الأنصار النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، إن لي سبعة مماليك وإني أعتقت لكل باب منها مملوكا ، فنزلت هذه الآية .

فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . (تفسير الدر المنثور ١٢/٦٤٢)

عن جابر بن عبد الله قال : إذا دخل أهل الجنة الجنة ، قال الله سبحانه : أعطيتكم أفضل من هذا؟ فيقولون : ربنا ، أي شيء أفضل من هذا؟ قال : رضواني . (تفسير الطبري ١٤/١٧٤)

عن السدي : وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . في الدنيا . (تفسير الطبري ٢١/٤٦٧)

عن قتادة : فبشرناه بسلام حليم . بشر بإسحاق قال : لم يثن بالحلم على أحد غير إسحاق وإبراهيم . (تفسير الطبري ٢١/٧٣)

عن القاسم في قوله : فبشرناه بسلام حليم قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل وكان ذلك بمنى ، وقال كعب : هو إسحاق وكان ذلك ببيت المقدس . (تفسير الدر المنثور ١٢/٤٢٨)

عن عثمان بن محسن في ضيف إبراهيم قال كانوا أربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل ورفائيل .

(تفسير الدر المنثور)

عن مجاهد : وامراته قائمة . قال : في خدمة أضياف إبراهيم عليه السلام عن قتادة قال : لما أوجس إبراهيم خيفة في نفسه حدثه عند ذلك بما جاءوا فيه فضحكت امرأته تعجبا مما فيه قوم لوط من الغفلة

ومما أتاهم من العذاب عن ابن عباس . فضحكت . قال : فحاضت وهي بنت ثمان وتسعين سنة . عن الضحاك قال : كان اسم سارة يسارة فلما قال لها جبريل عليه السلام : يا سارة ، قالت : إن اسمي يسارة فكيف تسميني سارة قال الضحاك : يسارة العاقر التي لا تلد وسارة الطالق الرحم التي تلد ، فقال لها جبريل عليه السلام : كنت يسارة لا تحملين فصرت سارة تحملين الولد وترضعينه ، فقالت سارة : يا جبريل نقصت اسمي قال جبريل : إن الله قد وعدك بأن يجعل هذا الحرف في اسم ولد من ولدك في آخر الزمان وذلك أن اسمه عند الله حيى فسماه يحيى . فقال ابن عباس : فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب . قال : ولد الولد . (تفسير الدر المنثور ٨ / ١٠٠ - ١٠٢)

عن قتادة قوله : أن الله يبشرك بيحيى قال : عبد أحياء الله بالإيمان . عن الربيع قوله : أن الله يبشرك بيحيى قال : سمي الله يحيى . (تفسير ابن أبي حاتم ٢ / ٦٤٢)

عن ابن عباس في قوله : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه . قال : عيسى هو الكلمة من الله . (تفسير الطبرى ٦ / ٤١٢)

عن قتادة في قوله : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك . قال : شافهتها الملائكة بذلك . (تفسير الدر المنثور ٣ / ٥٤٥)

عن ابن عباس قال : لما وهب الله لذكريا يحيى وبلغ ثلاث سنين ، بشر الله مريم بعيسى ، فبينما هي في المحراب إذ قالت الملائكة ، وهو جبريل وحده : يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك من الفاحشة ، واصطفاك يعني : واختارك ، على نساء العالمين ؛ عالم أمتهما ، يا مريم اقتني لربك . يعني : صلي لربك . يقول : اركدي لربك في الصلاة بطول القيام ، فكانت تقوم حتى ورمت قدمها ، واسجدي واركعي مع الراكعين . يعني : مع المصلين مع قراء بيت المقدس . يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك . يعني : بالخبر الغيب في قصة زكريا ويحيى ومريم ، وما كنت لديهم . يعني : عندهم ، إذ يلقون أقلامهم : في كفالة مريم . ثم قال : يا محمد يخبر بقصة عيسى : إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا . يعني : مكينا عند الله في الدنيا ، من المقربين في الآخرة ، ويكلم الناس في المهدي . يعني : في الخرق وكهلا . ويكلمهم كهلا إذا اجتمع قبل أن يرفع إلى السماء ومن الصالحين . يعني : من المرسلين . (تفسير الدر المنثور ٣ / ٥٤٥)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن مسلم بن يسار قال : كان أحدهم إذا برئ ، قيل : ليهنك الطهر . (حليه الأولياء ٢ / ٢٩٤)
روى أن ابن عمر : كان يقول للحاج إذا قدم تقبل الله نسكك وأعظم أجرك وأخلف نفقتك .
(مصنف بن أبي شيبة ١٥٨١٤)

قال أبي نضرة : كان أصحاب النبي إذا رأوا على أحدهم الثوب الجديد قالوا : تَبلي ويُخلف الله عليك . (مصنف ابن أبي شيبة ٦٠ / ٦)

وسئل مالك رحمه الله : أيكره للرجل أن يقول لأخيه إذا انصرف من العيد : تقبل الله منا ومنك ، وغفر الله لنا ولك ويرد عليه أخوه مثل ذلك ؟ قال : لا يكره . (المنتقى ١ / ٣٢٢)

قال علي بن ثابت سألت مالكا عن قول الناس في العيد تقبل الله منا ومنك فقال : مازال الأمر عندنا كذلك . (الحاوي ١ / ٨٢)

قال الإمام أحمد قوله : ولا بأس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد : تقبل الله منا ومنك . وقال حرب : سئل أحمد عن قول الناس : تقبل الله منا ومنكم ؟ قال : لا بأس يرويه أهل الشام عن أبي أمامة قيل : ووائله ابن الأسقع ؟ قال : نعم قيل : فلا تكره أن يقال هذا يوم العيد ؟ قال : لا . (المغني ٣ / ٢٩٤)
قال أبو داود سمعت أحمد سئل عن قوم قيل لهم يوم العيد تقبل الله منا ومنكم قال أرجو أن لا يكون به بأس . (سؤالات أبي داود ٦١)

سئل سفيان بن عيينة عن البشارة تكون في المكروه ؟ فقال : ألم تسمع قوله : (بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) . (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية - للشوكاني ٢ / ٤٨٤)

روى أن أيوب السخيتاني كان إذا هنا رجلا بمولود قال : جعله الله تعالى مباركا عليك وعلى أمة محمد . (حليه الأولياء ٨ / ٣)

وقال الإمام مالك بن أنس : عن هذه التهنئة لم يزل يُعرف هذا بالمدينة . (المغني ٢ / ٢٥٩)
قال ابن القيم : استحباب تهنئة من تجددت له نعمة دينية ، والقيام إليه إذا أقبل ومصافحته ، فهذه سنة مستحبة ، وهو جائز لمن تجددت له نعمة دنيوية ، وأن الأولى أن يقال : يهنك بما أعطاك الله ، وما من الله به عليك ، ونحو هذا الكلام ، فإن فيه تولية النعمة ربها ، والدعاء لمن نالها بالتهني بها . ولا ريب أن بلوغ شهر رمضان وإدراكه نعمة دينية ، فهي أولى وأحرى بأن يُهنأ المسلم على بلوغها ، كيف وقد أثر عن

السلف أنهم كانوا يسألون الله عز وجل ستة أشهر أن يبلغهم رمضان وفي الستة الأخرى يسألونه القبول؟ ونحن نرى العشرات، ونسمع عن أضعافهم ممن يموتون قبل بلوغهم الشهر. (زاد المعاد ٣/ ٥٨٥)

قال ابن القيم: استحباب للمسلم أن يبادر إلى مسرة أخيه وإعلامه بما يفرحه. (تحفه المودود ٤٥)

الآثار العملية من حياة السلف:

وقال ابن عباس: أنا أول من أتى عمر حين طعن، فقال: احفظ عني ثلاثاً، فإني أخاف أن لا يدركني الناس، أما أنا فلم أقض في الكلاله قضاء، ولم أستخلف على الناس خليفة، وكل مملوك له عتيق، فقال له الناس: استخلف، فقال: أي ذلك أفعل فقد فعله من هو خير مني: إن أدع إلى الناس أمرهم فقد تركه نبي الله صلى الله عليه وسلم وإن أستخلف فقد استخلف من هو خير مني، أبو بكر، فقلت له: أبشر بالجنة، صاحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطلت صحبته، ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة، فقال: أما تبشرك إياي بالجنة فوالله لو أن لي، قال عفان: فلا والله الذي لا إله إلا هو لو أن لي الدنيا بما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك في أمر المؤمنين فوالله لو ددت أن ذلك كفافاً لا لي ولا علي وأما ما ذكرت من صحبة نبي الله صلى الله عليه وسلم فذلك.

(أخرجه أحمد في المسند ١/ ٤٠٨)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه: يا عبدالله بن عمر، اذهب إلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقل: يقرأ عمر بن الخطاب عليك السلام، ثم سلها، أن أدفن مع صاحبي، قالت: كنت أريده لنفسي فلا وثرنه اليوم على نفسي، فلما أقبل، قال له: ما لديك؟ قال: أذنت لك يا أمير المؤمنين، قال: ما كان شيء أهم إلي من ذلك المضجع، فإذا قبضت فاحملوني، ثم سلموا، ثم قل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي، فادفوني، وإلا فردوني إلى مقابر المسلمين، إني لا أعلم أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء نفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فمن استخلفوا بعدي فهو الخليفة فاسمعوا له وأطيعوا، فسمى عثمان، وعلياً، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وولج عليه شاب من الأنصار، فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله، كان لك من القدم في الإسلام ما قد علمت، ثم استخلفت فعدلت، ثم الشهادة بعد هذا كله، فقال: ليتني يا ابن أخي، وذلك كفافاً لا لي ولا لي، أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين خيراً، أن يعرف لهم حقهم، وأن يحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيراً الذين تبوءوا الدار والإيمان أن يقبل من محسنهم،

ويعنى عن مسيئهم، وأوصيه بذمة الله، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم. (تاريخ دمشق ٤٤٨/٤٤ - البخارى ١٠٣/٢ - ١٠٤ رقم ١٣٩٢)

روى أن رجلا من كان يجالس الحسن وُلِد له ابن فهنأه رجل فقال : يهنيك الفارس فقال الحسن: وما يهنيك الفارس ؟ لعله أن يكون بقارا أو حمارا ولكن قل : شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب وبلغ أشده ورزقت بره. (الكامل لابن عدى ١٠١ / ٧)

لما ولد جعفر بن المأمون المعروف بابن بخة دخل المهتتون على المأمون، فهنوه بصنوف من التهاني، وكان فيمن دخل العباس بن الأحنف، فمثل قائماً بين يديه، ثم أنشأ يقول: مد لك الله الحياة مدا حتى يريك ابنك هذا جدا ثم يفدى مثل ما تفدى كأنه أنت إذا تبدا أشبه منك قامة وقدا مؤزرا بمجده مردى فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم. (تاريخ بغداد ١٠٩ / ١٨٩)

٩٦- باب وداع الصاهب ووصيته عند فراقه لسفر وفيره والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : ۞ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [البقرة : ١٣٢-١٣٣]

وأما الأحاديث:

٧١٢- فمنها حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه الذي سبق في باب إكرام أهل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فينا خطيباً ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : أَمَا بَعْدُ ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبُ ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ : أَوَّلُهُمَا : كِتَابُ اللهِ ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ «

فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : « وَأَهْلُ بَيْتِي ، أَذْكُرُّكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي » رواه مسلم .
وَقَدْ سَبَقَ بِطُولِهِ .

٧١٣- وعن أبي سُلَيْمَانَ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مَتَقَارِبُونَ ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عَشْرِينَ لَيْلَةً ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَفِيقًا ، فَظَنَّ أَنَا قَدْ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا . فَسَأَلْنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا ، فَأَخْبَرَنَا ، فَقَالَ : « ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم ومروهم ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا كذا في حين كذا ، فإذا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فليؤذُنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ ، وليؤمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ » متفق عليه . زاد البخاري في رواية له : « وصلوا كما رأيتموني أصلي » . قوله : « رَحِيمًا رَفِيقًا » روي بفاء وقاف ، وروي بفاين .

٧١٤- وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعُمْرَةِ ، فَأَذِنَ ، وَقَالَ : « لَا تَنْسَنَا يَا أَحْيَى مِنْ دُعَائِكَ » فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنْ لِي بِهَا الدُّنْيَا .
وفي رواية قال : « أَشْرِكْنَا يَا أَحْيَى فِي دُعَائِكَ » رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٧١٥- وعن سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول للرجل إذا أراد سفراً : اذُنْ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُودِّعُنَا فَيَقُولُ : أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكَ ، وَأَمَانَتَكَ ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ ، رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

٧١٦- وعن عبد الله بن يزيد الخطمي الصحابي رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُودِّعَ الْجَيْشَ قَالَ : « أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ دِينَكُمْ ، وَأَمَانَتَكُمْ ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ » .
حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح .

٧١٧- وعن أنس رضي الله عنه قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أُرِيدُ سَفْرًا ، فَزَوِّدْنِي ، فَقَالَ : « زَوِّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى » .

قال : زِدْنِي ، قال : « وَغَفَرَ ذَنْبَكَ » قال : زِدْنِي ، قال : « وَيَسِّرْ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس: ووصى بها إبراهيم بنيه وصاهم بالإسلام ووصى يعقوب بمثل ذلك. (الدر المنثور ١/ ٧٢٠)
قال الكلبي ومقاتل : يعني بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله. قال ابن عباس : أي وصى إبراهيم بنيه الثانية إسماعيل وأمه هاجر القبطية ، وإسحاق وأمه سارة ، وستة أمهم قنطورة بنت يقطن الكنعانية تزوجها إبراهيم بعد وفاة سارة ويعقوب ، سمي بذلك لأنه والعيص كانا توأمين فتقدم عيص في الخروج من بطن أمه وخرج يعقوب على أثره آخذاً بعقبه. (تفسير البغوي ١/ ١٥٤)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه: سُمِّيَ السفر سفراً لأنه يُسفر عن وجوه المسافرين وأخلاقهم فيظهر ما كان خافياً منها. (خلاصة البدر المنير ٢/ ٤٣٦)

قال مطرف بن عبدالله بن الشخير : لابنه: الحسنَةُ بين السيئتين وخيرُ الأمور أوسطها وشَرُّ السيرِ الحقيقه. (أى السير بسرعة فائقة). (العقد الفريد لابن عبدربه ١/ ٢٠٩)

جاء رجلٌ إلى هشامٍ أخي ذي الرُّمَّة، فقال له: إني أريدُ السَّفْرَ فأوصني، قال صلِّ الصلاةَ لوقتها، فإنك مصليها لا محالة، فصلِّها وهي تنفَعُك، وإياك أن تكون كلبَ رفقتك فإن لكلِّ رفقةٍ كلباً ينبح دونهم، فإن كان خيراً شركوه فيه، وإن كان عاراً تقلِّده دونهم. (الزهد لابن حنبل ١/ ٣٦٨)

قال ابن علان : وهذا لما ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً أتى أصحابه فسلم عليهم وإذا قدم من سفر أتوا إليه فسلموا عليه قال : وإنما كان هو المودع لأنه المفارق والتوديع منه والقادم يؤتى إليه ليهنأ بالسلامة. (شرح الأذكار ٥ / ١١٢ - ١١٣)

قال ابن الهمام : يودع المسافر أهله وإخوانه ويستحلهم ويطلب دعاءهم ويأتي إليهم لذلك وهم يأتون إليه إذا قدم. (فتح القدير ٢/ ٣١٩)

قال ابن عبد البر: إذا خرج أحدكم إلى سفر فليودع أخوانه فإن الله جاعل في دعائهم بركة.

(الآداب الشرعية ١/ ٤٥٠)

قال صدقة بن محمد: يقال إن السفر ميزان القوم . (الجامع لأخلاق الراوي ١٧٣٠)

عن بشر أنه قال لجلسائه: سيحوا فإن الماء إذا ساح طاب، وإذا وقف تغير واصفر. (تاريخ بغداد ٢٠٤/١٤)

قال الشاعر: يا عينُ في ساعةِ التوديعِ يشغلكِ البكاءُ عن لذةِ التوديعِ والنظرِ!؟

خُذِي بِحِظِّكَ مِنْهُمْ قَبْلَ بَيْنِهِمْ
فَفِي غَدٍ تَفَرَّغِي لِلدَّمْعِ وَالسَّهْرِ!

قال البحترى :

الله جارك في انطلاقتك تلقاء شامك أو عراقك

لا تعذلني في مسيري يوم سرت ولم ألاقك

إني خشيت مواقفًا للبين تسفح غرب ماك

وعلمت أن بكاءنا حسب اشتياقي واشتياقك

فتركت ذلك تعمّدًا وخرجت أهرب من فراقك

الآثار العملية في حياة السلف :

قال بعضهم صحبت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من مكة إلى المدينة حرسها الله فلما أردت أن افارقه

شيئا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول قال لقمان إن الله تعالى إذا أستودع شيئا

حفظه وإني أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك. (احياء علوم الدين ٢/ ٢٥٣)

وقال موسى بن وردان أتيت أبا هريرة رضي الله عنه أودعه لسفر أردته فقال ألا أعلمك يا ابن أخي

شيئا علمنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الوداع فقلت بلى قال قل أستودعك الله الذي لا تضيع

ودائعك. (إحياء علوم الدين ٢/ ٢٥٣)

٩٧- باب الإستشارة والمشاورة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ۞ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۞ [آل عمران : ١٥٩] ، وقال اللهُ تَعَالَى : ۞ وَأْمُرْهُمْ شُورَى

بَيْنَهُمْ ۞ [الشورى : ٣٨] أَي : يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ .

٧١٨- عن جابر رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَلِّمُنَا الْاِسْتِخَارَةَ فِي

الْأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ الْقُرْآنِ ، يَقُولُ إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ ، فَلْيَرْكَعْ رَكَعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ

ثُمَّ لِيَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ ،

فإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ . اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي « أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي ، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي « أَوْ قَالَ : « عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي ، وَاصْرِفْني عَنْهُ ، وَاقْدُرْ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ، ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ « قال : ويسمِّي حاجته . رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن الحسن في قوله : وشاورهم في الأمر قال : قد علم الله أنه ما به إليهم من حاجة، ولكن أراد أن يستن به من بعده . عن قتادة في قوله : وشاورهم في الأمر قال : أمر الله نبيه أن يشاور أصحابه في الأمور وهو يأتيه وحى السماء؛ لأنه أطيب لأنفس القوم، وإن القوم إذا شاور بعضهم بعضاً وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على رشده . عن الضحاك قال : ما أمر الله نبيه بالمشاورة إلا لما علم ما فيها من الفضل والبركة . عن الضحاك قال : ما أمر الله نبيه بالمشاورة إلا لما علم ما فيها من الفضل والبركة . عن ابن عباس قال : لما نزلت : وشاورهم في الأمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي، فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غياً. (الدر المنثور ٤/٨٨)

وأمرهم شورى بينهم فيه أربع أوجه: أحدها: أنهم كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى به، قاله النقاش .

الثاني: يعني أنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا على اتفاق كلمتهم .

قال الحسن : ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمورهم .

الثالث: هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم وورود النقباء إليهم حتى اجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصرة له ، قاله الضحاك .

الرابع: أنهم يتشاورون فيما يعرض لهم فلا يستأثر بعضهم بخير دون بعض. (تفسير الماوردي ٥/٢٠٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال داود عليه السلام: يا رب أي عبادك أبغض إليك؟ قال: عبد استخارني في أمر فخرت له فلم يرض .

(تفسير الدر المنثور للسيوطي ١٢/٥٨٨)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور، فيسدّها برأيه، ورجل يشاور فيها أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأى، ورجل حائر بائرا لا يأتمر رشدا، ولا يطيع مرشدا.

(ادب الدنيا والدين ٢٦٠)

وقال ايضا: لا خير في أمر أبرم من غير شورى. وقال شاور في أمرك من يخاف الله.

(عمر بن الخطاب للصلاحي ص ٩٠)

وقد استشار ابنته حفصة في المدة التي ينبغي أن تحدد لابتعاد الرجل عن زوجه في المهام الجهادية ونحوها وقد عين الشفاء من بني عدي مستشارة له. وعن يوسف بن الماجشون قال: قال لي ابن شهاب، ولأخ لي، ولابن عم لي، ونحن صبيان: لا تستحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم. فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعياه الأمر المعضل دعا الأحداث، أي الشباب، فاستشارهم لحدة عقولهم، وكان يشاور النساء. (ابن الجوزي تاريخ عمر بن الخطاب ص ١٠١)

قال عمر رضي الله عنه: صاحب الحاجة أبله لا يرشد إلى الصواب فلقنوا أخاكم وسدّدوا صاحبكم.

(محاضرات الأدباء ١ / ٤٥)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: المشورة عين الهداية. (بدائع السلك ١ / ٣١٠)

وقال ايضا: نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستعداد. (أدب الدنيا والدين ٢٦٠)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يزال الرجل يزداد في صحّة رأيه ما نصح لمستشيريه، فإذا غشّه سلبه الله نصحه ورأيه. (الذريعة إلى مكارم الشريعة للاصفهانى ٢١١)

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالمدينة رجل يلحد وآخر يضرح فقالوا نستخير ربنا ونبعث إليهما فأيهما سبق تركناه فأرسل إليهما فسبق صاحب اللحد فلحدوا للنبي صلى الله عليه وسلم. (البخاري الفتح ١١ - ٦٣٨٢)

قال عمر بن عبد العزيز: إنّ المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة، لا يضلّ معها رأي، ولا يفقد معها حزم. (أدب الدنيا والدين ٢٦٠)

عن الحسن البصريّ والضّحّاك قالا: ما أمر الله تعالى نبيّه بالمشاورة لحاجة منه إلى رأيهم وإنّما أراد أن يعلمهم ما في المشاورة من الفضل ولتقتدي به أمته من بعده وفي قراءة ابن عبّاس:

- (وشاورهم في بعض الأمر). (تفسير القرطبي ٢ / ١٥٩-١٦١)
- قال الحسن رحمه الله: والله ما استشار قوم قط إلا هدوا لأفضل ما بحضرتهم، ثم تلا (وَأْمُرْهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ). (فضل الله الصمد في شرح الأدب المفرد ٢٥٨)
- قال ابن عيينة: نظر بعض الملوك الى العذرى المناسب، في عباءة، فازدارة، فقال له: إن العبءة لا تكلمك، وانما يكلمك من فيها. (المجالسه وجواهر العلم ٢ / ٢٤٠)
- قال الأصمعي: لا تشاور صاحب حاجة يريد قضاءها ولا جائعا ولا حاقنا ولا حازقا ولا حاقبا. (المجالسه وجواهر العلم للدينورى ٢ / ٤١٤)
- قال ابن العربي: الشورى ألفة للجماعة ومسبار للعقول وسبب إلى الصواب وما تشاور قوم إلا هدوا. (تفسير القرطبي ١٦ / ٢٥)
- وقال قتادة: ما تشاور قوم بيتغون وجه الله إلا هدوا إلى أرشد أمرهم. (الوابل الصيب ٢٤٧)
- قال أكرم: أول الخزم المشورة. (أنساب الأشراف ٤ / ٢٢١)
- قال الجاحظ: المشورة لقاح العقول. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ / ٩٣)
- قال ابن المعتز: المشورة راحة لك وتعب لغيرك. (التمثيل والمحاضرة للثعالبي ١ / ٨٦)
- قال ابن قتيبة: قرأت في كتاب الهند: من التمس من الإخوان الرخصة عند المشورة ومن الأطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة أخطأ الرأي وازداد مرضا وحمل الوزر. (المجالسه وجواهر العلم ٢ / ٢١٤)
- كتب الحجاج إلى المهلب يستعجله في حرب الأزارقة، فكتب إليه: إن من البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره. (المجالسه وجواهر العلم ٢ / ٤١٣)
- قال الشافعي: إنما يؤمر الحاكم بالمشورة لكون المشير ينبهه على ما يغفل عنه، ويدلّه على ما لا يستحضره من الدليل لا ليقلد المشير فيما يقوله، فإن الله لم يجعل هذا لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. (فتح الباري: ١٣ / ٣٥٤)
- قال أبو الحسن المارودي الشافعي: ومن الخزم لكل ذي لب أن لا يبرم أمراً ولا يمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح؛ فإن الله أمر بالمشورة نبيه فقال (وشاورهم في الامر) مع ما تكفل به من إرشاده وعونه وتأبيده. (المدخل لابن الحاج ٤ / ٤١)

قال القرطبي: والشورى مبنية على اختلاف الآراء والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها قولاً إلى الكتاب والسنة إن أمكنه فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه إذ هذه غاية الاجتهاد المطلوب. (تفسير القرطبي ٢ / ١٦٢)

وقال: وصفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلاً مجرباً واداً في المستشار. (تفسير القرطبي ٢ / ١٥٩)
قال ابن الحاج المالكي رحمه الله تعالى: والجمع بين الإستخارة والإستشارة من كمال الإمثال للسنة، فينبغي للمكلف أن لا يقتصر على احدهما. (المدخل لابن الحاج ٤ / ٤٠)

قال قيس لابنه: لا تشاورن مشغولاً، وإن كان حازماً، ولا جائعاً، وإن كان فهيماً، ولا مذعوراً، وإن كان ناصحاً، ولا مهموماً وإن كان فطنا. فاهمّ يعقل العقل (أى يقيد العقل) ولا يتوَلَّد منه رأي ولا تصدق منه رواية. وقيل: لا تدخل في مشورتك بخيلاً فيقتصر بفعلك، ولا جباناً فيخوفك ولا حريصاً فيعدك ما لا يرتجي، فالجبن والبخل والحرص طبيعة واحدة يجمعها سوء الظن. وقيل: لا تشاور من ليس في بيته دقيق. وكان كسرى إذا أراد أن يستشير إنساناً بعث إليه بنفقة سنة ثم يستشيره. وقيل لا تشيرن على معجب ولا متلون، وخف الله من موافقة هوى المستشار. (محاضرات الأدباء ١ / ٤٥)

قال ابن الحاج المالكي: فإذا عزم على المشورة ارتاد لها من أهلها من استكملت فيه خمس خصال: الخصلة الأولى: عقل كامل مع تجربة سابقة، فإن بكثرة التجارب تصح الروية، وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد: احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل إن كان عدواً، فإنه يوشك أن يورطك بمشورته فيسبق إليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وكان يقال: إياك ومشاورة رجلين: شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غرة، وكبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه، وقيل في منثور الحكم: كل شيء محتاج إلى العقل، والعقل محتاج إلى التجارب. وقال الشاعر: ألم تر أن العقل زين لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب.

الخصلة الثانية: أن يكون ذا دين وتقى فإن ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة.

الخصلة الثالثة: أن يكون ناصحاً ودوداً فإن النصيح والمودة يصدقان الفكرة ويمحصان الرأي.

وقال بعض الحكماء: لا تشاور إلا الحازم غير الحسود، واللييب غير الحقود.

الخصلة الرابعة: أن يكون سليم الفكر من هم قاطع وغم شاغل. فإن من عارضت فكرته شوائب الهموم لم يسلم له رأي ولم يستقم له خاطر.

الخصلة الخامسة: أن لا يكون له في الأمر المستشار فيه غرض يتابعه ولا هوى يساعده، فإن الأغراض جاذبة، والهوى صاد، والرأي إذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد. (المدخل لابن الحاج ٤/٤٢-٤٣) يقول ابن تيمية رحمه الله: ما ندم من استخار الخالق وشاور المخلوقين وثبت في أمره وقد قال سبحانه وتعالى (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله). (الوابل الصيب ٢٤٧)

قال ابن القيم رحمه الله: فعوض رسول الله أمته بهذا الدعاء عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب. والمقصود أن الاستخارة توكل على الله وتفويض إليه واستقسام بقدرته وعلمه وحسن اختياره لعبده وهي من لوازم الرضا به رباً الذي لا يذوق طعم الإيثار من لم يكن كذلك وإن رضي بالمقدور بعدها فذلك علامة سعادته. (زاد المعاد ٢/٤٤٣ - ٤٤٥)

قال النووي: يستحب أن يستشير قبل الاستخارة من يعلم من حاله النصيحة والشفقة والخبرة، ويثق بدينه ومعرفته وإذا استشار وظهر أنه مصلحة، استخار الله في ذلك. (الموسوع الكويتية ٣/٢٤٣) وقال يحيى: لا تشيرن على عدوك وصديقك إلا بالنصيحة، فالصديق يقضي بذلك حقه، والعدو يهابك إذا رأى صواب رأيك. (محاضرات الادباء ٧/١)

قال بشار بن برد: (أدب الدنيا والدين ٢٦٣)

إذا بلغ الرّأي المشورة فاستعن برأي نصيح أو نصيحة حازم

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافي قوة للقوادم

الآثار العملية في حياة المسلم:

عن ميمون بن مهران، قال: كان أبو بكر الصديق إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضى بينهم، وإن علمه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى به، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم.

(فتح الباري لابن حجر ١٣ / ٣٥٤)

استخارت زينب بنت جحش لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها. قال النووي: فيه استحباب صلاة الاستخارة لمن هم بأمر سواء كان الأمر ظاهر الخير أم لا قال: ولعلها استخارت لخوفها من تقصيرها في حقه صلى الله عليه وسلم. (الأداب الشرعية ٢/ ٢٢٩)

عن عطاء : قال : لما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزاها أهل الشام فكان من أمره ما كان ، تركه ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم يريد أن يجربهم أو يجربهم على أهل الشام ، فلما صدر الناس قال : يا أيها الناس ، أشيروا عليّ في الكعبة أنقضها ثم أبني بناءها ، أو أصلح ما وهي منها ؟ قال ابن عباس : فإني قد فرق لي رأي فيها : أرى أن تصلح ما وهي منها و تدع بيتا أسلم الناس عليه و أحجارا أسلم الناس عليها و بُعث عليها النبي . فقال ابن الزبير : لو كان أحدكم احترق بيته ما رضي حتى يجدده ، فكيف بيت ربكم ؟! إني مستخير ربي ثلاثا ثم عازم على أمري ، فلما مضى الثلاث أجمع رأيته على أن ينقضها ، فتحاماه الناس ، أن ينزل بأول الناس يصعد فيه أمر من السماء ! حتى صعده رجل فالتقى منه حجارة ، فلما لم يره الناس أصابه شيء ، تتابعوا فنقضوه حتى بلغوا به الأرض ، فجعل ابن الزبير أعمدة فستر عليها الستور حتى ارتفع بناؤه . (اخرجه مسلم ١٣٣٣)

لما أصاب زياداً الطاعون في يده أحضر له الأطباء، فدعا شريحاً فقال له: لا صبر لي من شدته فلقد رأيت أن أقطعها، فقال شريح: أتستشيرني في ذلك؟ فقال: نعم؛ قال: لا تقطعها، فالرزق مقسوم والأجل معلوم، وأنا أكره أن تقدم على ربك مقطوع اليد، فإذا قال: لم قطعته قلت: بغضاً للقائك وفراراً من قضائك. فمات زياد من يومه، فقال الناس لشريح: لم نهيته عن قطعها؟ فقال: استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة لوددت أن أقطع يده يوماً ورجله يوماً. (التذكرة الحمدونية ٣/ ١٨٢)

شاور المنصور سلم بن قتيبة في قتل أبي مسلم صاحب الدولة فقال: لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا، فقال: عيشك. واستشار فيه آخر فقال: ولن يجمع السيفان ويحك في غمد. واستشار معاوية الأحنف في بيعة يزيد فقال الأحنف: أنت أعلم بليله ونهاره وسره وإجهاره، فإن كنت تعلمه له أيضاً وللأمة صلاحاً فلا تشاور فيه أحداً، وإن كنت تعلم غير ذلك فلا تزوده الدنيا وأنت صائر إلى الآخرة، وإنما علينا أن نقول، سمعنا وأطعنا. (محاضرات الأدباء ٨/ ١)

استشار عبد الله بن علي عبد الله بن المقفع فيما كان بينه وبين المنصور فقال: لست أقود جيشاً، ولا أتقلد حرباً، ولا أشير بسفك دم، وعثرة الحرب لا تستقال، وغيري أولى بالمشورة في هذا المكان. واستشار زياد رجلاً فقال: حق المستشار أن يكون ذا عقل وافر واختبار متظاهر، ولا أراني هناك. واجتمع رؤساء بني سعد إلى أكثم بن صيفي يستشيرونه فيما دهمهم من يوم الكلاب فقال: إن وهن الكبر قد فشا في بدني وليس معي الذهن ما ابتدء به الرأي، ولكن اجتمعوا وقولوا فإني إذا مر بي الصواب عرفته.

(محاضرات الادباء ١/٨)

٩٨- باب استنباب الذهاب إلى صلاة العيد والرجوع من طريق آخر

٧١٩- عن جابر رضي الله عنه قال: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري. قوله: « خَالَفَ الطَّرِيقَ » يعني: ذَهَبَ فِي طَرِيقٍ وَرَجَعَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ .

٧٢٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعْرَسِ ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَةِ الْعُلْيَا وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَةِ السُّفْلَى متفقاً عليه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبو بكر الصديق: حق على كل ذات نطاق الخروج إلى العيدين. (مصنف بن أبي شيبة ١٨٢/٢)

عن علي رضي الله عنه أنه سُئِلَ عن الغسل فقال: يوم الجمعة ويوم عرفه ويوم الفطر ويوم الأضحى. (السنن الكبرى للبيهقي ٣/٢٧٨ برقم ٦٣٤٣)

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: من السنة أن تأتي العيد ماشياً ثم تركب إذا رجعت .

(تحفه الأحوذى رقم ٥٣٠ ص ٥٨)

وروى أن ابن عمر كان إذا غدا يوم الفطر ويوم الأضحى يجهت بالتكبير حتى يأتي المصلى ثم يكبر حتى يخرج الإمام. (ارواء الغليل ٢/١٢١)

كان ابن مسعود يكبر ويقول: الله أكبر كبيراً الله أكبر كبيراً الله أكبر وأجل الله أكبر والله الحمد.

(مصنف بن أبي شيبة ١٦٧/٢)

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: أمرنا أن نخرج، فنُخرج الحِيض والعواتق وذوات الخدور - أي المرأة التي لم تتزوج - فأما الحِيض فيشهدن جماعة المسلمين ودعوتهم، ويعتزلن مصلاهم. (البخاري ٩٧١- ومسلم ٨٩٠)

محمد من زياد قال: كنت مع أبي أمامة الباهلي وغيره من أصحاب النبي، فكانوا إذا رجعوا يقول بعضهم لبعض: تقبل الله منا ومنك. (الجواهر النقي ٣/ ٣٢٠)

قال جبير بن نفير: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض تقبل الله منا ومنك. (فتح الباري ٢/ ٤٤٦)

قال أبي عبد الرحمن السلمي: (كانوا في الفطر أشد منهم في الأضحى) قال وكيع يعني التكبير. (إرواء الغليل ٣/ ١٢٢)

قال الحسن البصري: كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد. (لطائف المعارف ٢٧٨)

رجع حسان بن أبي سنان من عيده فقالت امرأته: كم من امرأة حسناء قد رأيت؟ فقال: ما نظرت إلا في إبهامي منذ خرجت إلى أن رجعت!. (التبصرة لابن الجوزي ١٠٦)

قال وكيع: خرجنا مع سفیان الثوري في يوم عيد فقال إن أول ما نبدأ به في يومنا غض أبصارنا. (الورع لابن ابى الدنيا ٦٣)

عن الزهري قال: كان الناس يكبرون في العيد حين يخرجون من منازلهم حتى يأتوا المصلى وحتى يخرج الإمام فإذا خرج الإمام سكتوا فإذا كبر كبروا. (ارواء الغليل ٢/ ١٢١)

قال سعيد بن المسيب: سُنّه الفطر ثلاث المشي إلى المصلى والأكل قبل الخروج والاعتسال. (رواه الفريابي ١٢٧ / ١ - ٢)

قال أبو منصور الشيرازي: ليس العيد لمن عُرف له إنما العيد لمن عُفِر له. (معجم السفر للسلفي ٣٠٢)

مرّ قوم براهب في دير فقالوا له: متى عيد أهل هذا الدير؟ قال: يوم يُعْفَر لأهله. (لطائف المعارف ١/ ٢٩٩)

قال ابن رجب: ليس العيد لمن لبس الجديد إنما العيد لمن طاعته تزيد ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب إنما العيد لمن غفرت له الذنوب في ليلة العيد تفرق خُلُق العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شيء فله عيد وإلا فهو مطرود بعيد. (لطائف المعارف ٢٧٧)

قال ابن الجوزي: ليس العيد ثوبًا يجر الخيلاء جره، ولا تناول مطعم بكف شره لا يؤمن شره، إنما العيد لبس توبة عاص تائب يسر بقدم قلب غائب. (التبصرة ٢/١٠٣)

قال أبو إسحاق الألبيري: (ديوان أبي إسحاق الألبيري ١/٦٧)

ما عيدك الفخم إلا يوم يغفر لك لا أن تجرّ به مستكبراً حللك
كم من جديد ثيابٍ دينه خلق تكاد تلعنه الأقطار حيث سلك
ومن مرقع الأظفار ذي ورع بكت عليه السما والأرض حين هلك

الآثار العملية في حياة السلف :

عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يغتسل يوم الفطر قبل أن يغدو إلى المصلى. (الموطأ ٢٨)
كان ابن عمر يُخرج من استطاع من أهله في العيدين. (مصنف بن أبي شيبة ٤ / ٢٣٢ برقم ٥٨٣٧)
روى أن ابن عمر أنه كان يلبس أحسن ثيابه في العيدين. (فتح الباري ٢ / ٥١)
رأى وهيب بن الورد قوماً يضحكون في يوم عيد فقال: إن كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان لم يتقبل منهم صيامهم فما هذا فعل الخائفين. (لطائف المعارف ٢٠٩)
قال عبيد الله بن أبي كثير: كان زاذان يخرج يوم العيد، يتخلل الطرق، ويبكي، ويذكر الله؛ حتى يأتي المصلى. (حليه الأولياء ٤ / ١٩٩)

٩٩- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم كالوضوء، والغسل، والتيمم وليس الثوب والنعل والخب والسراويل ودخول المسجد والسواك والاكتمال وتقليم الأظفار ونس الشارب وفتح الإبط وخلق الرأس والسلام من الصلاة والأكل والشرب والمصافحة واستلام الحجر الأسود والخروج من الغلاء والأخذ والعطاء وغير ذلك مما هو في معناه ويستحب تقديم اليسار في ضد ذلك كالأمتشاط والبصاق من اليسار ودخول الغلاء والخروج من المسجد وخلق الخب والنعل والسراويل والثوب والاستنجاة وفعل المستنذرات وأشباه ذلك

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَذَا مَا أقرَأُوا كِتَابِيهِ﴾ [الحاقة: ١٩] الآيات، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٨-٩].

- ٧٢١- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُ التَّيْمَنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ: فِي طُهُورِهِ، وَتَرْجُلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفق عليه.
- ٧٢٢- وعن عائشة قالت: كَانَتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الَيْمَنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ الَيْسْرَى لِجَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَدَى. حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.
- ٧٢٣- وعن أم عطية رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ هُنَّ فِي غَسْلِ ابْنَتِي زَيْنَبَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَبْدَأَنَّ بِمِيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا» متفق عليه.
- ٧٢٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيَمَنِ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشَّمَالِ. لِتَكُنِ الَيْمَنَى أَوْهَمًا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ» متفق عليه.
- ٧٢٥- وعن حفصة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لَطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.
- ٧٢٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدُؤُوا بِأَيْمَانِكُمْ» حديث صحيح. رواه أبو داود والتِّرْمِذِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

٧٢٧- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى مِنِّي : فَأَتَى الْجُمْرَةَ فَرَمَاهَا ، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمَنَى ، وَنَحَرَ ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ « خُذْ » وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

وفي رواية : لما رمى الجُمْرَةَ ، وَنَحَرَ نُسْكَهُ وَحَلَّقَ : نَاوَلَ الْحَلَّاقَ شِقَّهُ الْأَيْمَنَ فَحَلَّقَهُ ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشَّقَّ الْأَيْسَرَ فَقَالَ : « اِحْلِقْ » فَحَلَّقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ فَقَالَ : « اقْسِمُهُ بَيْنَ النَّاسِ » .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : إن الله يقف عبده يوم القيامة، فييدي سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له : أنت عملت هذا؟ فيقول : نعم، أي رب، فيقول له : إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك، فيقول عند ذلك : هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابه حين نجا من فضيحة يوم القيامة . (تفسير الدر المنثور ١٤ / ٦٧٦)

قال ابن زيد ، في قول الله : هاؤم اقرءوا كتابيه . قال : تعالوا . عن ابن عباس ، قوله : إني ظننت أني ملاق حسابه . يقول : أيقنت . عن مجاهد قال : كل ظن في القرآن . إني ظننت . يقول : أي علمت . (تفسير الطبري ٢٣ / ٥٨٥)

عن الحسن في قوله : وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون . إلى . ثلة من الأولين وثلة من الآخرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى بين أصحاب اليمين من الأمم السابقة ، وبين أصحاب اليمين من هذه الأمة ، وكان السابقون من الأمم أكثر من سابقي هذه الأمة عن قتادة قوله : فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة : أي ماذا لهم وماذا أعد لهم ؟ وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة : أي ماذا لهم وماذا أعد لهم ؟ والسابقون السابقون : أي من كل أمة . (تفسير الطبري ٢٣ / ٩٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قالت عائشة: كنا إذا أصاب إحدانا جنابة أخذت بيديها ثلاثاً فوق رأسها ثم تأخذ بيدها على شقها الأيمن ويدها على شقها الأيسر. (شرح البخاري ١ / ٢٦٠)

جاء عن ابن مسعود انه كان يصلي فوضع يده اليسرى على اليمنى ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ يده اليمنى وجعلها على اليسرى . (اعلام الموقعين ٢ / ٢٩٠)

قال نعيم بن عبد الله المجرم: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنى ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق ثم قال : هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ . (مسلم ٢٤٦) ورواه البخاري (١٣٦)

قال عبد خير: دخل عليّ الرحبة بعدما صلى الفجر قال فجلس في الرحبة ثم قال لغلام له اتتني بطهور قال فأتاه الغلام بإناء فيه ماء وطست قال ونحن جلوس ننظر إليه فأدخل يده اليمنى فملاً فمه فمضمض واستنشق ونثر بيده اليسرى فعل هذا ثلاث مرات ثم قال من سره أن ينظر إلى طهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا طهوره. (سنن الدارمي ١ / ٤٩)

التيامن في دخول المسجد

قال أنس ابن مالك رضي الله عنه : من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى . (أخرجه الحاكم ١ / ٢١٨)

التيامن في استلام الركنتين في الطواف:

عن نافع رحمه الله قال: رأيت بن عمر يستلم الحجر بيده ثم قبل يده وقال ما تركته منذ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله. (أخرجه مسلم ٢ / ٩٢٧ - رقم ١٢٨٦)

التيامن في النوم:

قال سهيل: كان أبو صالح يأمرنا، إذا أراد أحد أن ينام، أن يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول (اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنا الدين وأغننا عن الفقر). (شرح النووى على مسلم ٢٧١٣)

التيامن في المصافحه:

وعن ابن الاسود قال: أن من تمام التحية المصافحه. (مصنف ابن ابى شيبه ١٣/١٨٦)
 عن أبي داود قال لقيني البراء بن عازب فأخذ بيدي وصافحني وضحك في وجهي ثم قال: تدري لم
 أخذت بيدك؟ قلت: لا إلا إني ظننتك لم تفعله إلا لخير. فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم لقيني ففعل
 بي ذلك ثم قال: أتدري لم فعلت بك ذلك؟ قلت: لا. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن المسلمِينَ إذا
 التقيا وتصافحا وضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه لا يفعلان ذلك إلا لله لم يتفرقا حتى يغفر
 لهما. (الأدب الشرعي للسفاريني ١/٣٢٨)

قال الغزالي: ثم أحوجك من أعطاك اليدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ المصحف وبعضها خسيس
 كإزالة النجاسة فإذا أخذت المصحف باليسار وأزلت النجاسة باليمين فقد خصصت الشريف بما هو
 خسيس فغضضت من حقه وظلمته وعدلت عن العدل. (إحياء علوم الدين ٤/٩٣)
 قال الإمام النووي: قاعدة الشرع المستمرة ان كل ما كان من باب التكريم والتزيين استحباب فيه التيمن
 وما كان بضدها استحباب فيه التياسر. (شرح النووي على مسلم ٣/١٦٠)

كتاب أدب الطعام

١٠٠ - باب التسمية في أوله والحمد في آخره

٧٢٨- عن عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَمِّ
 اللَّهَ وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ بِمَا يَلِيكَ». متفقٌ عليه.

٧٢٩- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أكل أحدكم
 فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله، فليقل: بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَهُ وَآخِرَهُ». رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

٧٣٠- وعن جابر، رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله
 تعالى عند دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قال الشَّيْطَانُ لِأَصْحَابِهِ: لا مبيتَ لكم ولا عشاء، وإذا دخل، فلم
 يذكر الله تعالى عند دُخُولِهِ، قال الشَّيْطَانُ: أدرَكنم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طَعَامِهِ قال:
 أدرَكنم المبيت والعشاء» رواه مسلم.

٧٣١- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً،

لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَضَعُ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّهَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذَكَّرَ اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ. وَإِنَّهُ جَاءَ بِهَذِهِ الْجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدَهَا، فَجَاءَ بِهَذَا الْأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ يَدُهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا» ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم.

٧٣٢- وعن أمية بن مخشي الصحابي رضي الله عنه قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جالساً، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللَّهَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ أَوْلَهُ وَآخِرُهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ اللَّهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». رواه أبو داود، والنسائي.

٧٣٣- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَأَكُمُ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

٧٣٤- وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ وَلَا مُسْتَعْنِيٍّ عَنْهُ رَبَّنَا» رواه البخاري.

٧٣٥- وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةَ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قوله : بسم الله الرحمن الرحيم :أنني أعمله بأمره وله لا لي ولا أعمله باسمي مستقلا به على أنني فلان. فكأنني أقول : إن هذا العمل لله لا لحظ نفسي . وفيه وجه آخر وهو : أن القدرة التي أنشأت بها العمل

هي من الله تعالى ، فلولا ما منحني منها لم أعمل شيئاً ، فلم يصدر عني هذا العمل إلا باسم الله ولم يكن باسمي ، إذ لولا ما آتاني من القوة عليه لم أستطع أن آتية. (تفسير المنار ١/ ٣٦)

قوله. الرحمن الرحيم قال ابن عباس رضي الله عنهما: هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر. (تفسير البغوى ١/ ٥٣)

عن ابن عباس قال : الحمد لله كلمة الشكر، إذا قال العبد : الحمد لله . قال الله : شكرني عبدي. عن ابن عباس قال : قال عمر : قد علمنا سبحانه الله، ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي : كلمة رضيها الله لنفسه وأحب أن تقال. عن أنس : التوحيد ثمن الجنة، والحمد وفاء شكر كل نعمة قال جعفر بن محمد: فقد أبي بغلته فقال : لئن ردها الله علي لأحمدنه بمحامد يرضاها، فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها فركبها فلما استوى عليها رفع رأسه إلى السماء فقال : الحمد لله . لم يزد عليها فقبل له في ذلك، فقال: وهل تركت شيئاً أو : بقيت شيئاً؟ جعلت الحمد كله لله عز وجل. (تفسير الدر المنثور ١/ ٥٣ - ٥٦)

عن ابن أعبد قال : قال علي بن أبي طالب : يا ابن أعبد ما حق الطعام ؟ قلت : ما هو يا ابن أبي طالب ؟ قال : حق الطعام إذا وضع من بين يديك أن تقنع وتقول : بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا يا ابن أعبد هل تدري ما شكر الطعام ؟ قلت : ما هو ؟ قال : شكر الطعام أن تقول إذا أطمعت : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا . (شعب الإيمان للبيهقي ٦٠٤٠)

عن شهر بن حوشب قال: كان يقال: إذا جمع الطعام أربعاً كمل كل شئ من شأنه: إذا كان أصله حلالاً، وذكر اسم الله عليه، وكثرت عليه الأيدي، وحمد الله حين يفرغ منه فقد كمل كل شئ من شأنه. (حليه الأولياء ٢/ ٤٨٣)

قال أبي الزاهرية: ما من أحد يأكل طعاماً لا يحمد الله تعالى عليه إلا كأنها سرقة. (الحليه ٦/ ١٠٠)

قال ابن تيمية: إذا قال عند الأكل بسم الله الرحمن الرحيم كان حسناً فإنه أكمل. (الفتاوى الكبرى ٥/ ٤٨٠)

قال ابن القيم : وللتسمية في أول الطعام والشراب وحمد الله في آخره تأثير عجيب في نفعه واستمرائه ودفع ضرة. (زاد المعاد ٤/ ٢١٣)

وقال النووي رحمه الله: من أهم ما ينبغي أن يعرف صفة التسمية .. والأفضل أن يقول : بسم الله الرحمن الرحيم فإن قال : بسم الله كفاه وحصلت السنة. (الأذكار للنووي ١/ ٢٣١)

ذهب الفقهاء إلى أن التسمية عند البدء في الأكل من السنن وصيغتها: بسم الله وبسم الله الرحمن الرحيم. (الموسوعة الفقهية ٨ / ٩٢)

قال القحطاني: (نونية القحطاني للأندلسي: ١-٤٠)

لا تحش بطنك بالطعام تسمنا	فجسوم أهل العلم غير سمان
لا تتبع شهوات نفسك مسرفا	فالله يبغض عابدا شهواني
أقلل طعامك ما استطعت فإنه	نفع الجسوم وصحة الأبدان
واملك هوائك بضبط بطنك إنه	شر الرجال العاجز البطنان
ومن استذل لفرجه ولبطنه	فهما له مع ذا الهوى بطنان
حصن التداوي المجاعة والظما	وهما لفك نفوسنا قيدان
أظمئ نهارك تروفي دار العلا	يوما يطول تلهف العطشان
حسن الغذاء ينوب عن شرب	الدوا سيبا مع التقليل والإدمان

الآثار العظيمة في حياة المسلم :

عن عبد الواحد بن زياد قال: سمعت مالك بن دينار يقول لحوشب: لا تبيتن وأنت شبعان ودع الطعام وأنت تشتهيهِ؛ فقال حوشب: هذا وصف أطباء أهل الدنيا - قال: ومحمد بن واسع يستمع كلامها .

فقال محمد: نعم، ووصف أطباء طريق الآخرة؛ فقال مالك: بخ بنخ للدين والدنيا. (الحلية ٢ / ٣٥١)

قال عطية بن عامر: رأيت سلمان الفارسي رضي الله تعالى عنه: أكره على طعام يأكله فقال: حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعاً في

الآخرة يا سلمان إنما الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. (حلية الأولياء ١ / ١٩٨ - ١٩٩)

عن حمزة بن صهيب: أن صهيباً رضي الله تعالى عنه كان يطعم الطعام الكثير فقال له عمر: يا صهيب إنك تطعم الطعام الكثير وذلك سرف في المال فقال صهيب: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

يقول: خياركم: من أطعم الطعام ورد السلام فذلك الذي يحملني على أن أطعم الطعام. (الحلية ١ / ١٥٣)

قالت امرأة شميظ بن عجلان: يا أبا همام، إنما نعمل الشيء ونصنعه فنشتهي أن نأكل منه فلا تجيء:

حتى يفسد ويبرد فقال: والله إن أبغض ساعاتي إلي: الساعة التي أكل فيها. (الحلية ٣ / ١٢٨)

١٠١ - باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

٧٣٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طعاماً قطُّ، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه» متفق عليه .

٧٣٧- وعن جابر رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خلٌّ، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نعم الأدم الخلُّ نعم الأدم الخلُّ» رواه مسلم.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال سعيد بن جبیر: صنعت لابن عباس وأصحابه ألوانا من الطعام والخبيص، فقال لي: يا سعيد إنا قوم عرب فاصنع لنا مكان هذه الألوان الثريد ومكان هذه الأخبصة الحيس ولولا أنك رجل منا أهل البيت ما قلت لك. (الجوع لابن ابي الدنيا ص ٤٥٢)

وقال سليمان بن عبد الملك لسالم بن عبد الله ورآه حسن السخنة أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت وإذا وجدت اللحم أكلته فقال له: أو تشتهي؟ قال: إذا لم أشتهه تركته حتى أشتهيه. (السير ٤ / ٤٦٠)

قال النووي: من آداب الطعام المتأكدة عدم عيب الطعام كقوله: مالح قليل الملح حامض رقيق غليظ غير ناضج. ونحو ذلك. (شرح مسلم ١٤ / ٢٦)

قال ابن بطال: هذا من حسن الأدب لأن المرء قد لا يشتهي الشيء ويشتهي غيره وكل مأذون في أكله من قبل الشرع ليس فيه عيب. (شرح مسلم ١٤ / ٢٦)

١٠٢ - باب ما ينوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر

٧٣٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا دُعِيَ أَحَدُكُمْ، فليُجِبْ، فإن كان صائماً فليُصَلِّ، وإن كان مفطراً فليُطعم» رواه مسلم.

قال العلماء: معنى «فليُصَلِّ» فليُدعُ ومعنى «فليُطعم» فليأكل.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان ابن عمر رضي الله عنه إذا دُعِيَ أجاب فإن كان مفطراً أكل وإن كان صائماً دعا لهم وبارك ثم انصرف. (فتح الباري ٩ / ٢٤٧)

عن سعيد بن المسيب قال: رأيت أبا هريرة يطوف بالسوق ثم يأتي أهله، فيقول: هل عندكم من شيء؟
فإن قالوا: لا، قال: فإني صائم. (حليه الأولياء ١/ ٣٨٢)

عن إبراهيم بن أدهم أنه كان إذا دعِيَ إلى طعام أكل وقد كان صائماً، ولا يقول: إني صائم.
(حليه الأولياء ٨/ ١٠)

وكان ابن المبارك يطعم إخوانه في السفر الألوان من الحلواء وغيرها وهو صائم. (لطائف المعارف ١/ ١٦٨)
وكان الحسن يطعم إخوانه وهو صائم تطوعاً، ويجلس يروحهم وهم يأكلون. وجاء سائل إلى الإمام
أحمد فدفَع إليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوى وأصبح صائماً. (لطائف المعارف ١/ ١٦٨)
واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاماً وهو صائم، فوضع بين يديه عند فطوره، فسمع، سائلاً
يقول: من يقرض المي الوفي الغني؟ فقال: عبده المعدم من الحسنات، فقام، فأخذ الصحيفة، فخرج بها
إليه، وبات طاوياً. (لطائف المعارف ١/ ١٦٨)

١٠٢ - باب ما يقوله من دعِيَ إلى طعام فشيء غيره

٧٣٩- عن أبي مسعود البدرِي رضي الله عنه قال: دعا رجلُ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعِطَامٍ
صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ حَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ الْبَابَ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا
تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعْ» قَالَ: بَلْ أَذْنُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. متفقٌ عليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أبا غادية اليمامي قال: أتيت المدينة فجاء رسول كثير بن الصلت فدعاهم فما قام إلا أبو هريرة
وخمسة منهم أنا فذهبوا فأكلوا ثم جاء أبو هريرة ثم قال: والله يا أهل المسجد إنكم لعصاة لأبي القاسم
صلى الله عليه وسلم. (مسند احمد ٢/ ٢٨٩)

وقال بكر بن عبيد الله: أحق الناس بلطمة من أتى طعاماً لم يُدعِ إليه؛ وأحق الناس بلطمتين من يقول له
صاحب البيت اجلس ها هنا فيقول: لا ها هنا وأحق الناس بثلاث لطمات من دُعِيَ إلى طعام فقال
لصاحب المنزل: أدع ربة البيت تأكل معنا. (العقد الفريد لابن عبدربه ١/ ٢٨١)

قال ضمرة: صنع إبراهيم بن أدهم طعاماً بصور ودعا إخوانه قال: ودعا رجلاً يقال له: خلاد

الصيقل قال: فأكل ثم قال: الحمد لله؛ ثم قام، فقال إبراهيم بن أدهم بعد أن قام: لقد ساء في خصلتين: لقد قام بغير إذن ولقد حشم أصحابه. (حليه الاولياء ٧ / ٣٩١)

قال حسان بن عطية: ثلاثة ليس عليهم حساب في مطعمهم: الصائم حتى يفطر والصائم حتى يتسحر وطعام الضيف. (حليه الاولياء ٢ / ٤٨٨)

قال سفيان الثوري: لا تجيبوا دعوة، إلا دعوة من ترون أن قلوبكم تصلح على طعامه. (الحليه ٦ / ٣٨٠)

وقد نظم قاضي القضاة صدر الدين بن العز الحنفي اسامي الطعام فقال:

أسامي الطَّعامِ اثنانِ منْ بعدِ عَشْرَةٍ سَأَسِرُ دُها مَقْرُونَةٌ بِيانٍ
 وليمَةٌ عُرْسٍ ثُمَّ خُرْسٌ وِلادَةٌ عَقِيقَةُ مَوْلُودٍ، وَكِيرَةٌ بَانٍ
 وَضِيمَةٌ ذِي مَوْتٍ نَقِيعَةٌ قَادِمٍ عَذِيرٌ أَوْ أَعْدَاؤُ لِيَوْمِ خِتَانِ
 وَمَأْدِبَةُ الخِلَّانِ لا سَبَبُ لها حِذَاقُ صَبِيٍّ يَوْمَ خَتَمِ قُرَانِ
 وَعَاشِرُها في النِّظْمِ نُحْفَةٌ زائِرٍ قَرى الضَّيْفِ مَعَ نُزُلٍ لَهُ بِأَمَانِ.
 (فص الخواتم فيما قيل في الولاتم لابن طولون الدمشقي ١ / ٣٦)

وليمه عرس: النكاح - وليمه خرس: لسلامه المرأة من الطلق والنفاس - العقيقه: لولادة المولود في وتكون في اليوم السابع وحلق شعر رأسه. الوكيرة: بناء المساكن - الوضيمة: في حاله الوفاة - النقيعه: في حاله قدوم المسافر سالما - العذيرة: وليمه الختان - المأدبه: كل دعوة كانت لسبب او لغيرة - الحذاق: عند خيم القران للصبى أو انبات اسنان الصغير - التحفه: طعام الزائر - القرى: وليمه الاضياف

١٠٤- باب الأكل مما يليه ووطنه وناديه من يسير أكله

٧٤٠- عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنها قال: كُنْتُ غلاماً في حِجْرِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت يدي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ فقال لي رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا غُلامُ سَمَّ اللهُ تعالى وَكُلَّ بيمينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» متفقٌ عليه.

قوله: «تَطِيشُ» بكسر الطاءٍ وبعدها ياءٌ مثناة من تحت، معناه: تتحرك وتتمدُّ إلى نواحي الصَّحْفَةِ.
 ٧٤١- وعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلاً أكلَ عندَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِماله فقال: «كُلْ بِيَمِينِكَ» قال: لا أَسْتَطِيعُ قال: «لا اسْتَطَعْتَ» ما مَنَعَهُ إِلَّا الكِبَرُ فَمَا رَفَعَهَا إِلَى

فيه. رواه مسلم.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن نافع مولى بن عمر وعن عطاء قال لا تأكل بشمالك ولا تصدق بها. وقال عمر بن محمد بن زيد : كان نافع يزيد فيها: ولا تأخذن به ولا تعطين - يعني: الشمال. (شرح البخارى لابن بطال ٩ / ٤٦١)
قال الغزالي : لايسكتوا على الطعام فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون بالمعروف ويتحدثون بحكايات الصالحين في الاطعمه وغيرها . (إحياء علوم الدين ٧ / ٢)

الآثار العملية في حياة السلف :

عن جعفر بن عبد الله قال: رأني الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه وأنا غلام آكل من هاهنا وهاهنا، فقال لي: يا غلام، لا تأكل هكذا كما يأكل الشيطان، إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تعد أصابعه بين يديه . (صحيح الجامع ٤٦٨٣)

روى ان عمر بن الخطاب : رأى رجلاً وقد ضرب بيده اليسرى ليأكل بها ؛ قال : لا إلا أن تكون يدك عليّة أو معتله. (مصنف بن ابى شيبة ٢٤٤٤٢)

وعن عائشه رضي الله عنها : انها رأت امرأة تأكل بشمالها فنهتها . (مصنف بن ابى شيبة ٢٤٤٤٣)

١٠٥- باب النهي عن القران بين تمرين وهوهما

إذا أكل جماعة إلا يأذن رفقته

٧٤٢- عن جبلة بن سحيم قال: أصابنا عام سنة مع ابن الزبير، فرزقنا تمرًا، وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمر بنا ونحن نأكل، فيقول: لا تقارنوا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الإقران، ثم يقول: «إلا أن يستأذن الرجل أخاه» متفق عليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال أبي هريرة: كنت في الصفة فبعث إلينا النبي صلى الله عليه وسلم عجوة، فكنا نقرن الشتين من الجوع ويقول لأصحابه إني قد قرنت فاقرنوا . (حليه الأولياء ١ / ٣٩٩)

قال مالك : ليس بجميل أن يأكل أكثر من رفقته. (فتح الباري ٩ / ٥٧٢)

قال النووي : هذا النهي متفق عليه حتى يستأذنهم ، فإذا أذنوا فلا بأس . واختلفوا في أن هذا

النهي على التحريم أو على الكراهة والأدب ، فنقل القاضي عياض عن أهل الظاهر أنه للتحريم وعن غيرهم أنه للكراهة والأدب ، والصواب التفصيل ، فإن كان الطعام مشتركاً بينهم فالقران حرام إلا برضاهم ، ويحصل الرضا بتصريحهم به أو بما يقوم مقام التصريح من قرينة حال أو إدلال عليهم كلهم بحيث يعلم يقيناً أو ظناً قوياً أنهم يرضون به ، ومتى شك في رضاهم فهو حرام وإن كان الطعام لغيرهم أو لأحدهم اشترط رضاه وحده ، فإن قرن بغير رضاه فحرام ، ويستحب أن يستأذن الآكلين معه ولا يجب وإن كان الطعام لنفسه وقد ضيفهم به فلا يحرم عليه القران ، ثم إن كان في الطعام قلة فحسن أن لا يقرن لتساويهم ، وإن كان كثيراً بحيث يفضل عنهم فلا بأس بقرانه ، لكن الأدب مطلقاً التآدب في الأكل وترك الشره إلا أن يكون مستعجلاً ويريد الإسراع لشغل آخر . وقال الخطابي: إنها كان هذا في زمنهم وحين كان الطعام ضيقاً ، فأما اليوم مع اتساع الحال فلا حاجة إلى الإذن ، وليس كما قال بل الصواب ما ذكرنا من التفصيل فإن الاعتبار لعموم اللفظ لا لخصوص السبب لو ثبت السبب كيف وهو غير ثابت . (شرح النووي على مسلم ١٣/٢٢٩)

١٠٦ - باب ما يتولاه وينعله من يأكل ولا يشبع

٧٤٣- عن وَحْشِيِّ بْنِ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؟ قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، يُبَارِكْ لَكُمْ فِيهِ» رواه أبو داود.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ثابت البناني رحمه الله، قال: بلغني أن إبليس ظهر ليحيى بن زكريا عليه السلام فرأى عليه معاليق من كل شيء. فقال يحيى عليه السلام: يا إبليس ما هذه المعاليق التي أرى عليك؟ قال: هذه الشهوات التي أصيب بهن ابن آدم، قال: فهل لي فيها من شيء. قال: ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر، قال: هل غير ذلك؟ قال: لا! قال: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً. قال إبليس: والله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً. (الحلية تهذيبه ١/٤٠٦)

قال عمر: ناصحاً المسلمين ذات مرة في إحدى خطبه: إياكم والبطنة (امتلاء البطن) فإنها مكسلة عن

الصلاة، مؤذية للجسم. وعليكم بالقصد في قوتكم، فإنه أبعد من الشرر، وأصح للبدن، وأقوى على العبادة. (الأداب الشرعية ٣/ ٢٠١)

قال علي بن ابي طالب: أهلك ابن آدم الأجوفان: البطن والفرج. (الجوع لابن ابي الدنيا ٤/ ٩١)
قال عبادة بن الصامت: إنما البطن هاتِ هاتِ، كفاكم ما سده عنكم. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/ ٨٣)
قال ابن عمر: ما شبت منذ أسلمت. (جامع العلوم والحكم ٥٥٣)
دعا الحسن رحمه الله رجلا إلى طعامه فقال: قد أكلت، ولست أقدر أن أعود، قال: سبحان الله! أو يأكل المؤمن حتى لا يستطيع أن يعود؟. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٧/ ٤٨٣)
قال الحسن: يا ابن آدم كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر. (جامع العلوم والحكم ٥٥٣)

قال الحسن: والله لقد أدركنا أقواما وصحبنا طوائف منهم، ما أمر أحدهم في بيته بصنعة طعام له قط وما شبع أحدهم من طعام حتى مات، ما عدا أن يقارب شبعه أمسك. (الجوع ١/ ٩٤)
وقال أيضًا: لقد كان المسلم يُعار أن يقال له: إنك لبطين. (الجوع لابن ابي الدنيا ١١٩/ ١)
وقال ايضا: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/ ٩٤)

قال أبو سليمان الداراني: لكل شيء صدأ، وصدأ القلبِ الشبع. (السير تهذيبه ٢/ ٨٦٥)
قيل لإبراهيم بن أدهم: إن اللحم غلا؛ قال: فأرخصوه. أي: لا تشتروه. (حليه الأولياء ٨/ ٣٢)
قال إبراهيم بن أدهم: أطب مطعمك، ولا عليك ألا تقوم بالليل وتصوم بالنهار. (الحليه ٨/ ٣٨١)
قال عبد المؤمن الصائغ: دعوت رياحا ذات ليلة إلى منزلي - ونحن بعبادان - فجاء في السحر، فقربت إليه طعاما، فأصاب منه شيئا؛ فقلت: ازدد، فما أراك شبت؛ قال: فصاح صيحة أفرعني، وقال: كيف أشبع في أيام الدنيا، وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي؟ قال: فرفعت الطعام من بين يديه؛ فقلت أنت في شيء، ونحن في شيء. (حليه الأولياء ٦/ ١٩٤)

عن عمرو بن راشد، قال: سمعت مالك بن دينار، يقول: بلغني أن المتجوعين يحكمون يوم القيامة في ثمار الجنة، فيأكلون ويطعمون والناس في الحساب. (الجوع ١/ ٢٢٦)

وقال مالك بن دينار : ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه وأن تكون شهوته هي الغالبة عليه .
(الجوع ١/١٦١)

وقال مالك بن دينار: الجوع يطرد الأشر، والشبع ينميهِ ويحييه. (الجوع لابن ابى الدنيا ١/١٩٤)
قال وهب بن منبه: أجمعت الأطباء أن رأس الطب الحمية وأجمعت الحكماء أن رأس الحكمة الصمت.
(الصمت رقم ٦١٩)

قال القرطبي: من الإسراف الأكل بعد الشبع، وكلُّ ذلك محذور. وقال لقمان لابنه: يا بني لا تأكل شبعًا فوق شبع، فإنك أن تنبذه للكلب خير من أن تأكله. (الجامع لأحكام القرآن ٢٤)
سئل سهل التستري : الرجل يأكل في اليوم أكله ؟ قال أكل الصديقين : قيل له فأكلتين؟ قال : اكل المؤمنين : فقالوا فثلاثه؟ قال : قل لاهله بينوا له معلفا. (الفوائد لابن القيم ١٧٩-١٨٠)
قال أبو الفتح البستي: .(ادب الدنيا والدين ٥٥٠)

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته لتطلب الريح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
قال السري بن ينعم رحمه الله: كان يقال: ما تجوع عبد إلا أبدل الله مكان جوعه حكمة وورعا، وكان يقال: الجوع شعار الأنبياء والصالحين . (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/٩٥)
قال وهيب بن الورد: لقي عالم عالما هو فوقه في العلم، فقال: رحمك الله أخبرني عن هذا الطعام الذي نصيبه لا إسراف فيه ما هو؟ قال: ما سد الجوع، ودون الشبع . (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/١١٥)
قال أبي عبيدة الخواص: حتفك في شبعك، وحفظك في جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت، فنمت، استمكن منك العدو، فجثم عليك، وإذا أنت تجوعت كنت للعدو بمرصد. (جامع العلوم والحكم حديث ٤٧)
قال عبد الرحمن بن زيد رحمه الله: أول ما يعمل فيه العبد المؤمن بطنه، فإن استقام له بطنه استقام له دينه، وأن لم يستقم له بطنه لم يستقم له دينه . (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/٩٦)

قال الحسين بن عبد الرحمن: كان يقال: كثرة الطعام تميم القلب، كما أن كثرة الماء تميم الزرع.
(موسوعة ابن أبي الدنيا ٤/٩٦)

قال أبي سليمان: إذا جاع القلب وعطش، صفا ورق، وإذا شبع وروي، عمي وبار. (الحليه ٩/٢٦٦)

عن الحسن بن علي قال: من أراد: أن يغزر دمه ويرق قلبه فليأكل ويشرب في نصف بطنه. (الحليه ٨ / ٣١٨)
 قال الأعمش لرجل: ترى هذا البطن؟ إن أهنته أكرمك وإن أكرمته أهانك. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤ / ٩٥)
 عن الحسين بن عبد الرحمن: كان يقال: لا تسكن الحكمة معدة ملاءى. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤ / ٩٦)
 قال صفوان بن سليم: ليأتين على الناس زمان تكون هممة أحدهم فيه بطنه ودينه هواه. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤ / ١١٦)
 قال سهل بن عبد الله رحمه الله: البطنة أصل الغفلة. (تهذيبه الحليه ٣ / ٣٣٤)
 وقال يوسف بن أسباط: الجوع يرق القلب. (موسوعة ابن أبي الدنيا ٤ / ٩٥)
 قال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء. (زاد المعاد ٤ / ١٠٤)
 قال أبي عمران الجوني: كان يقال: من أحب أن ينور قلبه فليقل طعمه. (الجوع رقم ١٤٣)
 وقال محمد بن النضر الحارثي: الجوع يبعث على البر كما تبعث البطنة على الأشر. (الحليه ٨ / ٢٢٢)
 قال عبد العزيز بن أبي رواد: كان يقال: قلة الطعم عون على التسرع في الخيرات. (الجوع رقم ١٠٧)
 قال سلمة بن سعيد: إن كان الرجل ليعير بالبطنة كما يعير بالذنب يعمله. (الجوع ١ / ١١٩)
 قال مجاهد رحمه الله: لو كنت أكل كل ما أشتهي ما ساويت حشفة. (الجوع حديث ٣١١)
 وقال مسعر: (الجوع لابن أبي الدنيا ١ / ٢٦٤)

وجدت الجوع يطردُه رغيْفٌ وملءُ الكف من ماء الفرات

وقل الطعم عونٌ للمصلي وكثر الطعم عونٌ للسبات

الآثار العملية في حياة المسلم:

عن أبي هريرة قال: كنت لا أكل الخمير ولا ألبس الحرير والصق بطني من الجوع واستقري الرجل الآية من كتاب الله، هي معي كي ينقلب بي، فيطعمني وكان خير الناس للمساكين: جعفر بن أبي طالب، وكان ينقلب بنا، فيطعمنا ما كان في بيته؛ إن كان ليخرج إلينا العكة، فنشقها، فنلحق ما فيها.

(حليه الأولياء ١ / ١١٧)

كان أبو هريرة يطوف بالبيت وهو يقول: ويل لي من بطني: إذا أشبعته: كظني وإن أجمعته: سبني.

(حليه الأولياء ١ / ٣٨٢)

قال أبو هريرة: لقد رأيتني أصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها؛ فيقول الناس: إنه مجنون وما بي جنون ما بي إلا الجوع. (حليه الأولياء ١ / ٣٧٨)

١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة**والنهي عن الأكل من وسطها**

٧٤٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْبَرَكَهُ تُنَزَّلُ وَسَطَ الطَّعَامِ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

٧٤٥- وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه قال: كان للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الْغَرَاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ، فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، يَعْنِي وَقَدْ تُرِدَ فِيهَا، فَالْتَفَوْا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هَذِهِ الْجِلْسَةُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا عَنِيدًا، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُوا مِنْ حَوَالِيهَا، وَدَعُوا ذُرْوَتَهَا يُبَارِكُ فِيهَا» رواه أبو داود بإسناد جيد. «ذُرْوَتَهَا» أَعْلَاهَا: بكسر الذال وضمها.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال علي: إذا أكلتم الثريد فكلوا من جوانبه، فإن الذروة فيها البركة. (ربيع الأبرار ٢٥٦/١)
قال جعفر بن عبد الله: رأيت الحكم بن عمرو الغفاري رضي الله عنه وأنا غلام آكل من هاهنا وهاهنا فقال لي: يا غلام لا تأكل هكذا كما يأكل الشيطان إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل لم تعد أصابعه بين يديه. (صحيح الجامع ٤٦٨٣)

١٠٨- باب كراهية الأكل متكئاً

٧٤٦- عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَكُلُ مُتَّكِئًا» رواه البخاري.

قال الخطابي: المتكئ هُنا: هو الجالس مُتَّكِئًا عَلَى وَطْءٍ تَحْتَهُ، قَالَ: وَأَرَادَ أَنَّهُ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْوَطْءِ وَالْوَسَائِدُ كَفَعْلٍ مَنْ يُرِيدُ الْإِكْتَارَ مِنَ الطَّعَامِ بَلْ يَقْعُدُ مُسْتَوْفِزًا لَا مُسْتَوْطِنًا، وَيَأْكُلُ بُلْغَةً. هَذَا كَلَامُ الْخَطَّابِيِّ، وَأَشَارَ غَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْمُتَّكِيَّ هُوَ الْمَائِلُ عَلَى جَنْبِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٧٤٧- وعن أنس رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِساً مُتْعِياً يَأْكُلُ تَمْرًا، رواه مسلم. «المُتْعِي» هو الذي يُلِصِقُ أَلْيَتَيْهِ بِالْأَرْضِ، وَيُنْصَبُ سَاقِيَهُ.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال إبراهيم النخعي : كانوا يكرهون أن يأكلوا اتكاء مخافة أن تعظم بطونهم. (فتح الباري ١٢ / ٣٢١)
ذكر ابن حجر في فتح الباري : أن جبريل نهاه عن ذلك وهذا النهي محمول على الكراهية لأنه كان من أخلاق المتكبرين ويؤدي إلى الاستكثار من الطعام وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ذلك .
قال النووي في شرح مسلم معناه: لا أكل أكل من يريد الاستكثار من الطعام ويقعد له متمكنا بل أقعد مستوفزا وأكل قليلا.

قال الخطابي : أن المتكئ هو الجالس معتمداً على وطاء (أى وسائد) تحته.

ذكر ابن القيم : للاتكاء ثلاث صور، قال: كل ذلك اتكاء، وذلك في كتابه زاد المعاد.

الأولى: التربع، هذا اتكاء، والثانية: أن يجلس مائلاً، والثالثة: أن يعتمد على إحدى يديه، فإذا اعتمد على الشتين فهذا أبلغ في الاتكاء، هذا كله اتكاء.

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب

لعق الأصابع وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي سقطت منه وأكلها وجواز مسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

٧٤٨- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا» متفق عليه.

٧٤٩- وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم.

٧٥٠- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِلَعْقِ الْأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

٧٥١- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ

ما كان بها من أذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، فإنه لا يدري في أيّ طعامه البركة» رواه مسلم.

٧٥٢- وعنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيَمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذى، ثُمَّ لْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَّغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

٧٥٣- وعن أنس رضي الله عنه قال: كان: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعَقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وَقَالَ: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةٌ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، وَلْيَمِطْ عَنْهَا الْأذى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدْعُهَا لِلشَّيْطَانِ» وَأَمَرْنَا أَنْ نَسَلَتِ الْقِصْعَةَ وَقَالَ: إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ الْبَرَكَةُ» رواه مسلم.

٧٥٤- وعن سعيد بن الحارث أنه سأل جابرًا رضي الله عنه عن الوضوء بما مسَّت النَّارُ، فقال: لا، قد كُنَّا زَمَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلٌ إِلَّا أَكْفْنَا وَسَوَاعِدْنَا وَأَقْدَامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابن عباس: إذا أكل أحدكم طعاما فلا يمسح يده حتى يلعقها أو يلعقها. (ربيع الأبرار ١/٢٦٢) وعن كعب بن مالك قال: رأيت رسول الله يلعق أصابعه الثلاث بعد الطعام. (ربيع الأبرار ١/٢٦٢) قال ابن القيم: فإن الأكل بأصبع أو أصبعين لا يستلذ به الأكل، ولا يمره، ولا يشبعه إلا بعد طول، ولا تفرح آلات الطعام والمعدة بما ينالها في كل أكلة والأكل بالخمسة والراحة يوجب ازدحام الطعام على الآتة، وعلى المعدة، وربما انسدت الآلات فمات، وتغصب الآلات على دفعه، والمعدة على احتماله، ولا يجد له لذة ولا استمرار، فأنفع الأكل أكله صلى الله عليه وسلم، وأكل من اقتدى به بالأصابع الثلاث. (زاد المعاد ٤/٢٢٢)

قال النووي: وقوله صلى الله عليه وسلم: لا تدرون في أيه البركه معناه -والله أعلم: أن الطعام الذي

يحضره الإنسان فيه بركة، ولا يدري أن تلك البركة فيما أكله، أو فيما بقي على أصابعه، أو فيما بقي في أسفل القصعة، أو في اللقمة الساقطة، فينبغي أن يحافظ على هذا كله؛ لتحصل البركة، وأصل البركة: الزيادة، وثبوت الخير، والإمتاع به، والمراد هنا - والله أعلم - ما يحصل به التغذية، وتسلم عاقبته من أذى، ويقوى على طاعة الله تعالى وغير ذلك. (شرح النووي لمسلم حديث ٢٠٣٣)

وقال النووي أيضا: استحباب أكل اللقمة الساقطة بعد مسح أذى يصبها، هذا إذا لم تقع على موضع نجس فإن وقعت على موضع نجس تنجست ولا بد من غسلها إن أمكن فإن تعذر أطعمها حيواناً ولا يتركها للشيطان. (شرح النووي على مسلم)

الآثار العملية من حياة السلف:

كان معقل بن يسار رضي الله عنه يتعدى فسقطت لقمته فأخذها فأماط ما بها من أذى ثم أكلها فجعل أولئك الدهاقين يتغامزون به فقالوا له: ما ترى ما يقول هؤلاء الأعاجم يقولون: انظروا إلى ما بين يديه من الطعام وإلى ما يصنع بهذه اللقمة فقال: إني لم أكن لأدع ما سمعت لقول هؤلاء الأعاجم: إنا كنا نؤمر إذا سقطت من أحدنا لقمة أن يميظ ما بها من الأذى يأكلها. (سنن الدارمي ١٣٢ / ٢ رقم ٢٠٧٢)

١١٠ - باب تكثير الأيدي على الطعام

٧٥٥- عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طَعَامُ الإِثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ» متفق عليه.

٧٥٦- وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الإِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الإِثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ» رواه مسلم.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال علي: إذا طرقت إخوانك فلا تدخر عنهم ما في المنزل، ولا تتكلف ما وراء الباب. (ربيع الأبرار ١/٢٥١)

قال أنس: من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف يوم القيامة. (ربيع الأبرار ١/٢٦١)

قال جعفر بن محمد: أحب إخواني إلي أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة، وأثقلهم علي من يجونني إلى

تعاهده في الأكل. (ربيع الأبرار للزنجشري ١/٢٦١)

الآثار العملية من حياة السلف :

قال معاوية : لرجل على مائدته : خذ الشعرة من لقمته فقال: وانك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمته ؟ لا اكلت لك طعاما ابدا. ثم خرج وهو يقول : وللموت خير من زيارة باخل . يلاحظ أطراف الأكيل على عمد. (العقد الفريد ٢٤٠ / ١)

وَصَّع معاوية رضي الله عنه بين يدي الحسن رضي الله دجاجة، ففكها الحسن فقال معاوية : هل بينك وبين أمها عداوة؟ فقال الحسن : وهل بينك وبين أمها قرابة؟. (المستطرف في كل فن مستظرف ١٩١) وتذكر مثل هذه القصة في جدي مشوي فقال الخليفة للأكل كأن أمه نطحتك؟ فقال الأكل أراك تشفق عليه كأن أمه أرضعتك؟. (المستطرف في كل فن مستظرف ١٩١)

وعن إبراهيم بن هشام أمير المدينة أنه قال لأصحابه: تعالوا نفاجئ أبا عبيدة، عسى أن يبخله، فاستنزلهم، فقالوا: إن كان شيء عاجل وإلا فلا ننزل. فجاءهم بسبعين كرشا فيها رؤوس. فعجب ابن هشام وقال: ترونه ذبح في ليلته عدد هذه الرؤوس؟ كان الزهري إذا لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يحدته عشرة أيام. (ربيع الأبرار للزخشي ٢٦٣ / ١)

كان عبد العزيز بن مروان جوادا مضيافا، فتغذى عنده أعرابي، فلما كان من الغد رأى الناس على بابه كما رأهم بالأمس، فقال: أفي كل يوم يطعم الأمير؟ وأنشد: كل يوم كأنه يوم أضحى عند عبد العزيز أو يوم فطر وله ألف جفنة مترعات كل يوم يمدها ألف قدر. (ربيع الأبرار ٢٦٢ / ١)

قال الحجاج لأعربي يوما وهو على سباطه (ما يُمَدُّ لِيُوضَعَ عليه الطعامُ) ارفق بنفسك فقال : وأنت يا حجاج أغضض من بصرك. (المستطرف للا بشيهي ١٩١)

١١١- باب أدب الشرب واستهباب النفس ثلاثا خارج الإناء وكراهة**النفس في الإناء واستهباب إدارة الإناء على الأيمن ثلاثين بعد المبتدئ**

٧٥٧- عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا. متفق عليه. يعني: يَتَنَفَّسُ خَارِجَ الْإِنَاءِ.

٧٥٨- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « لا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشْرَبِ الْبَعِيرِ، وَلَكِنْ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثَلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ

رَفَعْتُمْ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

٧٥٩- وعن أبي قتادة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ مَتَفَقُّ عَلَيْهِ. يعني: يُتَنَفَّسُ فِي نَفْسِ الْإِنَاءِ.

٧٦٠- وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِي، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الْأَعْرَابِيَّ وَقَالَ: «الْأَيْمَنَ فَالْأَيْمَنَ» مَتَفَقُّ عَلَيْهِ. قوله: «شِيبَ» أَي: خُلِطَ.

٧٦١- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ « أَتَأْذُنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هُوَ لَاءِ؟ » فَقَالَ الْغُلَامُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أُؤَثِّرُ بِنَصِيبي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدِهِ. مَتَفَقُّ عَلَيْهِ. قوله: «تَلَّهُ» أَي: وَضَعَهُ، وَهَذَا الْغُلَامُ هُوَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنفس في الشراب ثلاثا ويقول إنه أروى وأبرأ وأمرأ قال أنس فأنا أتنفس في الشراب ثلاثا. (البخاري برقم (٥٦٣١) ومسلم برقم (٢٠٢٨)

عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما جالسا فجاءه رجل فقال: من أين جئت؟ قال: من زمزم. قال: فشربت منها كما ينبغي؟ قال: فكيف؟ قال: إذا شربت منها فاستقبل الكعبة واذكر اسم الله تعالى، وتنفس ثلاثا من زمزم، وتصلع منها، فإذا فرغت فاحمد الله تعالى. (الموسوعة الفقهية الكويتية ١٥ / ٢٤)

قال عمر بن عبد العزيز: إنما نهى عن التنفس داخل الإناء فأما من لم يتنفس فإن شاء فليشرب بنفس واحد. (فتح الباري ١٠ / ٩٥)

قال الحافظ ابن حجر: وفي الحديث أن سنة الشرب العامة تقديم الأيمن في كل موطن، وأن تقديم الذي على اليمين ليس لمعنى فيه؛ بل لمعنى في جهة اليمين وهو فضلها على اليسار، فيؤخذ منه أن ذلك ليس ترجيحاً لمن هو على اليمين، بل هو ترجيح لجهته. (فتح الباري ١٠ / ٨٧)

قال ابن العربي: قال علماءنا: هذا من مكارم الأخلاق؛ لثلا يقع فيه من ريق النافخ فيتقدره غيره. ثم قال ابن العربي: بل هو حرام؛ فإن الإضرار بالغير حرام، فإن فعله في خاصة نفسه ثم ناوله لغيره فليعلمه به؛ لأنه إن كتبه كان من باب الغش وهو حرام. (عارضضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي ٨ - ٨٣) قال حافظ بن أحمد الحكمي: (السبل السوية لفقهاء السنن المروية ١ / ٦٣)

وأول الشراب سمين وفي آخره فالحمد قل لا ينتفي
سن بأنفاس ثلاثة ولا ينفس في الإناء نهى نقلا
وباليمين من قعود قد نمت والأيمن الأيمن فيه قدّم
وليكن الآخر شرباً من سقى ويكره الشرب من فم السقا
والنضح في الماء أو الإناء وللقدادة اهرق بلا امتراء

١١٢ - باب كراهة الشرب من ثم القرية ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تهريم

٧٦٢ - عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اختناث الأسيقية . يعنى : أن تكسر أفواهاها ، ويشرب منها . متفق عليه .

٧٦٣ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشرب من في السقاء أو القرية . متفق عليه .

٧٦٤ - وعن أمّ ثابت كُبْشَةَ بِنْتِ ثَابِتِ أُخْتِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَعَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَشَرِبَ مِنْ فِي قَرْيَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِماً . فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ . وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وإِنَّمَا قَطَعْتُهَا : لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَتَبَرَّكَ بِهِ ، وَتَصُونَهُ عَنْ الْإِبْتِدَالِ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُحْمُولٌ عَلَى بَيَانِ الْجَوَازِ ، وَالْحَدِيثَانِ السَّابِقَانِ لِبَيَانِ الْأَفْضَلِ وَالْأَكْمَلِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

عن ابن عباس وابن عمر قالوا: يكره أن يشرب من ثلثة القدح وأذن القدح. (مجمع الزوائد ٥ / ٧٨)
 قال أيوب: فأثبتت أن رجلاً شرب من في السقاء فخرجت حية. (أخرجه البخاري رقم ٥٦٢٨)
 وفي رواية: وأن رجلاً قام من الليل إلى سقاءٍ فاختمته فخرجت عليه منه حية. (سنن ابن ماجه ٣٤١٩)
 قال ابن القيم: في هذا آدابٌ عديدة، منها: أن تردّد أنفاس الشارب فيه يكسبه زهومة ورائحة كريهة يعاف لاجلها ومنها: أنه ربما غلب الداخل إلى جوفه من الماء، فتضرّر به. ومنها: أنه ربما كان فيه حيوان لا يشعر به، فيؤذيه. ومنها: أن الماء ربما كان فيه قذاة أو غيرها لا يراها عند الشرب، فتلجج جوفه. ومنها: أن الشرب كذلك يملأ البطن من الهواء، فيضيق عن أخذ حظّه من الماء، أو يزاحمه، أو يؤذيه، ولغير ذلك من الحِكَم. (زاد المعاد ٤ / ٢٣٤)

١١٣- باب كراهة التنفخ في الشراب

٧٦٥- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنِ التَّنْفِخِ فِي الشَّرَابِ فَقَالَ رَجُلٌ: الْقَذَاةُ أَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ؟ فَقَالَ: «أَهْرَقَهَا» قَالَ: فَإِنِّي لَا أُرَوِي مِنْ نَفْسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «فَأَبْنُ الْقَدَحِ إِذَا عَنَّ فِيكَ» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح .
 ٧٦٦- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الْإِنَاءِ، أَوْ يُتَنَفَّخَ فِيهِ، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

قال النووي: «وقوله صلى الله عليه وسلم: من الرّي، أي: أكثر ريّاً، وأمراً، وأبرأ مهموزان، ومعنى (أبرأ) أي (اروى) أبرأ من ألم العطش، وقيل: «أبرأ»، أي: أسلم من مرض، أو أذى، يحصل بسبب الشرب في نفس واحد، ومعنى: «أمراً»، أي: أجمل انسياغاً - والله أعلم

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الحافظ ابن حجر: يؤخذ من ذلك: أنه أقمع للعطش، وأقوى على الهضم، وأقلُّ أثراً في ضعف الأعضاء، ويرد المعدة فإن شرب في نفس واحد جاز له ذلك. (فتح الباري ١٠ / ٩٤)

قال ابن القيم: معنى تنفسه في الشراب : إبانته القدح عن فيه ، وتنفسه خارجه ، ثم يعود إلى الشراب وفي هذا الشراب حكم جهه وفوائد مهمة وقد نبه صلى الله عليه وسلم على مجامعها بقوله : (إنه أروى ،

وأمرأ ، وأبرأ) فأروى : أشد رِيًّا وأبلغه وأنفعه وأبرأ : من البرء وهو الشفاء أي : يبرىء من شدة العطش ودائه لتردده على المعدة الملتهبة دفعات فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة ما عجزت الثانية عنه وأيضا فإنه أسلم لحرارة المعدة وأبقى عليها من أن يهجم عليها البارد وهلة واحدة ونهلة واحدة ؛ فإنه لا يروي لمصادفته لحرارة العطش لحظة ، ثم يقلع عنها ، ولما تكسر سورتها وحدتها ، وإن انكسرت لم تبطل بالكلية ، بخلاف كسرها على التمهل والتدريج . وأيضا فإنه أسلم عاقبة وآمن غائلة من تناول جميع ما يروي دفعة واحدة فإنه يخاف منه أن يطفى الحرارة الغريزية بشدة برده وكثرة كميته أو يضعفها فيؤدى ذلك إلى فساد مزاج المعدة والكبد . (زاد المعاد ٤ / ٢٣٠)

١١٤- باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعداً

فيه حديث كبشة السابق (انظر الحديث رقم ٧٦١) .

٧٦٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سَقَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ زَمَزَمَ ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ . متفقٌ عليه .

٧٦٨- وعن النزال بن سبرة رضي الله عنه قال : أتى علي رضي الله عنه باب الرّحبة فشرب قائماً ، وقال : إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما رأيتموني فعلت ، رواه البخارى .

٧٦٩- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا نأكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشى ، ونشرب ونحن قيامٌ . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

٧٧٠- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب قائماً وقاعداً . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٧٧١- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يشرب الرجل قائماً . قال قتادة : فقلنا لأنس : فالأكل ؟ قال : ذلك أشدُّ أو أخبثُ . رواه مسلم .

وفي رواية له أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب قائماً .

٧٧٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يشربن أحدٌ

مِنْكُمْ قَائِمًا ، فَمَنْ نَسِيَ فَلَيْسَتْ فِيهِ « رواه مسلم .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عمر وعثمان وعلي وابن عمر وابن الزبير أنهم كانوا يشربون قياماً وأن سعد بن أبي وقاص وعائشة لا يريان في ذلك بأساً. (الموطأ ٢ / ٩٢٥ - ٩٢٦)

قال الحافظ ابن حجر: وثبت الشرب قائماً عن عمر بن الخطاب. (فتح الباري ١٠ / ٨٤)

قال ابن عبد البر: الأصل الإباحة حتى يرد النهي من وجه لا معارض له فإذا تعارضت الآثار سقطت والأصل ثابت في الإباحة حتى يصح الأمر أو النهي بما لا مدفع فيه. (الإستذكار ٢٦ - ٢٨١)

١١٥- باب استحباب كون ساقى القوم آخرهم شرباً

٧٧٣- عن أبي قتادة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « ساقى القوم آخرهم »
يعنى: شرباً . رواه الترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال النووي: هذا أدب من آداب ساقى الماء واللبن ونحوهما وفي معناه من يفرق على الجماعة مأكولا
كلحم وفاكهة وغيرهما، فليكن المفرق آخرهم تناولاً منه لنفسه. (عون المعبود ١٠ / ١٣٨)

١١٦- باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرم وهو الشرب بالغم من النهر وغيره بخير إناء ولا يد، وتكريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

٧٧٤- عن أنس رضي الله عنه قال : حَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ ، وَبَقِيَ قَوْمٌ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمِخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ ، فَصَغَرَ الْمِخْضَبُ أَنْ يَسُطَّ فِيهِ كَفَّهُ ، فَتَوَضَّأَ الْقَوْمُ كُلَّهُمْ . قَالُوا : كَمْ كُنْتُمْ ؟ قَالَ : ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً . متفقٌ عليه . هذه رواية البخاري .

وفي رواية له ولمسلم : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ ، فَأَتِيَتْ بِقَدَحٍ رَخْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ

مِنْ مَاءٍ ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ . قَالَ أَنَسٌ : فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى الْمَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ، فَحَزَزْتُ مِنْ تَوْضُأً مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ .

٧٧٥- وعن عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرِ فَتَوَضَّأَ . رواه البخاري .

« الصُّفْرُ » بضم الصاد ويجوز كسرهما وهو النحاس « والتَّوْرُ » كالقدح وهو بالناء المثناة من فوق .
٧٧٦- وعن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَإِلَّا كَرَعْنَا » رواه البخاري . « الشَّنَّةُ » : القِرْبَةُ

٧٧٧- وعن حذيفة رضي الله عنه قَالَ : إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَهَانَا عَنِ الْحَرِيرِ وَالذَّبْيَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، وَقَالَ : « هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَهِيَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ » متفق عليه .
٧٧٨- وعن أم سلمة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الَّذِي يَشْرَبُ فِي آيَةِ الْفِضَّةِ إِنَّمَا يُجْرِجُرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ » متفق عليه .

وفي رواية لمسلم : « إِنْ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آيَةِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ » .
وفي رواية له : « مَنْ شَرِبَ فِي إِنَاءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ فَإِنَّمَا يُجْرِجُرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ » .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أم عمرو بنت عمرو قالت كانت عائشة تنهانا أن نتحلى الذهب أو نضيب الآنية أو نحلقتها بالفضة فما برحنا حتى رخصت لنا وأذنت لنا أن نتحلى الذهب وما أذنت لنا ولا رخصت لنا أن نحلق الآنية أو نضيبها بالفضة. (التمهيد لابن عبد البر ١٦ / ١٠٩)

عن ابن عمر أنه كان لا يشرب من قدح فيه حلقة فضة ولا ضبة فضة. (مصنف ابن أبي شيبة ٥ / ٥١٩)
وكان ابن عمر إذا سقي فيه كسرة . (مصنف عبدالرزاق ١١ / ٧٠)

قال ابن تيمية: يبين علة تحريم استعمال أواني الذهب والفضة: لأن ذلك مظنة السرف باستعمال التقدين في غير ما خلقا له والله لا يحب المسرفين ، ومظنة الخيلاء والكبر لما في ذلك من امتهانها ومظنة الفخر

وكسر قلوب الفقراء والله لا يجب كل مختال فخور. (شرح العمدة ١ / ١١٤ - ١١٥)

الآثار العملية في حياة السلف :

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كنا مع حذيفة رضي الله عنه فسقاه عالج في إناء من فضة فضرب به وجهه ثم اعتذر إلى القوم، فقال: إني إنما فعلت هذا؛ لأنني كنت نهيته مراراً كل ذلك لا ينتهي، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تلبسوا الحرير والديباج، فإنه لهم في الدنيا، ولكم في الآخرة. (صحيح مسلم ٣ / ١٦٣٧ رقم ٤)

قال أنس بن سيرين: كنت مع أنس بن مالك عند نفر من المجوس قال: فجيء بفالودج على إناء من فضة، قال: فلم يأكله، فقيل له: حوله، قال: فحوله على إناء من خلج (شجر معروف) فجيء به، فأكله. (السنن الكبرى للبيهقي ١ / ٤٥ رقم ١٠٥)

كتاب اللباس

١١٧ - باب استنباط الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر

والأصفر والأسود وجوازه من ظن وكثان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ [الأعراف: ٢٦] ، وَقَالَ تَعَالَى: وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ

[النحل : ٨١]

٧٧٩- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفّنوا فيها موتاكم» رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

٧٨٠- وعن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفّنوا فيها موتاكم» رواه النسائي، والحاكم وقال: حديث صحيح.

٧٨١- وعن البراء رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعاً ولقد رأيته في حلة حمراء ما رأيته شيئاً قط أحسن منه. متفق عليه.

٧٨٢- وعن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالْأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حُمْرَاءٌ مِنْ أَدَمٍ فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ ، فَمِنْ نَاصِحٍ وَنَائِلٍ ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءٌ ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقِيهِ ، فَتَوَضَّأَ وَأَذَنَ بِلَالٌ ، فَجَعَلْتُ أَتَّبَعُ فَاهُ هَهُنَا وَهَهُنَا ، يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ . ثُمَّ رُكِّزَتْ لَهُ عَنزَةٌ ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّى يَمْرُ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ . مَتَّفَقٌ عَلَيْهِ . «العنزة» بفتح النون نحو العكازة

٧٨٣- وعن أبي رمثة رفاعة التميمي رضي الله عنه قال : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثوبان أخضران . رواه أبو داود ، والترمذي بإسناد صحيح .

٧٨٤- وعن جابر رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءٌ . رواه مسلم

٧٨٥- وعن أبي سعيد عمرو بن حريث رضي الله عنه قال : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءٌ قَدْ أَرَخَى طَرْفِيهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ . رواه مسلم .

وفي رواية له : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ النَّاسَ ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سُودَاءٌ

٧٨٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كُفِّنَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ . متفق عليه .

« السَّحُولِيَّةُ » بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين : ثِيَابٌ تُنْسَبُ إِلَى سَحُولٍ : قَرْيَةٍ بِالْيَمَنِ « وَالْكُرْسُفُ » : الْقُطْنُ

٧٨٧- وعن عائشة قالت : خَرَجَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ . رواه مسلم . « المِرْطُ » بكسر الميم : وَهُوَ كِسَاءٌ . « وَالْمُرَحَّلُ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ : هُوَ الَّذِي فِيهِ صُورَةٌ رِحَالِ الْإِبِلِ ، وَهِيَ الْأَكْوَارُ .

٧٨٨- وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ ، فَقَالَ لِي : « أَمَعَكَ مَاءٌ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ، فَتَزَلَّ عَن رَاحِلَتِي فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى فِي

سواد اللّيلِ ثم جاء فأفرغت عليه من الإداوة ، فغسل وجهه وعليه جبة من صوف ، فلم يستطع أن يخرج ذراعيه منها حتى أخرجهما من أسفل الجبة ، فغسل ذراعيه ومسح برأسه ثم أهويت لأنزع خفيه فقال : « دعهما فإنى أدخلتهما طاهرتين » ومسح عليهما . متفق عليه . وفي رواية : وعليه جبة شاميّة ضيقة الكمين . وفي رواية : أن هذه القصة كانت في غزوة تبوك .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : وريشا . قال : المال واللباس والعيش والنعيم ، وفي قوله : ولباس التقوى . قال : الإيثار والعمل الصالح ذلك خير قال : الإيثار والعمل خير من الريش واللباس . عن ابن عباس في قوله : ولباس التقوى . قال : السميت الحسن في الوجه . عن عكرمة في قوله : قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم . قال : نزلت في الخمس من قريش ، ومن كان يأخذ مأخذاها من قبائل العرب الأنصار ، الأوس والخزرج ، وخزاعة وثقيف ، وبني عامر بن صعصعة ، وبطن كنانة بن بكر ، كانوا لا يأكلون اللحم ، ولا يأتون البيوت إلا من أدبارها ولا يضطربون وبراً ولا شعراً ، إنما يضطربون الأدم ويلبسون صبيانهم الرهاط ، وكانوا يطوفون عراة إلا قريشا ، فإذا قدموا طرحوا ثيابهم التي قدموا فيها وقالوا : هذه ثيابنا التي تطهرنا إلى ربنا فيها من الذنوب والخطايا ثم قالوا لقريش : من يعيرنا متزراً ؟ فإن لم يجدوا طافوا عراة فإذا فرغوا من طوافهم أخذوا ثيابهم التي كانوا وضعوا عن زيد بن علي في قوله : لباسا يواري سوآتكم . قال : لباس العامة وريشا قال : لباس الزينة ولباس التقوى . قال : الإسلام .

(تفسير الدر المنثور ٦ / ٣٥٠ - ٣٥٣)

عن ابن عباس في قوله : سراييل تقيكم الحر . قال : يعني الثياب ، وسراييل تقيكم بأسكم . قال : يعني الدروع والسلاح كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون . يعني : من الجراحات . (الدر المنثور ٩ / ٩٣) عن قتادة : وجعل لكم سراييل تقيكم الحر . من القطن والكتان والصوف . عن قتادة : وسراييل تقيكم بأسكم . قال : هي سراييل من حديد . (تفسير الطبري ١٧ / ٢٧٠)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه كان إذا رأى على الرجل ثوباً معصفاً (نبات معروف يصبغ لونا أحمر) جذبه وقال : دعوا هذا للنساء . (فتح الباري ١٠ / ٣٧٧)

قال ابن عباس رضى الله عنه : يكره لبس الأحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة، ويجوز في البيوت والمهنة.
(فتح البارى ٣١٩/١٠ - ٥٥١٠)

قال الحسن: الحمرة من زينة الشيطان والشيطان يجب الحمرة. (فتح البارى ١٣/٣٣٧)

قال ميمون بن مهران: شر الناس: العيابون ولا يلبس الكتان: إلا غني، أو غوي. (الحليه ٤/٩٢)

- ذكر الحافظ بن حجر إن في لبس الثوب الأحمر سبعة مذاهب:

الاول: الجواز مطلقا: جاء عن علي وطلحة وعبد الله بن جعفر والبراء وغير واحد من الصحابة وعن سعيد بن المسيب والنخعي والشعبي وأبي قلابة وأبي وائل وطائفة من التابعين. جواز لبس الاحمر.

الثاني: المنع مطلقاً ولم ينسبه الحافظ إلى قائل معين إنما ذكر أخباراً وآثاراً يعرف بها من قال بذلك.

الثالث: يكره لبس الثوب المشيع بالحمرة دون ما صبغه خفيفاً جاء ذلك عن عطاء وطاوس ومجاهد.

الرابع: يكره لبس الأحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة ويجوز في البيوت والمهنة قاله ابن عباس.

الخامس: يجوز لبس ما كان صبغ غزله ثم نسج ويمنع ما صبغ بعد النسج جنح إلى ذلك الخطابي

السادس: اختصاص النهي بما يصبغ بالعصفر ولم ينسبه إلى أحد.

السابع: تخصيص المنع بالثوب الذي يصنع كله وأما ما فيه لون آخر غير أحمر فلا. (فتح البارى ١٠/٣١٨)

قال ابن خاتمة الأندلسي:

دع التآلق في لبس الثياب وكنْ لله لا بس ثوب الخوفِ والندمِ

لو كان للمرء في أثوابه شرفٌ ما كان يخلعُ أسنانهنَّ في الحرمِ

لا يعجبنَّ مضيئاً بزته وهل يروُّ دفيناً جودة الكفنِ؟!

قال مصطفى الغلاييني:

لا تحقرنَّ فتى لرتِّ ردائه أو تكرمنَّ فتى بدا في سُنْدُسِ

لا ينفُضُ الإنسانُ أو يعلو به خلُقُ الثيابِ ولا جديدُ الملبَسِ

وقال ايضاً:

تحرَّ من الأثوابِ أرفعها تنلْ أعزَّ محلِّ ترتقي لالتماسه

ولا تبغ في أمرِ اللباسِ تواضعاً فعنوانُ نبيلِ المرءِ حسنُ لبسه

آثار الربانيين في حياة المسلم:

عن أبي زرعة قال: قال له خالد بن دريك: يا أبا محيريز سمعت الناس يذكرون مقالة كرهتها سمعتهم يقولون: إنما يدعو ابن محيريز إلى ثيابه: الذي يلبس القصد قال: وسمعت قائلًا يقول: إنما يحملها عليها: البخل قال: فانطلق فاشترى له ثوبين وكان أحب الثياب إليه: القطن. فلبسهما. (الحليه ٥ / ١٣٩)

دخل الصلت بن راشد على محمد بن سيرين وعلى الصلت جبة صوف وإزار صوف وعمامة صوف فاشمأز منه محمد وقال: أظن أن أقواماً يلبسون الصوف ويقولون: قد لبسه عيسى ابن مريم وقد حدثني من لا أتهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع . (زاد المعاد ١ / ١٤٣)

١١٨ - باب استحباب القميص

٧٨٩- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : كان أحبَّ الثيابِ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القميصُ . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال محمد بن منصور الطوسي: رأيت معروف الكرخي ومعني ثوب؛ فقال لي: يا محمد، ما تصنع بهذا؟ قلت: أقطعه قميصاً؛ فقال: أقطعه قصيراً تريح فيه ثلاث خصال؛ أولها: اللحوق بالسنة، والثاني: يكون ثوبك نظيفاً، والثالث: تريح خرقة. (حليه الأولياء ٨ / ٣٦٤)

١١٩ - باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة

وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

٧٩٠- عن أسماء بنت يزيد الأنصاريّة رضي الله عنها قالت : كان كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الرُّسْغِ . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

٧٩١- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقال أبو بكر : يا رسول الله إن إزارى يَسْتَرُخى إلا أن أتعاهدّه، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خِيَلًا » . رواه البخاري وروى مسلم بعضه .

٧٩٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا » متفق عليه .

٧٩٣- وعنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ » رواه البخاري

٧٩٤- وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » قَالَ : فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ أَبُو ذَرٍّ : خَابُوا وَخَسِرُوا مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « الْمُسْبِلُ ، وَالْمَنَانُ وَالْمُنْفِقُ سَلَعْتَهُ بِالْحَلْفِ الْكَاذِبِ » رواه مسلم . وفي رواية له : « الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ » .

٧٩٥- وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْإِسْبَالُ فِي الْإِزَارِ ، وَالْقَمِيصِ ، وَالْعِمَامَةِ ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » رواه أبو داود، والنسائي بإسنادٍ صحيح .

٧٩٦- وعن أبي جري جابر بن سليم رضي الله عنه قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا يَصُدِّرُ النَّاسَ عَنْ رَأْيِهِ لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قُلْتُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَرَّتَيْنِ قَالَ : « لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ ، عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةَ الْمَوْتَى قُلِ : السَّلَامُ عَلَيْكَ » قَالَ : قُلْتُ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَنَا رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضَرٌّْ فَدَعَوْتُهُ كَشَفَهُ عَنْكَ ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامٌ سَنَةٌ فَدَعَوْتُهُ أَنْبَتَهَا لَكَ ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاحٍ ، فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ ، فَدَعَوْتُهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ » قَالَ : قُلْتُ : اعْهَدْ إِلَيَّ . قَالَ : « لَا تُسَبِّنَّ أَحَدًا » قَالَ : فَمَا سَبَبَتْ بَعْدَهُ حُرًّا ، وَلَا عَبْدًا ، وَلَا بَعِيرًا ، وَلَا شَاةً » وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَحَاكَ وَأَنْتَ مُنْسَبِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْرُوفِ . وارفَع إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، فَإِنْ أَيْتَ فإِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ الْمَخِيلَةَ ، وَإِنْ أَمْرٌ شَتَمَكَ وَعَيْرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ ، فَإِنَّهَا وَبِأُلِّ ذَلِكَ عَلَيْهِ » رواه أبو داود والترمذي بإسنادٍ صحيح ، وقال الترمذي : حديثٌ حسن صحيح .

٧٩٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إِزَارَهُ ، قال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ » فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ ، ثُمَّ جَاءَ ، فَقَالَ : « اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ » فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ . مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَ عَنْهُ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ ، إِنْ اللَّهُ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ » . رواه أبو داود بإسنادٍ على شرط مسلم .

٧٩٨- وعن قيس بن بشر التُّغَلْبِيُّ قال : أَخْبَرَنِي أَبِي وَكَانَ جَلِيسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ : كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لَهُ سَهْلُ ابْنِ الحَنْظَلِيَّةِ ، وَكَانَ رَجُلًا مَتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ ، فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ ، فَمَرَّ بِنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، . قَالَ : بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ : لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ التَّقِينَا نَحْنُ وَالْعَدُو ، فَحَمَلَ فُلَانٌ فَطَعَنَ ، فَقَالَ : خُذْهَا مِنِّي . وَأَنَا العُلاَمُ الغِفَارِيُّ ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ ؟ قَالَ : مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ . فَسَمِعَ بِذَلِكَ آخَرَ فَقَالَ : مَا أَرَى بِذَلِكَ بَأْسًا ، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : « سُبْحَانَ اللَّهِ ؟ لَا بَأْسَ أَنْ يُوجَرَ وَيُحْمَدَ » فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سَرَّ بِذَلِكَ ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : أَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،؟ فيقول : نَعَمْ ، فَمَا زَالَ يَعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ لَيْبِرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ . قَالَ : فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، قَالَ : قَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « المُنْفِقُ عَلَى الحَيْلِ كَالْبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا » . ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « نَعَمْ الرَّجُلُ حُرِيمٌ الأَسَدِيِّ ، لَوْ لَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ » فَبَلَغَ ذَلِكَ حُرِيًّا ، فَعَجَلَ فَأَخَذَ شَفْرَةَ فَطَعَّ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ ، وَرَفَعَ إِزَارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ . ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ : كَلِمَةٌ تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : « إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ . فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ » . رواه أبو داود بإسنادٍ

حسن، إِلَّا قَيْسَ بن بشر، فاخْتَلَفُوا في توثيقه وتضعفيه. وقد روى له مسلم .
 ٧٩٩- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ ، وَلَا حَرَجَ أَوْ لَا جُنَاحَ فِيهَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ ، وَمَنْ جَرَّ إِزْرَهُ بَطْرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ » . رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح .
 ٨٠٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْحَاءً . فَقَالَ : « يَا عَبْدَ اللَّهِ ، اِرْفَعْ إِزَارَكَ » فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ : « زِدْ » ، فَرِذْتُ ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ . فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : إِلَى أَيْنَ ؟ فَقَالَ : إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ » . رواه مسلم .
 ٨٠١- وعنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » فقالت أم سلمة : فكيف تصنع النساء بذيولهن قال : « يُرْحِنَ شِبْرًا » . قالت : إذن تنكشفن أقدامهن قال : « فيُرْحِنُهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدُّنَ » رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

الآثار الواردة في عنوان الثياب :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه كان يكره فضول الثياب - يعني ما طال منها - ويقول فضول الثياب في النار. (الإستذكار لابن عبد البر ٢٦ / ١٨٨)
 عن علي قال لعمر: يا أمير المؤمنين إن سرك أن تلحق بصاحبك فاقصر الأمل، وكل دون الشبع، وانكس الإزار، وأرقع القميص، واخصف النعل تلحق بهما. (تاريخ بغداد ٥ / ٢١٦)
 قال عمرو بن قيس: قيل لعلي: يا أمير المؤمنين لم ترقع قميصك؟ قال: يخشع القلب ويقتدي به المؤمن. (حليه الأولياء ١ / ٨٣)

ذكر الإمام ابن كثير رحمه الله عن علي بن أبي طالب أنه كان يقول: (البداية والنهاية ٨ / ١١)

أَجِدُ الثِّيَابَ إِذَا اكْتَسَيْتَ فَإِنَّهَا زين الرجال بها تُعزُّ وتُكرم
 ودع التواضع في الثياب تخشعا فالله يعلم ما تجنُّ وتكتم
 فريثا ثوبك لا يزيدك زُلْفَةً عند الإله وأنت عبد مجرم

وبهاء ثوبك لا يضررك بعد أن تخشى الإله وتتقي ما يحرم

قال ابن عباس : كل ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيله . (البخارى ٥ / ٢١٨٠)
 عن ابن عمر وسأله رجل : ما ألبس من الثياب ؟ قال : ما لا يزيدريك فيه السفهاء ، ولا يعتبك به العلماء ؛
 قال : ما هو ؟ قال : ما بين الخمسة والعشرين درهماً . (حليه الأولياء ١ / ٣٠٢)
 قال مسلم بن يسار : إذا لبست ثوباً فظننت أنك في ذلك الثوب أفضل مما في غيره : فبئس الثوب هو
 لك . (حليه الأولياء ٢ / ٢٩٣)

عن أبي إسحاق قال : رأيت عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن أرقم ، والبراء
 بن عازب ، وابن عمر يتزرون إلى أنصاف سوقهم . (حليه الأولياء ٣ / ٣٤١)
 قال أبي سليمان الداراني : الثياب ثلاثة : ثوب لله ، وثوب لنفسك ، وثوب للناس - وهو شر الثلاثة - ؛ فما
 كان لله : فهو أن تجد بثلاثين ، وتشترى بعشرين ، وتقدم عشرة ؛ وما كان لنفسك ، فهو : أن تريد لينة على
 جسدك ؛ وما كان للناس : فهو أن تريد حسنة ، وقد تجمع في الثوب الواحد : لله ، ولنفسك .
 (حليه الأولياء ٩ / ٢٧٤-٢٧٥)

سئل الامام احمد عن لبسه يعني السراويل ، فقال : هو أستر من الأزرق ولباس القوم كان الأزرق .
 (غذاء الالباب في شرح منظومه الاداب ٢ / ٢٤٠)

قال القرطبي : وقد اشترى تميم الداري حلة بألف درهم كان يصلي فيها ، وكان مالك بن دينار يلبس
 الثياب العدنية الجياد وكان ثوب أحمد بن حنبل يشتري بنحو الدينار . (تفسير القرطبي ٧ / ١٩٦)
 قال القرطبي : إن قال قائل : تجويد اللباس هو النفس وقد أمرنا بمجاهدتها وتزین للخلق وقد أمرنا
 أن تكون أفعالنا لله لا للخلق ! فالجواب : ليس كل ما تهواه النفس يذم وليس كل ما يُتزين به للناس
 يُكره ، وإنما يُنهى عن ذلك إذا كان الشرع قد نهى عنه ، أو على وجه الرياء في باب الدين . فإن الإنسان
 يجب أن يرى جميلاً وذلك حظ للنفس لا يلام فيه ، ولهذا يسرح شعره ، وينظر في المرأة ويسوي عمامته
 ويلبس بطانة الثوب الخشنة إلى داخل ، وظهارته الحسنة إلى خارج ، وليس في شيء من هذا ما يكره ،
 ولا يذم . (تفسير القرطبي ٧ / ١٩٧)

قال القرطبي : في تفسير قوله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (الأعراف ٣٢)
 دلت الآية على لباس الرفيع من الثياب والتجمل بها في الجمع والأعياد وعند لقاء الناس ومزاورة
 الإخوان. (تفسير القرطبي ١٩٦ / ٧)

قال أبو الفرج ابن الجوزي : كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المترفعة ولا الدون ويتخيرون
 أجودها للجمعة والعيد وللقاء الإخوان ، ولم يكن تختار الأجود عندهم قبيحاً. (القرطبي ١٩٧ / ٧)
 قال الحافظ ابن حجر: والذي يجتمع من الأدلة أن من قصد بالملبوس الحسن إظهار نعمة الله عليه
 مستحضرًا لها شاكرًا عليها غير محتقر لمن ليس له مثله : لا يضره ما لبس من المباحات ولو كان في غاية
 النفاسة . (فتح الباري ١٠ / ٢٥٩ - ٢٦٠)

قال ابن تيمية : وتكره الشهرة من الثياب وهو المترفع الخارج عن العادة والمتخفص الخارج عن العادة
 فإن السلف كانوا يكرهون الشهرتين المترفع والمتخفص وفي الحديث من لبس ثوب شهرة ألبسه الله
 ثوب مذلة وخيار الأمور أوساطها. (الفتاوى ٢٢ / ١٣٨)

وقال ايضا : والثوب الذي هو للشهرة : يحرم لبسه وهو الثوب الذي يقصد به الارتفاع عند الناس
 وإظهار الترفع أو التواضع والزهد. (حاشية الروض المربع ١ / ٥٢٩)
 قال ابن تيمية : ومن امتنع عن نوع من الأنواع التي أباحها الله على وجه التقرب بتركها فهو مخطئ
 ضال. (الفتاوى ٢٢ / ١٣٧)

وقال ايضا : وكذلك اللباس : فمن ترك جميل الثياب بخلاً بالمال لم يكن له أجر ومن تركه متعبداً بتحريم
 المباحات كان آثماً ومن تناول ما أباحه الله من الطعام واللباس مظهرًا لنعمة الله مستعيناً على طاعة الله
 كان مثاباً على ذلك. (الفتاوى ٢٢ / ١٣٧)

وقال ايضا : ومن ترك لبس الرفيع من الثياب تواضعاً لله ، لا بخلاً ، ولا التزاماً للترك مطلقاً : فإن الله
 يشبهه على ذلك ، ويكسوه من حلال الكرامة. (مجموع الفتاوى ٢٢ / ١٣٨)

وقال ابن القيم : لبس الدني من الثياب يُذم في موضع ويحمد في موضع فيُذم إذا كان شهرة وخيلاء
 ويُمدح إذا كان تواضعاً واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يُذم إذا كان تكبراً وفخراً وخيلاء ،
 ويُمدح إذا كان تجملاً وإظهاراً لنعمة الله. (زاد المعاد ١ / ١٤٦)

آثار العمليه في حياة السلف :

عن عمر بن الخطاب : أنه كتب إلى جيشه بأذربيجان: إذا قدمتم من غزاتكم إن شاء الله تعالى فالتقوا سراويلات والأقبية، والبسوا الأزر والأردية. (غذاء الالباب في شرح منظومه الاداب ٢ / ٢٤٠)

قال عبد الله : أقبل رجل شاب يثني على عمر رضي الله عنه وقد طعن والناس يثنون عليه فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض فقال : يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك قال عبد الله : يرحم الله عمر لم يمنعه ما كان فيه أنه رأى حقا لله يتكلم فيه . (تاريخ المدينة لابن شبة حديث ١٤٩٣)

عن خرشة أن عمر دعا بشفرة فرفع إزار رجل عن كعبيه ثم قطع ما كان أسفل من ذلك . فكأنى أنظر إلى ذبذبه تسيل على عقبه. (مصنف بن ابى شيبة ٢٤٨٢٩)

الشاب الذي كان عليه حلة صنعانية يجرها سبلا فقال له ابن عمر رضي الله عنه : يا فتى هلم ! قال : ما حاجتك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : ويحك أتحب أن ينظر الله إليك يوم القيامة ؟ قال : سبحان الله ! وما يمنعني أن لا أحب ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من جرَّ ثوبه خيلاءً لم ينظر الله إليه يوم القيامة فلم ير ذلك الشاب إلا مشمرا حتى مات . (رواه أحمد ٢ / ٦٥)

عن أبي سعيد الأزدي وكان إماما من أئمة الأزد؛ قال: رأيت علياً أتى السوق وقال: من عنده قميص صالح بثلاثة دراهم؟ فقال رجل: عندي؛ فجاء به فأعجبه، قال: لعله خير من ذلك؟ قال: لا ذاك ثمناه؛ قال: فرأيت عليا يقرض رباط الدراهم من ثوبه، فأعطاه، فلبسه؛ فإذا هو يفضل عن أطراف أصابعه، فأمر به فقطع ما فضل عن أطراف أصابعه. (حليه الاولياء ١ / ٨٣)

١٢٠ - باب استنباط ترك الترفع في اللباس تواضعا

قد سبق في باب فضل الجوع وخشونة العيش جملٌ تتعلق بهذا الباب

٨٠٢ - وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضِعاً لِلَّهِ ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ ، دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيَّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَّةٍ الْإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار العملية من حياة السلف :

قال قراد أبي نوح: رأى علي شعبة قميصاً فقال: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم قال:

ويحك، أما تتقي الله تلبس قميصاً بثمانية دراهم؟ ألا اشتريت قميصاً بأربعة وتصدقت بأربعة كان خيراً لك قلت: يا أبا بسطام إنا مع قوم نتجمل لهم قال شعبة: إيش نتجمل لهم؟. (السير ٧/٢٠٨)

قال أبي بكر بن عياش: رأيت الأعمش يلبس قميصاً مقلوباً؛ فيقول الناس: مجانين، يلبسون الخشن مقابل جلودهم. (إحياء علوم الدين ٥/٥١)

قال أبي العالية: زارني عبد الكريم أبو أمية وعليه ثياب صوف فقلت: هذا زي الرهبان إن المسلمين إذا تزاوروا تجملوا. (حليه الأولياء ٢/٢١٧)

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس

ولا يتنصر على ما يبري به لغير حاجة ولا يتسود شره

٨٠٣- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عمرو بن الأسود: لا ألبس مشهوراً أبداً، ولا أملاً جوفي من طعام بالنهار أبداً حتى ألقاه. (حليه الأولياء ٥/١٥٦)

قال الشعبي: البس من الثياب: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا يعيبك عليه العلماء. (الحليه ٤/٣١٨)

الآثار العملية في حياة السلف:

عن مطرف قال: سمعت مالك بن أنس يقول: قلت لأمي أذهب فأكتب العلم فقالت لي أمي تعال فلبس ثياب العلماء ثم اذهب فأكتب قال فأخذتني ثياباً مشمرة ووضعت الطويلة على رأسي وعممتي فوقها ثم قالت: اذهب الآن فأكتب. (المحدث الفاصل للرامهرمزي ص ٢٠١)

قال أبي معمر: قال لي أبي كنت عند مسعر بن كدام فرأى رجلاً نبيلاً عليه ثياب خيار فقال له مسعر: أنت من أصحاب الحديث؟ قال: نعم قال: لو كنت من أصحاب الحديث كنت مقنعاً وكانت نعلك مخصوفة. (المحدث الفاصل للرامهرمزي ٢٠١)

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير على الرجال**وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء**

٨٠٤- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تلبسوا الحرير ، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . » متفق عليه .

٨٠٥- وعنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنما يلبس الحرير من لا خلاق له » متفق عليه . وفي رواية للبخاري : « من لا خلاق له في الآخرة » .
قوله : « من لا خلاق له » ، أي : لا نصيب له .

٨٠٦- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » متفق عليه .

٨٠٧- وعن علي رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حريراً ، فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » . رواه أبو داود بإسناد حسن

٨٠٨- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأحلّ لإناثهم » . رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

٨٠٩- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : مهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه . رواه البخاري .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال قزعة : رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة أو جشبة ، فقلت له : إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان وتقر عينايا أن أراه عليك قال : أرنيه ، فلمسه وقال : أحرير هذا ؟ قلت : لا إنه من قطن قال : إني أخاف أن ألبسه أخاف أكون مختالاً فخوراً والله لا يجب كل مختال فخور . (حليه الأولياء ١ / ٣٠٢)

قال ابن عباس : أنما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الثوب المصمت من الحرير فأما العلم من

الحرير وسدى الثوب فلا بأس به. (سنن أبو داود ٤ / ٥٠ رقم ٤٠٥٥)
وعن أنس بن مالك أنه رأى على أم كلثوم بنت النبي صلى الله عليه وسلم برد حلة سبراء .
(سنن ابن ماجه ٥٢٩٧)

قال ابن محيريز: لأن يكون في جلدي برص، أحب إلي من أن ألبس ثوب حرير. (الحليه ٥ / ١٣٩)
قال النووي : وأما لبس الحرير والإستبرق والديباج والقسي (هو نوع من الحرير) فكله حرام على الرجال سواء لبسه للخيلاء أو غيرها إلا أن يلبسه للحكة ، فيجوز في السفر والحضر . وأما النساء فيباح لهن لبس الحرير وجميع أنواعه ، وخواتيم الذهب وسائر الحلي منه. (شرح النووي على مسلم ١٤ / ٣٢)
اتفق الفقهاء على جواز افتراش النساء للحرير . أما بالنسبة للرجال فذهب جمهور المالكية والشافعية والحنابلة الى تحريمه. (الموسوعه الفقيهيه ٥ / ٢٧٨)

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

٨١٠- عن أنس رضي الله عنه قال : رَخَصَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلزَّبِيرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما في لبس الحرير لحكة بهما . متفق عليه .
وفي رواية : أنهما شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القمل ، فرخص لهما في قمص الحرير في غزاة لهما .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الشافعي وموافقيه: أنه يجوز لبس الحرير للرجل إذا كانت به حكة لما فيه من البرودة ، وكذلك للقمل ، وما في معنى ذلك وقال مالك : لا يجوز ، وهذا الحديث حجة عليه. (شرح النووي على مسلم ١٤ / ٥٣)

١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمرور والركوب عليها

٨١١- عن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْكَبُوا الْحَزْرَ وَلَا النَّمَارَ» . حديث حسن ، رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن .

٨١٢- وعن أبي المليح عن أبيه ، رضي الله عنه ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ جُلُودِ السَّبَاعِ. رواه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي بأسانيد صحاح . وفي رواية الترمذي : نَهَى عَنْ

جُلُودُ السَّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ.

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال الإمام الشوكاني : يكره اتخاذ جلود النمر واستصحابها في السفر وإدخالها البيوت لأن مفارقة الملائكة للرفقة التي فيها جلد نمر تدل على أنها لا تجامع جماعة أو منزلاً وجد فيه ذلك ولا يكون إلا لعدم جواز استعمالها كما ورد (أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تصاوير) وجعل ذلك من أدلة تحريم التصاوير وجعلها في البيوت. (نيل الأوطار شرح منتقى الاخبار ١ / ٧١)

١٢٥- باب ما يقول إذا لبس ثوباً جديداً أو نعلًا أو نهود

٨١٣- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ عِمَامَةً ، أَوْ قَمِيصًا ، أَوْ رِدَاءً يَقُولُ : « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ ». رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن أبي مطر أنه رأى علياً رضي الله عنه أتى غلاماً حدثاً فاشترى منه قميصاً بثلاثة دراهم ولبسه ما بين الرسغين إلى الكعبين، يقول حين لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي، فقيل هذا شيء ترويه عن نفسك أو عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: هذا شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند الكسوة: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس وأواري به عورتي. (مسند الإمام أحمد ١ / ١٥٧-١٥٨)

قال الإمام أحمد: لبس أبو أمامة ثوباً جديداً، فلما بلغ ترقوته، قال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي ثم قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من استجد ثوباً فلبسه، فقال حين يبلغ ترقوته: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الخلق فتصدق به كان في ذمة الله، وفي جوار الله، وفي كنف الله

حيًا وميتًا. (الترمذي في الدعوات باب ١٠٧- وابن ماجة في اللباس باب ٢)
عن أبي نضرة قال : كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا رأوا على أحدهم الثوب الجديد قالوا :
تُبلي ويخلف الله عليك. (مصنف ابن أبي شيبة ٢٩٧٥٨)

روي عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب: شيخ مالك رضي الله عنهم أنه كان يلبس كساء خز
بخمسين ديناراً، يلبسه في الشتاء فإذا كان في الصيف تصدق به أو باعه فتصدق بثمنه وكان يلبس في
الصيف ثوبين من متاع مصر ممشقين ويقول : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ
الرِّزْقِ) (الأعراف ٣٢) . (تفسير القرطبي ١٧٦ / ٧)

قال ابن القيم : إن هديه صلى الله عليه وسلم في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة
والقطن تارة والكتان تارة. (زاد المعاد لابن القيم / ١ / ١٤٣)

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هذا الباب قد تقدم مقصوده وذكرنا الأحاديث الصحيحة فيه .

(انظر الباب التاسع والتسعون في استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قالت عائشة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في كل شيء حتى في الترجل والانتعال .

(البخارى ١ / ١٦٥ (٤١٦) ومسلم ٢٦٨٨)

كتاب آداب النوم

١٢٧- باب آداب النوم والاضطجاع

والقعود والجلوس والبطيس والرؤيا

٨١٤- عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَوَى إِلَى
فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ ،
وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا
إِلَيْكَ ، أَمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » .

رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه .

٨١٥- وعنه قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ ، وَقُلْ .. » وَذَكَرَ نَحْوَهُ ، وَفِيهِ : « وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ » متفق عليه .

٨١٦- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ، فَإِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ الْمُؤَذِّنُ فَيُؤَذِّنُهُ ، متفق عليه .

٨١٧- وعن حذيفة رضي الله عنه قال : كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَ أَحْيَا » وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » . رواه البخاري .

٨١٨- وعن يعيش بن طخفة الغفاري رضي الله عنهما قال : قال أبي « بينما أنا مضطجع في المسجد على بطني إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ فَقَالَ « إِنَّ هَذِهِ ضُجْعَةٌ يُبَغِضُهَا اللهُ » قَالَ : فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٨١٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهُ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى تِرَةٌ ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مُضْطَجِعًا لَا يَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ » رواه أبو داود بإسناد حسن . « الترة » بكسر التاء .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال داود لابنه سليمان عليها السلام: إياك وكثرة النوم، فإنه يفرك إذا احتاج الناس إلى أعمالهم.

(بهجة المجالس ١/ ١٩١)

قال لقمان لابنه: يا بني! إياك وكثرة النوم والكسل والضجر، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت

لم تصبر على حق. (بهجة المجالس ١/ ١٩١)

كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بعض عماله: بلغني أنك لا تقيل وإن الشياطين لا تقيل .

(بهجة المجالس ١/ ١٩١)

قال علي رضي الله عنه: من الجهل النوم في أول النهار من غير سهر، والضحك من غير عجب والقائلة تزيد في العقل. (بهجة المجالس ١/ ١٩١)

قال عبد الله بن مسعود: النوم عند الموعدة من الشيطان. (بهجة المجالس ١/ ١٩١)
قال عبد الله بن عمرو بن العاص: النوم على ثلاثة أوجه نوم خرق ونوم خلق ونوم حمق. فأما النوم الخرق فنومة الضحى يقضى الناس حوائجهم وهو نائم وأما نوم الخلق فنوم القائلة نصف النهار، وأما نوم الحمق، فالنوم حين تحضر الصلوات. (بهجة المجالس ١/ ١٩١)

قال سفيان الثوري: كل ما شئت، ولا تشرب؛ فإنك إذا لم تشرب: لم يخبك النوم. (الحليه ٧/ ١٨)
قال يحيى بن بيان: رأيت سفيان يخرج، يدور بالليل، وينضح في عينيه الماء؛ حتى يذهب عنه النعاس. (حليه الأولياء ٧/ ٥٩)

قال اويس القرني: يا عجباً ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته!! كيف ينام من هو بينهما ينظر اليهما. (تاريخ دمشق ٣/ ١٧٤)

قال ابراهيم بن ادهم: اذا كنت بالليل نائماً وبالنهار هائماً وفي المعاصي دائماً فكيف ترضى من من هو بأمرورك قائماً!!! (حليه الأولياء ٨/ ١١)

قال ابن شهاب: العمائم تيجان العرب والحبوة حيطان العرب والاضطجاع في المسجد رباط المؤمنين. (سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٤٣)

قال أبي الاحوص: آلى محمد بن النضر على نفسه أن لا ينام إلا ما غلبته عينه. (السير ٨/ ١٧٦)

قال ثابت البناني: اذا نمت ثم استيقظت ثم ذهبت اعود الى النوم فلا انا انام الله عيني اذن!! (حليه الأولياء ٢/ ٣٢٠)

قال محمد بن النضر الحارثي: اكرة ان اعطى عيني في الدنيا سؤلها من النوم. (الحليه ٨/ ٢١٩)

قال عبدالعزيز بن سلمان الراسبي: ما للعابدين وما للنوم!! لانوم والله في دار الدنيا الا نوم غالب. (حليه الأولياء ٦/ ٢٤٥)

كان العبد الصالح عبد الواحد بن يزيد: يبكى ويقول فرق النوم بين المصلين وبين لذتهم في الصلاة. (حليه الأولياء ٦/ ١٥٥)

قال يحيى بن معاذ الرازى: الليل طويل فلا تقصره بمنامك والاسلام نقى فلا تدنسه بأثامك .
(لطائف المعارف /١ /٣٢٧)

قال سليمان بنطرخان: إن العين إذا عودتها النوم اعتادت وإذا عودتها السهر اعتادت. (الحليه ٢٩ /٣)
قال هشام الدستوائي: إن لله عبادا يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم. (التهجد لابن ابي الدنيا رقم ٥٩)
قال علي بن الجهم يهجو قوما: (بهجه المجالس /١ /١٩١)
أكثر ما يعرفه القوم الأكل والراحة والنوم.

الآثار العملية من حياة السلف:

قال صالح المري: قال لي زياد النميري منذ زمن طويل قال: أتاني آت في منامي، فقال: قم يا زياد إلى عادتك من التهجد، وحظك من قيام الليل، فهي والله خير لك من نومة، توهن بدنك، ويتكسر لها قلبك؛ فاستيقظت فرعاً، ثم غلبني والله النوم؛ فأتاني ذلك، أو غيره، فقال: قم يا زياد، فلا خير في الدنيا إلا للعابدين؛ قال: فوثبت فرعاً. (حليه الأولياء ٦ /٢٦٧)

قال إسحاق بن إبراهيم: كنا في مجلس الثوري وهو يسأل رجلاً رجلاً، عما يصنع في ليله، فيخبره؛ حتى دار القوم، فقالوا: يا أبا عبد الله، قد سألتنا فأخبرناك؛ فأخبرنا أنت: كيف تصنع في ليلك؟ فقال: لها عندي أول نومة: تنام ما شئت لا أمنعها فإذا استيقظت فلا أقبلها والله. (حليه الأولياء ٧ /٦٠)

عن ضمرة بن ربيعة قال: حججنا مع الازاعي سنة خمسين ومئة، فما رأيته مضطجعاً في المحمل في ليل ولا نهار قط، كان يصلي، فإذا غلبه النوم، استند إلى القتب. (سير أعلام النبلاء ٧ /١١٩)

قال الحسن بن صالح: إني أستحي من الله تعالى أن أنام تكلفاً (أي اضطجع على الفراش وليس بي نوم) حتى يكون النوم هو الذي يصير عني (أي هو الذي يغلبني) فإذا أنا نمت ثم استيقظت ثم عدت نائماً فلا أرقد الله عيني. (حليه الأولياء ٧ /٣٢٨)

مر أحمد بن حرب بصبيان يلعبون فقال أحدهم: أمسكوا فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل، فقبض على لحيته، وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحیی الليل بعد ذلك حتى مات.

(سير أعلام النبلاء ١١ /٣٣)

كان العبد الصالح همام بن الحارث النخعي يدعو ويقول: اللهم اشفني من النوم باليسير وارزقني سهراً في طاعتك!! فكان لا ينام الا هنيهة وهو قاعد!! (حليه الأولياء ٤ /١٧٨)

قال ابو الفضل عبد العزيز بن المهدي: كان عطيه بن سعيد بن عبد الله زاهدا لا يضع جنبه إلى الارض
إنها ينام محتبيا. (سير أعلام النبلاء ١٧ / ٤١٢)

قال أبو خالد وبلغني أن دواد الطائي كان لا ينام الليل إذا غلبته عيناه احتبى قاعدا. (تاريخ بغداد ٨ / ٣٥١)
قال قاضي القضاة بدر الدين - تلميذ الإمام النووي - أنه سأله عن نومه فقال : إذا غلبني النوم
استندت الكتب لحظة وانتبه. (قيمة الزمن ص ١٢٩)

قال ابواسحاق السبيعي : ما اقلت عيني غمضا منذ اربعين سنة !! اذا استيقظت لم اقلها .
(تذكرة الحفاظ / ١١٥)

١٢٨- باب جواز الاستلقاء على الفبا ووضع إحدى

الرجلين على الأخرى إذا لم يخلب انكشاف العورة وجواز القعود متريبا ومحتبيا
٨٢٠- عن عبد الله بن يزيد رضي الله عنه أنه رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَلْقِيَا فِي
الْمَسْجِدِ وَاضِعَا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى متفق عليه .

٨٢١- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : « كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا صَلَّى الْفَجْرَ
تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسَنَاءَ » حديث صحيح ، رواه أبو داود وغيره بأسانيد
صحيحة.

٨٢٢- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفناء الكعبة
مُحْتَبِيَا بِيَدَيْهِ هَكَذَا ، وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الْاِحْتِبَاءَ ، وَهُوَ الْقُرْفُصَاءُ رواه البخاري.

٨٢٣- وعن قَيْلَةَ بِنْتِ مَخْرَمَةَ رضي الله عنها قالت : رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قَاعِدٌ
الْقُرْفُصَاءَ فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُتَخَشِّعَ فِي الْجُلُوسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الْفَرَقِ . رواه
أبو داود ، والترمذي.

٨٢٤- وعن الشَّريِدِ بنِ سُوَيْدٍ رضي الله عنه قال : مر بي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا
جالس هكذا ، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِي الْيُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي وَأَتَكَأْتُ عَلَى إِلَيْهِ يَدِي فَقَالَ : أَنْقَعْدُ قَعْدَةَ
الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ ، رواه أبو داود بإسناد صحيح .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أن عمر وعثمان رضي الله عنهما كانا يفعلان ذلك .
(الأداب الشرعية ١٠٢ / ٤)

قال المروزي : سألت أبا عبد الله عن الرجل يستلقي على قفاه ويضع إحدى رجله على الأخرى
قال: ليس به بأس قدروى. (الأداب الشرعية ١٠٢ / ٤)

قال ابن الجوزي : لا بأس به إذا كان له سراويل. (الأداب الشرعية ١٠٢ / ٤)

قال ابن القيم: وأنفع النوم: أن ينام على الشق الأيمن؛ ليستقر الطعام بهذه الهيئة في المعدة استقراراً
حسناً؛ فإن المعدة أميل إلى الجانب الأيسر قليلاً، ثم يتحول إلى الشق الأيسر قليلاً ليسرع الهضم بذلك
لاستمالة المعدة على الكبد، ثم يستقر نومه على الجانب الأيمن ليكون الغذاء أسرع انحداراً عن المعدة،
فيكون النوم على الجانب الأيمن بدءاً نومه ونهايته، وكثرة النوم على الجانب الأيسر مضر بالقلب بسبب
ميل الأعضاء إليه فتصب إليه المواد. وأردأ النوم النوم على الظهر، ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من
غير نوم، وأردأ منه أن ينام منبطحاً على وجهه. (زاد المعاد ٢٢٠-٢٢١ / ٤)

وقال ابن القيم: من تدبر نومه ويقظته صلى الله عليه وسلم وجده أعدل نوم وأنفعه للبدن والأعضاء
والقوى فإنه كان ينام أول الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني فيقوم ويستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب
الله له فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظها من النوم والراحة وحظها من الرياضة مع وفور الأجر
وهذا غاية صلاح القلب والبدن والدنيا والآخرة ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه ولا
يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه وكان يفعله على أكمل الوجوه فينام إذا دعت الحاجة إلى النوم على
شقه الأيمن ذكرا الله حتى تغلبه عيناه غير ممتلئ البدن من الطعام والشراب ولا مباشر بجنبه الأرض
ولا متخذ للفرش المرتفعة بل له ضجاع من آدم حشوه ليف وكان يضطجع على الوسادة ويضع يده
تحت خده أحياناً. (زاد المعاد ٤ / ٢١٩)

١٢٩- باب في آداب المجلس والجلوس

٨٢٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ
رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا » وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ

مجلسه لم يجلس فيه . متفق عليه .

٨٢٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ » رواه مسلم .

٨٢٧- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال : « كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي » . رواه أبو داود . والترمذي وقال : حديث حسن .

٨٢٨- وعن أبي عبد الله سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طَهْرٍ وَيَدَّهْنُ مِنْ دُهْنِهِ أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبٍ بَيْنَهُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ ثُمَّ يُصَلِّي مَا كَتَبَ لَهُ ثُمَّ يَنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الْأُخْرَى » رواه البخاري

٨٢٩- وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « لَا يَجْلُ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » رواه أبو داود، والترمذي وقال : حديث حسن . وفي رواية لأبي داود : « لَا يَجْلِسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا » .

٨٣٠- وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ . رواه أبو داود بإسناد حسن .

وروى الترمذي عن أبي مجلز أن رجلاً قعد وسط حلقة فقال حذيفة : مُلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الْحَلْقَةِ . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

٨٣١- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول « خَيْرُ الْمَجَالِسِ أَوْسَعُهَا » رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري .

٨٣٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ : إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ » رواه الترمذي وقال :

حديث حسن صحيح

٨٣٣- وعن أبي بَرزَةَ رضي الله عنه قال : كان رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ بآخرة إذا أراد أن يقومَ مِنَ الْمَجْلِسِ « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ » فقال رَجُلٌ يارسول الله إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى ؟ قال : « ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي الْمَجْلِسِ » رواه أبو داود ، ورواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرک من رواية عائشة رضي الله عنها وقال : صحيح الإسناد.

٨٣٤- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قلَّما كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقوم من مجلس حتى يدعوه هؤلاء الدَّعَوَاتِ « اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تَبْلُغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تَهْوُونَ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا . اللَّهُمَّ مَتَّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا ، وَأَبْصَارِنَا ، وَقُوتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا ، وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَارَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا ، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٨٣٥- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيْفَةِ حِمَارٍ وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٨٣٦- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ ، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ » رواه الترمذي وقال حديث حسن .

٨٣٧- وعنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ ، وَمَنْ اضْطَجَعَ مُضْطَجِعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ تِرَةٌ » رواه أبو داود . وقد سبق قريبا ، وشرحنَا « الترة » فيه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن عبيد بن عمير قال: قال لقمان لابنه: يا بني، اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يذكر الله فيه: ما جلس معهم فإنك إن كنت عالماً: ينفعك علمك، وإن كنت غيباً: يعلمونك، وإن يطلع الله عز وجل: برحمة تصبك معهم يا بني: تباعد، لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر الله عز وجل فيه فإنك إن كنت عالماً: لا ينفعك علمك وإن تك غيباً: يزيدوك غباء وإن يطلع الله عز وجل إليكم بعد ذلك بسخط يصبك معهم ولا تغبطن امرأ رحب الذراعين يسفك دماء المؤمنين؛ فإن له عند الله عز وجل قاتلاً لا يموت. (حليه الأولياء ٩ / ٥٥)

وكان مما أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان حين أمّره: ولا تجالس العبائين وجالس أهل الصدق والوفاء. (الكامل في التاريخ لابن الاثير ٢ / ٦٥)

قال عمر بن الخطاب: لولا ثلاث: لولا أن أسير في سبيل الله أو يُعبر جبیني في السجود أو أقاعد قومًا ينتقون طيب الكلام كما يُنتقى طيب الثمر لأحببت أن أكون قد لحقت بالله تعالى. (الجهاد لابن المبارك ٢٢٢)

قال أبي الدرداء: لولا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوماً واحداً الظمأ لله بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة قوم ينتقون من خيار الكلام كما يُنتقى أطيب الثمر. (الزهد لابن المبارك ٢٧٧)

عن عون بن عبد الله قال: كنا نأتي أم الدرداء، فنذكر الله عندها قال: فاتكأت ذات يوم، فقيل لها: لعلنا أن نكون قد أمللناك يا أم الدرداء؟ فجلست، فقالت: أزعمتم أنكم قد أمللتموني؟ قد طلبت العبادة بكل شيء، فما وجدت شيئاً أشفى لصدري، ولا أخرى أن أدرك ما أريد: من مجالسة أهل الذكر. (حليه الأولياء ٤ / ٢٤١)

سئل ابن عباس: من أكرم الناس عليك؟ قال: جليسي حتى يفارقني. (بهجه المجالس ٣ / ١)

قال عمرو بن العاص: لا أملُّ جليسي ما فهم عني، وإنما الملل لدناءة الرجال. قال: الشعبي في قوم ذكرهم: ما رأيت مثلهم أشدّ تنازلاً في مجلس، ولا أحسن فهماً من محدّث. (بهجه المجالس ٣ / ١)

عن مالك بن أنس قال: كان نافع يجالس زياد بن أبي زياد، فمات زياد، فكان نافع يمر بنا، فنقول: ألا نوسع لك رحمك الله؟ قال: فيأبى، ويقول: اتقوا هذه المجالس. (حليه الأولياء ٩ / ٢٧٩)

وكان يقول: جالسوا الله كثيراً، وجالسوا الناس قليلاً. (حليه الأولياء ١٠ / ٣٨٢)

وكان يقول: مجالسة الأضداد: ذوبان الروح ومجالسة الأشكال: تلقيح للعقول وليس كل من يصلح

للمجالسة يصلح للمؤانسة وليس كل من يصلح للمؤانسة: يؤمن على الأسرار ولا يؤمن على الأسرار:
إلا الأمناء فقط. (حليه الأولياء رقم ١٥٩٥٣)

قال معاوية بن قرة: مكتوب في الحكمة لا تجالس بحلمك السفهاء ولا تجالس بسفهك العلماء.
(حليه الأولياء ٣٠١ / ٢)

عن مبارك أبو حماد قال: سمعت سفيان الثوري يقول لعلي ابن الحسن السليمي: إياك وما يفسد عليك
عملك وقلبك فإنما يفسد عليك قلبك: مجالسة أهل الدنيا، وأهل الحرص وإخوان الشياطين: الذين
ينفقون أموالهم في غير طاعة الله وإياك وما يفسد عليك دينك، فإنما يفسد عليك دينك: مجالسة ذوي
الأسن المكثرين للكلام وإياك وما يفسد عليك معيشتك فإنما يفسد عليك معيشتك: أهل الحرص
وأهل الشهوات. وإياك ومجالسة أهل الجفاء ولا تصحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي؛ ولا
تصحب الفاجر ولا تجالسه ولا تجالس من يجالسه ولا تؤاكله ولا تؤاكل من يؤاكله ولا تحب من يحبه
ولا تفش إليه شرك ولا تبسم في وجهه ولا توسع له في مجلسك فإن فعلت شيئاً من ذلك: فقد قطعت
عري الإسلام. (حليه الأولياء ٤٧ / ٧)

محمد بن علي في حديث الثوري: وما رأيت الثوري في صدر مجلس قط، إنما كان يقعد إلى جنب الحائط،
ويجمع بين ركبتيه. (حليه الأولياء ٣٧٨ / ٦)

عن الفضيل بن عياض قال: كان يقال: كن شاهداً لغائب، ولا تكن غائباً لشاهد؛ قال: كأنه يقول إذا
كنت في جماعة الناس: فأخف شخصك، وأحضر قلبك وسمعتك، وع ما تسمع، فهذا شاهد لغائب؛
ولا تكن غائباً لشاهد؛ قال: كأنه يقول: تحضر المجالس: بيديك وسمعتك وقلبك لامسها.

(حليه الأولياء ٨٧-٨٨ / ٨)

عن عبيد الله بن محمد الكرمانى: دخلت على محمد بن النضر الحارثي فقلت له: كأنك تكره مجالسة
الناس؟ قال: أجل قلت له: أما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من
ذكرني؟. (حليه الأولياء ٢١٧ / ٨)

عن عطاء بن أبي رباح قال: من جلس مجلس ذكر: كفر الله عنه بذلك المجلس: عشرة مجالس من مجالس
الباطل. قال أبو هزان: قلت لعطاء: ما مجلس الذكر؟ قال: مجلس الحلال، والحرام، وكيف تصلي،

وكيف تصوم، وكيف تنكح، وكيف تطلق، وتبيع، وتشتري (حليه الأولياء ٣/٣١٣)

عن عمرو بن دينار قال: الأواب: الحفيظ، الذي لا يقوم من مجلس له، إلا استغفر الله عز وجل؛ يقول: اللهم، اغفر لنا ما أصبنا في مجلسنا، سبحان الله وبحمده. (حليه الأولياء ٣/٣٤٩)

قال وهيب بن الورد: ما اجتمع قوم في مجلس أو ملاء: إلا كان أولاهم بالله: الذي يفتتح بذكر الله، حتى يفيضوا في ذكره؛ وما اجتمع قوم في مجلس أو ملاء، إلا كان أبعدهم من الله: الذي يفتتح بالشر، حتى يخوضوا فيه. (حليه الأولياء ٨/١٥٣-١٥٤)

قال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث خصال: إذا دنا رحبتُ به وإذا جلس وسَّعتُ له وإذا حدَّثتُ أقبلتُ عليه فقام عنهم. (بهجه المجالس وانس المجالس ١/٣)

عن ابن السماك قال: كلمت داود الطائي، قلت: لو جالست الناس؛ قال: إنما أنت بين اثنين: بين صغير لا يوقرك، وبين كبير يحصى عليك عيوبك. (حليه الأولياء ٧/٣٤٤)

قال قتادة: كان يقال المجالس ثلاثة غانم، وسالم، وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم: الساكت والشاجب الذي يخوض في الباطل. (شعب الإيوان للبيهقي ٢٢/٢٢٦)

قال أبي جميلة: كان ابن أبي زكريا لا يذكر في مجلسه أحد يقول: إن ذكرتكم الله: أعناكم، وإن ذكرتكم الناس: تركناكم. (حليه الأولياء ٥/١٤٩)

قال عبد الواحد بن زيد: جالسوا أهل الدين فإن لم تجدوهم: فجالسوا أهل المروءات فإنهم لا يرفثون في مجالسهم. (حليه الأولياء ٦/١٦٠)

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه أو من أحسن ما عنده من حديثه. (حليه الأولياء ٤/٢٢٩)

سفيان بن عيينة قال: الأواب: الحفيظ الذي لا يقوم من مجلسه حتى يستغفر الله عز وجل ويتوب. (حليه الأولياء ٧/٢٧٩)

قال حسان بن عطية: ما جلس قوم مجلس لغو، فختموا بالاستغفار: إلا كتب مجلسهم ذلك استغفاراً كله. (حليه الأولياء ٦/٧٣)

حبيب بن أبي ثابت قال: كانوا يجوبون إذا حدث الرجل أن لا يقبل على الرجل الواحد ولكن ليعمهم

بنظره. (الأدب المفرد ٣٠ / ٢)

قال علي بن الحسين: ما جلس إليّ أحد قط، إلا عرفت له فضله حتى يقوم. (بهجه المجالس ٣ / ١)

عن شبيل بن عوف قال: ما جلست في مجلس قط: إلا انتظار جنازة، أو لحاجة. (الحليه ٤ / ١٦٠)

عن مساور الوراق يقول: إنما تطيب المجالس: بخفة الجلساء. (حليه الأولياء ٧ / ٢٨٩)

قال الزهرى: اذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب. (حليه الأولياء ٣ / ٣٦٦)

قال الشافعي :

إذا لم أجد خلاً تقياً فوحدتي ألدّ وأشهى من غوى أعاشره

وأجلس وحدي للعبادة آمناً أقر لعيني من جلس أحاذره

الآثار العملية في حياة المسلم :

دخل أبو مسلم الخولاني ذات يوم المسجد ، فنظر إلى نفر قد اجتمعوا ، فرجأ أن يكونوا على ذكرٍ خيرٍ ،

فجلس إليهم ؛ فإذا بعضهم يقول : قدم غلامي ، فأصاب كذا وكذا ، وقال آخر : جهزت غلامي ؛ فنظر

إليهم فقال : سبحان الله ! أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟ كرجل أصابه مطرٌ غزيرٌ وابلٌ ، فالتفت فإذا هو

بمصراعين عظيمين فقال : لو دخلت هذا البيت حتى يذهب عني هذا المطر ، فدخل فإذا البيت لا

سقف له جلست إليكم وأنا أرجو أن تكونوا على ذكرٍ وخيرٍ ، فإذا أنتم أصحاب الدنيا .

قال ابن عباس: أكرم الناس عليّ جليسي. (حليه الأولياء ٢ / ١٢٣)

كان رجل من ولد عبد الله بن مسعود يجلس في مجلس ابن السماك، فكان يطيل السكوت؛ فقال له ابن

السماك ذات يوم: يا فتى ألا تخوض فيما يخوض فيه القوم من الحديث؟ فقال: إنما قعدت لأسمع،

وأنصت لأفهم؛ وما كان من الحديث لغير الله: فعاقبته الندم؛ فقال: خرجت والله من معدن.

(حليه الأولياء ٨ / ٢٠٩)

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: قيل لابن المبارك: إذا صليت معنا، لم لا تجلس معنا؟ قال أذهب مع

الصحابة والتابعين قلنا له: ومن أين الصحابة والتابعون؟ قال: أذهب أنظر في علمي فأدرك آثارهم

وأعمالهم فما أصنع معكم، أنتم تغتابون الناس؟ فإذا كان سنة ثمانين: فالبعد من كثير من الناس أقرب إلى

الله وفر من الناس كفرارك من الأسد وتمسك بدينك يسلم لك مجهودك. (الحليه ٨ / ١٦٤ - ١٦٥)

عن معن قال: كان عون بن عبد الله أحياناً يلبس الخبز، وأحياناً يلبس الصوف، والبت - البت: كساء

غليظ مربع ونحوه؛ قال: فقيل له في ذلك فقال: ألبس الخنز: لثلا يستحي ذو الهيئة أن يجلس إلي؛ وألبس

الصوف: لثلا يهابني ضعفاء الناس أن يجلسوا إلي. (حليه الأولياء ٤/ ٢٤٦)

أبو عبد الملك: كنا جلوساً عند حبيب بن أبي ثابت ومعنا الربيع بن أبي راشد والربيع محتب فجاء رجل فتكلم بكلام من كلام الناس فحل الربيع حبوته وانتعل ثم قام فخرج فقال حبيب للرجل: ما صنعت؟

أفسدت علينا مجلسنا. (حليه الأولياء ٥/ ٧٧)

١٣٠ - باب الرؤيا وما يتعلق بها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: « وَمَنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ » [الروم: ٢٣].

٨٣٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « لم يَبْقَ مِنَ النَّبُوءَةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَاتُ » قالوا: وَمَا الْمُبَشِّرَاتُ؟ قال: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ » رواه البخاري.

٨٣٩- وعنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذُوبٌ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ » متفق عليه. وفي رواية: « أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا: أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا ».

٨٤٠- وعنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « مَنْ رَأَى فِي الْمَنَامِ فَسِيرَانِي فِي الْيَقَظَةِ أَوْ كَأَنَّهَا رَأَى فِي الْيَقَظَةِ لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِهَا ». متفق عليه.

٨٤١- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا يُحِبُّهَا فَإِنَّهَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى فَلْيَحْمَدِ اللهُ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بِهَا فِي رِوَايَةٍ: فَلَا يُحَدِّثُ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ فَإِنَّهَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ سَرِّهَا وَلَا يَذْكُرْهَا لِأَحَدٍ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » متفق عليه.

٨٤٢- وعن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي رِوَايَةِ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةِ مِنَ اللهِ، وَالْحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ » متفق عليه. « النَّفْثُ » نَفْحٌ لَطِيفٌ لَارِيقٌ مَعَهُ.

٨٤٣- وعن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ

الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثاً ، وليتحول عن جنبه الذي كان عليه « رواه مسلم .

٨٤٤- وعن أبي الأسقع واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن من أعظم الفرى أن يدعى الرجل إلى غير أبيه ، أو يُرى عينه ما لم تر ، أو يقول على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لم يقل » رواه البخاري .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

قال مجاهد : ومن آياته منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار . التجارة . (المواردى ٣٠٧ / ٤)

ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله . أي : منامكم بالليل وابتغائكم من فضله بالنهار أي : تصرفكم في طلب المعيشة . (تفسير البغوى)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

كان الرجل إذا سأل ابن سيرين عن الرؤيا؛ قال له: اتق الله في اليقظة، لا يضرك ما رأيت في المنام.
(حلية الأولياء ٢ / ٢٧٣)

قال ابن سيرين: من رأى ربه تعالى في المنام، دخل الجنة. (حلية الأولياء ٢ / ٢٧٦)

قال ابن القيم الرؤيا على ثلاثة أنواع هي:

١ - رؤيا رحمانية وهي الرؤيا التي من الله وهي من أسباب هداية العبد إلى الحق ومنها رؤيا الأنبياء وهي وحي معصوم من الشيطان.

٢ - رؤيا نفسانية وهي أضغاث الأحلام.

٣ - رؤيا شيطانية وهي التي تكون من الشيطان. أما الرؤيا الصادقة فهي لا تكون إلا موافقة للوحي لا سيما إذا تواطأت وتكون إما منبهة على ما يوافق الوحي أو منبهة على اندراج قضية خاصة في حكمة لم يعرف الرائي اندراجها فيه فينبه على ذلك بالرؤيا ومما يعين على صدق الرؤيا تحري الصدق، وأكل الحلال، والمحافظة على الأمر والنهي، والنوم على طهارة، ومستقبل القبلة، وذكر الله حتى تغلبه عيناه فإن الرؤيا والحالة هذه لا تكاد أن تكذب. (مدارج السالكين ٢ / ٥١ - ٥٢)

الآثار العملية في حياة المسلم :

قال ابن عمر: كنت غلاماً شاباً عزباً، وكنت أنام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الرجل في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى الرؤيا، قصها عليه؛ قال: فتمنيت أن أرى رؤيا أقصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فرأيت في النوم، كأن ملكين أخذاني، فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا للنار شيء كقرن البئر - يعني: قرنين كقرن البئر وإذا فيها ناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعود بالله من النار، أعود بالله من النار فلقبيها ملك آخر، فقال لي: لن ترع؛ فقصبتها على حفصة، فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل؛ قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك: لا ينام من الليل إلا قليلاً. (حليه الأولياء ٢/٣٠٠)

قال محمد بن فضالة: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: زوروا ابن عون، فإن الله يجبه أو أنه يجبه الله ورسوله. (حليه الأولياء ٣/٣٩)

قال يزيد بن أبي حكيم: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؛ فقلت: يا رسول الله، رجل من أمتك، يقال له: سفيان الثوري، لا بأس به؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم، لا بأس به؛ فقلت له: إنه حدثنا عنك: أنك رأيت يوسف النبي عليه السلام، في السماء حين أسري بك؛ فقال: صدق. (حليه الأولياء ٦/٣٨٣)

عن قبيصة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم، فقلت: ما فعل بك ربك؟ فقال نظرت إلى ربي كفاحاً؛ فقال لي هنيئاً رضائي عنك يا بن سعيد، فقد كنت قواماً إذا أقبل الدجى، بعبرة مشتاق، وقلب عميد؛ فدونك، فاختر أي قصر أردته، وزرني فإني منك غير بعيد. (حليه الأولياء ٧/٤٧)

قال يوسف بن أسباط: رأيت سفيان الثوري في المنام؛ فقلت له: أي الأعمال وجدت أفضل؟ قال: القرآن، فقلت: الحديث؛ فحول وجهه، ولوى عنقه. (حليه الأولياء ٦/٣٦٧)

قال إبراهيم بن أعين البجلي: رأيت سفيان الثوري في المنام، ولحيته: حمراء صفراء؛ فقلت: ما صنعت، فديتك؟ قال: أنا مع السفارة؛ قلت: وما السفارة؟ قال: الكرام، البررة. (حليه الأولياء ٦/٣٨٤)

عن إسماعيل بن مسلم قال: رأيت في المنام، كأن القيامة قد قامت، وكان منادياً ينادي: ألا، ليقم السابقون، فقام سفيان الثوري؛ ثم نادى الثانية: ألا، ليقم السابقون، فقام سالم الخواص؛ ثم نادى الثالثة: ألا، ليقم السابقون، فقام إبراهيم بن أدهم؛ فأولت ذلك: ما حدثنا حماد بن سلمة عن حميد عن

أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل قرن سابق. (حليه الأولياء ٨ / ٢٧٨)
 قال سفيان الثوري: أخبرني رجل من الصالحين قال: رأيت في منامي عجوزاً شمطاء عليها من كل
 حلية؛ فقلت: من أنت؟ فقالت: أنا الدنيا؛ فقلت: أعوذ بالله من شرك، فقالت: إن أردت أن يعيدك الله
 من شري، فابغض الدينار والدرهم. (حليه الأولياء ٧ / ٨٠-٨١)

عن يحيى الجلا وكان من أكابر الناس وأفاضلهم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، واقفاً في
 صينية وابن أبي دؤاد (الجهمي، عدو أحمد بن حنبل. كان داعية إلى خلق القرآن) جالساً عن يسرته
 وأحمد بن حنبل جالساً عن يمينه؛ فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم وأشار إلى ابن أبي دؤاد فقال:
 (فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَكْفُرُنَّ بِهَا بِكَاْفِرِينَ) (الأنعام ٨٩) وأشار إلى أحمد بن حنبل.
 (حليه الأولياء ٩ / ١٧٢)

قال إسماعيل بن مزاحم المروزي: وكان من أصحاب ابن المبارك، من العباد - قال: رأيت النبي صلى الله
 عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله، من نسأل بعدك؟ قال: مالك بن أنس. (الحليه ٦ / ٣١٦)
 قال مالك بن أنس: ما بت ليلة، إلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. (حليه الأولياء ٦ / ٣١٦)
 قال محمد بن ربح التجيبي: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم؛ فقلت: يا رسول الله، قد
 اختلف علينا في مالك والليث فأيهما أعلم؟ قال: مالك ورث حدي - معناه: علمي. (الحليه ٦ / ٣١٦)
 قال إبراهيم بن جعفر بن خليل المعري: سمعت أبا جعفر الترمذي يقول: أردت أن أكتب كتب
 الرأي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام؛ فقلت: يا رسول الله، أكتب رأي مالك؟ قال: ما وافق
 منه سنتي؛ فقلت: يا رسول الله فأكتب رأي الشافعي؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه ليس برأي،
 إنه رد على من خالف سنتي. (حليه الأولياء ٩ / ١٠٠)

عن مالك بن يحيى بن سعيد: أن امرأة كانت عندها عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي
 عنها، ومعها نسوة؛ فقالت امرأة منهن: والله، لأدخلن الجنة، لقد أسلمت، وما زنت، وما سرقت؛
 فأنت في المنام، فقيل لها: أنت المتألية لتدخلن الجنة، كيف، وأنت تبخلين بما لا يغنيك وتكلمين فيما لا
 يعينك؟ قال: فلما أصبحت المرأة دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها، فأخبرتها بما رأت؛ فقالت:
 إجمعي النسوة اللاتي كن عندك حين قلت ما قلت، فأرسلت إليهن، فجئن، فحدثتهن بما رأت في

المنام. (حليه الأولياء ٦ / ٣٢٩)

قال إبراهيم بن أدهم: بلغني أن الحسن البصري رأى النبي صلى الله عليه وسلم في منامه؛ فقال: يا رسول الله، عظني؛ قال: من استوى يومه، فهو مغبون؛ ومن كان غده شراً من يومه، فهو ملعون؛ ومن لم يتعاهد نقصان من نفسه، فهو في نقصان؛ ومن كان في نقصان، فالموت خير له. (الحليه ٨ / ٣٥)

قال محمد بن سيرين: رأيت جليساً لي في المنام، فإذا ساقاه من ذهب؛ فقلت له: ما صنع الله بك؟ فقال: غفر لي، وأدخلني الجنة، وأبدلني بدل ساقلي، ساقين من ذهب، أسرح بهما في الجنة حيث شئت؛ قلت: بماذا؟ قال: بعزل الأذى عن الطريق. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧٣)

قال مغيرة: رأى ابن سيرين كأن الجوزاء تقدمت الثريا فأخذ في وصيته قال: يموت الحسن وأموت بعده هو أشرف مني. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧٧)

قال الحارث بن مشقف: قال رجل لابن سيرين إني رأيت كأني ألعق عسلاً من جام من جوهر؛ فقال اتق الله وعاود القرآن فإنك رجل قرأت القرآن ثم نسيت. قال وقال رجل لابن سيرين رأيت، كأني أحرث أرضاً لا تنبت قال أنت رجل تعزل عن امرأتك. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧٨)

قال مبارك بن يزيد البصري: قال رجل لابن سيرين: رأيت في المنام كأني أغسل ثوبي وهو لا ينقى قال: أنت رجل مصارم لأخيك. قال: وقال رجل لابن سيرين: رأيت كأني أطير بين السماء والأرض قال: أنت رجل تكثر المنى. (حليه الأولياء ٢ / ٢٧٨)

قال الفضيل بن عياض: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، وإلى جنبه فرجة، فذهبت لأجلس؛ فقال: هذا مجلس أبي إسحاق الفزاري. فقلت لأبي أسامة: أيهما أفضل؟ قال: كان فضيل رجل نفسه، وكان أبو إسحاق رجل عامة. (حليه الأولياء ٨ / ٢٥٤)

قال حماد بن زيد: غدا علي ميمون أبو حمزة يوم الجمعة قبل الصلاة؛ قال: فقال: إني رأيت البارحة أبا بكر وعمر في النوم فقلت لهما: ما جاء بكما؟ قال: جئنا نصلي على أيوب السخثياني قال: ولم يكن علم بموته فقلت له: قد مات أيوب البارحة. (حليه الأولياء ٣ / ٥)

عن سفيان بن حسين: أن عمر بن عبد العزيز استيقظ ذات يوم باكياً؛ فقيل له: ما شأنك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت شيخاً وقف علي، فقال: إذا ما أتت الأربعون، فعندها فاحش الإله، وكن للموت

حذاراً. (حليه الأولياء ٥/٢٦٩)

قال هشام بن حسان: جاء رجل إلى ابن سيرين وأنا عنده - فقال: إني رأيت، كأني على رأسي تاجاً من ذهب؛ فقال له ابن سيرين: إتق الله، فإن أباك في أرض غربة، وقد ذهب بصره، وهو يريد أن تأتيه؛ قال: فما راده الرجل الكلام، حتى أدخل يده في حجزته، فأخرج كتاباً من أبيه: يذكر فيه ذهاب بصره، وأنه في أرض غربة، ويأمر بالإتيان إليه. (حليه الأولياء ٢/٢٧٨)

عن خالد بن دينار قال: كنت عند ابن سيرين فأتاه رجل فقال: يا أبا بكر رأيت في المنام كأني أشرب من بلبله لها مثقبان فوجدت أحدهما عذباً والآخر ملحاً قال ابن سيرين: اتق الله، لك امرأة وأنت تخالف إلى أختها. (حليه الأولياء ٢/٢٧٦-٢٧٧)

عن حبيب: أن امرأة رأت في المنام: أنها تحلب حية، فقصت على ابن سيرين؛ فقال ابن سيرين: اللبن فطرة والحية عدو وليست من الفطرة في شيء؛ هذه امرأة يدخل عليها أهل الأهواء. (الحليه ٢/٢٧٧)

عن معمر قال: جاء رجل إلى ابن سيرين، فقال: رأيت في المنام: كأن حمامة التقت لؤلؤة، فقذفتها سواء؛ فقال: ذاك قتادة، ما رأيت أحفظ من قتادة. (حليه الأولياء ٢/٣٣٤)

قال جعفر بن سليمان: كنا جلوساً إلى مالك بن دينار ذات عشية، فجاء رجل فقال: إني رأيت في المنام: كأن مناد ينادي: يا أيها الناس، الرحيل إلى الله؛ فرأيت حوشباً أول من يشد رحله فاستقبل مالك القبلة، فلم يزل يبكي حتى صلى العصر ففعل ذلك في الصلوات كلها ثم قال: ذهب حوشب، بالدست، ذهب حوشب بالدست. (حليه الأولياء ٦/١٩٧)

قال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة، فسلمت عليه، فلم يرد علي السلام؛ فقلت: لم لا ترد علي السلام؟ قال: أنا ميت، فكيف أرد السلام؟ فقلت: ماذا لقيت يوم الموت؟ قال: قد لقيت أهوالاً، وزلازل عظيماً شداداً، قلت: وماذا كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات، وعفى لنا عن السيئات، وضمن عنا التبعات؛ قال: فكان مالك يحدث بهذا، وهو يبكي، ويشهق، ثم يغشى عليه؛ فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً، ثم مات في مرضه؛ فكنا نرى أن قلبه صُدع. (حليه الأولياء ٢/٢٩٤-٢٩٥)

قال عبد الواحد بن زيد: شهدت حوشباً جاء إلى مالك بن دينار فقال: يا أبا يحيى، رأيت البارحة: كأن

منادياً ينادي يقول: يا أيها الناس، الرحيل، الرحيل؛ فما رأيت أحداً يرتحل، إلا محمد بن واسع؛ قال: فصاح مالك صيحة، وخر مغشياً عليه. (حليه الأولياء ٢/٣٤٦)

قال عبد الواحد بن زيد: أصابني علة في ساقِي، فكنت أتحمّل عليها للصلاة؛ قال: فقمت عليها من الليل، فأجهدت وجعاً، فجلست، ثم لففت إزارِي في محرابِي، ووضعت رأسي عليه، فنمت؛ فبينما أنا كذلك، إذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسناً، تحظر بين جوار مزينات، حتى وقفت على وهن من خلفها؛ فقالت لبعضهن: إرفعه، ولا تهجنه؛ قال: فأقبلن نحوي، فاحتملنني عن الأرض، وأنا أنظر إليهن في منامي؛ ثم قالت لغيرهن من الجوارِي اللاتي معها: إفرشنه، ومهدنه، ووطنن له، ووسدنه؛ قال: ففرشن تحتي سبع حشايا، لم أرهن في الدنيا مثلاً، ووضعن تحت رأسي مرافق خضراً حسناً؛ ثم قالت للاتي حملنني: إجلعنه على الفرش رويداً، لا تهجنه؛ قال: فجعلت على تلك الفرش، وأنا أنظر إليها، وما تأمر به من شأني؛ ثم قالت: إحففنه بالريحان، قال: فأتي بياسمين، فحفت به الفرش؛ ثم قامت إلي، فوضعت يدها على موضع علتي التي كنت أجدها في ساقِي، فمسحت ذلك المكان بيدها؛ ثم قالت: قم شفاك الله إلى صلاتك، غير مضرور؛ قال: فاستيقظت، والله، وكأني قد أنشطت من عقال، فما اشتكيت تلك العلة بعد ليلتي تلك، ولا ذهب حلاوة منطقتها من قلبي: قم شفاك الله إلى صلاتك، غير مضرور.

(حليه الأولياء ٦/١٦١-١٦٢)

قال عبد الواحد بن زيد لحوشب: يا أبا بشر، إن قدمت على ربك، قبلنا، فقدرت على أن نخبرنا بالذي صرت إليه، فافعل؛ قال: فمات حوشب في الطاعون قبل عبد الواحد بزمان، قال عبد الواحد: ثم رأيتني في منامي، فقلت: يا أبا بشر، ألم تعدنا أن تأتينا، قال: بلى، إنما استرحت الآن؛ فقلت: كيف حالكم، فقال: نجونا بعفو الله؛ قال: قلت: فالحسن؟ قال: ذاك في عليين، لا يرى، ولا يرانا؛ قلت: فما الذي تأمرنا به؟ قال: عليكم بمجالس الذكر، وحسن الظن بمولايك، وكفالك بهما خيراً. (الحليه ٦/١٩٩)

قال الأوزاعي: رأيت كأن ملكين عرجا بي وأوقفاني بين يدي رب العزة فقال لي: أنت عبدي عبد الرحمن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر؟ فقلت: بعزتك أي رب، أنت أعلم؛ قال: فهبطا بي، حتى رداني إلى مكاني. (حليه الأولياء ٦/١٤٢)

قال الأوزاعي: رأيت رب العزة في المنام فقال لي: يا عبد الرحمن، أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن

المنكر؟ قلت: بفضلك يارب؛ فقلت: يارب، أمتني على الإسلام؛ فقال: وعلى السنة. (حليه ١٤٢/٦-١٤٣)
 قال إبراهيم بن محمد: حبس الشافعي مع قوم من الشيعة بسبب التشيع؛ فوجه إلي يوماً، فقال: أدع فلاناً
 المعبر، فدعوته له؛ فقال: رأيت البارحة، كأني مصلوب على قناة، مع علي بن أبي طالب؛ فقال: إن
 صدقت رؤياك: شهرت، وذكرت، وانتشر أمرك؛ ثم حمل إلى الرشيد معهم، فكلمه ببعض ما جلبه به،
 فخلى عنه. (حليه الأولياء ١٢٥/٩-١٢٦)

عن محمد بن إدريس الشافعي قال: قالت لي عمتي ونحن بمكة: رأيت في هذه الليلة عجباً؛ فقلت لها:
 وما هو؟ قالت: رأيت كأن قائلاً يقول: مات الليلة أعلم أهل الأرض؛ قال الشافعي: فحسبنا ذلك؛ فإذا
 هو يوم مات مالك بن أنس. (حليه الأولياء ٦/٣٣٠)

قال سفيان بن عيينة: رأيت منصور بن المعتمر - يعني: في المنام - فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: كدت أن
 ألقى الله بعمل نبي؛ قال سفيان: إن منصوراً صام ستين سنة، يقوم ليلها، ويصوم نهارها.
 (حليه الأولياء ٥/٤١)

قال سفيان بن عيينة: لما مات مسعر بن كدام رأيت: كأن المصاييح والسرّج قد طفئت قال سفيان: وهو
 موت العلماء. (حليه الأولياء ٧/٢١١)

عن ابن السّمك قال: رأيت مسعراً - مسعر بن كدام - في المنام، فقلت: أليس قدمت؟ قال: بلى، قلت:
 فأبي العمل وجدت أنفع؟ قال: ذكر الله عز وجل. (حليه الأولياء ٧/٢١٧-٢١٨)

عن عبد الله بن مغيث ابن سعدان اليشكري، قال: حدثني ابنة بنت عمران عن أبيها، وكان قد عاهد
 الله: أن لا ينام بليل أبداً، إلا مستغلباً؛ قالت: قال أبي: جئت إلى طاعة الله طول الحياة، ولولا الركوع،
 والسجود، وقراءة القرآن: ما باليت أن أعيش في الدنيا فواقاً؛ قال: فلم يزال مجهوداً على ذلك، حتى
 مات رحمه الله؛ قالت: فرأيت في منامي، فقلت: يا أبت، إنه لا عهد بك منذ فارقتنا، قال: يا بنية، فكيف
 تعهدين من فارق الحياة، وصار إلى ضيق القبور وظلمتها؛ قالت: فقلت: يا أبت، كيف حالك منذ
 فارقتنا؟ قال: خير حال يا بنية: بوئنا المنازل، ومهدت لنا المضاجع، نحن ههنا نغدى ونراح برزقنا من
 الجنة؛ قالت: فقلت: فما الذي بلغكم هذا؟ قال: الضمير الصالح، وكثرة التلاوة لكتاب الله.

(حليه الأولياء ٦/١٧٨)

قال صالح: لما مات عطاء السلمي حزنت عليه حزناً شديداً فرأيت في منامي فقلت: يا أبا محمد ألت في زمرة الموتى؟ قال: بلى قلت: فماذا صرت إليه بعد الموت؟ فقال: صرت والله إلى خير كثير ورب غفور شكور قال: قلت: أما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا قال: فتبسم وقال: أما والله يا أبا بشر لقد أعقبتني ذلك راحة طويلة وفرحاً دائماً قلت: ففي أي الدرجات أنت؟ قال: أنا مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. (حليه الأولياء ٦/ ١٧٢)

قال الهيثم بن خارجة: رأيت أبا بكر بن عياش في النوم، قدامه طبق رطب سكر؛ فقلت له: يا أبا بكر، ألا تدعوننا إليه؟ وقد كنت شهياً على الطعام فقال لي: يا هيثم، هذا طعام أهل الجنة، لا يأكله أهل الدنيا؛ قال: قلت: وبم نلت؟ قال: تسألني عن هذا، وقد مضى علي ست وثمانون سنة، أختم في كل ليلة فيها القرآن؟. (حليه الأولياء ٨/ ٣٠٨)

قال مغيرة بن حفص: رأى الحجاج بن يوسف في منامه رؤيا: كأن حوراوين أتته، فأخذ إحداهما، وفاتته الأخرى؛ فكتب بذلك إلى عبد الملك، فكتب إليه عبد الملك: هنيئاً يا أبا محمد؛ فبلغ ذلك ابن سيرين، فقال أخطأت أسته، الحفرة هذه: فتنتان، يدرك إحداهما، وتفوته الأخرى؛ قال: فأدرك الجاهم، وفاتته الأخرى. (حليه الأولياء ٢/ ٢٧٧)

قال الليث بن سعد: استشهد رجل من أهل الشام، فكان يأتي إلى أبيه كل ليلة جمعة في المنام، فيحدثه، ويستأنس به؛ قال: فغاب عنه جمعة، ثم جاءه في الجمعة الأخرى؛ فقال له: يا بني، لقد أحزنتني، وشق علي تخلفك؛ فقال: إنها شغلني عنك: أن الشهداء أمروا أن يتلقوا عمر بن عبد العزيز، فتلقيناه. وذلك عند مهلك عمر بن عبد العزيز. (حليه الأولياء ٥/ ٣٤١)

عن عون بن عبد الله بن عتبة قال: كان رجل يجالس قوماً، فترك مجالستهم؛ فأتني في منامه، فقيل له: تركت مجالستهم؟ لقد غفر لهم بعدك سبعين مرة. (حليه الأولياء ٤/ ٢٥٢)

عن مخلد بن الحسين: أن رجلاً قال للعلاء بن زياد: رأيت كأنك في الجنة؛ فقال له: ويحك، أما وجد الشيطان أحداً يسخر به، غيري وغيرك. (حليه الأولياء ٢/ ٢٥٤)

قال أبي سليمان الداراني: إنما يجيء الوسواس وكثرة الرؤيا إلى كل ضعيف، فإذا أخلص، انقطع عنه الرؤيا وكثرة الوسواس؛ قال أبو سليمان: وربما أقيمت سنين لا أرى الرؤيا. (حليه الأولياء ٩/ ٢٦٠)

عن بشر بن المفضل قال: رأيت بشر بن منصور في المنام، فقلت: يا أبا محمد، ما صنع الله بك؟ قال: وجدت الأمر أهون مما كنت أحمل على نفسي. (حليه الأولياء ٦/ ٢٤١-٢٤٢)

عن حماد بن سلمة قال: ما كان من شأني أن أحدث أبداً، حتى رأيت يعني: أيوب السخيتاني فقال لي: حدث فإن الناس يقبلون. (حليه الأولياء ٦/ ٢٥١)

قال ابن وهب: رأى رجل سهيل بن علي في المنام؛ فقال: ما فعل بك ربك؟ قال: نجوت بكلمة علمنيها ابن المبارك، قلت له: ما تلك الكلمة؟ قال: قول الرجل: يا رب عفوك. (حليه الأولياء ٨/ ١٧١)

عن أبي قلابة: أن رجلاً قال لأبي بكر: رأيت كأني أبول دماً؛ قال: تأتي أمراؤك وهي حائض؟ قال: نعم قال: اتق الله ولا تعد. (حليه الأولياء ٢/ ٢٧٧)

قال رقة بن مصقلة: رأيت رب العزة في المنام فقال: وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان يعني: التيمي. (حليه الأولياء ٣/ ٣٢)

كتاب السلام

١٣١- باب فضل السلام والأمر بإنشائه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا

[[النور: ٢٧]] ، وقال تَعَالَى: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً

[[النور: ٦١]] ، وقال تَعَالَى: وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا [النساء: ٨٦] ،

وقال تَعَالَى: هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ

[الذاريات: ٢٤-٢٥] .

٨٤٥- وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيُّ الإسلام خير؟ قال « تَطْعَمُ الطَّعَامَ ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ » . متفق عليه .

٨٤٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « لما خَلَقَ اللهُ آدمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أَوْلِيكَ نَفَرٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ أَيُّيُونَاكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ . فقال : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، فقالوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ ، فزادوه : وَرَحْمَةُ اللهِ »

متفق عليه .

٨٤٧- وعن أبي عُمارة البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : أمرنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ : «بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ . وَاتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ ، وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ ، وَعَوْنِ الْمَظْلُومِ ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ ، وَإِبْرَارِ الْمُقْسَمِ » متفق عليه ، هذا لفظ إحدى روايات البخاري .

٨٤٨- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَوْ لَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوه تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » رواه مسلم .

٨٤٩- وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول « يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ ، وَصَلُّوا وَالنَّاسَ نِيَامًا ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح .

٨٥٠- وعن الطفيل بن أبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلى صاحب بيعة ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه ، قال الطفيل : فَجِئْتُ عبد الله بن عمرَ يَوْمًا فَاسْتَبَعَنِي إِلَى السُّوقِ فَقُلْتُ لَهُ : مَا تَصْنَعُ بِالسُّوقِ وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى الْبَيْعِ وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السَّلْعِ وَلَا تَسُومُ بِهَا وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ ؟ وَأَقُولُ اجْلِسْ بِنَاهُنَا نَتَحَدَّثُ ، فَقَالَ يَا أَبَا بَطْنٍ . وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ إِنَّمَا نَعُدُّو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ نُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِينَاهُ ، رواه مالك في الموطأ بإسناد صحيح .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس في قوله : حتى تستأنسوا قال : حتى تستأذنوا . عن مجاهد في قوله : حتى تستأنسوا . قال : تنحنحوا وتنخموا . عن زيد بن أسلم قال : أرسلني أبي إلى ابن عمر فجئته فقلت : أألج؟ فقال : ادخل . فلما دخلت قال : مرحبا يا ابن أخي لا تقل : أألج؟ ولكن قل : السلام عليكم فإذا قالوا وعليك . فقل : أأدخل؟ فإن قالوا : ادخل . فادخل . عن أم إياس قالت : كنت في أربع نسوة نستأذن على عائشة فقلت : ندخل؟ فقالت : لا ، فقالت واحدة : السلام عليكم ، أندخل؟ قالت : ادخلوا . ثم قالت : يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها . عن أبي هريرة ، فيمن يستأذن

قبل أن يسلم قال : لا يؤذن له حتى يبدأ بالسلام. عن أبي هريرة قال : إذا دخل ولم يقل السلام عليكم . فقل : لا ، حتى تأتي بالفتاح . عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم .
(تفسير الدر المنثور ١١/٦ - ١٠)

عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم . تحية من عند الله مباركة طيبة . قال : ما رأيته إلا يوجهه . عن الزهري وقتادة في قوله : فسلموا على أنفسكم . قالوا بيتك ، إذا دخلته فقل : سلام عليكم . عن ابن جريج : فإذا دخلت بيوتا فسلموا على أنفسكم . قال : سلم على أهلك ، قال ابن جريج : وسئل عطاء بن أبي رباح : أحق على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم؟ قال : نعم . وقالها عمرو بن دينار ، وتلوا : فإذا دخلت بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة . قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة . قال الضحاك يقول في قوله : فإذا دخلت بيوتا فسلموا على أنفسكم . يقول : سلموا على أهاليكم إذا دخلت بيوتكم ، وعلى غير أهاليكم ، فسلموا إذا دخلت بيوتهم .

عن ابن عباس : فإذا دخلت بيوتا فسلموا على أنفسكم . قال : هي المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . عن الحسن ، في قوله : فسلموا على أنفسكم . أي : ليسلم بعضكم على بعض ، كقوله : ولا تقتلوا أنفسكم . (تفسير الطبري ١٩/٢٢٥-٢٢٦)

عن ابن عباس قال : من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان يهوديا أو نصرانيا أو مجوسيا؛ ذلك بأن الله يقول : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها . عن ابن عباس قال : لو أن فرعون قال لي : بارك الله فيك . لقلت : وفيك بارك الله . عن الحسن في الآية قال : بأحسن منها للمسلمين ، أو ردوها يعني : على أهل الكتاب . عن عروة بن الزبير أن رجلا سلم عليه فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . فقال عروة : ما ترك لنا فضلا؛ إن السلام انتهى إلى : وبركاته عن سفيان بن عيينة في قوله : وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها قال : ترون هذا في السلام وحده؟ هذا في كل شيء من أحسن إليك فأحسن إليه وكافئه فإن لم تجد فادع له أو أثن عليه عند إخوانه . (تفسير الدر المنثور ٤/٥٦٠-٥٦٦)

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال ابن عمر رضي الله عنهما : إني كنت لأخرج إلى السوق ومالي حاجة إلا أن أسلم ويسلم علي .

(المصنف في الاحاديث والاثار لابن أبي شيبة ٥/٢٤٨ رقم ٢٥٧٤٦)

قال ماهان أبو صالح الحنفي: إذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا من ربنا. (الحلية ٤ / ٣٦٥)
قال القحطاني في نونيته:

لا تدخلن بيوت قوم حضر إلا بنحنة أو استئذان

الآثار العملية من حياة السلف:

قال موسى بن رباح: بلغنا: أن عمر جلس إلى ناس، فنسي فذكر أنه لم يسلم؛ فقام قائماً فسلم عليهم ثم جلس. (حلية الأولياء ٥ / ٣٣٩)

قال أبي البخري: جاء الأشعث بن قيس وجريير بن عبد الله البجلي إلى سلمان رضي الله عنهم، فدخلوا عليه في خص في ناحية المدائن، فأتياه فسلماً عليه، وحيياه؛ ثم قالوا: أنت سلمان الفارسي؟ قال: نعم؛ قالوا: أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا أدري؛ فارتابا، وقالوا: لعله ليس الذي نريد؛ فقال لهما: أنا صاحبكما الذي تريدان، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجالسته، وإنما صاحبه من دخل معه الجنة فما حاجتكما؟ قالوا: جئناك من عند أخ لك بالشام قال من هو؟ قال: أبو الدرداء؛ قال: فأين هديته التي أرسل بها معكما؟ قالوا: ما أرسل معنا هدية؛ قال: اتقيا الله، وأديا الأمانة، ما جاءني أحد من عنده، إلا جاء معه هدية؛ قالوا: لا ترفع علينا هذا، إن لنا أموالاً، فاحتكم فيها؛ فقال: ما أريد أموالكم، ولكن أريد الهدية التي بعث بها معكما؛ قالوا: لا والله، ما بعث معنا بشيء، إلا أنه قال: إن فيكم رجلاً، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خلا به، لم يبع أحداً غيره، فإذا أتيتاه، فاقترناه مني السلام؛ قال: فأني هدية كنت أريد منكما غير هذه؟ وأي هدية أفضل من السلام؟ تحية من عند الله مباركة طيبة. (حلية الأولياء ١ / ٢٠١)

قال محمد بن زياد الالهاني: كنت آخذ بيد أبي أمامة وهو منصرف إلى بيته فلا يمر على أحد، مسلم ولا نصراني ولا صغير، ولا كبير إلا قال: سلام عليكم، سلام عليكم فإذا انتهى إلى باب الدار التفت إلينا ثم قال: يا ابن أخي أمرنا نبينا عليه السلام: أن نفشي السلام بيننا. (حلية الأولياء ٦ / ١١٢)

قال إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة: أن الطفيل بن أبي كعب أخبره، أنه كان يأتي عبد الله بن عمر، فيغدو معه إلى السوق؛ قال: فإذا غدونا إلى السوق، لم يمرر عبد الله بن عمر على سقاط، ولا صاحب بيعة، ولا مسكين، ولا أحد: إلا وسلم عليه؛ فقلت: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع، ولا تسوم بها، ولا تجلس في مجالس؟ قال: وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث؛ فقال لي

عبد الله: يا أبا بطن وكان الطفيل ذا بطن إنما نغدو من أجل السلام، فسلم على من لقيت.

(حلية الأولياء ١/ ٣١٠-٣١١)

قال أبي سوقة: لقيني ميمون بن مهران؛ فقلت: حياك الله؛ فقال: هذه تحية الشباب، قل بالسلام.

(حلية الأولياء ٤/ ٨٦)

١٢٢ - باب كيفية السلام

يستحب أن يقول المبتدئ بالسلام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحداً، ويقول الجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فيأتي بواو العطف في قوله: وعليكم.

٨٥١- عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال:

: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ» ثم جَاءَ آخَرَ فَقَالَ:

: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «عِشْرُونَ»، ثم جَاءَ آخَرَ فَقَالَ: السَّلَامُ

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فقال: «ثَلَاثُونَ». رواه أبو داود والترمذي وقال:

: حديث حسن.

٨٥٢- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هذا جبريلُ

يقرأُ عَلَيْكَ السَّلَامُ)) قالت: قلتُ: (وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ)) متفقٌ عليه.

وهكذا وقع في بعض روايات الصحيحين: ((وَبَرَكَاتُهُ)) وفي بعضها بحذفها وزيادة الثقة مقبولة.

٨٥٣- وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً

حتى تُفْهَمَ عنه، وإذا أتى على قوم فسَلَّم عليهم سَلَّم عليهم ثلاثاً، رواه البخاري. وهذا محمولٌ

على ما إذا كان الجمع كثيراً.

٨٥٤- وعن المقداد رضي الله عنه في حديثه الطويل قال: كُنَّا نَرْفَعُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

نَصِيْبُهُ مِنَ اللَّبَنِ فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيْمًا لَا يَوْقُظُ نَائِمًا وَيُسْمِعُ الْيَقْظَانَ فَجَاءَ النبي صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ ، رواه مسلم .

٨٥٥- عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعَضْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُوعِدٌ فَأَلْوِي بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ .

رواه الترمذي وقال : حديث حسن . وهذا محمول على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْإِشَارَةِ ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنْ فِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ : « فَسَلَّمَ عَلَيْنَا » .

٨٥٦- وعن أبي جُرَيْجٍ الهَجِيمِيِّ رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ اللَّهِ . فقال : لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ ، فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامَ تَحِيَّةَ الْمَوْتَى « رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وقد سبق بطوله .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: انتهى السلام إلى وبركاته. (تحفه الاحوذى شرح جامع الترمذى ٤٦٢/٧)
قال سفيان بن عيينة: قوله: السلام عليكم، يقول: أنت مني سالم وأنا منك سالم ثم يدعو له ويقول: وعليكم السلام ورحمة الله، وبركاته؛ فلا ينبغي لهذين إذا سلم بعضهما على بعض أن يذكره من خلفه بما لا ينبغي له من غيبة أو غيرها. (حلية الأولياء ٧/٢٨٢)

قال الحسن البصرى: المصافحه تزيد في الود. (المتقى من كتاب مكارم الأخلاق ١٨٩)
قال شريح: ما التقى رجلان، إلا كان أَوْ لاهما بالله: الذي يبدأ بالسلام. (حلية الأولياء ٤/١٣٥)
عن أبي أمامة صدي بن عجلان قال: من تمام تحياتكم المصافحه. (الاخوان لابن ابى الدنيا ١٧٧)
قال يوسف بن أسباط: قال سفيان الثوري: يا يوسف، إذا بلغك عن رجل المشرق، صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام؛ وإذا بلغك عن آخر بالمغرب، صاحب سنة، فابعث إليه بالسلام؛ فقد قل أهل السنة والجماعة. (حلية الأولياء ٧/٤٣)

الآثار العملية في حياة المسلم:

جاء رجل إلى ابن عمر: فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته. فقال حسبك إلى وبركاته انتهى إلى وبركاته. (فتح البارى ج ١١/٦)

عن سالم مولى ابن عمر رضي الله عنه قال: كان ابن عمر يزيد إذا رد السلام، فأتيته مرة فقلت: السلام عليكم. فقال: السلام عليكم ورحمة الله، ثم أتيته فزدت وبركاته، فرد وزاد وطيب صلواته.

(تحفه الأحمدي شرح جامع الترمذي ٤٦٢ / ٧)

عن محمد بن عمرو بن عطاء: أنه قال كنت جالسا عند عبد الله بن عباس، فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم زاد بعد ذلك شيئا مع ذلك أيضا. قال ابن عباس وهو يومئذ قد ذهب بصره: من هذا؟ قالوا هذا اليباني الذي يغشاك، فعرفوه إياه، فقال ابن عباس: إن السلام انتهى إلى البركة. (الموطأ لمالك ٧٣٢ / ٢)

١٤٤ - باب آداب السلام

٨٥٧- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « يُسَلِّمُ الرَّاَكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْمَاشِي عَلَى الْقَاعِدِ، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ » متفق عليه. وفي رواية البخاري: والصغيرُ على الكبيرِ .

٨٥٨- وعن أبي أمامة صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ ».

رواه أبو داود بإسنادٍ جيد، ورواه الترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه قِيلَ يارسولَ الله، الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ، قَالَ أَوْلَاهُمَا بِاللَّهِ تَعَالَى، قَالَ الترمذي: حديث حسن .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) (النساء ٨٦) قال ابن كثير: أي: إذا سلم عليكم المسلم فردوا عليه أفضل مما سلم، أو ردوا عليه بمثل ما سلم، فالزيادة مندوبة، والمماثلة مفروضة. (تفسير ابن كثير ١٨٣ / ٤)

قال ثابت بن عبيد: أتيت مجلساً فيه عبد الله بن عمر فقال: إذا سلّمت فأسمع؛ فإنها تحية مباركة طيبة. (الأدب المفرد ٣٤٧ / ١)

عن زيد بن ثابت أنه كتب إلى معاوية رضي الله عنه: السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته

ومغفرته وطيب صلواته. (الأدب المفرد ١/٣٤٦)

قال النووي : أقله أن يرفع صوته بحيث يسمع المسلم عليه فإن لم يسمعه لم يكن آتيا بالسنة ويستحب أن يرفع صوته بقدر ما يتحقق أنه سمعه فإن شك استظهر. (فتح الباري ج ١١ / ص ١٨)

قال النووي : وأما جواب السلام فهو فرض بالإجماع فإن كان السلام على واحد فالجواب: فرض عين في حقه وإن كان على جميع فهو فرض كفاية فإذا أجاب واحد منهم أجزأ عنهم وسقط الحرج عن جميعهم وإن أجابوا كلهم كانوا كلهم مؤدين للفرض سواء ردوا معاً أو متعاقبين فلو لم يجبه أحد منهم أثموا كلهم ولو رد غير الذين سلم عليهم لم يسقط الفرض والحرج عن الباقيين. (المجموع ٤/٥٩٣)

١٢٤- باب استحباب إعادة السلام على من تكرّر لقاءه

على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال ، أو حال بينهما شجرة ونحوها

٨٥٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث المسيء صلاته أنه جاء فصلّى ثم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فردّ عليه السلام فقال : « ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ » فرجع فصلّى ، ثمّ جاء فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم حتى فعل ذلك ثلاث مرّات . متفق عليه .

٨٦٠- وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه » رواه أبو داود .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن الأغر أغر مزينة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر لي بجريب من تمر عند رجل من الأنصار فمطلني به فكلمت فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اغد يا أبا بكر فخذ له تمره . فوعدي أبو بكر المسجد إذا صلينا الصبح فوجدته حيث وعدني فانطلقنا فكلما رأى أبا بكر رجلاً من بعيد سلم عليه ، فقال أبو بكر أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل ؟ لا يسبقك إلى السلام أحد . فكنا إذا طلع الرجل من بعيد بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا. (غذاء الألباب للسفارينى ١/٢٧٨)

قال أنس رضي الله عنه: كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَاشُونَ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُمْ شَجَرَةٌ أَوْ أَكْمَةٌ فَتَفَرَّقُوا يَمِينًا وَشِمَالًا ثُمَّ التَّقَوُّا مِنْ وِرَائِهَا سَلَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ. (الأذكار للنووي ٢٤٩)

١٢٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ [النور: ٦١].
٨٦١- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « يَا بُنَيَّ ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال عبدالله بن عمر: إذا دخل البيت غير المسكون فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.
(الأدب المفرد للبخاري ١/ ٣٦٣ (١٠٥٥))

قال مجاهد: إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله، وإذا دخلت على أهلِكَ فسلم عليهم وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. (تفسير بن كثير ٣/ ٣٠٦)

١٢٦- باب السلام على الصبيان

٨٦٢- عن أنس رضي الله عنه أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُهُ . متفق عليه

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال سيار: كنت أمشي مع ثابت البناني فمر على صبيان فسلم عليهم فقال ثابت: كنت مع أنس رضي الله عنه فمر على صبيان فسلم عليهم وقال أنس: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على صبيان فسلم عليهم. (البخاري ٦٢٤٧ - مسلم ٢١٦٨)

١٢٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من مغازمه

وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

٨٦٣- عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ وَفِي رِوَايَةٍ: - كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ تَأْخُذُ مِنْ أَصُولِ السُّلُوقِ فَتَطْرَحُهَا فِي الْقِدْرِ وَتُكْرِكِرُ حَبَاتٍ مِنْ شَعِيرٍ إِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ وَأَنْصَرَفْنَا

سَلَّمَ عَلَيْهَا فَتَقَدَّمَهُ إِلَيْنَا رواه البخاري . قوله « تُكْرِكِرُ » أي تَطْحَنُ .

٨٦٤- وعن أم هانئ فاختة بنت أبي طالب رضي الله عنها قالت : أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ فَسَلَّمْتُ . وَذَكَرْتُ الْحَدِيثَ . رواه مسلم .

٨٦٥- وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها قالت : مر علينا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَّ عَلَيْنَا . رواه أبو داود ، والترمذي وقال : حديث حسن ، وهذا لفظ أبي داود ، ولفظ الترمذي : أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ فِي الْمَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

روى الإمام أحمد: أن معاذًا قدم إلى اليمن، فلقيته امرأة من خولان معها بنون لها اثنا عشر . وفيه : فقامت فسلمت على معاذ . (مسند أحمد ٥ / ٢٣٩)

ابن منصور قال للإمام أحمد : التسليم على النساء ؟ قال : إذا كانت عجوزاً فلا بأس به .
(الأدب الشرعي ١ / ٣٧٥)

قال صالح ابن الإمام أحمد : سألت أبي يُسَلِّمُ على المرأة ؟ قال : أما الكبيرة فلا بأس وأما الشابة فلا تستنطق - يعني لا يطلب منها أن تتكلم برد السلام . (الأدب الشرعي ١ / ٣٧٥)

سئل الإمام مالك هل : يسلم على المرأة ؟ فقال : أما المتحالة (وهي العجوز) فلاكرة ذلك ، وأما الشابة فلا أحب ذلك . (شرح الموطأ للزرقاني ٤ / ٣٥٨)

قال النووي : قال أصحابنا : والمرأة مع المرأة كالرجل مع الرجل ، وأما المرأة مع الرجل ، فإن كانت المرأة زوجته ، أو جاريتها ، أو محرماً من محارمه فهي معه كالرجل ، فيستحب لكل واحد منهما ابتداء الآخر بالسلام ويجب على الآخر رد السلام عليه . وإن كانت أجنبية ، فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها لم يسلم الرجل عليها ، ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ، ولم تسلم هي عليه ابتداء ، فإن سلمت لم تستحق جواباً فإن أجابها كره له وإن كانت عجوزاً لا يفتتن بها جاز أن تسلم على الرجل ، وعلى الرجل رد السلام عليها وإذا كانت النساء جمعاً فيسلم عليهن الرجل . أو كان الرجال جمعاً كثيراً فسلموا على المرأة

الواحدة جاز إذا لم يخف عليه ولا عليهن ولا عليها أو عليهم فتنة. (الأذكار ٤٠٧)
وقال الحلبي: كان صلى الله عليه وسلم للعصمة مأموناً من الفتنة، فمن وثق من نفسه بالسلامة
فليسلم، وإلا فالصمت أسلم. (الحافظ في الفتح ٣٤ / ١١)

قال المهلب: سلام الرجل على النساء والنساء على الرجال جائز إذا أمنت الفتنة. (فتح الباري ٣٤ / ١١)

١٢٨ - باب تهريم ابتدائنا الكفار بالسلام وكيفية الرد عليهم

واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

٨٦٦- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ
ولا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ » رواه مسلم .

٨٦٧- وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ
أَهْلُ الْكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ » متفق عليه.

٨٦٨- وعن أسامة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنْ
الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الْأَوْثَانِ وَالْيَهُودِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . متفق عليه.

الآثار الواردة في عنوان الباب:

قال ابن عباس رضي الله عنه: من سلم عليك من خلق الله فاردد عليه وإن كان مجوسياً.
(تفسير ابن أبي حاتم ٣ / ١٠٢١)

قال الماوردي لكنه يقول: السلام عليك ولا يقول عليكم بالجمع. (شرح النووى على مسلم ٣٢٢)

الآثار العملية في حياة السلف:

عن الأعمش قال: قلت لإبراهيم النخعي: يمر الكحال - وهو نصراني، فأسلم عليه -؛ قال: لا بأس أن
تسلم عليه، إذا كانت لك إليه حاجة، أو بينكما معروف. (حلية الأولياء ٤ / ٢٢٦)

قال الحسن بن عبد الرحمن: رأيت الشعبي يسلم على موسى النصراني فقال: السلام عليكم ورحمة الله
فقيل له في ذلك فقال: أو ليس في رحمة الله لو لم يكن في رحمة الله هلك. (حلية الأولياء ٤ / ٣١٤)

**١٢٩ - باب استحباب السلام إذا قام من المجلس
وفارق جلساءه أو جلسه**

٨٦٩- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا أَنْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلْيَسْتِ الْأُولَى بِأَحَقِّ مِنَ الْآخِرَةِ» رواه أبو داود، والترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه قال يا بني إذا كنت في مجلس ترجو خيره فعجلت بك حاجة فقل السلام عليكم فإنك شريكهم فيما يصيبون في ذلك المجلس . (حلية الأولياء ٢ / ٣٤)

١٤٠ - باب الاستئذان وأدابه

قَالَ اللهُ تَعَالَى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » [النور : ٢٧] ، وقال تَعَالَى : « وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » [النور : ٥٩]

٨٧٠- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الاستئذان ثلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ ، متفق عليه .

٨٧١- وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « إِنَّمَا جُعِلَ الاستئذان من أجل البصر » متفق عليه .

٨٧٢- وعن ربيعي بن جَرَّاشٍ قال حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي بَيْتٍ فَقَالَ : أَلَيْجَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَخَادِمِهِ : « أَخْرِجْ إِلَى هَذَا فَعَلَّمَهُ الْإِسْتِذَانَ فَقُلْ لَهُ قُلْ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلُ ؟ » فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَدْخُلُ ؟ فَأَذَنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ . رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٨٧٣- عن كلدة بن الحنبل رضي الله عنه قال : أتيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أَسَلِّمْ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَرْجِعْ فَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُ ؟ » رواه أبو داود ،

والترمذي وقال : حديث حسن .

الآثار الواردة في الآيات القرآنية:

عن ابن عباس قال : أما من بلغ الحلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله ، يعني من الصبيان الأحرار إلا بإذن على كل حال ، وهو قوله : وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم . قال عطاء : وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا . قال : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتملوا على من كان من الناس . عن ابن المسيب قال : يستأذن الرجل على أمه؟ قال : إنما أنزلت (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم . في ذلك . كذلك يبين الله لكم آياته) . يقول : هكذا يبين الله لكم آياته ، أحكامه وشرائع دينه ، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ . (والله عليم حكيم) يقول : والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء ، حكيم في تدبيره خلقه . (الطبرى ١٩ / ٢١٥) عن عطاء ، أنه سأل ابن عباس : أستأذن على أختي؟ قال : نعم . قلت : إنها في حجري ، وإني أنفق عليها ، وإنها معي في البيت ، أستأذن عليها؟! قال : نعم ، إن الله يقول : ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم الآية . فلم يؤمر هؤلاء بالإذن إلا في هؤلاء العورات الثلاث . قال : وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم . فالإذن واجب على خلق الله أجمعين . (تفسير الدر المنثور ١١ / ١٠٧)

الآثار العملية في حياة السلف:

قال أبي سعيد الخدري: كنت في مجلس من مجالس الأنصار، إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور، فقال: استأذنت على عمر ثلاثاً، فلم يؤذن لي فرجعت، فقال: ما منعك؟ قلت: استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع فقال: والله لتقيم عليه بيته، أمنكم أحد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبي بن كعب: والله لا يقوم معك إلا أصغر القوم، فكنت أصغر القوم، فقامت معه، فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك. (صحيح البخارى ٦٢٤٥)

قال أبي العالية : أتيت أبا سعيد فسلمت فلم يؤذن لي ثم سلمت فلم يؤذن لي فتنحيت ناحية فخرج علي غلام فقال: ادخل فدخلت فقال لي أبو سعيد :أما إنك لو زدت (يعني على الثلاث) لم يؤذن لك .

(الأدب المفرد للبخارى ٣٣)

أخرج البيهقي عن عامر بن عبد الله أن مولا له ذهبت بابنة الزبير إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت: أدخل؟ فقال عمر: لا فرجعت فقال: ادعوها، فتقولي: السلام عليكم أدخل؟ (كذا في الكنز) وأخرج ابن سعد عن أسلم قال قال لي عمر رضي الله عنه: يا أسلم أمسك عليّ الباب فلا تأخذنّ من أحد شيئاً، فرأى عن زيد بن ثابت أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه جاءه يستأذن عليه يوماً، فأذن له ورأسه في يد جارية له ترجّله، فنزع رأسه، فقال له عمر: دَعَهَا تَرَجِّلك، فقال: يا أمير المؤمنين لو أرسلت إليّ جئتكَ، فقال عمر: إنما الحاجة لي. وأخرج الطبراني عن رجل قال: استأذنا على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه صلاة الصبح، فأذن لنا وألقى على امرأته قطيفة، وقال: إني كرهت أن أحبسكم.

(الأدب المفرد ١٨٩)

عن موسى بن طلحة رضي الله عنه قال: دخلت مع أبي على أمي فدخل فأتبعته، فالتفت فدفعت في صدري حتى أقعدني على استي، ثم قال: أتدخل بغير إذن؟ (الأدب المفرد ١٥٥)

عن مسلم بن نذير قال: استأذن رجل على حذيفة رضي الله عنه فاطّلع وقال: أدخل؟ قال حذيفة: أما عينك فقد دخلت، وأما استك فلم تدخل وقال رجل: استأذن على أمي؟ قال: إن لم تستأذن رأيت ما يسوءك. وأخرج أحمد عن أبي سويد العبدي قال: أتينا ابن عمر رضي الله عنهما فجلسنا ببابه ليؤذن لنا، قال: فأبطأ علينا الإذن، فقمتم إليحجر في الباب فحعلت أطلع فيه ففطن بي، فلما أذن لنا جلسنا، فقال: أيكم اطلع أنفاً في داري؟ قلت: أنا، قال: بأي شيء استحلت أن تطلع في داري؟ قلت: أبطأ علينا فنظرت فلم أتعمد ذلك، قال: ثم سألوه عن أشياء، قلت: يا أبا بعد الرحمن ما تقول في الجهاد، قال: من جاهد فإنها يجاهد لنفسه. (الأدب المفرد ١٥٥)

١٤١ - باب بيان أن السنة إذا قيل للمستأذن : من أنت ؟ أن يقول :

فلان فيسمى نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله أنا وهوها

٨٧٤- عن أنس رضي الله عنه في حديثه المشهور في الإسراء قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، « ثُمَّ صَعِدَ بي جِبْرِيلُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فاستفتح » فقيل : مَنْ هذا ؟ قال : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : مُحَمَّدٌ . ثُمَّ صَعِدَ إلى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فاستفتح ، قيل : مَنْ هذا ؟ قال : جِبْرِيلُ ،

قيل : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قال : مُحَمَّدٌ « والثالثة والرابعة وسائرهنَّ وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ : مَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُ : جَبْرِيلُ مُتَّفِقٌ عَلَيْهِ .

٨٧٥- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْشِي وَحَدَّهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ الْقَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَأَى فَقَالَ : « مَنْ هَذَا ؟ » فقلتُ أبو ذر، متفق عليه

٨٧٦- وعن أمِّ هانئ رضي الله عنها قالت: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يغتسل وفاطمة تسترُهُ فقال : « مَنْ هَذِهِ ، » فقلت : أنا أم هانئ . متفق عليه .

٨٧٧- وعن جابر رضي الله عنه قال : أتيتُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَقَّقْتُ الْبَابَ فَقَالَ : « مَنْ هَذَا ؟ » فقلت ، أنا ، فقال : « أنا أنا ؟ » كأنه كَرِهَهَا ، متفق عليه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال عبد الله بن مسعود : عليكم إذن على أمهاتكم . (الإستذكار ٢٧ / ١٥٢ رقم ٤٠٥٨٨)

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : إذا دُعيت فقد أذن لك وقال : إذا دعي الرجل فقد أذن له . (الأدب المفرد للبخارى ١٠٧٤)

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة، فانتهى إلى الباب؛ ونحن، وبزق؛ كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه. (جامع البيان للطبري ١٨ / ١١٢)

عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان إذا بلغ بعض ولده الخُلم عزله فلم يدخل عليه إلا بإذن لقوله تعالى: (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ) (النور ٢٨). (صحيح الأدب المفرد حديث ٨٠٨) قال علقمة: جاء رجل إلى عبد الله قال : أستاذن على أمي ؟ فقال: ما على كل أحيانها تحب أن تراها.

(الأدب المفرد للبخارى ٢٢٧)

قال مسلم بن نذير: سألت رجل حذيفة فقال : أستاذن على أمي ؟ فقال : إن لم تستأذن عليها رأيت ما تكره. (الأدب المفرد للبخارى ٢٢٧)

قال أنس بن مالك: أن أبواب النبي صلى الله عليه وسلم كانت تفرع بالأظافر. (الأدب المفرد حديث ١٠٦٥)

وعن أبي هريرة : كان عبد الله إذا دخل الدار؛ استأنس؛ تكلم ورفع صوته. (الدر المنثور ٦/ ١٧٣)
قال بعض المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية فما أدركتها. لقد طلبت أن أستأذن على بعض
إخواني ليقول لي: ارجع. فأرجع وأنا مغتبط. لقوله تعالى (وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ اذْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى
لَكُمْ). (تفسير الطبري ج ١٩)

قال مالك: يستأذن الرجل على أمه وأخته إذا أراد أن يدخل عليها. (أحكام القرآن لأبي بكر العربي ٣/ ١٣٦١)
وقال مالك: الاستئذان ثلاثاً لا أحب أن يزيد أحد عليها إلا من علم أنه لم يسمع فلا أرى بأساً أن يزيد
إذا استيقن أنه لم يسمع. (الإستذكار لابن عبد البر ٢٧/ ١٥٩ رقم ٤٠٦١٨)

قال جابر: يستأذن الرجل على ولده وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه. (الأدب المفرد ٢٢٧)
قال ابن جريج : قلت لعطاء : أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه، وذات قرابته ؟ قال : نعم، قلت :
بأي وجبت ؟ قال قوله عز وجل : (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) (النور ٥٩)
(الإستذكار ٢٧/ ١٥٢ رقم ٤٠٥٩١)

قال طاوس بن كيسان: ما من امرأة أكره لي أن أرى عريتها من ذات محرم. (الإستذكار ٢٧/ ١٥٢ رقم ٤٠٥٩٠)
استئذان الطفل: قال تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ)
قال أبو إسحاق الفزاري: قلت للوزاعي ما حد الطفل الذي يستأذن ؟ قال: أربع سنين، قال لا يدخل
على امرأة حتى يستأذن. (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/ ٣٠٧)

قال أحمد بن حنبل: إذا دخل الرجل بيته استحب له أن يتنحى أو يحرك نعليه. (تفسير ابن كثير ١٠/ ٢١٠)
قال قتادة في قوله تعالى : (حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) : هو الاستئذان ثلاثاً فمن لم يؤذن له فليرجع أما الأولى :
فليسمع الحيّ وأما الثانية : فليأخذوا حذرهم، وأما الثالثة : فإن شاؤوا أذنوا، وإن شاؤوا ردّوا،
ولا تقفن على باب قوم ردّوك عن بابهم، فإن للناس حاجاتٍ ولهم أشغال، والله أولى بالعذر.
(تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٣٧٥)

**١٤٢- باب استنباط تسمية العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهية تسميته إذا
لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التسمية والعطاس والشاؤب**

٨٧٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إن الله يُحِبُّ الْعَطَّاسَ وَيَكْرَهُ

التَّائِبَ ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمَدَ اللَّهَ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ وَأَمَّا التَّائِبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَإِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلِيرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ ، فَإِنِ أَحَدُكُمْ إِذَا تَنَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ » رواه البخاري

٨٧٩- وعنه عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَإِذَا قَالَ لَهُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ فَلْيَقُلْ : يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُمْ » رواه البخاري

٨٨٠- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ « إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللَّهُ فَشَمْتُوهُ ، فَإِنِ لَمْ يَحْمَدِ اللَّهُ فَلَا تُشَمْتُوهُ » رواه مسلم .

٨٨١- وعن أنس رضي الله عنه قال : عطس رجلان عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر ، فقال الذي لم يشمته : عطس فلان فشمته وعطست فلم تشمتني ؟ فقال : « هذا حمد الله ، وإنك لم تحمد الله » . متفق عليه .

٨٨٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ وَخَفَضَ أَوْ غَضَّ بِهَا صَوْتَهُ . شك الراوي رواه أبو داود، والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

٨٨٣- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : « كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطِسُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَيَقُولُ : يَهْدِيكُمْ اللَّهُ وَيُصَلِّحُ بِالْكُمْ » رواه أبو داود، والترمذي وقال حديث حسن صحيح

٨٨٤- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِذَا تَنَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ » رواه مسلم .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

قال علي بن أبي طالب: شمته ما بينك وبينه ثلاث فإن زاد فهو ربح . (مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٩٨٠)

قال أبي جمرة: سمعت ابن عباس رضى الله عنه يقول إذا شمت : عافانا الله وإياكم من النار يرحمكم الله .
(صحيح الأدب المفرد (٩٥٥))

قال ابن عباس: لما فرغ الله من خلق آدم وأجرى فيه الروح عطس فقال : الحمد لله فقال له ربه : يرحمك ربك . (المستدرک للحاکم ٣٠٣٦)

عن عبد الله بن عمر: أنه كان إذا عطس فقليل له : يرحمك الله قال : يرحمنا وإياكم ويغفر لنا ولكم . (موطأ مالك ١٨٠٠)

روي عن ابن عمر أنه قال : العاطس في الصلاة يجهر بالحمد وكذلك قال النخعي وأحمد بن حنبل وهو مذهب الشافعي إلا أنه يستحب أن يكون ذلك في نفسه . (معالم السنن ١ / ١٩٥)

قال عبد الله بن مسعود : إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله رب العالمين وليقل من يرد يرحمك الله وليقل هو يغفر الله لي ولكم . (الأدب المفرد ٩٣٤)

قال عمرو بن العاص: شمتوه ثلاثاً، فإن زاد فهو داء يخرج من جسده . (مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٩٨٣)
قال ابن هبيرة : فإذا عطس الإنسان استدل بذلك من نفعه بصحة في بدنه وجودة مطعمه واستقامة قوته فينبغي له أن يحمد الله ولذلك أمره صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله . (الأداب الشرعية ٤٩٣)

قال عمرو بن دينار: لا أراني إلا وقد سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول : عطس إنسان فترحم عليه آخر ، وهو يصلي ؛ فقال الناس : إن ذلك لا يفعل في الصلاة . (مصنف عبد الرزاق ٣٥٧٦)

قال إبراهيم النخعي: إذا عطس الرجل في الصلاة فليحمد الله ولا يجهر . (مصنف عبد الرزاق ٤٠٦٣)
قال الشعبي: إذا عطس اليهودي فحمد الله فقل : يهديك الله وقال إذا شمتك المشرك فقل هداك الله .
(شرح السنة ٣١١ / ١٢)

عن حرب : قلت لأحمد : الرجل يشمت المرأة إذا عطست ؟ قال : إن أراد أن يستنطقها يسمع كلامها فلا ، لأن الكلام فتنة ، وإن لم يرد ذلك أفلا بأس أن يشمتهن . (الأداب الشرعية ٤٩٧)

قال ابن مفلح : ويُسْن أن يغطي العاطس وجهه ، ويخفض صوته إلا بقدر ما يسمع جليسه ليشمته . (الأداب الشرعية ٤٩٣)

قال ابن العربي : الحكمة في خفض الصوت بالعطاس أن في رفعه إزعاجاً للأعضاء ، وفي تغطية الوجه

أنه لو بدر منه شيء أذى جليسه، ولو لوا عنقه صيانة لجليسه، لم يأمن من الالتواء، وقد شاهدنا من وقع له ذلك. (فتح الباري ١٠/٦٠٢)

قال ابن القيم: ولما كان العاطس قد حصلت له بالعطاس نعمة، ومنفعة بخروج الأبخرة المحتقنة في دماغه، التي لو بقيت فيه أحدثت له أدواء عسرة شرع له حمد الله على هذه النعمة مع بقاء أعضائه على التمامها وهيئتها بعد هذه الزلزلة التي هي للبدن كزلزلة الأرض لها. (زاد المعاد ٢/٤٠٠)

قال ابن حجر: ومما يستحب للعاطس ألا يبالي في إخراج العطسة، فقد ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: سبع من الشيطان فذكر منها شدة العطاس. (فتح الباري ١٠/٦٠٧)

وقد أجمع العلماء على أن من عطس فلم يحمد الله لم يجب على جليسه تشميته. (الإستذكار ٨/٤٨١)
قال النووي: اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه الحمد لله ولو قال الحمد لله رب العالمين لكان أحسن، فلو قال الحمد لله على كل حال كان أفضل. (الأذكار ٢٤٠)
قال النووي: إذا تكرر العطاس من الإنسان متتابعاً فالسنة أن يشمته لكل مرة إلى أن يبلغ ثلاث مرات. (الأذكار للنووي ٤٩١)

وقال النووي: إذا قال العاطس لفظاً آخر غير الحمد لله لم يستحق التشميت. (الأذكار للنووي ٢٤١)

الآثار العملية من حياة السلف:

عن نافع: أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله قال ابن عمر: وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله وليس هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - علمنا أن نقول: الحمد لله على كل حال. (الترمذي ٢٧٣٨)

عن عبدالله بن عمر: أن رجلاً عطس عنده فشمتته ثم عطس فشمتته ثم عاد في الثالثة فقال: إنك مضنوك. (مصنف ابن أبي شيبة رقم ٢٥٩٧٩)

قال مجاهد: عطس ابن لعبد الله بن عمر فقال: آب. فقال ابن عمر: وما آب؟ إن آب اسم شيطان من الشياطين جعلها بين العطسة، والحمد. (فتح الباري ١٠/٦٠٠)

عن أبي بردة قال: دخلت على أبي موسى، وهو في بيت ابنة الفصل ابن عباس، فعطست ولم يشمتني، وعطست فشمتها فرجعت إلى أمي فأخبرتها فلما جاءها قالت: عطس عندك أبني فلم تشمته وعطست فشمتها، قال: أن ابنك عطس ولم يحمد الله، فلم أشمته، وعطست فحمدت الله فشمتها سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته ، فإن لم يحمد الله فلا تشمته . (رواه مسلم ٢٩٩٢)

عن أبي داود صاحب السنن : أنه كان في سفينة ، فسمع عاطساً على الشط حمد ، فاكرى قارباً بدرهم حتى جاء إلى العاطس فشمته ثم رجع فسئل عن ذلك فقال : لعله يكون مجاب الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول : يا أهل السفينة إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم . (فتح الباري ١٠ / ٦١٢)

عن مصعب بن عبد الرحمن بن ذؤيب قال : عطس رجل عند ابن الزبير فشمته ثم عطس فشمته ثم عطس الثالثة فشمته ثم عطس في الرابعة ، فقال له ابن الزبير : إنك مذنوب فامتخطه . (مصنف ابن أبي شيبة ٢٥٩٨٢)

١٤٣ - باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفة ومعاينة القادح من سفر وكراهية الانساء

٨٨٥- عن أبي الخطاب قتادة قال : قلت لأنس : أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال : نعم . رواه البخاري .

٨٨٦- وعن أنس رضي الله عنه قال : لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد جاءكم أهل اليمن ، وهم أول من جاء بالمصافحة » رواه أبو داود بإسناد صحيح .

٨٨٧- وعن البراء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا » رواه أبو داود .

٨٨٨- وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله ، الرجل منا يلقي أخاه أو صديقه أينحني له؟ قال : « لا » قال : أفيلتزمه ويقبله؟ قال : « لا » قال : فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال : « نعم » رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

٨٨٩- وعن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال : قال يهودي لصاحبه اذهب بنا إلى هذا النبي فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن تسع آيات بينات فذكر الحديث إلى قوله : فقَبَلَا يدهُ ورجلهُ وقالَا : نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِي . رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة .

٨٩٠- وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة قال فيها : فدَنَوْنَا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبَّلْنَا يده . رواه أبو داود.

٨٩١- وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قَدِمَ : زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المدينة ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بَيْتِي فَأَتَاهُ فَفَرَّعَ الباب. فقام إليه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْرُ ثَوْبُهُ فاعتنقه وقبله « رواه الترمذي وقال : حديث حسن

٨٩٢- وعن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « لا تَحْفَرَنَّ مِنْ المَعْرُوفِ شَيْئاً وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقٍ » رواه مسلم .

٨٩٣- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قَبَّلَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحسن بن علي رضي الله عنهما ، فقال ، الأقرعُ بن حابس : إِنَّ لِي عَشْرَةَ مِنْ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا . فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . « مَنْ لَا يُرْحَمَ لَا يُرْحَمُ ، » متفق عليه .

الآثار الواردة في عنوان الباب :

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من تمام التحية الأخذ باليد.

(الترمذي رقم ٢٧٣٠- مسند الروياني رقم ١٢٦١)

قال أنس: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا.
(الطبراني في الأوسط ١/٣٧)

قال أبو بكر المروزي : سألت ابا عبد الله عن قُبلة اليد فقال ان كان على طريق التدين فلا بأس. فقد قبل أبو عبيده يد عمر بن الخطاب وان كان على طريق الدنيا فلا الا رجلا يخاف سيفه او سوطه.

(كتاب الورع ١/١٤٤)

قال ابن منصور لأبي عبد الله: تكره مصافحة النساء؟ قال أكرهه، قال اسحاق بن راهويه - كما قال - وقال محمد بن عبد الله بن مهران: إن أبا عبد الله سئل عن الرجل يصافح المرأة قال: لا وشدد فيه جداً قلت: فيصافحها بثوبه. (الأدب الشرعي ٢/٢٤٦)

قال الثوري : لا بأس بها يعني تقبيل اليد للإمام العادل وكرهها على دنيا. (الورع لاحمد ١/١٤٤)

عن رواد قال سمعت سفيان يقول: تقبيل يد الإمام العادل سنة. (تقبيل اليد لابن المقرئ ١ / ٧٠)
قال عبد الرحيم ابي العباس السامي: قال سليمان ابن حرب تقبيل يد الرجل السجدة الصغرى.
(الورع لاحمد بن حنبل ١ / ١٤٤)

قال القرطبي: وأما تقبيل اليد فإنه من فعل الأعاجم ولا يتبعون على أفعالهم التي أحدثوها تعظيماً منهم
لكبرائه. (تفسير القرطبي ٩ / ٢٦٦)

قال النووي: وأما تقبيل اليد فإن كان لزهد صاحب اليد وصلاحه أو علمه أو شرفه وصيانيته ونحوه
من الأمور الدينية فمستحب، وإن كان لندياه وثورته وشوكته ووجاهته ونحو ذلك فمكروه شديد
الكرهية. وقال المتولي: لا يجوز وظاهره التحريم. (روضه الطالبين ١٠ / ٢٣٦)

قال سعيد بن عبيد الطائي: (الإشراف في منازل الأشراف لابن ابي الدنيا ١ / ٢٢٥)

أَتَقِ بِالْبَشْرِ مَنْ لَقِيتَ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَلَا قِهِم بِالطَّلَاقِ

وَدَعِ التِّيَةَ وَالْعُبُوسَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّ الْعُبُوسَ رَأْسُ الْحِمَاةِ

كَلِمًا شئتَ أنتَ عادي عاديستَ صديقًا وقد تعزُّ الصداقة

قال ابن وكيع: (الأداب الشرعية ٣ / ٥٧٣)

لاق بالبشر من لقيت من الناس وعاشر بأحسن الإنصاف

لا تخالف وإن أتوا بمحال تستفد ودهم بترك الخلاف

الآثار العملية في حياة المسلم :

روى أن أبا بكر أقبل على فرسه من مسكنه بالسنع، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى
دخل على عائشة رضي الله عنها، فتميم النبي صلى الله عليه وسلم -قصده- وهو مسجى ببرد حبرة،
فكشف عن وجهه ثم أكب عليه، فقبله ثم بكى، فقال: بأبي أنت يا نبي الله، لا يجمع الله عليك موتتين،
أما الموتة التي كتبت عليك فقد نلتها. (إحياء علوم الدين ١ / ٥٩٦)

عن البراء قال دخلت مع أبي بكر على أهله، فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حمى، فرأيت أباها
قبل خدها، وقال: كيف أنت يا بنية؟. (البخارى ٣٩١٨)

عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت ما رأيت أحدا من خلق الله كان أشبه حديثا وكلاما برسول الله صلى الله
عليه وسلم من فاطمة وكانت إذا دخلت عليه رحب بها وقام إليها فأخذ بيدها وقبلها وأجلسها في

مجلسه وكان إذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبلته. (أبو داود (٣٥٥ / ٤) والترمذي (٧٠٠ / ٥)
 قال صهيب مولى العباس: رأيت عليا يقبل يد العباس ورجله ويقول يا عم ارض عني. (تقيل اليد ٧٦ / ١)
 عن جميله أم ولد أنس بن مالك قالت: كان ثابت إذا أتى أنس قال: يا جارية! هات طيباً أمسه بيدي، فإن
 ثابتاً إذا جاء لم يرض حتى يقبل يدي ، فإن ثابتاً كان يقبل يد أنس بن مالك؛ لأن يد أنس بن مالك
 مست يد النبي صلى الله عليه وسلم. (تقيل اليد لابن المقرئ ٥٤ / ٤)

عن ابن جدعان قال: سمعت ثابتاً يقول لأنس مسست رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديك
 قال: نعم قال: فأعطني يدك فأعطاه فقبلها. (تقيل اليد لابن المقرئ ٧٩ / ١)
 عن سلمة بن وردان قال: رأيت أنس بن مالك يصفح الناس، فسألني من أنت؟ فقلت: مولى لبني ليث،
 فمسح على رأسي ثلاثاً، وقال: بارك الله فيك. (الأدب المفرد ٥٣٨ - رقم ٩٦٦)
 عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: لما قدم جعفر من هجرة الحبشة تلقاه النبي صلى الله عليه وسلم
 فعانقه وقبّل ما بين عينيه. (الطبراني في الكبير ١٠٨ / ٢)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه كان في سرية من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فحاص
 الناس حيصة فكنت فيمن حاص قال فلما برزنا قلنا كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب
 فقلنا ندخل المدينة فنثبت فيها ونذهب ولا يرانا أحد قال فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فإن كانت لنا توبة أقمنا وإن كان غير ذلك ذهبنا قال فجلسنا لرسول الله صلى الله
 عليه وسلم قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون فأقبل إلينا فقال لا بل أنتم
 العكارون قال فدنونا فقبلنا يده فقال إنا فئة المسلمين. (الأدب المفرد ٣٣٨ / ١)

قال بكر بن محمد عن أبيه عن أبي عبد الله وسئل عن رجل يقبل أخته؟ قال: قد قبّل خالد بن الوليد
 أخته. (الأدب الشرعي لابن مفلح ٢٦٦ / ٢)

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
 قال: ابتعت بعيراً، فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشام أي سافر شهراً كاملاً من أجل سماع
 الحديث فإذا عبد الله بن أنيس، فبعثت إليه أن جابراً بالبواب، فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله؟
 فقلت: نعم. فخرج فاعتنقني. (الأدب المفرد للبخاري ٣٣٧ / ١)

قال عبد الرحمن بن رزين: مررنا بالربذة، فقبل لنا: هاهنا سلمة بن الأكوع فأتيته فسلمنا عليه فأخرج يديه، فقال: بايعت بهاتين نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخرج كفاً له ضخمة كأنها كف بعير - لأن سلمة رضي الله عنه كان رجلاً ضخماً قوي البنية - فقمنا إليها فقبلناها. (الادب المفرد ١/ ٣٣٨)

عن حماد بن زيد قال كنت عند أبي هارون العبدي فدخل علينا أيوب السختياني فسأله عن شيء ثم قام يخرج فقال لي من هذا الفتى قلت هذا أيوب السختياني فقال يا أبا بكر أردت أن تخرج قبل أن نعرفك قال فأخذ بيده وسلم عليه فقبل يده. (تقبيل اليد ١/ ٩٣)

قال أبي مروان شريك بن هشام: رأيت سعيد بن جبير في حبس الحجاج جاءت حالته فقبلت يده. (تاريخ واسط ١/ ٩١)

عن مالك بن مغول قال: حدثني طلحة قال عدت خيشمة وكان أعجب أهل الكوفة إلى إبراهيم وخيشمة فقاموا وقمت فقال وأنت أيضا فأخذ يدي فقبلها فقبلت يده فقال مالك وفعله بي طلحة وفعلته به. (الطبقات الكبرى ٦/ ٢٨٦)

قال موسى بن داود: كنت عند سفيان بن عيينة فجاء حسين الجعفي فقام ابن عيينة فقبل يده. (تقبيل اليد لابن المقرئ ١/ ٧٧)

قال ابن طاهر دخلت على الشيخ سعد بن علي الزنجاني وأنا ضيق الصدر من رجل شيرازي فقبلت يده فقال لي ابتداء يا أبا الفضل لا يضيق صدرك. (تذكرة الحفاظ ٣/ ١١٧٦)

فقد صافح ابن المبارك حماد بن زياد بكلتا يديه. (تغليق التعليق ٥/ ١٣٠)

بفضل الله وكرمه انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الباب
١	مقدمة المؤلف	
	١ - كتاب المقدمات	
١٣	باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية	١
٢٧	باب التوبة	٢
٤٣	باب الصبر	٣
٥٩	باب الصدق	٤
٦٤	باب المراقبة	٥
٧٥	باب التقوى	٦
٨٢	باب اليقين والتوكل	٧
٩٧	باب الاستقامة	٨
١٠١	باب في التفكير في عظيم مخلوقات الله تعالى وفناء الدنيا وأهوال الآخرة	٩
١٠٩	باب في المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه لخير على الإقبال عليه بالجد	١٠
١١٥	باب المجاهدة	١١
١٢٧	باب الحث على الازدياد من الخير في أواخر العمر	١٢
١٣٥	باب في بيان كثرة طرق الخير	١٣
١٤١	باب في الاقتصاد في العبادة	١٤
١٥١	باب المحافظة على الأعمال	١٥

١٥٧	باب الأمر بالمحافظة على السنة وآدابها	١٦
١٦٩	باب في وجوب الانقياد لحكم الله تعالى وما يقوله من دعي إلى ذلك	١٧
١٧٤	باب النهي عن البدع ومحدثات الأمور	١٨
١٨٨	باب في من سن سنة حسنة أو سيئة	١٩
١٩٣	باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلال	٢٠
٢٠٠	باب التعاون على البر والتقوى	٢١
٢٠٥	باب النصيحة	٢٢
٢١٣	باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٣
٢٢٦	باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله	٢٤
٢٢٩	باب الأمر بأداء الأمانة	٢٥
٢٣٦	باب تحريم الظلم والامر برد المظالم	٢٦
٢٤٥	باب تعظيم حرمت المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم	٢٧
٢٥٤	باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة	٢٨
٢٦٠	باب قضاء حوائج المسلمين	٢٩
٢٦٧	باب الشفاعة	٣٠
٢٧١	باب الإصلاح بين الناس	٣١
٢٧٧	باب فضل ضعفه المسلمين والفقراء الخاملين	٣٢
٢٨٢	باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم	٣٣
٢٨٨	باب الوصية بالنساء	٣٤

٢٩٥	باب حق الزوج على المرأة	٣٥
٣٠٤	باب النفقة على العيال	٣٦
٣٠٨	باب الإنفاق مما يجب ومن الجيد	٣٧
٣١٤	بيان وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى	٣٨
٣٢٧	باب حق الجار والوصية به	٣٩
٣٣٤	باب بر الوالدين وصلة الأرحام	٤٠
٣٤٧	باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم	٤١
٣٥٥	باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه	٤٢
٣٥٧	باب إكرام أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضلهم	٤٣
٣٦٤	باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم، ورفع مجالسهم،	٤٤
٣٧٣	باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم	٤٥
٣٨٣	باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له	٤٦
٣٩٠	باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها	٤٧
٣٩٦	باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين	٤٨
٣٩٨	باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرايرهم إلى الله تعالى	٤٩
٤٠٣	باب الخوف	٥٠
٤١٨	باب الرجاء	٥١
٤٣٠	باب فضل الرجاء	٥٢
٤٣٢	باب الجمع بين الخوف والرجاء	٥٣

٤٣٦	باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقا اليه	٥٤
٤٤٦	باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر	٥٥
٤٧٣	باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقْتِصَار على القليل من المأكول والمشروب	٥٦
٤٩٠	باب القناعة والعفاف والاقْتِصَاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة	٥٧
٤٩٨	باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه	٥٨
٤٩٩	باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به من السؤال والتعرض للإعطاء	٥٩
٥٠٦	باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى	٦٠
٥١٦	باب النهي عن البخل والشح	٦١
٥٢١	باب الإيثار المواساة	٦٢
٥٢٨	باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك فيه	٦٣
٥٣٢	باب فضل الغني الشاكر وهو من أخذ المال من وجه وصرفه في وجوهه المأمور بها	٦٤
٥٣٩	باب ذكر الموت وقصر الأمل	٦٥
٥٥٥	باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر	٦٦
٥٥٩	باب كراهية تمني الموت بسبب ضرر نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين	٦٧
٥٦٣	باب الورع وترك الشبهات	٦٨
٥٧٢	باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين	٦٩
٥٨٠	باب فضل الاختلاط بالناس	٧٠
٥٨٤	باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين	٧١
٥٩٨	باب تحريم الكبر والإعجاب	٧٢

٦٠٧	باب حسن الخلق	٧٣
٦١٦	باب الحلم والأناة والرفق	٧٤
٦٢٤	باب العفو والإعراض عن الجاهلين	٧٥
٦٣١	باب إحتمال الأذى	٧٦
٦٣٥	باب الغضب إذا انتهكت حرمت الشرع والانتصار لدين الله تعالى	٧٧
٦٤٠	باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم	٧٨
٦٤٤	باب الوالي العادل	٧٩
٦٤٩	باب وجوب طاعة ولاة الأمور في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية	٨٠
٦٦٥	باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدع حاجة إليه	٨١
٦٦٩	باب حث السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح	٨٢
٦٧٤	باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص	٨٣
	٢- كتاب الأدب	
٦٧٨	باب الحياء وفضله والحث على التخلق به	٨٤
٦٨٤	باب حفظ السر	٨٥
٦٨٩	باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد	٨٦
٦٩٣	باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير	٨٧
٦٩٨	باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء	٨٨
٧٠٢	باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم	٨٩
٧٠٦	باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ	٩٠

٧٠٨	باب الوعظ والإقتصاد فيه	٩١
٧١٢	باب الوقار والسكينة	٩٢
٧١٤	باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات بالسكينة والوقار	٩٣
٧١٦	باب إكرام الضيف	٩٤
٧٢٣	باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير	٩٥
٧٣٠	باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفر وغيره والدعاء له وطلب الدعاء منه	٩٦
٧٣٣	باب الاستخارة والمشاورة	٩٧
٧٤٠	باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنائز ونحوها	٩٨
٧٤٣	باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم	٩٩
	٣- كتاب أدب الطعام	
٧٤٦	باب التسمية في أوله والحمد في آخره	١٠٠
٧٥٠	باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه	١٠١
٧٥٠	باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يفطر	١٠٢
٧٥١	باب ما يقوله من دعي إلى طعام فتبعه غيره	١٠٣
٧٥٢	باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من سيء أكله	١٠٤
٧٥٣	باب النهي عن القران بين تمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته	١٠٥
٧٥٤	باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع	١٠٦
٧٥٨	باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها	١٠٧
٧٥٨	باب كراهية الأكل متكئا	١٠٨

٧٥٩	باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع	١٠٩
٧٦١	باب تكثير الأيدي على الطعام	١١٠
٧٦٢	باب أدب الشرب واستحباب التنفس ثلاثا خارج الإناء وكراهة التنفس في الإناء	١١١
٧٦٤	باب كراهة الشرب من فم القربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم.	١١٢
٧٦٥	باب كراهة النفخ في الشراب	١١٣
٧٦٦	باب بيان جواز الشرب قائما وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدا	١١٤
٧٦٧	باب استحباب كون ساقى القوم آخرهم شربا	١١٥
٧٦٧	باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة وجواز الكرع	١١٦
	٤- كتاب اللباس	
٧٦٩	باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود	١١٧
٧٧٣	باب استحباب القميص	١١٨
٧٧٣	باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة	١١٩
٧٧٩	باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعا	١٢٠
٧٨٠	باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة	١٢١
٧٨١	باب تحريم لباس الحرير على الرجال وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه	١٢٢
٧٨٢	باب جواز لبس الحرير لمن به حكة	١٢٣
٧٨٢	باب النهي عن اقتراش جلود النمرور والركوب عليها	١٢٤
٧٨٣	باب ما يقول إذا لبس ثوبا جديدا أو نعلا أو نحوه	١٢٥
٧٨٤	باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس	١٢٦

٥- كتاب آداب النوم والاضطجاع		
٧٨٤	باب آداب النوم والاضطجاع والعود والمجلس والجلس والرؤيا	١٢٧
٧٨٨	باب جواز الإستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى	١٢٨
٧٨٩	باب في آداب المجلس والجلس	١٢٩
٧٩٦	باب الرؤيا وما يتعلق بها	١٣٠
٦- كتاب السلام		
٨٠٥	باب فضل السلام والأمر بإفشائه	١٣١
٨٠٩	باب كيفية السلام	١٣٢
٨١١	باب آداب السلام	١٣٣
٨١٢	باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاءه على قرب بأن دخل ثم خرج	١٣٤
٨١٣	باب استحباب السلام إذا دخل بيته	١٣٥
٨١٣	باب السلام على الصبيان	١٣٦
٨١٣	باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات	١٣٧
٨١٥	باب تحريم ابتداء الكافر بالسلام وكيفية الرد عليهم	١٣٨
٨١٦	باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جلسه	١٣٩
٨١٦	باب الإستئذان وآدابه	١٤٠
٨١٨	باب بيان أن السنة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان فيسمي نفسه	١٤١
٨٢٠	باب استحباب تسميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تسميته إذا لم يحمد الله	١٤٢
٨٢٤	باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح	١٤٣

